بسم الله وبه ثقتي

ترجمة المصنف قدس سره

هو الامام الهمام كشّاف قواعد الاسلام وحلّال معاقد الاحكام ترجمان الحكماء والمتألهين لسان الفقهاء والمتكلمين البحر الزاخر والسحاب الماطر المترقي في مدارج كمال النفوس الى اعلى المراقي مولينا محمد مهدي بن ابي ذر النراقي مولداً والكاشاني مسكناً والنجفي النجاوي مدفناً قدس الله سبحانه فسيح تربته وافاض على نفسه الزكية وابل رحمته واسكنه بحبوبة جنته وكان من اركان علمائنا المتأخرين واعيان فقهائنا المتبحرين وقد قرأ على جماعة من المشايخ العظام منهم العالم العلم الاوحد الاكمل ذو النور الزاهر والفضل الباهر مؤسس اساس الشريعة الحقة ومن وجب حقه على الفرقة المحقة المحقق الثالث والعلامة الثاني الذي لا ثاني له والامجد الاوحد مولانا محمد باقر الاصفهاني البهبهاني انار الله روضته واناله رضوانه ورحمته ومنهم المحدث الفاضل والفقيه الكامل العالم الورع العامل صاحب الحدائق الناضرة والمصنفات الفاخرة الشيخ يوسف بن احمد بن ابرهيم البحراني نور الله مرقده ومنهم البحر المحقق والفقيه الجامع المدقق علامة الزمان الحاج الشيخ محمد بن الحاج محمد زمان الكاشاني اصلاً ومولداً والاصبهاني رياسة ومسكناً والنجفي خاتمة ومدفناً ومنهم الشيخ الاجل الافضل والفقيه النبيه الاكمل المحدث الماهر النقي والعالم الورع التقي الحبر الاوحد الشيخ محمد مهدي بن الشيخ بهاء الدين الفتوني العاملي النجفي طاب رمسه وزكت نفسه ومنهم العلم العلامة والمحقق الفهامة اعجوبة الزمان ووحيد الاوان العالم الرباني مولانا محمد اسمعيل بن محمد حسين المازندراني الاصفهاني الشهير بخاجوئي طاب ثراه ومنهم الفاضل الاوحد والعالم المؤيد جامع المعقول والمنقول حاوي الفروع والاصول مولانا محمد مهدي الهرندي الاصفهاني روح الله روحه وهذا العالم العامل اعني المصنف قدس سره بعد ما استفاد العلوم النفيسة من هؤلاء المشايخ العظام جاهد نفسه بالرياضات العملية حتى نال مكارم الاخلاق واعلى المقام وله مصنفات ومؤلفات كثيرة في الفنون العلمية نشير الى اسامي ما ظفرنا به منها كتاب معتمد الشيعة في احكام الشريعة وكتاب لوامع الاحكام في فقه شريعة الاسلام وكتاب التحفة الرضوية في المسائل الدينية وكتاب جامع السعادات في موجبات النجاة وكتاب جامع الافكار في الالهيات على ما اوحي اليه في طي عبارات جامع السعادات وكتاب محرق القلوب في مصائب اهل بيت العصمة وكتاب انيس التاجرين في آداب التجارة وكتاب في تفصيل المشكلات يشبه بالكشكول وكتاب التجريد في اصول الفقه وكتاب فارسي في اصول الدين وشافي العبادات وآخر في مناسك الحج

الكتاب المسمى بجامع السعادات في موجبات النجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان وجعله افضل انواع الاكوان وصيره نسخة لما وجد من عوالم
الامكان اظهر فيه عجائب قدرته القاهرة وابرز فيه غرائب عظمته الباهرة ربط به الناسوت
باللاهوت واودع فيه حقائق الملك والملكوت خمر طينته من الظلمات والنور وركب فيه دواعي
الخير والشرور وعجنه من المواد المتخالفة وجمع فيه القوى والاوصاف المتناقضة ثم ندبه الى تهذيبها
بالتقويم والتعديل وحثه على تحسينها بعدما سهل له السبيل والصلوة على نبينا الذي اوتي جوامع
الحكم وبعث لتتميم محاسن الاخلاق والشيم وعلى آله مصابيح الظلم ومفاتيح ابواب السعادات
والكرم صلى الله عليه وآله وسلم **اما بعد** فيقول طالب السعادة الحقيقية مهدي بن
ابي ذر النراقي بصره الله بعيوب نفسه وجعل يومه خيرا من امسه انه لا ريب في ان الغاية من وضع
النواميس والاديان وبعثة المصطفين من عظماء الانسان هو سوق الناس من مراتع البهائم والشياطين
وارشادهم الى روضات العليين وردعهم عن مشاركة اسراء ذل الناسوت ومصاحبة قرناء حب الطاغوت
الى مجاورة سكان صقع الملكوت ومرافقة قطان قدس الجبروت ولا يتيسر ذلك الا بالتخلي عن
ذمائم الاخلاق ورذائلها والتحلي بشرائف الصفات وفضائلها فيجب على كل عاقل ان يأخذ اهبته ويبذل
همته في تطهير قلبه عن اوساخ الطبيعة وارجاسها وتغسيل نفسه عن اقذار الجسمية وانجاسها
قبل ان يتيه في بيداء الشقاوة ويهوي في مهاوي الضلالة والهلاكة ويصرف جده ويجتهد جهده

في

في تقسيم علم الاخلاق باعتبار ان الانسان ما ينجيه وما يهلكه

من الباب الاول

استخلاص نفسه عن لصوص القوى الامارة ما دام الاختيار بيده اذ لا ينفعه الندامة والحسرة في غد ثم
لا ريب ان التزكية موقوفة على معرفة مهلكات الصفات ومنجياتها والعلم باسبابها ومعالجاتها وهذا هو الحكمة
الحقة التي مدح الله اهلها ولم يرخص لاحد جهلها وهي الموجبة للحيوة الحقيقية والسعادة السرمدية
والتارك لها على شفا جرف الهلكات وربما احرقته نيران الشهوات وقد كان السلف من الحكماء يبالغون
في نشرها وتدوينها وجمعها وتبيينها على ما ادت اليه قوة انظارهم وادركوه بقرائحهم وافكارهم و
لما جاءت الشريعة النبوية على صادعها الف صلوة وتحية حثت على تحسين الاخلاق وتهذيبها وبينت
دقائقها وتفصيلها بحيث اضمحل في جنبه ما قرره اساطين الحكمة والعرفان وغيرهم من اهل الملل والاديان
الا انه لما كان ما ورد منها منتشرا في موارد مختلفة متفرقا في مواضع متعددة تعسر ان يحيط به الجل فضلا
من ضبطه في موضع واحد ليسهل تناوله للكل فجمعت في هذا الكتاب خلاصة ما ورد من الشريعة الحقة مع
زبدة ما اورده اهل العرفان والحكمة على نهج تقربه اعين الطالبين وتسر به افئدة الراغبين ونذكر اولا
بعض المقدمات النافعة في المطلوب ثم نشير الى اقسام الاخلاق ومباديها من القوى ونضبطها باجناسها
وانواعها ونتائجها وثمراتها ثم الى المعالجة الكلية لذمائم الاخلاق والجزئية لكل خلق مذموم مما له اسم مشهور وما
ينشأ منه من الافعال المذمومة وفي تلوه نذكر ضده المحمود وما يدل على فضيلته عقلا ونقلا لان العلم بفضيلة
كل خلق والمداومة على آثاره اقوى علاج لازالة ضده ولا نتابع القوم من تقديم الرذائل باسرها على الفضائل
بل نذكر اولا ما يتعلق بالقوة العقلية من الفضائل والرذائل على النحو المذكور ثم ما يتعلق بالغضبية ثم ما
يتعلق بالشهوية ثم ما يتعلق باثنتين منها او الثلث لان ذلك ادخل في ضبط الاخلاق ومعرفة اضدادها
والعلم بمباديها واجناسها وهو من اهم الامور لطالبي هذا الفن وما تعرضت لتدبير المنزل وسياسة المدن
لان غرضنا في هذا الكتاب بما هو مجرد اصلاح النفس وتهذيب الاخلاق وسميته بجامع السعادات ورتبته
على ثلثة ابواب **الباب الاول** في المقدمات **فصل** اعلم ان الانسان منقسم الى سر وعلن وروح و
بدن ولكل منهما منافيات وملائمات آلام ولذات ومهلكات ومنجيات ومنافيات البدن والامه هي الامراض الجسمانية
وملائماته هي الصحة واللذات الجسمانية والمتكفل لبيان تفاصيل هذه الامراض ومعالجاتها هو علم الطب
ومنافيات الروح والامه هي رذائل الاخلاق التي تهلكه وتشقيه وصحته رجوعه الى فضائلها التي تسعده
وتنجيه وتوصله الى مجاورة اهل الله ومقربيه والمتكفل لبيان هذه الرذائل ومعالجاتها هو علم الاخلاق
ثم ان البدن مادي فان والروح مجرد باق فان اتصف بشرائف الصفات كان في البهجة والسعادة ابدا وان
اتصف برذائلها كان في العذاب والشقاوة مخلدا ولا بد لنا من الاشارة الى تجرده وبقائه بعد خراب البدن

انقسام حقيقة الانسان وحالاته بالاعتبار

في اثبات تجرد النفس وبقائها بعد فراقها عن البدن

اثبات الفصل

بيان تجرد النفس وبقائها

ترغيبا للطالبين على السعي في تزكيته وحفظه عن الشقاوة الابدية **فصل** لا ريب في تجرد النفس و
بقائها بعد مفارقتها عن البدن اما الاول والمراد به عدم كونها جسما وجسمانية فيدل عليه وجوه منها ان
كل جسم يقبل صورا واشكالا كثيرة لزوال كل صورة او شكل فيه بطريان مثله والنفس تقبل الصور المتعددة
المختلفة من المحسوسات والمعقولات من دون ان تزول الاولى بورود الاخرى بل كلما قبلت صورة
ازدادت قوتها على قبول الاخرى ولذلك تزيد القوة على ادراك الاشياء بالرياضات الفكرية وكثرة
النظر فثبت عدم كونها جسما ومنها ان حصول الابعاد الثلثة للجسم لا يتصور الا بان يصير طويلا و
عريضا عميقا وحصول الالوان والطعوم والروايح له لا يتصور الا بان يصير ذا لون وطعم ورايحة
هي تحصل للنفس وقوتها الوهمية بالادراك من غير ان يصير كذلك وايضا حصول بعضها للجسم يمنع
من حصول مقابله له ولا يمنع ذلك في النفس بل تقبل كلها في ان واحد على السواء ومنها ان النفس
تلتذ بما لا يلائم الجسم من الامور الالهية والمعارف الحقيقية ولا تميل الى اللذات الجسمية و
الخيالية والوهمية بل تحن ابدا الى الابتهاجات العقلية الصرفة التي ليس في الجسم وقواه فيها نصيب
هذا اوضح دليل على انها غيرهما اذ لا ريب في ان ما يحصل لبعض النفوس الصافية عن شوائب الطبيعة
من البهجة والسرور بادراك العلوم الحقة الكلية وذوات المجردة النورية القدسية وبالمناجاة و
العبادات والمواظبة على الاذكار في الخلوات مع صفاء النيات لا مدخلية له للجسم وقواه الخيالية
والوهمية وغيرهما اذ النفس قد تغفل في تلك الحالة عنها بالكلية وربما استغرقت بحيث لا
تشعر بالبدن بحيث ولا تدري ان لها بدنا فكانها منخلعة عنه فهذا يدل على انها من عالم اخر
غير عالم الجسم وقواه اذ التذاذهما منحصر بالملائمات الجزئية التي تدركها الحواس الظاهرة و
الباطنة ومنها ان النفس تدرك الصور الكلية المجردة فيكون محلا لها ولا ريب في ان المادي لا
يكون محلا للمجرد اذ كل مادي ذو وضع قابل للانقسام وكون المحل ذا وضع قابل للانقسام يستلزم
ان يكون حاله كذلك كما ثبت في محله والمجرد لا يمكن ان يكون كذلك والا خرج عن حقيقته فالنفس
لا تكون مادية واذا لم تكن مادية كانت مجردة لعدم الواسطة ومنها ان القوى الجسمية الباطنة
لا تكتسب العلوم الا من طريق الحواس الظاهرة اذ ما لم يدرك الشيء بها لم يتمكن الحواس الباطنة ان
يدركه وهذا وجداني ضروري والنفس قد تدرك ما لا طريق لشيء من الحواس الى ادراكه كالامور
المجردة والمعاني البسيطة الكلية واسباب الاتفاقات والاختلافات التي بين المحسوسات و
الضرورة العقلية قاضية بانه لا مدخلية لشيء من الحواس في ادراك شيء من ذلك وايضا

في اثبات تجرد النفس وبقائها بعد فراقها عن البدن

يحكم بانه لا واسطة بين النقيضين وهذا الحكم غير ماخوذ من مبادئ حسية اذ لو كان ماخوذا منها
لم يكن قياسا او قلبا فمثله ماخوذ من المبادي الشريفة العالية التي يبنى عليها القياسات القديمة
ايضا هي حاكمة على الحس في صدقه وكذبه وقد تخطئه في افعاله ويرد عليه احكامه كتخطئته
للبصر فيما يراه اصغر مما هو عليه في الواقع او بالعكس وفيما يراه مستديرا وهو مربع او مكسورا وهو
صحيح او معوجا وهو مستقيم او منكوسا وهو منتصب او متلونا في وضعه الواقعي وفي رؤيته للاشياء
المتحركة على الاستدارة كالحلقة والطوق وكتخطئته للسمع فيما يدركه في المواضع الصقيلة المستديرة
عند الصداء وللذوق في ادراكه الحلو مرا او مثله وكذا الحال في الشم واللمس ولا ريب في ان تخطئة
النفس الحواس في هذه الادراكات وحكمها بما هو المطابق للواقع انما يكون مسبوقا بالعلم الذي
لا يكون مسبوقا ماخوذا من الحس لان الحاكم على الشيء اعلى رتبة منه فلا يكون علمه الذي هو مناط
الحكم ماخوذا عنه ومما يؤكد ذلك انها عاقلة بذاتها وبكونها مدركة لمعقولاتها ومعلوماتها
هذا العلم ماخوذ من جوهرها دون مبادئ اخر ومنها انا نشاهد ان البدن وقواه يضعفان في افعالهما
وآثارهما والنفس تقوى في ادراكاتها وصفاتها كما في سن الكهولة او يكونان قويين في الافعال
مع كونها ضعيفة فيها كما في سن الشباب فلو كانت جسما او جسمانية لكانت تابعة لهما في الضعف و
القوة فان قلت الادراك وساير الصفات الكمالية للنفس يضعف ويختل بضعف البدن واختلاله
كما نشاهد في المشايخ والمرضى وتجردها ينافي ذلك قلنا الضعف والاختلال انما يحدث
في الادراك والافعال المتعلقة بالقوى الجسمية واما ما يحصل للنفس بجوهرها او بواسطة القوى
الجسمية بعد صيرورته ملكة لها فلا يحصل فيه اختلال وضعف بل يصير ظهوره اشد و
تاثيره اقوى واما الثاني اعني بقاؤها بعد المفارقة عن البدن فالدليل عليه بعد ثبوت تجردها
ان المجرد لا يتطرق اليه الفساد لانه حقيقة والحقيقة لا تتبدل كما صرح به المعلم الاول وغيره
وجهه ظاهر **فصل** اذا عرفت تجرد النفس وبقائها ابدا فاعلم انها اما ملتذة متنعمة
دائما او معذبة متألمة كذلك والتذاذها بتوقف على كمالها الذي يخصها ولما كانت لها قوتان
النظرية والعملية وكمال القوة النظرية الاحاطة بحقايق الموجودات بمراتبها والاطلاع على
الجزئيات الغير المتناهية بادراك كلياتها والترقي منه الى معرفة المطلوب الحقيقي وغاية الكل حتى يصل
الى مقام التوحيد ويتخلص عن وساوس الشيطان ويطمئن قلبه بنور العرفان وهذا الكمال
هو الحكمة النظرية وكمال القوة العملية التخلي عن الصفات الردية والتحلي بالاخلاق المرضية

لا تتبدل

بيان التذاذ النفس وتألمها

في بيان ان فضائل الاخلاق ورذائلها مما تلتذ النفس وتتعذب بها

الفصل الرابع

ثم الترقي منه الى تطهير السر وتخليته عما سوى الله سبحانه وهذا هو الحكمة العملية التي يشتمل هذا الكتاب على بيانها وكمال القوة النظرية بمنزلة الصورة وكمال القوة العملية بمنزلة المادة فلا يتم احدهما بدون الآخر ومن حصل له الكمالان صار بانفراده عالما صغيرا مشابها للعالم الكبير وهو الانسان التام الكامل الذي يمتلأ قلبه بانوار الشهود وبه يتم دائرة الوجود **فصل** فضائل الاخلاق من المنجيات الموصلة الى السعادة الابدية ورذائلها من المهلكات الموجبة للشقاوة السرمدية فالتخلي عن الثانية والتحلي بالاولى من اهم الواجبات والوصول الى الحيوة الحقيقية بدونهما من المحالات فيجب على كل عاقل ان يجتهد في اكتساب فضائل الاخلاق التي هي الاوساط المثبتة من صاحب الشريعة والاجتناب عن رذائلها التي هي الاطراف ولو قصر ادركته الهلاكة الابدية اذ كما ان الجنين لو خرج عن طاعة ملك الارحام المتوسط في الخلق لم يخرج الى الدنيا سويا سميعا بصيرا ناطقا كذلك من خرج عن طاعة نبي الاحكام المتوسط في الخلق لم يخرج الى عالم الآخرة كذلك (فمن كان في هذه الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا) ثم ما لم يحصل التخلية لم يحصل التحلية ولم يستعد النفس للفيوضات القدسية كما ان المرآة ما لم يذهب الكدورات عنها لم يستعد لارتسام الصور فيها والبدن ما لم يزل عنه العلة لم يتصور له افاضة الصحة والثوب ما لم ينق عن الاوساخ لم يقبل لونا من الالوان. فالمواظبة على الطاعات الظاهرة لا ينفع ما لم يتطهر النفس من الصفات المذمومة كالكبر والحسد والريا وطلب الرياسة والعلا وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد وفي العباد واي فائدة في تزيين الظواهر مع اهمال البواطن ومثل من يواظب على الطاعات الظاهرة ويترك تفقد قلبه كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة او كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم او كرجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه عن اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت فان الاخلاق المذمومة في القلب هي مغارس المعاصي فمن لم يطهر قلبه منها لم يتم له الطاعات الظاهرة او كمريض به جرب وقد امر بالطلاء ليزيل ما على ظهره وبشرب الدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء متناولا ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب ينفجر من المادة التي في الباطن ثم اذا تخلت

مرضاة

عن مساوى الاخلاق وتحلت بمعاليها على الترتيب العلمي استعدت لقبول الفيض من رب
الارباب ولم يبق لشدة القرب بينهما حجاب فيرتسم فيها صورة الموجودات على ما هى
عليه على سبيل الكلية اى بحدودها ولوازمها الذاتية لامتناع احاطتها بالجزئيات من حيث
من حيث الجزئية لعدم تناهيها وان علمت في ضمن الكليات لعدم خروجها عنها وحينئذ
يصير موجودا تاما ابدى الوجود سرمدى البقاء فائزا بالرتبة العليا والسعادة القصوى
قابلا للخلافة الالهية والرياسة المعنوية فيصل الى اللذات الحقيقية والابتهاجات العقلية
التى ما رأتها عيون الاعيان ولم يتصور دنا عوالى الاذهان **وصل** الاخلاق

بيان ان الاخلاق الذميمة تحجب عن المعارف

المذمومة هى الحجب المانعة عن المعارف الالهية والنفحات القدسية اذ هى بمنزلة
الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم تتضح لها جلية الحق اتضاحا كيف والقلوب كالاوانى فاذا
كانت مملوة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا يدخلها معرفة الله وحبه
وانسه والى ذلك اشار النبى صلى الله عليه واله وسلم بقوله (لولا ان الشياطين يحومون الى
قلوب بنى ادم لنظروا الى ملكوت السموات والارض) فبقدر ما يطهر القلوب عن هذه
الخبائث يحاذى شطر الحق الاول ويتلألؤ فيها حقايقه كما اشار اليه النبى صلى الله عليه و
اله (ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) فان التعرض لها انما هو بتطهير القلوب
عن الكدورات الحاصلة عن الاخلاق الردية فكل اقبال على طاعة واعراض عن سيئة يوجب جلاء و
نورا للقلب يستعد به لافاضة علم يقينى ولذا قال سبحانه (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا) وقال النبى صلى الله عليه واله وسلم (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) فالقلب
اذا صفى عن الكدورات الطبيعية بالكلية يظهر له من المزايا الالهية والافاضات الرحمانية
ما لا يمكن دركه لاعاظم العلماء كما قال سيد الرسل (ان لى مع الله حالات لا يحتملها ملك
مقرب ولا نبى مرسل) وكل سالك الى الله انما يعرف من الالطاف الالهية والنفحات الغيبية ما
ظهر له على قدر استعداده واما ما فوقه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا
بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وخواصها ونصدق بوجودهما ولا نعرف حقيقتهما كما لا يعرف الجنين حال
الطفل والطفل حال المميز والمميز من العوام حال العلماء والعلماء حال الانبياء والاولياء
فالرحمة الالهية بحكم العناية الازلية مبذولة على الكل غير مضنون بها على احد لكن حصولها
موقوف على تصقيل مرآة القلب وتصفيتها عن الخبائث الطبيعية ومع تراكم صداها الحاصل

الفصل الرابع

في بيان احتجاب النفس بالرذائل الخلقية عن المعارف الالهية

منها الا يمكن ان يتجلى فيها شيء من الحقايق فلا يحجب الانوار العلمية والاسرار الربوبية عن
قلب من القلوب لبخل من جهة المنعم تعالى شانه عن ذلك بل الاحتجاب انما هو من جهة
القلب لكدورته وخبثه واشتغاله بما يضاد ذلك ثم ما يظهر للقلب من العلوم لطهارته وصفاء
جوهره هو العلم الحقيقي النوراني الذي لا يقبل الشك وله غاية الظهور والانجلاء ولا استفادته
من الانوار الالهية والالهامات الحقة الربانية وهو المراد بقوله عليه السلام (انما هو نور يقذفه
الله في قلب من يشاء) (واليه اشار مولنا امير المؤمنين عليه السلام بقوله) (ان من احب عباد
الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه) (الى
ان قال) (قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى و
مشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله
وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الجبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء
الشمس) (وفي كلام اخر له عليه السلام) (قد احيى قلبه وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه
وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار
الاقامة وثبتت رجلاه لطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه) (وقال
عليه السلام في وصف الراسخين من العلماء) (هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح
اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان
ارواحها معلقة بالمحل الاعلى) (وبالجملة ما لم يحصل للقلب التزكية لم يحصل له هذا القسم من
المعرفة اذ العلم الحقيقي عبادة القلب وقربة السر وكما لا تصح الصلوة التي هي عبادة الظاهر الا بعد تطهيره
من النجاسة الظاهرة فكذلك لا تصح عبادة الباطن الا بعد تطهيره من النجاسة الباطنية التي هي
رذايل الاخلاق وخبائث الصفات كيف وفيضان انوار العلوم على القلوب انما هو بواسطة
الملائكة وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم) (لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب) (فاذا
كان بيت القلب مشحونا بالصفات الخبيثة التي هي كلاب نابحة لم يدخل فيه الملائكة القادسة والحكم
بثبوت النجاسة الظاهرة للمشرك مع كونه مغسول الثوب نظيف البدن انما هو لسراية نجاسته الباطن
قوله صلى الله عليه واله وسلم) (بني الدين على النظافة) (يتناول زوال النجاستين وما ورد من ان الطهور
نصف الايمان المراد به طهارة الباطن عن خبائث الاخلاق وكان النصف الاخر تحليته بشرايف الصفات
وعمارته بوظايف الطاعات ومما ذكر ظهر ان العلم الذي يحصل من طريق المجادلات الكلامية والاستدلالات

الفكرية

في بيان ان الملكة حاصلة للنفس بتكرر الافعال

من الباب الاول

الفكرية من دون تصقيل لجوهر النفس لا يخلو عن الكدرة والظلمة ولا يستحق اسم اليقين الحقيقي الذي يحصل للنفوس الصافية فما يظنه كثير من اهل التعلق بقاذورات الدنيا انهم على حقيقة اليقين في معرفة الله سبحانه خلاف الواقع لان اليقين الحقيقي يلزمه روح ونور وبهجة وسرور وعدم الالتفات الى ما سوى الله والاستغراق في ابحر عظمة الله وليس شيء من ذلك حاصلا لهم فما ظنوه يقينا اما تصديق مشوب بالشبهة او اعتقاد جازم لم يحصل له نورانية وجلاء وظهور وضياء لكدرة قلوبهم الحاصلة من خباثة الصفات والسر في ذلك ان منشأ العلم ومناطه هو التجرد كما بين في مقامه فكلما ازداد النفس تجردا ازداد ايمانا ويقينا ولا ريب في انه ما لم يرتفع عنها استار السيئات وحجب الخطيئات لم يحصل لها التجرد الذي هو مناط حقيقة اليقين فلا بد من المجاهدة العظيمة في التزكية والتخلية حتى ينفتح ابواب الهداية وينفتح سبيل المعرفة كما قال سبحانه (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) **فصل** كل نفس في بدو الخلقة خالية عن الملكات باسرها وانما يتحقق كل ملكة بتكرر الافاعيل والاثار الخاصة به بيان ذلك ان كل قول او فعل ما دام وجوده في الاكوان الحسية لاحظ له من الثبات لان الدنيا دار التجدد والزوال ولكنه يحصل منه اثر في النفس واذا تكرر استحكم الاثر فصار ملكة راسخة مثاله الحرارة التي يحدث في الفحم فانها ضعيفة اولا واذا اشتدت تجمرت ثم استضاءت ثم صارت صورة نارية محرقة لما قارنها مضيئة لما قابلها وكذلك الاحوال النفسانية اذا تضاعفت قوتها صارت ملكات راسخة وصورا باطنية يكون مبادي للاثار المختصة بها فالنفوس الانسانية في اوائل الفطرة كصحائف خالية عن النقوش والصور تقبل كل خلق بسهولة واذا استحكمت فيها الاخلاق تعسر قبولها لاضدادها ولذلك سهل تعليم الاطفال وتاديبهم وتنقيش نفوسهم بكل صورة وصفة ويتعسر او يتعذر تعليم الرجال البالغين وردهم عن الصفات الحاصلة لهم لاستحكامها ورسوخها ثم لا خلاف في ان هذه الملكات وافعالها اللازمة لها ان كانت فاضلة كانت موجبة للالتذاذ والبهجة ومرافقة الملائكة والاخيار وان كانت ردية كانت مقتضية للالم والعذاب ومصاحبة الشياطين والاشرار وانما الخلاف في كيفية ايجابها للثواب والعذاب ومقتضاها فمن قال ان الجزاء مغاير للعمل قال ان كل ملكة وفعل يصير منشأ لترتب ثواب او عقاب مغاير له بفعل الله سبحانه على التفصيل الوارد في الشريعة ومن قال ان العمل نفس الجزاء قال ان الهيئات النفسانية اشتدت وصارت ملكة تصير متمثلة ومتصورة في

بيان حصول الملكة بتضاعف الاحوال

ذكر الخلاف في ان العمل نفس الجزاء او غيره وشواهده

الفصل الخامس

عالم الباطن والملكوت بصورة يناسبها اذ كل شيء يظهر في كل عالم بصورة خاصة
فان العلم في عالم اليقظة امر عرضي يدرك بالعقل والوهم وفي عالم النوم يظهر بصورة
اللبن فالظاهر في العالمين شيء واحد هو العلم لكنه يتجلى في كل عالم بصورة وآثار ويظهر في
عالم النوم بصورة البكاء ومنه يظهر انه قد يتبدل في عالم آخر فاللذات الجسمانية التي
تترك في هذا العالم تظهر في دار الجزاء بصورة تسوءك وتؤذيك وتركها وتحمل مشاق العبادات
والطاعات والصبر على المصائب والبليات يسرك في عالم الآخرة مع كونها مؤذية في
هذا العالم ثم القائل بهذا المذهب قد يطلق على هذه الصورة اسم الملك ان كانت من فضائل
الاخلاق او فواضل الاعمال واسم الشيطان ان كانت من اضدادها وقد يطلق على الاولى
اسم الغلمان والحور وامثالهما وعلى الثانية اسم الحيات والعقارب واشباههما ولا فرق
في الاطلاقين في المعنى وانما الاختلاف في الاسم وهذا المذهب يرجع الى القول بتجسد الاعمال
بصورة مانوسة مفرحة او صورة موحشة معذبة وقد ورد بذلك اخبار كثيرة منها ما رواه
اصحابنا عن قيس بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يا قيس (ان مع العزة ذلا وان مع
الحياة موتا وان مع الدنيا آخرة وان لكل شيء رقيبا وعلى كل شيء حسيبا وان لكل اجل كتابا وانه
لا بد لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان
لئيما اسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تحشر الا معه ولا تسئل الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان
صلح انست به وان فسد لا تستوحش الا منه وهو فعلك) (ومنها ما استفاض من قولهم عليهم السلام
ان من فعل كذا خلق الله تعالى ملكا يستغفر له الى يوم القيمة) (ومنها ما ورد ان الجنة قيعان
وغراسها سبحان الله) (ومنها ما روي ان الكافر خلق من ذنب المؤمن) (ومنها قولهم المرء
مرهون بعمله) (ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم) (الذي يشرب في آنية الذهب و
الفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم) (ويدل عليه قوله سبحانه) (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ) (وربما كان في قوله تعالى) (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (اشارة
اليه حيث قال عز وجل ما كنتم ولم يقل بما كنتم وقال فيثاغورث الحكيم ستعارض
لك في افعالك واقوالك وافكارك وسيظهر لك من كل حركة فكرية او قولية او عملية صور
روحانية فان كانت الحركة غضبية او شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك في حياتك
ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك وان كانت الحركة عقلية صارت ملكا تلتذ بمنادمته

بما دمته وتهتدی به فی اخرتك الی جوار الله وکرامته انتهی وهذه الکلمات صریحة فی
ان مواد الاشخاص الاخرویة هی التصورات الباطنیة والنیات القلبیة والملکات النفسیة
المتصورة بصورة روحانیة وجودها وجود ادراکی والانسان اذا انقطع تعلقه عن هذا
الدار وحان وقت مسافرته الی دار القرار وخلص عن شواغل الدنیا الدنیة وکشف عن
بصره غشاوة الطبیعة فوقع بصره علی وجه ذاته والتفت الی صفحة باطنه وصحیفة نفسه
ولوح قلبه وهو المراد بقوله سبحانه (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) وقوله تعالی (فَكَشَفْنَا
عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) صار ادراکه فعلا وعلمه عینا وسره علنا فیشاهد
ثمرات افکاره واعماله ویری نتایج انظاره وافعاله ویطلع علی جزاء حسناته وسیئاته ویحضر
عنده جمیع حرکاته وسکناته ویدرك حقیقة قوله سبحانه (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ
فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)
فمن کان فی غفلة عن احوال نفسه ومضیعا لساعات یومه وامسه یقول (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ
أَحَدًا يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ
أَمَدًا بَعِيدًا) وفوائد هذا المذهب عن صیرورة الملکات صورا روحانیة باقیة
ابد الدهر موجبة للبهجة والالتذاذ والتوحش والتألم بانه لو لم یکن تلك الملکات و
النیات باقیة ابدا لم یکن للخلود فی الجنة او النار وجه صحیح اذ لو کان المقتضی للثواب والعذاب
نفس العمل والقول وهما زائلان لزم بقاء المسبب مع زواله وهو باطل وکیف یجوز للحکیم
ان یعذب عباده ابد الدهر لاجل المعصیة فی زمان قصیر فاذن منشأ الخلود هو الثبات
فی النیات والرسوخ فی الملکات ومع ذلك فمن یعمل مثقال ذرة من الخیر او الشر
یری اثره فی صحیفة نفسه او فی صحیفة اعلی وارفع من ذاته ابدا کما قال سبحانه (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ
مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) والسر فیه ان الامر الذی یجیء مع النفس الی حین مفارقتها
من الدنیا ولم یرتفع عنها فی دار التکلیف یبقی معها ابدا ولا یرتفع عنها اصلا لعدم تجدد
ما یوجب زاله بعد مفارقته عن عالم التکلیف ثم الظاهر ان هذا المذهب عند من
قال به من اهل الشرایع بیان لکیفیة الثواب والعقاب الروحانیین مع اذعانه للجنة و
النار الجسمانیین اذ لو کان مراده قصر اللذة والثواب والالم والعقاب والجنات والقصور

الفصل السادس

بيان التضاد بين الدنيا والاخرة ولوازمهما

والغلمان والحور والنار والجحيم والزقوم والضريع وساير ما ورد فى الشريعة القادسة من امور القيمة على ما ذكر فهو مخالف لضرورة الدين **تنبيه** الدنيا والاخرة متضادتان وكلما يقرب العبد الى احدهما يبعد عن الاخرى وبالعكس كما دلت عليه البراهين الحكمية والشواهد الذوقية والادلة السمعية فكل ملكة او حركة او قول او فعل يقرب العبد الى دار الطبيعة والغرور يبعد عن عالم البهجة والسرور وبالعكس فاسوء الناس حالا من لم يعرف حقيقة الدنيا والاخرة وتضادهما ولم يخف سوء العاقبة فصرف عمره فى طلب الدنيا واصلاح امر المعاش وقصر سعيه على جر المنفعة لبدنه من نيل شهوة او بلوغ لذة او اكتساب رفعة ورياسة او جمع المال من غير تصور لما يصل اليه من فائدته كما هو عادة اكثر ابناء الدنيا ولم يعرف غير هذه الامور من المعارف الحقيقية والفضائل الخلقية والاعمال الصالحة المقربة الى عالم البقاء فكانه يعلم خلوده فى الدنيا ولا يرجو بعد الموت ثواب عمل ولا جزاء فعل ولا يعتقد بما يرجوه المؤمنون ويؤمله المتقون من الخير الدائم واللذات المخالفة لهذه اللذات الفانية التى يشاركه فيها السباع والبهائم فاذا ادركه الموت مات على حسرة وندامة ايسا من رحمة الله قائلا (يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله) (اعاذنا الله من سوء الخاتمة ووفقنا الله لتحصيل السعادة الدائمة **فصل** للمزاج مدخلية تامة فى الصفات فبعض الامزجة فى اصل الخلقة مستعد لبعض الاخلاق وبعضها مقتض لخلافه فانا نقطع بان بعض الاشخاص بحسب جبلته ولو خلى عن الاسباب الخارجية بحيث يغضب ويخاف ويحزن بادنى سبب ويضحك بادنى تعجب وبعضهم بخلاف ذلك وقد يكون اعتدال القوى فطريا بحيث يبلغ الانسان كامل العقل فاضل الاخلاق غالبة قوته العاقلة على قوتى الغضب والشهوة كما فى الانبياء والائمة عليهم السلام وقد يكون تجاوزهما عن الوسط كذلك بحيث يبلغ ناقص العقل ردى الصفات مغلوبة عاقلته تحت سلطان الغضب والشهوة كما فى بعض الناس الان الحق كما ياتى امكان زوالها بالمعالجات المقررة فى علم الاخلاق فيجب السعى فى ازالة نقايصها وتحصيل فضائلها وعجبا لاقوام يبالغون فى اعادة الصحة الجسمانية ولا يجتهدون فى تحصيل الصحة الروحانية الباقية يطيعون قول الطبيب المجوسى فى شرب الاشياء الكريهة ومزاولة الاعمال القبيحة لاجل صحة زائلة ولا يطيعون امر الطبيب الالهى لتحصيل السعادة الدائمة

وبقاء

وبقاء النفس على النقصان اما العدم صرفها الى طلب المقصود لملابسة العوايق والموانع او من ازالة النقيض لتمكن موجبه او لكثرة اشتغالها بالشواغل المحسوسة او لضعف القوة العاقلة فان لم يدركها العناية الالهية فلا يزال يتزايد النقصان ويبعد عن الكمال الذي خلق لاجله الى ان يدركها الهلاكة الابدية والشقاوة السرمدية نعوذ بالله من ذلك وان ادركته الرحمة الازلية فيصرف همه في ازالة النقايص واكتساب الفضايل فلا يزال يتصاعد من مرتبة من الكمال الى فوقها حتى يصير من اهل مشاهدة الجلال والجمال ويتشرف بجوار الرب المتعال ويصل الى السرور الحقيقي الذي لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والى قرة الاعين التي اشير اليها في قوله سبحانه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **فصل** الخلق عبارة عن ملكة للنفس مقتضية لصدور الافعال بسهولة من دون احتياج الى فكر وروية والملكة كيفية نفسانية بطيئة الزوال وبالقيد الاخير خرج الحال لانها كيفية نفسانية سريعة الزوال وسبب وجود الخلق اما المزاج كما مر او العادة بان يفعل فعلا بالروية والتكلف ويصبر عليه الى ان يصير ملكة له ويصدر عنه بسهولة وان كان مخالفا لمقتضى المزاج واختلف الاوايل في امكان ازالة الاخلاق وعدمه وثالث الاقوال ان بعضها طبيعي يمتنع زواله وبعضها غير طبيعي حاصل من اسباب خارجة يمكن زواله ورجح المتاخرون الاول وقالوا ليس شيء من الاخلاق طبيعيا ولا مخالفا للطبيعة بل النفس بالنظر الى ذاتها قابلة للاتصاف بكل من طرفي التضاد اما بسهولة ان كان موافقا للمزاج او بعسر ان كان مخالفا له فاختلاف الناس في الاخلاق لاختلافهم في الاختيار والمزاولة لاسباب خارجة حجة القول الاول ان كل خلق قابل للتغير وكل قابل للتغير ليس طبيعيا فينتج لا شيء من الخلق طبيعي والكبرى بديهية والصغرى وجدانية فانا نجد ان الشرير يصير بمصاحبة الخير خيرا والخير بمجالسة الشرير شريرا ونرى ان التاديب في السياسات فيه اثر عظيم في زوال الاخلاق ولولاه لم يكن لقوة الروية فايدة وبطلت التاديبات والسياسات ولغت الشرايع والديانات ولما قال الله سبحانه قد افلح من زكيها ولما قال النبي صلعم حسنوا اخلاقكم ولما قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ورد بمنع كلية الصغرى فانا نشاهد ان بعض الاخلاق في بعض الاشخاص غير قابل للتبديل سيما ما يتعلق بالقوة النظرية كالحدس والتحفظ وجودة الذهن وحسن التعقل وضدها بل لانها كما هو معلوم من حال بعض الطلبة

ذكر اقوال الشيخين والتابعين المفصلين بن شوهدهم

من الله البر الكرم

الفصل السابع

فانه لا ينجح سعيهم في التبدل بل مع مبالغتهم في المجاهدة وما قيل من انه يلزم تعطل القوة المميزة و
بطلان المواعظ والتأديبات والسياسات مردود بان هذا اللزوم اذا لم يكن شيء من الاخلاق قابلاً للتغيير
واما مع قبول بعضها او اكثرها له فلا يلزم شيء مما ذكر ولو كان عدم قبول بعض الاخلاق للتغيير موجباً
لبطلان علم الشرايع والاخلاق لكان عدم قبول بعض الامراض للصحة مقتضياً لبطلان علم الطب مع
انا نعلم بديهة ان بعض الامراض لا يقبل العلاج حجة القول الثاني ان الاخلاق باسرها تابعة للمزاج والمزاج
لا يتبدل واختلاف امزجة شخص واحد في مراتب سنه لا ينافي ذلك لجواز تابعيتها لجميع مراتب عرض
المزاج واثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وآله الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم
في الاسلام وبقوله ص اذا سمعتم ان جبلاً زال عن مكانه فصدقوه واذا سمعتم برجل زال عن خلقه
فلا تصدقوه فانه سيعود الى ما جبل عليه والجواب ان توابع المزاج من المقتضيات التي يمكن زوالها لا
من اللوازم التي يمتنع انفكاكها لما ثبت في الحكمة من ان النفوس الانسانية متفقة في الحقيقة وفي
بدو فطرتها خالية عن جميع الاخلاق والاحوال كما هو شأن العقل الهيولاني ثم ما يحصل لها منهما تارة
اما من مقتضيات العادة والاختيار او استعدادات الابدان والامزجة والمقتضيات ممكنة الزوال
للمنافي لا مما يمتنع انفكاكه كالزوجية للاربعة والخبر الاول لا يفيد المطلوب بوجه والثاني مع عدم
ثبوت سنده يدل على خلاف مطلوبهم لان قوله سيعود الى ما جبل عليه يفيد امكان ازالة الخلق بالاسباب
الخارجية من التأديب والنصيحة وغيرهما وبعد زوالها يعود بارتفاعها كبرودة الماء التي تزول
ببعض الاسباب وتعود بعد زوال السبب فلو داوم على حفظ الاسباب وابقائها لم يحصل العود اصلاً واذا
ثبت بطلان القولين الاولين فالحق القول بالتفصيل يعني قبول بعض الاخلاق بل اكثرها بالنسبة الى
الاكثر التبديل للحس والعيان ولبطلان السياسات والشرايع لولاه ولامكان تغير خلق البهايم اذ ينتقل
الصيد من التوحش الى الانس والفرس من الجماح الى الانقياد والكلب من الهراشة الى التأدب فكيف لا
يمكن في حق الانسان وعدم قبولها بالنسبة الى البعض للمشاهدة والتجربة وهذا البعض مما لا يكون
متعلق التكليف كالاخلاق المتعلقة بالقوة العقلية من الذكاء والحفظ وحسن التعقل وغيرها
والتفصيل يعطي تفاوت الاشخاص والاخلاق في الازالة والاتصاف بالضد بالامكان والتعذر والسهولة
والتعسر بالقابلية والرسوخ بالمرة ولذا لو تفحصنا اشخاص العالم لم نجد شخصين متشابهين في جميع
الاخلاق كما لا تجد شخصين متماثلين في الصورة ويشير الى ذلك قوله صلى الله عليه وآله اعملوا فكل ميسر

لما خلق له وقال ارسطاطاليس يمكن صيرورة الاشرار اخيارا بالتاديب الا ان هذا ليس كليا فانه ربما اثر في بعضهم بالزوال وفي بعضهم بالتقليل وربما لم يؤثر اصلا ثم المراد من التغيير ليس رفع الغضب والشهوة مثلا واماتتهما بالكلية فان ذلك مح لانهما مخلوقتان لفائدة ضرورية في الجبلة اذ لو انقطع الغضب عن الانسان بالكلية لم يدفع عن نفسه ما يهلكه ويؤذيه وامتنع جهاد الكفار ولو انعدم عنه شهوة الطعام لم يبق حيوته ولو بطل عنه شهوة الوقاع بالمرة لضاع النسل بل المراد ردهما من الافراط والتفريط الى الوسط فالمطلوب في صفة الغضب خلو النفس عن الجبن والتهور والاتصاف بحسن الحمية وهو ان يحصل اذا استحسن حصوله شرعا وعقلا ولا يحصل اذا استحسن عدمه وكذا الحال في صفة الشهوة ولا ريب في ان رد بعض الموجودات الناقصة من القوى وغيرها اذا وجد فيه قوة الكمال الى كماله ممكن اذا كان له شرط مرتبط باختيار العبد فكما ان النواة يمكن ان يصير نخلا بالتربية لوجود قوة النخلية فيه ويتوقف فعليتها على شرط التربية التي بيد العبد فكذلك يمكن تعديل قوتي الغضب والشهوة بالرياضة والمجاهدة لوجود قوة التعديل فيهما ويتوقف فعليتهما على شرط مرتبط باختيار العبد اعني الرياضة والمجاهدة وان لم يمكن لنا قلعهما بالكلية كما لا يمكن لنا اعدام شيء من الموجودات ولا ايجاد شيء من المعدومات ثم شرائط الرد يختلف بالنسبة الى الاشخاص والاخلاق ولذا ترى ان التبديل يختلف باختلاف مراتب السياسات والتاديب فيمكن ان لا يرتفع مذموم خلق بمرتبة من التاديب ويرتفع بمرتبة منه فوقها والاسهل قبولا لكل خلق الاطفال لخلو نفوسهم عن الاضداد المانعة من القبول فيجب على الاباء تاديبهم بالاداب الجميلة وصونهم عن ارتكاب الاعمال القبيحة حتى يعتاد نفوسهم بترك الرذائل وارتكاب الفضائل والمؤدب الاول هو الناموس الالهي والثاني اولو الاذهان القوية من اهل المعارف الحقة فيجب تقييد من يراد تاديبه بالنواميس الربانية اولا وتنبيهه بالحكم والمواعظ ثانيا **فصل** لما عرفت ان الحيوة الحقيقية للانسان يتوقف على تهذيب الاخلاق والتمكن بالمعالجات المقررة في هذه الصناعة تعرف انها اشرف العلوم وانفعها لان شرف كل علم انما هو بشرف موضوعه وغايته فشرف صناعة الطب على صناعة الدباغة بقدر شرف بدن الانسان واصلاحه على جلود البهائم واصلاحها وموضوع هذا العلم هو النفس الناطقة التي هي حقيقة الانسان ولبه وهو اشرف انواع الكونية كما برهن عليه في العلوم العقلية وغايته اكماله وايصاله من اول افق الانسان الى اخره ولكونه ذا عرض عريض متصلا اوله بافق البهائم واخره

الفصل الثامن

فاعلم انه لا يكاد ان يوجد التفاوت الذى بين اشخاص هذا النوع فى افراد سائر الانواع فان فيه اخس الموجودات ومنه اشرف الكائنات كما قيل ولم ار امثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد الف بواحد فارسيته اى بنده اصل وفرع ندانم چه گوهرى كز آسمان بلندترى وز خاك كمترى والى ذلك التفاوت يشير قول سيد الرسل ص وزنت بامتى فرجحتهم ولا ريب فى ان هذا التفاوت لاجل الاختلاف فى الاخلاق والصفات لاشتراك الكل فى الجسمية ولواحقها وهذا العلم هو الباعث للوصول الى اعلى مراتبهما وبه يترقى الانسانية ويعرج عن حضيض البهيمية الى ذروة رتبة الملكية واى صناعة اشرف مما يوصل اخس الموجودات الى اشرفها ولذلك كان السلف من الحكماء لا يطلقون العلم حقيقة الا عليه ويسمونه بالاكسير الاعظم وكان اول تعاليمهم وبالغوا فى تدوينه وتعليمه والبحث عن اجماله وتفصيله ويعتقدون ان المتعلم ما لم يهذب اخلاقه لا ينفعه سائر العلوم وكما ان البدن الذى ليس بالنقى كلما غذوته فقد زدته شرا فكذلك النفس التى ليست نقية عن ذمائم الاخلاق لا يزيده تعلم العلوم الا فسادا ولذا ترى اكثر المتشبهين بزى العلماء اسوء حالا من العوام مائلين عن وظايف الايمان والاسلام اما لشدة حرصهم على جمع المال او لغلبة حبهم الجاه والمنصب فترى منهم الترويج للدين والمذهب ولوقوعهم فى الضلالة والحيرة لكثرة الشك والشبهة ولشوقهم الى الجدال فى اندية الرجال لاظهار تفوقهم على الاقران والامثال ولاطلاق السنتهم على الاباء المتقدمين من اكابر العلماء واعاظم الحكماء او لعدم تعبدهم لرسوم الشرع والملة ظنا منهم انه مقتضى قواعد الحكمة ولم يعلموا ان الحكمة الحقيقية ما طابقه النواميس الالهية والشرايع النبوية ص فكانهم لم يعلموا ان العلم بدون العمل ضلال ولم يتفطنوا قول نبيهم ص قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك ولم يتذكروا قوله ص البله اهذا دنى الى الاخلاص من فطانة بتراء وكل ذلك لعدم الالتفات الى سعيهم فى تهذيب الاخلاق وتحسينها وعدم الامتثال لقوله سبحانه فأتوا البيوت من ابوابها

فصل ٩

ما عرفت من تجرد النفس انما هو التجرد فى الذات دون الفعل لافتقارها فعلا الى الجسم الا انها لم تتخذها الا آلة فهى جوهر ملكوتى يستخدم البدن فى حاجاته وهو حقيقة الانسان وذاته والاعضاء والقوى آلاته التى يتوقف فعله عليها ولها اسماء مختلفة بحسب اختلاف الاعتبارات فتسمى روحا لتوقف حيوة البدن عليه وعقلا لادراكه المعقولات وقلبا لتقلبه فى الخواطر وقد يستعمل هذه الالفاظ فى

في بيان قوى النفس من العقلية والسبعية والبهيمية والشيطانية وفوائدها

من لب اللباب

معان اخر تعرف بالقرائن وله قوى اربع قوة عقلية ملكية وقوة غضبية سبعية وقوة شهوية
بهيمية وقوة وهمية شيطانية والاولى شانها ادراك حقائق الامور والتميز بين الخيرات
والشرور والامر بالافعال الجميلة والنهى عن الصفات الذميمة والثانية موجبة لصدور افعال
السباع من الغضب والبغضاء والتوثب على الناس بانواع الاذى والثالثة لا يصدر عنها الا افعال
البهائم من عبودية الفرج والبطن والحرص على الجماع والاكل والرابعة شانها استنباط وجوه
المكر والحيل والتوصل على الاغراض بالتلبيس والخدع والفائدة فى وجود القوة الشهوية
بقاء البدن الذى هو آلة تحصيل كمال النفس وفى وجود الغضبية ان يكسر سورة الشهوية و
الشيطانية ويقهر عليهما عند انغمارهما فى الخداع والشهوات واصرارهما عليهما لانهما لتمردهما
لا تطيعان العاقلة بسهولة بخلاف الغضبية فانها تطيعها وتتأدب بها بسهولة ولذا قال افلاطون
فى صفة السبعية والبهيمية اما هذه اى السبعية فهى بمنزلة الذهب فى اللين والانعطاف واما تلك
اى البهيمية فبمنزلة الحديد فى الكثافة والامتناع وقال ايضا ما اصعب ان يصير الخائض فى
الشهوات فاضلا فمن لا تطيعه الواهمة والشهوية فى ايثار الوسط فليستعن بالقوة الغضبية المهيجة
للغيرة والحمية حتى يقهرهما فلو لم يمتثلا مع الاستعانة فان لم يحصل ندامة بعد ارتكاب
مقتضاهما دل على غلبتهما على العاقلة ومقهوريتها عنهما وح لا يرجى صلاحه والا فاصلاحه
ممكن فليجتهد فيه ولا ييأس من روح الله فان سبيل الخيرات مفتوحة وابواب الرحمة الالهية غير
مسدودة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والفائدة فى القوة الوهمية ادراك
المعانى الجزئية واستنباط الحيل والدقائق التى يتوصل بها الى المقاصد الصحيحة وبيان
ذلك ان الواهمة والخيال والمتخيلة ثلث قوى متباينة ومباينة للقوى الثلث الاول وشان
الاولى ادراك المعانى الجزئية وشان الثانية ادراك الصور وشان الثالثة التركيب والتفصيل
بينهما وكل من مدركاتها اما مطابق للواقع او مخترع من عند انفسها من غير تحقق له فى نفس
الامر واما من مقتضيات العقل والشريعة ومن الوسائل الى المقاصد الصحيحة او من دواعى
الشيطان وما يقتضيه الغضب والشهوة وعلى الاول يكون وجوده خيرا وكمالا وان كان وجوده
على الثانى شرا وفسادا والحال فى جميع القوى كذلك هذا وقيل ما ورد فى القرآن من النفس
المطمئنة واللوامة والامارة بالسوء اشارة الى القوى الثلث اعنى العاقلة والسبعية والبهيمية

في الاشارة الى اجتماع القوى الاربع وما يترتب على غلبة كل منها

الفصل الثامن

والحق انها اوصاف ثلثة للنفس بحسب اختلاف احوالها فاذا غلبت قوتها العاقلة على الثلثة
الاخر وصارت منقادة لها مقهورة منها وزال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سميت
مطمئنة لسكونها تحت الاوامر والنواهي وميلها الى ملائماتها التي تقتضي جبلتها واذا لم
تتم غلبتها وكان بينها تنازع وتدافع وكلما صارت مغلوبة عنها بارتكاب المعاصي حصلت
للنفس لوم وندامة سميت لوامة واذا صارت مغلوبة منها مذعنة لها من دون دفاع سميت
امارة بالسوء لانه لما اضمحلت قوتها العاقلة واذعنت للقوى الشيطانية من دون مدافعة
فكانما هي الامرة بالسوء ثم مثل اجتماع هذه القوى في الانسان كمثل اجتماع ملك وحكيم وكلب
وخنزير وشيطان في مربط واحد وكان بينها منازعة وايها صار غالبا كان الحكم له ولم يظهر
من الافعال والصفات الا ما تقتضيه جبلته فكان اهاب الانسان وعاء اجتمع فيه هذه الاربع
فالملك والحكيم هو القوة العاقلة والكلب هو القوة الغضبية فان الكلب ليس كلبا ومذموما
للونه وصورته بل لروح معنى الكلبية والسبعية اعني الضراوة والتكلب على الناس بالعقر و
الجرح والقوة الغضبية موجبة لذلك فمن غلب فيه هذه القوة هو الكلب حقيقة وان اطلق عليه
اسم الانسان مجازا والخنزير هو القوة الشهوية والشيطان هو القوة الوهمية والتقريب فيهما كما
ذكر والنفس لا يزال محل تنازع هذه القوى وتدافعها الى ان يغلب احدها فالغضبية تدعو
الى الظلم والايذاء والعداوة والبغضاء والبهيمية تدعو الى المنكر والفواحش والحرص
على الماكل والمناكح والشيطنة تهيج غضب السبعية والبهيمية ويزين فعلهما ويغري احدهما
بالاخرى والعقل شانه ان يدفع غيظ السبعية بتسليط الشهوية عليها ويكسر سورة الشهوية بتسليط
السبعية عليها ويرد كيد الشيطان ومكره بالكشف عن تلبيسها ببصيرتها النافذة ونورانيتها
الباهرة فان غلب على الكل يجعلها مقهورة تحت سياسته ولم يقدم منها على فعل الا باشارته
جرى الكل على المنهج الوسط وظهر العدل في مملكة البدن وان لم يغلب عليها وعجز عن قهرها
قهروه واستخدموه فلا يزال الكلب في العقر والايذاء والخنزير في المنكر والفحشاء والشيطان في
استنباط الحيل وتدقيق الفكر في وجوه المكر والخداع ليرضي الكلب ويشبع الخنزير فلا يزال في عبادة
كلب عقور وخنزير هلوع او شيطان عنيد فيدرك الهلاك الابدي والشقاوة السرمدية ان لم
تدركه العناية الالهية والرحمة الازلية وقد مثل اجتماع هذه القوى في الانسان براكب طالب

في ذكر انقسام النفس بحسب غلبة قواها واختلافها باختلاف الصفات

للصيد يكون معه كلب وحصن من قطاع الطريق فالراكب هو العقل والبهيمة هي الشهوة والكلب الغضب
والعين القوة الوهمية التي من جواسيس الشيطان فان كان الكل تحت سياسة الراكب فعل ما يصلح
للكل وقال الى ما يقصده وان كان الغلبة والحكم للبهيمة او الكلب يهلك الراكب بذهابه معهما
فيهما فيما لا يصلح من التلال والوهاد واقتحامه في موارد الهلكات وان كان الكل تحت حكم العين وامره
وافتتنوا بحيله ومكره لاضلهم بتلبيسه عن سواء السبيل حتى يوصلهم الى ايدي اشرار ومن وكذا
لو كان القوى بامرها تحت اشارة العقل وقهرها وغلب عليها وتم لاضداده الملاءمة
التامة بين الكل وصار الجميع كالواحد لان المؤثر والمدبر ليس الا قوة واحدة تستعمل
كلا منها في المواضع اللائقة والاوقات المناسبة فيصدر عن كل منها ما خلق لاجله على ما ينبغي
من القدر والوقت والكيفية فتصلح النفس وقواها وقد افلح من زكيها وقد خاب
من دسيها **تتميم** لما تبين ان للنفس اربع قوى متخالفة ولها قوى اخر ايضا كما تبين في
العلم الطبيعي فبحسب غلبة بعض هذه القوى على بعض يحصل في النفس اختلاف عظيم والاختلاف
في النفوس انما هو باختلاف صفاتها الحاصلة من غلبة بعض قواها المتخالفة اذ هي في بدو فطرتها
خالية عن جميع الاخلاق والملكات وليس لها فعلية اصلا بل هي محض القوة ولذا ليس لها قوام بذاتها
وانما تتقوم بالبدن ثم بتوسط قواها تكتسب العلوم والاخلاق وترتسم بالصور والاعمال الى ان تتقوى
بها وتصل الى ما خلقت لاجله ولما كانت قواها متخالفة متنازعة فما لم يغلب احدها لم يدخل النفس
في عالمه الذي يخصه فلا يزال من تنازعها معركة للآثار المختلفة والاحكام المتباينة الى ان يغلب
احدها فيظهر في النفس آثاره ويدخل في عالمه الخاص ولما كانت القوة العاقلة من سنخ
الملائكة والواهمة من حزب الابالسة والغضبية من انواع السباع والشهوية من عالم البهائم
فبحسب غلبة واحدة منها تكون النفس اما ملكا او شيطانا او كلبا او خنزيرا فلو كانت الغلبة
والسلطنة للقوة العاقلة ظهر في مملكة النفس احكامه وآثاره وانتظمت احوالها ولو كانت
لغيره من القوى ظهر فيها آثاره فيهلك النفس ويختل معاشها ومعادها ثم المنازعة والتنازع
والتجاذب والبقاء في النفس الانسانية انما هو في قوتها العقلية لان التدافع انما بينها وبين
سائر القوى فليس في نفوس سائر الحيوانات لفقدانها العاقلة تنازع وتجاذب وان اختلفت
في غلبة ما فيها من القوى فان الغلبة في الشياطين للواهمة وفي السباع للغضب وفي البهائم

في ان اختلاف النفوس باختلاف صفاتها الحاصلة من غلبة القوى

الفصل الثامن

للشهوة واما الملائكة فتنحصر قوتها بالعاقلة فليس فيها ساير القوى فلا يتحقق فيها تدافع و
تنازع فالجامع لعوالم الكل هو الانسان وهو المخصوص من بين المخلوقات بالصفات المتقابلة
ولذلك صار مظهراً للاسماء المتقابلة الالهية وقابلاً للخلافة الربانية وقائماً بعمارة عالمي
الصورة والمعنى والملائكة وان كانوا مخصوصين بالجنبة الروحانية ولوازمها من الاشراقات
العلمية وتوابعها من اللذات العقلية الا انه ليس لهم جهة جسمانية ولوازمها والاجسام الفلكية
وان كانت لها نفوس ناطقة على قواعد الحكمة الا انها خالية عن الطبايع المختلفة والكيفيات
المتباينة وليس لها سير في المدارج المتخالفة والمراتب المتفاوتة ولا تقلب في اطوار النقص والكمال ولا
تحول في جميع التقاليب والاحوال بخلاف الانسان فانه محيط بجميع المراتب المختلفة وساير في
الاطوار المتباينة من الجمادية والنباتية والحيوانية والملكية وله الترقي عن جميع تلك الاطوار
بان يتحقق له مرتبة مشاهدة الوحدة الصرفة فيتجاوز عن افق الملائكة فهو النسخة الجامعة
لحقايق الملك والملكوت والمعجون المركب من عالمي الامر والخلق قال امير المؤمنين ع ان الله
خص الملك بالعقل دون الشهوة والغضب وخص الحيوانات بهما دونه وشرف الانسان
باعطاء الجميع فان انقادت شهوته وغضبه لعقله صار افضل من الملائكة لوصوله الى هذه المرتبة
مع وجود المنازع والملائكة ليس لهم مزاحم **وصل** قد ظهر مما ذكر ان الانسان ذو جنبة
روحانية يناسب بها الارواح الطيبة والملائكة القادسة وذو جنبة جسمانية يشابه
بها السباع والانعام فبالجزء الجسماني يقيم في هذا العالم الحسي مدة قصيرة وبالجزء الروحاني
ينتقل الى عالم العلوي ويقيم فيه ابداً في مصاحبة الارواح القدسية بشرط ان يتحرك بقواه نحو
كمالاتها الخاصة حتى يغلب الجزء الروحاني على الجسماني وينفض عن نفسه كدورات الطبيعة ويظهر فيه
اثار الروحانيات من العلم بحقايق الاشياء والانس بالله تعالى والمحبة له والتحلي بفضايل الصفات
وحينئذ يقوم بغلبة روحانيته بين الملأ الاعلى يستمد منهم لطايف الحكمة ويستنير بالنور الالهي
ويزيد ذلك بحسب دفع العلايق الجسمية حتى اذا اندفع عنه حجب الغواسق الطبيعية باسرها
وازيل عنه استار العوايق الهيولانية بر منها خلى عن جميع الالام والحسرات وكان ابداً مسروراً بذاته
مغتبطاً بحالة مبتهجاً بما يرد عليه من فيوضات النور الاول ولا يسر الا بتلك اللذات ولا يغتبط
بها ولا يهش الا باظهار الحكمة الحقة بين اهلها ولا يرتاح الا بمناسبة واحب الاقتباس منه

ولا يبالي بمفارقة الدنيا وما فيها ويرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا وبالاً وكلاً عليه الا ما هو ضروري يحتاج اليه بدنه الذي يفتقر اليه في تحصيل كماله ويحن ابداً الى مصاحبة الذوات النورية ولا يفعل الا ما اراد الله تعالى منه ولا يتعرض الا لما يقربه اليه ولا يخالف في متابعة الشهوات الردية ولا ينخدع بخدايع الطبيعة ولا يلتفت الى شيء يعوقه عن سعادته ولا يحزن على فقد محبوب ولا فوت مطلوب واذا صفي من الامور الطبيعية بالكلية وزالت عنه العوارض النفسانية والخواطر الشيطانية باسرها وفني عن ارادته المتعلقة بالامور الخارجية وصح بمثلي من المعارف الالهية والشوق الالهي وابتهج بالالهية والسعادة الالهية وينقرر الحقايق في عقله كتقرر القضايا الاولية فيه بل يكون علمه بها اشد اشراقاً وظهوراً من علمه بها واذا بلغ هذه الغاية فقد استعد للوصول الى المرتبة القصوى ومجاورة الملأ الاعلى فيصل الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويفوز بما اشير اليه في الكتاب الالهي بقوله فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ

فصل

اعلم ان الغاية في تهذيب النفس عن الرذايل وتكميلها بالفضايل هو الوصول الى الخير والسعادة والسلف من الحكماء على ان الخير على قسمين مطلق ومضاف والمطلق ما هو المقصود من ايجاد الكل والكل يتشوقه وهو غاية الغايات والمضاف ما يتوصل به الى المطلق والسعادة هو وصول كل شخص بحركته الارادية النفسانية الى كماله الكامن في جبلته وعلى هذا فالفرق بين الخير والسعادة ان الخير لا يختلف بالنسبة الى الاشخاص والسعادة تختلف بالقياس اليهم ثم الظاهر من كلام ارسطاطاليس ان الخير المطلق هو الكمالات النفسية والمضاف ما يكون معداً لتحصيلها كالتعلم والصحة او نافعاً فيه كالمكنة والثروة واما السعادة فعند الاقدمين من الحكماء راجعة الى النفوس فقط وقالوا ليس للبدن فيها حظ فحصروها في الاخلاق الفاضلة واحتجوا على ذلك بان حقيقة الانسان هو النفس الناطقة والبدن آلتها فلا يكون ما يعد كمالاً له سعادة للانسان وعن المتأخرين منهم كارسطو ومن تابعه راجعة الى الشخص من حيث التركيب سواء تعلقت بنفسه او بدنه لان كل ما يلائم جزءاً من شخص معين فهو سعادة جزئية بالنسبة اليه مع انه يتحصر ضده والافعال الجميلة بدون النساء وكثرة الاعوان والانصار والبخت والسعود وغير ذلك مما لا يرجع الى النفوس ولذا قسموا السعادة الى ما يتعلق بالبدن من حيث هو كالصحة واعتدال المزاج والى ما يتوصل به الى اقتناء الثروة ومثله مما يوجب استحقاق المدح كالمال وكثرة الاعوان والى ما يوجب حسن الحديث وشيوع المحمدة والى ما

الفصل التاسع

في ذكر اختلاف الاقوال في السعادة وحقيقتها وامور حصولها

يتعلق بانجاح المقاصد والاغراض على مقتضى الامل والى ما يرجع الى النفس من الحكمة والاخلاق المرضية وقالوا كمال السعادة لا يحصل بدون هذه الخمسة وبفقد النقصان فيها تنقص قالوا وفوق ذلك سعادة محضة لا يدانيها سعادة وهو ما يفيض الله سبحانه على بعض عباده من المواهب العالية والاشراقات العلمية والابتهاجات العقلية بدون سبب ظاهر ثم الاقدمون لذهابهم الى نفي السعادة للبدن صرحوا بان السعادة العظمى لا تحصل للنفس ما دامت متعلقة بالبدن وملوثة بالكدورات الطبيعية والشواغل المادية بل يتوقف حصولها على مفارقتها عنها لان السعادة المطلقة لا يحصل لها ما لم تصر مشرقة بالاشراقات العقلية ومضيئة بالانوار الالهية بحيث يطلق عليها اسم العقل التام وذلك موقوف على تخلصها التام عن الظلمة الهيولانية والكدورات المادية واما المعلم الاول واتباعه فقالوا ان السعادة العظمى تحصل للنفس مع تعلقها بالبدن ايضا لبداهة حصولها لمن استجمع الفضائل باسرها واشتغل بتكميل غيره وما اقبح ان يقال مثله ناقص واذا مات يصير تاما فالسعادة لها مراتب ويحصل للنفس الترقي في مدارجها بالمجاهدة الى ان تصل الى اقصاها فيحصل تمامها وان كان قبل المفارقة وتكون باقية بعدها ايضا ثم المتاخرون عن الطائفتين من حكماء الاسلام قالوا ان السعادة في الاحياء لا تتم الا باجتماع ما يتعلق بالروح والبدن وادناها ان يغلب السعادة البدنية على النفسية بالفعل الا ان الشوق الى الثانية والحرص على اكتسابها يكون اغلب واقصاها ان يكون الفعلية والشوق كلاهما في الثانية الا اكثر انه قد يقع الالتفات الى هذا العالم لتنظيم اموره واما في الاموات فيختص بما يتعلق بالنفس فقط لاستغنائهم عن الامور البدنية فيختص السعادة فيهم بالملكات الفاضلة الباقية والعلوم الحقة اليقينية والوصول الى مشاهدة جمال الابد ومعاينة جلال السرمد وقالوا ان الاولى لشوبها بالزخارف الحسية والكدورات الطبيعية ناقصة كدرة واما الثانية فلخلوها عنها تامة صافية لان المتصف بها يكون ابدا مستنيرا بالانوار الالهية مستضيئا بالاضواء العقلية مستهترا بذكر الله والانس به مستغرقا في بحر عظمته وقدسه ليس له التفات الى ما سوى ذلك ولا يتصور له تحسر على فقد لذة او محبوب ولا شوق الى طلب شيء مرغوب ولا رغبة الى امر من الامور ولا رهبة من وقوع امر محذور بل يكون منصرفا بجزئه العقلي مقصورا همته على الامور الالهية من دون التفات الى غيرها

وهذا القول ترجيح لطريقة المعلم الاول من حيث اثبات سعادة للبدن ولطريقة الاقدمين من
حيث نفي حصول السعادة العظمى للنفس ما دامت متعلقة بالبدن وهو الحق المختار عندنا اذ لا
ريب في كون ما هو وصلة الى السعادة المطلقة سعادة اضافية ومعلوم ان غرض القائل بكون
متعلقات الابدان كالصحة والمال والاعوان سعادة انها سعادة اذا جعلت آلة لتحصيل السعادة الحقيقية
لا مطلقا اذ لا يقول عاقل ان الصحة الجسمية والحظوظ الدنيوية سعادة ولو جعلت وسيلة الى
اكتساب سخط الله وعقابه وحاجبة عن الوصول الى دار كرامته وثوابه وكذا لا ريب في ان النفس
ما دامت متعلقة بالبدن مقيدة في سجن الطبيعة لا يحصل لها العقل الفعلي ولا ينكشف لها الحقائق
كما هي عليه انكشافا تاما ولا يحصل لها حقيقة ما يترتب على العلم والعمل من الابتهاجات العقلية و
اللذات الحقيقية ولو حصلت لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون في آن واحد ويمر كالبرق الخاطف
هذا ويظهر من كلمات الجميع ان حقيقة الخير والسعادة ليست الا المعارف الحقة والاخلاق الطيبة او الامر
وان كان كذلك من حيث ان حقيقتهما ما يكون مطلوبا لذاته وباقيا مع النفس ابدا وهما كذلك الا
انه لا ريب في ان ما يترتب عليهما من حب الله وانسه والابتهاجات العقلانية واللذات الروحانية
مغاير لهما من حيث الاعتبار وان لم ينفك عنهما ومطلوبيته لذاته اشد واقوى فهو باسم الخير
والسعادة اولى واحرى وان كان الجميع خيرا وسعادة وبذلك يحصل الجمع بين اقوال ارباب
النظر والاستدلال واصحاب الكشف والحال واخوان الطريقة من اهل المقال حيث ذهبت الفرقة الاولى
الى ان حقيقة السعادة هو العقل والعلم والثانية الى انها العشق والثالثة الى انها الزهد وترك
الدنيا

فصل لا يحصل السعادة الا باصلاح جميع الصفات والقوى دائما فلا يحصل باصلاح
بعضها دون بعض ووقتا دون وقت كما ان الصحة الجسمية وتدبير المنزل وسياسة المدن لا
يحصل الا باصلاح جميع الاعضاء والاشخاص والطوائف في جميع الاوقات فالسعيد المطلق
من اصلح جميع صفاته وافعاله على وجه الثبوت والدوام بحيث لا يغيره تغير الاحوال والازمان
فلا يزول صبره بحدوث المصائب والفتن ولا شكره بورود النوائب والمحن ولا يقينه بكثرة الشبهات
ولا رضاه باعظم النكبات ولا احسانه بالاساءة ولا صداقته بالعداوة وبالجملة لا يحصل التفاوت
في حاله ولو ورد عليه ما ورد على ايوب النبي او على برناس الحكيم لشهامة ذاته ورسوخ
اخلاقه وصفاته وعدم مبالاته بعوارض الطبيعة وابتهاجه بنورانيته وملكاته الشريفة بل

في بيان شرط حصول السعادة

الفصل العاشر

في بيان شرائط حصول السعادة وذكر غاية مراتبها المعتبر فيها

السعيد الواقعي لتجرده وتعاليه عن الجسمانيات خارج عن تصرف الطبايع الفلكية متعال عن
تاثير الكواكب والاجرام الاثيرية فلا يتأثر عن سعدها ونحسها ولا ينفعل عن قرها وشمسها
اهل التسبيح والتقديس لا يبالون بالتثليث والتسديس وربما بلغ بتجردهم وقوة نفوسهم مرتبة
يحصل لهم ملكة الاقتدار على التصرف في مواد الكاينات ولو في الافلاك وما فيها كما حصل
لفخر الانبياء وسيد الاوصياء صلوات الله عليهما وآلهما من شق القمر ورد الشمس وقد ظهر
بما ذكران من يجزع لورود المصائب الدنيوية ويضطرب من الكدورات الطبيعية ويدخل نفسه في
معرض شماتة الاعداء وترحم الاحباء خارج عن زمرة السعداء لضعف نيته وغلبة الجزع
على طبيعته وعدم بلوغه بعد الى الابتهاجات التي تدفع عن النفس امثال ذلك ومثله لو تكلف
الصبر والرضا وتشبه ظاهرا بالسعداء لكان في الباطن متألما مضطربا وهذا ليس سعادة
لان السعادة الواقعية انما هو صيرورة الاخلاق الفاضلة ملكات راسخة بحيث لا يغيرها التغيرات
ظاهرا وباطنا بلغنا الله وجميع الطالبين الى هذا المقام الشريف **وصل** صرح الحكماء
بان غاية المراتب للسعادة ان يتشبه الانسان في صفاته بالمبدء بان يصدر عنه الجميل لكونه جميلا
لا لغرض اخر من جلب منفعة او دفع مضرة وانما يتحقق ذلك اذا صار حقيقته المعبر عنها بالعقل
الالهي والنفس الناطقة خيرا محضا بان يتطهر عن جميع الخباثات الجسمانية والاقذار الحيوانية
ولا يحوم حوله شيء من العوارض الطبيعية والخواطر النفسانية ويمتلي من الانوار الالهية و
المعارف الحقيقية ويتيقن بالحقايق الحقة الواقعية ويصير عقلا محضا بحيث يصير جميع معقولاته
كالقضايا الاولية بل يصير ظهورها اشد وانكشافها اتم وح يكون له اسوة حسنة بالله
سبحانه في صدور الافعال ويصير افعاله الهية اي شبيهة بافعال الله سبحانه في انه لما كان حسنه
يقتضي الحسن ولمحوضة جماله يصدر عنه الجميل من دون داع خارجي فيكون ذاته غاية فعله و
غرضه بعينه وكلما يصدر عنه بالذات وبالقصد الاول فانما يصدر لاجل ذاته وذات الفعل وان
ترشح منه الفوايد الكثيرة على الغير بالقصد الثاني وبالعرض فلو اذا بلغ الانسان هذه المرتبة
فقد فاز بالبهجة الالهية واللذة الحقيقية الذاتية فيشمئز طبعه من اللذات الحسية الحيوانية لان من
ادرك اللذة الحقيقية العقلية علم انها لذة ذاتية والحسية ليست لذة بالحقيقة لتصورها و
دثورها وكونها دفع الم وانت خبير بان هذا التصريح محل تامل لمخالفته ظواهر الشرع فتدبر **وصل**

في اعتبار اللذة والالم بازاء كل واحد من القوى الاربع

من الباب الاول

في تقسيم اللذات والآلام باعتبار القوى الاربع

لما عرفت ان القوى في الانسان اربعة قوة نظرية عقلية وقوة وهمية خيالية وقوة سبعية غضبية وقوة بهيمية شهوية فاعلم انه بازاء كل واحد منها لذة والم لان اللذة ادراك الملائم والالم ادراك غير الملائم فلكل من الغرائز المذكورة لذة هو نيله مقتضى طبعه الذي خلق لاجله والم هو ادراكه خلاف مقتضى طبعه فغريزة العقل لما خلقت لمعرفة حقائق الامور فلذتها في المعرفة والعلم والمها في الجهل وغريزة الغضب لما خلقت للتشفي والانتقام فلذتها في الغلبة التي يقتضيها طبعها والمها في عدمها وغريزة الشهوة لما خلقت لتحصيل الغذاء الذي به قوام البدن فلذتها في نيل الغذاء والمها في عدم نيله وهكذا في غيرها فاللذات والآلام ايضا على اربعة اقسام العقلية والخيالية والغضبية والبهيمية فاللذة العقلية كالانبساط الحاصل من معرفة الاشياء الكلية وادراك الذوات المجردة النورية والالم العقلي كالانقباض الحاصل من الجهل واللذة الخيالية كالفرح الحاصل من ادراك الصور والمعاني الجزئية الملائمة والالم الخيالي كادراك غير الملائمة منها واللذة المتعلقة بالقوة الغضبية كالانبساط الحاصل من الغلبة ونيل المناصب والرياسات والالم المتعلق بها كالانقباض الحاصل من المغلوبية والعزل والمرؤسية واللذة البهيمية هي المدركة من الاكل والجماع وامثالهما والالم البهيمي ما يدرك من الجوع والعطش والحر والبرد واشباههما وهذه اللذات والآلام تصل الى النفس وهي الملتذة والمتالمة حقيقة الا ان كلا منها يصل اليها بواسطة القوة التي تتعلق بها والفرق بين الكل ظاهر وربما يشتبه بين ما يتعلق بالوهم والخيال وما يتعلق بالغضبية وان توقف على التخيل الا ان المتاثر بالالتذاذ والتالم بعد التخيل هو الغضبية وبواسطتها يتاثر النفس ففي هذا النوع من اللذة والالم ما لم يتاثر الغضبية لم يتاثر النفس واما ما يتعلق بالوهم والخيال فالمتاثر بالالتذاذ والتالم هاتان القوتان ويصل التاثر منهما الى النفس من دون تاثر توسط القوة الغضبية ومما يوضح الفرق ان الالتذاذ والتالم الخياليين لا يتوقفان على وجود غلبة ومغلوبية مثلا في الخارج واما الغضبيان فيتوقفان عليهما ثم اقوى اللذات هي العقلية لكونها فعلية ذاتية غير زايلة باختلاف الاحوال وغيرها من اللذات الحسية انفعالية عرضية منفعلة زايلة وهي في مبدء الحال مرغوبة عند الطبيعة ويتزايد بتزايد القوة الحيوانية ويضعف بضعفها الى ان ينتفي بالمرة ويظهر قبحها عند العقل واما العقلية فهي في

متى حصل اشتراك كما في التاثر على التخيل ويدفع الاشتباه بان يتعلق بالغضبية

فى بيان ان اللذة فى الحقيقة هى العقلية دون الحسية

الفصل الخامس عشر

البداية منغصة لان ادراكها لا يحصل الا للنفوس الزكية المتحلية بالاخلاق المرضية وبعد حصولها
يظهر حسنها وشرفها ويتزايد بتزايد القوة العقلية الى ان ينتهى الى اقصى المراتب ولا يكون
لها نقص ولا زوال والعجب ممن ظن انحصار اللذة فى الحسية وجعلها غاية كمال الانسان و
سعادته القصوى والمتشرعون منهم قصروا اللذات الاخرة على الجنة والحور والغلمان وامثالها
والالام على النار والعقارب والحيات واشباهها وجعلوا الوصول الى الاولى والخلاص
عن الثانية غاية لزهدهم وعبادتهم وكانهم لم يعلموا ان هذا عبادة الاجراء والعبيد تركوا
قليل المشتهيات ليصلوا الى كثيرها وليت شعرى ان ذلك كيف يدل على الكمال الحقيقى والقرب
من الله سبحانه ولا ادرى ان الباكى خوفا من النار وشوقا الى اللذات الجسمية المطلوبة للنفس
البهيمية كيف يعد من اهل التقرب الى الله سبحانه ويستحق التعظيم ويوصف بعلو الرتبة
وكانهم لم يدركوا الابتهاجات الروحانية ولا لذة المعرفة بالله وحبه والانس ولم يسمعوا
قول سيد الموحدين صلى الله عليه واله ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك ولكن
وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وبالجملة لا ريب فى ان الانسان فى اللذة الجسمية يشارك
الخنافس والديدان والهمج من الحيوان وانما يشابه الملائكة فى البصيرة الباطنة والاخلاق
الفاضلة وكيف يرتضى العاقل ان يجعل النفس الناطقة الشريفة خادمة للنفس البهيمية الخسيسة
والعجب من هؤلاء الجماعة مع هذا الاعتقاد يعظمون من يتنزه عن الشهوات الحيوانية ويستهين
باللذات الحسية ويخضعون له ويعدون انفسهم اشقياء بالنسبة اليه ويذعنون انه اقرب
الناس الى الله سبحانه واعلى رتبة منهم بتنزهه عن الشهوات الطبيعية وقد اتفق كلهم على
تنزه مبدع الكل وتعاليه عنه مستدلين بلزوم النقص فيه لولاه وكذلك يناقض رايهم
الاول والتزهيد انهم وان ذهبوا الى هذا الراى الفاسد الا انه لما كانت غريزة العقل فيهم
بعد موجودة وان كانت ضعيفة فى ما هو كمال حقيقى لجوهرها كمالا ويحكم بنورانيتها
الذاتية على كون ما هو فضيلة فى الواقع فضيلة وما هو رذيلة فى نفس الامر رذيلة فيضطرهم
الى اكرام اهل التنزه عن الشهوات والاهانة بالمكبين عليها ومما يدل على قبح اللذات الحيوانية
ان اهلها يكتمونها ويخفون ارتكابها ويستحيون عن اظهارها واذا وصفوا بذلك يتغير
وجوههم كما هو ظاهر من وصف الرجل بكثرة الاكل والجماع مع ان الجميل على الاطلاق اذا يحسن عنه

في تنبيه ان الانسان ... [illegible]

فى المواعظ والنصيحة

وصاحبه يحب ان يظهر ويوصف به هذا مع ان البديهة حاكمة بان هذه اللذات ليست
لذات حقيقية بل هي دفع الآلام الحادثة للبدن فان ما يتخيل لذة عند الاكل والجماع انما هو راحة
من الم الجوع ولذع المنى ولذا لا يلتذ الشبعان من الاكل ومعلوم ان الراحة من الالم ليس كمالا
وخيرا اذ الكمال الحقيقي والخير المطلق ما يكون كمالا وخيرا ابدا **ايقاظ** لما عرفت ان الانسان
في اللذة العقلية يشارك الملائكة وفي غيرها من الحسية المتعلقة بالقوى الثلث اعنى السبعية
والبهيمية والشيطانية يشارك السباع والبهائم والشياطين فاعلم ان من غلبت عليه احدى اللذات
الاربع كانت مشاركته لما يناسبها اكثر حتى اذا صارت الغلبة تامة لكان هو هو فانظر يا حبيبي
اين تضع نفسك فان الغلبة لو كانت لقوتك الشهوية حتى يكون اكثر همك الى الشهوات الحيوانية
كالاكل والشرب والجماع وساير اللذات البهيمية كنت واحدا من البهائم وان كانت لقوتك
الغضبية حتى يكون جل ميلك الى المناصب والرياسات الردية وايذاء الناس بالضرب والشتم وساير
الحركات السبعية نزلت منزلة السباع وان كانت لقوتك الشيطانية حتى يكون غالب سعيك في
استنباط وجوه المكر والحيل للوصول الى مقتضيات قوتي الشهوة والغضب بانواع الخداع والتلبيسات
الوهمية دخلت في حزب الابالسة وان كانت لقوتك العاقلة حتى يكون جدك مقصورا على
اخذ المعارف الالهية واقتناء الفضائل الخلقية عرجت الى افق الملائكة القادسة فمن كان
عاقلا غير عدو لنفسه وجب عليه ان يصرف جل همته في تحصيل السعادة العلمية والعملية وازالة
النقايص الكامنة في نفسه ويقتصر على الامور الشهوانية واللذات الجسمانية بقدر الضرورة بان يكتفي
من الغذاء بما يحفظ اعتدال المزاج وقوام حيوته ولا يكون قصده منه الا التلذذ بل سد
الضرورة ودفع الالم ولا يضيع وقته في تحصيل ازيد من ذلك فان تجاوز عنه فبقدر ما
يحفظ رتبته ولا يوجب مهانته وذلته ومن اللباس بقدر ما يستر العورة ويدفع الحر و
البرد فان تجاوز عن ذلك فبقدر ما لا يؤدي الى حقارته ولا يوجب لسقوطه من اقرانه و
اهل طبقته ومن الجماع بقدر ما يحفظ نوعه ويبقى نسله وان تعدى فبقدر ما لا يخرجه
عن السنة وليحذر عن الانهماك في مقتضيات قوتي الشهوة والغضب لانه يوجب الشقاوة الدائمة
والهلاكة السرمدية فاسروا الله في نفوسكم معاشر الاخوان ادركوها قبل ان تغرقوا في
بحار المهالك وتنبهوا عن نوم الغفلة قبل ان تنسد عليكم السبل والمسالك وبادروا الى التحصيل

الفصل الخامس عشر

السعادات قبل ان یستحکم فیکم الملکات والعادات المفسدة فان ازالة الرذائل بعد استحکامها فی غایة
الصعوبة والمجاهدة مع احزاب الشیاطین بعد الکبر قلما یفید الاثر والغلبة علی النفس الامارة
بعد ضعف الطبیعة فی غایة الاشکال الا انه فی ای حال لا ینبغی ان ییأسوا من روح الله فاجتهدوا
بقدر القوة والاستطاعة فانه خیر من التمادی فی الباطل فلعل الله یدرککم بعظیم رحمته ولقد
قال الشیخ الفاضل احمد بن محمد بن یعقوب بن مسکویه وهو الاستاد فی علم الاخلاق واقدم الاسلامیین
فیه وبیّنه انی تنبهت من نوم الغفلة بعد الکبر واستحکام العادة فتوجهت الی فطام نفسی عن رذائل
الملکات وجاهدت جهاداً عظیماً حتی وفقنی الله لاستخلاصها عما اهلکها فلا ییأس احد من رحمة
الله فان النجاة لکل طالب موجودة وابواب الافاضة ابداً مفتوحة فبادروا اخوانی الی تهذیب
نفوسکم قبل ان یصیر التربیة مرفوضاً والعقل مفقوداً فیفسد جوهرکم ویمسخ حقیقتکم ویتدارککم
الانتکاس فی الخلق الذی هو خروج عن افق الانسان ودخول فی زمرة البهائم والسباع والشیاطین
نعوذ بالله من ذلک ونسئله العصمة من الخسران الذی لا غایة له وقد شبه الحکماء من اهمل
سیاسة نفسه الغافلة بمنزلة یاقوتة شریفة حمراء فرماها فی نار مضطرمة فیحرقها حتی یصیر کلساً لا
منفعة فیها **تتمیم** ولا تظنن ان ما یفوت عن النفس من الصفاء والبهجة لاجل ما یعتریها من
الکدورة الحاصلة من معصیة من المعاصی یمکن تدارکه فان ذلک محال اذ غایة الامر ان تتبع تلک
المعصیة بحسنة تمحی آثارها ویعید النفس الی ما کانت علیه قبل تلک المعصیة فلا یزداد بتلک
الحسنة اشراقاً وسعة ولو جاء بها من دون سبق المعصیة لزادها نور القلب وبهجته وحصل له درجة
فی الجنة ولما تقدمت السیئة سقطت هذه الفائدة وانحصرت فائدتها فی مجرد عود القلب الی ما
کان علیه قبلها وهذا نقصان لا حیلة لجبره ومثال ذلک ان المرآة التی تدنست بالخبث والصدأ
اذا مسحت بالمصقلة وان ازیل عنه هذا الخبث لا انه لا یزید به جلاء وصفاء فی تجلّیها اذا لم یتدنس
اصلاً فان التصقیل یزید صفاء وجلاء والی ما ذکر اشار النبی صلعم بقوله من قارف ذنباً فارقه عقل
لم یعد الیه ابداً

الباب الثانی فی بیان اقسام الاخلاق وتفصیل القول فیها وفیه فصول

فصل قد تبین فی العلم الطبیعی ان للنفس الناطقة قوتین احدهما قوة الادراک وثانیهما قوة
التحریک ولکل منهما شعبتان الشعبة الاولی للاولی العقل النظری وهو مبدء التأثر عن المبادی العالیة
بقبول الصور العلمیة والشعبة الثانیة لها العقل العملی وهو مبدء تحریک البدن فی الاعمال الجزئیة

بالروية وهذه الشعبة من حيث تعلقها بقوتي الشهوة والغضب مبدأ لحدوث بعض الكيفيات
الموجبة لفعل وانفعال كالخجل والضحك والبكاء وغير ذلك ومن حيث استعمالها الوهم والمتخيلة
مبدأ لاستنباط الآراء والصنائع الجزئية ومن حيث نسبتها بالعقل وحصول الازدواج
بينهما سبب لحصول الآراء الكلية المتعلقة بالاعمال كحسن الصدق وقبح الكذب ونظائرهما والشعبة
الاولى للثانية قوة الغضب هي مبدأ دفع غير الملايم على وجه الغلبة والشعبة الثانية لها قوة
الشهوة وهي مبدأ جلب الملايم ثم اذا كانت القوة الاولى غالبة على ساير القوى ولم ينفعل عنها
بل كانت هي مقهورة عنها مطيعة لها فيما يامرها به وينهاها عنه كان تصرف كل منها على وجه
الاعتدال وانتظمت امور النشأة الانسانية وحصل تسالم القوى الاربع وتمازجها فتهذب
كل واحد منها ويحصل له ما يخصه من الفضيلة فيحصل من تهذيب العاقلة العلم ويتبعه الحكمة ومن
تهذيب العاملة العدالة ومن تهذيب الغضبية الحلم ويتبعه الشجاعة ومن تهذيب الشهوية العفة
ويتبعه السخاوة وعلى هذا يكون العدالة كمالا للقوة العملية بطريق آخر وبيان ذلك ان النفس لما
كانت ذات قوى اربع العاقلة والعاملة والشهوية والغضبية فان كانت حركاتها على وجه
الاعتدال وكانت الثلثة الاخيرة مطيعة للاولى واقتصرت من الافعال على ما تعينه لها حصلت
اولا فضائل ثلث هي الحكمة والعفة والشجاعة ثم يحصل من حصولها المترتب على تسالم القوى
الاربع وانقهار الثلثة تحت الاولى حالة متشابهة وهي كمال القوى الاربع وتمامها وهي العدالة
وعلى هذا لا يكون العدالة كمالا للقوة العملية فقط بل يكون كمالا للقوى باسرها وعلى الطريقين
يكون اجناس الفضائل اربع الحكمة وهي معرفة حقايق الموجودات على ما هي عليه والموجودات
ان لم يكن وجودها بقدرتنا واختيارنا فالعلم المتعلق بها هو الحكمة النظرية وان كان وجودها
بقدرتنا واختيارنا فالعلم المتعلق بها هو الحكمة العملية والعفة هي انقياد القوة الشهوية للعاقلة
فيما يامرها به وينهاها عنه حتى يكتسب الحرية ويتخلص عن اسر عبودية الهوى والشجاعة وهي اطاعة
القوة الغضبية للعاقلة في الاقدام على الاهوال الهائلة وعدم اضطرابها بالخوض في ما يقتضيه رايها
حتى يكون فعلها ممدوحا وصبرها محمودا وتفسير هذه الفضائل الثلث لا يتفاوت بالنظر الى الطريقين
واما العدالة فتفسيرها على الطريق الاولى هو انقياد العقل العملي للقوة العاقلة وتبعيته لها
في جميع تصرفاته او ضبطه الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع الذي يحكم العقل ايضا

الفصل الأول

بوجوب طاعة او سياسة قوتي الغضب والشهوة وحملها على مقتضى الحكمة وضبطها في الاسترسال
والانقباض على حسب مقتضاها والى هذا يرجع تعريف الغزالي انها حالة للنفس وقوة بها يسوس
الغضب والشهوة ويحملهما على مقتضى الحكمة ويضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها و
المراد من الحالة والقوة هنا قوة الاستعلاء التي للعقل العملي لا نفس القوة العملية وتفسيرها على
الطريق الثاني هو ائتلاف جميع القوى واتفاقها على امتثالها للعاقلة بحيث يرتفع التخالف والتجاذب
ويحصل لكل منهما فضيلته المختصة به ولا ريب في ان اتفاق جميع القوى وائتلافها هو كمال لجميعها لا
للقوة العملية فقط اللهم الا ان يقال ان الائتلاف انما يتحقق باستعمال كل من القوى على الوجه اللائق
واستعمال كل قوة ولو كان قوة نظرية انما يكون من القوة العملية لان شانها تدبير القوى في
الحال اللائقة على وجه الاعتدال وبدونها لا يتحقق صدور فعل من قوة ثم العدالة على الطريق
الاول يكون امرا بسيطا مستلزما للملكات الثلث اعني الحكمة والعفة والشجاعة وعلى الثاني يحتمل
البساطة والتركيب على الظاهر وان كانت البساطة اقرب نظرا الى ان الاعتدال الخلقي بمنزلة الاعتدال المزاجي
الحاصل من ازدواج العناصر المتخالفة وقد برهن في اصول الحكمة ان المزاج كيفية بسيطة وتفصيل
الكلام في المقام انه اذا حصلت الملكات الثلث حصل للعقل العملي قوة الاستعلاء والتدبير على جميع
القوى بحيث كانت الجميع منقادة له واستعمل كلا منها على ما يقتضيه رايه فان جعل العدالة عبارة عن نفس
الملكات كانت مركبة وحينئذ لا يناسب جعلها فضيلة على حدة معدودة في اعداد الفضائل لان جميع
الاقسام لا يكون قسيما منها وليس الائتلاف والامتزاج هيئة وحدانية عارضة للملكات الثلث حتى
يكون شيئا على حدة ونوعا مركبا ثم على الطريقين يتحقق التلازم بين العدالة والملكات الثلث الا
انه على الطريق الاول تكون العدالة علة والملكات الثلث معلولة وعلى الطريق الثاني ينعكس ذلك
لتوقف حصول العدالة على وجود تلك الملكات وامتزاجها فهي اجزاء للعدالة او بمنزلتها **تكملة**
الحق ان حقيقة العدالة هو التفسير الاول المذكور في الطريق الاول اعني انقياد العقل العملي للقوة
العاقلة وساير التفاسير المذكورة في الطريقين لازمة له اذ الانقياد المذكور يلزمه اتفاق القوى
وقوة الاستعلاء والتسلط للعقل العملي على قوتي الغضب والشهوة ونفس سياسته اياهما وضبطهما
تحت اشارة العقل النظري وامثال ذلك وعلى هذه التفاسير اللازمة للاول يلزم ان يكون العدالة
جامعة لجميع الفضائل ويتحقق معناها في كل فضيلة حتى يكون فردا لها ويحقق ذلك ان انقياد

العقل العملي للعاقلة يستلزم ضبط قوتي الغضب والشهوة تحت اشارة العقل وسياستها اياهما واستعلائها
عليهما وهذا يستلزم اتفاق جميع القوى وامتزاجها فجميع الفضائل الصادرة عن قوتي الغضب والشهوة
بل عن العاقلة ايضا انما يكون بتوسط العقل العملي وضبطها اياها الا ان ذلك لا يوجب كونها كمالا له حتى
تعد من فضائله ووجهه ظاهر واما كون الضبط المذكور عدالة فالحق ان حقيقة العدالة هو مجرد
انقياد العاملة للعاقلة ومثل الضبط والاستعلاء والسياسة من لوازمه والفضائل الصادرة
عن القوى بتوسط العقل العملي انما يندرج تحت لازم العدالة لا عينها فمن ادرج جميع الفضائل
تحت العدالة نظر الى اعتبار ما يلزمها ومن لم يدرجه تحتها نظر الى عدم اعتباره وعلى هذا لا
باس بان يقال ان للعدالة اطلاقين احدهما العدالة بالمعنى الاخص وثانيهما العدالة بالمعنى الاعم
ثم ان القوم ذكروا لكل واحد من الفضائل الاربع انواعا فكما ادرجوا تحت كل من الحكمة
والعفة والشجاعة انواعا فكذا ادرجوا تحت العدالة انواعا كالوفاء والصداقة والعبادة و
غيرها وانت بعد ما علمت ان العدالة بالتفسير الاول هو انقياد العاملة للعاقلة في استعمال
نفس العاقلة وقوتي الغضب والشهوة تعلم ان الفضائل باسرها انما يحصل باستعمال العاملة
القوى الثلث فكل فضيلة انما يتعلق حقيقة باحدى الثلث وان كان حصولها بتوسط
العاملة وضبطها الثلث اذ كون الاستعمال والضبط منها لا يقتضي استناد ما يحصل من الفضائل
باستعمالها اليها مع صدورها حقيقة عن سائر القوى وكذا لا يقتضي استناد ما يحصل من الرذائل
لعدم انقيادها للعاقلة اليها ومعلوم انه لا يترتب على مجرد انقيادها وعدمها فضائل ورذائل
لم يكن لها تعلق بالثلث اصلا اذ كل فضيلة ورذيلة اما متعلق بالقوة العقلية او بقوتي الغضب و
الشهوة بتوسط العاملة وليس لها في نفسها فضيلة ورذيلة على حدة كما لا يخفى مع انه لو كان
الاستعمال والضبط منشأ لاستناد ما يحصل من الفضائل اليها لزم ان يستند اليها جميع الفضائل
فكان اللازم ادخال جميع الفضائل تحت العدالة وكذا الحال على تفسير العدالة بالطريق الثاني
كما ظهر وعلى هذا فيلزم من عدهم بعض الفضائل من انواع العدالة دون بعض اخر تخصيص بلا
مخصص فالفضائل التي جعلوها انواعا مندرجة تحت العدالة بعضها من انواع الشجاعة ولوازمها
وبعضها من انواع العفة وآثارها وان كان للعاملة من حيث التوسط مدخلية في حصول
الجميع فنحن لا نتابع القوم ونجري على مقتضى النظر من جعل انواع الفضائل والرذائل و

اصنافها ونتائجها متعلقة بالقوى الثلث دون العقل العملي وادخال جميعها تحت اجناسها
على ما ينبغي من دون ادخال شيء منها تحت العدالة وضدها ثم ان الرذائل و
الفضائل مع مدخلية القوة العملية فيها بالاستعمال اما متعلقة بمجرد احدى القوى الثلث
او باثنتين منها او بالثلث ومثال المتعلق باحدها ظاهر كالجهل والعلم المتعلقين بالعاقلة
والغضب والحلم المتعلقين بالقوة الغضبية والحرص والقناعة المتعلقين بالقوة الشهوية
واما ما يتعلق باثنتين منها او الثلث فاما ان يكون له اصناف يتعلق بعضها ببعض وبعضها
ببعض آخر كحب الجاه اعني طلب المنزلة في القلوب فانه ان كان المقصود منه الاستيلاء على الخلق و
التفوق عليهم كان من رذائل قوة الغضب وان كان المقصود منه طلب المال للتوسل به الى شهوة
البطن والفرج كان من رذائل قوة الشهوة وكذا الحسد اعني تمني زوال النعمة عن الغير ان
كان باعثه العداوة كان من رذائل القوة الغضبية وان كان باعثه مجرد وصول النعمة اليه كان
من رذائل القوة الشهوية ويكون للثلث والاثنتين مدخلية بالاشتراك في نوع الرذيلة و
الفضيلة او بعض اصنافه كالحسد الذي باعثه العداوة وتوقع وصول النعمة اليه معا وكالغرور
وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل النفس اليه بخدعة من الشيطان فان النفس ان كانت
مائلة بالطبع الى شيء من مقتضيات الشهوة واعتقدت جهلا كونه خيرا لها كان ذلك من رذائل
قوتي العاقلة والشهوة وان كانت مائلة الى شيء من مقتضيات قوة الغضب واعتقدت جهلا
كونه خيرا لها كان ذلك من رذائل قوتي العاقلة والغضب وان كانت مائلة الى شيء من مقتضياتهما
معا مع اعتقادها كونه خيرا لها كان من رذائل الثلث معا ثم مرادنا من تعلق صفة بالقوى
المتعددة وكونها معدودة من رذائلها او فضائلها ان يكون لكل منها تاثير في حدوثها
وايجادها اي يكون من جملة عللها الفاعلة الموجدة بحيث لو قطع النظر عن فعل واحدة
منها لم يتحقق هذه الصفة فان الغرور يتحقق بالميل والاعتقاد بمعنى ان كلا منهما مؤثر في
ايجاده واحداثه ولو لم يكن الاعتقاد المتعلق بالعاقلة والميل المتعلق بالشهوة والغضب لم
يوجد غرور فلو كان مدخلية قوة في صفة بمجرد الباعثية اي كانت باعثة لقوة اخرى على
ايجاد هذه الصفة واحداثها بحيث امكن تحقق هذه الصفة مع قطع النظر عن هذه القوة بباعث
اخر لم يكن متعلقة بها ولم تعد من رذائلها او فضائلها بل كانت متعلقة بالقوة الاخرى

التي هي مباشرة لاحداثها وايجادها مثل الغضب الحاصل من فقد شيء من مقتضيات شهوة البطن
والفرج وان كانت باعثه قوة الشهوة الا انه ليس لقوة الشهوة وفعلها شركة في احداثه وايجاده
بل الاحداث انما هو من قوة الغضبية ومدخلية الشهوية انما هو بتحريكها وتهييجها الغضبية
للاحداث والايجاد ولا ريب في ان للعاقلة هذه الباعثية في صدور اكثر الصفات مع عدم عدها
من رذائلها وفضائلها واذا عرفت ذلك فاعلم انا نذكر اولا ما يتعلق بالعاقلة من الرذائل
والفضائل ثم ما يتعلق بالقوة الغضبية منهما ثم ما يتعلق بالقوة الشهوية منهما ثم ما يتعلق
بهما او الثلث **وصل** اعلم ان كل واحد من العقل العملي والعقل النظري رئيس مطلق من وجه
اما الاول فمن حيث ان استعمال جميع القوى حتى العاقلة على النحو الاصلح موكول اليه واما الثاني
فمن حيث ان السعادة القصوى وغاية الغايات اعني التحلي بحقائق الموجودات مستند اليه وايضا
ادراك ما هو الخير والصلاح من شانه فهو المرشد والدليل للعقل العملي في تصرفاته وقيل ان ادراك
فضائل الاعمال ورذائلها من شأن العقل العملي كما صرح به الشيخ في الشفا بقوله ان كمال العقل
العملي استنباطا للاراء الكلية في الفضائل والرذائل من الاعمال على وجه لا ابتناء على الشهوات
المطابقة في الواقع للبرهان وتحقيق ذلك البرهان متعلق بكمال القوة النظرية والحق ان مطلق
الادراك والارشاد انما هو من العقل النظري فهو بمنزلة المشير الناصح والعقل العملي بمنزلة
المنفذ الممضي لاشاراته وما ينفذ فيه الاشارة فهو قوة الغضب والشهوة دفع الاشكال ان قيل
ان القوم قسموا الحكمة اولا الى النظرية والعملية ثم قسموا العملية الى ثلثة اقسام واحد منها
علم الاخلاق المشتمل على الفضائل الاربع التي احدها الحكمة فيلزم ان يكون الحكمة قسيما من
نفسها قلنا الحكمة التي هي المقسم هو العلم باعيان الموجودات سواء كانت موجودات الهية اي واقعة
بفعل الباري سبحانه او موجودات انسانية اي واقعة بقدرتنا واختيارنا ولما كان هذا العلم اعني
الحكمة التي هي المقسم قسما من الموجودات بالمعنى الثاني فلا بأس بالبحث عنه في علم الاخلاق فان
غاية ما يلزم ان يكون الحكمة موضوعا لمسئلة هي جزئها بان يجعل عنوانا فيها ويحمل عليها كونها
ملكة محمودة او طريق اكتسابها كذا وبالجملة لا مانع من ان يجعل علم يبحث فيه عن احوال الموجودات
موضوعا لمسئلة ويبحث عنه فيه باثبات صفة له لاجل انه ايضا من الموجودات كما ان في العلم الاعلى
الذي يبحث فيه عن الموجودات من حيث وجودها يبحث عن نفس العلم لكونه من الموجودات ويحمل

الفصل الثاني

موضوعا لمسئلة من مسائله ولا يلزم من هذا كون الشيء جزءا لنفسه وايضا نقول كما ان الحكمة العملية قسم من مطلق الحكمة لتعلق العمل بالنظر فكذا المطلق قسم منها لتعلق النظر بالعمل وح كما ان العدالة من الحكمة باعتبار فكذا الحكمة من العدالة باعتبار اخر فيختلف الحيثية ولا يلزم محذور وقيل في الجواب ان المراد من الحكمة التي هي احدى الفضائل الاربع استعمال العقل على الوجه الاصلح وح فلا يرد اشكال اصلا لعدم كون الحكمة بهذا المعنى عين المقسم لانها جزء له وفيه ان الحكمة بهذا المعنى هي العدالة على ما تقرر مع ان العدالة ايضا احدى الفضائل الاربع **تنبيه** قد صرح علماء الاخلاق بان صاحب الفضائل الاربع لا يستحق المدح ما لم يتعد فضائلها الى الغير ولذا لا يسمى صاحب ملكة السخاء بدون البذل سخيا بل منفاقا ولا صاحب ملكة الشجاعة بدون ظهور اثارها شجاعا بل غيورا ولا صاحب ملكة الحكمة بدونه حكيما بل مستبصرا والظاهر ان المراد باستحقاق المدح هو حكم العقل بوجوب المدح فان من تعدى اثره يرجى نفعه ويخاف ضره فيحكم العقل بلزوم مدحه جلبا للنفع ودفعا للضر واما من لا يرجى خيره وشره فلا يحكم العقل بوجوب مدحه وان بلغ في الكمال ما بلغ **فصل** لا ريب في انه بازاء كل فضيلة رذيلة هي ضدها ولما عرفت ان اجناس الفضائل اربعة فاجناس الرذائل ايضا في بادى النظر اربعة الجهل وهو ضد الحكمة والجبن وهو ضد الشجاعة والشره وهو ضد العفة والجور وهو ضد العدالة وعند التحقيق يظهر ان لكل فضيلة حدا معينا والتجاوز عنه بالافراط والتفريط يؤدي الى الرذيلة فالفضائل بمنزلة الاوساط والرذائل بمنزلة الاطراف والوسط واحد معين لا يقبل التعدد والاطراف غير متناهية عددا فالفضيلة بمثابة مركز الدائرة والرذائل بمثابة ساير النقاط المفروضة من المركز الى المحيط فان المركز نقطة معينة مع كونه ابعد النقاط عن المحيط وساير النقاط المفروضة من جوانبه غير متناهية فعلى هذا يكون بازاء كل فضيلة رذائل غير متناهية لان الوسط محدود ومعين والاطراف غير محدودة ويكون الفضيلة في غاية البعد عن الرذيلة التي هي نهاية الرذائل ويكون كل منها اقرب منها الى النهاية وبمجرد الانحراف عن الفضيلة من اي طرف اتفق يوجب الوقوع في رذيلة والثبات على الفضيلة والاستقامة في سلوك طريقها بمنزلة الحركة على الخط المستقيم وارتكاب الرذيلة كالانحراف عنه ولا ريب في ان الخط المستقيم هو اقصر الخطوط الواصلة بين النقطتين وهو لا يكون الا واحدا واما الخطوط المنحنية بينهما فغير متناهية فالاستقامة في طريق الفضيلة وملازمتها

على نهج واحد والانحراف عنه يكون له مناهج غير متناهية ولذلك غلبت دواعي الشر على بواعث الخير ويظهر مما ذكر ان وجدان الوسط الحقيقي صعب والثبات عليه بعد الوجدان اصعب لان الاستقامة على جادة الاعتدال في غاية الاشكال وهذا معنى قول الحكماء اصابة نقطة الهدف اعسر من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطيها اعسر ولذلك لما امر فخر الرسل بالاستقامة في قوله تعالى فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ قال شيبتني سورة هود عم اذ وجدان الوسط الحقيقي فيما بين الاطراف الغير المتناهية المتقابلة مشكل والثبات عليه بعد الوجدان اشكل وقال المحقق الطوسي وجماعة ان ما ورد في اشارات النواميس من ان الصراط المستقيم ادق من الشعر واحد من السيف اشارة الى هذا المعنى وغير خفي بان هذا التاويل جرئة على الشريعة القويمة وهتك لاستار السنة الكريمة والواجب الاذعان بظاهر ما ورد من امور الاخرة نعم يمكن ان يقال كما مر ان الامور الاخروية التي حصل بها الوعد والوعيد كلها امور محققة ثابتة على ما اخبر به الا انها صور للاخلاق والصفات المكتسبة في هذه النشأة فتظهر بتلك الصور في دار العقبى بحسب المرتبة اذ ظهورات الاشياء مختلفة بحسب اختلاف المراتب والنشآت فمؤدى ما يؤدي ويرجع من الصور في موطن المعاد انما هو الاخلاق والنيات المكتسبة في هذه النشأة وهذا المذهب مما استقر عليه اراء اساطين الحكمة والعرفان وذكرنا الظواهر الدالة عليه من الايات والاخبار واشرنا الى حقيقة الحال فيه فالصراط المستقيم الممدود كالجسر على الجحيم صورة لتوسط الاخلاق والجحيم صورة لاطرافها فمن ثبت قدمه على الوسط هنا لم يزل عن الصراط هناك ووصل الى الجنة التي وعدها الله المتقين ومن مال الى الاطراف هنا سقط هناك في جهنم التي احاطت بالكافرين

ثم الوسط اما حقيقي وهو ما يكون نسبته الى الطرفين على السواء كالاربعة بالنسبة الى الاثنين والستة وهذا كالعدل الحقيقي الذي انكر الاطباء وجوده او اضافي وهو اقرب ما يمكن تحققه للنوع او الشخص الى الحقيقي ويتحقق به كمالها اللايق بحالهما وان لم يصل اليه فالتسمية بالوسط الى الاطراف انما هو بالنسبة التي هي ابعد من الحقيقي بالاضافة اليه وهذا كالاعتدالات النوعية والشخصية التي تثبتها الاطباء فان المراد منها الاعتدال الذي يمكن تحققها للانواع والاشخاص وهو القدر الذي يليق لكل نوع او شخص ان يكون عليه وان لم يكن لم تكن اعتدالا حقيقيا بمعنى تساوي الاجزاء البسيطة العنصرية وتكافوئها في القوة الخارجية فان له طرفين احدهما ان يضعف

الفصل الثاني

الاجزاء اقرب في التساوي مما كان له الى ان يبلغ الى الحقيقي والثاني ان يصير ابعد مما كان
له الى غير النهاية الا ان بعض مراتب الطرفين التي منها الاعتدال الحقيقي غير ممكن الوقوع فمن
والاقربية الى الحقيقي بالنسبة الى ساير الاطراف سمي اضافيا ثم الوسط المعتبر هنا هو الاضافي
لتعذر وجدان الحقيقي والثبات عليه ولذا يختلف الفضيلة باختلاف الاشخاص والاحوال والازمان
فربما كان مرتبة من الوسط الاضافي فضيلة بالنظر الى شخص او حال او وقت ورذيلة بالنسبة الى
غيره وتوضيح الكلام انه لا ريب في ان الوسط الحقيقي في الاخلاق لكونه في حكم نقطة غير منقسمة لا
يمكن وجدانه ولا الثبات عليه ولذا ترى من هو متصف بفضيلة من الفضائل لا يمكن الحكم بكون
تلك الفضيلة هي الوسط الحقيقي الا انه لما كانت تلك الفضيلة قريبة اليه ولا يمكن وجود اقرب
منها اليه له يحكم بكونها وسطا اضافيا لاقربيتها اليه بالنسبة الى ساير المراتب فالاعتدال الاضافي
له عرض وسطه الاعتدال الحقيقي وطرفاه طرفا الافراط والتفريط الا انه ما لم يخرج عن هذين
الطرفين يكون اعتدالا اضافيا وكلما كان اقرب الى الحقيقي كان اكمل واقوى واذا خرج عنهما
دخل في الرذيلة لا يقال على هذا ينبغي ان يكون الاعتدال الطبي في المزاج ايضا كذلك اي له عرض
وسطه الاعتدال الحقيقي وطرفاه خارجان عن الاعتدال الطبي حتى كلما اقرب الى الحقيقي صار الطبي
اقوى واكمل مع انه ليس الامر كذلك اذ القياس يقتضي الخروج عن الاعتدال الطبي وضعف لقربه الى الحقيقي
بيان ذلك ان الاعتدال الحقيقي في المزاج ان يكون اجزاء العناصر متكافئة القوة والاعتدال الطبي
في نوع الانسان وشخص من اشخاصه ان يكون الاجزاء الحارة مثلا من عشرة الى اثنى عشر و
البارده من ثمانية الى تسعة واليابسة من سبعة الى ثمانية والرطبة من ستة الى سبعة فاذا
كانت الاجزاء الحارة ستة والباردة خمسة واليابسة اربعة والرطبة ثلثة كانت خارجة
عن الاعتدال الطبي مع صيرورته اقرب الى الحقيقي بل اذا فرضت تكافؤ اجزاء العناصر
حتى حصل نفس الاعتدال الحقيقي خرج ايضا عنه فلا يكون الحقيقي وسط الطبي حتى كلما
يصير اليه اقرب يكون اقوى واكمل لانا نقول نحن لا ندعي ان الحقيقي وسط الطبي بل هو امر مغاير
له والحقيقي في طرفه الخارج فان له طرفين احدهما ان يصير الاجزاء اقرب في التساوي مما كان له
الى غير النهاية الا ان بعض مراتب الطرفين التي منها الاعتدال الحقيقي غير ممكن الوقوع فمن
قيل ان الوسط المعتبر هنا ان كان اضافيا لكان له عرض كعرض المزاج فلا يناسب وصفه بالحدة و

الدقة قلنا كما ان في عرض المزاج مرتبة هي افضل المراتب واقربها الى الاعتدال الحقيقي كذلك في مراتب
عرض الوسط للملكات مرتبة هي افضل المراتب واقربها الى الحقيقي وهي المطلوبة بالذات ولا
ريب في ان خصوص هذه المرتبة ليس له عرض وسعة فلا باس بوصفها بالدقة والحدة واما سائر
المراتب المعدودة من الوسط وان لم تكن خالية عن شوائب الافراط والتفريط الا انه لما
كان لها قرب محدود الى المرتبة المطلوبة بحيث يصدق معه كون النوع والشخص باقيا على كماله
اللائق به عدت من الاوساط والفضائل كما ان غير الاقرب الى الاعتدال الحقيقي من مراتب عرض
المزاج يعد من الاعتدال لكون النوع او الشخص معه باقيا محفوظا بحيث لا يظهر خلل بين
في افعاله وان لم يخل عن الانحراف ولو وصف هذه المراتب ايضا بالحدة والدقة مع سعتها
فوجهه ان وجدانها والثبات عليها لا يخلو ايضا من صعوبة

فصل

قد ظهر مما ذكر
انه بازاء كل فضيلة رذائل غير متناهية من طرف الافراط والتفريط وليس لكل منها اسم معين
ولا يمكن عد الجميع وليس على صاحب الصناعة حصر مثلها لان وظيفته بيان الاصول والقوانين
الكلية لا احصاء الاعداد الجزئية والقانون الكلي اللازم بيانه هو ان الانحراف عن الوسط اما
الى طرف الافراط او الى طرف التفريط فيكون بازاء كل فضيلة جنسان من الرذائل ولما كان
اجناس الفضائل اربعة فيكون اجناس الرذائل ثمانية اثنان بازاء الحكمة الجربزة والبله
والاول في طرف الافراط وهو استعمال الفكر فيما لا ينبغي او في الزائد عما ينبغي والثاني
في طرف التفريط وهو تعطيل القوة الفكرية وعدم استعمالها فيما ينبغي او في اقل منه و
الاولى ان يعبر عنهما بالسفسطة اي الحكمة المموهة والجهل اي البسيط منه لان حقيقة الحكمة هو
العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه وهو موقوف على اعتدال القوة العاقلة فاذا حصلت
لها حدة خارجة عن الاعتدال تخرج عن الحد اللائق وتستخرج امورا دقيقة غير مطابقة للواقع
والعلم بهذه الامور هو ضد الحكمة من طرف الافراط واذا حصلت لها بلادة لا تنتقل الى
شيء لا يحصل لها العلم بالحقائق وهذا هو الجهل وهو ضدها من طرف التفريط واثنان
بازاء الشجاعة التهور والجبن الاول في طرف الافراط وهو الاقدام على ما ينبغي الحذر عنه و
الثاني في طرف التفريط وهو الحذر عما ينبغي الاقدام عليه واثنان بازاء العفة وهما الشره و
الخمود والاول في طرف الافراط وهو الانهماك في اللذات الشهوية على ما لا يحسن شرعا وعقلا

ذكر ضابطة للأنواع المندرجة تحت أجناس الرذائل ولوازمها

الفصل الثالث

والثاني في طرف التفريط وهو سكون النفس عن طلب ما هو ضروري للبدن واثنان بإزاء
العدالة وهما الظلم والانظلام والأول في طرف الإفراط وهو التصرف في حقوق الناس و
أموالهم بدون حق والثاني في طرف التفريط وهو تمكين الظالم من الظلم عليه وانقياده له فيما يريده
من الجور والتعدي على سبيل المذلة هكذا قيل والحق أن العدالة مع ملاحظة ما لا ينفك عنه
من لوازمه له طرف واحد يسمى جورا وظلما وهو يشمل جميع ذمائم الصفات ولا يختص
بالتصرف في حقوق الناس وأموالهم بدون جهة شرعية لأن العدالة بهذا المعنى كما عرفت
عبارة عن ضبط العقل العملي جميع القوى تحت إشارة العقل النظري فهو جامع للكمالات
بأسرها فالظلم الذي هو مقابله جامع للنقائص بأسرها إذ حقيقة الظلم وضع الشيء
في غير موضعه وهو بناول جميع ذمائم الصفات والأفعال فتمكين الظالم من ظلمه لما كان
صفة ذميمة يكون ظلما على أن من مكن الظالم من الظلم عليه وانقاد له فيه فقد ظلم
نفسه والظلم على النفس أيضا من أقسام الظلم هذا هو بيان الطرفين لكل من الأجناس
الأربعة للفضيلة ثم لكل واحد من أجناس الرذائل والفضائل أنواع ولوازم من
الأخلاق والأفعال ذكرها علماء الأخلاق في كتبهم وقد ذكروا للعدالة أيضا أنواعا
وقد عرفت فيما تقدم أن تخصيص بعض الصفات بالاندراج تحتها مما لا وجه له إذ جميع
الرذائل والفضائل لا يخرج عن التعلق بالقوى الثلاث أعني العاقلة والغضبية والشهوية
وإن كان للقوة العملية مدخلية في الجميع من حيث التوسط فنحن ندخل الجميع تحت
أجناس القوى الثلاث من غير اندراج شيء منها تحت العدالة وقد عرفت أن بعضها
متعلق بالعاقلة فقط وبعضها بالقوة الغضبية فقط وبعضها بالشهوية فقط وبعضها
بالاثنين منها أو الثلاث معا فنحن نذكر ذلك في مقامات أربعة ولمزيد الإحاطة نشير هاهنا
إجمالا إلى أسماء الأجناس والأنواع واللوازم التي لكل جنس ونذكر أولا ما يتعلق
بالعاقلة ثم ما يتعلق بالغضبية ثم ما يتعلق بالشهوية ثم ما يتعلق بالثلاث والاثنين
منها ونذكر أولا الرذيلة ثم نشير إلى ضدها من الفضيلة إن كان له اسم ثم في باب
المعالجات نذكرهما بجنبه كل رذيلة من الأجناس والأنواع والنتائج ونذيلها بذكر
ضدها من الفضيلة ونذكر أولا جنسي الرذيلة لكل قوة ونذيلهما بضدهما الذي هو جنس

تفصيل الانواع المندرجة تحت اجناس الرذائل واللوازم المترتبة عليها

فضيلتها ثم نذكر الانواع والنتايج على النحو المذكور اى نذكر اولاً الرذيلة باحكامها ثم
نشير الى ضدها وما ورد فى مدحه ترغيباً للطالبين على اخذه والاجتناب عن ضده
ولذلك لم نتابع القوم فى التفريق بين الرذايل والفضايل وذكر كل منهما على حدة ثم بيان
الانواع واللوازم على ما ذكره اكثر القوم لا يخلو عن الاختلال اما فى التعريف والتفسير او
فى التفريق والتميز او فى الادخال تحت ما جعلوه نوعاً له او غير ذلك من وجوه الاختلال فنحن
لا نتبعهم فى ذلك ونبينها ادخالا وتميزا وتعريفا على ما يقتضيه النظر الصحيح فنقول اما جنسا
الرذيلة للقوة العاقلة فاولهما كما عرفت الجربزة والسفسطة وهى من طرف الافراط و
ثانيهما الجهل البسيط وهو من طرف التفريط وضدهما العلم والحكمة واما الانواع
واللوازم المترتبة عليهما فمنها الجهل المركب وهو من باب رداءة الكيفية ومنها الحيرة و
الشك وهو من طرف الافراط على ما قيل وضد الجهل المركب ادراك ما هو الحق او زوال
العلم بانه يعلم وضد الحيرة الجزم باحد الطرفين وبذلك يظهر ان اليقين ضد لكل منهما
لانه اعتقاد جازم مطابق للواقع فمن حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضداً للحيرة ومن
حيث اعتبار المطابقة للواقع يكون ضداً للجهل المركب ومنشأ حصول اليقين هو استقامة
الذهن وصفائه مع مراعاة شرايط الاستدلال ومنشأ الجهل المركب اعوجاج الذهن او
حصول الخطأ فى الاستدلال او وجود مانع من افاضة الحق كعصبية او تقليد وامثال
ذلك ومنشأ الحيرة هو قصور الذهن وكدورته او الالتهاب الموجب للتجاوز عن المطلب او
عدم الاحاطة بمقدماتها ومنها الشرك وضده التوحيد ومنها الوساوس النفسانية والخواطر
الباطلة الشيطانية وهذا ايضاً من باب رداءة الكيفية وكان الظاهر بعد ذلك من
رذايل قوتى الوهم والمتخيلة دون العاقلة اذ الغالب انها لا ينفك عن الاختلال
فيهما الا انك قد عرفت العذر فى ذلك وضدها الخواطر المحمودة التى من جملتها
الفكر فى بدايع صنع الله سبحانه وعجايب مخلوقاته ومنها استنباط المكر والحيلة للوصول
الى مقتضيات الشهوة والغضب وهو من طرف الافراط واما جنسا الرذايل للقوة الغضبية
فاولهما التهور وثانيهما الجبن وقد عرفت ان ضدهما من الفضيلة الشجاعة واما
الانواع واللوازم والنتايج المترتبة عليها فمنها الخوف وهو هيئة نفسانية موذية

تفصيل الانواع المندرجة تحت اجناس الرذائل وما يتفرع عليها من اللوازم

الفصل الثالث

تحدث من توقع مكروه او زوال المرغوب هو مذموم الا ما كان لاجل المعصية والخيانة او من الله وعظمته والمذموم من رذائل تلك القوة ومن نتايج الجبن وضده الامن و
الطمانينة والممدوح من فضائلها لكونه مقتضى العقل وضده الامن من مكر الله وهو
اى الممدوح من الخوف يلازم الرجا وضده الياس ومنها صغر النفس اى ملكة العجز عن
تحمل الواردات وهو من نتايج الجبن وضده كبر النفس اى ملكة التحمل لما يرد عليه كائنا
ما كان ومن جملة التحمل التحمل على الخوض في الاهوال وقوة الصفا ومنع الشدائد ومن
جملة الثبات الثبات في الايمان ومنها دنائة الهمة وهو القصور عن طلب معالى الامور
وهو من لوازم ضعف النفس وصغرها وضده علو الهمة الذى هو من لوازم كبر النفس و
شجاعتها اى السعى في تحصيل السعادة والكمال وطلب الامور العالية من دون ملاحظة
منافع الدنيا ومضارها ومن افراد علو الهمة الشهامة وياتى تفسيرها ومنها عدم
الغيرة والحمية اى الاهمال في ما يلزم محافظته ما يلزم حفظه وهو ايضا من نتايج صغر
النفس وضعفها وضده ظاهر ومنها العجلة وهو المعنى الراتب في القلب الباعث على
الاقدام على الامر باول خاطر من دون توقف فيه وهو ايضا من نتايج صغر النفس و
ضعفها وضدها الاناة والتانى والتعسف قريب من العجلة وضده اعنى التوقف
قريب من الاناة وياتى الفرق بينهما والوقار يشبه التانى والتوقف وهو اطمينان
النفس وسكونها عند الحركات والافعال في الابتداء والاثناء وهو من لوازم كبر النفس
وشجاعتها ومنها سوء الظن بالله تعالى وبالمؤمنين وهو من لوازم الجبن وضعف
النفس وربما كان من باب ردائة الكيفية فضده اعنى حسن الظن بهما من اثار الشجاعة وكبر النفس
ومنها الغضب وهو حركة نفسانية يوجب حركة الروح من الداخل الى الخارج للغلبة وهو من
باب الافراط وضده الحلم ومنها الانتقام وهو من نتايج الغضب وضده العفو و
منها العنف وهو ايضا من نتايج الغضب وضده الرفق ومنها سوء الخلق بالمعنى
الاخص وهو ايضا من نتايجه وضده حسن الخلق بالمعنى الاخص ومنها الحقد وهو
العداوة الكامنة اى ارادة الشر وقصد زوال الخير من المسلم وهو ايضا من ثمرات الغضب و
منها العداوة الظاهرة وضدهما النصيحة اى ارادة الخير والصلاح ودفع الشر والفساد عن كل

ايضا في تفصيل انواع الرذائل وذكر لوازمها المتفرعة عليها

سلم ثم للغضب والحقد لوازم هي الضرب والفحش واللعن والطعن ومنها العجب وهو استعظام
النفس وضده انكسارها واستحقارها ومنها الكبر وهو التعظم الموجب لرؤية النفس
فوق الغير وضده التواضع وهو ان لا يرى لنفسه مزية على الغير ومنها الافتخار وهو المباهات
بما يظنه كمالا وهو من شعب الكبر ومنها البغي وهو عدم الانقياد لمن يجب ان ينقاد وهو ايضا
من شعب الكبر وضده التسليم والانقياد لمن يجب انقياده واطاعته وقد يفسر بمطلق العلو والاستطالة
ومنها تزكية النفس وضده الاعتراف بنقايصها ومنها العصبية وهي الحماية عن نفسه وعما
ينتسب اليه بالباطل والخروج عن الحق ومنها كتمان الحق وضدهما الانصاف والاستقامة
على الحق ومنها القساوة وهو عدم التأثر عن مشاهدة تألم ابناء النوع وضده الرحمة و
اما جنسا الرذائل المتعلق بالقوة الشهوية فاحدهما الشره وثانيهما الخمود وضدهما
العفة واما الانواع والنتايج واللوازم المتعلقة بها فمنها حب الدنيا ومنها حب المال
وضدهما الزهد ومنها الغنى وضده الفقر ومنها الحرص وضده القناعة ومنها الطمع
وضده الاستغناء عن الناس ومنها البخل وضده السخاء وسيندرج تحته وجوه الانفاقات
باسرها ومنها طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه وضده الورع والتقوى بالمعنى الخاص و
منها الغدر والخيانة وضدهما الامانة ومنها انواع الفجور من الزنا واللواط وشرب
الخمر والاشتغال بالملاهي وامثالها ومنها الخوض في الباطل ومنها التكلم بما لا يعني و
بالفضول وضدهما الترك بالصمت او بالتكلم بما يعني بقدر الضرورة واما الرذائل والفضائل
المتعلقة بالقوى الثلث او باثنتين منها فمنها الحسد وضده النصيحة ومنها الايذاء و
الاهانة والاحتقار وضدها كف الاذى والاكرام والتعظيم والايذاء قريب من
الظلم بالمعنى الاخص واعم منه وضد الظلم بالمعنى الاخص العدالة بالمعنى الاخص ومنها اخافة المسلم و
ادخال الكرب في قلبه وضدهما ازالة الخوف والكرب عنه ومنها ترك اعانة المسلمين و
ضده قضاء حوائجهم ومنها المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وضده السعي
فيهما ومنها الهجرة والتباعد عن الاخوان وضده التالف والتزاور ومنها قطع الرحم
وضده الصلة ومنها عقوق الوالدين وضده البر اليهما ومنها تجسس العيوب وضده
الستر ومنها افشاء السر وضده الكتمان ومنها الافساد بين الناس وضده الاصلاح

بينهم ومنها الشماتة بمسلم ومنها المراء والجدل والخصومة وضدها طيب الكلام ومنها السخرية والاستهزاء وضدها المزاح ومنها الغيبة وضدها المدح ودفع الذم ومنها الكذب وضده الصدق وجميع آفات اللسان ممالة ضد خاص ومما ليس له ضد بخصوصه ضد عام هو الصمت ومنها حب الجاه والشهرة وضده حب الخمول ومنها حب المدح كراهة الذم وضده مساواتهما ومنها الرياء وضده الاخلاص ومنها النفاق وضده استواء السر والعلانية ومنها الغرور وضده الفطانة والعلم والزهد ومنها طول الامل وضده قصره ومنها مطلق العصيان وضده الورع والتقوى بالمعنى الاعم ومنها الوقاحة وضده الحياء ومنها الاصرار على المعصية وضده التوبة واقصى مراتبها الانابة والمحاسبة والمراقبة قريبة من التوبة في ضديتها للاصرار ومنها الغفلة وضدها النية والارادة ومنها الرغبة وضده السوق ومنها الكراهة وضده الحب ومنها الجفاء وضده الوفاء وهو من تمام الحب ومنها البعد ضده الانس ومن لوازمه حب الخلوة والعزلة ومنها السخط وضده الرضا وقريب منه التسليم ويسمى تفويضا بل هو فوق الرضا كما يأتي ومنها الحزن وضده السرور ومنها ضعف الوثوق والاعتماد على الله وضده التوكل ومنها الكفران وضده الشكر ومنها الجزع والهلع وضده الصبر ومنها الفسق وهو الخروج عن طاعة الله وعبادته وضده العبادة والطاعة ويندرج تحتها العبادات الموظفة في الشرع من الطهارة والصلوة والذكر وتلاوة القرآن والزكوة والخمس والصوم والحج والزيارات ونحن نذكر الزكوة والخمس في وجوه الانفاقات وما سواهما في العبادات **تنبيه** اعلم ان احصاء الفضائل والرذائل وضبطها وادخال البعض في البعض والاشارة الى القوة الموجبة له على ما فصلنا مما لم يتعرض له علماء الاخلاق بل انما تعرضوا لبعضها ويظهر من كلامهم في بعض المواضع المخالفة في الادخال والسر فيه ان كثيرا من الصفات لها جهات مختلفة كل منها يناسب قوة كما اشرنا اليه فالاختلاف في الادخال لاجل اختلاف الاعتبار للجهات وقد عرفت ان ما له جهات مختلفة يتعلق بالقوى المتعددة نحن نجعل مبدء الجميع نعده من رذائلها وفضائلها ولا نخصه بواحدة منها ثم بعض الصفات ربما كان ببعض الاعتبارات محمودا معدودا من الفضائل وببعض الاعتبارات معدودا من الرذائل وذلك كالمحبة والخوف والرجاء فان الحب ان كان متعلقا بالدنيا ومتعلقاتها كان مذموما معدودا من الرذائل وان كان متعلقا بالله

من الباب الثاني

ذكر الفارق بين الفضيلة والرذيلة

اوليائه كان محمودا معدودا من الفضائل والخوف ان كان مما لا يخاف منه عقلا كان من
رذائل قوة الغضب وان كان من المعاصي او من عظمة الله كان من فضائلها والرجاء ان لم يكن
في موقعه كان من الرذائل وان كان في موقعه كان من الفضائل وقس عليها غيرها مما له
الاعتبارات المختلفة **فصل** قد عرفت اجمالا ان الفضائل المذكورة ملكات مخصوصة
لها آثار معلومة وربما صدر عن بعض الناس افعال شبيهة بالفضائل وليست بها فلا بد
من بيان الفرق بينهما لئلا يشتبه على الغافل فيضل ويضل فنقول قد عرفت ان فضيلة الحكمة
عبارة عن العلم باعيان الموجودات على ما هي عليه وهو لا ينفك عن اليقين والطمأنينة فمجرد اخذ
بعض المسائل وتقريرها على وجه لائق من دون وثوق النفس واطمينانها ليست حكمة والآخذ
بمثله ليس حكيما اذ حقيقة الحكمة لا ينفك عن الاذعان القطعي واليقيني وهما مفقودان فيه
فمثله كمثل الاطفال في التشبه بالرجال وبعض الحيوانات في محاكاة ما للانسان من الاقوال و
الافعال واما فضيلة العفة فقد عرفت انها عبارة عن ملكة انقياد القوة الشهوية للعقل حتى
يكون تصرفها مقصورا على امره ونهيه فيقدم على ما فيه المصلحة وينزجر عما يتضمن المفسدة
بتجويزه ولا يخالفه في اوامره ونواهيه وينبغي ان يكون الباعث للاتصاف بتلك الملكة وصدور
آثارها مجرد كونها فضيلة وكمالا للنفس وحصول السعادة الحقيقية بها لا شيء آخر من دفع ضرر
او جلب نفع او اضطرار او الجاء فالاعراض عن اللذات الدنيوية لتحصيل الازيد من جنسها
ليس عفة كما هو شأن بعض تاركي الدنيا للدنيا وكذا الحال في تركها لخمود القوة وقصورها او ضعف
الآلة وفتورها او لحصول النفرة من كثرة تعاطيها او للحذر من حدوث الامراض والاسقام
او اطلاع الناس وتوبيخهم او لعدم درك تلك اللذات كما هو شأن بعض اهالي الجبال والبوادي
الى غير ذلك واما فضيلة الشجاعة فقد عرفت انها ملكة انقياد القوة الغضبية للعقل حتى
يكون تصرفها بحسب امره ونهيه ولا يكون الاتصاف بها وصدور آثارها الا لكونها كمالا و
فضيلة فالاقدام على الامور الهائلة والخوض في الحروب العظيمة وعدم المبالاة من الضرب و
القطع والقتل لتحصيل الجاه والمال والظفر بامرأة ذات جمال او للحذر من السلطان ومثله او
للشهرة بين ابناء جنسه ليست صادرة عن ملكة الشجاعة بل منشؤها اما رذيلة الشره او
الجبن كما هو شأن عساكر الجائرين وقاطعي الطريق والسارقين فمن اكثر خوضا في الاهوال واشد

الفصل الرابع

جرأة على الابطال للوصول الى شيء من تلك الاغراض فهو اكثر جبنا وحرصا لا اكثر شجاعة ونجدة وقس على ذلك الوقوع في المهالك والاهوال تعصبا عن الاقارب والاتباع وربما كان باعثه تكرر ذلك منه مع حصول الغلبة فاغتر بذلك ولم يبال بالاقدام اتكالا على العادة الجارية ومثله مثل رجل ذي سلاح لم يبال بالمحاربة مع طفل اعزل فان عدم الحذر عنه ليس لشجاعته بل لعجز الطفل ومن هذا القبيل ما يصدر عن بعض الحيوانات من الصولة والاقدام فانه ليس صادرا عن ملكة الشجاعة بل عن طبيعة القوة والغلبة وبالجملة الشجاع الواقعي ما كانت افعاله صادرة عن اشارة العقل ولم يكن له باعث سوى كونها جميلة حسنة فربما كان الحذر عن بعض الاهوال من مقتضيات العقل فلا ينافي الشجاعة وربما لم يكن الخوض في بعض الاخطار من موجباتها فينافيها ولذا قيل عدم الفزع من شدة الزلازل وتواتر الصواعق مع ذلك من علائم الجنون دون الشجاعة وايقاع النفس في الهلكات بلا داع عقلي وشرعي كتعرضه للسباع المؤذية او القاء نفسه من المواضع الشاهقة او في البحار والشطوط الغامرة من دون علم بالسباحة من امارات الحمق والحماقة ثم الشجاع الحقيقي من كان حذره من العار والفضيحة اكثر من خوفه من الموت والهلاك فمن لا يبالي بذهاب شرفه وفضيحة اهله وحرمه فهو من اهل الجنون والحماقة ولا يستحق اسم العقل والشجاعة كيف والموت عند الشجاع مع بقاء الفضيلة احسن من الحيوة بدونها ولذا يختار الموت الجميل على الحيوة القبيحة على ان الشجاعة في المبادي ربما كانت مؤذية وانما يظهر لذتها في العاقبة سيما اذا حصل بها الحماية على الدين والملة والذب عن العقائد الحقة فان الشجاع لحبه الجميل وثباته على الرأي الصحيح اذا علم ان عمره في معرض الزوال والدثور واثر الفعل الجميل يبقى على مر الدهور يختار الجميل الباقي على الرذائل الفاني فيحامي عن دينه وشريعته ولا يبالي بما يجد عنده غيره من ابناء الطبيعة لعلمه بان الجبان المقصر في حماية الدين ومقاومة جنود الشياطين ان بقي اياما معدودة فمع تكدرها بالذل والصغار يكون ذليلة ولا يرضى نفسه بالحرمان عن السعادة الباقية ولاجل ذلك قال اشجع ولد عدنان وسيد الابطال والشجعان عليه صلوات الله الملك الرحمان (ولذا قال فخر الشجعان وسيد ولد عدنان) لاصحابه ايها الناس انكم ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف على الراس اهون من ميتة على الفراش وبالجملة كل فعل يصدر عن الشجاع في اي وقت يكون مقتضى للعقل مناسبا لهذا الوقت واقعا في موقعه وله قوة التحمل على المصائب وملكة الصبر

على الشدائد والنوائب لا يضطرب من شدائد الامور ويستخف بما يستعظمه الجمهور واذا غضب كان
غضبه بمقتضى العقل وكان انتقامه مقصوراً على ما يستحسن عقلاً وشرعاً ولا يتعدى الى ما لا
ينبغي وليس مطلق الانتقام مذموماً فربما كان في بعض المواضع مستحسناً عند العقل والشرع
وقد صرح الحكماء بان عدم الانتقام ممن يستحقه يحدث في النفس ذبولاً لا يرفع الا بالانتقام وربما
ادى هذا الذبول الى بعض الرذائل المهلكة واما العدالة فقد عرفت انها عبارة عن انقياد القوى
العملية للعاقلة او امتزاج القوى وتسالمها وانقهارها جميعاً تحت العاقلة بحيث يرتفع بينها
التنازع والتجاذب ولا يغلب بعضها على بعض ولا يقدم على شيء غير ما يقتضيه العاقلة و
انما يتم ذلك اذا حصلت للانسان ملكة راسخة يصدر لاجلها جميع الافعال على نهج الاعتدال
بسهولة ولا يكون له غاية في ذلك سوى كونها فضيلة وكمالاً فمن يتكلف اعمال العدل رياء وسمعة
او لجلب القلوب او تحصيل الجاه والمال ليس عادلاً وقس على ذلك جميع انواع الفضائل المندرجة
تحت الاجناس المذكورة فانه بازاء كل منها رذيلة تشتبه به فينبغي لطالب السعادة ان يعرفها
ويجتنب عنها مثلاً السخاء عبارة عن ملكة سهولة بذل المال على المستحق مع كون الغاية الباعثة له عليه
مجرد كونه فضيلة وكمالاً دون الاغراض الاخر فبذل المال لتحصيل الازيد او لدفع الضرر او
نيل الجاه او للوصول الى شيء من اللذات الحيوانية ليس سخاوة وكذا بذله لغير المستحق والاسراف
في انفاقه فان المبذر جاهل بعظم قدر المال والاحتياج اليه في مواقع لولاه لادى الى تضييع
الاهل والعيال والعجز عن كسب المعارف وفضائل الاعمال وله دخل عظيم في ترويج احكام
الملة ونشر الفضيلة والحكمة ولذا ورد في الصحيفة السليمانية ان الحكمة مع الثروة يقظان
ومع الفقر نائم وربما كان منشأ التبذير عدم العلم بصعوبة تحصيل الحلال منه وهذا
يكون في الاغلب لمن يظفر بمال بغتة من ميراث وغيره مما لا يحتاج الى كد وعمل فان مثله
غافل عن صعوبة كسب الحلال منه اذ المكاسب الطيبة قليلة جداً وارتكابها للاحرار مشكل
ولذا ترى الافاضل الاحرار ناقصي الحظوظ منه شاكين عن بختهم واضدادهم على خلاف
ذلك لعدم مبالاتهم من تحصيله بأي نحو كان وقد قال بعض الحكماء ان تحصيل المال بمنزلة
نقل الحجر الى قلة الجبل وانفاقه كالقائه **فصل** العدالة اشرف الفضائل وافضلها
اذ قد عرفت انها كل الفضائل وما يلزمها كما ان الجور كل الرذائل وما يوجبها لانها

بيان شرف العدالة على سائر الفضائل

الفصل الخامس

هيئة نفسانية يقتدر بها على تعديل جميع الصفات والافعال ورد الزائد والناقص الى الوسط
وانكسار سورة التخالف بين القوى المتعادية بحيث يمتزج الكل ويتحقق بينها مناسبة واتحاد
تحدث في النفس فضيلة واحدة تقتضي حصول فعل متوسط بين افعالها المتخالفة وذلك كما
يحصل من حصول الامتزاج والوحدة بين الاشياء المتخالفة صورة وحدانية يصدر عنها فعل متوسط
بين افعالها المتخالفة فجميع الفضائل مترتبة على العدالة ولذا قال افلاطون الالهي العدالة اذا
حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء نفسه ويستضيء بعضها من بعض فينهض النفس
لفعلها الخاص على افضل ما يكون فيحصل لها غاية القرب الى مبدئها سبحانه ومن خواص العدالة
وفضيلتها انها اقرب الصفات الى الوحدة وشانها اخراج الواحد من الكثرات والتأليف بين
المتباينات والتسوية بين المختلفات ورد الاشياء من القلة والكثرة والنقصان والزيادة الى
التوسط الذي هو الوحدة فيصير المتخالفات في هذه المرتبة متحدة نوع اتحاد وفي غيرها يوجد
اطراف متخالفة متكاثرة ولا ريب في ان الوحدة اشرف من الكثرة وكلما كان الشيء اقرب اليها يكون
افضل واكمل وابقى وادوم ومن تطرق البطلان والفساد ابعد فالمتخالفات اذا حصل بينها
مناسبة واتحاد وحصل منها هيئة وحدانية صارت اكمل مما كان ولذا قيل كمال كل صفة ان يقارب
ضدها وكمال كل شخص ان يتصف بالصفات المتقابلة بجعلها متناسبة متسالمة وتاثير الاشعار الموزونة
والنغمات والايقاعات المتناسبة وجذب الصوت الجميلة للنفوس انما هو لوحدة التناسب ونسبة المساواة
في صناعة الموسيقى وغيرها اشرف النسب لقربها الى الوحدة وغيرها من النسب يرجع اليها و
بالجملة اختلاف الاشياء في الكمال والنقص بحسب اختلافهم في الوحدة والكثرة فاشرف الموجودات
هو الواحد الحقيقي الذي هو موجد الكل ومبدئه ويفيض نور الوحدة على كل موجود بقدر
استعداده كما يفيض عليه نور الوجود كذلك فكل وحدة من الوحدات جوهرية كانت او خلقية
او فعلية او عددية او مزاجية فهو ظل من وحدته الحقة وكلما كان اقرب اليها يكون اشرف وجودا
ولولا الاعتدال والوحدة العرضية التي هي ظل الوحدة الحقيقية لم يتم دائرة الوجود لان تولد
المواليد من العناصر الاربعة يتوقف على حصول الاتحاد والاعتدال وتعلق النفس الربانية
بالبدن انما هو لحصول نسبة الاعتدال ولذا يزول تعلقها به بزوالها بل للنفس عاشقية
لتلك النسبة الشريفة اينما وجدت والتحقيق انها معنى وحداني يختلف باختلاف محالها فهي في

فی ذکر متعلقات العدالة واقسامها ومایضعف بها الخلق وغیرها

الاجزاء العنصریة الممتزجة اعتدال مزاجی و فی الاعضاء حسن ظاهری و فی الکلام فصاحة
و فی الملکات النفسیة عدالة و فی الحرکات غنج و دلال و فی النغمات ابعاد شریفة لذیذة والنفس
عاشقة لهذا المعنی فی ای مظهر ظهر و بای صورة تجلی و بای لباس تلبس فانی احب
الحسن حیث وجدته وللحسن فی وجه الملاح مواقع والکثرة والقلة والنقصان والزیادة
یفسد الاشیاء اذا لم یکن بینها مناسبة یحفظ علیها الاعتدال والوحدة بوجه ما وفی
هذا المقام نفوح نفحات قدسیة یهتز بها نفوس اهل الجذبة والشوق و یتعطر منها
مشام اصحاب الوله والذوق فتعرض لها ان کنت اهلا لذلک واذا عرفت شرافة
العدالة وایجابها للعمل بالمساواة ورد کل ناقص و زائد الی الوسط فاعلم انها اما متعلقة
بالاخلاق والافعال او بالکرامات و قسمة الاموال و بالمعاملات والمعاوضات
او بالاحکام والسیاسات والعادل فی کل واحد من هذه الامور ما یحدث التساوی فیه برد
الافراط والتفریط الی الوسط ولا ریب فی انه مشروط بالعلم بطبیعة الوسط حتی یمکن
رد الطرفین الیه و هذا العلم فی غایة الصعوبة ولا یتیسر الا بالرجوع الی میزان معرف
للاوساط فی جمیع الاشیاء وما هو الا میزان الشریعة الالهیة الصادرة عن منبع الوحدة
الحقة الحقیقیة فانها هی المعرفة للاوساط فی جمیع الاشیاء علی ما ینبغی فی المتضمنة
لبیان تفاصیل جمیع مراتب الحکمة العملیة فالعادل بالحقیقة یجب ان یکون حکیما عالما
بالنوامیس الالهیة الصادرة من عند الله سبحانه لحفظ المساواة و قد ذکر علماء
الاخلاق ان العدول ثلثة الاول العادل الاکبر و هو الشریعة الالهیة الصادرة من
عند الله سبحانه لحفظ المساواة الثانی العادل الاوسط و هو الحاکم العادل التابع
للنوامیس الالهیة والشریعة النبویة فانه خلیفة الشریعة فی حفظ المساواة الثالث العادل
الصامت و هو الدینار لانه یحفظ المساواة فی المعاملات والمعاوضات بیان ذلک ان
الانسان مدنی بالطبع فیحتاج بعض افراده الی بعض آخر ولا یتم عیشهم الا بالتعاون فیحتاج
الزارع الی عمل التاجر و بالعکس والنجار الی عمل الصباغ و بالعکس و هکذا فیقع
بینهم معاوضات فلابد من حفظ المساواة بینها رفعا للتنازع والتشاجر ولا یمکن
حفظها بالاعمال لاختلافها بالزیادة والنقصان والقلة والکثرة وغیر ذلک وربما کان

فى ذكر العدول الثلثة وبيان تثليث اقسام العدالة

الفصل الخامس

ادنى عملا مساويا لعمل كثير كنظر المهندس فى تدبير صاحب الجيش فان نظرهما فى لحظة واحدة ربما ساوى عملا كثيرا لمن يعمل ويحارب فحفظ المساواة بينهما بالدينار والدرهم بان يقوم بهما الاعمال والاشياء المختلفة ليحصل الاعتدال والاستواء ويتبين وجه الاخذ والاعطاء ويصح المشاركات والمعاملات على نهج لا يتضمن افراطا وتفريطا قليل وقد اشير الى العدول الثلثة فى الكتاب الالهى بقوله سبحانه وَاَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَاَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَاْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ فان الكتاب اشارة الى الشريعة والميزان الى آله معرفة النسبة بين المختلفات ومنها الدينار والحديد الى سيف الحاكم العادل المقوم للناس على الوسط هذا والمقابل للعادل اعنى الجائر المبطل للتساوى ايضا اما جائر اعظم وهو الخارج عن حكم الشريعة ويسمى كافرا وجائر اوسط وهو من لا يطيع عدول الحكام فى الاحكام ويسمى طاغيا وباغيا وجائر اصغر وهو من لا يعمل على حكم الدينار فياخذ لنفسه اكثر من حقه ويعطى غيره اقل من حقه ويسمى سارقا وخائنا ثم العدالة على اقسام ثلثة احدها ما يجرى بين العباد وبين خالقهم سبحانه فانها لما كانت عبارة عن العمل بالمساواة على قدر الامكان والواجب سبحانه واهب الحيوة والكمالات وما يحتاج اليه كل حى من الارزاق والاقوات ووهب لنا فى عالم آخر من البهجة والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وما من يوم الا ويصل الينا من نعمه وعطاياه ما تكل الالسنة عن حصره وعده فيجب ان يكون له تعالى علينا حق يقابل به تلك النعم التى لا تحصى كثرة حتى يحصل عدالة فى الجملة اذ من اعطى خيرا ولم يقابله بضرب من المقابلة فهو جائر ثم المقابلة والمكافات تختلف باختلاف الاشخاص فان ما يؤدى به حق احسان السلطان غير ما يؤدى به حق احسان غيره فان مقابلة احسانه انما يكون بمثل الدعاء ونشر المحاسن ومقابلة احسان غيره يكون بمثل بذل المال والسعى فى قضاء حوائجه وغير ذلك والواجب سبحانه غنى عن معونتنا ومساعينا ولا يحتاج الى شىء من اعمالنا وافعالنا ولكن يجب علينا بالنظر الى شرع العدالة حقوق يحصل بها مساواة فى الجملة كمعرفته ومحبته وتحصيل العقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والاجتهاد فى امتثال ما جاءت به رسله وسفراؤه من الصوم والصلوة والسعى الى المواقف الشريفة وغير ذلك وان كان التوفيق لاداء

ذلك

ذكر بقية الاقسام الثلاثة للعدالة المترتبة على اخبار النبوة

ذلك كله من جملة نعمائه الا ان العبد اذا ادى ماله فيه مدخلية واختيار من وظائف الطاعة
وترك ما يقتضيه القدرة بتمكنه على تركه من المعاصي والسيئات يخرج عن الجور المطلق ولم يصدق
عليه انه جائر مطلق وان كان اصل تمكنه واختياره بل اصل وجوده وحيوته كلها من الله سبحانه
الثاني ما يجري بين الناس بعضهم لبعض من اداء الحقوق وتادية الامانات والنصفة
في المعاملات والمعاوضات وتعظيم الاكابر والرؤساء واغاثة المظلومين والضعفاء فهذا
القسم من العدالة يقتضي ان يرضى بحقه ولا يظلم احدا ويقيم كل واحد من ابناء نوعه على حقه
بقدر الامكان لئلا يجور بعضهم بعضا ويؤدي حقوق اخوانه المؤمنين بحسب استطاعته وقد
ورد في الحديث النبوي ان للمؤمن على اخيه ثلثين حقا لا براءة له منها الا بالاداء او العفو يغفر
زلته ويرحم غربته ويستر عورته ويقيل عثرته ويقبل معذرته ويرد غيبته ويديم نصيحته و
يحفظ خلته ويرعى ذمته ويعود مرضه ويشهد ميته ويجيب دعوته ويقبل هديته ويكافي صلته و
يشكر نعمته ويحسن نصرته ويحفظ حليلته ويقضي حاجته ويشفع مسئلته ويسمت عطسته و
يرشد ضالته ويرد سلامه ويطيب كلامه ويبر انعامه ويصدق اقسامه ويوالي وليه ولا يعاديه
وينصره ظالما ومظلوما فاما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه واما نصرته مظلوما فيعينه على اخذ
حقه ولا يسامه ولا يخذله ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ويكره له من الشر ما يكره لنفسه
الثالث ما يجري بين الاحياء وذوي حقوقهم من الاموات من اداء ديونهم وانفاذ وصاياهم
والترحم عليهم بالصدقة والدعاء وقد اشار خاتم الرسالة صلعم الى اقسام العدالة بقوله صلعم التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق الله وبقوله صلعم في خبر آخر الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولرسوله
ولعامة المؤمنين **ايقاظ** قد ظهر مما ذكر ان الكمال لكل شيء هو العدل والتوسط في
جميع صفاته وافعاله الباطنة والظاهرة سواء كانت مختصة بذاته او متوسطة بينه وبين ابناء
نوعه ولا تحصل النجاة والسعادة الا بالاستقامة على وسط الاشياء المتخالفة والتثبت على
مركز الاطراف المتباعدة فكن يا حبيبي جامعا للكمالات متوسطا بين مراتب السعادات ومركز الدائرة
نيل الافاضات فكن اولا متوسطا بين العلم والعمل جامعا بينهما بقدر الامكان ولا تكتف
باحدهما حتى تكون واحدا من الرجلين القاصمين لظهر فخر الثقلين وكن في العمل متوسطا بين
الظاهر والباطن فلا يكن باطنك خبيثا وظاهرك نقيا حتى تكون كشوهاء ملبسة بزي

الفصل الخامس

حوراء مدلّسة بأنواع التدليسات ولا بالعكس لتكون مثل درّة ملوّثة بأقسام القاذورات بل ينبغي أن يكون ظاهرك مرآة لباطنك حتى يظهر من محاسنك بقدر ما اقتضته ملكاتك الفاضلة الباطنة وكن في جميع ملكاتك الباطنة وأفعالك الظاهرة متوسطا بين الإفراط والتفريط على ما يقرع سمعك في هذا الكتاب ثم كن في العلوم متوسطا بين العلوم الباطنة العقلية والعلوم الظاهرة الشرعية فلا تكن من الذين قصروا أنظارهم على ظواهر الآيات ولم يعرفوا من حقائق البينات يذمّون علماء الحقيقة وينسبونهم إلى الإلحاد والزندقة ولا من الذين صرفوا أعمارهم في فضول أهل يونان وهجروا ما جاء به حامل الوحي والفرقان يذمّون علماء الشريعة ويثبتون لهم سوء القريحة يدعون لأنفسهم الذكاء والفطنة وينسبون ورثة الأنبياء إلى الجهل والبطالة ثم كن في العقليات متوسطا بين طرق العقلاء من غير جمود على واحدة منها بمجرد التقليد أو التعصب فتوسط بين الحكمة والكلام والإشراق والعرفان واجمع بين الاستدلال وتصفية النفس بالعبادة والرياضة فلا تكن متكلما صرفا لا تعرف سوى الجدل ولا مشائيا محضا أضاع الدين وأهمله ولا متصوفا استراح بدعوى المشاهدة والعيان من دون بينة وبرهان وكن في العلوم الشرعية متوسطا بين الأصول والفروع فلا تكن أخباريا تاركا للقواعد القطعية ولا أصوليا عاملا بقياسات عامية وقس على ذلك جميع أمورك الباطنة والظاهرة واعمل بما يرشدك إلى طريق السداد ويوفقك لاكتساب زاد المعاد

دفع

دفع الإشكال إن قيل قد تلخص مما ذكرت أن الفضيلة في جميع الأخلاق والصفات إنما هو المساواة من غير زيادة ونقصان مع أنه قد ثبت أن التفضل محمود وهو زيادة فلا يدخل تحت العدالة الراجعة إلى المساواة قلنا التفضل احتياط يقع لتحصيل القطع بعدم الوقوع في النقصان وليس الوسط في طرفين من الأخلاق على نهج واحد فإن الزيادة في السخاء إذا لم تؤد إلى الإسراف أحسن من النقصان عنه وأشبه بالمحافظة على شرائطه فالتفضل إنما يصدر عن فضيلة العدالة لأنها مبالغة فيها ولا يخرجها عن حقيقتها إذ المتفضل من يعطي المستحق أزيد مما يستحقه وهذه الزيادة ليست منفية بل هي العدالة مع الاحتياط فيها ولذا قيل إن المتفضل أفضل من العادل والمتموّن يعطي غير المستحق أو يترك المساواة بين المستحقين لأنه أنفق فيما لا ينبغي أو على ما لا ينبغي وصاحبه لا يسمى متفضلا بل مضيعا ولكون التفضل احتياطا إنما يحسن من الرجل بالنسبة إلى صاحبه في

اشارة الى الشروط المعتبرة في العدالة وان افضلها عدالة السلطان

المعاملة التي بينهما ولو كان بين جماعة ولم يكن له نصيب في ما يحكم فيه لم يسعه الا العدل المحض و
لم يجز له التفضل **تتميم** قد تلخص ان حقيقة العدالة ولازمها ان يغلب العقل الذي هو
خليفة الله على جميع القوى حتى يستعمل كلا منها فيما يقتضيه رايه فلا يفسد نظام العالم الانساني فان
الواجب سبحانه لما ركب الانسان بحكمته الحقة ومصلحته التامة من القوى الكثيرة المتضادة فهي اذا
هاجت وتغالبت ولم يقهرها قاهر حدث فيه بهيجانها واضطرابها انواع الشرور وجذبته
كل واحدة منها الى ما يقتضيه وتشتهيه كما هو الشان في كل مركب وقد شبه المعلم الاول مثله
بمن يجذب من جهتين حتى ينقطع وينشق بنصفين او من جهات كثيرة فينقطع بحسبها فيجب على
كل انسان ان يجاهد حتى يغلب عقله الذي هو الحكم العدل والحبر المطلق على قواه المختلفة ليرفع
اختلافها وتجاذبها ويقيم الجميع على الصراط القويم ثم كل شخص ما لم يعدل قواه وصفاته
لم يتمكن من اجراء احكام العدالة بين شركائه في المنزل والبلد اذ العاجز عن اصلاح نفسه
كيف يقدر على اصلاح غيره فان السراج الذي لا يضيء قريبه كيف يضيء بعيده فمن عدل
قواه وصفاته اولا واجتنب عن الافراط والتفريط واستقر على جادة الوسط كان مستعدا
لسلوك هذه الطريقة بين ابناء نوعه وهو خليفة الله في ارضه واذا كان مثله حاكما
بين الناس وكانت زمام مصالحهم في قبضة اقتداره تعمرت البلاد باهلها وصلحت امور العباد
باسرها وزاد الحرث والنسل ودامت بركات السماء والارض وغير خفي ان اشرف وجوه
العدالات واهمها وافضل صنوف السياسات واعمها هو عدالة السلطان اذ غيرها من
العدالات مرتبطة بها ولولاها لم يتمكن احد من رعاية العدالة كيف وتهذيب الاخلاق و
تدبير المنزل يتوقف على فراغ البال وانتظام الاحوال ومع جور السلطان امواج الفتن
متلاطمة وافواج المحن متراكمة وعواصف الزمان متزاحمة وبوائق الحدثان متصادمة و
طالبوا الكمال كالحيارى في الصحارى لا يجدون الى منازله سبيلا ولا الى حده مرشدا
ودليلا وعرصات العلم والعمل دارسة الآثار ومنازلهما مظلمة الارجاء والاقطار
فلا يوجد ما هو الملاك في تحصيل السعادات اعني تفرغ الخاطر والاطمينان وانتظام امر
المعاش الضروري لافراد الانسان ولذا لو تصفحت في امثال زماننا نواحي المدن
والبلاد واطلعت على بواطن فرق العباد لم تجد من الالوف واحدا تمكن من اصلاح

في بيان فضل المحبة على العدالة وذكر الترتيب في كسب الفضائل

نفسه ويكون يومه خيرا من امسه بل لا يجد دنيا الا وهو باك على فقد الاسلام واهله ولا طالبا الا وهو لعدم المكنة باق على جهله ولعمري ان هذا الزمان هو الزمان الذي اخبر عنه سيد الانام صلى الله عليه وآله وعترته الابرار الكرام عليه وعليهم افضل الصلوة والسلام من انه لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه وبالجملة المناط في تحصيل الكمالات واخراج النفوس من الجهالات هو عدالة السلطان واعتناؤه باعلاء الكلمة وسعيه في ترويج احكام الدين والملة ولذا ورد في الآثار ان السلطان اذا كان عادلا كان شريكا في ثواب كل طاعة تصدر عن كل رعيته وان كان جائرا كان سهيما في معاصيهم وقال سيد الرسل صلى الله عليه وآله اقرب الناس يوم القيمة الى الله تعالى الملك العادل وابعدهم عنه الملك الظالم وورد عنه صلى الله عليه وآله عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة والسر ان اثر عدل ساعة واحدة ربما يصل الى جميع المدن والامصار ويبقى على مر الدهور والاعصار وقال بعض الاكابر لو علمت انه يستجاب لي دعوة واحدة لخصصتها باصلاح حال السلطان حتى يعم نفعه **تنوير** لو استحكمت رابطة المحبة وعلاقة المودة بين الناس لم يحتاجوا الى سلسلة العدالة فان اهل الوداد والمحبة في مقام الايثار ولو كان بهم خصاصة فكيف يجور بعضهم على بعض والسر ان رابطة المحبة اتم واقوى من رابطة العدالة لان المحبة وحدة طبيعية جبلية والعدالة وحدة قهرية قسرية على انها لا تنتظم بدون المحبة لكونها باعثة للايجاد كما اشير اليه في الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فالمحبة هو السلطان المطلق والعدالة نائبها وخليفتها

وصل لاكتساب الفضائل ترتيب ينبغي ان لا يتعدى عنه وبيان ذلك ان مبادي الحركات المؤدية الى الكمالات اما طبيعية كحركة النطفة في الاطوار المختلفة الى بلوغ كمال الحيوانية او صناعية كحركة الخشب بتوسط الالات الى بلوغ كمال السريرية ثم الطبيعة وتحريكاتها لاستنادها الى المبادي العالية تكون متقدمة على الصناعة المستندة الى الانسان ولما كان كمال الثواني ان يتشبه بالاوائل فينبغي ان تقتدي الصناعة في تحريكاتها المؤدية الى كمالها بالطبيعة واذ ثبت ذلك فاعلم ان تهذيب الاخلاق لما كان امرا صناعيا لزم ان يقتفي في تحصيله من حيث الترتيب بافعال الطبيعة في ترتيب حصولها فنقول لا ريب في ان اول ما يحصل في الطفل قوة طلب الغذا واذا ازدادت تلك القوة

في اعتبار الترتيب في التكميل الصناعي على ترتيب الكمال الطبيعي

يبكي ويرفع صوته لاجل الغذا واذا قويت حواسه وتمكن من حفظ بعض الصور يطلب صورة الام او
الظئر وجميع ذلك متعلق بالقوة الشهوية وغاية هذه القوة وكمالها ان يتم ما يتعلق بالشخص
من الامور الشهوية وينبعث منه الميل الى استبقاء النوع فيحدث ميل النكاح والوقاع ثم تظهر فيه
آثار القوة الغضبية حتى يدفع عن نفسه ما يؤذيه ولو بالاستعانة الى غيره وغاية كمال هذه
القوة حصول التمكن من حفظ الشخص والاقدام على حفظ النوع فيحدث فيه الميل الى ما يحصل
به التفوق من اصناف الرياسات والكرامات ثم يظهر فيه آثار قوة التميز ويتزايد الى ان
يتمكن من تعقل الكليات وهنا يتم ما يتعلق بالطبيعة من التدبير والتكميل ويكون ابتداء
التكميل الصناعي فلو لم يحصل الاستكمال بالكسب والصناعة وبقي على هذه الحالة ولم يبلغ الى
الكمال الحقيقي الذي خلق الانسان لاجله لانه لم يخلق احد مجبولا على الاتصاف بجميع الفضائل
الخلقية الا من ايد من عند الله بالنفس القدسية وان كان لبعض الناس اكثر استعدادا
لتحصيل بعض الكمالات من بعض آخر فلا بد لكل الانام في تكميل نفوسهم من الكسب و
الاستعلا فظهر مما ذكر ان الطبيعة تولد اولا قوة الشهوة ثم قوة الغضب ثم قوة التميز فيجب
ان يقتدى به في التكميل الصناعي فيهذب اولا القوة الاولى ليكتسب العفة ثم الثانية ليتصف
بالشجاعة ثم الثالثة ليتحلى بالحكمة فمن حصل بعض الفضائل على الترتيب الحكمي كان تحصيل الباقي
له في غاية السهولة ومن حصله لا على الترتيب فلا يظن ان تحصيل الباقي حينئذ متعذر
بل هو ممكن وان كان اصعب بالنسبة الى تحصيله بالترتيب فان عدم الترتيب يوجب عسر
الحصول لا تعذره كما ان الترتيب يوجب يسره لا مجرد امكانه فلا يترك السعي والجد في كل
حال ولا ييأس من رحمة الله الواهب المتعال وليشمر ذيل الهمة على منطقة الطلب حتى
ييسر الله له الوصول الى ما هو المقصد والمطلب ثم الفضيلة ان كانت حاصلة لزم السعي في
حفظها وابقائها وان لم تكن حاصلة بل كان ضدها حاصلا وجب تحصيلها بازالة الضد و
لذا كان فن الاخلاق على قسمين احدهما راجع الى حفظ الفضائل وثانيهما نافع في دفع
الرذائل فيكون شبيها بعلم الطب من حيث انقسامه الى قسمين احدهما في حفظ الصحة و
ثانيهما في دفع المرض ولذا يسمى طبا روحانيا كما ان الطب المتعارف يسمى طبا جسمانيا و
من هنا كتب جالينوس الى روح الله عليه السلام من طبيب الابدان الى طبيب النفوس فكما ان

لكل من حفظ الصحة ودفع المرض في الطب الجسماني علاجا خاصا فكذلك لكل من حفظ الفضائل
وازالة الرذائل في الطب الروحاني معالجات معينة كما نذكره ان شاء الله تعالى

الباب الثالث

في طريق حفظ اعتدال الاخلاق المحمودة واستحصالها بازالة نقايضها المذمومة وفيه فصول

فصل قد تقرر في الطب الجسماني ان حفظ الصحة بايراد المثل وملايم المزاج فيجب ان يكون حفظ
اعتدال الفضائل ايضا بذلك وايراد المثل لحفظ اعتدالها يكون بامور منها اختيار مصاحبة
الاخيار والمعاشرة مع اولي الفضائل الخلقية واستماع كيفية سلوكهم مع الخالق والخليقة
والاجتناب عن مجالسة الاشرار وذوي الاخلاق السيئة والاحتراز عن استماع قصصهم
وحكاياتهم وما صدر عنهم من الافعال وزخرفاتهم فان المصاحبة من كل احد اقوى باعث
على الاتصاف باوصافه فان الطبع يسرق من الطبع كلا من الخير والشر والسر ان النفس الانسانية
ذات قوى بعضها يدعو الى الخيرات والفضائل وبعضها يقتضي الشرور والرذائل و
كلما حصل لاحدها ادنى باعث لما تقتضيه جبلته مال اليه وغلب على صاحبه الا ان الخير
لكون دواعي الشر من القوى اكثر من بواعث الخير منها يكون الميل الى الشر اسرع واسهل
بالنسبة الى الميل الى الخير ولذا قيل ان تحصيل الفضائل بمنزلة الصعود الى الاعالي وكسب
الرذائل بمثابة النزول عنها والى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وآله حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات ومنها اعمال القوى في شرايف الصفات والمواظبة على الافعال التي هي آثار فضائل
الملكات وحمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق الذي يريد حفظه فالحافظ لملكة
الجود يجب ان يواظب على انفاق المال وبذله على المستحقين ويقهر على نفسه عند وجدان
ميلها الى الامساك والحافظ لملكة الشجاعة يجب ان لا يترك الاقدام في الاخطار والاهوال
بشرط اشارة العقل ويغضب على نفسه عند وجدان الجبن منها وهكذا الحال في ساير الصفات
وهذا بمثابة الرياضة الجسمانية في حفظ الصحة البدنية ومنها ان يقدم التروي على كل ما
يفعله لئلا يصدر عنه غفلة خلاف ما يقتضيه الفضيلة ولو صدر عنه احيانا خلاف
مقتضاها فليؤدب نفسه بارتكاب ما يضاده ويشق عليها عقوبة بعد تعييرها وتوبيخها كما اذا
اكل ما يضره من المطاعم فليؤدبها بالصوم واذا صدر عنه غضب مذموم في واقعة فليؤدبها
بايقاعها في مثلها مع الصبر عليها او في معرض اهانة السفهاء حتى يكسر جاهها او

يؤديها بارتكاب ما يشق عليها من النذر والصدقة وغير ذلك وينبغي ان لا يترك الجد والسعي في
التحصيل والحفظ وان بلغ الغاية لان التعطيل يؤدي الى الكسالة وهي لانقطاع فيوضات عالم
القدس فينسلخ القوة الانسانية ويحصل الهلاكة الابدية والسعي يوجب ازدياد تجرد النفس و
صفائها والانس بالحق والالف بالصدق فيتنفر عن الكذب في الباطل ويتصاعد في مدارج الكمالات
ومراتب السعادات حتى ينكشف عليه الاسرار الالهية والغوامض الربانية ويتشبه بالروحانيات
القادسة وينخرط في سلك الملائكة المقدسة ويجب ان يكون سعيه في امور الدنيا بقدر الضرورة و
يحرم على نفسه تحصيل الزائد لانه لا شقاوة اشد من صرف الجوهر الباقي النوراني في تحصيل
الخزف الفاني الظلماني الذي يفوت عنه وينتقل الى اعدائه من الوراث وغيرهم ومنها ان يحترز عما
يهيج الشهوة والغضب رؤية وسماعا وتخيلا ومن هيجهما كمن هيج كلبا عقورا وفرسا شموسا
ثم يضطر الى تدبير الخلاص عنه واذا تحركا بالطبع فليقتصر في تسكينهما بما يسد الخلة ولا
بد منه في حفظ الصحة وهو القدر الذي يجوزه العقل والشريعة ومنها ان يستقصي في طلب خفايا
عيوب نفسه واذا عثر على شيء منها اجتهد في ازالته ولما كانت النفس عاشقة لصفاتها وافعالها
فكثيرا ما يخفى عليها بعض عيوبها فيلزم على كل طالب للصحة وحافظها ان يتخذ بعض اصدقائه
ليتفحص عن عيوبه ويخبره بما اطلع عليه واذا اخبره بشيء منها فليفرح وليبادر الى ازالته حتى
يثق صديقه بقوله ويعلم ان اهداء شيء من عيوبه اليه احسن عنده من كل ما يحبه ويهواه وربما كان
العدو في هذا الباب انفع من الصديق لان الصديق ربما يستر العيب ولا يظهره والعدو مصر على اظهاره بل
ربما يتجاوز الى البهتان فاذا اظهر الاعداء عيوبه فليشكر على ذلك وليبادر الى دفعها وقمعها
ومما ينفع في المقام ان يجعل صور الناس مرايا العيوب ويتفقد عيوبهم واذا عثر على عيب منهم
تامل في قبحه ويعلم ان هذا العيب اذا صدر عنه يكون قبيحا ويدرك غيره هذا القبح فليجتهد في ازالته
وينبغي ان يحاسب نفسه في اخر كل يوم وليلة ويتفحص عن جميع ما صدر من الافعال فيهما فان لم
يصدر عنه شيء من القبائح والذمائم فليحمد الله على حسن تاييده وان صدر عنه شيء من ذلك
فليعاتب نفسه ويتوب ويجتهد في ان لا يصدر عنه بعد ذلك مثله **تنبيه** قد تبين ان للطب
الروحاني اسوة بالطب الجسماني والقانون في معالجة الامراض الجسمانية ان يعرف جنس
المرض اولا ثم الاسباب والعلامات ثم يتبين كيفية العلاج والعلاج فيه اما كلي يتناول جميع

بيان ضابطة انواع الامراض النفسانية والانحرافات الخلقية

الامراض وجزئي يختص ببعض دون بعض فكان الحال في الطب الروحاني ونحن نشير الى ذلك في
فصول **فصل ٢** الامراض النفسانية هي انحرافات الاخلاق عن الاعتدال وطريق معرفتها انك
قد عرفت ان القوى الانسانية محصورة في انواع ثلثة احدها قوة التميز وثانيها قوة الغضب ويعبر عنها
بقوة الدفع وثالثها قوة الشهوة ويعبر عنها بقوة الجذب وانحراف كل منها اما في الكمية او في
الكيفية والانحراف في الكمية اما للزيادة عن الاعتدال او للنقصان عنه والانحراف في الكيفية
انما يكون برداءتها فامراض كل قوة اما بحسب الافراط والتفريط او بحسب رداءة الكيفية فالافراط
في قوة التميز كالجربزة والدهاء والتجاوز عن حد النظر والمبالغة في التفكير والتوقف في غير
موضعه للشبه الواهية والحكم على المجردات بقوة الوهم واعمال الذهن في ادراك ما لا يمكن دركه
والتفريط فيه كالبلاهة وقصور النظر عن درك الواجب مقدار اللازم كاجراء احكام المحسوسات على المجردات
والرداءة كالسفسطة في الاعتقادات والميل الى العلوم الغير اليقينية كعلم الجدل والخلاف
ازيد مما يعين على اليقينيات واستعمالها في مقام اليقينيات والشوق الى علم الكهانة والشعبذة
وامثالهما للوصول الى الشهوات الخسيسة واما الافراط في قوة الدفع كشدة الغضب والغيظ
وفرط الانتقام بحيث يتشبه بالسباع واما التفريط كعدم الغيرة والحمية والتشبه بالاطفال
والنسوان في الاخلاق والصفات واما الرداءة فيها كالغيظ على الجمادات والبهائم او على
الناس لا بسبب موجب للانتقام واما الافراط في قوة الجذب فكالحرص على الاكل والجماع
ازيد من قدر الضرورة والتفريط فيه فكالفتور عن تحصيل الاقوات الضرورية وتضييع العيال
والخمود عن الشهوة حتى ينقطع عنه النسل واما الرداءة فيها كشهوة البطن والميل الى مقاربة
الذكور ثم انك قد عرفت ان اجناس الفضائل اربعة فاجناس الرذائل بحسب الكمية
ثمانية لكل فضيلة ضدان كل منهما ضد للاخر وبحسب الكيفية اربعة ويحصل من تركيبها
وامتزاجها انواع واصناف لا تعد كثرة كما عرفت اكثرها **فصل ٣** اعلم ان اسباب الانحراف
في الاخلاق اما نفسية حاصلة في النفس في بدو فطرتها او حادثة من مزاولتها للاعمال
الردية او جسمية وهي الامراض الموجبة لبعض الملكات الردية والسر في ذلك ان النفس لما
كانت متعلقة بالبدن علاقة ارتباطية فيتأثر كل منهما بتأثر الاخر وكل كيفية تحدث في
احدهما تسري في الاخر كما ان غضب النفس وعشقها يوجب اضطراب البدن وارتعاشه وتا

البدن بالامراض سيما اذا حدثت فى الاعضاء الرئيسة يوجب لنقص فى ادراك النفس وفساد تخيلها وكثيرا ما يحصل من بعض الامراض السوداوية فساد الاعتقاد والجبن وسوء الظن ومن بعضها التهور ويحصل من اكثر الامراض سوء الخلق **فصل** سبب الانحراف ان كان مرضا جسمانيا فيجب ان يبادر الى ازالته بالمعالجات الطبية وان كان نفسانيا فالمعالجة الكلية هنا كالمعالجة الكلية فى الطب الجسمانى فالمعالجة الكلية فيه ان يعالج المرض اولا بالغذاء الذى هو ضد المرض طبعا كان يعالج المرض البارد بالغذاء الحار فان لم ينفع فبالدواء وان لم ينجع فبالسموم وان لم يحصل بها البرء فبالكى او القطع وهو آخر العلاج فالقانون الكلى فى المعالجة هنا ايضا كذلك وهو ان يبادر بعد معرفة الانحراف الى تحصيل الفضيلة التى هى ضده والمواظبة على الافعال التى هى آثارها وهذا بمنزلة الغذاء المضاد للمرض فكما ان حصول الحرارة فى المزاج يدفع البرودة الحادثة فيه فكذا كل فضيلة تحدث فى النفس يزيل الرذيلة التى هى ضدها فان لم ينفع فليوبخ النفس ويعيرها على هذه الرذيلة فكرا وقولا وعملا ويعاتبها ويخاطب بلسان الحال والمقال ايتها النفس الامارة قد هلكت و تعرضت لسخط الله وغضبه وعن قريب تعذبين فى النار مع الشياطين والاشرار فان لم يؤثر ذلك فليرتكب آثار الرذيلة التى هى ضد هذه الرذيلة بشرط محافظة التعديل فصاحب الجبن مثلا يعمل اعمال المتهورين فيخوض فى المخاوف والاهوال ويلقى نفسه فى موارد الحذر والاخطار وصاحب البخل يكثر من بذل الاموال بشرط ان يكف اذا قرب زوال الجبن والبخل لئلا يقع فى التهور والاسراف وهذا بمنزلة المداواة بالسم فان لم ينفع ذلك لقوة استحكام المرض فليعذب النفس بانواع التكاليف الشاقة و الرياضات المتعبة المضعفة للقوة الباعثة على هذه الرذيلة وهذا بمثابة الكى والقطع وهو آخر العلاج **تنبيه** لما عرفت المعالجة الكلية الشاملة لجميع الرذائل باجناسها وانواعها واصنافها فلنشتغل الان لبيان معالجة كل من الرذائل بخصوصه وقد عددنا قبل ذلك ما يتعلق بالقوى الثلث من الرذائل واضدادها من الفضائل مما له اسم مشهور فههنا نذكر معالجة كل رذيلة بخصوصها ونذيله بذكر ما يضاده من الفضيلة وما ورد فى مدحه عقلا ونقلا لان العلم بمعرفة كل فضيلة وحسنها اعون شئ على ازالة ما يضاده من الرذيلة وربما كان جملة من الرذائل المختلفة فى الاسم مشتركة فى المعالجة وربما كان للرذائل والفضائل المتعددة ضد واحد فنحن نشير الى ذلك ونشير ايضا فى تلو كل رذيلة وفضيلة الى ما يتولد من افعال

العلاج الكلى لانحراف النفس

ذكر المعالجات الخاصة

في تدبير العلاج للانحرافات المتعلقة بالقوة العاقلة الجهل وغيره

الجوارح مع معالجته ان كان له ذلك ونراعي الترتيب المذكور في مقام الاجمال فنذكر اولا ما يتعلق بالقوة العاقلة من الجنسين وانواعهما ثم ما يتعلق بالقوة الغضبية ثم ما يتعلق بالشهوية ثم ما يتعلق بالثلث والاثنين منها فهنا اربع مقامات

المقام الاول في معالجة الرذائل المتعلقة بالقوة العاقلة اما جنسا رذائلها فاولهما الجربزة الموجبة للخروج في الفكر عن الحد اللايق وعدم استقامة الذهن على شيء بل لا يزال يستخرج امورا دقيقة غير مطابقة للواقع ويتجاوز عن الحق ولا يستقر عليه وربما ادى في العقليات الى الالحاد وفساد الاعتقاد بل الى نفي حقايق الاشياء راسا كما للسوفسطائية وفي الشرعيات الى الوسواس وعلاجه بعد تذكر قبحه وايجابه للهلاكة ان يكلف نفسه على الاستقامة على مقتضى الادلة المعتبرة عند اولي الافهام المستقيمة ولا يتجاوز عن معتقدات اهل الحق المعروفين بالتحقيق واستقامة القريحة ولا يزال يكلف نفسه على ذلك حتى يعتاد القيام على الوسط وربما كان للاشتغال بالتعليميات نفع في ذلك وثانيهما الجهل البسيط وقد عرفت انه من باب التفريط وهو خلو النفس عن العلم من دون اعتقاد بكونها عالمة وهو في البداية غير مذموم لتوقف التعلم عليه اذ ما لم يعتقد النفس جهلها بالمعارف لم ينتهض لتحصيلها واما الثبات عليه فهو من المهلكات العظيمة والطريق في ازالته امور الاول ان يتذكر ما يدل على قبحه ونقصه عقلا وهو ان يعلم ان الجاهل ليس انسانا بالحقيقة وانما يطلق عليه الانسان مجازا اذ فضل الانسان عن ساير الحيوانات انما هو ادراك الكلي المعبر عنه بالعلم لمشاركتها معه في ساير الامور من الجسمية والقوى الغضبية والشهوية والصوت وغير ذلك فلولا علمه بحقايق الاشياء وخواصها لكان حيوانا بالحقيقة ولذا ترى ان من كان في محل مجاورات العلماء وكان جاهلا بانواعهم لم يكن فرق بينه وبين البهائم بالنسبة اليهم واي هلاك اعظم من الخروج عن حدود الانسانية والدخول في حد البهيمية الثاني ان يتذكر ما ورد في الشريعة من الذم عليه مثل قوله صلعم سيتبدل خلو في النار ويتعل الحساب يسيته وعد منهم اهل الرساتيق بالجهالة الثالث ان يتذكر ما يدل على فضيلة العلم عقلا ونقلا كما نذكره واذا وقف على جميع ذلك فليتيقظ عن سنة الغفلة ويصرف في ازالته الهمة ويجتهد في تحصيل العلم عن اهاليه ويصرف فيه ايامه ولياليه

فصل قد علمت ان ضد الجنسين اي الجربزة والسفسطة والجهل

ذكر فضيلة العلم وشرافة الحكمة وبيان رغبة في العلم

من البالث

هو الحكمة اعنى العلم بحقايق الاشياء فلنذكر اولاً بعض ما يدلّ على شرافته عقلاً ونقلاً ترغيباً بل للطالبين على السّعى فى تحصيله وازالة الجهل عن نفوسهم فنقول لا ريب فى انّ العلم افضل الفضايل الكمالية واشرف النعوت الجمالية بل هو اجلّ الصّفات الرّبوبية واجمل السّمات الالوهية وهو الموصل الى جوار ربّ العالمين والدّخول فى افق الملائكة المقرّبين وهو المؤدّى الى دار المقامة التى لا تزول ومحلّ الكرامة التى لا تحول وقد تطابق العقل والبرهان واجماع ارباب الاديان على انّ السّعادة الابدية والقرب من الله سبحانه لا يتيسّر الّا بهما واى شيء افضل ممّا هو ذريعة اليهما وايضاً قد ثبت فى الحكمة المتعالية انّ العلم والتجرّد متلازمان فكلّما ازداد النفس علماً ازداد تجرّدا ولا ريب فى انّ التجرّد اشرف الكمالات المتصوّرة للانسان اذ به يحصل التشبّه بالملاء الاعلى واهل القرب من الله تعالى ومن جملة العلوم معرفة الله التى هى السّبب الكلّى لايجاد العالم العلوى والسّفلى كما دلّ عليه الخبر القدسى كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق على انّ العلم لذيذ فى نفسه محبوب فى ذاته وما يحصل منه من اللّذة والابتهاج قلّما يحصل من غيره والسّر فيه انّ ادراك الاشياء والاحاطة بها نوع تملّك وتصرّف لها اذ تتقرّر فى ذات المدرك حقايقها وصورها ومثل هذا التملّك لدوامه وجزئيته المدرك للمدرك اقوى من ملكية الاعيان المباينة عن ذات المالك المزايلة عنه والتحقيق انّ اطلاق الملكية عليه مجازى والنفس لكونها من سنخ عالم الرّبوبية تحبّ التفهّر والاستيلاء على الاشياء والمالكية لها باىّ نحو كان اذ معنى الرّبوبية التوحّد بالكمال والاقتدار والغلبة على الاشياء ثمّ من فوايد العلم فى الدّنيا العزّ والاعتبار عند الاخيار والاشرار ونفوذ الحكم على الملوك وارباب الاقتدار فانّ طباع الانام من الخاصّ والعام مجبولة على تعظيم اهل العلم وتوقيرهم ووجوب اطاعتهم واحترامهم بل جميع الحيوانات من البهايم والسّباع مطيعة للانسان مسخّرة له لاختصاصه بقوّة الادراك ومزيد التميز ولو تصفّحت احاد النّاس لم تجد احداً له تفوّق وزيادة على غيره فى جاه او مال وغير ذلك الّا وهو راجع الى اختصاصه بمزيد تميز وادراك ولو كان من باب المكر والحيل هذا وما يدلّ على شرافة العلم من الايات والاخبار اكثر من ان يحصى بهذه منها قوله تعالى اِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ وقوله تعالى هَلْ يَسْتَوِى الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَ

ذكر بعض الآيات والأخبار الدالة على فضيلة العلم والحكمة

الذين لا يعلمون وقوله تعالى وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد اُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا وقوله تعالى وَتِلكَ الاَمثَالُ
نَضرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعقِلُهَا اِلَّا العَالِمُونَ وقول النبي صلعم اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول
الله من خلفائك قال الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي وقوله صلعم العلماء ورثة الانبياء وقوله صلعم لابي ذر جلوس
ساعة عند مذاكرة العلم احب الى الله تعالى من قيام الف ليلة يصلي في كل ليلة الف ركعة واحب اليه
من الف غزوة ومن قراءة القرآن كله اثنى عشر الف مرة وخير من عبادة سنة صيام نهارها وقيام
ليلها ومن خرج من بيته يلتمس بابا من العلم كتب الله عز وجل له بكل قدم ثواب نبي من الانبياء
وثواب الف شهيد من شهداء بدر واعطاه الله بكل حرف يسمع او يكتب مدينة في الجنة وطالب العلم
يحبه الله ويحبه الملائكة والنبيون ولا يحب العلم الا السعيد وطوبى لطالب العلم والنظر في
وجه العالم خير من عتق الف رقبة ومن احب العلم وجبت له الجنة ويصبح ويمسي في رضى الله ولا
يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من ثمرة الجنة ولا يأكل الدود جسده ويكون
في الجنة رفيق خضر عليه السلام وقول امير المؤمنين عم ان كمال الدين طلب العلم والعمل به وان
طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال وان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم
وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه وقوله عم اذا مات المؤمن وترك ورقة
واحدة عليها علم تكون تلك الورقة سترا بينه وبين النار واعطاه الله بكل حرف عليها مدينة
اوسع من الدنيا سبع مرات وقول سيد الساجدين علي بن الحسين عم لو يعلم الناس ما في
طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج وقول الباقر عم عالم ينتفع بعلمه افضل من
سبعين الف عابد وقول الصادق عم لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا اعينهم الى
ما متع به الاعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم اقل عندهم مما يطؤن
بارجلهم ولتنعموا بمعرفة الله وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع اولياء
الله ان معرفة الله تعالى انس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة
من كل ضعف وشفاء من كل سقم قد كان قوم قبلكم يقتلون ويحرقون وينشرون ويضيق عليهم
الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا
اذى بما نقموا منهم الا ان يُؤمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ فاسئلوا ربكم درجاتهم واصبروا
على نوائب دهركم تدركوا سعيهم وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عم عن النبي صلعم انه قال طلب العلم

بقية الكلام في فضل العلم وذكر الأمور المعتبرة مع المتعلم

فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله تعالى حسنة وطلبه
عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله لانه
معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمونس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة و
المحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع
الله به اقواما ويجعلهم في الخير قادة يقتبس اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى ارائهم ترغب
الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلوتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى
حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حيوة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة
وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاخرة
والاولى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب وبه يعبد وبه يوصل الارحام
ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى
لمن لم يحرمه الله من حظه **تنبيه** لكل من التعلم والتعليم اداب وشروط **اما اداب**
التعلم فمنها ان يجتنب المتعلم عن اتباع الشهوات والهوى والاختلاط بابناء الدنيا
ولقد قال بعض الاكابر كما ان الحاسة الجليدية اذا كانت موفرة بهد وبخوه فهي محرومة من
الاشعة الفائضة عن الشمس كذلك البصيرة اذا كانت ماوفة بمتابعة الشهوات والهوى و
المخالطة بابناء الدنيا فهي محرومة من ادراك الانوار القدسية ومحجوبة عن ذوق اللذات
الانسية ومنها ان يكون تعلمه لمجرد التقرب الى الله والفوز بالسعادات الاخروية ولم يكن
باعثه شيئا من المراء والمجادلة او المباهاة والمفاخرة او الوصول الى جاه ومال او
التفوق على الاقران والامثال قال الباقر عم من طلب العلم ليباهى به العلماء او يمارى به
السفهاء او يصرف به وجوه الناس فليتبوء مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها و
طلبة العلم ثلثة
قال الصادق عم فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه
للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء موذي ممار متعرض
للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق
الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل
على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله

توضيح الشروط المعتبرة مع المتعلم وذكر ما يعتبر في التعليم

المقول الاول

على هذا اخبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه ومنها ان يعمل بما يعلم ويعلم فان من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم وقال الصادق عم العلم مقرون بالعمل من علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه وعن المسيح عم مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزد صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا وعن النبي صلعم من اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجى ومن اراد به الدنيا فهي حظه وعنه صلعم العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتاذون من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله وادخله الجنة وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الامل ينسي الاخرة ومنها ان يحافظ شرائط الخضوع والادب للمعلم ولا يرد عليه شيئا بالمواجهة ويكون محبا له بقلبه ولا ينسى حقوقه لانه والده المعنوي الروحاني وهو اعظم الاباء الثلثة قال الصادق عم اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم هذا وقد اشرنا سابقا الى ان اللازم لكل متعلم ان يطهر نفسه اولا من رذائل الاخلاق وذمائم الاوصاف باسرها اذ ما لم يجرد لوح نفسه عن النقوش الرديّة لم يشرق عليه لمعان انوار العلم والحكمة من الواح العقول الفعالة القدسية **واما اداب التعليم** فمنها ان يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه ولم يكن له فيه باعث دنيوي من طمع مال او جاه ورياسة او شهرة بين الناس بل يكون الباعث مجرد التقرب الى الله تعم والوصول الى المثوبات الابدية فان من علم غيره علما كان شريكا في ثواب تعليم هذا الغير الاخر وفي ثواب تعليم هذا الاخر لغيره وهكذا الى غير النهاية فيصل بتعليم واحد الى مثوبات التعاليم الغير المتناهية وكفى بهذا له فضلا وشرفا ومنها ان يكون مشفقا على المتعلم ناصحا له مقتصرا في الافادة على قدر فهمه متكلما معه باللين والمساهلة لا بالغلظة والفظاظة ومنها ان لا يفيض العلم من اهله ويمنعه من غير اهله

في نبذة من آداب التعليم والاخبار الواردة فيه وما ذكر في اختلاف العلوم في الشرف

فان بذل الحكمة للجهال ظلم عليها ومنعها عن اهلها ظلم عليهم كما ورد في الخبر ومنها ان يقول فيما يعلم
ويسكت عما لا يعلم حتى يرجع الى من يعلمه ولا يجبر المتعلمين بتبيان خلاف الواقع وهذا الشرط لا يختص بالمعلمين
بل يعم كل من يتصدى عن المسائل العلمية كالمفتي والقاضي وامثالهما وقال الباقر ع حق الله على العباد ان
يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون وقال الصادق ع ان الله تع خص عباده بآيتين من كتابه
ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا فقال أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا
يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وقال بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ
وعنه ع اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا
واذا قال المسؤول لا ادري فلا يتهمه السائل وعنه ع اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك
اياك ان تفتي الناس برأيك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر ع من افتى الناس بغير علم ولا هدى
من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ويلحقه وزر من عمل بفتياه وربما كان لكل من المتعلم
والمعلم آداب اخر يظهر لمن وقف على فن الاخلاق ثم العارف باهل زماننا يعلم ان آداب التعلم
والتعليم كسائر الآداب والفضائل بينهم مهجورة والاوامر في مثل هذا الزمان كما قال بعض في وصفه
اهل العرفان قد فسد الزمان واهله وتصدى للتدريس من قل علمه وكثر جهله فانحطت
مرتبة العلم واصحابه واندرست مراسمه بين طلابه

تتميم العلم كله وان كان كمالا
للنفس وفي نفسه سعادة الا ان فنونه متفاوتة في الشرافة والجمال ووجوب التحصيل وعدمه فان بعضها كالطب
والهندسة والعروض والموسيقى وامثالها مما يرجع حاصل فائدته الى الدنيا ولا يحصل بها مزيد بهجة وسعادة
في العقبى ولذا عدت من علوم الدنيا دون الآخرة ولا يجب تحصيلها وربما وجب تحصيل بعضها كفاية
وما هو علم الآخرة الواجب تحصيله واشرف العلوم واحسنها هو العلم الالهي المعرف لاصول الدين وعلم
الاخلاق المعرف لمنجيات النفس ومهلكاتها وعلم الفقه المعرف لكيفية العبادات والمعاملات والعلوم التي مقدمات
لهذه الثلثة كالعربية والمنطق وغيرهما يتصف بالحسن ووجوب التحصيل من باب المقدمة وهذه
الثلثة وان وجب اخذها اجمالا الا انها في كيفية الاخذ مختلفة فعلم الاخلاق يجب اخذه عينا
على كل احد على ما بينه الشريعة واوضحه علماء الاخلاق وعلم الفقه يجب اخذ بعضه عينا اما بالدليل
او التقليد من مجتهد حي والتارك للطريقين غير معذور ولذا ورد الحث الاكيد على التفقه في
الدين قال الصادق ع عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر

في ان العلم الالهي اشرف العلوم

ذكر توافق الشرع مع العقل وبيان اصول العقائد ومراتب الاعتقاد

المقصد الاوّل

الى يوم القيمة ولم يزل له عملاً وقال ليت السياط على رؤس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام
وقال عم انّ الكذاب ان يخبرك بخبر السّماء والارض والمشرق والمغرب فاذا سئلته عن حرام الله وحلاله
لم يكن عنده شيء واما اصول العقائد فيجب اخذه عينا من الشّرع والعقل وهما متلازمان لا يتخلّف
مقتضى احدهما عن مقتضى الآخر اذ العقل هو حجّة الله الواجب امتثاله والحاكم العدل الّذي يطابق
احكامه الواقع ونفس الامر فلا يرد حكمه ولولاه لما عرف الشّرع ولذا ورد انّه ما ادّى العبد فرائض الله
حتى عقل عنه ولا يبلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما يبلغ العاقل فهما متعاضدان ومتظاهران
وما يحكم به احدهما يحكم به الآخر ايضًا وكيف يكون مقتضى الشّرع مخالفا لمقتضى ما هو حجّة قاطعة
واحكامه للواقع مطابقة فالعقل هو الشّرع الباطن والنّور الدّاخل والشّرع هو العقل الظّاهر و
النّور الخارج وما يتراءى في بعض المواضع من التخالف بينهما انّما هو لقصور العقل او لعدم ثبوت ما
ينسب الى الشرع منه فانّ كل عقل ليس تامّا وكلّما ينسب الى الشرع ليس ثابتا منه فالمناط هو العقل
الصحيح وما ثبت قطعًا من الشّريعة واصح العقول واقويها وامتنها واصفاها هو عقل صاحب الوحي
ولذا يدرك بنور نبوّته ما لا سبيل لامثال عقولنا الى دركه كتفاصيل احوال النشأة الآخرة فاللّازم
في مثله ان ناخذه منه اذعانا وان لم نعرف ماخذه العقلي ثمّ ما اجتمعت الامّة المختارة عليه
من اصول العقائد هو انّ الواجب سبحانه موجود وانّه واحد في الالوهيّة وبسيط عن شوائب
التركيب ومنزّه عن الجسميّة وعوارضها وان وجوده وصفاته عين ذاته وانّه متقدّس على الزّمان
والمكان ومتعال عنهما وانّه حيّ قديم ازليّ قادر مريد عالم بجميع الاشياء وعلمه بها بعد ايجادها
كعلمه بها قبله ولا يزداد باحداثها علما وان قدرته عامة بالنّسبة الى جميع الممكنات وانّه يخلق
ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يكون شيء الّا بمشيّته وانّه عادل في حكمه صادق في وعده وبالجملة
مستجمع لجميع الصّفات الكماليّة وليس كمثله شيء ولا يتصوّر عقل ولا وهم مثله بل هو تام فوق
التّمام وانّ القرآن كلامه ومحمّد صلعم رسوله وما اتى به من امور النّشأة الآخرة من الجنّة والحساب و
الثواب والعقاب والصّراط والميزان والشفاعة وغير ذلك مما ثبت في الشريعة المقدّسة حقّ ثابت
فيجب على كلّ مؤمن ان ياخذ بجميع ذلك ويتشبّث به بجدّ باطنه بحيث لو اورد عليه ما ينقضه لم يقبله
ولم يعرضه شكّ وريب ثمّ انّ المكلّفين مختلفون في كيفيّة التصديق والاذعان بالعقائد المذكورة
فبعضهم فيها على يقين مثل ضوء الشّمس بحيث لو كشف عنهم الغطاء ما ازدادوا يقينا وبعضهم على يقين

بيان اختلاف مراتب الاعتقاد وذكر ما لابد منه من اليقين

من الباب الثالث

دون ذلك واقل هؤلاء رتبة ان تصل مرتبة يقينهم الى طمانينة لا اضطراب فيها وبعضهم على
مجرد تصديق ظنى يتزلزل من الشبهات والقاء المشككين والى هذا الاختلاف اشار الامام محمد بن
على الباقر عليه السلام بقوله ان المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنين ومنهم على ثلث و
منهم على اربع ومنهم على خمس ومنهم على ستة ومنهم على سبع فلو وهبت على صاحب الواحدة ثنتين لم
يقو وعلى صاحب الثنتين ثلثا لم يقو الخ والامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام بقوله ان للايمان حالات و
درجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهى تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزائد
رجحانه ولا ريب فى ان تحصيل ما يطمئن به القلب فى العقائد الواجبة احد ما لابد منه لكل
مكلف ومجرد التصديق من غير اطمينان القلب غير كاف للنجاة الاخروية والوصول الى مراتب المؤمنين
ومع حصول الاطمينان يحصل النجاة والفوز بالفلاح وان لم يكن حصوله من تفاصيل البراهين الحكمية
والدلائل الكلامية بل كان حاصلا من دليل اجمالى برهانى او اقناعى اذ الشرع الشريف لم يكلف
باكثر من التصديق الجزم بظاهر العقائد المذكورة ولم يكلف البحث والتفتيش عن كيفيتها و
حقايقها وعن تكلف ترتيب الادلة فى نظمها فلو حصل لاحد طمانينة فى اتصاف الواجب بجميع
الصفات الكمالية وبرائته عن الصفات السلبية بمجرد ان عدم الاتصاف بالاولى والاتصاف
بالثانية نقص لا يليق بذاته الاقدس كان كافيا فى النجاة والدخول فى زمرة المؤمنين وكذا اذا حصل
له ذلك بمجرد ان هذا مما اتفق عليه فرق الانبياء واساطين الحكماء والعلماء وقوة عقولهم ودقة
افهامهم يابى عن اتفاقهم على محض الخطاء وقس على ذلك الغير مما يفيد الاطمينان كائنا ما كان
قال العلامة الطوسى ره فى بعض تصانيفه اقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول
لا اله الا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول ينبغى ان يصدقه فى صفات الله واليوم الآخر
وتعيين الامام المعصوم وكل ذلك مما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد وبرهان اما فى صفات الله فانه
حى عالم قادر مريد متكلم ليس كمثله شىء وهو السميع البصير واما فى الآخرة فبالايمان بالجنة و
النار والصراط والميزان والحساب والشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات و
ان الكلام والعلم وغيرهما حادث او قديم بل لو لم يخطر هذه بباله ومات مات مؤمنا فان
غلب على قلبه شك او اشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند
المتكلمين ولا مرضيا فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة

والجواب مهما ذكرت الشبهة لا تؤمن ان تتشبث بالخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن ادراك
جوابها اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله ولذا ورد الزجر عن البحث و
التفتيش والكلام وانما زجر ضعفاء العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع
العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطئ الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه
يضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف
عقل يظن انه يقدر على ادراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات
من حيث لا يشعرون فالصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا يسمح الاعصار الا بواحد
منهم او اثنين من تجاوز سلوك اهل العلم في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله
واخبر به رسول الله صلعم فمن اشتغل بالخوض فيه فقد اوقع نفسه في شغل شاغل اذ قال رسول الله صلعم
حين راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه ابهذا امرتم تضربون كتاب الله
بعضه ببعض انظروا فيما امركم الله فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على منهج الحق
ثم لا ريب في ان نورانية اليقين ووضوحه بل واطمينان القلب وسكونه لا يحصل من مجرد صنعة
الجدل والكلام كما لا يحصل من محض التلقين وتقليد العوام بل الاول اعني الاستضاءة بنور
اليقين يتوقف على ملازمة الورع والتقوى وفطام النفس عن الهوى وازالة كدرها وصداها و
قد افلح من زكيها وتطهيرها عن ذمائم الصفات والاشتغال بسياق الرياضة والمجاهدات حتى
يقذف في قلبه نور الهي ينكشف به الحجب والاستار عن حقائق هذه العقائد وهو غاية مقصد الطالبين و
قرة عيون الصديقين والمقربين وله درجات ومراتب والناس فيه مختلفون بحسب اختلافهم في
القوة والاستعداد والسعي والاجتهاد كما هم مختلفون في ادراك انواع العلوم والصنائع وكل ميسر
لما خلق له واما الثاني اعني مجرد الاعتقاد الجازم الراسخ بظواهر تلك العقائد فيمكن ان يحصل بما
دون ذلك بان يشتغل بعد تلقين هذه العقائد والتصديق بها بوظائف الطاعات ويصرف برهة من وقته في
شرائف العبادات ويواظب على تفسير القران وتلاوته ودرس الحديث ودرايته ويحترز عن مخالطة
اولي المذاهب الفاسدة وذوي الاراء الباطلة بل يجتنب كل الاجتناب عن مرافقة ارباب الهوى و
اصحاب الشر والشقاء ويختار مصاحبة اهل الورع واليقين ومجالسة الاتقياء والصالحين وملاحظة
سيماهم وسيرهم وهيئاتهم في الخضوع لله والاستكانة فيكون التلقين كالقاء البذر في الصدر وهذه و

بيان الأنواع المندرجة تحت جنس الرذائل المتعلقة بالقوة العاقلة

الامور كالشئ والرتبة له فيمود ذلك لبدنها ويتقوى ويزداد رسوخا حتى يصير كشجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء ثم من وصل الى مقام العقيدة الجازمة ان اشتغل بالشواغل الدنيوية ولم يشتغل بالرياضة والمجاهدة لم ينكشف له غيره ولكنه اذا مات مات مؤمنا ناجيا على وسلم في الاخرة وان اشتغل بتصقيل النفس وارتياضها انشرح صدره وانفتح له باب الافاضة ووصل الى المرتبة الاولى **اما الانواع المتعلقة بالعاقلة** فمنها الجهل المركب وهو خلو النفس عن العلم اصلا او اذعانها بما هو خلاف الواقع مع اعتقاد كونها عالمة بما هو الحق فصاحبه لا يعلم ولا يعلم انه لا يعلم ولذا سمي مركبا وهو اشد الرذائل واصعبها وازالته في غاية الصعوبة كما هو ظاهر من حال بعض الطلبة وقد اعترف اطباء النفوس بالعجز عن معالجته كبعض الامراض المزمنة ولذا قال عيسى ع اني لا اعجز عن معالجة الاكمه والابرص واعجز عن معالجة الاحمق والسر فيه ان رسوخ قصور النفس بهذا الاعتقاد الفاسد لا يتنبه على نقصانها فلا يتحرك للطلب فيبقى في الضلالة الى الردى ما دام باقيا في دار الدنيا ثم المنشأ له ان كان اعوجاج السليقة فانفع العلاج له تحريصه على تعلم العلوم الرياضية من الهندسة والحساب فانها موجبة لاستقامة الذهن لالفه لاجلها بالقياس فيتنبه على خلل اعتقاده فيرجع عن جهله بسرعة فيتنهض للطلب وان كان خطأه في الاستدلال فليوازن استدلاله لاستدلالات اهل التحقيق والمشهورين باستقامة القريحة ويعرض ادلته على القواعد الميزانية باحتياط تام واستقصاء بليغ حتى يظهر خطاؤه وان كان وجوده مانع من عصبية او تقليد او غير ذلك فليجتهد في ازالته ومنها الشك والحيرة وهو من باب دائرة الكيفية وهو عجز النفس عن تحقيق الحق وابطال الباطل في المطالب الخفية والغالب حصوله من تعارض الادلة ولا ريب انه مما يهلك النفس ويفسدها اذ الشك ينافي اليقين الذي لا يتحقق الايمان بدونه قال امير المؤمنين ع في بعض خطبه لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا وكان الارتياب في كلامه مبدء الشك وقال الباقر ع لا ينفع مع الشك والجحود عمل وقال الصادق ع ان الشك والمعصية في النار ليسا منا ولا الينا وسئل ع عن قول الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال الشك وقال من شك في الله تعالى بعد مولده على الفطرة لم يفئ الى خير ابدا وقال ع من شك او ظن فاقام على احدهما احبط الله عمله ان حجة الله تعالى هي الحجة الواضحة وقال ع من شك في الله تعالى وفي رسوله فهو كافر وبمضمونه وردت اخبار اخر وغير خفي ان المراد بالشك ما يضعف الاعتقاد ويزيل اليقين

اشارة الى الجهل المركب والشك والتحيّر في علاجهما وبيان حقيقة اليقين

المقام الاول

لا بمجرد الوسوسة وحديث النفس لما ياتي انه لا باس في الايمان بل الظاهر من بعض الاخبار ان ايجاب الشك للكفر اذا انجر الى الجحود كما روي ان ابا بصير سئل عن الصادق ع ما تقول فيمن شك في الله تعالى قال كافر قال فشك في رسول الله ص قال كافر ثم التفت الى زرارة فقال انما يكفر اذا جحد ثم علاجه ان يتذكر اولا قضية بديهية هي ان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ومنه يعلم اجمالا ان احد الشقوق العقلية المتصورة في المطلب ثابت في الواقع وفي نفس الامر والبواقي باطلة ثم يتصفح المقدمات المناسبة للمطلب ويعرضها على الاقيسة المنطقية باستقصاء بليغ واحتياط تام في كل طرف حتى يقف على موضع الخطأ ويجزم بحقية احد الشقوق وبطلان الاخر والغرض من وضع المنطق سيما مباحث قياسات السوفسطائية المشتملة على المغالطات ازالة هذا المرض ولو كان ممن لا يقتدر على ذلك فالعلاج في حقه ان يواظب على العبادة وقراءة القرآن ويشتغل بمطالعة الاحاديث وسماعها من اهلها ومجالس الصلحاء والمتقين واصحاب الورع واهل اليقين ليكتسب نفسه بذلك نورانية يدفع بها ظلمة شكه **وصل** قد عرفت ان ضد الجهل المركب والحيرة والشك هو اليقين واول مراتبه اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غير زائل بالشبهة وان قويت فالاعتقاد الذي لا يطابق الواقع ليس يقينا وان جزم به صاحبه واعتقد مطابقته للواقع بل هو كما اشير اليه جهل مركب ينشأ عن اعوجاج القريحة او خطأ في الاستدلال او حصول مانع من افاضة الحق كتقليد او عصبية وغير ذلك فاليقين من حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضدا للحيرة والشك ومن حيث اعتبار المطابقة للواقع فيه يكون ضدا للجهل المركب ثم العلم ان لم يعتبر فيه المطابقة للواقع فرق عن اليقين ظ والا فيتحدان ويتشاركان في المراتب المثبتة لليقين هذا ومتعلق اليقين اما اجزاء الايمان ولوازمه من وجود الواجب وصفاته الكمالية وسائر المباحث الالهية من النبوة واحوال النشأة الاخرة او غيرها من حقائق الاشياء التي يتم الايمان بدونها ولا ريب في ان مطلق اليقين اقوى اسباب السعادة وان كان اليقين في المباحث الالهية ادخل في تكميل النفس وتحصيل السعادة الاخروية لتوقف الايمان عليه بل هو اصله وركنه وغيره من المراتب فرعه وغصنه والنجاة في الاخرة لا تحصل الا به والفاقد له خارج عن زمرة المؤمنين داخل في حزب الكافرين وبالجملة اليقين اشرف الفضائل الخلقية واهمها وافضل الكمالات النفسية واعظمها وهو الكبريت الاحمر الذي لا يظفر به الا اوحدي من اعاظم العرفاء او المعدود من اكابر الحكماء ومن وصل اليه فاز بالرتبة القصوى والسعادة

العظمى قال سيد المرسلين ص من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من
صيام النهار وقيام الليل وقال ص اليقين الايمان كله وقال ص ما آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان
غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه
ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال الصادق ع ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل عند الله تعالى من
العمل الكثير على غير يقين وعنه ع ان الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل
الهم والحزن في الشك والسخط وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا
بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه ثم لاصحاب اليقين علامات منها ان لا يلتفت في اموره الى غير الله
سبحانه ولا يكون اتكاله في مقاصده الا عليه ولا ثقته في مطالبه الا به فيتبرى عن كل حول وقوة سوى
حول الله وقوته ولا يرى لنفسه ولا لابناء جنسه قدرة على شيء ولا منشائية لاثر ويعلم ان ما
عليه منه وما قدر له وعليه من الخير والشر سيأتي اليه فيستوي عنده حالتا الوجود والعدم والزيادة
والنقصان والمدح والذم والفقر والغنى والصحة والمرض والعز والذل ولم يكن له خوف ورجاء الا
منه تعالى والسر فيه انه يرى الاشياء كلها من عين واحدة هو مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسايط لانها
مسخرة تحت حكمه قال الامام ابو عبد الله ع من ضعف يقينه تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع
العادات واقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا
مانع ولا معطي الا الله وان العبد لا يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله
وقلبه قال الله سبحانه يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ وقال ع ليس شيء
الا وله حد قيل فما حد التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله شيئا وعنه ع
من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم بما لم يؤته الله فان الرزق لا يسوقه
حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ولو ان احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما
يدركه الموت ومنها ان يكون في جميع الاحوال خاضعا لله سبحانه خاشعا منه قائما بوظايف خدمته في
السر والعلن مواظبا على امتثال ما اعطته الشريعة من الفرايض والسنن متوجها بسرائره اليه متخضعا
متذللا بين يديه معرضا عن جميع ما عداه مفرغا قلبه عما سواه منصرفا بفكره الى جنابه قد صار مستغرقا في
لجة حبه وانسه والسر ان صاحب اليقين عارف بالله وعظمته وقدرته وبان الله تعالى مشاهد لاعماله
وافعاله مطلع على خفايا ضميره وهواجس خاطره وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره فيكون دائما في مقام الشهود لديه والحضور بين يديه فلا ينفك لحظة عن الحياء والخجلة

المقام الاول

الاشتغال بوظايف الادب والخدمة ويكون سعيه في تخلية باطنه عن الرذائل وتحليته بالفضائل لتعين
الله الكاملة اشد من تزيين ظاهره لابناء نوعه وبالجملة من يقينه بمشاهدته تعالى لاعماله الباطنة
والظاهرة وبالجزاء والحساب يكون ابدا في مقام امتثال اوامره واجتناب نواهيه ومن يقينه بما فعل
الله في حقه من اعطاء ضروب النعم والاحسان يكون دائما في مقام الانفعال والخجلة والشكر لنعمه
الحقيقي ومن يقينه بما يعطي المؤمنين في الدار الآخرة من البهجة والسرور وما اعده لخلص عبيده مما
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد يكون دائما في مقام الطمع والرجاء ومن يقينه
باستناد جميع الامور اليه سبحانه وبان سد رما يصدر في العالم انما يكون بالحكمة والمصلحة والعناية الازلية
الراجعة الى النظام الخير يكون ابدا في مقام الصبر والتسليم والرضا بالقضاء من دون عروض تغير وتفاوت
في حاله ومن يقينه بكون الموت داهية من دواهي العظمى وما بعده اشد وادهى يكون ابدا محزونا مهموما
ومن يقينه بخساسة الدنيا وفنائها لا يركن اليها قال الصادق عليه السلام كان في الكنز الذي قال الله تعالى وكان تحته
كنز لهما بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن ايقن بالدنيا وتقلبها باهلها كيف يركن اليها ومن يقينه بعظمة الله الباهرة وقوته
القاهرة يكون دائما في مقام الهيبة والدهشة وقد ورد ان سيد الرسل صلى الله عليه وآله كان من شدة خضوعه
وخشوعه لله تعالى وخشيته منه تعالى بحيث اذا كان يمشي يظن انه يسقط على الارض ومن يقينه بكمالاته الغير
المتناهية وكونه فوق التمام يكون دائما في مقام الشوق والوله والحب وفي حكايات اصحاب اليقين
من الانبياء والمرسلين والاولياء والكاملين في الخوف والشوق وما يعتريهم من الاضطراب والتغير
والتلون وامثال ذلك في الصلوة وغيرها مشهورة وفي كتب التواريخ والسير مسطورة وكذا ما
يأخذهم من الوله والاستغراق والابتهاج والانبساط بالله سبحانه وحكاية حصول الغشيات المتكررة لمولانا
امير المؤمنين عليه السلام في اوقات الخلوات والمناجات عن نفسه في الصلوات مما تواتر عند الخاصة والعامة وكيف
يتصور لصاحب اليقين الواقعي بالله وبعظمته وجلاله وباطلاعه تعالى على دقائق احواله ان يعصيه في
حضوره ولا يحصل له الا نهاية الخشية والدهشة وحضور القلب والتوجه التام اليه عند القيام
لديه والمناجاة بين يديه مع انا نرى ان الحاضر عند من له ادنى شوكة مجازية من الملوك والامراء مع
رذالته وخساسته اولا واخرا يحصل له من الانفعال والدهشة والتوجه اليه بحيث يغفل عن
ذاته ومنها ان يكون مستجاب الدعوات بل صاحب الكرامات وخرق العادات والسر ان النفس
كلما ازدادت يقينا ازدادت تجردا فيحصل لها ملكة التصرف في مواد الكائنات قال

تفصيل مراتب اليقين وتمثيل لكل مرتبة بما يقربها وتنبيه

ذكر مراتب اليقين

ابو عبد الله الصادق ع ان اليقين يوصل العبد الى كل حال سني و مقام عجيب كذلك اخبر رسول الله ص من عظم
شان اليقين حين ذكر عنده ان عيسى بن مريم ع كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهوى فهذا الخبر
دل على ان الكرامات تزداد بازدياد اليقين و ان الانبياء مع جلالة محلهم من الله متفاوتون في قوة اليقين
و ضعفه و قد ظهر مما ذكر ان اليقين جامع جميع الفضائل و لا ينفك عن شيء منها ثم لليقين مراتب اولها علم
اليقين و هو اول مراتبه و هو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع كما هو يحصل من الاستدلال باللوازم و
الملزومات و مثاله اليقين بوجود النار من مشاهدة الدخان و ثانيها عين اليقين و هو مشاهدة المطلوب
و رؤيته بعين البصيرة و الباطن و هو اقوى في الوضوح و الجلاء من المشاهدة بالبصر و الى هذه المرتبة
اشار امير المؤمنين ع بقوله لم اعبد ربا لم اره بعد سؤال ذعلب اليماني عنه ع ارايت ربك و بقوله ع
راى قلبي ربي و هو انما يحصل من الرياضة و التصفية و حصول التجرد التام للنفس و مثاله اليقين بوجود
النار برؤيتها عيانا و ثالثها حق اليقين و هو ان تحصل وحدة معنوية و ربط حقيقي بين العاقل و المعقول
بحيث يرى العاقل ذاته رشحة من المعقول و مرتبطا به غير منفك عنه و تشاهد ذاته بعينها ببصيرته الباطنة فيضان الانوار
و الآثار منه اليه و مثاله اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير الاحتراق و هذا انما يكون لحمل
العارفين بالله المستغرقين في لجة حبه و انس المشاهدين ذاته بل سائر الموجودات من رشحات فيضه
الاقدس و هم الصديقون الذين قصروا ابصارهم الباطنة على ملاحظة جماله و مشاهدة انوار جلاله و
حصول هذه المرتبة يتوقف على مجاهدات شاقة و رياضات قوية و ترك رسوم العادات و قطع اصول الشهوات
و قلع الخواطر النفسانية و منع الهواجس الشيطانية و التطهر عن ادناس جيفة الطبيعة و التنزه عن زخارف الدنيا
الدنية و بدون ذلك لا يحصل هذا النوع من اليقين و المشاهدة و كيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها
و ما طهرتها بالمدامع ثم فوق ذلك مرتبة يثبتها بعض اهل السلوك و يعبرون عنه بحقيقة حق اليقين
و الفناء في الله و هو ان يرى العارف ذاته مضمحلا في انوار الله متحيرا في سبحات وجهه بحيث لا يرى
استقلالا و لا تحصيلا اصلا و مثاله اليقين بوجود النار بدخوله فيها و احتراقه منها ثم لا ريب
في ان اليقين الحقيقي النوراني المبرى عن ظلمات الاوهام و الشكوك و لو كان من المرتبة الاولى لا يحصل
من مجرد الفكر و الاستدلال بل يتوقف حصوله على الرياضة و المجاهدة و تصقيل النفس و تصفيتها عن
كدورات رذائل الاخلاق و صداها ليحصل لها التجرد التام فيحاذي شطر العقل الفعال فينفتح فيها
جلية الحق حق الاتضاح و الآسرار ان النفوس بمنزلة المرآت ينعكس اليها صور الموجودات من العقل الفعال
و لا ريب في ان انعكاس الصور من ذوات الصور الى المرآة يتوقف على تمامية شكلها و صقالة جوهرها

ذكر السر المعتبر في انعكاس حقايق الاشياء في النفس وصيرورتها مرآة للعالم الربوبي

حصول المقابلة وارتفاع الحايل بينهما والظفر بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة فيجب في انعكاس حقايق
الاشياء من العقل الى النفس عدم نقصان جوهرها فلا يكون كنفس الصبي الذي لا ينجلي لها المعلومات
لنقصانها وصفاؤها عن كدورات ظلمة الطبيعة واخباث المعاصي وهو بمنزلة النقاء عن الخبث والصدأ و
توجهها التام وانصراف فكرها الى المطلوب فلا يكون مستوعب الهم بالامور الدنيوية واسباب المعيشة و
غيرهما من الخواطر المشوشة لها وهو بمنزلة المحاذات وتخليتها عن التعصب والتقليد وهو بمثابة ارتفاع
الحجب واستحصال المطلوب من تاليف مقدمات مناسبة للمطلوب على الترتيب المخصوص والشرايط المقررة و
هو بمنزلة العثور على الجهة التي فيها الصورة ولولا هذه الاسباب المانعة للنفوس عن افاضة الحقايق
اليقينية اليها لكانت عالمة بجميع الاشياء المرتسمة في العقول الفعالة اذ كل نفس لكونها امرا ربانيا و
جوهرا ملكوتيا فهي بحسب الفطرة صالحة لمعرفة الحقايق ولذا امتازت عن ساير المخلوقات من
السموات والارض والجبال وصارت قابلة لحمل امانة الله التي هي المعرفة والتوحيد فحرمان النفس عن
معرفة اعيان الموجودات انما هو لاحد هذه الموانع وقد اشار سيد الرسل صلى الله عليه وآله الى مانع التعصب و
التقليد بقوله كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه والى مانع كدورات
المعاصي وصداها بقوله ص لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات و
الارض فلو ارتفع عن النفس حجب السيئات والتعصب وتحاذت شطر الحق الاول لتجلت لها صورة
عالم الملك والشهادة باسره اذ هو متناه يمكن لها الاحاطة به وصورة عالمي الملكوت والجبروت بقدر
ما يتمكن منه بحسب مرتبتها لانهما الاسرار الغايبة عن مشاهدة الابصار المختصة بادراك البصاير و
هي غير متناهية وما يلوح منها للنفوس متناه وان كانت في نفسها وبالاضافة الى علم الله سبحانه غير متناهية
ومجموع تلك العوالم يسمى بالعالم الربوبي اذ كل ما في الوجود من البداية الى النهاية منسوب الى الله سبحانه
وليس في الوجود سوى الله سبحانه وافعاله واثاره فالعالم الربوبي والحضرة الربوبية هو العالم المحيط
بكل الموجودات فعدم تناهيه ظاهر بين فلا يمكن للنفس ان يحيط بكله بل يظهر لها منه بقدر قوتها و
استعدادها ثم بقدر ما يحصل للنفس من التصفية والتزكية وما ينجلي لها من الحقايق والاسرار و
من عظمة الله ومعرفة صفات جلاله ونعوت جماله يحصل لها السعادة والبهجة واللذة والتنعم في نعيم الجنة و
يكون سعة مملكته فيها بحسب سعة معرفته بالله وبعظمته وبصفاته وافعاله وكل منهما لا نهاية له ولذا
لا يستقر النفس في مقام من المعرفة والبهجة والكمال والتفوق والغلبة يكون غاية طلبها ولا يكون طالبة
لما فوقه وما اعتقده جماعة من ان ما يحصل للنفس من المعارف الالهية والفضايل الخلقية هي

بيان الشرك الذي هو نوع من الرذائل وذكر التوحيد في مقابلته

الجنة بعينها فهو عندنا باطل بل هي موجبة لاستحقاق الجنة التي هي دار السرور والبهجة ومنها الشرك
وهو ان يرى في الوجود مؤثرا غير الله سبحانه فان عبد هذا الغير سواء كان صنما او كوكبا او انسانا او
شيطانا كان شرك عبادة وان لم يعبده ولكن لاعتقاده كونه منشأ اثر اطاعه فيما لا يرضى الله سبحانه فهو
شرك طاعة والاول يسمى بالشرك الجلي والثاني يسمى بالشرك الخفي والبه الاشارة بقوله تعالى وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون وكون الشرك اعظم الكبائر الموبقة وموجبا للخلود في النار مما
لا ريب فيه وقد انعقد عليه اجماع الامة والايات والاخبار الواردة به خارجة عن حد الاحصاء ثم للشرك
مراتب يظهر في بحث ضده الذي هو التوحيد والشرك وان كان نتيجة من الجهل كما ان التوحيد
الذي هو ضده من افراد اليقين والعلم فذكرهما على حدة لم يكن لازما هنا الا انه لما كان المتعارف
ذكر التوحيد في كتب الاخلاق فنحن ايضا ذكرنا له عنوانا على حدة تأسيا بها واشرنا الى لمعة يسيرة منه
اذ الاستقصاء فيه والخوض في غمراته مما ليس في وسعنا ولا يليق هنا فان التوحيد هو البحر العميم الذي
لا ساحل له **وصل** ضد الشرك التوحيد وهو اما توحيد في اصل الذات بمعنى عدم تركيب خارجي
وعقلي في ذاته تعالى وعينية وجوه وصفات الذات ويلزمه كونه تعالى صرف الوجود وبحته او توحيد في وجوب
وجوده بمعنى نفي الشريك في وجوب الوجود عنه ولا بحث لنا هنا عن اثبات هذين القسمين لثبوتهما
في الحكمة المتعالية او توحيد في الفعل والتأثير والايجاد بمعنى ان لا فاعل ولا مؤثر الا هو وهو الذي نذكر
هنا مراتبه وما يتعلق به فنقول هذا التوحيد على ما قيل له اربع مراتب قشر وقشر القشر ولب ولب اللب كالجوز
الذي له قشران ولب وللب دهن هو لب للب فالمرتبة الاولى ان يقول الانسان باللسان لا اله الا
الله وقلبه منكر وغافل عنه كتوحيد المنافقين وهذا توحيد بمجرد اللسان ولا فائدة فيه الا حفظ
صاحبه في الدنيا من السيف والسنان الثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما هو شأن عموم المسلمين
اعتقادا وصاحبه موحد بمعنى انه معتقد بقلب خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقد على القلب لا يوجب
انشراحا وانفتاحا وصفاء له ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان مات عليه ولم تضعف بالمعاصي
الثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها بكثرتها صادرة
عن الواحد الحق وهو مقام المقربين وصاحبه موحد بمعنى انه لا يشاهد الا فاعلا ومؤثرا واحدا لانه
انكشف له الحق كما هو عليه الرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا ويسميه اهل المعرفة الفناء في
التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد
كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه وهو مشاهدة الصديقين وصاحبه موحد

ذكر التوحيد في الفصل مقابلة الشرك

مراتب المقال

بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذا هي الغاية القصوى
في التوحيد فالمرتبة الاولى كالقشرة العليا من الجوز كما ان هذه القشرة لا خير فيها اصلا بل
ان اكلت فهي مر المذاق وان نظرت الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذتها حطبا اطفأت النار
واكثرت الدخان وان تركتها في البيت ضيقت المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز لحفظ
القشرة السفلى ثم يرمى وكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن
لكن ينفع مدة في حفظ المرتبة الثانية الى وقت الموت والمرتبة الثانية كالقشرة السفلى وكما ان هذه
القشرة ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب عن الفساد عند الادخار واذا
فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف
كثير النفع بالنسبة الى مجرد نطق اللسان اذ يحصل به النجاة في الآخرة لكنه ناقص القدر بالاضافة
الى الكشف والعيان الذي يحصل بانشراح الصدر وانفتاحه باشراق نور الحق فيه والمرتبة الثالثة
كاللب وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصارة
بالاضافة الى الدهن منه فكذلك توحيد الفعل على طريق الكشف مقصد عال للسالكين الا انه لا يخلو عن
شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق والمرتبة الرابعة
كالدهن المستخرج من اللب وكما ان اللب هو المطلوب لذاته والمرغوب في نفسه فكذلك قصر النظر على مشاهدة
الحق الاول هو المقصود لذاته والمحبوب في نفسه **تنبيه** ان قيل كيف يمكن تحقق المرتبة الرابعة
من التوحيد لتوقفها على عدم مشاهدة غير الواحد مع ان كل احد يشاهد الارض والسماء وسائر
الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا قلنا من تيقن ان الممكنات باسرها اعدام صرفة
في انفسها وان ما به تحققها من الله سبحانه ثم احاط على قلبه نور عظمته وجلاله بحيث بهره و
غلب على قلبه الحب والانس حتى عن غيره اغفله فاي استبعاد في ان يوجب شدة استغراقه في لجة العظمة
والجلال والكمال والجمال وغلبة الحب والانس عليه مع عدمية الكثرة ووحدة ما به التحقق عنده
ورسوخ ذلك وارتكازه في قلبه ان لا يرى في نظر شهوده الا هو ويغيب عنه غيره لقصر نظر بصيرته
الباطنة على ما هو الحقيقة والواقع ومما يكسر سورة استبعادك ان المشغول بالسلطان والمستغرق
في ملاحظة سطوته ربما غفل عن مشاهدة غيره وان العاشق قد يستغرق في مشاهدة جمال معشوقه
ويبهره محبته بحيث لا يرى غيره مع تحقق الكثرة عنده وان الكواكب موجودة في النهار مع انها
لا ترى لمغلوبية انوارها واضمحلالها في جنب نور الشمس فاذا جاز ان يغلب نور الشمس على نور

ذكر ارتباط التوكل بالمرتبة الثالثة من التوحيد والنسبة بين التوكل والتوحيد

في ارتباط التوكل على الله بالنوع الثالث من التوحيد

الكواكب ويقهرها بحيث يضمحل ويغيب عن بصر الظاهر فاني استبعاد في ان يغلب نور الوجود الحقيقي القاهر على الوجودات الضعيفة الامكانية ويقهرها بحيث يغيب عن نظر العقل والبصيرة ثم هذه المشاهدات التي لا يظهر فيها الا الله الواحد الحق لا يدوم بل هي كالبرق الخاطف والدوام فيها عزيز نادر **فصل** اعلم انه لا يمكن التوكل على الله تعالى في الامور حق التوكل الا بالبلوغ الى المرتبة الثالثة من التوحيد هي التي يرتبط بها التوكل دون غيرها من المراتب اذ المرتبة الرابعة لا يتوقف ولا يبتني عليها التوكل والاولى مجرد نفاق لا يفيد شيئا والثانية اعني مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل كما ينبغي فانه موجود في عموم المسلمين مع عدم وجود التوكل كما ينبغي فيهم فالمناط في التوكل هو ثالث المراتب في التوحيد وهو ان ينكشف للعبد بنور الحق ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وغنى وفقر وصحة ومرض وعز وذل وحيوة وموت الى غير ذلك مما يطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف له هذا لم ينظر الى غيره بل كان منه خوفه واليه رجاؤه وبه ثقته وعليه اتكاله فانه الفاعل بالانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والارض واذا انفتح له ابواب المعارف اتضح له هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصد الشيطان عن هذا التوحيد بان يوقع في قلبه شائبة الشرك بالالتفات الى بعض الوسائط التي يرى في بادي النظر منشأيتها لبعض الامور كالاعتماد على الغيم في نزول المطر وعلى المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وعلى بعض نظرات الكواكب واتصالاتها في حدوث بعض الحوادث في الارض وكالالتفات الى اختيار بعض الحيوانات وقدرتها على بعض الافعال فيوسوس الشيطان في قلبه ويقول له كيف ترى الكل من الله تعالى وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء منع وهذا الشخص قادر على جز رقبتك بسيفه فان شاء جز رقبتك وان شاء عفى عنك فكيف لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا شك فيه ولا ريب في ان امثال هذه الالتفاتات جهل بحقايق الامور ومن مكن الشيطان وسلطه على نفسه حتى يوقع هذه الوساوس في قلبه فهو من الجاهلين بابواب المعارف اذ من انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان السماء والكواكب والريح والغيم والمطر والانسان والحيوانات وغير ذلك من المخلوقات كلهم مقهورون مسخرون للواحد الحق الذي لا شريك له فيعلم ان الريح مثلا هواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محركه وهذا المحرك لا يحرك الهواء ما لم يحركه على التحريك محرك آخر وهكذا الى

تمثيلات تنبيه للنفس حتى لا ترى في دار الوجود مؤثرا الا الله

ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه وكذا الحال في توسط غيره من الافلاك
ونجومها وكائنات الجو والموجودات على الارض من الجماد والنبات والحيوان فالتفات العبد في
نجاته الى بعض الاشياء من الرياح والامطار او الانسان او الحيوان بعينها هي التفات من اخذ ليحز
رقبته فامر الملك كاتبه بان يكتب توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ العبد يشتغل بمدح الحبر او
الكاغذ او القلم او الكاتب يقول لولا الحبر او القلم او الكاتب او الكاغذ ما تخلصت فيرى نجاته من الحبر و
الكاغذ دون القلم او من القلم دون محركه اعني الكاتب او من الكاتب دون الملك الذي هو محرك
الكاتب ومسخره ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب وان الكاتب لا حكم له
وانما هو مسخر تحت يد الملك لم يلتفت الى القلم والكاتب ولم يشكر الا الملك بل ربما يدهشه
فرح النجاة وشكر الملك عن ان يخطر بباله الكاغذ والحبر والقلم والكاتب لا ريب في ان جميع
المخلوقات من الشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر والارض وكل حيوان وجماد مسخر في قبضة
القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب وتسخير الكاتب في يد السلطان بل هذا تمثيل في حق العبد
لاعتقاده ان الملك الموقع هو الكاتب حقيقة وليس الامر كذلك اذ الكاتب هو الله سبحانه
كما قال تعالى وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ فمن انكشف له ان جميع ما في السموات والارض
مسخرات للواجب الحق ولم ير في الوجود مؤثرا الا هو وانصرف عنه الشيطان خائبا وايس عن
مزج توحيده بهذا الشرك واما من لم ينشرح بنور الله صدره فقصرت بصيرته عن ملاحظة
جبار السموات والارض ومشاهدة كونه وراء الكل موقف في الطريق على بعض المسخرات وهو جهل
محض وغلطه في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فرأى راس القلم يسود الكاغذ
ولم يمتد بصره الى الاصابع واليد فضلا عن صاحب اليد فظن ان القلم هو المسود للبياض وذلك
لقصور بصره عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقته **فصل** قال بعض العارفين ارباب القلوب
والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي انطق بها كل
شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان الواقع الذي ليس بعربي
ولا عجمي وليس فيه حرف وصوت ولا يسمعه احد الا بالسمع العقلي الملكوتي دون السمع الظاهر
الحسي الناسوتي وهذا النطق الذي لكل ذرة من الارض والسموات مع ارباب القلوب انما هو
مناجاة السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات يستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية
له ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا

حكاية وتمثيل وتنبيه للأفهام ان لا مؤثر الا الملك العلام

بمثله مددا ثم انها لما كانت مناجية باسرار الملك والملكوت وليس لكل احد موضعا
للسر بل صدور الاحرار قبور الاسرار فاختصت مناجاتها بالاحرار من ارباب القلوب وهم ايضا
لا يحكون هذه الاسرار لغيرهم اذ افشاء السر لوم وهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي
بخفايا فنادى بها على الملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما نهى النبي صلى الله عليه وآله عن افشاء سر القدر ولما
خص امير المؤمنين عليه السلام ببعض الاسرار ولما قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان
يذكر لهم ذلك حتى يبكوا ولا يضحكوا فاذن عن حكايات مناجات ذرات الملك والملكوت لقلوب
ارباب المشاهدة مانعان احدهما المنع عن افشاء السر وثانيهما خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ونحن
نحكي في فعل الكتابة قدرا يسيرا من مناجاته بعض ما يرى اسبابا ووسايط واقرارها بالعجز على انفسهما
ليقاس عليه جميع الافعال الصادرة عن جميع الاسباب والوسايط المسخرة تحت قدرة الله وينبهم به
على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد لضرورة التفهم كلماتها الملكوتية الى الحروف و
الاصوات وان لم يكن اصواتا وحروفا فنقول قال بعض الناظرين عن مشكوة نور الله للكاغذ
وقد راى وجهه اسود بالحبر لم سودت وجهك وقد كان ابيض مشرقا فقال ما سودت وجهي وانما سوده
الحبر فاسئل عنه لم فعل كذا فسئل الحبر عن ذلك فقال هذا السؤال على القلم الذي اخرجني من
مستقري ظلما فسئل القلم فاحاله الى اليد والاصابع وهي الى القدرة والقوة وهي الى الارادة فاعتذر
كل واحد بعجز نفسه وبكونه مقهورا مسخرا الى ان انتهى الحال عليه مزيد ونا استطاعته لمخالفته ولما
سئل الارادة فقالت ما انتهضت بنفسي بل بعثت على اشخاص القدرة وانهاضها بحكم
رسول قاهر ورد علي من حضرة القلب بلسان العقل وهذا الرسول هو العلم فالسؤال عن انتهاضها
يتوجه على العقل والقلب والعلم ولما سئلها فقال العقل اما انا سراج ما اشتعلت بنفسي و
لكني اشتعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم اما
انا نقش نقشت في لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انتقشت بنفسي بل نقشني غيري فاسئل
القلم الذي نقشني ورسمني على لوح القلب بعد اشتعال سراج العقل وعند هذا تحير السائل
وقال ما هذا القلم وهذا اللوح وهذا الخط وهذا السراج فاني لا اعلم قلما الا من القصب و
لا لوحا الا من الحديد والخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني اسمع في هذا
المنزل حديث اللوح والقلم والخط والسراج ولا اشاهد من ذلك شيئا فقال له العلم فاذن
بضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه

حكاية ينكشف بها صدق ما قيل ان لا مؤثر في دائرة الوجود الا الله

المقام الاول

كثيرة فان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فاعلم ان العوالم في طريقنا ثلثة اولها عالم
الملك والشهادة ولقد كان الكاغذ والحبر والقلم واليد والاصابع من هذا العالم وقد جاوزت
تلك المنازل على سهولة وثانيها عالم الملكوت الاسفل وهو يشبه السفينة التي بين الارض والماء فلا
هو في حد اضطراب الماء ولا هو في حد سكون الارض وثباته والقدرة والارادة والعلم من منازل هذا
العالم وثالثها عالم الملكوت الاعلى وهو من ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله واول منازله
القلم الذي يكتب به العلم على اللوح القلب في هذا العالم المهامة الفسيحة والجبال الشاهقة والبحار
المغرقة فقال له السائل الثالث قد تحيرت في امري فلست ادري اني اقدر على قطع هذا الطريق فقال نعم افتح
بصرك واجمع ضوء عينك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به يكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون
اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز الملكوت الاسفل وقرع اول باب من ملكوت الاعلى كوشف بالقلم
اما ترى ان النبي صلعم في اول امره كوشف به وانزل عليه قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق الى قوله اقرأ
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وهذا القلم هو قلم الهي ليس بقصب ولا
خشب او ما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت وقد علمت ان الله تعالى لا يشبه ذاته سائر الذوات فليس في
ذاته بجسم ولا هو في مكان فكذلك لا يشبه يده سائر الايدي ولا قلمه سائر الاقلام ولا كلامه سائر الكلمات ولا
خطه سائر الخطوط بل هذه امور الهية من عالم الملكوت الاعلى فليس يده من لحم وعظم ودم ولا قلمه من قصب
ولا لوحه من خشب ولا كلامه من صوت وحرف ولا خطه من نقش ورسم ورقم ولا حبره من زاج وعفص فان
كنت لا تشاهد هذا هكذا فانت من اهل التشبيه والتجسيم وما عرفت ربك اذ لو نزهت ذاته تعالى و
صفاته عن مشابهة الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن الحروف والاصوات فما بالك تتوقف في يده وقلمه ولوحه
وخطه ولا تنزهها عن الجسمية والتشبيه بغيرها فلما سمع السائل عن العلم ذلك استشعر قصور نفسه
وفتح بصر بصيرته بعد الابتهال الى ربه فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم ما هو من خشب و
لا قصب ولا له راس ولا ذنب هو يكتب على الدوام في قلوب البشر اصناف العلم فشكر العلم وودعه و
سافر الى حضرة قلم الالهي فاذا هو كما وصفه وقال له ايها القلم ما لك تخط على الدوام في القلوب من
العلوم ما ينبعث به الارادات الى اشخاص القدرة واشخاصها وصرفها الى المقدورات فقال له القلم
افنسيت ما رايت في عالم الملك وسمعته من جواب القلم الادمي حيث احالك الى اليد فجوابي مثل جوابه
فاني مسخر تحت يد الله تعالى المسمى بيمين الملك فاسئل عن شاني فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا
مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي والقلم الادمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال له السائل

من يمين

من يمين الملك قال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم سمعته قال فالاقلام
ايضا في قبضته وهو الذي يرددها فسافر السائل من مبدأ القلم الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه مثله
ما يزيد على عجائب القلم ورأى انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم
متحركا في قبضته فسأله عن سبب تحريكه القلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم
الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة فسافر الى عالم القدرة ورأى
فيها من العجائب ما استحقر لاجلها ما قبلها فسأله عن سبب تحريكها اليمين فقال انما انا صفة فاسئل
القادر اذ العهدة على الموصوف دون الصفة وعند هذا كان يزيغ قلب السائل وينطق بالجرأة لسان
السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء سرادقات الحضرة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك واعز سلطانك
تبت اليك وتوكلت عليك وامنت انك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك
ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا ان اسئلك واتضرع اليك واقول
اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع
في الثناء وتزيد على سيد الانبياء صلعم مازاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك كما انت
اثنيت على نفسك اياك ان تطمع في معرفته فان سيد الاوصياء قال العجز عن درك الادراك ادراك
والفحص عن سر ذات السر اشراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا انك عاجز عن ملاحظة جلالنا و
جمالنا وقاصر عن ادراك دقايق حكمتنا وافعالنا فعند هذا رجع السائل السالك واعتذر عن
اسئلته ومعاتبته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا
عذري فاني كنت غريبا جديد العهد بالدخول في هذه البلاد والان قد صح عندي عندكم وانكشف لي
ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار وما انتم الا مسخرون تحت قهره
وقدرته مردودون في قبضته وهو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد
واحد هو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى
ان يقع الانتهاء الى حضرته فهو اول في الوجود واخر في المشاهدة وهو الظاهر بالاضافة الى من يطلبه
بالسراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت وهو الباطن بالاضافة الى
الغافلين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس وهذا هو التوحيد في الفعل للسالكين الذين
انكشف لهم وحدة الفاعل بالمشاهدة واستماع كلام ذرات الملك والملكوت وهو موقوف على

تقسيم الخواطر النفسانية الى الالهام والوسوسة وهي من انواع الوارد

المقام الاول

الايمان بعالم الملكوت والتمكن من المسافرة اليه واستماع الكلام من اهله ومن كان اجنبيا من
هذا العالم ولم يكن له استعداد الوصول اليه ولم يمكنه ان سلك السبيل الذي ذكرناه فينبغي ان يرد مثله
الى التوحيد الاعتقادي الذي يوجد في عالم الشهادة وهو ان يعلم ببعض الادلة وحدة الفاعل مثل
ان يذكر ان كل احد يعلم ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فاله العالم ومدبره
واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة
فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق بقدر عقله واستعداده وقد كلفوا الانبياء ان
يكلموا الناس بقدر عقولهم ثم الحق ان هذا التوحيد الاعتقادي اذا قوي يصلح ان يكون
عمادا للتوكل واصلا فيه اذ الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في
الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب فيحتاج الى من يحرسه بكلامه واما الذي شاهد
الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيئا من ذلك بل لو كشف له الغطاء لما ازداد يقينا
وان كان يزداد وضوحا **تنبيه** اعلم ان ما يبتني عليه التوحيد المذكور اعني كون
جميع الاشياء من الاسباب والوسائط مقهورات مسخرات تحت القدرة الازلية ظاهر ولا
اشكال فيه الا في افعال الانسان وحركاته فان البديهة تشهد بثبوت نوع اختيار له لانه
يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء مع انه لو كان مسخرا مقهورا في جميع افعاله وحركاته لزم الجبر
ولم يصح التكليف والثواب والعقاب ولتحقيق هذه المسئلة موضع آخر ولا يليق ذكرها هنا
والحق ان كلما قيل فيها لا يخلو عن قصور ونقصان والاولى فيها السكوت والتادب بآداب الشرع
ومنها الخواطر النفسانية والوساوس الشيطانية اعلم ان الخاطر ما يعرض في القلب من الافكار
فان كان مذموما داعيا الى الشر سمي وسوسة وان كان محمودا داعيا الى الخير سمي الهاما
وتوضيح ذلك ان مثل القلب بالنسبة الى ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف يرد عليه السهام من
الجوانب وحوض ينصب اليه مياه مختلفة من الجداول وقبة ذات ابواب يدخل منها اشخاص
مختلفة او مرآة منصوبة يجتاز اليها صور متباينة فكما ان هذه الامور لا ينفك عن تلك
فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر فلا يزال هذه اللطيفة الالهية مضمارا لتطاردها
ومعركة لجولانها وتزاحمها الى ان يقطع ربطها عن البدن ولذاته ويتخلص عن تنوع عقارب
الطبع وحياته ثم لما كان الخاطر حادثا فلا بد له من سبب فان كان سببه شيطانا فهو الوسوسة
وان كان ملكا فهو الالهام وما يستعد به القلب لقبول الوسوسة يسمى اغواء وخذلانا وما يتهيأ

برشمول

مه لقبول الالهام يسمّى لطفا وتوفيقا والى ذلك اشار سيد الرسل صلعم بقوله فى القلب لمتان
لمّة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمّة من الشيطان ايعاد بالشرّ وتكذيب بالحق وبقوله صلى
الله عليه واله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن تع **فصل** فى الخاطر ينقسم
الى ما يختلج بالبال من دون ان يكون مبدأ للفعل وهى الامانى الكاذبة والافكار الفاسدة
والى محرّك الارادة والعزم على الفعل اذ كلّ فعل مسبوق بالخاطر ولا تنبعث الافعال الخواطر
وهى محرّكات الرغبة والرغبة العزم والعزم النيّة والنيّة تبعث الاعضاء على الفعل
والثانى كما عرفت ان كان مبدأ للخير يكون الهاما محمودا وان كان مبدأ للشرّ يكون
وسواسا ومذموما والاوّل انواع كثيرة منها ما يرجع الى التمنّى سوآء كان حصول ما
يتمناه ممكنا او محالا وسواء كان التمنّى حسنا محمودا او قبيحا مذموما وسواء كان عدمه
مستندا الى قضاء الله وقدره او الى تقصيره وسوء تدبيره فيخطر بباله انه يا ليتنى لم افعل
كذا او فعل كذا ومنها ما يرجع الى تذكّر الاحوال الغائبة امّا بدون اختياره او مع اختياره ما
بان يتصوّر ماله من النفائس الغائبة فيسرّ به او يتخيّل فقده فيحزن لاجله او يتفكّر فى ما
اعتراه من العلل والاسقام واختلال امر المعاش وسوء الانتظام او يذهب وهمه الى حساب المعاملين
او جواب المعاندين وتصوير اهلاك الاعداء بالانواع المختلفة من دون تاثير وفائدة ومنها ما
يرجع الى التطيّر وربما بلغ حدّا يتخيّل كثيرا من الامور الاتفاقيّة دالّة على وقوع مكروه بنفسه
او بما يتعلق به ويضطرب بذلك وان لم يكن مشهورة بذلك عند الناس وربما حدثت فى القوّة
الوهميّة خباثة وشيطنة تذهب غالبا الى ما يؤذيه ويكرهه ولا يذهب الى ما يريده ويسرّه
فيتخيّل ذهاب امواله واولاده وابتلاؤه بالامراض والاسقام ووصول المكروه من الغير و
مغلوبيّته من عدوه وربما حصل للنفس نوع اذعان لهذه التخيّلات لمغلوبيّة العاقلة عن الواهمة
فيعتريه نوع اضطراب وانكسار وقلّما تذهب مثل هذه القوّة الوهميّة فيما يشاء ويريده من تخيّل الغلبة
حصول التوسعة فى الاموال والاولاد بحيث يحصل للنفس نوع اذعان لها فتنبسط وتهتزّ و
هذا شرّ الوسواس واردأها وربما كان المنشأ لبعضها نوع اختلال فى الدماغ وجميع
الانواع المذكورة باقسامها مفسدة للنفس تحدث فيها نوع ذبول وانكسار وتصدّها
عمّا خلقت لاجله ومنها ما يرجع الى التفأّل وهذا ليس مذموما وقد ورد من رسول الله صلعم
انه يحبّ التفأّل وكثيرا ما يتفأّل ببعض الامور ومنها الوسواس فى العقائد بحيث لا يؤدّى

الى الشك المزيل لليقين فانه قادح في الايمان كما تقدم ومرادنا بالوسوسة وحديث النفس ما لا يضر بالايمان ولا يؤاخذ به كما ياتي **تذنيب** قد ظهر مما ذكر ان اكثر جولان الخاطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر وكيف ما كان هو تضييع لوقته اذ آلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة حبا لله فهو مغبون وهذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مع ان الغالب ليس كذلك بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع في الباطن كل من فعل فعلا مخالفا لغرضه او من يتوهم انه ينازعه ويخالفه في رايه بل يعتقد المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ثم يتفكر في كيفية زجرهم وقهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفتهم فلا يزال في شغل دائم مضيع لدينه ودنياه

فصل قد عرفت ان الوسواس اثر الشيطان الخناس والالهام عمل الملائكة الكرام ولا ريب في ان كل نفس في بدو فطرتها قابلة لاثر كل منهما على التساوي وانما يترجح احدهما بمتابعة الهوى وملازمة الورع والتقوى فاذا مالت النفس الى مقتضى شهوة او غضب وجد الشيطان مجالا فيدخل بالوسوسة واذا انصرفت الى ذكر الله وضاق مجاله وارتحل فيدخل الملك بالالهام فلا يزال التطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة النفس لهيولانية وجودها وقابليتها للامرين بتوسط قوتيها العقلية والوهمية الى ان يغلب احد الجندين ويسخر مملكة النفس ويستوطن فيها وحينئذ يكون اجتياز الثاني على سبيل الاختلاس وحصول الغلبة انما هو بغلبة الهوى او التقوى فان غلبت عليها الهوى وخاضت فيها صارت مرعش الشيطان ومرتعه وكانت من حزبه وان غلبت عليها الورع والتقوى صارت مستقر الملك ومهبطه ودخلت في جنده قال رسول الله صلى الله عليه وآله خلق الله الانس ثلثة اصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف كالملائكة في ظل الله يوم لا ظل الا ظله ولا ريب في ان اكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وملكوها ويتصرفون فيها بضروب الوسواس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآجلة والسر فيه ان سلطنة الشيطان سارية في لحم الانسان ودمه ومحيطة بمجامع قلبه وبدنه كما ان الشهوات ممتزجة بجميع ذلك ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم وقال الله سبحانه

من الباب الثالث

التنبيه على [illegible] الشيطان ووساوسه

حكاية عن لسان اللعين ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ فالخلاص من أيدي الشياطين يحتاج إلى مجاهدة عظيمة ورياضة
شاقة فمن لم يقم في مقام المجاهدة كانت نفسه هدفاً لسهام وساوسهم وداخلة في أحزابهم

فصل لما كانت طرق الباطل كثيرة وطريق الحق واحدة فالأبواب المفتوحة للشيطان
إلى القلب كثيرة وباب الملائكة واحدة ولذا روي أن النبي صلى الله عليه وآله خط يوماً لأصحابه خطاً و
قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان
يدعو إليه ثم تلا قوله سبحانه ﴿إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله﴾ ثم لسهولة ميل النفس إلى الباطل وعسر انقيادها للحق يكون الطرق
المؤدية إلى الباطل التي هي أبواب الشيطان جلية ظاهرة فكان أبواب الشيطان مفتوحة أبداً
والطريق المؤدية إلى الحق التي هي باب الملائكة خفية فكان باب الملائكة مسدوداً دائماً
فما أصعب على المسكين ابن آدم أن يسد هذه الأبواب الكثيرة الظاهرة المفتوحة ويفتح باباً
واحداً خفياً مسدوداً على أن اللعين إنما يلبس بين طريقي الحق والباطل ويعرض الشر
في موضع الخير بحيث يظن أنه لمة الملك وإلهامه لا وسوسة الشيطان وإغواؤه فيهلك و
يضل من حيث لا يعلم كما يلقي في قلب العالم أن الناس لكثرة غفلتهم أشرفوا على الهلاك
وهم من الجهل موتى ومن الغفلة هلكى أما لك رحمة على عباد الله أما تريد الثواب و
السعادة في العقبى فما بالك لا تنبههم عن رقدة الغفلات بوعظك ولا تنقذهم من الهلاك
الأبدية بنصحك وقد من الله عليك بقلب بصير وعلم كثير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف
تخفي نعم الله ولا تظهرها فلا يزال يوسوسه بأمثال ذلك ويثبتها في لوح نفسه إلى أن
يجره بلطائف الحيل ويشتغل بالوعظ فيدعوه إلى التزين والتصنع والتحسن بتحسين
اللفظ والسرور بتملق الجماعة والفرح بمدحهم إياه والانبساط بتواضعهم لديه وانكسارهم
بين يديه ولا يزال في أثناء الوعظ يقرر في قلبه شوائب الرياء وقبول العامة ولذة الجاه
وحب الرياسة والتعزز بالعلم والفصاحة والنظر إلى الخلق بعين الحقارة فيهلك الناس
ويضل نفسه ويعمر يومه ويخرب أمسه يخالف الله ويظن أنه في طاعته ويعصيه ويحسب أنه
في عبادته فيدخل في جملة من قال الله فيهم ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ ويكون ممن قال

رسول الله صلى الله عليه وآله انّ الله يؤيّد هذا الدّين باقوام لاخلاق لهم وانّ الله يؤيّد هذا الدّين بالرّجل الفاجر فلا نجاة من مصايد الشيطان ومكائده الّا ببصيرة باطنة نورانيّة وقوّة قدسيّة ربّانيّة كما لا نجاة للمسافر في بادية كثيرة الطّرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة الحيران الّا بنجوم بصيرة صحيحة وطلوع شمس مشرقة نيّرة **فصل** من يمكن من معرفة الخير والشرّ سهل عليه التفرقة بين الالهام والوسوسة وقد قيل ان الهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النّفوس على وجوه وعلامات احدها كالعلم واليقين الحاصلين من جانب يمين النّفس ويقابله الشهوة والهوى الحاصلين من جانب شمالها وثانيهما كالنظر الى ايات الافاق والانفس على سبيل النّظام والاحكام المزيل للشكوك والاوهام والمحصّل للمعرفة والحكمة في القوّة العاقلة التي هي جانب الايمن من النّفس ويقابله النّظر اليها على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها النّاشية منها الشبه والوسواس في الواهمة والمتخيّلة التي على الجانب الايسر منها فانّ الايات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدّسة من العقول والنّفوس الكليّة لانّها مبادي العلوم اليقينيّة والمتشابهات الوهميّات بمنزلة الشياطين والنّفوس الوهمانيّة لانّها مبادي لمقدمات السّفسطيّة وثالثها كطاعة الرّسول المختار والائمّة الاطهار في مقابلة اهل الجحود والانكار وارباب التّعطيل والتّشبيه من الكفّار فكلّ من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملهمين للخير الملائكة المقدّسين ومن سلك سبيل الضّلال فهو بمنزلة الشّياطين المغوين بالشّرور ورابعها كتحصيل العلوم والادراكات التي هي في الموضوعات العاليّة والاعيان الشّريفة كالعلم بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر والبعث وقيام السّاعة ومثول الخلايق بين يدي الله تع وحضور الملائكة والنّبيّين والشّهداء والصّالحين في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي من باب الحيل والخديعة والسّفسطة والتّامّل في امور الدّنيا وبنية الغير الخارجة عن دار المحسوسات فانّ الاوّل لشبيه الملائكة الرّوحانيّة وجنود الرّحمن الذين هم سكّان عالم الملكوت السّماوي والثّاني لشبيه الابالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة من ولوج السّموات المحبوسة في الظّلمات المحرومة في الدّنيا عن الارتقاء والمحجوبة في الاخرة عن دار النّعيم **فصل** الوساوس ان كانت بواعث الشّرور والمعاصي فالعلاج في دفعها ان يتذكّر سوء عاقبة العصيان وخامة خاتمته في الدّنيا والاخرة ويتذكّر عظيم حقّ الله وجسيم ثوابه وعقابه

ويتذكر

في التنبيه على التخلص عن الخواطر والوساوس في غاية الصعوبة

ويتذكر ان الصبر عما يدعو اليه هذه الوساوس اسهل من الصبر على نار لو قذفت شرارة منها الى الارض احرقت نباتها وجمادها فاذا تذكر هذه الامور وعرف حقيقتها بنور المعرفة و الايمان حبس عنه الشيطان وقطع عنه وسواسه اذ لا يمكن ان ينكر عليه هذه الامور الحقة اذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك ويخيبه بحيث يرجع هاربا خائبا فان الشهاب بنور البراهين بمنزلة رجوم للشياطين فاذا قوبلت بها وساوسهم فرت فرار الحمر من الاسد وان كانت مختلجة بالبال بلا ارادة ولا اختيار من دون ان يكون مبادي الافعال فقطعها بالكلية في غاية الصعوبة والاشكال وقد اعترف اطباء النفوس بانها الداء العضال وتعسر دفعه بالمرة وربما قيل بتعذره ولكن الحق امكانه لقول النبي ص من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولولا امكانه لم يتصور ذلك والسر في صعوبة قطعها بالكلية ان للشيطان جندين جند يطير وجند يسير والواهمة جند الطيار والشهوة جند السيار لان غالب ما خلقتا منه هي النار التي خلق منها الشيطان فالمناسبة اقتضت تسلطه عليهما وتبعيتهما له ثم لما كانت النار بذاتها مقتضية للحركة اذ لا يتصور نار مشتعلة لا يتحرك بل لا يزال يتحرك بطبعها فشأن كل من الشيطان والقوتين ان يتحرك ولا يسكن الا ان الشيطان لما خلق من النار الصرفة من دون امتزاج شيء آخر بها فهو دائم الحركة والتحريك للقوتين بالوسوسة والهيجان والقوتان لما امتزج بغالب مادتهما اعني النار شيء من الطين لم يكونا بمثابة ما خلق من صرافة النار في الحركة الا انهما استعدتا لقبول الحركة منه فلا يزال الشيطان ينفخ فيهما ويحركهما بالوسوسة والهيجان ويطرد ويجول فيهما ثم الشهوة لكون النارية فيها اقل فسكونها يمكن فيحتمل ان يكف تسلط الشيطان عن الانسان فيها فيسكن بالكلية عن الهيجان واما الواهمة فلا يمكن ان ينقطع تسلطه عنها فيمتنع قطع وسوسته عن الانسان اذ لو امكن قطعه بالمرة لصار اللعين منقادا للانسان مسخرا له وانقياده له هو سجوده له اذ روح السجود وحقيقته هو الانقياد والانقياد في الاطاعة ووضع الجبهة حالته وعلامته وكيف يتصور ان يسجد الملعون لاولاد آدم مع عدم سجوده لابيهم واستكباره من ان يطمئن من حركته ساجدا لله تعالى بقوله خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ فلا يمكن ان يتواضع لهم بالكف عن الوسوسة بل هو من المنظرين لاغوائهم الى يوم الدين فلا يتخلص منه احد الا من اصبح وهمومه هم واحد فيكون مشتغلا بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيه

المقام الاول

ومثله من المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين فلا تظنن انه يخرج عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن ادم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فانك ان اردت ان تخلو القدح عن الهواء من غير ان تشغله بمثل الماء فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يدخل فيه الماء يخلو عن الهواء فكذلك القلب اذا كان مشغولا بفكر مهم في الدين يمكن ان يخلو من جولان هذا اللعين واما لو غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان كما قال سبحانه وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ لان الشاب اذا تعطل عن عمل مباح يشغل باطنه لا بد ان يدخل في قلبه الشيطان ويعشش فيه ويبيض ويفرخ ثم يزدوج افراخه ايضا ويبيض مرة اخرى ويفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد الحيوانات لان الشيطان طبعه من النار والشهوة في نفس الشاب كالحلفاء اليابسة فاذا وجدها كثرة تولده وتولدت النار من النار ولم ينقطع اصلا فظهر ان وسواس الخناس لا يزال يجاذب قلب كل انسان من جانبيه جانب لا علاج له الا قطع العلايق كلها ظاهرا وباطنا والفرار عن الاهل والمال والولد والجاه والرفقاء ثم الاعتزال الى زاوية وجعل الهموم هما واحدا هو الله وهذا ايضا غير كاف ما لم يكن له مجال في الفكر وسير في الباطن في ملكوت السموات والارض وعجايب صنع الله فان استيلاء ذلك على القلب واشتغاله به يدفع مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المرتبة في كل لحظة من الصلوات والاذكار والادعية والقراءة ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب لحضور اذ الاوراد الظاهرة لا يستغرق القلب بل التفكر بالباطن هو الذي يستغرقه واذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في بعضها عن حوادث تتجدد وتشغله عن الفكر والذكر كمرض وخوف وايذاء وطغيان ولو من مخالطة بعض من يستغني عنه في الاستعانة في بعض اسباب المعيشة

فصل لو امكن العلاج في القطع الكلي للوسواس فانما يتم بامور ثلثة الاول سد الابواب العظيمة للشيطان في القلب وهي الشهوة والغضب والشهوة والحرص والحسد والعداوة والعجب والحقد والكبر والطمع والبخل والخفة والجبن وحب الحطام الدنيوية الداثرة والشوق الى التزين بالثياب الفاخرة والعجلة في الامور وخوف الفاقة والفقر والتعصب لغير الحق وسوء الظن بالخالق والخلق وغير

ذكر ان طارد الشيطان هو الذكر القلبي وشرط تمكنه التخلية والتحلية

ذلك رؤس أمّهات الصفات ورذائل الملكات فانها ابواب عظيمة للشيطان فاذا وجد بعضها مفتوحا يدخل منه في القلب بالوساوس المتعلقة به واذا سدّت لم يكن له اليه سبيل الا على طريق الاختلاس والاجتياز الثاني عمارة القلب باضدادها من فضائل الاخلاق وشرائف الاوصاف والملازمة للورع والتقوى والمواظبة على عبادة ربه الاعلى الثالث كثرة الذكر بالقلب واللسان فاذا قلعت عن القلب اصول امّهات الصفات المذكورة التي هي بمنزلة الابواب العظيمة للشيطان زالت عنه وجوه سلطنته وتصرفاته سوى خطراته واختباراته والذكر يمنعها ويقطع تسلطه وتصرفه بالكلية ولو لم تسدّ ابوابه اولا لم ينفع مجرد الذكر اللساني في ازالتها اذ حقيقة الذكر لا يتمكن في القلب الا بعد تخليته عن الرذائل وتحليته بالفضائل ولولاهما لم يظهر على القلب سلطانه بل كان مجرد حديث نفس لا يندفع به كيد الشيطان وتسلطه فان مثل الشيطان مثل كلب جائع ومثل هذه الصفات المذمومة مثل لحم او خبز او غيرهما من مشتهيات الكلب ومثل الذكر مثل قولك له اخسأ ولا ريب في ان الكلب اذا قرب اليك ولم يكن عندك شيء من مشتهياته فهو ينزجر عنك بمجرد قولك اخسأ وان كان عندك شيء منها لم يندفع عنك بمجرد هذا القول ما لم يصل الى مطلوبه فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر واما القلب المملوّ منه فيدفع الذكر الى حواشيه ولا يستقر في سويدائه لاستقرار الشيطان فيه وايضا الذكر بمنزلة الغذاء المقوي فكما لا تنفع الاغذية المقوية ما لم ينق البدن عن الاخلاط الفاسدة ومواد الامراض الحادثة كذلك لا ينفع الذكر ما لم يطهر القلب عن الاخلاق الذميمة التي هي مواد مرض الوساوس فالذكر انما ينفع للقلب اذا كان مطهرا عن شوائب الهوى ومنورا بانوار الورع والتقوى كما قال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ وقال سبحانه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ولو كان مجرد الفكر مطردا للشيطان لكان كل احد حاضر القلب في الصلوة ولم يخطر بباله فيها الوساوس الباطلة والهواجس الفاسدة اذ منتهى كل ذكر وعبادة انما هو في الصلوة مع ان من راقب قلبه يجد ان خطور الخواطر في صلوته اكثر من سائر الاوقات وربما لا يتذكر ما نسيه من فضول الدنيا الا في صلوته بل يزدحم عندها جنود الشياطين على قلبه ويصير مضمارا لجولانهم ويقلبونه شمالا ويمينا بحيث لا يجد فيه ايمانا ولا يقينا ويجاذبونه الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين ويمرون به في

اشارة الى مراتب الذكر وتوجيه اشتراط قطع الوساوس بالتخلية

للقلب اول

اودية الدنيا ومهالكها ومع ذلك كله لا تظنن ان الذكر لا ينفع فى القلوب الغافلة اصلاً فان
الامر ليس كذلك اذ للذكر عند اهله اربع مراتب كلها ينفع الذاكرين الا ان لبه وروحه والغرض
الاصلى من ذلك المرتبة الاخيرة الاولى اللسانى فقط الثانية اللسانى والقلبى مع عدم تمكنه من
القلب بحيث احتاج القلب الى مراقبة حتى يحضر مع الذكر ولو خلّى وطبعه استرسل فى اودية
الخواطر الثالثة القلبى الذى تمكّن من القلب واستولى عليه بحيث لم يمكن صرفه عنه بسهولة
بل احتاج ذلك الى سعى وتكلّف كما احتيج فى الثانية اليهما فى قراره معه ودوامه عليه الرابعة القلبى
الذى يتمكن المذكور من القلب بحيث انمحى عند الذكر فلا يلتفت القلب الى نفسه ولا الى الذكر
بل يستغرق بشراشره فى المذكور واهل هذه المرتبة يجعلون الالتفات الى الذكر حجابا شاغلا
وهذه المرتبة هو المطلوبة بالذات والبواقى مع اختلاف مراتبها مطلوبة بالعرض لكونها
طرقا الى ما هو المطلوب بالذات **فصل** السر فى توقف قطع الوساوس بالكلية على
التصفية والتخلية اولاً ثم المواظبة على ذكر الله ان بعد حصول هذه الامور للنفس يحصل
لقوتها العاقلة ملكة الاستيلاء والاستعلاء على القوى الشهوية والغضبية والوهمية
فلا يتاثّر عنها ويؤثّر فيها على وفق المصلحة فيتمكن من ضبط الواهمة والمتخيلة بحيث لو ارادت
صرفهما عن الوساوس لامكنها ذلك ولم يتمكن القوتان من الذهاب فى اودية الخواطر بدون
رايها واذا حصلت للنفس هذه الملكة وتوجهت الى ضبطهما كلما ارادتا الخروج عن الانقياد
والذهاب فى اودية الوساوس وتكرّر منها هذا الضبط حصل لهما ثبات الانقياد بحيث
لم يحدث فيهما خاطر سوء مطلقا بل لم يخطر فيهما الا الخواطر الخير من خزائن الغيب وحينئذ يستقر
النفس على مقام الاطمينان وينسدّ عنها ابواب الشيطان وينفتح فيها ابواب الملائكة ويصير
مستقرّها ومستودعها فيستضئ بشروق الانوار القدسية من مشكوة الربوبية وتشملها
خطاب يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ومثل هذه النفس
احسن النفوس واشرفها ويقابلها النفس المنكوسة المملوة من الخبائث الملوثة
بانواع الذمايم والرذايل وهى التى انفتح فيها ابواب الشيطان وانسدّ عنها ابواب الملائكة
ويتصاعد منها دخان مظلم اليها فيملأ جوانبها ويطفئ نور اليقين ويضعف سلطان
الايمان حتى يخمد انواره بالكلية ولا يخطر فيها خاطر خير ابدا ويكون دائما محلّ الوساوس
الشيطانية ومثلها لا يرجع الى الخير ابدا وعلامتها عدم تاثّرها من النصايح والمواعظ

لو اسمعت الحق عميت عن الفهم وصمّت عن السّمع والى مثلها اشير بقوله سبحانه افرايت من اتخذ
الهه هويه افانت تكون عليه وكيلا وبقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى
على ابصارهم غشاوة وبقوله سبحانه ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله تعالى
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وبقوله عز وجل لقد حق القول
على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبين هاتين النفسين نفس متوسط في السّعادة والشقاوة
ولها مراتب مختلفة في اتصافها بالفضائل والرّذائل بحسب الكمّ والكيف والزمان فيختلف
فيها فتح ابواب الملائكة والشّياطين بالجهات المذكورة فتارة يبتدئ فيها خاطر الهوى
فيدعوها الى الشّر وتارة يبتدئ فيها خاطر الايمان فيبعثها على الخير ومثلها معركة
تطارد جندي الشّياطين والملائكة وتجاذبهما فتارة يصول الملك على الشّيطان
فيطرده وتارة يحمل الشّيطان على الملك فيغلبه ولا يزال متجاذبة بين الحزبين متردّدة
بين الجندين الى ان يصل الى ما خلقت لاجله لسابق القضاء والقدر ثم النّفس الاولى
في غاية النّدرة وهي نفوس الكمّل من المؤمنين والثّانية في نهاية الكثرة وهي نفوس
الكفار باسرهم والثّالثة نفوس اكثر المسلمين ولها مراتب شتّى ودرجات لا تحصى
ولها عرض عريض يتّصل احد طرفيه بالنّفس الاولى واخرهما بالثّانية **فصل**
قد عرفت انّ الوساوس باقسامها مشتركة في احداث ظلمة وكدرة في النّفس الا انّ
مجرد الخواطر اي حديث النّفس وما يتولّد عنه بلا اختيار كالميل وهيجان الرّغبة
لا مؤاخذة عليهما ولا يكتب بهما معصية لعدم دخولهما تحت الاختيار فالمؤاخذة
عليهما ظلم والنهي عنهما تكليف بما لا يطاق والاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل
هذا فيؤاخذ به لكونه اختياريا وكذا الهمّ بالفعل والعزم عليه الا انّه لم يفعل مع الهمّ
خوفا من الله وندم عنه كتبت له حسنة وان لم يفعل لمانع منعه لا لخوف الله سبحانه
كتب عليه سيئة والدّليل على هذا التفصيل امّا على عدم المؤاخذة على مجرد الخاطر فما روي
في الكافي انه جاء رجل الى النّبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله هلكت فقال له هل اتاك الخبيث
فقلت الله تعم فقال لك الله من خلقه فقال الراي والذي بعثك بالحق لكان كذا فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله ذاك والله محض الايمان ومثله ما روي انّ رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا
رسول الله نافقت فقال والله ما نافقت ولو نافقت ما اتيتني تعلمني ما الذي رابك اظن

وفي منع الفاعل عن اختياره من خصائص الحكماء

فقال لك من خلقك

بيان ما ورد في عدم العقوبة على الخواطر الخارجة عن الاختيار

ان العبد والخاطر اتاه فقال من خلقك فقلت الله تعالى خلقني فقال له من خلق الله فقال اي والذي بعثك بالحق لكان كذا فقال ان الشيطان اتاكم من قبل الاعمال فلم يقو عليكم فاتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم فاذا كان كذلك فليذكر احدكم الله تعالى وحده وقريب منها روي ان رجلا كتب الى ابي جعفر عم يشكو اليه ما يخطر بباله فاجابه في بعض كلامه ان الله ان شاء ثبتك فلا يجعل لابليس عليك طريقا قد شكى قوم الى النبي صلعم لما تعرض لهم لان تهوي بهم الريح او يقطعوا احب اليهم من ان يتكلموا به فقال رسول الله اتجدون ذلك قالوا نعم قال والذي نفسي بيده ان ذلك لصريح الايمان فاذا وجدتموه فقولوا امنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة الا بالله وسئل الصادق عم عن الوسوسة وان كثرت فقال لا شيء فيها تقول لا اله الا الله وعن جميل بن دراج قال قلت للصادق عليه السلام انه يقع في قلبي امر عظيم فقال قل لا اله الا الله قال جميل فكلما وقع في قلبي شيء قلت لا اله الا الله فذهب عني ومما يدل على عدم المؤاخذة عليه على الميل وهيجان الرغبة اذا لم يكونا داخلين تحت الاختيار ما روي انه لما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلعم قالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث به نفسه ما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلعم لعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بذلك بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما روي عن امير المؤمنين عم في قوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الاية عرضت على الانبياء والامم السابقة ابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلعم وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم السابقة فابوا ان يقبلوها وقبلها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال عز من قائل لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما روي عن النبي صلعم انه قال وضع عن امتي تسع خصال الخطاء والنسيان وما لا يعلمونه وما لا يطيقونه وما اضطروا عليه وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان او يد وما روي انه سئل الصادق عم عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذه الله تعالى فقال عم الله تعالى اكرم من ان يستغلق على عبده والمراد من الغضب فيه الغضب الذي يسلب الاختيار وبالجملة القطع حاصل بعدم المؤاخذة على المعصية

في ترتب الثواب والعقاب على الهم بالطاعة والمعصية وأما تركه خوفاً من الله

من الباب الثالث

على ما لا يدخل تحت الاختيار من الخواطر والميل وهيجان الرغبة إذ النهي عنها مع عدم كونها اختيارية تكليف بما لا يطاق وإن لم ينفك عن إحداث خباثة في النفس وأما على أنه يكتب سيئة على الاعتقاد والهم بالفعل والتصميم عليه مع تركه لمانع لا لخوف من الله فهو أن كلاً من الاعتقاد والهم بالمعصية فعل من الأفعال الاختيارية للقلب وقد ثبت في الشريعة ترتب الثواب والعقاب على فعل القلب إذا كان اختيارياً قال الله سبحانه إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وقال سبحانه لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنما يحشر الناس على نياتهم وقال صلى الله عليه وآله إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه وقال صلى الله عليه وآله لكل امرئ ما نوى والأخبار الواردة في ترتب العقاب على الهم بالمعصية كثيرة وإطلاقها محمول على غير صورة الترك خوفاً من الله لما يأتي من أنه في هذه الصورة يكتب بها حسنة وكيف لا يؤاخذ على أعمال القلوب مع أن المؤاخذة على الملكات الردية من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وغيرها قطعي الثبوت من الشرع مع كونها أفعالاً قلبية وقد ثبت في الشريعة أن من وطئ امرأة ظاناً أنها أجنبية كان عاصياً وإن كانت زوجته وأما على أنه يكتب حسنة على الترك بعد الهم خوفاً من الله فلما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوه عليه بمثلها وإن تركها فاكتبوه له حسنة إنما تركها لأجلي وبما روي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أن الله تعالى جعل لآدم في ذريته من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة وعملها كتبت له عشراً ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ومن همّ بها وعملها كتبت عليه سيئة وقوله لم يكتب عليه محمول على صورة عدم العمل خوفاً من الله لما تقدم من أنه إن لم يعملها لمانع غير خوف الله كتبت عليه سيئة وما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال ما من مؤمن إلا وله ذنب يهجره زماناً ثم يلمّ به وذلك قوله إِلَّا اللَّمَمَ قال واللمم الرجل يلمّ بالذنب فيستغفر الله منه وقد ورد بهذا المضمون أخبار أخر

وصل قد عرفت أن ضد الوسوسة الخاطر المحمود المستحسن شرعاً وعقلاً لأن القلب إذا كان مشغولاً بشيء لا يمكن أن يشغله شيء آخر فإذا كان مشغولاً بالخواطر المحمودة لا سبيل للخواطر المذمومة إليه وربما كان للغفلة التي هي ضد التنبه تقابل لكل من الوسوسة والخاطر المحمود إذ عند الغفلة لا يتحقق شيء

في الصحيح عن [illegible] الرواية [illegible] عليه السلام

اشارة الى رفع [illegible] لتفصيل وبيان بعض شواهدها

في الاشارة الاجمالية الى فضيلة التفكر من جملة الخواطر المحمودة

منها ان خلو القلب عن كل نية وخاطر بحيث يكون سازجا في غاية الندرة على ان الظاهر
ان مرادهم من الغفلة خلو الذهن من القصد الباعث وان كان مشغولا بالوساوس الباطلة كما
يأتي تحقيقه ثم الخاطر المحمود ان كان قصدا ونية لفعل جميل معين كان متعلقا بالقوة التي
يتعلق هذا الفعل بها والا كان راجعا اما الى الذكر القلبي او الى التدبر في العلوم والمعارف
والتفكر في عجائب صنع الله وغرائب عظمته او الى التدبير الاجمالي الكلي فيما يقرب العبد الى الله
سبحانه وما يبعده عنه تعالى وليس وراء ذلك خاطر محمود متعلق بالدين اذ غير ذلك من الخواطر
المذمومة المتعلقة بالدنيا واذا عرفت ذلك فاعلم انه من معالجات مرض الوسواس معرفة
شرافة ضده الذي هو الخاطر المحمود لتبعثه على المواظبة عليه الموجبة لدفع الوساوس و
فضيلة الخواطر المحمودة الباعثة على الافعال الجميلة يأتي ذكرها في باب النية وربما يعلم
من بيان فضيلة نفس هذه الافعال ايضا كما يأتي وفضيلة الذكر القلبي يعلم في باب مطلق
الذكر اما بيان شرافة التفكر وبعض مجاريه من افعال الله تعالى والاشارة الى كيفية التفكر فيما
يقرب العبد الى الله تعالى وفيما يبعده عنه فلنشر اليه مجملا هنا لتعلقه بالقوة النظرية فنقول
التفكر هو سير الباطن من المبادي الى المقاصد والمبادي هي آيات الآفاق والانفس والمقصد
هو الوصول الى معرفة موجدها ومبدعها والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة و
لا يمكن لاحد ان يترقى من حضيض النقصان الى اوج الكمال الا بهذا السير وهو مفتاح الاسرار
ومشكاة الانوار ومنشأ الاعتبار ومبدأ الاستبصار وشبكة المعارف الحقيقية ومصيدة
الحقايق اليقينية وهو اجنحة النفس للطيران الى وكرها القدسي ومطية الروح للمسافرة
الى وطنها الاصلي وبه ينكشف ظلمة الجهل واستاره ويتجلى انوار العلم واسراره ولذا ورد
عليه الحث والمدح في الآيات والاخبار كقوله سبحانه اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وما خلق الله من شيء وقوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار
وقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الله الخلق وقوله تعالى ان في خلق
السموات والارض لآيات لاولي الالباب وقوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون وقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض وقول رسول الله صلى الله عليه وآله التفكر حياة

قلب البصیر و قوله ص فکر ساعة خیر من عبادة سنة و لا ینال منزلة التفکر الا من خصه
الله عز و جل بنور التوحید و المعرفة و قوله ص افضل العبادة ادمان التفکر فی الله و فی
قدرته و مراده من التفکر فی الله التفکر فی قدرته و صنعه و فی عجایب فعاله و مخلوقاته
و غرایب آثاره و بدایعه لا التفکر فی ذاته لکونه ممنوعا عنه فی الاخبار معللا بانه
یورث الحیرة و الدهشة و اضطراب العقل و قد ورد ایاکم و التفکر فی الله و لکن اذا
اردتم ان تنظروا الی عظمته فانظروا الی عظیم خلقه و اشتهر عن النبی ص انه قال تفکروا
فی آلاء الله و لا تفکروا فی الله فانکم لن تقدروا قدره و قول امیر المؤمنین ع التفکر یدعو الی البر و العمل به و قوله ع
نبه بالتفکر قلبک و جاف عن اللیل جنبک و اتق الله ربک و قول الباقر ع ما خالف التفکر
یسدد الرای المعشب و قول الصادق ع الفکر مرآة الحسنات و کفارة السیئات و ضیاء للقلوب و
فسحة للخلق و اصابة فی صلاح المعاد و اطلاع علی العواقب و استزادة فی العلم و هی خصلة
لا یعبد الله بمثلها و قول الرضا ع لیس العبادة کثرة الصلوة و الصوم انما العبادة
التفکر فی امر الله **تکملة** الموجودات باسرها مجاری التفکر و مطارح النظر اذ کلما فی
الوجود سوی واجب الوجود فهو من رشحات وجوده و آثار فیض وجوده و کل موجود
و مخلوق من جوهر او عرض مجرد او مادی فلکی او عنصری بسیط او مرکب فعل الله و صنعه
و ما من ذرة من ذرات العالم الا و فیها ضروب من عجایب حکمته و غرایب عظمته بحیث لو اجتمع
علماء الاقطار و حکماء الامصار لاستنباطها انقضت اعمارهم دون الوقوف علی عشر عشرها
و قلیل من کثیرها ثم ان الموجودات المخلوقة منقسمة الی ما لا یعرف اصله فلا یمکننا التفکر
فیه و الی ما یعرف اصله و مجمله دون تفاصیله فیمکننا التفکر فی تفصیله لیزداد
لنا معرفة و بصیرة و هو الی ما لا یدرک بحس البصر و یسمی بالملکوت کالملائکة و الجن
و الشیاطین و عوالم العقول و النفوس المجردة و لها اجناس و طبقات لا یحیط بها الا
موجدها و الی ما یدرک به و له اجناس ثلثة عالم السموات المشاهدة بکواکبها و
نجومها و دورانها فی طلوعها و غروبها و عالم الارض المحسوسة ببحارها و جبالها و وهادها
و تلالها و معادنها و انهارها و نباتاتها و اشجارها و حیواناتها و جماداتها و عالم
الجو المدرک بسحبه و غیومه و امطاره و ثلوجه و شهبه و بروقه و ریاحه و رعوده و
کل من هذه الاجناس الثلثة ینقسم الی انواع و یتشعب کل نوع الی اقسام و اصناف غیر

فی التنبیه علی مجاری التفکر
مع الاشارة الی العوالم و ترتیب

اشارة الى اجناس مجاري التفكر وانواعها من كليات العوالم

المقام الاول

متناهية

متناهية مختلفة فى الصفات والهيئات واللوازم والآثار والخواص والمعانى الظاهرة والباطنة وليس شيء منها الا وموجده هو الله سبحانه وفى وجوده وحركته وسكونه حكم ومصالح لا تحصى وكذلك مجارى التفكر والتدبر لتحصيل المعرفة والبصيرة بخالقها الحكيم وموجدها القيوم العليم اذ كلها شواهد عدل وبينات صدق على وحدانيته وحكمته وكمال كبريائه وعظمته فمن قوم قدم حقيقته وداوعالم الوجود وفتح عين بصيرته وشاهد مملكته وتبه الودود لظهر له فى كل ذرة من ذرات المخلوق عجائب حكمته وغرائب قدرته بهر منها عقله ووهمه وحسره وطال لبه وفهمه ثم لا ريب فى ان طبقات العوالم المنتظمة المرتبة على النحو الاصلح والنهج الاحسن بامر موجدها الحكيم ومدبرها العليم مبتدئة فى الصعود من الاشرف فالاشرف حتى ينتهى الى اسفل العوالم واخسها وهو عالم الارض بما فيه وكل عالم اسفل لا قدر له بالنسبة الى ما فوقه فلا قدر للارض بالنظر الى عالم الجو ولا للجو بالقياس الى عالم السموات ولا للسموات بالنسبة الى عالم المثال ولا للمثال بالنظر الى عالم الملكوت ولا للملكوت بالقياس الى الجبروت ولا للجميع بالنسبة الى ما لا سبيل لنا الى دركه تفصيلا واجمالا من عوالم الالوهية كما ظهر لعلماء الطبيعة واهل الرصد والهندسة ووضح لارباب المكاشفة والعرفان واصحاب المشاهدة والعيان ثم اخس العوالم الذى عرفت حاله اعنى الارض لا قدر لما على ظهرها من الحيوان والنبات والجماد بالنظر الى نفسها ولذا يفسد من ادنى تغير لها جل ما عليها ولكل جنس مما عليها انواع واقسام واصناف غير متناهية وا ضعف انواع الحيوان البعوض والنحل واشرف انواعه الانسان فنحن نشير الى نبذة من يسيرة من الحكم والعجائب المودعة فيها وكيفية التفكر فيها ليقاس عليها البواقى اجمالا فان بيان مجارى التفكر باسرها فى حيز المحال وما يمكن منه خارج عن حيطة الضبط والتدوين ولذا نرى ان البارعين من الحكماء والفائقين من اجلة العرفاء بذلوا وسعهم فى بيان مجارى التفكر ومطارحه وشرح مجال النظر ومسارحه فسطروا فيه الاساطير وملأوا منه الطوامير وخاضوا فى غمرات بحار الافكار وغاصوا فى تيار لجج الانظار ومع ذلك لم يعودوا بالنظر الى ما هو الواقع الا صفر اليدين ورجعوا اخر الامر بخفى حنين ونحن لو تعرضنا لشرح ما يمكن لنا دركه من الحكم والغرائب المودعة فى عضو واحد من اعضائنا على التفصيل لخرجنا عن وضع الكتاب وارتكبنا ما يمل الناظرين من الاطناب فنشير اجمالا الى بعض ما فيها من الحكم والعجائب تنبيها

للطالبين على كيفية التفكر في الصنائع الالهية فنقول اما البعوض فانظر كيف خلقه الله على صغر قدره على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما كخرطومه وخلق له مع صغره جميع الاعضاء التي خلقها للفيل بزيادة جناحين فقسم اعضائه الظاهرة فانبت جناحيه واخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه اعضاء الغذاء وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في الحيوانات العظيمة كما هي في الانسان ثم هداه الى غذائه الذي هو دم الانسان وغيره من الحيوانات فانبت له آلة الطيران الى الانسان وخلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الراس وهداه الى الامصاص من مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد من مسامه ويغرز فيه و يمص الدم ويتجرعه وخلق خرطومه مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الصافي الرقيق و ينتهي الى باطنه وينتشر في معدته وفي سائر اعضائه وعرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد مع كونها بعيدة منه فيترك المص ويهرب واذا سكنت اليد عاد وخلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه ولما كان حدقة كل حيوان صغير بحيث لا يحتمل الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب وغيرهما من الحيوانات الصغيرة يدين وعلمه ان يمسح بهما حدقتيه ويطهرهما عن الغبار والقذى او لا ترى الذباب انه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان وغيره من الحيوانات العظيمة خلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافهما حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى اطراف الاهداب فهذه لمعة يسيرة من عجايب صنع الله فيه وفيهما من العجايب الظاهرة والباطنة ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها اما النحل فانظر كيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون و استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والاخر شفاء وانظر في عجايب امرها في تناولها الازهار والانوار واجتنابها عن النجاسات والاقذار وفي طاعتها وانقيادها لواحد من جملتها هو اكبرهم شخصا وهو اميرهم وانظر كيف علم الله اميرهم ان يحكم بالعدل و الانصاف بينهم حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة ثم انظر الى بناء بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال المسدس فلا يبني مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل اختار

في غرائب آثار النحل ومبادي تكوّن الانسان وما يقرب منها

المقالة الأولى

المسدّس لخاصيّة يقصر عن دركها افهام المهندسين وهو انّ اوسع الاشكال واحواها المسدّس ثمّ ما يقرب منه فانّ المربّع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربّع حتّى لا يضيع الزوايا فيبقى فارغة ولو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة لانّ الاشكال المستديرة اذا اجتمعت لم يجتمع متراصّة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الوسعة والاحتواء من المستدير ثمّ يتراصّ الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الّا المسدّس فهذه خاصيّة هذا الشكل فانظر كيف علّم الله النحل مع صغر جرمها لطفها وعنايته بوجودها لتهنأ عيشها فسبحانه ما اعظم شانه وما ذكرناه قدر يسير من عجائب الحكمة المودعة فيها وما فيها من العجائب الظاهرة والباطنة ممّا لا يمكن الاحاطة به واما الانسان فنقول لا ريب في ان اوّل كلّ انسان قطرة من ماء قذرة لو خلّيت بنفسها لانتنها الهواء وافسدها وكانت متفرّقة في جميع اجزاء بدن الذكر فالقى الله بلطائف حكمته محبّة بينه وبين الانثى وقادهما بسلاسل الشهوة الى الاجتماع واستخرج هذه النطفة المنتشرة المنبثّة بحركة الوقاع واعطى لآلة الرجل قوّة دافعة ولرحم الانثى قوّة جاذبة حتّى جذبتها من فم الاحليل الى نفسها وامتزجت بمنيّ الانثى بحيث صارتا واحدة واستقرّت في الرحم وجعل مبدأ عقد الصورة في منيّ الذكر ومبدأ انعقادها في منيّ الانثى فهما بالنظر الى الجنين كالانفحة واللبن بالقياس الى الجبن والحقّ انّ لكلّ من المنيّين القوّة العاقدة والمنعقدة الّا انّ الاولى في الذكوري والثانية في الانوثي اقوى والّا لم يتّحد شيئا واحدا ولم ينعقد الذكوري حتّى يصير جزء من الولد فلو كان مزاج الانثى قويّا ذكوريّا كما في النساء الشريفة النفوس القويّة القوى وكان مزاج كبدها حارّا كان المنيّ المنفصل عن كليتها اليمنى احرّ كثيرا من المنفصل عن كليتها اليسرى فاذا اجتمعا في الذكر في شدّة قوّة العقد والمنفصل من اليسرى منيّ مقام الانثى في قوّة الانعقاد فيخلق الولد وبهذا يتصحّح ولادة مريم البتول عليها السلام حيث تمثّل لها روح القدس لبشرا سويّا باحسن الصورة فمع ما ذكرها تأيّدت به اي بروح القدس وسرى آثاره ايضا اليها بل الى الطبيعة والبدن وتغيّر مزاجها ومدّ جميع القوى في افعالها بالمدد الروحاني فصارت اقدر على افعالها بما لا ينضبط بالقياس ثمّ ابتدأ خلق الجنين في الرحم وشبّه بالعجين اذا الصق بالتنور فغيّره الله سبحانه عن حاله قليلا كالبذر اذا بثّ في الارض فصارت نطفة فاستجلب دم الحيض من اعماق العروق اليها حتّى ظهر فيها نقط

دموية

في بيان مراتب انتقال النطفة وانتقال الجنين وما يتفرع عليها

دموية منه وصارت علقة ثم اظهر فيها حمرة ظاهرة حتى صار شبيهاً بالدم الجامد وهيج

فيها ريح حارة فصارت مضغة ثم اظهر فيها رسوم الاعضاء وشكلها وصورها فاحسن

تصويرها فقسم اجزائها المتشابهة الى اجزاء مختلفة من العظام والاعصاب والعروق و

الاوتار واللحم والشحم ثم ركب الاعضاء الظاهرة والباطنة من اللحم والعروق والاعصاب فدوّر

الراس وشق البصر والسمع والفم والانف وسائر المنافذ ومدّ اليد والرجل وقسّم

رؤسها بالاصابع وقسّم الاصابع بالانامل وخلق كل واحد من القلب والدماغ والكبد والطحال

والمعدة والرية والرحم والمثانة والامعاء وغيرها من الاعضاء على شكل مخصوص

وجعل لكل واحد منها عملاً معيناً وفعلاً مخصوصاً وجميع ذلك يحصل للجنين وهو في

ظلمة الاحشاء محبوس وفي دم الحيض مغموس منضم في صرة كفاه على خديه ومرفقاه على

حقويه جمعت ركبتاه على صدره وذقنه على راس ركبتيه وهو كشبه نائم سرته متصلة

بسرة امه يمتص منها الغذاء ووجهه الى وجهها ان كان انثى والى ظهرها ان كان ذكراً فيتوارد

عليه تلك النقوش العجيبة والتصويرات الغريبة من غير خبرة منها له وللرحم ولا للاب والام

ولا يرى داخل النطفة او الرحم ولا خارجهما نقاش يصل اليه اثر نقشه فكان الجنين

بلسان حاله ينادي قلوب العارفين بنغمات الاحشاء تهيجها وترقصها تصوّروني في

ظلمة الاحشاء مغموساً بدم الحيض كيف يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش

اجفاني وحدقتي ويصوّر المصوّر خدّي وشفتي ولا يزال يظهر على نقش بعد نقش وصورة بعد صورة

ولا ارى نقاشاً ولا مصوراً او لا تتعجبون من هذا النقاش الذي لا يحتاج الى الآلة

تماس ومزاولة ولا يفتقر الى اله ومباشرة او لا تنتقلون من عجيب صنعه الى عظيم قدرته

وجسيم عظمته او ليس لكم اعين بها تبصرون او قلوب بها تفقهون فكيف تنظرون الى تكون

اعضائي وعجايبها ولا تعتبرون فانظر الان يا حبيبي في نبذ من العجايب والحكم المودعة

في بعض من هذه الاعضاء فتامل في العظام التي هي اجسام قوية صلبة كيف خلقها

من نطفة سخيفة رقيقة واحكمها وصلبها في الرحم بين المياه مع ان صلابة المايع في الماء محال

عادة وجعلها قواماً وعمارة للبدن واذا صلبها واحكمها لئلا تنكسر عند الحركات العنيفة

وقدرها بمقادير مختلفة وشكلها على اشكال متفاوتة فيها صغير وكبير وطويل وقصير و

مستقيم ومستدير ودقيق وعريض ومجوف ومصمت على ما اقتضته الحكمة والمصلحة ولما

كان الانسان محتاجا الى الحركة تارة بجملة بدنه وتارة ببعض اعضائه لم يخلقه من عظم واحد بل
جعل له عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر له الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه وقدر شكل
كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها وما لم يكن فيه فائدة سوى كونه عماد البدن خلقه
مصمتا وان جعل فيه المسام والخلل التي لا بد منها مما يحتاج اليه للحركة ايضا زاد في تجويفه ليكون
اخف وجعل تجويفه في الوسط واحدا لئلا يحتاج في وصول الغذاء اليه الى التجاويف والخلل
المتفرقة فتصير رخوا بل صلبه مع تجويفه لئلا ينكسر عند الحركات العنيفة وما كان الحاجة فيه
الى الوثاقة اشد جعل تجويفه اقل وما كان الاحتياج فيه الى الخفة اكثر جعل تجويفه ازيد وجمع
غذائه وهو المخ في حشوه ليغتذي به ويرطبه دائما لئلا يتفتت بتجفيف الحركة ثم وصل مفاصلها
وربط بعضها بالبعض بالاوتار النابتة من احد العظمين والتصقها بالآخر كالرباط وخلق
في احدهما زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل
فيها وينطبق عليها ولذلك لو اراد الانسان ان يحرك جزءا من بدنه دون سائر اعضائه
لم يتعسر عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم وسط بين العظام الصلبة واللحوم
الرخوة الغضاريف وهي من العظم الين ومن اللحم اصلب ليحسن اتصال الصلب باللين فلا
يتأذى منه خصوصا عند الضغطة والضربة ويحسن به مجاورة المفاصل المتحاكة فلا يترضض لصلابتها
ثم انظر يا اخي في العروق وما فيها من العجائب والحكم فانها خلقت على نوعين احدها
الشرايين وهي العروق الضوارب المتحركة ومنبتها القلب ولما كان القلب ينبوع الحيوة ومنبع الروح
والحرارة الغريزية خلقت هذه العروق مبتدئة منه منتشرة في سائر الاعضاء لايصال
الروح والحيوة منه اليها ولها حركتان انقباضية يقبض بها الاجزاء الدخانية عن القلب و
انبساطية يجذب بها صافي النسيم اليه ليستريح ولولا هذا القبض والجذب لاختنق القلب بالبخار
الدخاني وخلقت ذات صفاقين لئلا ينشق بقوة حركتها ولئلا يتحلل ما فيها من الروح وجعل
الصفاق الداخل اصلب لانه الملاقي لقوة الحرارة الغريزية ومصادمة حركة الروح فاوجب الحكمة
الالهية زيادة احكامها حفظا لها عن الانشقاق لقوة حركة الروح وتقوية لحمل الحرارة
الغريزية لئلا يتحلل شيء منها بتحلل محلها وواحد من هذه الشرايين لما كان ويسمى الشريان
الوريدي حاملا للغذاء الرية لان غذاءها من القلب ينفذ فيها ويصير شعبا فخلق لذلك ذا
صفاق واحد لئلا يزاحم تصلبه الرية لرقتها وخفتها ولينها مع عدم مصادمة حركة الروح لما اعتدل

لينه ورخاوته فلم يكن حاجة الى زيادة استحكام على ان الرئة تحتاج الى الغذاء على سبيل الترشح
بسرعة وسهولة وكثرة الصلابة منافية لذلك وثانيهما العروق الساكنة وتسمى الاوردة
وشأنها جذب الغذاء من المعدة الى الكبد ومنه الى سائر الاعضاء وهي ذات صفاق واحد
لانها ساكنة فلا يخشى انشقاقها وجعل واحد منها ويسمى الوريد الشرياني ذا صفاقين لنفوذه
في التجويف الايمن من القلب فكان اللازم زيادة وثاقته لئلا يعتريه الانشقاق بقوة حركة القلب و
صلابته وهو الذي يأتي بغذاء الرئة الى القلب اذا خلص عن القلب وجاوزه يأخذ الشريان
الوريدي منه الغذاء ويذهب به الى الرئة فانظر يا اخي الى عجيب حكمة ربك فان حامل
غذاء الرئة ما دام نافذا في القلب مصادما لحركته خلق صلبا ذا صفاقين واذا خلص عنه
الى الرئة التي لا تتحمل الصلب جعل رخوا ذا صفاق واحد فسبحان ما اجل شأنه واعظم برهانه ثم
تفكر ايها المتفكر في الرأس وعجيب خلقه حيث ركبه من عظام مختلفة الاشكال والصور و
الف بعضها الى بعض حتى استوت كرة كما ترى وجعله مجمع الحواس ولذا جعله مستديرا لان المستدير
ابعد من الآفات بالقياس الى ذي الزوايا واعظم مساحة منه مع تساوي احاطتهما وجعل
استدارته الى طول لان منابت الاعصاب الدماغية موضوعة في الطول فلو لم يتسع منبتها لازدحمت
وانضغطت والف قحفه من ستة اعظم اثنان بمنزلة السقف واربعة بمثابة الجدران ووصل
بعضها ببعض بالدروز والشؤون وجعل الجدران اصلب من اليافوخ الذي هو السقف
لان الصدمات عليها اكثر وتخلخل اليافوخ مما لا بد منه لخروج الابخرة المتحللة وعدم ثقله
على الدماغ وفائدة الدروز ان يخرج منها الابخرة المتحللة في الدماغ لئلا يؤدي مكثها الى
الصداع وغيره من الامراض الدماغية وجعل اصلب الجدران مؤخرها لانه غائب عن البصر فلا
يحرسه فاحتاج الى زيادة وثاقة وخلق فيها الدماغ لينا دسما لينطبع فيه المحسوسات بسهولة و
ليكون للاعصاب النابتة منه لدونة لئلا تنكسر وجعل مزاجه رطبا باردا لينفعل القوى المودعة
فيه عن مدركاتها ولئلا يشتعل بالحرارة الحاصلة من الحركات الفكرية وجعل مقدمه الذي
هو منبت الاعصاب الحسية الين من مؤخره الذي هو منبت اعصاب الحركة لان الحركة
لا تحصل الا بالقوة والقوة انما تحصل بالصلابة ثم جلل الدماغ بغشائين احدهما رقيق
لين ملاصق لجوهره وثانيهما غليظ صلب ملاصق للقحف وهو متقب بثقب كثيرة لاندفاع
الفضول منه وانشعب منه شعب دقاق تصعد من دروز القحف الى ظاهره لتتثبت بها هذا الغشاء

ذكر عجائب الصنع في خلق الدماغ والنخاع والأعصاب وأجزاء العين

بالقحف ولا ينفصل عنه وجعل بين جزئي الدماغ المقدم والمؤخر حجابا لطيفا ليحجب عن مماسة
الالين بالاصلب فيتأذى منه وخلق تحت الدماغ بين الغشاء الغليظ والعظم نسيجة شبيهة
بالشباك وقد تكونت من الشرايين الصاعدة من القلب والكبد الى الدماغ وقد فرشت
هذه الشبكة تحت الدماغ ليبرد فيها الدم الشرياني والروح ويتشبه بالدماغ بعد
النضج ثم تتخلص الى الدماغ على التدريج ولولاه لم يصلح الدم الكبدي والروح القلبي لكثرة
حرارتهما لتغذية الدماغ ولم يناسبا جوهره وجعل الفرج التي بين فروع هذه الشريانات
محشوة بلحم غددي لئلا تبقى خالية وليعتمد عليه تلك الفروع وتبقى على اوضاعها ثم لما كان
الدماغ مبدأ الحس والحركة ولم يكن لسائر الاعضاء حس وحركة بذاتهما وكان اللازم
ايصالهما منه اليها ولم يكن ذلك ممكنا بدون واسطة في الايصال فخلق الاعصاب من
جوهره ووصلها منه الى سائر الاعضاء من العظام وغيرها ليفيدها الدماغ بتوسطها
حسا وحركة وليشتد ويتقوى بها اللحم والبدن ايضا ثم لم يجعلها متصلة بالعظم مفردة بل
بعد اختلاطها باللحم والرباط لئلا تتأذى من صلابته ثم لما كان نزول جميع الاعصاب التي
يحتاج اليها من الدماغ موجبا لثقل الرأس وعظمه خلق الله من جوهر الدماغ اشبه شيء به وهو
النخاع وجعل في اسفل القحف ثقبا واخرجه منها وخصصه بالعنق والصلب واخرج منه كثيرا من
الاعصاب المحتاج اليها الى الاعضاء فالدماغ بمنزلة العين والينبوع للحس والحركة والنخاع
بمثابة النهر العظيم الجاري منه والاعصاب كالجداول والمنبع اليق من النهر والنهر اليق من
الجداول ثم انظر يا حبيبي كيف خلق العين وفتحها واحسن شكلها ولونها وهيأتها
ورتب لها سبع طبقات وثلث رطوبات كل منها على شكل خاص ولون مخصوص لو تغير
شيء منها عما عليه لاختل امر الابصار وتأمل كيف اظهر في حدقتها التي بمقدار العدسة صورة
السماء مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها وحماها بالاجفان ليسترها ويحفظها ويصقلها
وجعلها وقاية لها بدفع الاقذاء عنها ويمنعها عن وصول الغبار والدخان والشعاع
اليها عند انطباقها وجعل الجفن الاسفل اصغر من الاعلى لان الاعلى يستر الحدقة تارة ويكشفها اخرى
بتحركه واما الاسفل فغير متحرك فلو زيد على هذا القدر لستر شيئا من الحدقة دائما ويجتمع فيه
الفضول ولا ينسيل ثم زين الاجفان بالاهداب ليمنع من الحدقة بعض الاشياء التي لا يمنعها
الاجفان مع انفتاح العين كما يرى عند هبوب الرياح التي تأتي بالاقذاء فينفتح العين ادنى

فتح ويتصل الاهداب الفوقانية بالسفلانية فيحصل شبه شباك ينظر من ورائه فيحصل الرؤية
مع دفع القذاء ثم انظر كيف شق الاذن واودعها ما يحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها و
جعل ثقبتها محاطة بصدفة مرتفعة لئلا يتأذى من البرد والحر وغيرهما مما يؤذي وليجتمع فيها
الهواء المتحرك من الاصوات فينفذ فيها ويحرك الهواء الذي في داخلها وبموجه كما ترى
من دوائر الماء اذا وقع فيه شيء حتى يصل الى العصبة المفروشة على الصماخ التي فيها
قوة السمع فيدرك الصوت وجعل في منفذها تجويفات واعوجاجات كثيرة ليكثر حركة
ما يدب فيها ويطول طريقها فيتنبه صاحبها اذا قصدتها دابة موذية فيدفع شرها وخلق فيها
جرما منتنا عفنا لينفر عنه الدواب الموذية ولا يدخلها ثم تأمل كيف زين الوجه بالحاجبين و حسنهما
بدقة الشعر واستقواس الشكل وزين وجه الرجل باللحية ووجه المرأة بعدمها والمتامل يعرف
ان اللحية زين للرجل وشين للمرأة وهذا من عجائب الحكمة وزين الوجه برفع الانف من وسطه
وحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه
واغذيته وليستنشق الهواء الطيب الصافي ويدفع الهواء الحار الدخاني ترويحا للقلب وجعل
له منخرين ليميل الفضلات النازلة من الدماغ غالبا الى احدهما ويبقى الآخر مفتوحا فلا تنسد
طريق الاستنشاق باسرها ثم انظر الى الفم وعجائبه والى اللسان وغرائبه فانه سبحانه لعظيم
قدرته وحكمته فتح الفم واودعه اللسان وجعله ناطقا معربا عما في القلب ومكنه من التكلم
باللغات المختلفة وتقطيع الاصوات واخراج الحروف المتباينة وجعل له قدرة على الحركة
في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها وخلق الفكين وركب
فيهما الاسنان ليكون آلة للطحن والقطع والكسر فاحكم اصولها وحسن لونها ورتب صفوفها
متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كالدرر المنظومة مختلفة الاشكال باختلاف الاغراض
والمقاصد متفاوتة الاوضاع بتفاوت الغايات والفوائد ولما كان الطعام يحتاج تارة
الى الكسر وتارة الى القطع واخرى الى الطحن فقسم الاضراس الى عريضة طواحن كالاضراس
الحادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب والاضراس التي في الفك الاعلى
لما كانت معلقة جعل اصولها ثلثة او اربعة والتي في الفك الاسفل اكتفى في اصولها باثنين او
ثلثة لعدم الاحتياج وجعل لسائر الاسنان اصلا واحدا لعدم ثقل فيها ثم جعل مفصل الفكين
متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى وهو

ثابت لا يتحرك فيتم الطحن بذلك فانظر في عجيب صنع الله في هذه الرحي حيث يدور الاسفل منها على الاعلى على خلاف سائر الارحية لدوران الاعلى فيها الدماغ والحواس فتحركهما كان منافيا لاذيتهما واضطرابهما وايضا هو مفصل الراس والعنق فلو تحرك لم يستحكم مع ان الوثاقة فيه لازمة ثم لما كان مضغ الطعام محتاجا الى تحركه فيما تحت الاسنان فاعطى الله سبحانه قدرة على اللسان بان يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة ولما كان الطعام يابسا فلم يمكن ابتلاعه الا بنوع رطوبة فخلق تحت اللسان عينا جارية تفيض منها اللعاب وينصب بقدر الحاجة حتى يعجن به الطعام ويقدر على ابتلاعه ثم تفكر كيف خلق الحناجر وهياها لخروج الاصوات وجعلها مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة والطول والقصر وصلابة الجوهر ورخاوته حتى اختلفت بها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرق حتى يميز السامع اصوات احاد الناس بمجرد اصواتهم في الظلمة والغيبة ثم مد العنق وجعله مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تجويفات وزيادات ونقصانات لينطبق البعض على البعض ولما كان اكثر منافعه في الحركة جعل مفاصله سلسة ولم يجعل زوائدها المفصلية كبيرة كزوائد فقرات الصلب ليكون حركاته اسرع وتدارك تلك السلاسة باعصاب عضلات كثيرة محيطة به ثم انظر الى عجايب المعدة والالات التي بها الاكل فجعل سطح الفم متصلا بفم المعدة بحيث كانهما سطح واحد حتى يحصل اولا نوع انهضام بالمضغ ثم هيا المري والحنجرة وجعل على راسها طبقات ينفتح لاخذ الطعام ثم ينطبق وينضغط حتى يهوي الطعام من دهليز المري الى المعدة فاذا ورد عليها لا يصلح ان يصير عظما ودما ولحما على هذه الهيئة بل لا بد ان ينطبخ انطباخا تاما متشابها باجزائه فخلق الله المعدة على هيئة قدر يقع فيه الطعام وينغلق عليه الابواب خلق فيها حرارة صالحة للطبخ ومع ذلك جعلها محاطة من جوانبها الاربع بالحرارة المنبجسة من الكبد والطحال والثرب ولحم الصلب فمن هذه الحرارات ينطبخ الطعام في المعدة وينهضم حتى يصير كيلوسا اي جوهرا سيالا يشبه ماء الكشك الثخين ثم خلق الله بعظيم حكمته ووافر قدرته لايصال صفو ما طبخ في المعدة الى الكبد قسمين من العروق احدهما العروق المخلوقة في تحت المعدة المتصلة بالامعاء المسماة بالماساريقا وجعل لها فوهات كثيرة لينصب لطيف المطبوخ فيها وثانيهما العرق المسمى بباب الكبد الذي ينفذ فيه بعد تفرقه بعروق شعرية ليفتش منتشرة في اجزائه وجعل الماساريقا متصلة بباب الكبد فاذا انفصل

على الاسفل والحكاية في تحرك الاسفل دون الاعلى ان الاعلى مع ...

في بيان حالات الاغذية من طبخها نقلا وترتيب فوائدها وانتفاعاتها وكيفية تولد الاخلاط

خالص الكيلوس في الماساريقا يوصله الى باب الكبد وينصب منه الى العروق الليفية المتفرقة في جرم
الكبد فيستولى قوة الكبد على هذا الكيلوس بحيث يلاقى كله ولذا يصير فعله اشد واسرع فيمتصه ويجذبه
الى نفسه فيطبخه ويفيده الحرارة والحمرة حتى ينصبغ بلون الدم ومن هذا الطبخ يحصل شئ كالرغوة
وهي الصفراء وشئ كالدردى وهو السوداء وشئ كبياض البيض وهو البلغم وهو كما يكون من
هذا الطبخ يكون من الطبخ الاول ايضا وقد يصير شئ من هذا البلغم الى الكبد مع عصارة الطعام
ويبقى المتصفى من هذه الجملة دما نضيجا ذا رطوبة مائية منتشرة في العروق الشعرية فلو بقيت الصفراء
والسوداء والبلغم والمائية مختلطة بالدم ولم ينفصل عنه لفسد مزاج البدن فخلق الله بحكمته
الكليتين والمرارة والطحال وجعل لكل منها عنقا يمتد الى الكبد وجعل عنقا الآخرين
داخلا في تجويف الكبد ولم يجعل عنقا الكليتين داخلا في تجويفه بل جعلهما متصلين بالعروق
الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذبا مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو
امتد اجتذبت قبل ذلك لغلظت ولم يخرج بسهولة عن العروق الدقيقة الشعرية ثم اذا
انجذبت المائية من جانب محدب الكبد من طريق العروق الطالعة منه الى الكليتين حملت مع نفسها
من الدم ما يكون صالحا لهما وكيفا لغذائهما فيغتذى الدسم والدموية من تلك المائية و
يندفع ما فيها الى المثانة ومنها الى الاحليل واما المرارة فيأخذ الرغوة الصفراوية من محدب
الكبد بعنقها الذي يتصل بالكبد وتقذفها من منفذ آخرها الى الامعاء لتلذعها بحدتها
فتحركها على دفع الاثفال التي تقرب من الكيلوس بعد ذهاب صفوته الى الكبد فيندفع حتى
يندفع منها الاثفال وبخروجها يخرج تلك الرغوة الصفراوية وصفرتها لذلك واما
الطحال فيأخذ بعنقه المتصل بمحدب الكبد منه الرسوب السوداوي ويحيله حتى يكتسب قبضا و
حموضة ثم يرسل منه في كل يوم شيئا الى فم المعدة لتنبهه بالجوع فيحرك الشهوة بحموضته وبقبضه ثم
يخرج بخروج الثفل ايضا واما الدم فيتوجه الى الاعضاء ويتوزع عليها في شعب العرق
الاجوف العظيم النابت من محدب الكبد فيسلك في الاوردة المتشعبة منه في جداول ثم في
سواقي الجداول ثم في رواضع السواقي ثم في العروق الشعرية الليفية ثم يترشح من فوهاتها
في الاعضاء بتقدير خالق الارض والسماء ومما ذكر ظهر انه لو حدث بواحد من المرارة
والطحال والكليتين آفة فسد الدم وحصل امراض الخلط الذي يجذبه من الكبد فلو عرضت آفة
بالمرارة حدثت الامراض الصفراوية ولو حلت آفة بالطحال حصلت امراض سوداوية ولو لم يندفع

التمهيد الاول

المائية الى الكلى يعرض افتها حصل مرض الاستسقاء واما البلغم فما يتكون في الكبد او يصير
البدمع عصارة الطعام انهضم فيه وصار دما وما يبقى منه في الامعاء ولم ينحدر الى الكبد انفذ
بمرة الصفراء التي شأنها تنقية الامعاء من الفضول وحدتها وسيلانها لمجاريها ومن البلغم ما يبقى في البدن
لاحتياج البدن في حركة المفاصل وترطيب الامعاء ومنه ما يخرج من الفم بالقيء والبصاق او
ينحدر من الراس الى الفم ويخرج منه بالتنحنح ثم انظر يا اخي في القلب وعجائبه حيث خلقه جسما
صنوبريا وجعله منبعا للروح الحيوة ولذا خلقه صلبا ليكون محفوظا من الواردات وجعل هذا
الروح جرما حارا لطيفا نورانيا شفافا وجعله مطية للنفس وقواها واناط به حيوة الانسان
وبقائه فيبقى ببقائه ويفنى بفنائه فكل عضو يفيض عليه من سلطان نوره يكون حيا والا
كان ميتا ولذا لو حصل بعضو سدة مانعة من نفوذه فيه بطل حسه وحركته ويتوزع هذا
الروح من القلب الذي هو منبعه الى ساير الاعضاء العالية والسافلة بوساطة سفراء الشراين
والاوردة فمنه ما يصعد منه الى الدماغ بايدي خوادم الشراين ويعتدل بكسب البرودة من جوهر
الدماغ ثم يفيض على الاعضاء المدركة والمتحركة منبثا في جميع البدن ليسمى روحا نفسانيا
ومنه ما ينزل بمصاحبة الاوردة الى الكبد الذي هو مبدء القوى النباتية ومنه يتفرق الى سائر
الاعضاء ليسمى روحا طبيعيا وقد خلق الله سبحانه هذا الروح من لطائف الامشاج الار
كما خلق الاعضاء من كثايفها وهذا الروح مثاله جرم نار السراج والقلب الذي محله كالسراج
له والدم الاسود الذي في باطن القلب يتكون هذا البخار اللطيف منه بمنزلة الفتيلة له و
له كالزيت والحيوة الظاهرة في جميع اجزاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما
ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفى مهما انقطع غذائه وكما ان الفتيلة
قد يحترق ويصير رمادا بحيث لا يقبل الزيت فكذلك الدم الاسود الذي في باطن القلب قد يحترق
[illegible]
بحيث لا يقبل الغذاء الذي يبقى الروح به كما لا يقبل الرماد الزيت فيه ولا يتشبث النار به و
كما ذكرنا وتارة بسبب من خارج كهبوب ريح او
كما ان السراج ينطفى تارة بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج كالقتل وكما ان انطفاء
السراج هو منتهى وقت وجوده كذلك انطفاء الروح هو منتهى وقت وجود الانسان وهو اجله
الذي اجله في ام الكتاب وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله كذلك الروح اذا انطفى
اظلم البدن كله وفارقته انوار التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات
والقدر والارادات وسايرها بجمعها معنى الحيوة ثم انظر يا حبيبي ازكيت من اهل

انظر في اليدين وحكمتهما حيث طولهما ليمتد الى المقاصد وعرض الكف ووضع عليها
الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلث انامل وجعل الابهام في جانب والبواقي في جانب ليدور
عليها ولو اجتمع الاولون والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر في وضع الاصابع
سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام من الاربع وترتيبها في صف واحد وتفاوتها في الطول و
القصر على ان يكون هذا الوجه ازين واصلح منه او مثله وشبهه في الزينة والمصلحة لم يقدروا
عليه اذ بهذا الترتيب صلحت للقبض والاعطاء فان بسطتها كانت لك طبقا تضع عليها ما
تريد وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وان نشرتها ثم ضممتها ضما غير تام كانت لك مغرفة و
ان بسطت الابهام على السبابة كانت لك مخرزة وان بسطت الكف مع اتصال الاصابع كانت
لك مجرفة وان بسطت الكف وجمعت عليها الاصابع كانت لك محرزة الى غير ذلك من المنافع
ثم خلق الاظفار على رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها
الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي
هو اخس الاعضاء لو عدمها الانسان وحدث به حكة لكان اضعف الخلق واعجزهم ثم هدى
اليد على غيره لم يعثر على موضع الحك ثم خلق الرجلين الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في حال
النوم والغفلة من غير حاجة الى فحص وطلب لو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك ثم خلق الرجلين
مركبين من الفخذ والساق والقدم كل منها على شكل خاص وتركيب خاص ليتحرك بهما الانسان
الى موضع اراد ولو تغير شيء من الشكل والوضع او التركيب في جزء من اجزائهما لاختل امر الحركة
ووضع عليهما جملة البدن وجعلهما كالدعامة والاساس له وجعلهما ملائمين لثقله مع خفتهما وصغر
جثتهما بالنسبة اليه اذ حسن التركيب وسهولة الحمل والحركة في مثل هذا الخلق لا يتصور بدون ذلك
فانظر في عجيب حكمة ربك حيث جعل الاخف والادق الذي هو اصغر اساسا وحاملا للاثقل والاغلظ
والاكبر مع ان كل بناء يكون اساسه اكبر واغلظ مما يبنى عليه وكل حامل يكون اعظم جثة من المحمول
فسبحان من خالق لا نهاية لعجائب حكمته وغرائب قدرته ثم خلق جميع ذلك في النطفة في جوف الرحم
في ظلمات ثلث ولو كشف عنها الغطاء وامتد اليها البصر لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها
شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فسبحان من مصور فاعل يتصرف في مصنوعه من دون احتياج الى
مباشرة الة ولا افتقار الى مكان وحيز وعمل فيه وتقليب ثم تامل ايها المتامل في عجائب حكم ربك اذ لما
كبر الصبي ضاق عنه الرحم كيف هداه السبيل الى الخروج حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك

المضيق كانه عاقل بصير لما خرج وكان محتاجا الى الغذاء ولم يحتمل بدنه الاغذية الكثيفة اللينة ورخاوته خلق له اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم خالصا سائغا وخلق الثديين وجمع فيهما هذا اللبن وانبت منهما الحلمة على قدر ما ينطبق فم الصبي وهداه الى التقامها وفتح فيها ثقبا ضيقة جدا حتى لا يخرج اللبن الا بعد المص تدريجا لان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم هداه الى الامتصاص حتى يستخرج من مثل هذا المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع واخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه لا يحتاج فيهما اليها لتغذيه باللبن وما دام مغتذيا به لما كان في دماغه رطوبة كثيرة سلط عليه البكاء ليسيل به تلك الرطوبة فلا تنزل الى بصره او الى عضو من اعضائه فيفسده ثم لما كبر لم يوافقه اللبن السخيف وافتقر الى الاغذية الغليظة المحتاجة الى المضغ والطحن انبت له الاسنان عند الحاجة من دون تقديم وتاخير وحنن عليه قلوب الوالدين بالقيام على تربيته وتكفل حاله ما دام عاجزا عن تدبير نفسه ثم رزقه الادراك والفهم والقدرة والعقل على التدريج حتى بلغ ما بلغ واودع في نفسه المجردة وقواها الباطنة اسرارا عجيبة تتحير فيها طوامح العقول وتدهش منها ثواقب الانظار والفهوم فانظر الى قوة الخيال بعرصتها الغير المنقسمة كيف تطوي السماء والارض وتتحرك من المغرب الى المشرق في آن واحد والى قوة الوهم كيف تستنبط كثرة المعاني الجزئية في لحظة واحدة وتأخذها من حواق الاشياء والى المتخيلة كيف تركب بعضها بالبعض وتأخذ منها ما فيه الصلاح والرشاد في امر المعاش والمعاد ثم انظر في عجائب النفس وغرائبها من احاطتها بالبدن كله وتدبيرها له مع تنزهها عن صقع المكان واتصافها بالعلم والقدرة وسائر الصفات الكمالية وتمكنها من الاحاطة على حقائق الاشياء باسرها وتصرفها في الملك والملكوت بقوتها العقلية والعملية ومع ذلك عاجزة عن معرفة ذاتها وحقيقتها ومن تطوراتها في الاطوار المختلفة وتقلبها في النشآت المتباينة وترقياتها بحسب درجاتها ومقاماتها من لدن تعلقها بالنطفة القذرة الى صيرورتها عالما ربانيا محيطا بحقائق الاشياء متصلا بالملكوت الاعلى ومن اجتماع عوالم السباع والبهائم والملائكة والشياطين فيه واطاعة جميع الموجودات له حتى السباع تخضع لديه والطيور تخفض اجنحة الذل بين يديه وتسخره الجن وتسخر الكواكب روحانيتها ومن عجائب عالم الطبع الموزون والصوت الحسن وعلمه بالصناعة الموسيقية واستنباطه انواع الصنائع العجيبة والحرف الغريبة ومنها امر الرؤيا واخباره بالمغيبات لاتصاله بالجواهر الروحانية وتاثيره في مواد

في الاشارة الى بعض آثار النفوس القوية والاعتبار عن صيرورة النطفة المهينة صورة

الاكوان بنزع صورة والباس اخرى فيؤثر بانقطاعه الى الله في استحالة الهوا الى الغيم ونزول

الامطار وازالة انواع الامراض واهلاك قوم وانجائهم وتمكنه من فعل وتحريكات يخرج عن

وسع مثله وامساكه عن القوة مدة غير معتادة واقتداره على اظهار بدنه المثالي في مواضع

مختلفة في وقت واحد واحضار ما يريد من المطاعم والملابس ومصاحبته مع الملائكة واخذ

العلوم منهم فانظر يا اخي ان كنت من اهل اليقظة الى قدرة ربك العظيم حيث اودع جميع ذلك

فيما عرفت حاله من النطفة السخيفة القذرة فهذه النطفة هي التي قد تصير ملكا شديد الهمة

والبطش مسخرا للربع المسكون بحيث يكون منوط بانتظام النوع واختلاله وقد تصير بحيث يظهر منه

خوارق العادات وغرايب المعجزات في عالم الارض وقد يتعدى الى عالم الافلاك فيشق القمر و

يرد الشمس وليت شعري ان الناس كيف يتعجبون من صيرورة الميت حيا مع ان جثته موجودة

وانما افيض عليه مجرد حس وحركة ولا يتعجبون من بلوغ قطرة ماء قذرة الى المراتب التي عرفتها

اليس المنشأ لذلك الا كثرة مشاهدتهم وتكرر ملاحظتهم له مع ان هذا لا يدفع التعجب والغرابة

ولو نظروا بعين العبرة والبصيرة اذ منشأهما اما عظم الصنع وحسن الابداع فهما في بلوغ النطفة

الى المراتب المذكورة اقوى واشد من احياء ميت او دلالة هذا الصنع والفعل على صانع حكيم

فاعل عليم فلا ريب ايضا في ان دلالة الاول على ذلك اشد من دلالة الثاني عليه اذ كل من ذوق

ادنى حظ من البصيرة يعلم ان بلوغ قطرة ماء قذرة الى المراتب المذكورة ليس الا من قدرة قادر

حكيم وصنع صانع عليم او من حدوث الفعل من دون مشاهدة سبب مباشر فهذا في امر النطفة

اظهر وعلى اي تقدير كان يكون التعجب والغرابة في بلوغ النطفة السخيفة القذرة الى المراتب المذكورة

اشد واحرى من التعجب في احياء ميت او ابراء اكمه او ابرص او تكلم حيوان او نبات او جماد او

غير ذلك من خوارق العادات وغرايب المعجزات فالنظر الذي لا يقتضي منه التعجب انما هو نظر حمقاء

لم ينشأ عن حقيقة الروية والاتقان ولم يصدر عن ذي قلب يقظان وبالجملة الحكم والعجايب

المودعة في النشأة الانسانية اكثر من ان تحصى وانما اشرنا الى نبذة قليلة منها تبصرة لمن استبصر

وتنبيها على كيفية التفكر في ساير مجاري الفكر والتطرق قال الامام ابو عبد الله عم ان الصورة

الانسانية اكبر حجة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهو

مجموع صور العالمين وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ وهي الشاهد على كل غايب وهي

الحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم الى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار ذات

فوائد في ذكر بعض ما في الارض من عجائب المعادن والنبات والحيوانات

عرفت بعض عجائب نفسك وبدنك فقس عليه عجائب الارض التي هي مقرك بوهادها وتلالها وسهلها
وجبالها واشجارها وانهارها وبحارها وازهارها وبراريها وعمارها ومدنها وامصارها
ومعادنها وجمادها وحيواناتها ونباتها فان كل ما نظرت اليه منها لوجدته مشتملا على غرائب
حكم لا تعد وعجائب مصالح لا تحد ولرايته اية باهرة على عظمة مبدعه وحجة قاطعة على جلالة
موجده فانظر اولا الى رواسي الجبال وشوامخ الصم الصلاب كيف احكم بها جوانب الارض واودع
الماء تحتها فانفجرت من هذه الاحجار اليابسة والتربة الكدرة مياه عذبة صافية واودع فيها
الجواهر النفيسة الغالية وهدى الناس الى استخراجها واستعمالها فيما ينبغي وخلق في الارض معادن
يحتاج اليها نوع الانسان ولو فقد واحد منها لم يتم انتظامه ولم يترك معمورة لم يكن في قربها
هذه المعادن وجعل ما يكون الاحتياج اليه اشد واكثر اعم وجودا واقرب مسافة كالملح
ومثله ثم انظر الى انواع النبات بكثرتها واختلافها في الاشكال والالوان والطعوم و
الروايح والخواص والمنافع فهذا يغذي وهذا يقوي وهذا يقتل وهذا يحيي وهذا يسخن و
هذا يبرد وهذا يجفف وهذا يرطب وهذا يسهر وهذا ينوم وهذا يحزن وهذا يفرح الى غير ذلك
من المنافع المختلفة والفوائد المتباينة مع اشتراكها في السقي من ماء واحد والخروج من ارض
واحدة فان قلت اختلافها لاختلاف بذورها قلنا متى كانت في النواة نخلة مطوقة بعناقيد
الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وانظر الى كل شجر ونبت
اذا انزل عليها الماء كيف تهتز وتربو وتخضر وتنمو بجميع اجزائه من الاصول والاغصان
والاوراق والاثمار على نسبة واحدة من غير زيادة لجزء على اخر لوصول الماء اليها على
نسبة واحدة وقسمته عليها بالسوية فمن هذا القاسم العدل في فعل ما ليس له شعور و
لا ادراك فتبا لاقوام يسندون هذه الحكم المتقنة الظاهرة والمصالح المحكمة الباهرة
الى ما لا خبر له بوجوده وذاته ولا بافعاله وصفاته ثم انظر الى انواع الحيوانات واصنافها و
كثرتها واختلافها من الطيور والوحوش والسباع والبهائم كيف هدى الله كل واحد منها
الى ترتيب ما لابد له لتحصيل القوت وجعل الاهم معاش الانسان بدونه من الانعام والبهائم
مانوسا به غير متوحش عنه وغيره وحشيا غير الف به وجعل في كل منها من عجائب الحكم و
غرائب المصالح ما يتحير منه العقول فمن ذا الذي يقدر ان يحيط بعجائب خلق العنكبوت والنحل
بل البقة والنملة وغرائب افعالها مع كونها من صغار الحيوانات من وضع منازلها وجمع

في الانتقال من عجائب البر الى عجائب البحر ومنها الى عجائب الجو ومنها الى بعض عجائب الفلكيات

انواعها لم يدخارها لنفسها وهدايتها الى حوائجها فاى مهندس يقدر ان يرسم بيوت النحل
والعنكبوت على هذا التناسب الهندسي وانظر كيف جعل العنكبوت بيته لتصيد بها البق
والذباب وبالجملة كل شخص من الحيوان اودع فيه من العجائب ما لا يمكن وصفه وكل احد ثم ما يدرك
قدر ما يصل اليه فهمه ثم انتقل من عالم الارض الى عالم البحر وعجائبه من الحيوانات والجواهر
والنفائس فان العجائب المودعة فيه اضعاف عجائب الارض كما ان سعته اضعاف سعتها وكل
حيوان يوجد في الارض يوجد فيه وفيه حيوانات اخر ليس لها نظير في البر اصلا وقد يوجد فيه من
الحيوانات ما عظمه بقدر جزيرة عظيمة وكثيرا ما ينزل الركبان عليه فيتحرك ومن عجائبه خلق
اللؤلؤ في صدفه تحت الماء وانبات المرجان من صم الصخور تحته مع كونه على هيئة شجرة نابتة
نامية وقس عليه العنبر وسائر النفائس التي يقذفها البحر ويستخرج منه وبالجملة عجائب البحر
اضعاف عجائب البر وقد صنف جماعة فيها مجلدات من الكتب ومع ذلك لم يأتوا الا باليسير ولم
يذكروا الا قليلا من كثير ثم انتقل الى عالم الجو وعجائبه من السحب والغيوم والامطار والثلوج
والشهب والبروق والصواعق والرعود فانظر الى السحاب الخفيف مع رخاوته كيف يحمل الماء الثقيل
ويسكن في جو صاف لا يتحرك الا باذن الله سبحانه في ارساله الماء وتقطيره القطرات كل
قطرة بالقدر الذي شاء واراد فينزل قطرات متفاصلة لا يدرك قطرة منها اخرى ولا يتقدم
المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة وعين كل قطرة لجزء من الارض وقوتا
لحيوان معين ولو كنت يا حبيبي ذا قلب لشاهدت في كل قطرة خطا الهيا مكتوبا بقلم الهي انه
يصيب الجزء الفلاني من الارض ورزق للحيوان الفلاني في الموضع الفلاني ثم ارفع راسك
الى هذا السقف الاخضر قائلا سبحانك ما خلقت هذا باطلا وانظر الى هذه الاجرام النورية
وعجائبها واصرف برهة من وقتك في الفحص عن حقائق غرائبها من الشمس واضائتها عالم
الاكوان والقمر واختلاف تشكلاته في الزيادة والنقصان وسائر الانجم الدائرة والكواكب
الثابتة والسائرة واختلاف صورها واشكالها ومقاديرها واوضاعها وتفاوت
مشارقها ومغاربها وتباين منازلها ومواضعها واجتماعها واتصالها وتفرقها وانفصالها
وطلوعها وافولها وكسوفها وخسوفها وانتظام حركاتها واستدارة دورانها وحسن وضعها
وترتيبها وعجيب نضدها وترصيعها بحيث حصل من كيفية نضدها ووضعها صور جميع الحيوانات
من العقرب والحمل والثور والجدي والانسان والحوت والسرطان بل صور غير الحيوان من السنبلة

في الالتفات الى الوان الكواكب وفي افلاكها واختلاف مقادير اجرامها

المقام الأوّل

الميزان والقوس والدلو وغير ذلك حتى مامن صورة في الارض الاولها تمثال في السماء ايظنّ عاقل ان وضع هذه الكواكب على هذه الصورة واختلاف بعضها في اللون ككمودة زحل وحمرة المريخ وقلب العقرب صفرة عطارد وبصاصة الزهرة والمشترى بمجرد الاتفاق وليس لخالقها في ذلك حكمة ومصلحة فما اشدّ جهلا وحمقا من توهم ذلك ثم انظر الى حركة الشمس لسيرين فلكيها واتمامها الدور بهذا السير في سنة وبه تقرب عن وسط السماء وتبعد عنه وبسير آخر تطلع وتغرب في كلّ يوم وتتم الدور بيوم وليلة فلولا سيرها الاول الموجب لغاية قربها الى وسط السماء مدة وغاية بعدها عنه تارة وتوسطها بين الغايتين مرتين لم يحصل الفصول الاربعة الموجبة لنشو النباتات والثمار ونضجها وبلوغها الى غاياتها المطلوبة ولولا سيرها الثاني لم يختلف الليل والنهار فلم يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ولم يعرف المواقيت من الشهور والاعوام والساعات والايام وتامّل في انه لو لم تكن السموات مستديرة وحركاتها دورية لم يتم شئ من الفوائد الحكم المطلوبة من الحركة والزمان وما يرتبط بهما من امور العالم السفلي انظر الى عظم اقدار هذه الاجرام السماوية حتى لا قدر لجميع العوالم السفلية من الارض والبحار وعالم الجوّ بالنسبة اليها فلا يمكن ان يكون لجميع ذلك بالنسبة اليها بل بالنسبة الى فلك الشمس فقط مثلا كنسبة قطرة الى البحر المحيط وقد قال المهندسون ان جرم كوكب الشمس فقط ماة ونيف وستون ضعفا الارض بحجمها بل قال بعضهم اكثر من ذلك ومع ذلك يثبتون ان ثخن فلك المريخ ثلثة امثال غلظ فلك الشمس مع ما فيه من افلاك الزهرة والعطارد والقمر والعناصر الاربعة ثم اصغر كواكب تراها في السماء هو مثل جميع الارض ثمانى مرات واكبرها ينتهى الى قريب من ماة وعشرين مثلا للارض ثم انظر مع هذا العظم الى سرعة حركتها وخفتها فان شدة سرعة حركتها ممّا لا يمكن دركها الا انك لا تشك في ان كل جزء من الفلك في لحظة يسيرة بسير مقدار عرض كوكب في الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه في غاية القلة وقد علمت ان هذا الكوكب امّا مثل الارض ماة ونيف وستين مرة او اكثر او ماة وعشرين مرة او ماة مرة والاقل قدرا ان يكون مثلها ثمانى مراتب فقد دار كلّ جزء من الفلك في هذه اللحظة مثل الارض ماة وسبعين مرة او ماة وعشرين مرة وهكذا وقد عبر روح الامين ع عن سرعة حركة الفلك اذ قال له سيد الرسل صلعم هل زالت الشمس قال لا نعم فقال له كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسماة عام فيغفلنا

فرع في التأمّل في سرّ حركة الكواكب والتفات العين لها الى التفكّر في غيرها وتقسيم الناظرين

اخي من نوم الطبيعة وتأمّل من ذا الذي حرّك هذه الاجسام الثقيلة العظيمة بهذه الحركة
السريعة الخفيفة وادخل صورها مع اتّساع اكنافها في حدقة العين بصغرها وتفكّر من ذا
الذي سخّرها واداورها فقل بسم الله مجريها ومرسيها ولو نظرت اليها بعين البصيرة لعلمت
انّها عباد طائعون خاضعون عشّاق الهيون في الطوق وباشارة من ربهم الى يوم القيمة
وقاصدين امرون وبالجملة لو نظرت بعين العبرة في ذرّات الوجود لا تجد ذرّة من ملكوت
السموات والارض الّا وفيها غرائب حكمة تكلّ البيان عن وصفها ولو كان لك قلب او القيت
السمع وانت شهيد لعلمت ان جميع ذرّات الكائنات سواء ظاهرة وآيات منطقة على
عظمة ربك الاعلى وما من ذرّة الّا وهي بلسان حالها ناطقة وعن جلالة بارئها مفصحة ولكن
لاصحاب الشهود بحركاتها وسكناتها ومنادية لارباب القلوب بنغماتها او ما تنظرون الى
خلقي وتكويني وتصويري وتركيبي واختلاف صفاتي وحالاتي وتحولي في اطواري وتقلباتي
اولا تشاهدون كثرة فوائدي ومنافعي وغرائب حكمي ومصالحي اتظنون انّي تكوّنت بنفسي او
خلقني احد من جنسي او ما تستحيون تنظرون في كلمة مرقومة من ثلثة احرف فتجزمون انّها
انها صنعة آدمي مريد عالم متكلّم قادر ثم تنظرون الى عجائب الخطوط الالهيّة المرقومة على
صفحات وجهي والعجائب الربّانيّة المودعة في باطني وظاهري مع ذلك عن عظمة ربي غافلون
وعن علمه وحكمته ذاهلون **تتميم** فتدبّر بنا جملا لان التفكّر النافع محصور بين
التفكّر في صفات الله وعجائب فعاله والتفكّر في ما يقرب العبد الى الله ليفعله وفيما يبعّده
عنه ليتركه وغير ذلك من الافكار ليس نافعا ولا متعلّقا بالدين مثال ذلك ان حال السائر
الى الله الطالب للقائه كحال العاشق المستهتر فكما ان تفكره لا يتجاوز عن التفكر في معشوقه
وجماله وفي صفاته وافعاله وفي افعال نفسه التي تقربه منه وتحببه اليه ليتّصف بها
او التي تبعده عنه وتسقطه عن عينه ليتنزّه عنها ولو تفكّر في غير ذلك كان كاذبا فيما يدّعيه من
الشوق والحب ثم التفكّر في ذات الله بل في بعض صفاته ممّا لا يجوز وقد منعه الشريعة الحقّة
الالهيّة والحكمة المتعالية الحقيقيّة لان ذاته اجلّ من ان يكون مرقى لاقدام الافهام او مرمى
لسهام الاوهام فطرح النظر اليه يورث اختلاط الذهن والحيرة وجولان الفكر فيه يوجب
اضطراب العقل والدهشة وبعض الصدّيقين المتجرّدين عن جلباب البدن لو اطاقوا النظر مدّة
البصر فانّما هو كالبرق الخاطف ولو تجاوز عن ذلك لاحترقوا من سبحات جماله وجلال الصديقين

كما ان افضل العشق كالمحبّ الخالص ينبغي ان يحصر فكره في الله وفي صفاته وافعاله وفيما يقربه منه ويحبّبه اليه وبعده عنه لو تفكّر في غير ذلك

المقام الأول

في الحث على التفكر في عجائب صنعه تعالى وحصر صفاته المتعلقة بكماله وربع فيما بعده

في ذلك كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه وان تدرّج مدّ البصر اليها الا ان اراد ضعفه بوروث ا(لضعف)
والعمش بل لا مشابهة بين الحالين وانما هو مجرّد تقريب تفهيم فانّ المناسبة بين نور الشمس
ونور البصر في الجملة ثابتة واين مثل هذه المناسبة بين نور البصر ونور الانوار القاهر على
كلّ نور بالاحاطة والغلبة وما من نور الّا وهو منبجس من نوره ومترشّح عن ظهوره فكلّ نور
في رتبة نوره زائل وكلّ ظهور في جنب ظهوره وسرّ قهره مضمحلّ باطل ولمّا كان التفكّر في ذاته
منهيًّا عنه فانحصر التفكّر المحمود في التفكّر في عجائب صنعه وبدايع خلقه وقد تقدّم وفي ما يقرّب العبد الى الله من
الفضائل الخلقية والطاعات العضويّة وما يبعده عنه من الملكات الباطنة والمعاصي الظاهرة
وهذه الملكات والافعال هي المعبّر عنها بالمنجيات والمهلكات والطاعات والسيّئات الّتي تذكر
في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاخلاق والمراد بالتفكّر فيها ههنا ان يتفكّر العبد في كلّ يوم و
ليلة في وقت واحد او في اوقات متعدّدة في اخلاقه الباطنة واعماله الظاهرة ويتفحّص عن حال
قلبه واعضائه فان وجد قلبه مستقيمًا على جادّة العدالة متّصفًا بجميع الفضائل الخلقية و
مجتنبًا عن الرذائل الباطنة ووجد اعضائه ملازمة للطاعات والعبادات المتعلّقة بها
تاركة للمعاصي المنسوبة اليها فليشكر الله على عظيم توفيقه وان وجد في قلبه شيئًا من الرذائل
او رآه خاليًا عن بعض الفضائل فليبادر الى العلاج بالقوانين المقرّرة بعد التفكّر في سوء
خاتمته واداؤه الى مقت الله وهلاكته وكذلك ان عثر بالتفكّر على صدور معصية او ترك
طاعة منه فليتداركه بالندم والتوبة وقضاء تلك الطاعة ولا ريب في انّ هذا القسم من
التفكّر له مجال متّسع والقدر الضروري منه لا يستغرق اليوم بليلة والاستقصاء فيه خارج عن حيطة
شهر وسنة اذ اللازم منه ان يتفكّر في كلّ يوم وليلة في كلّ واحد من الملكات المهلكة من
البخل والكبر والعجب والرياء والحقد والحسد والجبن وشدّة الغضب والحرص والطمع وشره
الطعام والوقاع وحبّ المال وحبّ الجاه والنفاق وسوء الظنّ والغفلة والغرور وغير ذلك
وينظر بنور الفكرة والبصيرة في زوايا قلبه يتفقّد منها هذه الصفات فان وجد قلبه خاليًا
عنها فيتفكّر في كيفيّة امتحان القلب والاستشهاد بالعلامات الدالّة على البراءة اليقينية فانّ
النفس قد تلبّس الامر على صاحبها فان ادّعت البراءة من الكبر فينبغي ان يمتحن بحمل قربة ماء او
حزمة حطب في السوق فان ادّعت البراءة من الغضب فليجرّب بايقاعها في معرض اهانة السفهاء
وهكذا ان يمتحن في غيرهما من الصفات بالامتحانات الّتي كان الاوّلون والسلف الصالحون يجربون

في محاسبة القلب عند التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل والاشتغال بالطهور بعد الخلاف

بها نفسه حتى يطمئن بانقطاع اصولها وفروعها من قلبه ولو بالامتحان او بتصريح الشاهد و
القرائن وان وجد شيئا منها في قلبه فليتفكر في كيفية الخلاص من المعالجة بالضد وبالموعظة والنصيحة او التوبيخ و
الملامة او ملازمة اولي الاخلاق الفاضلة ومجالسة اصحاب الورع والتقوى او بالرياضة والمجاهدة
وغير ذلك فان نفع شيء منها في الازالة بالسهولة فليحمد الله على ذلك والا فليواظب على هذه
المعالجات ويكررها حتى يوفقه الله للخلاص بمقتضى وعده ثم يتفكر في كل واحد من الفضائل
المنجية كاليقين والتوكل والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء والاعتدال
الخوف والرجاء والشجاعة والسخاء والزهد والورع والاخلاص في العمل وستر العيوب و
الندم على الذنوب وحسن الخلق مع الخلق وحب الله والخشوع له وغير ذلك فان وجد قلبه
متصفا بالجميع فليجربه بالعلامات حتى يطمئن من تلبيس النفس كما علمت طريقه وان وجد
قلبه خاليا من شيء منها فليتفكر في طريق تحصيله كما اشير اليه ثم يتوجه الى كل واحد من
اعضائه ويتفكر في المعاصي المتعلقة به مثلا ان ينظر في لسانه ويتفكر في انه هل صدر منه شيء
من الغيبة او الكذب والفحش او فضول الكلام او النميمة او الثناء على النفس وغير ذلك
ثم ينظر في سمعه ويتفكر في انه هل سمع شيئا من ذلك ثم ينظر في بطنه هل عصى الله باكل حرام او شبهة
او كثرة ما تضر عن صفاء النفس وغير ذلك وهكذا يفعل في كل عضو عضو ثم يتفكر في الطاعات
المتعلقة بكل واحد منها وفيما خلق هذا العضو لاجله من الفرائض والنوافل فان وجد
بعد التفكر عدم صدور شيء من المعاصي عن شيء منها واتيانها بالطاعات المفروضة عليها
باسرها وبالنوافل المرغبة اليها بقدر الميسور والاستطاعة فليحمد الله على ذلك وان عثر
على صدور شيء من المعاصي او ترك شيء من الفرائض فليتفكر اولا في الاسباب الباعثة
على ذلك من الاشتغال بفضول الدنيا او مصاحبة اقران السوء او غير ذلك فليبادر
الى قطع السبب ثم التدارك بالتوبة والندم لئلا يكون غده مثل يومه وهذا القدر من التفكر
في كل يوم وليلة لازم لكل دين معتقد بالنشأة الآخرة وقد كان ذلك عادة وديدنا
لسلفنا المتقين في صبيحة كل يوم او عشية كل ليلة بل كانت لهم جريدة يكتبون فيها رؤس
المهلكات والمنجيات ويعرضون في كل يوم وليلة صفاتهم عليها ومهما اطمأنوا بقطع رذيلة
او الاتصاف بفضيلة يخطون عليها في الجريدة ويدعون الفكر فيها ثم يقبلون على البواقي
وهكذا يفعلون حتى يخطوا على الجميع ومن كان اقل مرتبة منهم من الصلحاء ربما يثبتون في جريدتهم

بعض المعاصي الظاهرة من اكل الحرام والشبهة واطلاق اللسان في الكذب والغيبة والمراء والنميمة
والمداهنة مع الخلق وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ويفعلون بمثل ما مر
وبالجملة كان اخواننا السالفون وسلفنا الصالحون لا ينفكون عن هذا النوع من التفكر
ونحوه من لوازم الايمان بالحساب فاقوا علينا حيث تركنا التأسي بهم والقدوة وخضنا في غمرات
الغفلة ولعمري انهم لو راونا لحكموا بكفرنا وعدم ايماننا بيوم الحساب كيف واعمالنا لا
تشابه اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجى شيئا طلبه ونحن
ندعي الخوف من النار ونعلم ان الهرب منها بترك المعاصي ومع ذلك منهمكون فيها وندعي
الشوق الى الجنة ونعلم ان الوصول اليها بكثرة الطاعات ومع ذلك مقصرون في فعلها ثم
هذا النوع من التفكر انما هو تفكر العلماء والصالحين واما تفكر الصديقين فاجل من ذلك
لانهم مستغرقون في لجة الحب والانس منقطعون بشراشرهم الى جناب القدس فتفكرهم مقصور
على جلال الله وجماله وقلبهم مستهتر به بحيث فني عن نفسه ونسي صفاته واحواله فحالهم
كحال العشاق المستهترين عند لقاء المعشوق ولا تظنن ان هذا التفكر بل ادنى مراتب التلذذ
بالتفكر في عظمة الله وجلاله ممكن الحصول بدون الانفكاك عن جميع الرذائل المهلكة و
الاتصاف بجميع الفضائل المنجية فان حال المتفكر في جلال الله وعظمته مع اتصافه بالاخلاق
الرذيلة كحال العاشق الذي خلى بمحبوبه وكان تحت ثيابه حيات وعقارب يلدغه مرة بعد
اخرى فيمنعه عن لذة المشاهدة والانس ولا يتم ابتهاجه الا باخراجها عن ثيابه ولا ريب ان الملكات
الرذيلة كلها كالحيات والعقارب موذيات ومشوشات ومن كان له ادنى معرفة وتفحص
الى مناجات ربه وكان في نفسه شيء منها يجد انه كيف يشوشه ويصده عن الابتهاج ثم ان لدغ
هذه الصفات لا يظهر ظهورا بينا للمنهمكين في علائق الطبيعة وبعد مفارقة النفس عن البدن
يشتد الم لدغها بحيث يزيد على الم الحيات والعقارب بمراتب شتى

نصيحة

تيقظ يا حبيبي من نوم الغفلة وتفكر اليوم لغدك قبل ان تنشب مخالب الموت في جسدك
ولا تغفلك قوتك العاقلة عن التفكر في صفاتك واحوالك واعلم على سبيل القطع واليقين ان
كل ما فيك من فضيلة او رذيلة وكل ما يصدر عنك من طاعة او معصية يكون بازائه جزاء عند
رحلتك عن هذه الدار الفانية واسمع قول سيد الرسل ولو كنت ذا قلب لكفاك ايقاظا وتنبيها
حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه عش ما شئت فانك

مت واعمل ما شئت فانك مجزي به ولعمري انك ان كنت مؤمنا بالمبدأ والمعاد لكفاك هذا
الكلام واعظا وحائلا بينك وبين الالتفات الى الدنيا واهلها وبالجملة ينبغي للمؤمن ان لا
يخلو في كل يوم وليلة عن التفكر في صفاته وافعاله واذا صرف برهة من وقته في هذا التفكر
وبرهة اخرى في التفكر في عجايب قدرة ربه وصار ذلك معتادا له حصل لنفسه كمال قوتها
العقلية والعملية وخلصت عن الوساوس الشيطانية والخواطر النفسانية وفقنا الله بعظيم
فضله للوصول الى ما خلقنا لاجله ومنها اي ومن رذائل القوة العاقلة استنباط وجوه المكر
والحيل للوصول الى مقتضيات قوتي الغضب والشهوة واعلم ان المكر والحيلة والخدعة والنكراء
والدهاء الفاظ مترادفة وهي في اللغة قد يطلق على شدة الفطانة وارباب العقول يطلقونها
على استنباط بعض الامور من الماخذ الخفية البعيدة على ما يتجاوز عن مقتضى استقامة الفكر
ولذا جعلوها ضدا للذكاء وسرعة الفهم والعرف خصصها باستنباط هذه الامور اذا
كانت موجبة لاصابة مكروه الى الغير من حيث لا يعلم وربما فسر بذلك في اللغة ايضا وهذا
المعنى هو المراد هنا والتركيب من اصابة المكروه الى الغير من التلبيس عليه يكون ضده
استنباط الامور المؤدية الى الخيرية والنصيحة لكل مسلم واستواء العلانية للسريرة
ثم فرق المكر ومرادفاته عن التلبيس والغش والغدر وامثالها اما باعتبار خفاء المقدمات
وبعدها فيها دونها او بتخصيص الاولى بنفس استنباط الامور المذكورة والثانية بارتكابها
ولذا عدت الاولى من رذائل القوة الوهمية او العاقلة للعذر المذكور والثانية من
رذائل الشهوية وربما كان استعمالها على الترادف واطلق كل منهما على ما يطلق عليه الاخرى
هذا وللمكر مراتب شتى ودرجات لا تحصى من حيث الظهور والخفاء وربما لم يكن فيه كثير دقة
وخفاء فيشعر به من اريد في شعور وربما كان في غاية الغموض والخفاء بحيث لم يتفطن به
الاذكياء ومن حيث الموارد والمواضع كالباعث لظهور المحبة والصداقة واطمينان قلب
ثم التهجم عليه بالايذاء والمكروه والباعث لظهور الامانة والديانة وتسليم الناس اموالهم
ونفايسهم اليه على سبيل الوديعة او المشاركة او المعاملة ثم اخذها وسرقتها على نحو اخر من
وجوه المكر وكالباعث لظهور ورعه وعدالته واتخاذ الناس اياه اماما او اميرا فيفسد عليهم
باطنا دينهم ودنياهم وقس على ذلك غيره من الموارد والمواضع ثم المكر من المهلكات العظيمة
لانه اظهر صفات الشيطان والمتصف به اعظم جنوده ومعصيته اشد من معصية اصابة المكروه

المقام الاول

الی الغیر فی العلانیة اذ المطلع بارادة الغیر ایذائه یحتاط ویحافظ نفسه عنه فربما دفع
اذیته واما الغافل فلیس فی مقام الاحتیاط لظنه ان هذا المکار المحیل محب وناصح له
فیصل الیه ضرره وکیده فی لباس الصداقة والمحبة فمن احضر طعاما مسموما عند الغیر مریدا
اهلاکه فهو اخبث نفسا واشد معصیة ممن شاهر سیفه بالعلانیة مریدا قتله اذ الثانی
اظهر ما فی بطنه واعلم هذا الغیر بارادته فیحترز بانه عنه ویحاربه فیتعرض لصرف شره ومنع ضرره
فربما تمکن من دفعه واما الاول فظاهره فی مقام الاحسان وباطنه فی مقام الایذاء والعدوان والغافل المسکین لاخبر
له عن خباثة باطنه فیقطع بانه یحسن الیه فلا یکون معه فی مقام الدفع والاحتیاط بل فی مقام
المحبة والوداد فیقتله وهو یعلم انه یحسن الیه ویهلکه وهو فی مقام المخلة عنه وبالجملة هذه
الرذیلة اخبث الرذائل واشدها معصیة ولذلک قال رسول الله صلعم لیس منا من ماکر مسلما
وقال امیر المؤمنین ع لولا ان المکر والخدیعة فی النار لکنت امکر الناس وکان ع کثیرا ما یتنفس الصعداء
ویقول واویلاه یمکرون بی ویعلمون انی بمکرهم عالم واعرف منهم بوجوه المکر ولکنی اعلم ان
المکر والخدیعة فی النار فاصبر علی مکرهم ولا ارتکب مثل ما ارتکبوا وطریق علاجه بعد التیقظ
ان یتأمل فی سوء خاتمته ووخامة عاقبته وفی تأدیته الی النار ومجاورة الشیاطین والاشرار
ویتذکر ان وبال کل مکر وحیلة یرجع فی الدنیا الی صاحبه کما نطقت به الایات والاخبار وشهدت به
التجربة والاعتبار ثم یتذکر فوائد ضد المکر ومحامده اعنی استنباط ما یوجب النصیحة والخیریة
للمسلمین وموافقة ظاهره لباطنه فی افعاله واقواله کما یأتی فی محله وبعد ذلک لو کان عاقلا
مشفقا علی نفسه لاجتنب عنه کل الاجتناب و ینبغی ان یقدم التروی فی کل فعل یصدر عنه
لئلا یکون له فیه مکر وحیلة واذا عثر علی فعل یتضمنه فلیترکه معاتبا لنفسه واذا تکرر منه ذلک
یزول عن نفسه اصول المکر وفروعه بالکلیة بعون الله وتوفیقه

المقام الثانی

فی بیان ما یتعلق بالقوة الغضبیة من الرذائل والفضائل وکیفیة علاجها فنقول اما جنسا رذائلها
فاحدهما التهور کما علم وهو من طرف الافراط ای الاقدام علی ما لا ینبغی والخوض فی ما یمنعه
العقل والشرع من المهالک والمخاوف ولا ریب فی انه من المهلکات فی الدنیا والاخرة ویدل
علی ذمه کلما ورد فی وجوب محافظة النفس وفی المنع عن القائها فی المهالک کقوله تعالی و
لا تلقوا بایدیکم الی التهلکة وغیر ذلک من الایات والاخبار والحق ان من لا یحافظ نفسه
نفسه عما یحکم العقل بلزوم المحافظة عنه فهو غیر خال عن شائبة من الجنون وکیف یستحق اسم
العقل من القی نفسه من الجبال الشاهقة ولم یبال بالسیوف الشاهرة او وقع فی السقوط القائم

الجارية ولم يحذر من السباع الضارية كيف ومن ألقى نفسه فيما يقضي به العطب فهلك كان
قاتل نفسه بحكم الشريعة وهو يوجب الهلاكة الابدية والشقاوة السرمدية وعلاجه بعد تذكر
مفاسده في الدنيا والآخرة ان يقدم التروي في كل فعل يريد الخوض فيه فان جوّزه العقل و
الشرع ولم يحكما بالحذر عنه ارتكبه والا تركه ولم يقدم عليه وربما احتاج في معالجته ان
يلزم نفسه الحذر والاجتناب عن بعض ما يحكم العقل بعدم الحذر عنه حتى يقع في طرف التفريط و
اذا علم من نفسه زوال التهور تركه واخذ بالوسط الذي هو الشجاعة وثانيهما الجبن وهو
سكون النفس عن الحركة الى الانتقام او غيره مع كونها اولى والغضب افراط في تلك الحركة فله
ضدية للغضب باعتبار وللتهور باعتبار آخر وعلى الاعتبارين هو في طرف التفريط من المهلكات
العظيمة ويلزمه من الاعراض الذميمة مهانة النفس والذلة وسوء العيش وطمع الناس فيما يملكه
وقلة ثباته في الامور والكسل وحب الراحة وهو يوجب الحرمان عن السعادات باسرها وتمكين
الظالمين من الظلم عليه وتحمله للفضائح في نفسه واهله واستماع القبائح من الشتم والقذف
وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار وتعطيل مقاصده ومهماته ولذلك ورد في ذمه
من الشريعة ما ورد قال رسول الله لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال ص
اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل
العمر وعلاجه بعد تنبيه نفسه على نقصانها وهلاكها ان يحرك الدواعي الغضبية فيما يحصل به
الجبن فان القوة الغضبية موجودة في كل احد ولكنها تضعف وتنقص في بعض الناس فيحدث
فيهم الجبن واذا حركت وهيجت على التواتر تقوى وتزيد كما ان النار الضعيفة توقد
وتلتهب بالتحريك المتواتر وقد نقل عن الحكماء انهم يلقون انفسهم في المخاطرات الشديدة والمخاوف
العظيمة دفعا لهذه الرذيلة ومما ينفع من المعالجات ان يكلف نفسه على المخاصمة مع من يأمن
غوائله تحريكا لقوة الغضب فاذا وجد من نفسه حصول ملكة الشجاعة فليحافظ نفسه لئلا
يتجاوز ويقع في طرف الافراط **فصل** قد عرفت ان ضد هذين الجنسين هو الشجاعة فتذكر
مدحها وثمراتها وكلف نفسك المواظبة على آثارها ولوازمها حتى يصير ما تتكلفه طبعا و
ملكة فيرتفع عنك آثار الضدين بالكلية وقد عرفت ان الشجاعة طاعة قوة الغضب للعاقلة
في الاقدام على الامور الهائلة وعدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رايها ولا ريب في انها
اشرف الملكات النفسية وافضل الصفات الكمالية والفاقد لها بريء عن الفحولية والرجولية

في الشجاعة التي هي الحالة المتوسطة بين التهور والجبن وفي ذكر اقسام الخوف المذموم والممدوح

المقام الثاني

وهو بالحقيقة من النسوان دون الرجال وقد وصف الله خيار الصحابة بها في قوله اشداء على الكفار وامر الله نبيه بها لقوله واغلظ عليهم اذ الشدة والغلظة من لوازمها واثارها والاخبار مصرحة باتصاف المؤمن بها قال امير المؤمنين عم في وصف المؤمن نفسه اصلب من الصلد وقال عم المؤمن اصلب من الجبل اذ الجبل يستقل منه والمؤمن لا يستقل من دينه واما الانواع ولوازمها المتعلقة بالقوة الغضبية فمنها الخوف وهو تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال مشكوك الوقوع فلو علم او ظن حصوله سمي توقعه انتظار مكروه وكان تالمه اشد من الخوف وكلامنا في كليهما ويفرق عن الجبن على ما قررناه من حدهما اذ ان الجبن هو سكون النفس عما يستحسن شرعا وعقلا من الحركة الى الانتقام او غيره وهذا السكون قد يتحقق من غير حدوث التالم الذي هو الخوف مثلا من لا يجري على التحول في السفينة او النوم في البيت وحده او التعرض لدفع من يظلمه ويتعرض له يمكن اتصافه بالسكون المذكور مع عدم تالمه بالفعل فمثله جبان وليس بخائف ومن كان له ملكة الحركة الى الانتقام وغيره من الافعال التي تجوزها الشرع والعقل ربما حصل له التالم المذكور من توقع حدوث بعض المكاره كما اذا امر السلطان بقتله فمثله خائف وليس بجبان ثم الخوف على نوعين احدهما مذموم بجميع اقسامه وهو الذي لم يكن من الله ولا من صفاته المقتضية للهيبة والرعب ولا من معاصي العبد وجناياته بل يكون لغير ذلك من الامور التي ياتي تفصيلها وهذا النوع من رذائل قوة الغضب من طرف التفريط ومن نتائج الجبن وثانيهما محمود وهو الذي يكون من الله ومن عظمته ومن خطاء العبد وجناياته وهو من فضائل القوة الغضبية اذ العاقل يامر به ويحسنه فهو حاصل من انقيادها للعاقلة ولنفصل القول في اقسام النوعين وبيان العلاج في ازالة اقسام الاول وتحصيل الثاني **فصل** للنوع الاول اقسام يجمعها تعقل باسرها ولا يجوزها فلا ينبغي للعاقل ان يتطرقها الى نفسه بيان ذلك ان باعث هذا الخوف ينحصر على اقسام الاول ان يكون امرا ضروريا لازم الوقوع ولم يكن في مقدرة البشر ولا ريب في ان الخوف من مثله خطأ محض ولا يترتب عليه فائدة سوى تعجيل عقوبة يصده عن تدبير مصالحه الدنيوية والدينية والعاقل لا يتطرق على نفسه مثل ذلك بل يسلي نفسه ويرضيها بما هو كائن ادراكا للراحة [illegible] الثاني ان يكون امرا ممكنا لم يجز بتسبب من طرف نفسه ان كان للتشخص مدخلية في وجوده ولا في دفعه ولا ريب في ان الجزم بوقوع مثله

والتألم لاجله خلاف مقتضى العقل بل اللازم ابقائه على امكانه من دون جزم بحصوله ولعل الله
يحدث بعد ذلك امرا وهذا القسم مع مشاركته للاول في استلزامه تعجيل العقوبة بلا سبب
لعدم مدخليته لاختياره فيه يمتاز عنه بعدم الجزم بوقوعه فهو بعد الخوف اولى منه الثالث
ان يكون امرا ممكنا فاعله هذا الشخص وهو ناش عن سوء اختياره فعلاجه ان لا يرتكبه ولا
يقدم على فعل يخاف من سوء عاقبته فانه فعل غير قبيح من شأنه التأدي الى ما يضره ولا او
ريب في ان ارتكاب مثله خلاف حكم العقل ولو ظهر التأدي بعد ايقاعه فيكون من الثاني
فعل قبيح لو ظهر اوجب الفضيحة والمؤاخذة وانما فعله ظنا منه انه لا يظهر ثم يخاف من
الظهور والمؤاخذة ولا ريب في ان هذا الظن ناش عن الجهل اذ كل فعل يصدر عن كل فاعل
ولو خفية يمكن ان يظهر واذا ظهر يمكن ايجابه للفضيحة والمؤاخذة والعاقل العالم بطبيعة
الممكن لا يرتكب مثله فباعث الخوف في الثاني هو الحكم على الممكن بالوجوب في هذا الحكم
عليه بالامتناع ولو حكم عليه بما يقتضي ذاته من الخوف فمن الرابع ان يكون مما يتوحش
منه الطباع بلا داع عقلي ولا باعث نفس امري كالميت والجن وامثالهما سيما في
الليل مع وحدته ولا ريب في ان هذا ناش عن قصور العقل ومقهوريته عن الواهمة لتحريك
القوة الغضبية وهيجانها ليغلب به العاقلة على الوهم وربما ينفع الزام نفسه على الوحدة في
الليالي المظلمة والصبر عليها حتى يظهر يزول عنه هذا الخوف على التدريج ثم لما كان خوف
الموت اشد اقسام هذا النوع واعمها فلنشر الى علاجه بخصوصه فنقول باعث خوف
الموت يحتمل امورا الاول تصور فناء ذاته بالكلية وصيرورته عدما محضا بالموت ولا
ريب في كونه ناشئا عن محض الجهل اذ الموت ليس الا قطع علاقة النفس عن بدنه وهي باقية
ابدا كما دل عليه القواطع العقلية والشواهد الذوقية والظواهر السمعية ولعل ما تقدم
يكفي لاثبات هذا المطلوب مع قطع النظر عن ذلك نقول كيف يجوز من له ادنى بصيرة
ان يجمع عظماء نوع الانسان بحذافيرهم كاهل الوحي والالهام واساطين الحكمة والعرفان
على محض الكذب وصرف الباطل فمن تأمل ادنى تامل يتخلص من هذا الخوف الثاني تصور
ايجابه الما جسمانيا عظيما لا يحتمل مثله ولم يدرك في الحيوة شبهه وهذا ايضا من
الخيالات الفاسدة فان الالم فرع الحيوة والالم الجسماني ما دام الحيوة لا يكون اشد مما
رآه كل انسان في حيوته من الاوجاع وقطع الاتصال وبعد زوال الحيوة لا معنى لوجوده اذ

كل جسمانى دراكه بواسطة الحيوة وبعد انقطاعها لا ادراك فلا الم الثالثة
عروض نقصانه لاجله وهو ايضا غفلة عن حقيقة الموت والانسان اذ من علم حقيقتهما
يعلم ان الموت متمم الانسانية واثارها والمائت جزء لحد الانسان ولذا قال اوائل
الحكماء الانسان حى ناطق مائت وحد الشئ يوجب كماله لا نقصانه فبالموت يحصل
التمامية دون النقصان   نشنيده كه هركه بمرد او تمام شد   فالانسان العاقل
يشتاق الى الموت لاقتضائه تماميته وكماله وخروجه عن ظلمة الطبيعة ومجاورة الاشرار
الى عالم الانوار ومرافقة الاخيار من العقول القادسة والنفوس الطاهرة واى عاقل
لا يرجح الحيوة العقلية والابتهاجات الحقيقية على الحيوة الموحشة الهيولانية المشوبة
بانواع الالام والمصائب واصناف الاسقام والنوائب فيا حبيبى تيقظ من نوم الغفلة وسكرة
الطبيعة واستمع النصيحة ممن هو احوج منك الى النصيحة حرك الشوق الكامن فى جوهر ذاتك
الى عالمك الحقيقى ومعركك الاصلى وانسلخ عن القشورات الهيولانية وانفض عن روحك
القدسى ما التزق من الكدورات الجسمانية وطهر نفسك عن ادناس دار الغرور وارجاس
عالم الزور واكسر قفسك الترابى الظلمانى وطر بجناح همتك الى وكرك القدسى النورانى و
ارتفع عن حضيض الجهل والنقصانات الى اوج العزة والعرفان وخلص نفسك عن مضيق سجن
الناسوت وسيرها فى فضاء قدس اللاهوت فما بالك نسيت عهود الحمى ورضيت بمصاحبة
من لا ثبات له ولا وفا   زد بسحر طاير قدسم ز سر سدره صفير   كه در اين
دامگه حادثه آرام مگير   الرابع صعوبة قطع علاقته من الاولاد والاموال والمناصب و
الاحباب ومعلوم ان هذا ليس خوفا من الموت فى نفسه بل هو حزن على مفارقة بعض
الزخارف الفانية وعلاجه ان يتذكر ان الامور الفانية مما لا يليق بالعاقل ان يربط بها
قلبه وكيف يحب العاقل ان يلبس عالم الطبيعة ويطمئن اليها مع علمه بانه عنقريب يفارقها
فاللازم ان يخرج حب الدنيا واهلها عن قلبه ليتخلص من هذا الالم الخامس تصور سرور
الاعداء وشماتتهم بموته وهذا وسوسة شيطانية صادرة عن محض التوهم اذ مسرة الاعداء
او شماتتهم لا يوجب ضررا فى ايمانه ودينه ولا المافى روحه وجسمه على ان ذلك لا يختص
بالموت اذ العدو يشمت ويفرح بما يرد عليه فى حال الحيوة ايضا من البلايا والمحن فمن كره ذلك
فليجتهد فى قطع العداوة وازالتها بالمعالجات المقررة للحقد والحسد فى الناس ويتصور تسيع

الاولاد والعيال وهلاك الاعوان والانصار وهذا ايضا من الوساوس الباطلة الشيطانية والخواطر الفاسدة النفسانية اذ ذلك يوجب ظن منشائية لاستكمال الغير وعزته وعدم خليته في قوته وثروته وذلك ناش من جهله بالله وبقضائه وقدره اذ فيضه الاقدس اقتضى ايصال كل ذرة من ذرات العالم الى ما يليق به وابلاغه الى ما خلق لاجله وليس لاحد ان يغير ذلك او يبدله ولذا ترى اكثر الافاضل يجتهدون في تربية اولادهم ولا ينجح سعيهم اصلا ونشاهد غير واحد من الاغنياء يخلفون لاولادهم اموالا كثيرة ويخرج عن ايديهم في مدة قليلة وترى كثيرا من الاطفال الايتام لا تربية لهم ولا مال ومع ذلك يبلغون بالتربية الازلية مدارج الكمال ويحصلون ما لا يحصر من الاموال والغالب ان الايتام الذين ذهب عنهم الاباء في حالة الصبى يكون ترقياتهم في الاخرة والدنيا اكثر من الاولاد الذين نشؤا في حجر الاباء والتجربة شاهدة بان من اطمئن من اولاده بمال يخلفه لهم او ذي قوة يفوض امورهم اليه اعتراهم بعده الفقر والفاقة والذلة والهانة وربما صار ذلك سببا لهلاكهم وانقراضهم ومن فوض امورهم الى رب الارباب وخالق العباد ازداد لهم بعده عزا وقوة وكثرة وثروة فاللائق بالعقلاء ان يفوضوا امور الاولاد وغيرهم من الاقارب والانصار الى من خلقهم وربّاهم ويكلوهم الى موجدهم ومولاهم وهو نعم المولى ونعم الوكيل وقد ظهر ان الخوف من الموت لاجل البواعث المذكورة لا وجه له ثم ينبغي ان يتفكر في ان كل كائن فاسد البتة كما تقرر في الحكمة وهو من الكائنات والفساد ضروري له فمن اراد وجود بدنه اراد فساده اللازم له فتمني دوام الحيوة من الخيالات الممتنعة والعاقل لا يحوم حولها ولا يتمنى مثلها بل يعلم يقينا ان ما يوجد في النظام الكلي هو الاصلح الاكمل وتغييره بنا في الحكمة والخيرية فيرضى بما هو واقع على نفسه وغيره من غير الم وكدورة ثم من يتمنى طول عمره فمقصوده منه ان كان حب اللذات الجسمية وامتداد زمانها فليعلم ان الشيب اذا ادركه ضعفت الاعضاء واختلت القوى وزالت عنه الصحة التي هي عمدة لذاته فضلا عن غيرها فلا يلتذ بالاكل والجماع وساير اللذات الحسية ولا يخلو لحظة عن مرض والم ويتراجع جميع احواله فيتبدل قوته بالضعف وعزه بالذل وكذا ساير احواله كما اشير اليه في الكتاب الالهي بقوله تعالى وَمَن نُعَمِّرهُ نُنَكِّسهُ فِي الخَلقِ ومع ذلك لا يخلو كل يوم من مفارقة حبيب او شفيق ومهاجرة

المقام الثاني

في ان طالب العمر يحب الراحة والترفه ويكره الموت وطالب السعادة يحب الموت بالارادة

قريب ودقيق وربما ابتلى بانواع المصيبات وهجم عليه الفقر والفاقة والنكبات وطالب العمر في الحقيقة طالب هذه الزحمات وان كان مقصوده عند اكتساب الفضائل العلمية والعملية فلا ريب في ان تحصيل الكمالات بعدها وان الشيخوخة في غاية الصعوبة فمن لم يحصل الفضائل الخلقية الى ان ادركه الشيب واستحكم فيه الملكات المهلكة من الجهل وغيره فانى يمكنه بعد ذلك ازالتها وتبديلها بما يقابلها اذ رفع ما رسخ في النفس مع الشيخوخة التي لا يقدر معها على الرياضات والمجاهدات غير ممكن ولذا ورد في الآثار ان الرجل اذا بلغ اربعين سنة ولم يرجع الى الخير جاء الشيطان ومسح على وجهه وقال بابي وجه من لا يفلح ابدا على ان الطالب للسعادة ينبغي ان يكون مقصور الهم في كل حال على تحصيلها ومن جملتها دفع طول الامل والرضا بما قدر له من طول العمر وقصره ويكون سعيه ابدا في تحصيل الكمالات بقدر الامكان والتخلص عن مزاحمة الزمان والمكان وقطع علاقته من الدنيا وزخارفها الفانية والميل الى الحيوة واللذات الباقية والاهتمام في كسب الابتهاجات العقلية والاتصال التام بالحضرة الالهية حتى يتخلص عن سجن الطبيعة ويرتقي الى اوج عالم الحقيقة فيتفق له الموت الارادي الموجب للحيوة الطبيعية كما قال معلم الاشراق مت بالارادة تحيى بالطبيعة فينتقل الى مقعد صدق هو مستقر الصديقين ويصل الى جوار رب العالمين وح يشتاق للموت ولا يبالي بتقديمه وتاخيره ولا يركن الى ظلمات البرزخ الذي هو منزل الاشقياء والفجار ومسكن الشياطين والاشرار ولا يتمنى الحيوة الفانية اصلا وينطق بلسان الحال

خرم آن روز كزين منزل ويران بروم — راحت جان طلبم وزپي جانان بروم

بهواي لب او ذره صفت رقص كنان — تالب چشمه خورشيد درخشان بروم

السابع تصور العذاب الجسماني والروحاني المترتب على ذمائم الاعمال وقبائح الافعال ولا ريب في ان الخوف من ذلك ممدوح وهو معدود من اقسام النوع الثاني الا ان البقاء عليه وعدم السعي في ما يدفعه من ترك الخطيئات وكسب الطاعات جهل وبطالة اذ هذا الخوف ناش من سوء الاختيار وقد بعث الله الرسل واوصياءهم لاستخلاص الناس عن ضلالة بترك المعاصي وتحصيل معالي الاخلاق ومعلوم ان المنهمك في المعاصي مع خوفه من العذاب كالملقي نفسه في البحر والنار مع خوفه من الغرق والحرق ولا ريب في ان ازالة هذا الخوف باختياره فليترك المعاصي ويجتهد في كسب وظائف الطاعات ليتخلص عنه واهتمام اكابر الدين من الانبياء والمرسلين والحكماء والصديقين في وظائف الطاعات وصبرهم على مشاق العبادات ومجاهداتهم مع جوع

في الخوف المحمود وانقسامه الى اقسام وفي ان الخوف اشد عند اهل المعرفة

من الباب الثالث

في النوع الثاني من الخوف

انما هو لدفع هذا الخوف عن نفوسهم تمويهاً من الشياطين في الحقيقة فاتق منك ومن سوء اختيارك فبادر الى تقليله بالمواظبة على صوالح الاعمال وفضائل الافعال وقد يأتي ان هذا الخوف هو سوء الظن بالله الباعث على العمل ومعه لو كان مفرطاً فليعالج باسباب الرجاء وبدونه فلا بد ان يكون حتى يبعثه عليه على انه مع عظم جرمه وقصور باعه عن تداركه فلا ينبغي ان ييأس من روح الله فلعل واسع الرحمة السابقة على الغضب يدركه بسابقة من القضاء والقدر

فصل

وللنوع الثاني من الخوف اقسام الاول ان يكون من الله سبحانه ومن عظمته وكبريائه وهذا هو المسمى بالخشية والرهبة في عرف ارباب القلوب الثاني من جناية العبد باقترافه المعاصي الثالث ان يكون منهما جميعاً وكلما ازداد المعرفة بجلال الله وعظمته وبتعاليه وبعيوب نفسه وجناياته ازداد الخوف اذ ادراك القدرة القاهرة والعظمة الباهرة والقوة القوية والعزة الشديدة يوجب الاضطراب والدهشة ولا ريب في ان عظمة الله وقدرته وسائر صفاته الجلالية والجمالية غير متناهية شدة وقوة ويظهر منها على كل نفس ما يطيقه ويستعد له واني لاحد من اولى المدارك ان يحيط بصفاته على ما هي عليه فان المدارك عن ادراك غير المتناهي قاصرة نعم لبعض المدارك العالية ان يدركها على الاجمال مع ان ما يظهر للعقلاء من صفاته ليس هو من حقيقة صفاته بل هو غاية ما يتأدى اليه عقولهم ويتصور كما لا ولو ظهر قدر ذرة من حقيقة بعض صفاته لاقوى العقول واعلى المدارك لاحترق من سبحات وجهه وتفرقت اجزائه من قدرته ولو انكشف من بعضها الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب فغاية ما للمدارك العالية من العقول والنفوس القادسة ان يتصور عدم تناهيها في الشدة والقوة وكونها في الكمال والبهاء غاية ما يمكن ويتصور ويحتمله ظرف الواقع ونفس الامر كما هو الشأن في ذاته سبحانه وادراك هذه الغاية ايضاً يختلف باختلاف علو المدارك فمن كان في الادراك اقوى واقدم كان بربه اعرف ومن كان بربه اعرف كان منه اخوف ولذا قال تعالى إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ وقال سيد الرسل انا اخوفكم من الله وقد وقع سمعك حكايات خوف زمرة المرسلين ومن بعدهم من فرق الاولياء والعارفين وعروض الغشيات المتواترة في كل ليلة لمولانا امير المؤمنين ع وهذا مقتضى كمال المعرفة الموجب لشدة الخوف اذ كمال المعرفة يوجب احتراق القلب فيفيض اثر الحرقة من القلب الى البدن بالنحول والصفار والغشية والبكاء والى الجوارح بكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا

المقام الثاني

في ان المعرفة يورث القلب الحرقة ثم يفيض منه الى البدن والجوارح والصفات

لما فرط في جنب الله ولم يجتهد في ترك المعاصي وكسب الطاعات فليس على شيء من الخوف ولذا قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال بعض الحكماء من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقال بعض العرفاء لا يكون العبد خائفا حتى ينزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام والى الصفات فيقمع الشهوات ويكدر اللذات فيصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف كونه مسموما فيحرق الشهوات بالخوف ويتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والذلة والخشوع والاستكانة ويفارقه ذمائم الصفات ويصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات ويشتغل ظاهره وباطنه بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره كما ان من وقع في مخالب ضاري السبع يكون مشغول الهمة به ولا شغل له بغيره وهذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه كما جرى عليه جماعة من الصحابة والتابعين ومن يحذوهم من السلف الصالحين فقوة المجاهدة والمحاسبة بحسب شدة الخوف الذي هو حرقة القلب وتألمه وهو بحسب قوة المعرفة بجلال الله وعظمته وساير صفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يكف عن المحظورات ويسمى الكف منها ورعا فان زادت قوته كف عن الشبهات ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس هو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة وصار ممن لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع مالا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انه يفارقه ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق ويسمى صاحبه صديقا فيدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفة لانها عبارة عن الامتناع من مقتضى الشهوات فاذن يؤثر الخوف في الجوارح بالكف والاقدام **فصل** اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار او مكروها لافضائه الى المكروه في ذاته كالمعاصي المفضية الى المكروه لذاته في الاخرة ولا بد لكل خائف ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يتألم قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ويختلف مقام الخائفين فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحظورة فالذين يغلب على قلوبهم خوف المكروه ويختلف مقام الخائفين

في الخوف على المكر و اما مكر الله او لغيره

فيما يغلب على لذاته فاما ان يكون خوفهم من سكرات الموت و شدته و سؤال النكيرين و المطلع

او عذاب القبر و وحدته و هول المطلع و وحشته او من الموقف بين يدي الله و هيبته

والحياء من كشف سريرته او من الحساب و دقته والصراط و حدته او من النار و اهوالها

والجحيم و اغلالها والحرمان من دار النعيم و عدم وصوله الى الملك المقيم او من نقصان

درجاته في العليين و عدم مجاورة المقربين او من الله سبحانه بان يخاف جلاله و عظمته

والبعد والحجاب عنه و يرجو القرب منه و هذا اعليها رتبة و هو خوف ارباب القلوب

العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف و العالمين بلذة الوصال و الم البعد و الفراق

والمطلعين على سر قوله و يُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ و قوله وَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ و قبل ذلك

خوف العابدين والزاهدين و كافة العاملين و اما الذين غلب على قلوبهم خوف المكر

لغيره فاما يكون خوفهم من الموت قبل التوبة او نقضها قبل انقضاء المدة او من ضعف القوة عن الوفاء

بتمام حقوق الله او تخليته مع حسنات التي اتكل عليها و تعززها في عباد الله او من الميل

عن الاستقامة او الى اتباع الشهوات لما الوفة استيلاء للعادة او من تبديل رقة القلب الى

القساوة او تبعات الناس عنده من الغش والعداوة او من الاشتغال عن الله بغيره او حدوث

ما يحدث في بقية عمره او من البطر والاستدراج بتواتر النعم او انكشاف غوايل طاعته حتى

يبدو له من الله ما لم يعلم او من الاغترار بالدنيا و زخارفها الفانية او تعجيل العقوبة

بالدنيا و افتضاحه بالعلانية او من اطلاع الله على سريرته و هو عنه غافل و توجهه الى

غيره و هو اليه ناظر او من الختم له عند الموت بسوء الخاتمة او بما صدق له في الازل من

السابقة و هذه كلها مخاوف العارفين و لكل واحد منها خصوص فائدة هو الحذر عما

يفضي الى الخوف فالخائف من تبعات الناس يجتهد في برائة ذمته عنها و من استيلاء العادة

يواظب على فطام نفسه عنها و من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس

و هكذا في بقية الاقسام و اغلب هذه المخاوف على المتقين خوف سوء الخاتمة و هو الذي

قطع قلوب العارفين ان الامر فيه مخطر كما يأتي و اعلى الاقسام و ادلها على كمال المعرفة

خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة و يترتب عليها بعد تخلل اسباب كثيرة و لذا

قال العارف الانصاري الناس يخافون من اليوم الاخر و انا اخاف من اليوم الاول يظهر

ما سبق به القضاء في ام الكتاب و اليه اشار النبي صلعم في المنبر حيث رفع يده اليمنى قابضا

على كفه ثم قال اتدرون ايها الناس ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل الجنة و اسماء ابائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده اليسرى وقال ايها الناس اتدرون ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم قال حكم الله وعدل حكم الله فريق في الجنة وفريق في السعير وقال صلى الله عليه وآله يسلك بالسعيد في طريق الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه السعادة وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة

فصل

الخوف منزل من منازل الدين ومقام من مقامات المؤمنين وهو افضل الفضائل النفسانية اذ فضيلة الشيء بقدر اعانته على السعادة ولا سعادة كسعادة لقاء الله والقرب منه ولا وصول اليها الا بتحصيل محبته والانس به ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الفكر والذكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بقمع لذاتها وشهواتها واقوى ما ينقمع به الشهوة هو نار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرقه من الشهوات ويكف من المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما مر وقيل من انس بالله وملك الحق قلبه وبلغ مقام الرضا وصار مشاهدا لجمال الحق لم يبق له الخوف بل يتبدل خوفه بالامن كما يدل عليه قوله سبحانه اولئك لهم الامن وهم مهتدون اذ لا يبقى له التفات الى المستقبل ولا كراهية من مكروه ولا رغبة الى محبوب فلا يبقى له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى منهما نعم لا يخلو عن الخشية اي الرهبة من الله ومن عظمته وهيبته واذا صار متجليا بنظر الوحدة لم يبق نبراثر من الخشية ايضا لانه من لوازم التكثر وقد زال ولذا قيل الخوف حجاب بين الله و بين العبد وقيل ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها محل الخوف ولا رجاء وقيل المحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في دوام الشهود الذي هو غاية المقامات وانت خبير بان هذه الاقوال مما لا التفات لنا اليها فلنرجع الى ما كنا بصدده من بيان فضيلة الخوف فنقول الآيات والاخبار الدالة عليه اكثر من ان تحصى وقد جمع الله للخائفين العلم والهدى والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات اهل

باب في الآيات والأخبار الواردة في فضيلة الخوف والخشية

الجنان فقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكثير من الآيات مصرحة بكون
الخوف من لوازم الايمان كقوله تع إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وقوله وخافون ان كنتم مؤمنين ومدح الخائفين بالتذكر في قوله سيذكر من
يخشى ووعدهم الجنة وجنتين بقوله ومن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى وقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وفي الخبر القدسي وعزتي
لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له أمنين فاذا أمنني في الدنيا اخفته في يوم القيمة
واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله رأس الحكمة مخافة
الله وقال ص من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء
وقال لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف من بعدي وقال ص أتمكم عقلا
اشدكم لله خوفا وعن ليث بن ابي سليم قال سمعت رجلا من الانصار يقول بينما رسول
الله مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء
يكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته مرة ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك
ورسول الله ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فاومى اليه النبي ص بيده ودعاه
فقال له يا عبد الله رأيتك صنعت شيئا ما رأيت احدا من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت
فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله فقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك
فقال النبي ص لقد خفت ربك حق مخافته وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه
يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا منه فدعى لهم وقال اللهم اجمع امرنا
على الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا وقال ص ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة
وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار
وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها
وقال لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال سيد الساجدين في
بعض ادعيته سبحانك عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك وقال الباقر ع صلى امير المؤمنين ع
بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله ثم قال اما والله لقد
عهدت اقواما على عهد خليلي رسول الله ص وانهم ليصبحون ويمسون شعثا غبرا خمصا بين

اعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون بين اقدامهم وجباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون وفي رواية اخرى وكأن زفير النار في آذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كأنما القوم باتوا غافلين ثم قال ع فما رأى بعد ذلك ضاحكا حتى قبض وقال ع من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخط نفسه عن الدنيا وقال ع ان من العبادة شدة الخوف من الله تعالى يقول انما يخشى الله من عباده العلماء وقال فلا تخشوا الناس واخشوني وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب وقال ع المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح الا خائفا ولا يصلحه الا الخوف وقال ع خف الله كأنك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك وقال ع لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو قال ع مما حفظ من خطب النبي ص انه قال ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم الا ان المؤمن يعمل بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشيبة قبل الكبر وفي الحيوة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار الا الجنة او النار ثم الاخبار الواردة في فضل العلم والتقوى والورع والبكاء والرجاء يدل على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به تعلق السبب وتعلق المسبب اذ العلم سبب الخوف والتقوى والورع يحصلان منه ويترتبان عليه كما ظهر مما سبق والبكاء ثمرته ولازمه والرجاء يلازمه ويصاحبه اذ كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته اذ لو لم يخف فوته لم يحبه فلا ينفك احدهما عن الآخر وان جاز غلبة احدهما على الآخر اذ من شرطهما تعلقهما بالمشكوك لان المعلوم لا يرجى ولا يخاف فالمحبوب المشكوك فيه تقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يؤلمه وهو الخوف والتقديران يتقابلان نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا ومقابله وهما فاذا ظن وجود المحبوب قوي الرجا وضعف الخوف بالاضافة

الباب الثالث

في الافراط والتفريط في الخوف

اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما افضل الازمان ولذلك قال الله سبحانه يدعوننا رغبا ورهبا
وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقد ظهر ان ما يدل على فضل الحسنة يدل على فضيلته وكذا ما
ورد في ذم الامن من مكر الله يدل على فضيلته لانه ضده وذم الشيء مدح لضده الذي ينفيه
ومما يدل على فضيلته ما ثبت بالتواتر من كثرة خوف الملائكة والانبياء وائمة الهدى ع
كخوف جبرئيل وميكائيل واسرافيل وحملة العرش وغيرهم من الملائكة المهيمين وانسلم
وكخوف نبينا ص وابرهيم وموسى وعيسى وداود ويحيى وغيرهم وخوف امير المؤمنين وسيد
الساجدين وساير الائمة الطاهرين ع وحكاية خوف كل منهم في كتب المحدثين مذكورة وفي زبرهم
مسطورة فليراجع اليها من اراد ومن الله العصمة والسداد **فصل** اعلم ان الخوف
ممدوح الى حد فان جاوزه كان مذموما وبيان ذلك ان الخوف سوط الله الذي يسوق به
العباد الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب الى الله ولذة المحبة والانس وكما
ان السوط الذي يساق به البهيمة ويأدب به الصبي له حد في الاعتدال لو قصر عنه لم يكن نافعا
في السوق والتاديب لو تجاوز عنه في المقدار او الكيفية او المبالغة في الفرك كان مذموما
لادائه الى هلاكة الدابة والصبي فكذلك الخوف الذي هو سوط الله لسوق عباده له
حد في الاعتدال والوسط وهو ما يوصل الى المطلوب فان كان قاصرا عنه كان قليل الجدوى
وكان كقضيب ضعيف يضرب به دابة قوية فلا يسوقها الى المقصد ومثل هذا الخوف يجري
مجرى رقة النساء عند سماع شيء محزن يورث فيهن البكاء وبمجرد انقطاعه يرجعن الى حالتهن
الاولى ومجرى خوف بعض الناس عند مشاهدة سبب هائل واذا غاب ذلك السبب عن
الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى فالخوف الذي لا يؤثر في الجوارح
بكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا ولو
كان مفرطا ربما جاوز الى القنوط وهو ضلال وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ او الى
اليأس وهو كفر وَلَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ولا ريب في ان الخوف المجاوز الى
اليأس والقنوط يمنع من العمل لرفعهما نشاط الخاطر الباعث على الفعل وايجابهما كسالة
الاعضاء المانعة من العمل ومثل هذا الخوف محض الفساد والنقصان وعين القصور والخسران
ولا رجحان له في نظر العقل والشرع مطلقا اذ كل خوف بالحقيقة نقص لكونه منشأ العجز لانه
متعرض لمحذور لا يمكنه دفعه وباعث الجهل لعدم اطلاعه على عاقبة امره اذ لو علم ذلك لم يكن

المقام الثاني

بسط وتوضيح في فضل الحد المحمود من الخوف وما يترتب عليه ومنها تحصيل

خاتمة لما تقدم من ان الخوف هو ما كان مشكوكا فيه فبعض افراد الخوف انما يصير كمالا بالاضافة
الى نقص اعظم منه وباعتبار دفعه المعاصي وافضائه الى ما يترتب عليه من الورع والتقوى و
المجاهدة والذكر والعبادة وسائر الاسباب الموصلة الى قرب الله والانس به ولو لم يؤد اليها
كان في نفسه نقصا لا كمالا اذ الكمال في نفسه هو ما يجوز ان يوصف الله تعالى به كالعلم والقدرة
وامثالهما وما لا يجوز وصفه به ليس كمالا في ذاته وربما صار محمودا بالاضافة الى غيره و
بالنظر الى بعض فوائده فما لا يفضي الى فوائده المقصودة منه لافراطه فهو مذموم وربما اوجب الموت
او المرض او فساد العقل وهو كالضرب الذي يقتل الصبي او يهلك الدابة او يمرضها او يكسر
عضوا من اعضائهما وانما مدح صاحب الشرع الرجاء وكلف الناس به ليعالج به صدمة الخوف المفرط
المفضي الى الياس او الى احد الامور المذكورة فالخوف المحمود ما يفضي الى العمل مع بقاء الحياة وصحة
البدن وسلامة العقل فان جاوز الى ازالة شيء منها فهو مرض يجب علاجه ولذا كان بعض
مشايخ العرفاء يقول للمرتاضين من مريديه الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه
لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل وما قيل ان من مات من خوف الله تعالى مات شهيدا معناه
ان موته بالخوف افضل من موته في هذا الوقت بدونه فهو بالنسبة اليه فضيلة لا بالنظر
الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وتحصيل المعارف اذ للمترقي في درجات المعارف و
الطاعات له في كل لحظة ثواب شهيد او شهداء فان فضل السعادات طول العمر في تحصيل العلم
والعمل فكلما يبطل العمر او العقل او الصحة فهو خسران ونقصان **فصل** لتحصيل الخوف الممدوح
وجليه طرق الاول ان يجتهد في تحصيل اليقين اي قوة الايمان بالله واليوم الآخر والجنة
والنار والحساب والعقاب ولا ريب في كونه مهيجا للخوف من النار والرجاء للجنة ثم الخوف والرجاء
يؤديان الى الصبر على المكاره والشاق وهو الى المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه
على الدوام ويقوى دوام الذكر على الانس ودوام الفكر على كمال المعرفة ويؤدي الانس و
كمال المعرفة الى المحبة ويتبعها الرضا والتوكل وسائر المقامات وهذا هو الترتيب في
سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام
سوى الصبر ولا بعده سوى المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا بعده سوى الهداية و
المعرفة ولا بعدهما سوى الانس والمحبة ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته
وهو التوكل فاليقين هو سبب الخوف فيجب تحصيل السبب ليؤدي الى المسبب الثاني ملازمة

التفكر في احوال القيمة واصناف العذاب في الآخرة واستماع المواعظ المنذرة والنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم واستماع حكاياتهم وهذا مما يستجلب الخوف من عذابه تع وهو خوف عموم الخلق وهو يحصل بمجرد اصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وانما يضعف للغفلة او ضعف الايمان وزوال الغفلة والضعف بما ذكر واما الخوف من الله بان يخاف البعد والحجاب ويرجو القرب والوصال وهو خوف ارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الخوف والهيبة المطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه وقوله فاتقوا الله حق تقاته فالعلاج في تحصيله الارتقاء الى ذروة المعرفة اذ هذا الخوف ثمرة المعرفة بالله وبصفات جماله وجلاله ومن لم يمكنه ذلك فلا يترك سماع الاخبار والآثار وملاحظة احوال الخائفين من هيبته وجلاله كالانبياء والاولياء و زمرة العرفاء فانه لا يخلو عن تأثير الثالث ان يتأمل في ان الوقوف على كنه صفات الله في حيز المحال وان الاحاطة بكنه الامور ليس في مقدرة البشر اذ هي مربوطة بالمشية ربما يخرج عن حد المعقول والمألوف ومن عرف ذلك على التحقيق يعلم ان الحكم على امر من الامور الآتية غير ممكن بالحدس والقياس فضلا عن القطع والتحقيق وح يعظم خوفه واشتد المرء وان كان الخيرات كلها ميسرة له ونفسها عن الدنيا بالمرة منقطعة والى الله بشراشرها ملتفتة اذ خطر الخاتمة وعسر الثبات على الحق مما لا يمكن دفعه وكيف يحصل الاطمينان من تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون فاني للناس ان يطمئنوا وهو يناديهم بالتحذير ولذا قال بعض العرفاء لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب

فصل قد اشير الى ان اعظم المخاوف خوف سوء الخاتمة وله اسباب مختلفة يرجع الى ثلثة الاول وهو الاعظم وهو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الجحود او الشك فيقبض الروح في تلك الحال ويصير عقدة الجحود او الشك حجابا بينه وبين الله تع وذلك يقتضي البعد الدائم والحرمان اللازم وخسران الابد والعذاب المخلد ثم هذا الجحود او الشك اما يتعلق ببعض العقائد الاصولية كالتوحيد وعلمه تع او غير ذلك من صفاته الكمالية او بنبوة نبينا او امر الآخرة و النبوة وكل واحد من ذلك كاف في الهلاك وزهوق النفس على الزندقة او يتعلق بجميعها

المقام الثاني

اما اصالة او سراية والمراد بالسراية ان الرجل ربما اعتقد في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف ما هو الحق والواقع اما برايه ومعقوله او بالتقليد فاذا قرب الموت وظهر سكراته واضطرب القلب بما فيه ربما انكشف بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ويكون ذلك سببا لبطلان بقية اعتقاداته او الشك فيها وان كانت صحيحة فاذا علم خطاؤه في البعض لم يبق له اليقين والاطمينان في البواقي كما نقل ان الفخر الرازي بكى يوما فسئل عن سبب بكائه فقال اعتقدت في مسئلة منذ سبعين سنة على نحو انكشف اليوم لي بطلانه فما ادري ان لا يكون ساير عقائدي كذلك وبالجملة ان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة وقبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك اعاذنا الله منه وهم المقصودون من قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ومن قوله هل ننبئكم بالاخسرين الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والبله اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا بمعزل عن هذا الخطر ولذلك ورد ان اكثر اهل الجنة البله وورد المنع من البحث والنظر والخوض في الكلام والاخذ بظواهر الشرع مع اعتقاد كونه منزها عن النقص متصفا بما هو الغاية والنهاية من صفات الكمال والسر في ذلك ان البله اذا اخذوا بما ورد من الشرع واعتقدوا به يثبتون عليه لقصور اذهانهم عن درك الشبهات وعدم اعتيادهم بالتشكيك فلا يختلج ببالهم شك وشبهة ولو عند الموت واما الخائضون في غمرات البحث والنظر والاخذون عقائدهم من عقولهم المزجاة فليس لهم تثبت على عقائدهم لعجز العقول عن درك صفات الله وساير العقايد الاصلية على ما هي عليه فاصرة والادلة التي ينسجونها مضطربة متعارضة وابواب الشكوك والشبهات بالخوض والبحث تصير مفتوحة فاذهانهم دائما محل تعارض العقايد والشكوك فربما ثبت لهم عقيدة بملاحظة بعض الادلة فيحصل لهم اطمينان بها ثم يعرض لهم شك فيها يرفعها او يضعفها فهم دائما في غمرات الحيرة والاضطراب فاذا كان حالهم هذا فاخذتهم سكرات الموت فاي استبعاد في ان يختلج لهم شك في بعض عقائدهم ومثله مثل من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج ويرميه موج الى موج والغالب في مثله الهلاك وان اتفق نادرا ان يرميه موج الى الساحل وقد نقل عن نصير الدين الحلي وهو من اعاظم المتكلمين انه قال تفكرت في العلوم العقلية سبعين سنة وصنفت فيها من الكتب ما لا يحصى ولم يظهر لي منها شيء سوى ان لهذا المصنوع صانعا ومع ذلك عجايز القوم في ذلك اشد يقينا مني فالصواب تلقي

جهابعض للواقع اذ لم يكن عنده الا مرق بين هذا الاعتقاد الفاسد الذي انكشف فساده وبين سائر عقائده الصحيحة

اصل

في بيان ضعف الإيمان وقوة حب الدنيا يوجب البعد عن الله وسوء الخاتمة

اصل الايمان والعقايد من صاحب لوحي مع تطهير الباطن عن خبائث الاخلاق والاشتغال بالطاعات وصوالح الاعمال وعدم التعرض لما هو خارج عن طاقتهم من التفكر في حقايق المعارف الا من ايده الله بالقوة القدسية والقريحة المستقيمة واشرق نور الحكمة في قلبه وشمله خفي الالطاف من ربه فله الخوض في غمرات العلوم واما غيره فينبغي ان ياخذ منه اصول عقائده الواردة من الشرع ويشتغل بالمجاهدة حتى يشمله بركات انفاسه فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد وانهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وان كان فاقد الدرجتهم الثاني ضعف الايمان في الاصل ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا في القلب واستولى عليه بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث النفس فلا يظهر له اثر في مخالفة النفس والشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب عليه ولا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان حتى ينطفي بالكلية فاذا جاء سكرة الموت ازداد حب الله ضعفا وربما عدم بالمرة لما يستشعر من فراق محبوبه الغالب على قلبه وهو الدنيا فيتالم ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر الله له من الموت وربما يحدث في باطنه بغض الله بدل الحب لما يرى ان موته من الله كما ان من يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ما لا له هو احب اليه منه وانلفه انقلب حبه بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء نعوذ بالله من ذلك وقد ظهر ان السبب المفضي الى ذلك غلبة حب الدنيا مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا فهو ابعد من هذا الخطر وان احب الدنيا ايضا ومن وجد في قلبه عكس ذلك فهو قريب من هذا الخطر والسبب في قلة حب الله قلة المعرفة به اذ لا يحب الله الا من عرفه والى هذا القسم من سوء الخاتمة اشير في الكتاب الالهي بقوله قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ فمن فارق روحه في حالة كراهة فعل الله وبغضه له في تفريقه بينه وبين اهله وماله وساير محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه قهرا ولا يخفى ما يستحق مثله من الخزي والنكال واما الذي يموت على حب الله والرضا بفعله كان قدومه قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه ولا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور والثالث كثرة المعاصي وغلبة الشهوات وان قوي الايمان وبيان ذلك ان مقارفة

في ان اكثر المعاصي الشهوات وغلبتها تؤديان الى سوء الخاتمة وفوت الايمان

المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان
في عمره يعود ذكره في قلبه عند موته فان كان ميله الى الطاعات اكثر كان اكثر ما يحضره عند الموت
طاعة الله وان كان اكثر همته الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عنده وان كان اكثر شغله التسخير
والاستهزاء والمزاح وامثال ذلك كان الغالب على قلبه عند الموت ذلك وهكذا الحال في جميع
الاشغال والاعمال الغالبة في عمره فانها يغلب على قلبه عند موته فربما يقبض روحه عند غلبة
شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيختم بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى وهو
المراد بالختم على السوء فالذي غلبت عليه المعاصي والشهوات وكان قلبه اميل اليها منه الى
الطاعة فهذا الخطر قريب في حقه ومن لا يميل اليها اصلا فهو بعيد عنه جدا ومن غلبت عليه
الطاعات ولم يقارن المعاصي الا نادرا فلعل الراجح في حقه النجاة منه وان امكن حصوله ومن
لم يغلب شيء من طاعاته ومعاصيه على الآخر فامره في هذا الخطر الى الله ولا يمكن لنا الحكم بشيء
من القرب والبعد في حقه والسر في ذلك ان الغشية المتقدمة على الموت شبيهة بالنوم فكما ان
الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره والف بها حتى انه لا يرى في منامه
الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع فكذلك
حاله عند سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية لكونه شبيها بالنوم وان كان فوقه فيقتضي
ذلك تذكر المألوفات وعودها الى القلب فربما يكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة
فاحشة في قلبه ويميل نفسه اليها ويقبض عليها روحه ويكون ذلك سوء خاتمة وان كان
اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها بعناية الله وفضله وكما ان ما يخطر بالبال في
اليقظة انما يخطر بسبب خاص لا يعلمه بحقيقته احد الا الله فكذلك ما يرى في آحاد المنامات
وما يختلج في القلب عند سكرات الموت له اسباب عند الله لا يعرف بعضها وربما يتمكن من معرفة بعض
فانا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة بان ينظر الى جميل فيتذكر
جميلا آخر واما بالمضادة بان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا واما بالمقارنة بان ينظر الى فرس قد رآه
من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه المناسبة
له وربما ينتقل الى شيء لا يعرف سببه اصلا وكذلك انتقالات الخاطر في المنام وعند سكرات
الموت لها اسباب لا نعرف بعضها ونعرف بعضها بالنحو المذكور ومن اراد ان يكف خاطره
عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول عمره في فطام نفسه عنها

في انّ لسوء الخاتمة موجبات جليّة يمكن التحرّز عنها بغيرة واسبابا خفيّة لا يمكن الاعتصام منها الا بالله

وفي منع السّموات عن قلبه فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون طول المجاهدة
والمواظبة على العلم وتخلية السّر عن الشواغل الدنيويّة وتقييده بالتوجه الى الله وحبّه والمعه
عدّة وذخيرة لحالة سكرات الموت اذ المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه كما
ورد في الخبر وقد ثبت المشاهدة على ان كل احد يكون عند موته مشغول القلب بما هو الغالب عليه
طول عمره حيث يظهر منه عند ذلك وانّما الخوف الموجب لسوء الخاتمة هو خاطر سوء يخطر
ومنه عظم خوف العارفين اذ اختلاج الخواطر والاتفاقات المقتضية لكونها مذمومة او محمودة
لا يدخل تحت الاختيار دخولا كليّا وان كان لطول الالف والعادة تاثير ومدخلية ولذا
اذا اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا الانبياء ع والائمّة عليهم السّلام واحوال الصّلحاء
والعبادات لم يتيسر له وان كان كثرة الصحبة والمواظبة على الصّلاح والطاعة مؤثرة فيه وبالجملة
اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضّبط وان كان الغالب منا سبة ما يظهر في النوم
لما غلب في اليقظة وبذلك يعلم انّ اعمال العبد كلها ضايعة ان لم يسلم في النّفس الاخير الذى عليه
خروج الرّوح وانّ السّلامة مع اضطراب امواج الخواطر مشكل ولذلك قال رسول الله انّ الرجل
يعمل بعمل اهل الجنّة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنّة الّا فواق النّاقة فيختم له بما سبق
به الكتاب ومعلوم انّ فواق النّاقة لا يتّسع لاعمال يوجب الشّقاوة بل هي الخواطر التّى تضطرب
وتخطر خطور البرق الخاطف ومن هنا قيل انّي لا اعجب ممّن هلك كيف هلك ولكنّي اعجب ممّن
نجى كيف نجى وورد انّ الملائكة اذا صعدت بروح المؤمن وقد مات على الخير والاسلام
تعجب الملائكة منه وقالوا كيف نجى من دنيا فسد فيها خيارنا ولذلك قيل من وقعت
سفينته في لجّة البحر وهجمت عليه الرّياح العاصفة واضطربت الامواج كان النّجاة في حقه ابعد
من الهلاك وقلب المؤمن اشدّ اضطرابا من السّفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج
البحر ومقلّب القلوب هو الله ومن هنا يظهر سرّ قوله النّاس كلّهم هلكى الّا العالمون والعالمون
كلّهم هلكى الّا العاملون والعاملون كلّهم هلكى الّا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ولاجل
هذا الخطر العظيم كانت الشّهادة مطلوبة وموت الفجاة مكروها اذ موت الفجاة ربّما يتفق
عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب امّا الشّهادة في سبيل الله فانّها عبارة
عن قبض الرّوح في حالة لم يبق في القلب غير حبّ الله وخرج حبّ الدّنيا والمال والولد فانّ من هجم
على صفّ القتال بامر الله وامر رسوله يكون موطّنا نفسه على الموت لرضاء الله وحبّه

في ان اكثر المعاصي وغلبة الشهوات تؤديان الى سوء الخاتمة وفوت الايمان

المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره في قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره عند الموت طاعة الله وان كان اكثر همته الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عنده وان كان اكثر شغله التسخر والاستهزاء والمزاح وامثال ذلك كان الغالب على قلبه عند الموت ذلك وهكذا الحال في جميع الاشغال والاعمال الغالبة في عمره فانها يغلب على قلبه عند موته فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى وهو المراد بالختم على السوء فالذي غلبت عليه المعاصي والشهوات وكان قلبه اميل اليها منه الى الطاعة فهذا الخطر قريب في حقه ومن لا يميل اليها اصلا فهو بعيد عنه جدا ومن غلبت عليه الطاعات ولم يقارن من المعاصي الا نادرا فلعل الراجح في حقه النجاة منه وان امكن حصوله ومن لم يغلب شيء من طاعاته ومعاصيه على الاخر فامره في هذا الخطر الى الله ولا يمكن لنا الحكم بشيء من القرب والبعد في حقه والسر في ذلك ان الغشية المتقدمة على الموت شبيهة بالنوم فكما ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره والف بها حتى انه لا يرى في منامه الا ما يماثل مشاهداته في يقظته وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع فكذلك حاله عند سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية لكونه شبيها بالنوم وان كان فوقه فيقتضي ذلك تذكر المألوفات وعودها الى القلب فربما يكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل نفسه اليها ويقبض عليها روحه ويكون ذلك سوء خاتمة وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها بعناية الله وفضله وكما ان ما يخطر بالبال في اليقظة انما يخطر بسبب خاص لا يعلمه بحقيقته احد الا الله فكذلك ما يرى في احاد المنامات وما يختلج في القلب عند سكرات الموت له اسباب عند الله لا يعرف بعضها وربما يتمكن من معرفة بعض فانا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة بان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا اخر واما بالمضادة بان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا واما بالمقارنة بان ينظر الى فرس قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه المناسبة له وربما ينتقل الى شيء لا يعرف سببه اصلا وكذلك انتقالات الخواطر في المنام وعند سكرات الموت لها اسباب لا يعرف بعضها ويعرف بعضها بالنحو المذكور ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول عمره في فطام نفسه عنها

بيان موجبات سوء الخاتمة وما يمكن التحرز عنها ... لا منها الا الاعتصام بالله

وفي قمع الشهوات عن قلبه فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المجاهدة
المواظبة على العلم وتخلية السر عن الشواغل الدنيوية وتقييده بالتوجه الى الله وحده والمنه
عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت اذ المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه كما
ورد في الخبر وقد دلت المشاهدة على ان كل احد يكون عند موته مشغول القلب بما هو الغالب عليه
طول عمره حيث يظهر منه عند ذلك وانما الخوف الموجب لسوء الخاتمة هو خاطر سوء يخطر
ومنه عظم خوف العارفين اذ اختلاج الخاطر والاتفاقات المقتضية لكونها مذمومة او محمودة
لا يدخل تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف والعادة تاثير ومدخلية ولذا
اذا اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا الانبياء او الائمة عليهم السلام واحوال الصالحين
والعباد لم يتيسر له وان كان كثرة المحبة والمواظبة على الصلاح والطاعة مؤثرة فيه وبالجملة
اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم
لما غلب في اليقظة وبذلك يعلم ان اعمال العبد كلها ضايعة ان لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه
خروج الروح وان السلامة مع اضطراب امواج الخواطر مشكل ولذلك قال رسول الله ان الرجل
يعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق الناقة فيختم له بما سبق
به الكتاب ومعلوم ان فواق الناقة لا يتسع لاعمال يوجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب
وتخطر خطور البرق الخاطف ومن هنا قيل اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكن اعجب ممن
نجى كيف نجى وورد ان الملائكة اذا صعدت بروح المؤمن وقد مات على الخير والاسلام
تعجب الملائكة منه وقالوا كيف نجى من دنيا فسد فيها خيارنا ولذلك قيل من وقعت
سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كان النجاة في حقه ابعد
من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج
البحر ومقلب القلوب هو الله ومن هنا يظهر سر قوله الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون
كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ولاجل
هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مطلوبة وموت الفجاة مكروها اذ موت الفجاة ربما يتفق
عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب اما الشهادة في سبيل الله فانها عبارة
عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب غير حب الله وخرج حب الدنيا والمال والولد فان من هجم
على صف القتال بامر الله وامر رسوله يكون موطنا نفسه على الموت لرضاء الله وحبه

في انّ سوء الخاتمة وحسنها مرجعه الى خواطر القلب باعتبار ميلها من الخير والشرّ والمباح

بايعاد بناه باخرته راضيا بالبيع الذي بايعه الله به في قوله إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأنّ لهم الجنّة وبذلك يظهر انّ القتل لا بسبب الشهادة التي حقيقتها ما فسّر لا يفيد
الاطمينان من هذا الخطر وان كان ظلما وان كان في الجهاد اذا لم يكن بمجرّد قصد الى الله ورسوله
بل الى دنيا يصيبها او امرأة يأخذها وقد ظهر ممّا ذكر انّ سوء الخاتمة باختلاف اسبابه راجع الى
احوال القلب وحالة القلب امّا خاطر خيرا وخاطر سوء او خاطر مباح فمن زهق روحه على
خاطر مباح لم يمكن الحكم بانّه ختم على خير او سوء بل امره الى الله وان كانت النجاة له اقرب بعد
غلبة صالحات اعماله على فاسداتها ومن زهق روحه على خاطر سوء وهو احد الخواطر
المتقدّمة فقد ضلّ ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا ومن زهق روحه على خاطر خير وهو
ان يكون قلبه في حالة الموت متوجّها الى الله ممتليا من حبّه وانسه فقد فاز فوزا عظيما و
هذا موقوف على المجاهدة في فطام النفس عن الشهوات الحيوانيّة واخراج حبّ الدنيا عنها
راسا والاحتراز عن فعل المعاصي ومشاهداتها والتفكّر فيها وعن مجالسة اهلها واستماع حكاياتهم بل
عن مباحات الدنيا بالكليّة وتخلية السرّ عمّا سوى الله والانقطاع ابدا بشراشره اليه واخراج محبّة كلّ
شيء سوى محبّته عن قلبه حتّى يصير حبّه سبحانه والانس به ملكة راسخة تغلب على القلب عند سكرة الموت
وبدون ذلك لا يمكن القطع بذلك كيف وقد علمت انّ الغشية المتقدّمة على الموت شبيه النوم وانت
في غالب الرؤيا الظاهرة عليك في المنام لا تجد في قلبك حبّ الله والانس به والتوجّه اليه بل لا يخطر
ببالك انّ لك ربّا متّصفا بالصفات الكماليّة بل ترى ما كنت تالف به وتعتاده من الامور الباطلة
والخيالات الفاسدة فان زهق روحك عند اشتغال خاطرك بشيء من الامور الدنيويّة ولم تكن
متوجّها الى الله ومستحضرا من معرفته ومبتهجا بحبّه وانسه لبقيت على تلك الحالة ابدا وهو
الشقاوة العظمى والخيبة الكبرى فتيقّظ يا حبيبي من سنة الغفلة وتنبّه عن سكر الطبيعة واخرج
حبّ الدنيا عن قلبك وتوجّه بشراشرك الى جناب ربّك واكتف من الدنيا بقليل وبقدر قوتك ولا
تطلب منها فوق حاجتك واقنع من الطعام بما يقيم صلبك ولا تكثر التناول منه [illegible] من ربّك قربك وارض
من اللباس بما يستر عورتك ولا يظهر للناس سوءتك واكتف من المسكن بما يحول بينك وبين
الابصار ويدفع عنك حرّ الشمس وبرد الامطار فان جاوزت عن ذلك تشعّبت همومك و
تكثّرت غمومك ووقع اطلبك الشغل الدائم والعناء اللازم وذهب عنك جلّ خيراتك وضاعت
بركات اوقاتك وتعديك لك راقب قلبك في جميع الاوقات واياك ان تهمل لحظة من اللحظات

واحفظ

واحفظه من ان يكون محلًّا لغير معرفة الله وحبّه ولكن القرب الى الله والانس به غاية همّتك اذ العاقل انما يميل ويشتاق الى ما هو الاشرف والاكمل ويسرّ ويرتاح بما له احسن وانفع ولا ريب في ان اشرف الموجودات واكملها هو الله سبحانه بل هو الموجود الحقيقي والكمال الواقعي وغيره من الموجودات والكمالات من لوازم نفسه ورشحات وجوده وفضله وله غاية ما يتصوّر من العلوّ والكمال والبهآء والجلال وان معرفته وحبّه احسن الاشياء وانفعها لكل احد لانه الباعث للسعادة الابديّة والبهجة الدائميّة فلا ينبغي للعاقل ان يترك ذلك اشتغالا بفضول الدنيا وخسائسها بل يلزم عليه ان يترك جلّها على غاربها ويخلص نفسه الشريفة عن مخالبها ويتوجه بكلّيته الى جنابه ولم يكن فرحه وابتهاجه الا بحبّه وانسه **فصل** ضدّ الخوف المذموم هو اطمينان القلب في امور مذكورة ولا ريب في كونه فضيلة وكمالا اذ قوّة القلب وعدم اضطرابه مما يحكم العقل بعد التحدّس عنه بصفة كمال ونقيضه نقص ورذيلة واما الخوف الممدوح فضدّه الامن من مكر الله وهو من المهلكات وقد ورد به الذمّ في الايات والاخبار وقال الله سبحانه ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقد ثبت بالتواتر ان الملائكة والانبياء كانوا خائفين من مكره كما روى انه لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان فقالا يا ربّ لا نأمن مكرك فقال الله هكذا كونا لا تأمنا من مكري وروى ان النبيّ صلّى الله عليه وآله وجبرئيل بكيا من خوف الله ثم فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا من يأمن مكرك وكانهما لم يأمنا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابرهيم عم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكان هذا القول منه من الدعاوي العظيمة فامتحن وعورض بجبرئيل عم في الهواء حتى قال الك حاجة قال اما اليك فلا وكان ذلك وفاء بمقتضى قوله فاخبر الله تعالى عنه وقال وابرهيم الذي وفّى وبالجملة ينبغي للمؤمن ان لا يأمن مكر ربّه كما لم يأمن منه الملائكة والانبياء وان لم يأمن منه كان خائفا منه دائما **تتميم** الرجا وارتياح القلب لانتظار المحبوب وهو يلازم الخوف اذ الخوف كما عرفت عبارة عن التألّم من توقّع مكروه ممكن الحصول وما يمكن حصوله يمكن عدم حصوله ايضا وما كان حصوله مكروها كان عدم حصوله محبوبا فكما انه يتألّم بتوقّع حصوله يرتاح بتوقّع عدم حصوله ايضا فالخوف عن شيء وجودا يلزمه الرجا عدما وعنه عدما يلزمه الرجا وجودا وقس عليه استلزام الرجا للخوف فهما متلازمان وان امكن غلبة احدهما

في التصريح بمعنى اطمينان القلب وان الامن من مكر الله

في اشتمال الرجاء على الخوف بين الخوف والرجاء

المقام الثاني

نظر الى كثرة حصول اسبابه وان تيقن الحصول او عدمه لم يكن انتظارهما خوفا ورجاء بل يسمى انتظار محبوب وانتظار مكروه ثم كان الخوف من متعلقات قوة الغضب وان الممدوح منه من فضائلها لكونه مقتضى العقل والشرع وباعثا للعمل من حيث الرهبة فكذا الرجا متعلق بها ومن فضائلها لكونه مقتضاهما وباعثا للعمل من حيث الرغبة الا ان الخوف لترتبه على ضعف القلب يكون اقرب الى طرف التفريط والرجاء لترتبه على قوته يكون اقرب الى طرف الافراط وان كان كلاهما ممدوحين ثم لا بد ان يحصل اكثر اسباب حصول المحبوب حتى يصدق اسم الرجا على انتظاره كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا في ارض طيبة يصلها الماء واما انتظار ما لم يحصل شيء من اسبابه فيسمى غرورا وحماقة كتوقع من القى بذرا في ارض سبخة لا يصلها الماء وانتظار ما كان اسبابه مشكوكة يسمى تمنيا كما اذا صلحت الارض ولا ماء وتفصيل ذلك ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر والطاعات هي الماء الذي يسقى به الارض وتطهير القلب من المعاصي والاخلاق الذميمة بمنزلة تنقية الارض من الشوك والاحجار والنباتات الخبيثة ويوم القيمة هو وقت الحصاد فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع النتيجة فكما ان من القى البذر في ارض طيبة وساق اليها الماء في وقته ونقاها الشوك والاحجار وبذل الجهد في قلع النباتات الخبيثة المفسدة للزرع ثم جلس ينتظر كرم الله ولطفه مؤملا ان يحصل له وقت الحصاد مائة قفيز مثلا سمي انتظاره رجاء ممدوحا فكذلك العبد اذا طهر ارض قلبه عن شوك الاخلاق الرديئة وبث فيه بذر الايمان بماء الطاعات ثم انتظر من فضل الله تثبيته الى الموت وحسن الخاتمة المقتضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه وكما ان من تغافل عن الزرع واختار الراحة طول السنة والقى البذر في ارض سبخة مرتفعة لا ينصب اليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر واصلاح الارض من النباتات المفسدة للزرع ثم جلس منتظرا الى ان ينبت لزرعه ما يحصد سمي انتظاره حمقا وغرورا كذلك من لم يلق بذر الايمان في ارض قلبه او القاه فيه مع كونه مشحونا برذائل الاخلاق منهمكا في خسائس الشهوات واللذات ولم يسق اليها ماء الطاعات ثم انتظر المغفرة كان انتظاره حمقا وغرورا وكما ان من بث البذر في ارض طيبة لا ماء لها وجلس ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار وان لم يمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا فاذن اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت

في تحقيق الرجاء وذكر جملة مما ورد في الترغيب فيه والمنع عن القنوط

اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
فالاحاديث الواردة في الترغيب على الرجاء وفي سعة عفو الله وجزيل رحمته ووفور مغفرته
انما هي مخصوصة بمن يرجو الرحمة والغفران بالعمل الخالص المعد لحصولهما وترك الانهماك
في المعاصي المفوت لهذا الاستعداد فاحذر ان يغرك الشيطان ويثبطك على العمل ويقنعك
بمحض الرجاء والامل وانظر الى حال الانبياء والاولياء واجتهادهم في الطاعات وصرفهم العمر
في العبادات ليلا ونهارا اما كانوا يرجون عفو الله ورحمته بلى والله انهم كانوا اعلم
بسعة رحمة الله وارجى لها منك ومن كل احد ولكن علموا ان رجاء الرحمة من دون العمل
غرور محض وسفه بحت فصرفوا في العبادات اعمارهم وقصروا على الطاعات ليلهم ونهارهم
ونحن نشير اولا الى بعض ما ورد في الرجاء من الآيات والاخبار ثم نورد نبذا مما يدل على
انه لا معنى للرجاء بدون العمل ليعلم ان اطلاق الاول محمول على الثاني فنقول ان الظواهر
الواردة في الرجاء اكثر من ان تحصى وهي على اقسام الاول ما ورد في النهي عن القنوط واليأس
من رحمة الله كقوله تع يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقول
علي ع لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من
ذنوبك وما روي انه ص لما قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم
الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى ربكم فهبط جبرئيل فقال ان ربك
يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وما ورد ان رجلا من بني اسرائيل كان
يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله له يوم القيمة اويسك من رحمتي كما كنت تقنط
عبادي منها الثاني ما ورد في الترغيب على خصوص الرجاء وكونه سبب النجاة كما ورد في اخبار
يعقوب من انه تعالى اوحى الله اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اني اخاف ان
يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم
تنظر الى حفظي وقول امير المؤمنين ع لرجل قال عند النزع اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة
ربي ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجى منه وآمنه مما يخاف وقول
النبي ص ان الله تع يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله
حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس فيقول الله قد غفرته لك وما روي منه ص ان رجلا يدخل
النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله لجبرئيل اذهب فائتني بعبدي

في الوجوه المكتنفة بالآيات والأخبار المتضمنة في الرجاء للترغيب

المقام الثاني

فيجيئ به فيوقفه على ربه فيقول الله كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقال ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اي شيئ تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله اذهبوا به الى الجنة وقوله ص قال الله تعالى لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا وفضلي فليرجوا فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت وعن ابي جعفر ع قال وجدنا في كتاب علي ع ان رسول الله ص قال وهو على منبره والذي لا اله الا الله هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاه فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه الثالث ما ورد في استغفار الملائكة والانبياء للمؤمنين كقوله تعالى وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ وقوله ص حيوتي خير لكم ومماتي خير لكم اما حيوتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله لكم الرابع ما ورد في تأجيل المذنب الى ان يستغفر كقول الباقر ع ان العبد اذا اذنب اجل من غدوة الى الليل فان استغفر لم يكتب عليه وقول الصادق ع من عمل سيئة اجل فيها سبع ساعات من النهار فان قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلث مرات لم يكتب عليه الخامس ما ورد في شفاعة النبي ص كقوله تعالى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى وقد ورد في تفسيره انه لا يرضى محمد و واحد من امته في النار وقوله ص ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وكذا ما ورد في شفاعة الائمة والمؤمنين السادس ما ورد من البشارات للشيعة من عدم خلودهم في النار ومن ان حب النبي ص والعترة الطاهرة ينجيهم من العذاب وان فعلوا ما فعلوا السابع ما دل على ان النار انما اعدها الله لاعدائه من الكفار وانما

في بقية التخويف والانذار بالآيات وجملة من الآيات التي اشتملت على الترغيب في الرجاء

يخوّف بها اولياءه كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله بها عباده وقوله اتقوا النار التي اعدّت للكافرين وقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذّب وتولّى الثامن ما ورد في سعة عفو الله ومغفرته ووفور رأفته ورحمته كقوله وان ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وما روي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبيّ والذين آمنوا معه انّ الله اوحى الى نبيّه انّي اجعل حساب امّتك اليك فقال لا يا ربّ انت خير لهم منّي فقال اذن لا اخزيك فيهم وما روي انّه قال يوما يا كريم العفو فقال جبرئيل تدري ما تفسير يا كريم العفو هو انّه يعفو عن السيّئات برحمته ثم يبدّلها حسنات بكرمه وما ورد ان العبد اذا اذنب فاستغفر يقول الله لملائكته انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم انّه له ربّا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم انّي غفرت له وما ورد في الخبر القدسي انّما خلقت الخلق ليربحوا عليّ ولم اخلقهم لاربح عليهم وما ورد من انّه لو لم يذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وقوله صلعم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وما ورد من انّه سبحانه ليغفرنّ يوم القيمة مغفرة ما خطرت قطّ على قلب احد حتّى انّ ابليس يتطاول لها رجاء ان يصيبه والآيات والاخبار الواردة في هذا المعنى متجاوزة عن حدّ التواتر التاسع ما دلّ على انّ ابتلاء المؤمن في الدنيا بالبلايا والامراض كفّارة لذنوبه كقوله صلعم الحمّى من فيح جهنّم وهي حظّ المؤمن من النار العاشر ما ورد في انّ الايمان لا يضرّ معه عمل كما انّ الكفر لا ينفع معه عمل وفي انّه قد يغفر الله عبدا ويدخله الجنّة لاجل مثقال ذرّة من الايمان وعمل جزئي من الاعمال الصالحة الحادي عشر ما ورد في الترغيب على حسن الظنّ بالله كقوله صلعم لا يموتنّ احدكم الّا وهو يحسن الظنّ بالله وقوله صلعم يقول الله تعالى انا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما شاء وقول الرضا ع احسن الظنّ بالله فانه يقول انا عند ظنّ عبدي ان خيرا فخير وان شرّا فشرّ وقول الصادق ع حسن الظنّ بالله ان لا ترجو الّا الله ولا تخاف الّا ذنبك وقد تقدّم بعض اخبار اخر في هذا المعنى ثم ايجاب حسن الظنّ للرجاء وجلبه له ممّا لا ريب فيه الثاني عشر ما دلّ على انّ الكفّار والنصّاب يكونون يوم القيمة فداء للمؤمنين والشيعة كما روي انّه صلعم قال امّتي امّة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة وعجّل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كلّ رجل من امّتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وعن اهل البيت ع انّ النصّاب يجعلون فداء لشيعتنا بظلمهم ايّاهم ووقيعتهم فيهم وعن الصادق ع سيؤتى بالواحد من مقصّري شيعتنا

فيما دلّ على انّ الرّجاء انّما هو بعد العمل وفي انّ الخوف والرّجاء محمودان بحسب الموارد مختلفان

المقام الثاني

في اعماله بعد ان ضمن الولاية والتقيّة وحقوق اخوانه ويوقف بازائه ما بين مأة واكثر
من ذلك الى مأة الف من النصّاب فيقال له هؤلاء فداؤك من النّار فيدخل هؤلاء المؤمنون
الى الجنّة واولئك النصّاب الى النّار وذلك ما قال الله تعالى رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ في الدنيا منقادين للامامة ليجعل مخالفوهم من النّار فداءهم واما الثاني
اعني ما يدلّ على انّ رجاء المغفرة والعفو والرّحمة انّما هو بعد العمل فاكثر من ان يحصى
كقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وقوله فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَ
يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وقول النبيّ ص الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواه وتمنّى على الله وما روي عن الصّادق ع انه قيل له قوم يعملون بالمعاصي و
يقولون نرجو فلا يزالون كذلك حتّى يأتيهم الموت فقال هؤلاء قوم يترجّحون في الاماني
كذبوا ليسوا براجين انّ من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه وعن عليّ بن محمد
قال قلت له ع انّ قوما من مواليك يلمّون بالمعاصي ويقولون نرجو فقال كذبوا ليسوا لنا
بموال هؤلاء قوم ترجّحت بهم الاماني من رجا شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه وعنه
قال لا يكون المؤمن مؤمنا حتى كان خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتّى كان عاملا لما
يخاف ويرجو **فصل** قد عرفت انّ الخوف والرجا محمودان لكونهما باعثين على العمل
ودوائين يداوي بهما امراض القلوب ففضل كلّ منهما انّما هو بحسب ما يترتّب عليه من
فائدة العمل ومعالجة المرض وهذا يختلف باختلاف الاشخاص فمن كان تأثير الخوف في
بعثه على العمل اكثر من تأثير الرّجاء فيه فالخوف له اصلح من الرّجاء ومن كان بالعكس فبالعكس
ومن غلب عليه مرض الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف له اصلح ومن ترك ظاهر
الاثم وباطنه وخفيّه وجليّه فالاصلح له ان يعتدل خوفه ورجائه والوجه في ذلك انّ
كلّما يراد للمقصود ففضله انّما يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه فلو فرض تساويهما
في البعث على العمل ولم يغلب شيء من المذكورات فالاصلح اعتدالهما كما قال امير المؤمنين ع
لبعض ولده يا بنيّ خف الله خوفا ترى انّك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبّلها منك
وارج الله رجاء كانّك لو اتيته بسيّئات اهل الارض غفرها لك وقال الباقر ع ليس من عبد
مؤمن الّا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا وقد جمع الله

سبحانه

سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا
ورهبا وعن الحارث بن المغيرة قال قلت للصادق ع ما كان في وصية لقمان قال
كان فيها الاعاجيب كان اعجب ما فيها ان قال لابنه خف الله خيفة لو جئته ببر الثقلين
لعذبك وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك ثم قال ع كان ابي يقول انه
ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا
وقال ع الخوف رقيب القلب والرجا شفيع النفس ومن كان عارفا بالله كان من الله خائفا
واليه راجيا وهما جناحا الايمان يطير بهما العبد المحقق الى رضوان الله وعينا عقله يبصر
بهما الى وعد الله ووعيده والخوف طالع عدل الله وناعي وعيده والرجا داعي فضل الله
وهو يحيي القلب والخوف يميت النفس ومن عبد الله على ميزان الخوف والرجا لا يضل ويصل
الى مأموله وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم بما يختم صحيفته ولا له عمل يتوسل به استحقاقا
ولا قدرة له على شيء ولا مفر وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز وهو غريق في بحر الآء
الله ونعمائه من حيث لا يحصى ولا يعد والمحب يعبد ربه على الرجاء بمشاهدة احواله بعين
سهر والزاهد يعبد على الخوف وقد ظهر مما ذكر ان الرجاء اصلح وافضل في موضعين احدهما
في حق من يفتر نفسه من فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فكان الرجاء باعثا له على التشمير
والنشاط للطاعات ومثله ينبغي ان يرجي نفسه نعم الله تعالى وما وعد الله به الصالحين في
العليين حتى ينبعث من رجائه نشاط العبادة وثانيهما في حق العاصي المنهمك اذا خطر
له خاطر التوبة فيقنطه الشيطان من رحمة الله ويقول له كيف يقبل التوبة من مثلك بعد
هذا يجب عليه ان يقمع قنوطه بالرجاء ويتذكر ما ورد فيه كقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله
وقوله اني لغفار لمن تاب يتوب ويتوقع المغفرة مع التوبة لا بدونها اذ لو توقع المغفرة
مع الاصرار كان مغرورا والرجاء الاول يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمير والثاني
يقطع القنوط المانع من التوبة **فصل** العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب
العباد اليهم الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه
والآخر رجاء لعطائه ولذلك عن رسول الله لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وقد قال ذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم اردكم وقال ظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وورد في الرجاء وحسن الظن
ما ورد كما تقدم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود احببني واحب من يحبني وحببني الى

في ترجيح الرجاء على الخوف وفضيلة العمل عليه

خلقني فقال يا رب كيف احبك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الائي ولصانعي
وذكّرهم ذلك فانّهم لا يعرفون منّي الّا الجميل ورائ بعض الاكابر في النّوم وكان يكثر ذكر
ابواب الرّجآء فقال اوقفني الله بين يديه فقال ما الّذي حملك على ذلك فقلت اردت ان
احببتك الى خلقك فقال قد غفرت لك هذا مع ان الرجا افضل من الخوف للعبد بالنظر
الى متعلقهما اذ الرّجاء مستقى من بحر الرّحمة والخوف مستقى من بحر الغضب ومن لاحظ من
صفات الله ما يقتضي اللّطف والرّحمة كانت المحبّة عليه اغلب وليس وراء المحبّة مقام واما
الخوف فمستنده الالتفات الى الصّفات التّي يقتضي الغضب فلا يمازجه المحبة كما يمازجها للرجاء نعم لما
كان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب سيّما على الموجودين في هذا الزّمان فالاصلح لهم
غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وقطع العمل بل يحثهم على العمل ويكدّر شهواتهم
ويزعج قلوبهم عن الرّكون الى دار الغرور ويدعوهم الى التجافي عن عالم الزّهد اذ مع غلبة
المعاصي على الطاعات لا ريب في اصلحية الخوف سيّما مع ان الافات الخفية من الشرك الخفي و
النفاق والرّياء وغير ذلك من خفايا الاخلاق الخبيثة في اكثر النّاس موجودة ومحبّة الشهوات
والحطام الدّنيوية في بواطنهم كامنة واهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده ممكنة
ومناقشات الحساب وردّ اعمالها الصالحة لاسباب خفية محتملة فمن عرف حقايق هذه الامور
فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه وان كان قوي القلب ثابت الجاش
تام المعرفة استوى خوفه ورجائه واما ان يغلب رجائه فلا بل غلبته انّما هو من الاغترار وقلّة
التدبّر كما في غالب الناس بل الاصلح لهم غلبة الخوف ولكن قبل الاشراف على الموت واما
عنده فالاصلح لهم غلبة الرّجاء وحسن الظنّ لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على
العمل وقد انقضى وقته وهو لا يطيق هنا اسباب الخوف لانها يقطع نياط قلبه ويعين على
تعجيل موته واما روح الرجاء فيقوى قلبه ويحبّب اليه ربه الذي اليه رجائه وينبغي ان
لا يفارق احد الدنيا الا محبا لله ليكون محبا للقائه ومن احب لقاء الله احب الله لقائه
ومن احبّ الله لقائه وعلم انه تم ايضا يحب لقائه اشتاق اليه ثم وكان فرحانا بالقدوم
عليه اذ من قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدّ عذابه ومحنته
فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حبّ الاهل والولد والمال كانت محابه كلها في الدنيا
فكانت الدنيا جنته اذ الجنّة هي البقعة الجامعة لجميع المحاب فكان موته خروجا عن الجنّة

وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه وهذا اوّل ما يلقاه كريم مثلا عمّا اعدّ الله
له من ضروب الخزي والنكال والسلاسل والاغلال وامّا اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى
معرفته وحبّه وانسه فالدّنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب في الدّنيا اولسجنه اذ السّجن هي
البقعة المانعة عن الوصول الى محابّه فموته خلاص له من السّجن وقدوم على المحبوب ولا يخفى
حال من خلص من السّجن وخلّي بينه وبين محبوبه وهذا اوّل ابتهاج يلقاه من كان محبّا لله
محبّ للدّنيا وما فيها فضلا عمّا اعدّه الله له ممّا لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر **فصل** قد عرفت ان المحتاج الى تحصيل دواء الرّجاء من غلب عليه الياس
فترك العبادة او غلب عليه الخوف فاسرف فيها حتّى اضرّ بنفسه واهله وامّا المنهمكون
في طغيان الذنوب والمغرورون بما هم فيه من الفساد والحرب كاكثر ابناء زماننا
فادوية الرّجاء بالنّسبة اليهم سموم مهلكة اذ لا يزداد بسماعهم لها الّا تمادياً في طغيانهم
وفساداً في فسادهم وعصيانهم فواعظ الخلق ينبغي ان يعرف امراضهم وينظر الى مواقع
عللهم ويعالج كلّ علّة بما يضادّها لا بما يزيدها ففي مثل هذا الزمان ينبغي ان لا يذكر
لهم بواعث الرّجاء بل يبالغ في ذكر اسباب الخوف لئلا يهلكهم ويرديهم بالكلّية ولا يقصد
بموعظته استمالة القلوب وتوقّع الثناء من الناس فينتقل الى الترغيب على الرّجاء لكونه
اخفّ على القلوب والذّ عند النفوس فيهلك ويهلكهم ويضلّ ويضلّهم وبالجملة الطّريق
الى تحصيل الرّجاء لمن يحتاج اليه ان يتذكر الآيات والاخبار المتواترة الواردة فيه وفي
سعة رحمته ووفور عفوه ورافته كما تقدّم شطر منها ثمّ يتأمّل في لطائف نعمائه و
عجائب الآثار لعباده في دار الدّنيا حتّى اعدّ لهم كلّما هو ضروري لهم في دوام الوجود بل
لم يترك لهم شيئاً جزئيا يحتاجون اليه نادرا يفوت بفقده ما هو الاصلح الاولى لهم
من الزينة والجمال فاذا لم يقصر العناية الالهيّة عن عباده في جميع ما يحبّ ويحسن لهم من اللّطف
والاحسان في دار الدّنيا وهي حقيقة دار البليّة والمحنة لا دار النّعمة والرّاحة ولم يرض ان يفوته
شيء من المزايد والمزايا في الحاجة والزّينة فكيف يرضى في دار الآخرة التي هي دار الفيض والجود
بسياقهم الى الهلاك المؤبّد والعذاب المخلّد مع انه تعالى اخبر بان رحمته سابقة على غضبه و
اقوى ما يجلب به الرّجاء ان يعلم انّ الله تعالى خير محض لا شريّة فيه اصلا وفيّاض على الاطلاق و
انّما اوجد الخلق لافاضة الجود والاحسان عليهم فلا بدّ ان يرحمهم ولا يبقيهم في الزجر الدّائم

فيما يجب على الواعظ
فيما يجب مراعاته
المصلح لاصلاح حال
النفوس

في ذمائم صغر النفس من انواع ما يتعلق بالقوة الغضبية وفي شرح ضدّه

المقام الثاني

از خير محض جز نكوئی نايد خوش باش كه عاقبت نكو خواهد شد ومنها صغر النفس وهو
ملكة العجز عن تحمّل الواردات وهو من نتايج الجبن ومن خباثات الصفات ويلزمه الذلّة والمهانة
وعدم الاهتمام في معالي الامور والمسامحة في النهي عن المنكر والامر بالمعروف والاضطراب بعروض
ادنى شيء من البلايا والمخاوف وقد ورد في الاخبار بان المؤمن بريء من ذلّة النفس قال الصّادق ع انّ
الله عزّ وجلّ فوّض الى المؤمن اموره كلّها ولم يفوّض اليه ان يكون ذليلا اما تسمع الله تع يقول
وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فالمؤمن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا انّ المؤمن اعزّ من الجبل
الجبل يستقلّ منه بالمعاول والمؤمن لا يستقلّ من دينه شيء وقال ع انّ الله فوّض الى المؤمن
كلّ شيء الا اذلال نفسه وقد ورد بهذا المضمون اخبار اخر وعلاجه ما تقدّم في معالجة الجبن

وصل وضدّه كبر النفس وصلابتها وقد عرفت انه ملكة التحمّل لما يرد عليه كائنا ما
كان وقد دلّت الاخبار على ان المؤمن ذو صلابة وعزّة ومهابة وكل ذلك فرع كبر النفس قال الباقر ع
المؤمن اصلب من الجبل وقال ع انّ الله اعطى المؤمن ثلث خصال العزّ في الدّنيا والاخرة والفلج في
الدّنيا والاخرة والمهابة في صدور الظّالمين وصاحب هذه الملكة لا يبالي بالكرامة و
الهوان ويستوي عنده الفقر والبؤس والغنى والاعسار بل الصّحة والمرض والمدح والذّم و
لا يتأثر بتقلّب الامور والاحوال وهي ملكة شريفة ليست شريعة لكلّ وارد ولا يصل اليها
الا واحد بعد واحد بل لا يحوم حولها الّا الاوحدي من افاضل الحكماء او المعتنى قويّ القلب
من اماثل العرفاء وطريق تحصيلها بعد تذكّر شرافتها على ان يتكلّف في المواظبة على اثارها والاجتناب
عمّا ينافيها حتى تحصل بالتّدريج

تتميم قد عرفت ان الثبات اخصّ من كبر النفس وهو
ملكة التحمّل على الخوض في الاهوال وقوّة المقاومة مع الشّدائد والالام بحيث لا يعتريه الانكسار
وان زادت وكثرت وضدّه الاضطراب في الاهوال والشّدائد ومن جملة الثبات الثّبات في الايمان
وهو اطمينان النّفس في عقايدها بحيث لا يتزلزل فيها بالشّبهات قال الله تع يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا
بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وهذا الاطمينان من شرايط كسب الكمال وفضايل الاعمال اذ ما لم تستقرّ
النفس على معتقداتها في المبدأ والمعاد لم يحصل لها العزم البالغ على تحصيل ما يتوقّف فائدته عليها
فمن ليس له هذا الثّبات لا تجده ثابتا ومواظبا على شيء من الاعمال الفاضلة بل هو كالّذي استهوته الشّياطين
في الارض حيران والمتّصف به مواظب لها دائما من غير فتور وعدم هذا الثّبات لعدم البصيرة
الباطنة او لضعف النّفس فوجوده يحصل من المعرفة وقوّة النّفس فهو من فضايل العاقلة

في ذكر دنائة النفس وهي ضد الهمة العالية وفي ذكر عدم الغيرة

وقوة الغضب وعدمه من رذائل احدهما او كليهما ومنها دنائة الهمة وهو قصور النفس عن طلب معالي الامور وقناعتها بادانيها وهو من نتايج ضعف النفس وصغرها وضده علو الهمة وهو ملكة السعي في تحصيل السعادة والكمال وطلب معالي الامور من دون ملاحظة منافع الدنيا ومضارها حتى لا يعتريه السرور بالوجدان ولا الحزن بالفقدان بل لا يبالي من طريق الطلب بالموت والقتل وامثالهما وصاحب هذه الملكة هو المؤمن الحقيقي الشائق للموت والموت تحفة له واعظم سرور يصل اليه كما ورد في الاخبار وهو الذي يقول

ان مرد نيم كز عدمم بيم آيد كان بيم مرا خوشتر از اين بيم آيد
جاني است مرا بعاريت داده خدا تسليم كنم چو وقت تسليم آيد

ويقول

مرگ اگر مرد است گو نزد من آي تا در آغوشش در آرم تنگ تنگ
من از ان عمري ستانم جاودان آن ز من دلقي ستاند رنگ رنگ

ويقول

اين جان عاريت كه بحافظ سپرده دوست روزي رخش ببينم وتسليم وي كنم

وهذه الملكة من نتايج النفس وشجاعتها وهي اعظم الفضائل النفسانية اذ كل من وصل الى المراتب العظيمة والامور العالية فانما وصل اليها لاجلها اذ صاحبها لا يرضى بالمراتب الدنية ويتشمر لتحصيل المراتب العالية والامور المتعالية وفي جوهر الانسان وجبلته ان يصل الى كل ما يجتهد في طلبه وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا من طلب الشيء وجد وجد ومن افراد علو الهمة اشبهها منه وهو الحرص على اقتناء عظائم الامور توقعا لجميل الذكر على مر الدهور ومنها عدم الغيرة والحمية وهو الاهمال في محافظة ما يلزم محافظته من الدين والعرض والاولاد والاموال وهو من نتايج صغر النفس وضعفها ومن المهلكات العظيمة وربما يؤدي الى الدياثة والقيادة قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب وقال صلى الله عليه وآله اذا غير الرجل في اهله او بعض مناكحه من مملوكته فلم يغر بعث الله طائرا يقال له القفندر حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله اربعين يوما ثم يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو غار وغير وانكر ذلك فاكره والا طار حتى يسقط على راسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه بعد ذلك روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث وقال صلى الله عليه وآله كان ابراهيم غيورا وانا اغير منه وجدع الله انف من لا يغار على المؤمنين والمسلمين وقال امير المؤمنين عليه السلام يا اهل العراق نبئت ان نساءكم يدافعن الرجال في الطريق اما تستحيون وقال عليه السلام اما تستحيون ولا تغارون نساءكم يخرجن الى الاسواق ويزاحمن العلوج

وصل

الغيرة والحمية وهو السعي في محافظة ما يلزم

الثالث من انواع الرذائل المتعلقة بالقوة الغضبية

التاسع من انواع الرذائل المتعلقة بالجنسين

فوائد الغيرة من الملكات الشريفة وبيان حقيقتها

المقام الثاني

فيما يقتضيه الحمية في الدين وما يترتب على الغيرة على الحريم في عصرنا هذا

محافظته من نتايج الشجاعة وكبر النفس وقوتها وهي من شرايف الملكات وبها يتحقق الرجولية و
الفحلية والفاقد لها غير معدود من الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان سعد الغيور وانا اغير من سعد
والله اغير مني وقال الصادق عليه السلام ان الله لغيور ولاجل غيرته حرم الفواحش وقال ان الله يغار والمؤمن
يغار وغيرة الله ان يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالى غيور يحب الغيرة
ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها **فصل** مقتضى الغيرة والحمية في الدين ان يجتهد في
حفظه عن بدع المبتدعين وانتحال المبطلين وقصاص المرتدين واهانة من يستخف به من المخالفين
ورد شبه الجاحدين ويسعى في ترويجه ونشر احكامه ويبالغ في تبيين حلاله وحرامه ولا يسامح
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقتضى الغيرة على الحريم ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي
تخشى غوائلها فيحفظهن عن اجانب الرجال ويمنعهن عن الدخول في الاسواق قال رسول الله صلى الله عليه وآله
لفاطمة عليها السلام اي شيء خير للمرأة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال
ذرية بعضها من بعض وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا تطلع النساء على الرجال
وقال من اطاع امرأته اكبه الله على وجهه في النار قيل وما تلك الطاعة قال تطلب منه الذهاب
الى الحمامات والعرسات والعيدات والنياحات والثياب الرقاق وما روي انه صلى الله عليه وآله اذن
النساء في حضور المساجد وقال لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فالظاهر انه كان مختصا بنساء
عصره صلى الله عليه وآله لعلمه بعدم ترتب فساد على حضورهن فيها والصواب اليوم ان يمنعن من حضور المساجد
والذهاب الى المشاهد الا العجايز منهن للقطع بترتب الفساد والمعصية على خروج نساء
هذا العصر الى اي موضع كان وقد استصوب ذلك في زمن الصحابة ايضا وقالوا لو علم رسول الله
ما احدث النساء بعده لمنعهن من الخروج وسئل الصادق عليه السلام عن خروج النساء في العيدين فقال
لا الا عجوز عليها خفيها وفي رواية اخرى انه سئل عن خروج النساء في العيدين والجمعة
فقال لا الا امرأة مسنة وبالجملة من اطلع على احوال النساء امثال عصرنا يعلم ان مقتضى الغيرة
ان يبالغ في حفظهن عن جميع ما يحتمل ان يؤدي الى فتنة وفساد سواء كان في نفسه محرما
كالنظر الى الرجال الاجانب واستماع كلامهم بلا ضرورة شرعية وارتكاب الملاهي المحرمة او لا
كالخروج عن البيت بلا داع شرعي او ضرورة ولو الى المساجد والمشاهد المشرفة ومجامع
تعزية مولانا ابي عبد الله الحسين عليه السلام اذ ذلك وان كان في نفسه راجحا الا ان الغالب عدم انفكاكه
عما ينافي الغيرة والحمية على ما هو المشاهد في عصرنا فان اقل ما في الباب انه لا ينفك عن نظرهن

بيان ما ينبغي ان يراعى من مقتضى الغيرة وذكر بعض الاخبار الشاهدة عليه

الى الاجانب واستماع كلامهم بل عن نظرهم اليهن واستماع كلامهن وهذا خروج للعرضين
الى الانحراف عن قانون العفة مع انا نعلم قطعا ان خروج اكثرهن لا يخلو عن غرض فاسد او
مرجوح وما اقل فيهن ان يكون خروجها الى احد المواضع المذكورة لمحض القربة والثواب
فالصواب ان يمنعن في امثال هذا العصر عن مطلق الخروج الا الى سفر واجب كالحج او الى
بيت عالم عادل لاخذ ما يجب عليهن من المسائل اذا لم يتمكن ازواجهن من اخذها وابقائها
اليهن نعم لو فرض خروجها الى احد المشاهد او الى مجمع تعزية من مجامع النساء بل الى مجمع
العرس على نحو اطمئن الزوج منها وتيقن بعدم حدوث ما ينافي الغيرة وعدم ترتب
فساد ومعصية وريبة عليه فالظاهر جواز الاذن بل رجحانه وجميع ذلك انما هو في الشواب
من النساء واما العجائز فلا باس بخروجهن الى المواضع المذكورة ومقتضى الغيرة ان يمنعن
من استماع الكلمات الملهية والحكايات المهيجة للشهوة وعن مجالسة العجائز التي يحضرن
مجامع الرجال وينقلن حكاياتهم وقصصهم لانهن ناقصات العقل والايمان ومع ذلك
شهوتهن في غاية القوة والغلبة فاستماعهن لشيء من المذكورات يوجب ثوران الشهوة
وهيجانها فيهن فلما لم يكن فيهن قاهر العقل ومانع الايمان فربما ادى ذلك الى فساد عظيم
ولذلك ورد في الاخبار منعهن عن تعلم سورة يوسف اذ استماعهن لامثال القصة
المذكورة فيها ربما ادى الى انحرافهن عن طريق العفة قال امير المؤمنين لا تعلموا نساءكم
سورة يوسف ولا تقرؤهن اياها فان فيها الفتن وعلموهن سورة النور فان فيها
المواعظ وقال لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجوهن للفجور وقال رسول الله لا تنزلوا
النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور وبالجملة مقتضى العقل
والنقل ان يمنعن عن جميع ما يمكن ان يؤدي الى فساد وريبة وعن مبادي الامور التي يخاف
غوائلها وينبغي لصاحب الغيرة ان يجعل نفسه مهيبا في نظرها حتى يكون منه على خوف وحذر
ولا تطمئن منه فتتبع هواها وما يقتضيه جبلتها وان يجعلها مشغولة في كل وقت بامر من
الامور كتدبير المنزل واصلاح امر المعيشة او بكسب من المكاسب حتى يكون لها دائما شغل
شاغل ولا يكون فارغة عنه في وقت من الاوقات اذ لو خلت عن الاشغال وتعطلت عن
المهمات اوقعها الشيطان في اودية الافكار الردية فتميل الى التزين والخروج والتفرج والنظر
الى الجانب للرجال والملاعبة والمضاحكة للنسوان فينجر امرها الى الفساد وينبغي ايضا لصاحب

المقام الثاني

في المنع عن افراط الغيرة لاستلزامه ما ينافيها الغيرة عن الافراط على الحرم الظن وبيان ما يجب على الآباء

الغيرة ان يعطي امراته من القوت والملبوس وسائر الضروريات حتى لا تضطر الى ارتكاب ما لا ينبغي من الحركات والافعال توصلا الى اخذ شيء من ذلك من غيره ما تحتاج اليه وجهاتم ينبغي ان لا يوقع الغيرة في طرف الافراط فيبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يتبع عورات النساء وان يتعنت بهن وفي الخبر المشهور ان المراة كالضلع ان اردت ان تقيمه كسرته فدعه تستمتع به على عوج وقال صلى الله عليه وآله من الغيرة غيرة يبغضها الله ورسوله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة وقال امير المؤمنين عليه السلام لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك وقال عليه السلام في رسالته الى الحسن عليه السلام اياك والتغاير في غير موضع الغيرة فان ذلك يدعوا الى السقم ولكن احكم امرهن فان رأيت عيبا فعجل النكير على الصغير والكبير منهم بان تعاتب منهن البريئة فيعظم الذنب ويهون العيب وبالجملة لا ينبغي المبالغة في الفحص والتفتيش اذ لا ينفك ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم واما مقتضى الغيرة على الاولاد ان يراقبهم من اول امرهم فاستعمل في حضانة كل مولود له وارضاعه امراة صالحة تاكل الحلال اذ الصبي الذي تكون اعضائه من اللبن الحاصل من غذاء حرام يميل طبعه الى الخبائث لان طينته انعجنت من الخبث واذا بدء فيه مخائل التميز فينبغي ان يؤدب باداب الاخيار ولما كان اول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه بان يؤمر بان لا ياخذ الا بيمينه ويقول بسم الله عند اكله ويأكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام ولا الى من ياكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويقبح عنده كثرة الاكل بان يذم كثير الاكل ويشبه بالبهايم ويمدح الصبي الذي يقنع بالقليل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة باي طعام اتفق ثم يؤدب في امر اللباس حتى لا يخرج فيه عن زي الابرار واهل الورع فيحبب اليه ثياب القطن والبيض دون الابريسم والملون ويقرر عنده بان ذلك شان النساء والمخنثين والرجال يستنكفون منه ويحفظ من الصبيان الذين تعودوا التنعم والترفه والزينة ثم يؤدب في الاخلاق والافعال ويبالغ في ذلك لان الصبي اذا اهمل في اول نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق والافعال فيكون كذابا حسودا لجوجا عنودا سارقا خائنا ذا ضحك وفضول وربما صار مخنثا مائلا الى الفسوق والفجور فينبغي ان يحفظ من القرناء السوء وهو الاصل في تاديبه ويسلم الى معلم دين صالح يعلمه القرآن واحاديث الاخبار وحكايات الابرار لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ عن الاشعار التي منها

في ترتيب الاولاد بمقتضى الغيرة بحسب كمالهم وعليهم دبرا واعمالهم

ذكر الفسوق واهله اذ ذلك يغرس في قلبه بذر الفساد وينبغي ان يعود الصبر والسكوت اذا ضربه المعلم حتى لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد وينكر له ان ذلك داب الرجال والشجعان وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن بعد الفراغ من المكتب باللعب المباح الجميل حتى يستريح من تعب الادب ولا يموت قلبه ولا ينقص ذكاه ويعلم محاسن الاخلاق والافعال ويجتنب عن خبائث الصفات ورذائل الاعمال فيخوف من الحسد والعداوة والجبن والبخل والكبر والعجب ويحذر من السرقة واكل الحرام والكذب والغيبة والخيانة والفحش واللعن والسب ولغو الكلام وغير ذلك ويرغب الى الصبر والشكر والتوكل والرضا والشجاعة والسخا والصدق والنصيحة وغير ذلك من محاسن الاخلاق وفضائلها ويمدح عنده الاخيار ويذم الاشرار حتى يصير الخير عنده محبوبا ويصير الشر عنده مبغوضا واذا بلغ سن التميز يؤمر بالطهارة والصلوة وبالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويعلم اصول العقائد وكل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ومهما ظهر منه خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم اليه ويجازى لاجله بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس وان ظهر منه فعل قبيح مرة واحدة ينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا الى مثله فينبغي ان يعاتب عليه سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع على فعلك هذا احد فتفتضح عند الناس ولا يكثر العتاب عليه حتى يسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبته في الكلام والحركات معه وينبغي للام ان تخوفه بالاب وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود الوقار والطمانينة في المشي وساير الحركات والافعال وعدم كشف اطرافه والتواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف معه في الكلام ويعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب وبعيد ويعود النظر اليهم بعين التعظيم والجلالة وترك اللعب بين ايديهم ويمنع من الفخر على اقرانه بشيء مما يملكه نفسه او والده ويخوف من اخذ شيء من الصبيان او الرجال ويذكر له ان الرفعة في العطاء والاخذ لوم وخسة ومهانة وذلة فانه داب الكلب اذ هو يتبصبص في انتظار لقمة ويقبح عنده حب الذهب والفضة ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب اذ

في بقية آداب الصبي والصبية على ما مقتضية الغيرة والحمية

انه جبهما اكثر من افة السموم وقد هلك لاجله كل من هلك في العالم ويعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتمطط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه لانه دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس والحركة والسكون ويمنع من النوم في النهار ومن التنعم في المفرش والملبس والمطعم بل يعود الخشونة فيها حتى يتصلب اعضائه ولا يستخف بدنه ويذكر له انها خلقت لدفع الضرر والالم لا لاجل اللذة وان الاطعمة ادوية يتقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها ولا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وقرار وان الاخرة هي دار القرار ومحل الراحة واللذات والكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة وينبغي ان يمنع من كثرة الكلام ومن الكذب واليمين ولو كان صدقا ومن اللهو واللعب والسخرية وكثرة المزاح ومن ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر سنا منه وان يقوم لمن هو اكبر منه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه فاذا تأدب الصبي بهذه الاداب في صغره صارت له بعد بلوغه ملكات راسخة فيكون خيرا صالحا وان نشأ على خلاف ذلك حتى الف اللعب والفحش والوقاحة والحرص وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر بلغ وهو خبيث النفس كثيف الجوهر وكان وبالا لوالديه وصدر منه ما يوجب الفضيحة والعار فيجب على كل والد ان لا يتسامح في تأديب ولده في حالة الصبى لانه امانة الله عنده وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة عن كل نقش وصورة قابل للخير والشر وابواه يميلان به الى احدهما فان عود الخير نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم ومؤدب وان عود الشر واهمل شقي وهلك وكان الوزر في رقبة ابيه او من كان قيما ووليا له ثم الصبية تؤدب بمثل ما مر الا فيما تفاوت به الصبي والصبية فلتستعمل ما يليق بها ويجب السعي في جعلها ملازمة للبيت والحجاب والوقار والعفة والحياء وسائر الخصال التي ينبغي ان تتصف بها النساء ثم ينبغي ان يتفرس من حال الصبي انه مستعد لاي علم وصناعة فيجعل مشغولا باكتسابه ويمنع من اكتساب غيره لئلا يضيع عمره ولا يترتب عليه فائدة اذ كل احد ليس مستعدا لكل صناعة والا لاشتغل الجميع باشرف الصناعات واختلاف الناس وتفاوتهم في هذا الاستعداد لتوقف قوام النوع وانتظام العالم عليه واما الغيرة على المال فلا تظن انها ليست بممدوحة شرعا لسرعة فناء المال وعدم اعتناء الاخيار اذ كل انسان ما دام في دار الدنيا محتاج اليه وتحصيل الاخرة ايضا يتوقف عليه اذ كسب العلم والعمل موقوف على

الخامس من انواع الرذائل المتعلقة بالقوة الغضبیة

بقاء البدن وهو موقوف علی بدل ما یتحلل عنه من الاغذیة والاقوات فلا بد لکل عاقل ان یعتنی
بالمال ویجتهد فی حفظه وضبطه بعد تحصیله من المداخل الطیبة والمکاسب المحمودة ومقتضی السعی
فی حفظه المعبّر عنه بالغیرة علیه ان لا یصرفه فی مصرف لا یترتب علیه فائدة لاخرته او دنیاه کانفاقه
للریاء والمفاخرة والتضییف وبذله علی غیر المستحقین بلا داع دینی او دنیوی او عادی او یمکّنه
الظلمة والسارقین واهل الخیانة من اخذه علانیة او سرا او عدم مبالاته بتضییعه من غیر ان
یصل نفعه الی احد واسرافه فی بذله او غیر ذلک من المصارف التی لیست راجحة بحسب العقل و
الشرع ولا یرجی الیه عوض فی الاخرة والدنیا بل مقتضی الغیرة علیه ان یصرف جمیع امواله فی حیوته فی
المصارف التی یعود فائدتها الی نفسه ولا یترک شیئا منها لورثته الا للاخیار من اولاده اذ
بقائهم بمنزلة بقائه ویترتب علی وجودهم مع حسن حالهم وعیشهم جمیل الذکر وجزیل الثواب له
بعد موته وکیف یرضی صاحب الغیرة ان یترک ماله الذی تعب نفسه فی اکتسابه وفنی عمره فی
تحصیله ویحاسب علیه فی عرصات القیمة لزوج امرأته فیاکله ویجامعها وغایة رضی هذه المرأة
الخبیثة التی لیست لها حمیة ووفاء ولا لها مطلوب اهم من مقاربة الرجال ان یاکل هذا الرجل صفو
ماله لیتقوی به علی مجامعتها وهذه المحنة لا یتحمل مثلها اهل الدیاثة والقیادة فضلا عن صاحب
الغیرة والحمیة وقس علی ذلک تخلیف الاموال لسایر الوراث الذین لا یعرفون الحقوق ولیسوا
من اهل الخیر والصلاح والوفاء من اولاد السوء وازواج البنات وسایر العقارب من الاقارب
من الاخوان والاخوات والاعمام والعمات والاخوال والخالات وهؤلاء وان لم یکونوا
بمثابة زوج امرأته الا ان ترک الاموال لهم اذا لم یکونوا من اهل الخیر والصلاح لا یثمر له فائدة
سوی الوزر والوبال وذکره بالسوء والشتم والفحش کما هو المشاهد فی زماننا هذا ومنها
العجلة وهی المعنی الراتب فی القلب الباعث علی الاقدام علی الامور باول الخاطر من دون توقف
واستبطاء فی اتباعها والعمل بها وقد عرفت انه من لوازم ضعف النفس وصغرها وهو من
الابواب العظیمة للشیطان فقد اهلک به کثیرا من الناس قال رسول الله صلعم العجلة من الشیطان و
التأنی من الله وقد خاطب الله نبیه ص بقوله وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضَی إِلَیْکَ وَحْیُهُ
وقد روی انه لما ولد عیسی ع اتت الشیاطین ابلیس فقالت اصبحت الاصنام قد نکست رؤسها
فقال هذا حادث قد حدث مکانکم فطار حتی جاء خافقی الارض فلم یجد شیئا ثم وجد عیسی ع قد ولد
واذا الملائکة قد حفت حوله فرجع الیهم فقال ان نبیا قد ولد البارحة ما حملت انثی قط ولا

في مذمة العجلة وبيان نكتة وسرّ لطيفة دقيقة في استعجال بني آدم بما في جبلتهم ودعة

وضعت الاوثان بحضرتها الا هذا فايئسوا ان يعبدوا الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ابتلوا بني ادم من قبل العجلة والخفّة والظواهر في ذمّ العجلة اكثر من ان تحصى ولذلك افتى بعض علماء العامة بالمنع من التعجيل لمن خاف فوت صلوة الجمعة والسرّ في شدّة ذمّها انّ الاعمال ينبغي ان يكون بعد المعرفة والبصيرة وهما موقوفان على التامّل والمهلة والعجلة تمنع من ذلك فمن يستعجل في امر يلقي الشيطان شرّه عليه من حيث لا يدري والتجربة شاهدة بان كلّ امر يصدر على العجلة يوجب الندامة والخسران وكلّ ما يصدر على التاني والتثبّت لا يعرض بعده ندامة بل يكون مرضيا وفي ان كلّ خفيف عجول ساقط عن العيون ولا وقع له عند القلوب والمتامّل في الامور يعلم ان العجلة هو السبب الاعظم لتبديل نعيم الاخرة وملك الابد بخسائس الدنيا وزخارفها وبيان ذلك انه لا ريب في انّ احبّ اللذات والذّها للنفس هو الغلبة والاستيلاء لانهما من صفات الربوبيّة التي هي مطلوبة بالطبع للنفوس المجرّدة والسرّ فيه ان كل معلول من سنخ علته ويناسبها في صفاتها واثارها وغاية ابتهاجه بان يتصف بمثل كمالاتها ولذا قيل كلما يصدر عن شيء لا يمكن ان يكون من جميع الجهات هو هو ولا ان يكون من جميع الجهات ليس هو بل من جهة هو هو ومن جهة ليس هو وهذا معنى كلام قدماء الحكمة الممكن زوج تركيبي ولا ريب في انّ جميع الموجودات معلولة للواجب سبحانه صادرة عن محض جوده ومترشحة عن فيضه وجوده فهو غاية الكل والكلّ طالبة بنحو كمالاته الا انّ ما هو في سلسلة الصدور اليه اقرب والواسطة بينهما اقلّ يكون مناسبته له اتمّ وشوقه الى الاتصاف بكماله اشد ولا ريب في ان الذوات المجرّدة النوريّة التي هي من عالم الامر مقتبسة من مشكوة نوره فلها غاية القرب اليه في سلسلة الصدور فيكون شدّة الشوق الى الاتصاف بنحو كماله والنفس الانسانية لكونها منها ومن عالم الامر كما قال الله تعالى قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي يكون مثلها في القرب اليه تعالى وفي المناسبة له فلها غاية الشوق في الاتصاف بصفاته وكمالاته التي من جملتها الغلبة والاستعلاء وليس ذلك مذموما اذ ينبغي لكلّ عبد ان يطلب ملكا عظيما لا اخر له وسعادة دائمة لا انفاد لها وبقاء لا فناء فيه وعزّا لا ذلّ معه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر معه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلّها من اوصاف الربوبية وطالبها طالب للعلو والعزّ والكمال لا محالة فالمذموم من الرياسة والاستيلاء انّما هو الغلط الذي وقع للنفس بسبب تغرير اللعين المبعد عن عالم الامر فاضلّها واغواها من طريق العجلة فزيّن في نظره الملك الفاني المشوب بانواع الالام لكونه عاجلا وصدّه عن الملك المخلّد الدائم

اذ نفسها على كونها من عالم الامر ١٢

في بيان ان الرياسة لا يطلب فيها تمامية من قبل اصابة كامن في الرنو والشيطان بالغاء مصدقة عن

الذى لا يشوبه كدر ولا يقطعه قاطع لكونه اجلا والمسكين المخذول ابن ادم لما خلق عجولا راغبا
في العاجلة لما جاء المطرود من عالم الامر وتوسل اليه بواسطة العجلة التى في طبعه واستغواه
بالعاجلة وامال قلبه الى عدم الاعتناء بالاجلة وزين له الحاضرة ووعده بالغرور وتمنيه
على الله في باب الاخرة فانخدع بغروره واشتغل بطلب ملك الدنيا وزخرفها مع فنائها
وترك سلطنة الاخرة مع بقائها ولم يتأمل المسكين في ان ملك الدنيا ورياستها ليس كمالا ولا
علوا واستيلاء في الحقيقة بل هو صفة نقص بصده عن الكمال الحقيقي والرياسة المعنوية
مثال ذلك انه لا ريب في ان الحب والعشق صفة الكمال ولكن اذا وقع في موقعه وذلك اذا
كان المحبوب شريفا كاملا في ذاته وصفاته فحب الله سبحانه اشرف الصفات الكمالية وحب
الجمادات وخسائس الحيوانات اخس الرذائل النفسية فكل من كان جاهلا بحقائق الامور
ينخدع بغروره ويختار الملك العاجل الفانى على السلطنة الاجلة الباقية واما العالم الموفق
فلا ينخدع بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة واختار الاجلة ولما استطار
مكر اللعين في كافة الخلق ارسل الله اليهم الانبياء واشتغلوا بدعوتهم من الملك المجاز
الذى لا اصل له ولا دوام ان يسلم ذلك الى الملك الحقيقى الذى لا زوال له اصلا فنادوا فيهم يا
ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم
بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وذموا من اختار
العاجلة الفانية على الاخرة الباقية كما قال سبحانه ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة فالغرض من
بعثة الرسل ليس الا دعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد ليكونوا ملوكا في الاخرة بسبب القرب
من الله تعالى ودرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل معه وقرة عين اخفيت لا يعلمها الا احد و
الشيطان يدعوهم الى العجلة الى ملك الدنيا الفانى لعلمه بان ما سمى لهم ملك الدنيا مع انه لا
يسلم ولا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات يفوت به ملك الاخرة اذ
الدنيا والاخرة ضرتان بل يفوت به الملك الحاضر الذى هو الزهد في الدنيا اذ معناه ان يملك
العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ
به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة يصير عبدا لبطنه وفرجه وساير اعضائه فيكون مسخرا
مثل البهيمة مملوكا يسخره زمام الشهوة اخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار

الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة فقد ظهر ان منشأ الخسران في الدنيا والآخرة هو العجلة والطريق في علاجها ان يتذكر فسادها وسوء عاقبتها وايجابها للخفة والمهانة عند الناس وتاديتها الى الندامة والخسران ثم يتذكر شرافة الوقار الذي هو ضدها وكونه صفة الانبياء والاخيار فيوطن نفسه على ان لا يرتكب فعلا الا بعد التامل والمهلة ولا يترك الطمأنينة والسكون باطنا وظاهرا في جميع افعاله وسكناته فاذا فعل ذلك مدة ولو بالتكلف والتحمل يصير ذلك عادة له فيزول عنه هذه الصفة ويحدث صفة الوقار والسكينة

وصل

ضد العجلة الاناة وهو المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في الامور والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها ثم التوقف قريب من التأني والاناة والفرق بينهما ان التوقف هو السكون قبل الدخول في الامور حتى يستبين له رشدها والتأني سكون وطمأنينة بعد الدخول فيها حتى يؤدي لكل جزء منها حقه وضد التوقف التعسف والوقار يتناول الاناة والتوقف كليهما فهو طمأنينة النفس وسكونها في الاقوال والافعال والحركات قبل الدخول فيها وبعده وهو من نتائج قوة النفس وكبرها وما قل من الفضائل النفسانية ان يبلغ في الشرافة مرتبته ولذا يمدح به الانبياء والاصفياء وورد في الاخبار ان المؤمن متصف به والبتة فينبغي لكل مؤمن ان يتكلف آثاره في الحركات والافعال حتى يصير بالتدريج ملكة وتكلف الطمأنينة في الافعال والحركات قبل ان يصير ملكة يختص باسم الوقار واذا صارت ملكة سمي سكينة اذ هي طمأنينة الباطن والوقار اطمينان الظاهر ومنها سوء الظن بالخالق والمخلوق وهو من نتائج الجبن وضعف النفس اذ كل جبان ضعيف النفس يذعن نفسه لكل فكر فاسد يدخل في وهمه ويتبعه ولذا يترتب عليه الخوف والغم وهو من المهلكات العظيمة وقد قال الله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وقال تعالى ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقال وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال امير المؤمنين عليه السلام ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا ولا ريب في ان من حكم بظنه على غيره بالشر بعثه الشيطان على ان يغتابه او يتوانى في تعظيمه واكرامه او يقصر في ما يلزمه من القيام بحقوقه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات على ان

وصيّة مهمّة في سرّ سوء الظنّ وبيان ما ينبغي في تحقيق حقيقته والامانة

سوء الظنّ بالناس من لوازم خبث الباطن وقذارته كما ان حسن الظنّ من علائم سلامة القلب وطهارته فكلّ من يسيئ الظنّ بالناس ويطلب عيوبهم وعثراتهم فهو خبيث النفس سقيم الفؤاد وكلّ من يحسن الظنّ بهم ويستر عيوبهم فهو سليم الصدر طيب الباطن فالمؤمن يظهر محاسن اخيه والمنافق يطلب مساويه وكلّ اناء يترشح بما فيه والسرّ في خباثة سوء الظنّ وتحريمه وصدوره عن خبث الضمير واغواء الشيطان انّ اسرار القلوب لا يعلمها الّا علّام الغيوب فليس لاحد ان يعتقد في حقّ غيره سوءا الّا اذا انكشف له بعيان لا يقبل التأويل اذ ح لا يمكنه ان لا يعتقد ما شاهده وعلمه وامّا ما لم يشاهده ولم يعلمه ولم يسمعه وانّما وقع في قلبه فالشيطان القاه اليه فينبغي ان يكذبه لانّه افسق الفسقة وقد قال الله اِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاءٍ فَتَبَيَّنُوا اَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فلا يجوز تصديق اللعين في نبائه وان حفّ بقرائن الفساد ما احتمل التأويل والخلاف فلو رايت عالما في بيت امير ظالم لا تظنّنّ انّ الباعث طلب الحطام المحرّمة لاحتمال كون الباعث اغاثة مظلوم ولو وجدت رائحة الخمر في فم مسلم فلا تجزم بشرب الخمر ووجوب الحدّ اذ يمكن انّه تمضمض بالخمر ومجّه وما شربه او شربه اكراها وقهرا فلا يستباح سوء الظنّ الّا بما يستباح به المال وهو صريح المشاهدة او قيام بيّنة فاضلة ولو اخبرك عدل واحد بسوء من مسلم وجب عليك ان تتوقّف في اخباره من غير تصديق ولا تكذيب اذ لو كذّبته لكنت خائنا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وفي ذلك ايضا من سوء الظنّ وكذا ان ظننت بالعداوة والحسد والمقت ليتطرق لاجله التهمة فتردّ شهادته ولو صدقته لكنت خائنا على المسلم المخبر عنه اذ ظننت به السوء مع احتمال كون العدل المخبر ساهيا او التبس الامر عليه بحيث لا يكون في اخباره بخلاف الواقع اثما وفاسقا وبالجملة لا ينبغي ان تحسن الظنّ بالواحد وتسيئ بالآخر فتذر المذكور حاله على ما كان في الستر والحجاب ثمّ ينكشف لك حاله باحد القواطع ولا بحجّة شرعيّة يجب قبولها وتحمل خبر العدل على امكان تطرق شبهة مجوّزة للاخبار وان لم يكن مطابقا للواقع ثمّ المراد بسوء الظنّ هو عقد القلب وميل النفس دون مجرّد الخواطر وحديث النفس بل الشكّ ايضا اذ المنهيّ عنه في الآيات والاخبار انّما هو ان يظنّ والظنّ هو الطرف الراجح الموجب لميل النفس اليه والامارات التي يتميّز بها العقد عن مجرّد الخواطر وحديث النفس هو ان يتغيّر القلب منه عمّا كان من الالف والمحبّة الى الكراهة

والنفرة والجوارح عما كانت عليه من الافعال اللازمة في المعاشرات الى خلافها والدليل على ان المراد ما ذكرهو قوله صلی الله عليه وآله ثلث في المؤمن لا يستحسن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح ثم لكون سوء الظن من المهلكات منع الشرع من التعرض للتهمة صيانة لنفوس الناس عنه فقال صلی الله عليه وآله اتقوا مواقع التهم وقال امير المؤمنين عليه السلام من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن وروي انه صلی الله عليه وآله يكلم زوجته صفية بنت حيي بن اخطب فمر به رجل من الانصار فدعاه رسول الله صلی الله عليه وآله وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله افنظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فخشيت ان يدخل عليك فانظر كيف اشفق رسول الله صلی الله عليه وآله على دينه فحرسه وكيف علم الامة طريق الاحتراز عن التهمة حتى لا يظن العالم الورع المعروف بالتقوى والدين ان الناس لا يظنون به الا خيرا اعجابا منه بنفسه فان ما لا يجزم بتحققه في حق سيد الرسل واشرفهم كيف يجزم بتحققه في حق غيره وان بلغ من العلم والورع ما بلغ والسر في ذلك ان اورع الناس وافضلهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل ان نظر اليه بعضهم بعين الرضا ينظر اليه بعض اخر بعين السخط

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فكل عدو وحاسد لا ينظر الا بعين السخط فيكتم المحاسن ويتطلب المساوي وكل شرير لا يظن بالناس كلهم الا الشر وكل معيوب مفتضح عند الناس يحب ان يفتضح غيره ويظهر عيوبه عندهم لان البلية اذا عمت طابت ولا يشتغل الناس به فلا يطول السنتهم فيه فاللازم لكل مؤمن ان لا يتعرض لمواضع التهمة حتى يوقع الناس في المعصية بسوء الظن فيكون شريكا في معصيتهم اذ كل من كان سببا لمعصية غيره يكون شريكا له في هذه المعصية ولذا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال رسول الله صلی الله عليه وآله كيف ترون من يسب ابويه فقالوا هل من احد يسب ابويه فقال نعم يسب ابوي غيره فيسبون ابويه ثم طريق المعالجة في ازالته بعد تذكر ما تقدم من فساده وما تاتي من فضيلة ضده انه اذا خطر لك خاطر سوء على مسلم لا تتبعه ولا تحققه ولا تغير قلبك عما كان عليه بالنسبة اليه من المراعات والتفقد والاكرام والاعتماد بسببه بل ينبغي ان تزيد في مراعاته واعظامه وتدعو له بالخير فان ذلك يقنط الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خوفا من اشتغالك بالدعاء وزيادة الاكرام ومهما عرفت عثرة من مسلم فانصحه في السر ولا تبادر الى اغتيابه واذا

في مدح الظنّ بالخالق والمخلوق وفي حقيقة الغضب من الكيفيات النفسانية

من الباب الثالث

بيان ان حسن الظنّ من نتايج قوة النفس وذكر ما يليق به

وعظمه فلا تغظه وانت مسرور باطلاعك على عيبه لتنظر اليه بعين الحقارة مع انه ينظر اليك بعين التعظيم بل ينبغي ان يكون قصدك استخلاصه من الاثم وتكون محزونا كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون ترك ذلك العيب من غير نصيحتك احبّ اليك من تركه بنصيحتك واذا فعلت ذلك جمعت بين اجر نصيحته واجر الحزن بمصيبته واجر الاعانة على آخرته **وصل** قد عرفت ان ضدّ سوء الظنّ بالخالق والمخلوق هو حسن الظنّ بهما ولمّا كان الاوّل من لوازم ضعف النفس وصغرها فالثّاني من نتايج قوتها وثباتها وفوائده اكثر من ان تحصى وقد تقدّمت الظواهر الواردة في مدحه فينبغي لكلّ مؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا يظنّ انّه لا يرحمه ويعذّبه البتّة ولا يخلّصه من العقاب وانّ ما يرد عليه في الدّنيا من البلايا والمصائب هو شرّ له وعقوبة بل ينبغي ان يعلم انّه ارحم وارأف به من والديه وانّما خلقه لاجل الفيض والجود فلا بدّ ان يرحمه في دار الآخرة ويخلّصه من عذاب الابد ويوصله الى نعيم السرمد وما يرد عليه من المصائب والبلايا في دار الدّنيا خير له وصلاح وذخيرة له في يوم المعاد وكذا لا يظنّ السّوء والشرّ بالمسلمين ولا يحمل ما له وجه صحيح من اعمالهم واقوالهم على وجه فاسد بل يجب ان يحمل كلّ ما يشاهده من افعالهم وحركاتهم على احسن الوجوه واصحّها ما لم يجزم فساده ويكذّب وهمه وسائر حواسّه فيما يذهب اليه من المحامل الفاسدة والاحتمالات القبيحة المحرّمة ويكلّف نفسه على ذلك حتى يصير ذلك ملكة له فيرتفع عنه ملكة سوء الظنّ بالكلية نعم الحمل على الوجه الصّحيح على تقدير عدم مطابقته للواقع لو كان باعثا لضرر مالي او فساد ديني او عرضي لزم فيه الحزم والاحتياط وعدم تعليق امور الدينيّة والدّنيويّة عليه لئلا يترتّب عليه الخسران والاضرار ويلزمه الفضيحة والعار ومنها الغضب وهو كيفية نفسانية موجبة لحركة الرّوح من الداخل الى الخارج للغلبة ومبدؤه شهوة الانتقام وهو من جانب الافراط واذا اشتدّ يوجب حركة عنيفة يمتلي لاجلها الدّماغ والاعصاب من الدّخان المظلم فيستر نور العقل ويضعف فعله ولذا لا يؤثّر في صاحبه الوعظ والنّصيحة بل يزيده الموعظة غلظة وشدّة قال بعض علماء الاخلاق الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الّا انّها لا تطلع الّا على الافئدة وانّها المستكنّة في طيّ الفؤاد استكنان الجمر تحت الرّماد ويستخرجها حميّة الدّين من قلوب المؤمنين او حميّة الجاهليّة والكبر الدّفين من قلوب الجبّارين التي لها عرق الى الشيطان اللعين حيث قال خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ فمن شأن الطين السكون والوقار

السابع من انواع الرذايل المتعلقة بالقوة الغضبية في جانب الافراط

في اختلاف الغضب وآثاره باعتبار مراتبه من الافراط والتفريط والتوسط

من شأن النار التلظي والاستعار ثم قوة الغضب يتوجه عند ثورانها اما الى دفع المؤذيات ان كان قبل وقوعها او الى التشفي والانتقام ان كان بعد وقوعها فشهوتها الى احد هذين الامرين ولذتها فيه ولا تسكن الا به فان صدمه الغضب على من يقدر ان ينتقم منه واستشعر باقتداره على الانتقام انبسط الدم من الباطن الى الظاهر وصار حزنا وان صدمه على من يشك في الانتقام عند انبسط الدم تارة وانقبض اخرى فيحمر ويصفر ويضطرب

فصل الناس في هذه القوة على افراط وتفريط واعتدال فالافراط ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن طاعة العقل والشرع وسياستهما ولا يبقى له فكرة وبصيرة والتفريط ان تفقد هذه القوة او تضعف بحيث لا يغضب عما ينبغي الغضب عليه شرعا وعقلا والاعتدال ان يصدر غضبه فيما ينبغي ولا يصدر في ما لا ينبغي بحيث لا يخرج عن سياسة الشرع والعقل بل يكون تابعا لهما في الغضب وعدمه فيكون غضبه وانتقامه بامرهما ولا ريب في ان الاعتدال ليس مذموما ولا معدودا من الغضب بل هو من الشجاعة والتفريط مذموم معدود من الجبن والمهانة وربما كان اخبث من الغضب اذ الفاقد لهذه القوة لا حمية له وهو ناقص جدا ومن اثاره عدم الغيرة على الحرم وصغر النفس والجور وتحمل الذل من الاخسا والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والفحشاء ولذا قيل من استغضب فلم يغضب فهو حمار وقد وصف الله خيار الصحابة بالحمية والشدة فقال ﴿اشداء على الكفار﴾ وخاطب نبيه بقوله ﴿واغلظ عليهم﴾ والشدة والغلظة من اثار قوة الغضب ففقد هذه القوة بالكلية او ضعفها مذموم وقد ظهر ان الغضب المعدود من الرذائل هو حد الافراط الذي يخرجه عن مقتضى العقل والدين وحد التفريط وان كان رذيلة الا انه ليس غضبا بل هو ضد له معدود من الجبن وحد الاعتدال فضيلة وضد له ومعدود من الشجاعة فانحصر الغضب بالاول ثم الناس كما هم يختلفون في اصل قوة الغضب فكذلك مختلفون في حدوثه وزواله سرعة وبطوءا فيكونان في بعضهم سريعين وفي بعضهم بطيئين وفي بعضهم يكون احدهما سريعا والاخر بطيئا وفي بعضهم يكون كلاهما او احدهما متوسطا بين السرعة والبطوء وما كان من ذلك باشارة العقل فهو ممدوح معدود من اوصاف الشجاعة وغيره مذموم محسوب من اثار الغضب والجبن

فصل الغضب من المهلكات العظيمة وربما ادى الى الشقاوة الابدية من القتل

في ذكر بعض الاخبار الواردة في ذمه المفرط وذكر جملة من المفاسد المترتبة عليه

والقطع ولذا قيل انه جنون دفعي قال امير المؤمنين ع الحدة نوع من الجنون لان صاحبه يندم
فان لم يندم فجنونه مستحكم وربما ادى الى اختناق الحرارة ويورث الموت فجأة وقال بعض
الحكماء السفينة التي وقعت في اللجج الغامرة واضطربت بالرياح العاصفة وغشيتها الامواج
الهائلة ارجى الى الخلاص من الغضبان الملتهب وقد ورد به الذم الشديد في الاخبار قال رسول
الله صلعم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وقال الباقر ع ان هذا الغضب جمرة من
الشيطان توقد في قلب ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان
فيه وقال ع وكان ابي ع يقول واي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم
الله ويقذف المحصنة وقال ع ان الرجل ليغضب فما يرضى ابدا حتى يدخل النار وقال الصادق ع الغضب
مفتاح كل شر وقال الغضب ممحقة لقلب الحكيم وقال ع من لم يملك غضبه لم يملك عقله ثم مما يلزم الغضب
من الاثار المهلكة الذميمة والاعراض المضرة القبيحة انطلاق اللسان بالشتم والسب و
اظهار السوء والشماتة بالمساءة وافشاء الاسرار وهتك الاستار والسخرية والاستهزاء و
غير ذلك من قبيح الكلام الذي يستحيي منه العقلاء وتوثب الاعضاء بالضرب والجرح والتمزيق
والقتل وتألم القلب بالحقد والحسد والعداوة والبغض ومما يلزمه الندامة بعد زواله
وعداوة الاصدقاء واستهزاء الاراذل وشماتة الاعداء وتغير المزاج وتألم الروح وسقم
البدن ومكافاة العاجل وعقوبة الاجل والعجب ممن يتوهم ان شدة الغضب من فرط
الرجولية مع ان ما يصدر عن الغضبان من الحركات القبيحة انما هو افعال الصبيان والمجانين
دون الرجال والعاقلين كيف وقد يصدر عنه الحركات الغير المنتظمة من الشتم والسب
بالنسبة الى الشمس والقمر والسحاب والمطر والريح والشجر والحيوانات والجمادات وربما
يضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة ويخاطب البهيمة والجماد كما يخاطب العقلاء واذا عجز عن التشفي
ربما مزق ثوبه ولطم وجهه وقد يعدو عدو المدهوش المتحير وربما اعتراه مثل الغشية او
سقط على الارض لا يطيق النهوض والعدو وكيف يكون مثل هذه الافعال القبيحة من
فرط الرجولية وقد قال رسول الله الشجاع من يملك نفسه عند الغضب **فصل** قد
اختلف علماء الاخلاق في امكان ازالة الغضب بالكلية وعدمه فقيل استيصال الغضب من
القلب غير ممكن لانه مقتضى الطبع انما الممكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه و
انت خبير بان الغضب الذي يلزم ازالته هو الغضب المذموم واذ غيره مما يكون باشارة

في امكان علاج الغضب المذموم وبيان علاجه

في بيان طرق المعالجة لزوال الغضب وذكر الأخبار المتعلقة بالمقام

المقام الثاني

العقل والشرع ليس غضبا فيه كلاماً بل هو من آثار الشجاعة والانصاف به من اللوازم وان اطلق
عليه اسم الغضب احياناً حقيقة او مجازاً كما روي عن امير المؤمنين ع انه قال كان النبي ص لا
يغضب للدنيا واذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا ريب ان الذي يعتريه
يحصل لرسول الله لم يكن غضباً مذموماً بل كان غضباً محموداً يقتضيه منصب النبوة ويوجبه
عز النبوة ثم الغضب المذموم ممكن الزوال ولولا امكانه لزم وجوده للانبياء والاوصياء
ولا ريب في بطلانه ثم علاجه يتوقف على امور وربما حصل ببعضها الاول ازالة اسبابه
المهيجة له اذ علاج كل علة بحسم مادتها وهي العجب والفخر والكبر والغدر واللجاج والمراء
والمزاح والاستهزاء والتعيير والمخاصمة وشدة الحرص على فضول الجاه والاموال الفانية و
هي باجمعها اخلاق ردية مهلكة ولا خلاص من الغضب مع بقائها فلا بد من ازالتها حتى تسهل
ازالته الثاني ان يتذكر قبح الغضب وسوء عاقبته وما ورد في الشريعة من الذم عليه كما تقدم
الثالث ان يتذكر ما ورد من المدح والثواب على دفع الغضب في موارده ويتأمل في ما
ورد من فوائد عدم الغضب كقول النبي ص من كف غضبه عن الناس كف الله تع عنه عذاب
يوم القيمة وقول الباقر ع مكتوب في التورية فيما ناجى الله تع به موسى ع امسك غضبك عمن
ملكتك عليه اكف عنك غضبي وقول الص ع اوحى الله تع الى بعض انبيائه يا ابن آدم اذكرني في
غضبك اذكرك في غضبي لا امحقك فيمن امحق واذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فان انتصاري
لك خير من انتصارك لنفسك وقوله ع سمعت ابي يقول اتى رسول الله رجل بدوي فقال
اني اسكن البادية فعلمني جوامع الكلم فقال آمرك ان لا تغضب فاعاد الاعرابي عليه المسئلة ثلث
مرات حتى رجع الرجل الى نفسه فقال لا اسئل عن شيء بعد هذا ما امرني رسول الله الا
بالخير وقوله ع ان رسول الله ص اتاه رجل فقال يا رسول الله علمني عظة انتعظ بها فقال له
انطلق فلا تغضب ثم عاد عليه فقال له انطلق فلا تغضب ثلث مرات وقوله ع من كف غضبه
ستر الله عورته الى غير ذلك من الاخبار الرابع ان يتذكر فوائد ضد الغضب اعني الحلم و
كظم الغيظ وما ورد من المدح عليهما في الاخبار كما يأتي ويواظب على مباشرته ولو بالتكلف
فيتحلم وان كان في الباطن غضباناً واذا فعل ذلك مدة صار عادة مألوفة هينئة على
النفس فينقطع عنها اصول الغضب الخامس ان يقدم الفكر والروية على كل فعل وقول يصدر عنه
ويحافظ نفسه من صدور غضب عنه السادس ان يحترز عن مصاحبة ارباب الغضب والذين

وجوه ح في الغضب وانّ دفعه بحج
في بقية الاستعمال التسكين والتنبيه بانّ الاكابر في قوة دفعه

بتهييجن بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقولون نحن لا نصبر
على كذا وكذا ولا نحتمل من احد امرا ويختار مجالسة اهل الحلم والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
السابع ان يعلم ان ما يقع انما هو بقضاء الله وقدره وان الاشياء كلها مسخرة في قبضة قدرته
وان كل ما في الوجود من الله وانّ الامر كله لله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما كان
صلاحه في جوعه او مرضه او فقره او جرحه او قتله او غير ذلك فاذا علم بذلك غلب عليه التوحيد
ولا يغضب على احد ولا يغتاظ عما يرد عليه اذ يرى ان كل شيء في قبضة قدرته اسير كالقلم في يد الكاتب
فكما ان من وقع عليه ضرب ملك بضرب عنقه لا يغضب على القلم فكذلك من عرف الله وعلم ان هذا النظام الجملي صادر
منه على نحو الحكمة والمصلحة ولو تغيّر ذرّة منه عما هو عليه خرج عن الاصلحية لا يغضب على احد الا ان
غلبة التوحيد على هذا الوجه كالكبريت الاحمر وهو فوق الوصول اليه من الله الاكبر ولو حصل
لبعض المتجردين عن جلباب البدن يكون كالبرق الخاطف ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط
رجوعا طبيعيا ولو تصور دوام ذلك لاحد لتصور لفرق الانبياء مع ان التفاتهم في الجملة الى الوسائط
مما لا يمكن انكاره الثامن ان يتذكر انّ الغضب مرض قلب ونقصان عقل صادر عن ضعف النفس و
نقصانها لا عن شجاعتها وقوتها ولذا يكون المجنون اسرع غضبا من العاقل والمريض اسرع غضبا
من الصحيح والشيخ الهرم اكثر غضبا من الشاب والمرأة اسرع غضبا من الرجل وصاحب الاخلاق
السيئة والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته
اللقمة والبخيل يغتاظ لبخله اذا فقدته الحبة حتى يغضب لفقدان شيء على اعزّة اهله وولده
والنفس القوية المتصفة بالفضيلة اجل شانا من ان يتغير ويضطرب لمثل هذه الامور بل هي كالطود الشامخ
لا يحركه العواصف ولذا قال سيد الرسل صلى الله عليه وآله ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند
الغضب وان شككت في ذلك فافتح عينيك وانظر الى طبقات الناس الموجودين ثم ارجع الى كتب
السير والتواريخ واستمع حكايات الماضين حتى تعلم انّ الحلم والعفو وكظم الغيظ شيمة الانبياء
والحكماء واكابر الملوك والعقلاء والغضب خصلة الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء التاسع
ان يتذكر ان قدرة الله عليه اقوى واشدّ من قدرته على هذا الضعيف الذي يغضب عليه و
هو اضعف في جنب قوته القاهرة بمراتب غير متناهية من هذا الضعيف في جنب قوته فليحذر
ولم يأمن اذا امضى غضبه عليه ان يمضي الله عليه غضبه في الدنيا والاخرة وقد روي انه ما كان
في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المساكين واخش الموت

في ذكر باقي الاسباب المهيجة للغضب او الكاسرة لسورته والدافعة له

اذكر الآخر فكان يفعلها حتى يسكن غضبه وفي بعض الكتب الالهية يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق العاشر ان يتذكر ان من يمضي عليه غضبه ربما قوي وتشمّر لمقابلته وجرّى عليه لسانه باظهار معايبه والشماتة بمصائبه ويؤذيه في نفسه واهله وماله وعرضه الحادي عشر ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الغيظ والغضب فان كان خوف الذلة والمهانة والاتصاف بالعجز وصغر النفس عند الناس فليتذكر ان الحلم وكظم الغيظ ودفع الغضب عن النفس ليست ذلة ومهانة ولم يحصل من ضعف النفس وصغرها بل هي من آثار قوة النفس وشجاعتها واضدادها يحصل من نقصان النفس وخورها فدفع الغضب عن نفسه لا يخرجه من كبر النفس في الواقع ولو فرض خروجه به منه في اعين جهلة الناس فلا يبالي بذلك ويتذكر ان الاتصاف بالذلة والصغر عند اراذل البشر (بعض) اولى من خزي يوم المحشر والافتضاح عند الله الملك الاكبر وان كان السبب خوف ان يفوت منه شيء مما يحبه فليعلم ان ما يحبه ويغضب لفقده اما ضروري لكل احد كالقوت والمسكن واللباس وصحة البدن وهو الذي اشار اليه سيد الرسل بقوله من اصبح آمنا في سربه معافا في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها او غير ضروري لاحد كالجاه والمنصب وفضول الاموال او ضروري لبعض الناس دون بعض كالكتاب للعالم وادوات الصناعات لاربابها ولا ريب ان كل ما ليس من هذه الاقسام ضروريا فلا يليق ان يكون محبوبا عند اهل البصيرة وذوي المروات اذ ما لا يحتاج اليه الانسان في العاجل ولا بد له من تركه في الآجل فما بال العاقل ان يحبه ويغضب بفقده واذا علم ذلك لم يغضب على فقد هذا القسم البتة واما ما هو ضروري للكل او البعض وان كان الغضب والحزن من فقده مقتضى الطبع لشدة الاحتياج اليه الا ان العاقل اذا تأمل يجد ان ما فقد عنه من الاشياء الضرورية ان امكن رده والوصول اليه يمكن ذلك بدون الغيظ والغضب ايضا وان لم يمكن لم يمكن معهما ايضا وعلى اي حال العبد المتأمل يعلم ان الغضب لا ثمرة له سوى تألم العاجل وعقوبة الآجل ومن لا يغضب وان غضب يدفعه عن نفسه بسهولة الثاني عشر ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغضب والحبيب يختار البتة ما يحب محبوبه فان كان محبا لله فيطفئ شدة حبه له غضبه الثالث عشر ان يتفكر في قبح صورته وحركاته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره وحركاته عند الغضب **تتميم** اعلم ان بعض المعالجات المذكورة يقتضي قطع اسباب الغضب وحسم مواده حتى لا يهيج ولا يحصل وبعضها يكسر سورته او يدفعه اذا

في بيان حقيقة الحلم وذكر ما ورد من الأئمة المعصومين في فضيلته وشرافته

صدر وهاج ومن علاجه عند الهيجان الاستعاذة من الشيطان والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان كان جالسا والوضوء او الغسل بالماء البارد وان كان غضبه على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت كما ورد في الاخبار **وصل** قد عرفت ان الحلم هو طمأنينة النفس بحيث لا يحركها الغضب بسهولة ولا يزعجه المكروه بسرعة فهو الضد الحقيقي للغضب لانه المانع من حدوثه ويبعد هيجانه لما كان كظم الغيظ مما يضعفه ويدفعه فمن هذه الحيثية يكون كظم الغيظ ايضا ضدا له فنحن نشير الى فضيلة الحلم وشرافته ثم الى فوائد كظم الغيظ ومنافعه ليجتهد طالب ازالة الغضب في الاتصاف بالاول فلا يحدث فيه اصلا وبالثاني فيدفعه عند هيجانه فنقول اما الحلم فهو اشرف الكمالات النفسية بعد العلم بل لا ينفع العلم بدونه اصلا ولذا كلما يمدح العلم او يسئل منه يقارن به قال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وقال خمس من سنن المرسلين وعد منها الحلم وقال صلى الله عليه وآله ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وآله ان المسلم يدرك بالحلم درجة الصائم القائم وقال صلى الله عليه وآله ان الله يحب الحيي الحليم ويبغض الفاحش البذي وقال صلى الله عليه وآله ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى يحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال اذا جمع الخلايق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسيرون فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نريكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وقال صلى الله عليه وآله ما اعز الله بجهل قط ولا اذل بحلم قط وقال امير المؤمنين ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وقال علي بن الحسين عليه السلام انه ليعجبني الرجل ان يدركه حلمه عند غضبه وقال الصادق عليه السلام كفى بالحلم ناصرا وقال عليه السلام اذا لم تكن حليما فتحلم وقال عليه السلام اذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت وانت اهل لما قلت ستجزى بما قلت ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان اتممت ذلك قال فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان وبعث عليه السلام غلاما له في حاجة فابطأ فخرج على اثره فوجده نائما فجلس عند راسه يروحه حتى انتبه فقال له يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار لك الليل ولنا منك النهار وقال الرضا عليه السلام لا يكون الرجل عابدا حتى يكون حليما واما كظم الغيظ فهو وان لم يبلغ مرتبة الحلم فضيلة

المقام الثاني

فى فضل كظم الغيظ والتحلم وذكر الاخبار الدالة على شرافته

شرافته لانه التحلم اى تكلف الحلم الا اذا واظب عليه حتى صار معتادا يحدث بعد ذلك صفة
الحلم الطبيعى بحيث لا يهيج الغيظ حتى يحتاج الى كظمه ولذا قال رسول الله انما العلم بالتعلم والحلم
بالتحلم فمن لم يكن حليما بالطبع لا بد له من السعى فى كظم الغيظ عند هيجانه حتى يحصل له صفة الحلم
وقد مدح الله سبحانه كاظمين الغيظ فى محكم كتابه وتواترت الاخبار على شرافته وعظم اجره قال
رسول الله صلى الله عليه وآله من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضا وقال صلى الله عليه وآله
ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وقال صلى الله عليه وآله ان لجهنم بابا لا
يدخلها الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وآله من كظم غيظا وهو يقدر ان ينفذه دعاه
الله الى روس الخلائق يوم القيامة ويخيره فى اى الحور شاء وقال صلى الله عليه وآله ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعتان
جرعة غيظ يردها بحلم وجرعة مصيبة يردها بصبر وقال سيد الساجدين ما تجرعت جرعة
احب الى من جرعة غيظ لا اكافى صاحبها وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه
حشى الله تعالى قلبه امنا وايمانا يوم القيمة وقال عليه السلام لبعض ولده يا بنى ما من شئ اقر لعين ابيك
من جرعة غيظ عاقبتها صبر وما يسرنى ان لى بذل نفسى حمر النعم وقال عليه السلام نعم الجرعة الغيظ لمن
صبر عليها فان عظيم الاجر لمن عظيم البلاء وما احب الله قوما الا ابتلاهم وقال عليه السلام ما من عبد
كظم غيظا الا زاده الله تعالى عزا فى الدنيا والاخرة وقد قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب المحسنين واثابه الله مكان غيظه ذلك وقال ابو الحسن الاول عليه السلام اصبر
على اعداء النعم فانك لن تكافى من عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه

ومنها الانتقام بمثل ما فعل به او بلا زيادة عنه وان كان محرما ممنوعا من الشريعة وهو من
نتايج الغضب اذ كل انتقام ليس جايزا فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة والفحش بالفحش و
البهتان بالبهتان والسعاية الى الظلمة بمثلها وهكذا فى ساير المحرمات قال سيد الرسل صلى الله عليه وآله
ان امرء عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال صلى الله عليه وآله ان المتسابين شيطانان يتهاتران وقد ورد
ان رجلا شتم ابا بكر بحضرة النبى صلى الله عليه وآله وهو ساكت فلما ابتدأ لينتصر منه قام رسول الله وقال
مخاطبا له ان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس فى مجلس
فيه الشيطان فكل فعل او قول يصدر من شخص بالنسبة الى غيره ظلما ان كان له فى الشرع قصاص
وغرامة فيجب ان لا يتعدى عنه وان كان العفو عن الجاير ايضا افضل واولى واقرب الى الورع والتقوى
وان لم يرد له من الشرع حكومة معينة وجب ان يقتصر فى الانتقام وما يحصل به التشفى على ما ليس

فيه حرمة ولا كذب مثل ان يقابل الفحش والذم وغيرهما من الاذيات التي لم يقدر لها في الشرع حكومة معينة بقوله يا قليل الحياء ويا سيئ الخلق ويا صفيق الوجه وامثال ذلك اذا كان متصفا بها ومثل قوله جزاك الله وانتقم منك ومن انت وهل انت الا من بني فلان ومثل قوله يا جاهل ويا احمق وهذا ليس فيه كذب مطلقا اذ ما من احد الا وفيه جهل وحمق اما الاول فظاهر واما الثاني فلما ورد من ان الناس كلهم حمقى في ذات الله والدليل على جواز هذا القدر من الانتقام قول النبي ص المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يتعدى المظلوم وقول الكاظم ع في رجلين يتسابان البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد الى المظلوم وهما يدلان على جواز الانتصار لغير البادي من دون وزر ما لم يتعد ومعلوم ان المراد بالسب فيهما امثال الكلمات المذكورة دون الفحش والكلمات المذكورة الكاذبة ولا ريب في ان الاقتصار على مجرد ما ورد به الرخصة بعد الشروع في الجواب مشكل ولعل السكوت عن اصل الجواب وحوالة الانتقام الى رب الارباب ابر وافضل ما لم يؤد الى فتور الغيرة والحمية اذ اكثر الناس لا يقدر على ضبط نفسه عند فور الغضب لاختلافهم في حدوث الغضب وزواله قال رسول الله ص الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ومنهم بطيء الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب سريع الفيء وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء وقد ورد في خبر آخر ان المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك ثم طريق العلاج في ترك الانتقام ان يتنبه لسوء عاقبته في العاجل والآجل ويتذكر فوائد تركه ويعلم ان الحوالة الى المنتقم الحقيقي احسن واولى وان انتقامه اشد واقوى ثم يتأمل في فوائد العفو وفضيلته كما يأتي

وصل ضد الانتقام العفو وهو اسقاط ما يستحقه من قصاص او غرامة وفرقه عن الحلم وكظم الغيظ ظاهر والآيات والاخبار في مدحه وحسنه اكثر من ان تحصى قال الله سبحانه خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وقال فَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا وقال وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وقال رسول الله ص ثلث والذي نفسي بيده ان كنت حالفا لحلفت عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفى رجل من مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال ص العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وقال ص لعقبة الا اخبرك بافضل

المقام الثاني

في فضيلة العفو وذكر الآيات والاخبار الواردة فيها وفي ذمّ العنف ومدح الرفق

اخلاق اهل الدّنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك و
قال صلى الله عليه وآله قال موسى يا ربّ ايّ عبادك اعزّ عليك قال الّذي اذا قدر عفى وقال سيّد الساجدين
عليه السّلام اذا كان يوم القيمة جمع الله الاوّلين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد اين اهل
الفضل قال فيقوم عنق من النّاس فتلقاهم الملائكة فيقولون وما فضلكم فيقولون كنّا نصل من
قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمّن ظلمنا قال فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنّة وقال الباقر ع
النّدامة على العفو افضل وايسر من النّدامة على العقوبة وقال الصادق ع ثلث من مكارم
الدّنيا والآخرة تعفو عمّن ظلمك الخ وقال ابو الحسن ع ما التقت فئتان قطّ الّا نصر اعظمهما
عفوا وكفى للعفو فضلا وشرافة انّه من اجمل الصفات الالهيّة وقد يمدح الله تعالى به في
مقام الخضوع والتذلّل قال سيّد الساجدين انت الّذي سمّيت نفسك بالعفو فاعف عنّي
وقال ع انت الّذي عفوه اعلى من عقابه ومنها العنف وهو الغلظة والفظاظة في الاقوال
او الحركات ايض وهو من نتايج الغضب وضدّه الرفق اي اللّين فيهما وهو من نتايج الحلم
ولا ريب في انّ الغلظة في القول والفعل ينفّر الطباع ويؤدّي الى اختلال امر المعاش والمعاد
ولذلك نهى الله سبحانه نبيّه عنه في مقام الارشاد وقال وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ وروي عن سلمان انّه قال اذا اراد الله تعالى هلاك عبد نزع منه
الحياء فاذا نزع منه الحياء لم يلقه الّا خائنا مخوّنا واذا كان خائنا مخوّنا نزعت منه الامانة
فاذا نزعت منه الامانة لم يلقه الّا فظّا غليظا فاذا كان فظّا غليظا نزعت منه ربقة
الايمان فاذا نزعت منه ربقة الايمان لم يلقه الّا شيطانا ملعونا ويظهر من هذا
الكلام ان من كان من اهل الغلظة والفظاظة فهو الشّيطان حقيقة فيجب على كلّ عاقل ان
يجتنب عن ذلك كلّ الاجتناب ويقدّم التروّي على كلّ ما يصدر عنه من القول والفعل و
ليحافظ نفسه عن التعنّف والغلظة فيه ويتذكر ما ورد في فضيلة الرّفق ويرتكبه فحوى كان
ولو بالتكلّف الى ان يصير ملكة ويزول عن نفسه آثار العنف بالكليّة **وصل** الاخبار في
فضيلة الرّفق وفوائده اكثر من ان يحصى ونحن نشير الى شطر منها هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله
لو كان الرّفق خلقا يرى ما كان فيما خلق الله شيئ احسن منه وقال صلى الله عليه وآله انّ الرّفق لم يوضع على
شيئ الّا زانه ولا ينزع من شيئ الّا شانه وقال صلى الله عليه وآله انّ الله رفيق يحبّ الرّفق ويعطي على
الرّفق ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وآله ما اصطحب اثنان الّا كان اعظمهما اجرا واحبّهما

ذكر الاخبار الواردة في فضيلة الرفق وبيان حقيقته

الى الله تعالى ارفقهما بصاحبه وقال صلى الله عليه وآله الرفق يمن والخرق شوم وقال صلى الله عليه وآله من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وقال صلى الله عليه وآله اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وآله من اعطى حظه من الرفق اعطى حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وآله اذا احب الله عبدا اعطاه الرفق ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال الا تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال الكاظم عليه السلام الرفق نصف العيش وقال عليه السلام لمن جرى بينه وبين قومه كلام ارفق بهم فان كفر احدكم في غضبه ولا خير فيمن كان كفره في غضبه ثم التجربة شاهدة بان امضاء الامور وانجاح المقاصد موقوف على الرفق واللين مع الخلايق فكل ملك كان رفيقا بجنده ورعيته انتظم امره ودام ملكه وان كان فظا غليظا اختل امره وانفض الناس من حوله وزال ملكه وسلطانه في اسرع زمان وقس عليه غيره من طبقات الناس من العلماء والامراء وغيرهما من ذوي المناصب الجليلة وارباب المعاملة والمكاسب واصحاب الصنايع والحرف **تكملة** المداراة قريب من الرفق معنى لانه ملائمة الناس وحسن صحبتهم واحتمال اذاهم وربما فرق بينهما باعتبار تحمل الاذى في المداراة دون الرفق وقد ورد في مدحه وفوائده الدنيوية والاخروية اخبار كثيرة كقول النبي صلى الله عليه وآله المداراة نصف الايمان وقوله صلى الله عليه وآله ثلث من لم يكن فيه لم يتم له عمل ورع يحجزه عن معاصي الله وخلق يداري به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل وقوله صلى الله عليه وآله امرني ربي بمداراة الناس كما امرني ربي باداء الفرايض وقول الباقر عليه السلام مكتوب في التورية في ما ناجى الله تعالى به موسى بن عمران يا موسى اكتم مكتوم سري في سريرتك واظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي الخ وقول الصادق عليه السلام جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول دار خلقي وقوله عليه السلام ان قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فنفوا من قريش وايم الله ما كان باحسابهم باس وان قوما من غير قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع ثم قال من كف يده عن الناس فانما يكف عنهم يدا واحدة ويكفون عنه ايدي كثيرة ومنها سوء الخلق بالمعنى الاخص اي التضجر وانقباض الوجه وسوء الكلام وامثال ذلك وهو ايضا من نتايج الغضب كما ان ضده اعني حسن الخلق بالمعنى الاخص وهو ان تلين جناحك وتطيب كلامك وتلقى اخاك ببشر حسن من نتايج الحلم واكثر ما يطلق سوء الخلق وحسنه في الاخبار يراد به هذا المعنى ولا ريب في ان سوء الخلق وحسنه مما يبعد صاحبه عن الخالق والخلق والتجربة شاهدة بان الطباع منفرة عن كل سيئ

العاشر من انواع الرذائل
المتعلقة بالقوة الغضبية
الغضب سوء الخلق

وصل فيما ورد في ذم سوء الخلق من الاخبار وعلاجه وبيان ذكر حسن الخلق

المقام الثاني

الخلق يكون دائماً اضحوكة للناس ولا ينفك لحظة عن الحزن والالم ولذا قال ص من ساء خلقه عذّب نفسه وقد يعتريه لاجله الضرّر العظيم هذا كله مع سوء عاقبته في الآخرة واداءه الى العذاب الابدي ولذا ورد به الذمّ الشديد من الشريعة قال رسول الله لما خلق الله الايمان قال اللهم قوّني فقوّاه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوّني فقوّاه بالبخل وسوء الخلق وروي انّه قيل له ص ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيّئة الخلق تؤذي جيرانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وعنه ص سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل وعنه ص ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم وعنه ص ابى الله لصاحب الخلق السيئ بالتوبة قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال لانّه اذا تاب من ذنب وقع في ذنب اعظم منه وقال ص سوء الخلق ذنب لا يغفر وقال الامام جعفر بن محمد عليهما السلام اذا خلق الله العبد في اصل الخلق كافراً لم يمت حتى يحبّب الله اليه الشرّ فيقرب منه فابتلاه بالكبر والجبرية فقسى قلبه وساء خلقه وغلظ وجهه وظهر فحشه وقلّ حياؤه وكشف الله ستره وركب المحارم ولم ينزع عنها ثم ركب معاصي الله وابغض طاعته ووثب على الناس لا يشبع من الخصومات فاسئلوا الله العافية واطلبوها منه وقال بعض الاكابر لئن يصحبني فاجر حسن الخلق احبّ اليّ من ان يصحبني عابد سيّئ الخلق وطريق العلاج في ازالته ان يتذكر اولاً انه يفسد آخرته ودنياه ويجعله ممقوتاً عند الخالق والخلق فيعدّ نفسه لازالته ثم يقدم التروّي والتفكر عند كل حركة وتكلّم فيحفظ نفسه عنه ولو بالتحمّل والتكلّف من صدور سوء الخلق ويتذكر ما ورد في مدح حسن الخلق الذي هو ضدّه كما يأتي ويواظب حتى يزول على التدريج آثاره بالكلية **وصل** قد عرفت ان ضدّ هذه الرذيلة حسن الخلق بالمعنى الاخص فمن معالجاتها ان يواظب عليه حتى يرتفع آثارها بالكلية واقوى البواعث على اكتسابه والمواظبة عليه ان يتذكر ما يدل على شرافته ومدحه عقلاً ونقلاً اما حكم العقل على مدحه فظاهر لا يحتاج الى بيان واما النقل فالاخبار التي وردت به اكثر من ان يحصى ونحن نورد سطراً منها تذكرة لمن اراد ان يتذكر قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما يوضع في ميزان امرء يوم القيمة افضل من حسن الخلق وقال يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس باموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر وقال صلى الله عليه وآله ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزيّنوا دينكم بهما وقال صلى الله عليه وآله حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل له ص اي المؤمنين افضلهم ايماناً قال احسنهم خلقاً وقال صلى الله عليه وآله انّ احبّكم اليّ واقربكم منّي مجلساً يوم القيمة احسنكم خلقاً وقال ص ثلث من لم يكن فيه واحد

ذكر ما ورد من اهل بيت العصمة صلوات الله عليهم في فضيلة حسن الخلق وشرافته

منهن فلا يعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن محارم الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به
في الناس وقال (ص) حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال (ص) ان العبد
ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة واشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وقال (ص) لام حبيبة
ان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة وقال لها بعد ما سئلت عن ان المرأة يكون لها
زوجان في الدنيا فيموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي فقال لاحسنهما خلقا وقال (ص) ان
حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم وقال (ص) اكثر ما يلج به امتي الجنة تقوى الله
وحسن الخلق وقال (ص) افاضلكم احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وقال امير المؤمنين (ع) المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال (ع) ان سيئ
الخلق ينتزع عنه الطباع فلا يكون مألوفا وقال الامام ابو جعفر الباقر (ع) ان اكمل المؤمنين ايمانا
احسنهم خلقا وقال (ع) اتى رجل رسول الله فقال يا رسول الله اوصني فكان فيما اوصاه
ان قال الق اخاك بوجه منبسط وقال الصادق (ع) ما تقدم المؤمن على الله بعمل بعد الفرائض احب
الى الله من ان يسع الناس بخلقه وقال (ع) البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الاعمار
وقال (ع) ان الله تعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو
عليه ويروح وقال (ع) ثلث من اتى الله بواحدة منهن اوجب الله له الجنة الانفاق من اقتار
والبشر لجميع العالم والانصاف من نفسه وقال (ع) صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة
ويدخلان الجنة والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار ومن تأمل في
هذه الاخبار ورجع الى الوجدان والتجربة وتذكر احوال الموصوفين بسوء الخلق وحسنه يجد
ان كل سيئ الخلق بعيد من الله ومن رحمته والناس يبغضونه ويشمئزون عنه ولذا يحرم عن
برهم وصلتهم وكل حسن الخلق محبوب عند الله وعند الناس فلا يزال محلا لرحمة الله و
فيوضاته ومرجعا للمؤمنين بايصال نفعه وخيره اليهم وانجاح مقاصدهم ومطالبهم و
لذلك لم يبعث الله سبحانه نبيا الا واتم فيه هذه الفضيلة بل هي افضل صفات المرسلين
واشرف اعمال الصديقين ولذا قال الله تعالى لحبيبه مثنيا عليه مظهرا نعمته لديه وانك لعلى
خلق عظيم ولعظم شرافته بلغ رسول الله فيه ما بلغ من غايته وتمكن على ذروته ولهذا
ورد انه (ص) كان ذات يوم جالسا في المسجد اذ جائت جارية لبعض الانصار وهو قاعد
فاخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي (ص) فلم تقل شيئا ولم يقل لها النبي (ص) شيئا حتى فعلت ذلك

بيان حقيقة الحقد وذكر بعض ما ورد في ذمه من الأخبار وأنسب الطرق الى علاجه

ثلث مرات لا تقولين له شيئا ولا هو يقول لها شيئا فقام لها النبي (ص) في الرابعة وهي خلفه فاخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس فعل الله بك وفعل حبست رسول الله ثلث مرات لا تقولين له شيئا ولا هو يقول لك شيئا ما كانت حاجتك اليه فقالت ان لنا مريضا فارسلني اهلي لآخذ هدبة من ثوبه يستشفي بها فلما اردت ان آخذها راني فقام فاستحييت منه ان آخذها وهو يراني واكره ان استامره في اخذها فاخذتها ففعلت ما فعلت ومنها الحقد وقد عرفت انه اضمار العداوة في القلب وهو من ثمرة الغضب اذ كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا وهو من المهلكات العظيمة وقد قال رسول الله المؤمن ليس بحقود والغالب ان الحقد يلزمه من الآفات الحسد والهجرة والانقطاع عن المحقود وايذائه بالضرب والتكلم فيه بما لا يحل من الكذب والغيبة والبهتان وافشاء السر وهتك الستر واظهار العيوب والشماتة بما يصيبه من البلاء والسرور به والانبساط بظهور عثراته وهفواته والمحاكاة عنه بالاستهزاء والسخرية والاعراض عنه استصغارا له ومنع حقوقه من دين او رد مظلمة او صلة رحم وكل ذلك حرام في الشريعة يؤدي الى فساد الدين واضعف مراتبه ان يحترز عن الآفات المذكورة ولا يرتكب لاجله ما يعصي الله به لكن يستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه وهو ايضا من الامراض المولمة للنفس لانه يعوقها عن القرب الى الله والوصول الى الملأ الاعلى ويمنع صاحبه عما ينبغي ان يصدر عنه بالنسبة الى اهل الايمان من الهشاشة والرفق والتواضع والقيام بحوائجهم والمجالسة معهم والرغبة الى اعانتهم ومواساتهم وغير ذلك وهذا كله مما ينقص درجته في الدين ويحول بينه وبين مرافقة المقربين ولما كان حقيقته عبارة عن العداوة الباطنة فجميع الاخبار الواردة في ذم المعاداة يدل على ذمه كقول النبي (ص) ما كان جبرئيل ياتيني الا قال يا محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم وقوله ما عهد الي جبرئيل قط في شيء مثل ما عهد الي في معاداة الرجال وقول الصادق (ع) من زرع العداوة حصد ما بذر وقس عليها غيرها وطريق العلاج في ازالته ان يتذكر ان هذه العداوة الباطنة يولمه في العاجل اذ الحقود المسكين لا يخلو عن التألم والهم لحظة ويعذب به في الآجل ومع ذلك لا يضر المحقود اصلا والعاقل لا يدوم على حالة يكون مضرة لنفسه ونافعة لعدوه وبعد هذا التذكر فليجتهد في ان يعامل معه معاملة احبائه من مصاحبته بالانبساط والرفق والقيام بحوائجه وغير ذلك بل يخصه بزيادة البر والاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان ولا يزال يكرر ذلك حتى يرتفع عن

عليها امثالهما الضرب التي ربّما جرّها المهلكة لعدم
ذكرا في الرذائل والاشاعلا وذنبة والفحش وما يتفرّع

الباب الثالث من الرذائل النوع الثاني عشر من الرذائل المتعلقة بالقوة الغضبية من الافراط

نفسه آثار هذه الرذيلة بالكلية ثم لما كان الحقد عبارة عن العداوة الباطنة وحقيقتها اضمار
الشرّ وكراهة الخير لمن يعاديه فضدّه النصيحة التي هي قصد الخير وكراهة الشرّ لا المحبّة كما
يتراءى في بادي الرأي اذ هي ضدّ الكراهة دون العداوة كما يأتي في محله فمن معالجات الحقد ان
يتذكر فوائد النصيحة ومدحها كما يأتي ليبعث على ازالته ومنها العداوة الظاهرة وهي من لوازم
الحقد لانه اذا قوى قوة لا يقدر معها على المجاملة اظهر العداوة بالمكاشفة والاخبار الواردة
في ذمها كثيرة وقد تقدم بعضها وعلاجها كما تقدم في الحقد وضدها النصيحة الظاهرة اعني
فعلية الخير والصلاح لا مجرّد قصدها فليكلف نفسه عليها حتّى تصير ملكة له ويزول ضدّها
ومنها الضرب والفحش واللعن والطعن وهذه تنشأ غالبا عن العداوة والحقد وربما صدرت
من مجرّد الغضب وسوء الخلق وربما صدر الفحش من الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق
وربما كان الباعث في بعض افرادها حبّ المال وفقد المعدود من رذائل قوة الشهوة الا
ان الفاعل المباشر لهذه الامور هي القوة الغضبية او النفس لهيجان قوة الغضب وان كان
الهيجان حاصلا بواسطة فعل قوة الشهوة وعلى ايّ تقدير يكون من رذائل القوّة الغضبية
على قاعدتنا ولذا ادرجناها تحتها فقط ثمّ لا ريب في كون هذه الامور مذمومة محرّمة
في الشريعة موجبة لحبط الاعمال وخسران المال وجميع ما يدلّ على ذمّ الايذاء والاضرار
يدلّ على ذمّها لكونها بعض افرادهما والعقل والشرع متطابقان على شدّة قبح كلّ واحد
منهما بخصوصه وايجابه للهلاكة اما الضرب فلانّه لا ريب انّ ضرب مسلم بلا داع شرعي
مما يقبحه كلّ عاقل ويذمّه جميع طوايف العالم حتّى نفاة الاديان والاخبار الواردة في
ذمّه كثيرة وفي عدة منها انّ من ضرب جلا سوطا ضربه الله سوطا من النار واما الفحش والسبّ
وبذاءة اللسان فلا ريب في كونه صادرا عن خباثة النفس قال رسول الله ليس المؤمن بالطعان
ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال (ص) اياكم والفحش فانّ الله لا يحبّ الفحش والتفحش وقال (ص)
الجنّة حرام على كلّ فاحش ان يدخلها وقال (ع) انّ الفحش والتفحّش ليسا من الاسلام في شيء وقال (ع)
البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق وروي انّ المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه
وقال (ص) اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى وعدّ منهم رجلا يسيل فوه قيحا وهو
من كان في الدنيا فاحشا وقال (ص) لا تسبّوا الناس فتكتسبوا العداوة منهم وقال (ص) انّ الله
حرّم الجنّة على كلّ فحاش بذي قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فانك ان فتشته لم

النوع الثالث عشر من الرذائل المذكورة

تجده الا لغية او شرك شيطان وقال (ص) اذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه فانه لغية
او شرك شيطان وقال (ص) ان الله يبغض الفاحش البذي والسائل الملحف وقال (ص) ان من
شر عباد الله من يكره مجالسته لفحشه وقال (ص) سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه
معصية وحرمة ماله كحرمة دمه وقال (ص) سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة وقال (ص) شر
الناس عند الله يوم القيمة الذين يكرمون اتقاء شرهم وقال (ص) المستبان شيطانان يتعاديان
ويتهاتران وقال الصادق (ع) من علامات شرك الشيطان الذي لا شك فيه ان يكون فحاشا لا
يبالي ما قال ولا ما قيل فيه وقال (ع) البذاء من الجفاء والجفاء في النار وقال (ع) من خاف
الناس من لسانه فهو في النار وقال (ع) ان ابغض خلق الله عبد اتقى الناس لسانه وعن الكاظم (ع)
في رجلين يتسابان فقال البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد
المظلوم **تنبيه** اعلم ان حقيقة الفحش هو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة
الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع والاذر وما يتعلق بهما فان لاهل الفساد عبارات
صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون عنها و
يعبرون عنها بالرموز قال بعض الصحابة ان الله حيي كريم يعف ويكني كنى باللمس عن الجماع
فالمس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وعنه عبارات
فاحشة يستقبح ذكرها وليس هذا يختص بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول و
التغوط اولى من لفظة التغوط والخراء وغيرهما فهذا ايضا مما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي
ان يذكر الفاظه الصريحة باللسان بل يكنى عنها فلا يقال قالت زوجتك او امرأتك بل يقال
قيل في الحجرة او قيل من وراء الستر وقالت ام الاولاد وامثال ذلك وكذلك من به
عيوب يستحيى منه فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبطن وامثال ذلك
بل يكنى عنها بعبارات غير صريحة مثل العارض الذي عرض وما يجري مجريه اذ التصريح بجميع
ذلك داخل في الفحش ثم الفاظ الفحش لا ريب في كونها محظورة باسرها مذمومة
وان كانت بعضها افحش من بعض فيكون اثمه اشد سواء استعمل في الشتم والايذاء او
لا يستعمل فيه بل في المزاح والهزل وغيرهما و(ح) لما كانت هذه العبارات متفاوتة في الفحش
بعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد فيكون بعضها مكروها وبعضها محظورا
فان من قال لغيره مزاحا او اعتيادا حاصلا من مخالطة الفساق فرج امرأتك منتقرام لا

لابد

القول في اللعن حقيقته وكونه مذموما وما يتبع فيه من خصوص وعموم وغيرها مما ثبت في الشرع

لا ريب في كونه فحشا محرما مذموما مع انه لم يستعمل في الشتم وبالجملة اوايل هذه العبارات مكروهة
واواخرها محظورة وبينهما درجات تتردد بين الكراهة والحرمة واما اللعن فلا ريب في
كونه مذموما لانه عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وهذا غير جايز الا على من اتصف
بصفة تبعده بنص الشريعة وقد ورد عليه الذم الشديد في الاخبار قال رسول الله صلعم
المؤمن ليس بلعان وعن الباقر ع قال خطب رسول الله الناس فقال الا اخبركم بشراركم
قالوا بلى يا رسول الله قال الذي يمنع رفده ويضرب عبده ويتزود وحده فظنوا ان الله
لم يخلق خلقا هو شر من ذلك ثم قال الا اخبركم بمن هو شر من ذلك قالوا بلى يا رسول
الله قال المتفحش اللعان الذي اذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم واذا ذكروه لعنوه وقال
الباقر ع ان اللعنة اذا خرجت من في صاحبها ترددت بينهما فان وجدت مساغا والا رجعت على
صاحبها ثم لما كان اللعن هو الحكم بالبعد وطلب الابعاد من الله والاول غيب لا يطلع عليه
الا الله والثاني لا يجوز الا على من اتصف بصفة تبعده منه تعالى فينبغي ان لا يلعن احدا الا من جوز
صاحب الشرع لعنه والمجوز من الشرع انما هو اللعن على الكافرين والظالمين والفاسقين
كما ورد في القرآن ولا ريب في جواز ذلك بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين او
بوصف يخص بعض الاصناف كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والحق جواز اللعن
على شخص معين علم اتصافه بصفة الكفر او الظلم او الفسق وما قيل من عدم جواز ذلك الا على من
يثبت لعنه من الشرع كفرعون وابي جهل لان كل شخص معين كان على احدى الصفات الثلث ربما رجع
عنها فيموت مسلما او تائبا فيكون مقربا عند الله لا مبعدا عنه كلام ينبغي ان يطول ولا يرى ان المستفاد
من كلام الله تعالى وكلام رسوله وكلام ائمتنا الراشدين جواز نسبته الى الشخص المعين بل المستفاد
منها ان اللعن على بعض اهل الجحود والعناد من احب العبادات واقرب القربات قال الله سبحانه
اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقال اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
وقال النبي صلعم لعن الله الكاذب ولو كان مازحا وقال صلعم في جواب ابي سفيان حين هجاه بالف بيت
اللهم اني لا احسن الشعر ولا ينبغي لي اللهم العنه بكل حرف الف لعنة وقد لعن امير المؤمنين ع
جماعة وروي انه كان يقنت في الصلوة المفروضة بلعن معاوية وعمرو بن العاص وابي موسى
الاشعري وابا عور الاسلمي مع انه احلم الناس واشدهم صفحا عمن يسوء به فلولا انه كان
يرى لعنهم من الطاعات لما يتخير محله في الصلوات المفروضات وروي ان امير المؤمنين ع

موارد فيه خصوصا ما لا يسوغ في الدعاء الاخوان في عدة مما يسوغ اللعن او عموما فيه وفي فضل على

كان يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش يعني بهما ابا بكر وعمر وروى الشيخ الطوسي ان الصادق ع
كان ينصرف من الصلوة بلعن اربعة رجال ومن نظر الى ما وقع للحسن ع مع معوية واصحابه
وكيف لعنهم وتتبّع ما ورد من الائمة في الكافي وغيره من كتب الاخبار والادعية في
لعنهم من يستحق اللعن من رؤساء الضلال والتصريح باسمائهم يعلم ان ذلك من
شعائر الدين بحيث لا يعتريه شك وريبة وقد لعن الكاظم ع ابا حنيفة وما ورد من قوله ع
لا تكونوا لعّانين ومثله نهي عن اللعن على غير المستحقين وفي ما روي انّ امير المؤمنين ع نهى
عن لعن اهل الشام فان صحّ فلعلّه كان يرجوا اسلامهم ورجوعهم اليه كما هو شأن الرئيس
المشفق على الرعيّة وبالجملة اللعن على رؤساء الظلم والضلال والمجاهرين بالكفر والفسق
جائز بل مستحبّ وعلى غيرهم من المسلمين غير جائز الّا ان يتيقن باتصافه باحد الصفات الموجبة
له وينبغي ان لا يحكم باتصافه بشيء منها بمجرّد الظنّ والتخمين اذ لا يجوز ان يرمى مسلم بكفر و
فسق من غير تحقيق قال رسول الله ص لا يرمي رجل رجلا بالكفر فلا يرميه بالفسق الّا ارتدّت عليه
ان لم يكن كذلك ثمّ اللعن على الاموات اشدّ وزرا واعظم اثما لقول النبي ص لا تسبّوا الاموات
فانهم قد افضوا الى ما قدّموا ولا ينبغي ان يلعن على الجماد والحيوان ايضا لما روي انه ما لعن احد
الارض الّا قالت اللعن على اعصانا لله وما روي ان النبي ص انكر على امرأة لعنت ناقة وعلى
رجل لعن بعيرا ثمّ الدعاء على المسلم بالشرّ قريب من اللعن عليه فلا ينبغي ارتكابه ولو على
الظالم الّا اذا اضطرّ اليه لشرّه واضراره وقد ورد انّ المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه
ثمّ يبقى للظالم عنده فضيلة يوم القيمة وقال علي بن الحسين ع ان الملائكة اذا سمعوا المؤمن يذكر
اخاه بالسوء ويدعو عليه قالوا بئس الاخ انت لاخيك كفّ ايها المستتر على ذنوبه وعورته
واربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عليك ثم ضدّ ذلك اعني الدعاء لاخ المسلم بما يحبّ لنفسه
من احبّ الطاعات واقرب القربات وفوائده اكثر من ان تحصى بل عند التحقيق دعاؤك له
دعاء لنفسك قال رسول الله ص اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك
وقال ص يستجاب للرجل ما لا يستجاب له في نفسه وقال علي بن الحسين ع ان الملائكة اذا سمعوا
المؤمن يدعو لاخيه المؤمن بظهر الغيب ويذكره بخير قالوا نعم الاخ انت لاخيك تدعو له بالخير و
هو غائب عنك وتذكره بالخير قد اعطاك الله عزّ وجلّ مثلي ما طلبت له واثنى عليك مثلي ما اثنيت
عليه ولك الفضل عليه ومثله ورد عن الباقر ع ايضا والاخبار في فضيلة الدعاء للاخوان

الطعن الغير عنه والفرق بين الكبر الحقيقة
في ذمه على وشنا العجب بتيه بحسب

اكثر من ان تحصى واى كرامة اعظم لك من ان تصل منك الى المؤمن وهو تحت اطباق الثرى هدايا الاستغفار والادعية وكيف لا تسر وجه منك بهذا العمل فان اهله يقتسمون ميراثه ويتنعمون بما خلف وانت متفرد بحزنك تدعوله في ظلمة الليل وقد قال رسول الله صلعم مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شئ ينتظر دعوة من يدعوله من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على بيوت الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وهو للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور وعليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحي بالهدية واما الطعن فهو ايضا من نتائج الافعال ويورث الفقر في الدنيا والعذاب في الاخرى قال الباقر ع اياكم والطعن على المؤمنين وقال ع ما من انسان يطعن في عين مؤمن الا مات شر ميتة وكان قمنا ان لا يرجع الى خير واعلم ان هذه الامور اعني الفحش واللعن والطعن وامثالها مما ياتي في موضعه من الغيبة والكذب والبهتان والاستهزاء والمزاح والخوض في الباطل والتكلم بالفضول وما لا يعني من افات اللسان ويأتي ان لجميع افات اللسان ضدا عاما هو الصمت ويأتي بيان فضيلته وكثرة فوائده ويأتي ايضا ما يدل بعمومه على ذم جميع افات اللسان اعني ما ورد في ذم اللسان وكون شره اعظم من شر ساير الاعضاء فانه بعمومه يدل على ذم هذه الامور ومنها اي من رذايل القوة الغضبية العجب وهو استعظام نفسه لاجل ما يرى لها من صفة كمال سواء كانت له تلك الصفة في الواقع ام لا وسواء كانت صفة كمال في نفس الامر ام لا وقيل هو اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم وهو قريب مما ذكر ولا تعتبر في مفهومه رؤية نفسه فوق الغير في هذا الكمال وهذه النعمة وبذلك يمتاز عن الكبر اذ الكبر هو ان يرى لنفسه مزية على غيره في صفة كمال وبعبارة اخرى هو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فالكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به والعجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفة الكمال ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه ومثل نفسه فلا يتكبر عليه فهو معجب وليس متكبرا ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر او راى غيره مثل نفسه لم يكن متكبرا بل المتكبر هو ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره

والحاصل ان العجب مجرّد اعظام النفس لاجل كمال ونعمة واعظام نفس الكمال والنعمة مع الركون ونسيان اضافتهما الى الله فان لم يكن معه ركون وكان خائفا على زوال النعمة مشفقا على تكدرها او سلبها بالمرّة او كان فرحه بها من حيث انها من الله من دون اضافتها الى نفسه لم يكن معجبا فالمعجب ان لا يكون خائفا عليها بل يكون فرحا بها مطمئنا اليها فيكون فرحه بها من حيث انها صفة كمال منسوبة اليه لا من حيث انها عطية منسوبة الى الله تعالى ومهما غلب على قلبه انها نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب ثم لو انضاف الى العجب ان غلب على نفس المعجب ان له عند الله حقا وانه منه بمكان واستبعد ان يجري عليه مكروه وكان متوقعا منه كرامة لعمله سمّي ذلك ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة فهو وراء العجب وفوقه اذ كل مدل معجب ورب معجب لا يكون مدلا اذ العجب مجرّد الاستعظام ونسيان الاضافة الى الله من دون توقع جزاء على عمله والادلال يعتبر فيه توقع الجزاء بعمله اذ المدل يتوقع اجابة دعوته ويستنكر ردّها بباطنه فالادلال عجب مع شيء زائد وعلى هذا فمن اعطى غيره شيئا فان استعظمه ومنّ عليه كان معجبا وان استخدمه مع ذلك واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه ثم كما ان العجب قد يكون بما يراه صفة كمال وليس كذلك كذلك العجب بالعمل قد يكون بعمل هو مخطئ فيه ويراه حسنا كما قال سبحانه افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال ابو الحسن عليه السلام العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيعجبه حسنا ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله عزّ وجلّ ولله عليه فيه المنة

فصل

العجب من المهلكات العظيمة وارذل الملكات الذميمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وقال صلى الله عليه وآله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال صلى الله عليه وآله بينما موسى عليه السلام جالس اذ اقبل عليه ابليس وعليه برنس ذو الوان فلما دنى منه خلع البرنس وقام الى موسى فسلّم عليه فقال له موسى من انت فقال انا ابليس قال انت فلا قرب الله دارك قال انما جئت لاسلّم عليك لمكانك من الله ثم فقال له موسى فما هذا البرنس قال اختطف به قلوب بني ادم فقال له موسى فاخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن ادم استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه واوحى الله تعالى الى داود يا داود بشّر المذنبين وانذر الصدّيقين قال كيف ابشر

ذكر بقية ما ورد من اهل بيت العصمة صلوات الله عليهم اجمعين في ذم العجب

المذنبين وانذر الصديقين قال بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر
الصديقين لا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وقال الباقر عم دخل
رجلان المسجد احدهما عابد والاخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد
فاسق وذلك انه دخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فيكون فكرته في ذلك ويكون
فكرة الفاسق في التندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال الصادق ان الله تعالى
علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنب ابدا وقال عم من دخله
العجب هلك وقال عم ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن
حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه وقال عم اتى عالم عابدا فقال له كيف صلوتك
فقال مثلي يسئل عن صلوته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا قال فكيف بكاءك قال ابكي حتى تجري
دموعي فقال له العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكاءك وانت مدل ان المدل لا يصعد
من عمله شيء وقال عم العجب كل العجب ممن يعجب بعلمه وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه و
فعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من غير حق كاذب وان اخفى دعواه و
طال دهره فانه اول ما بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير ويشهد على نفسه ليكون
الحجة عليه اكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي
واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب
فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد ان يثمر وقيل له عم الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم
يعمل شيئا من البر فيدخله شبه العجب به فقال هو في الحالة الاولى وهو خائف احسن حالا
منه في حال عجبه وقال عم ان عيسى بن مريم عم كان من شرايعه السيح فخرج في بعض سيحه ومعه
رجل من اصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى عم فلما انتهى عيسى عم الى البحر قال بسم الله بصحة
يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى جازه بسم الله بصحة يقين منه
فمشى على الماء ولحق بعيسى فدخله العجب بنفسه فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء
وانا امشي على الماء فما فضله علي قال فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عم فتناوله من
الماء ثم قال له ما قلت يا قصير قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء وانا امشي فدخلني
من ذلك العجب فقال له عيسى عم لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه
فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت قال فتاب الرجل وعاد الى مرتبته الاولى التي

وضعه الله فيها **فصل** العجب آفاته كثيرة منها الكبر لانه احد اسبابه كما ياتي ومنها انه
يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فلا يتذكر شيئا منها وان تذكر بعضا منها يستصغرها و
لا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات فيستعظمها و
يتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها واذا اعجب بها عمي عن
آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال ضل سعيه اذ الاعمال الظاهرة اذا لم يكن خالصة نقية
عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد الخائف المشفق دون المعجب لانه يغتر بنفسه وبربه ويأمن من
مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله حقا باعماله التي هي من عطاياه و
نعمه وربما يخرجه العجب الى تزكية نفسه والثناء عليها وان اعجب برأيه وعقله وعلمه منعه ذلك
من السؤال والاستفادة والاستشارة فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف عن سؤال الاعلم و
ربما يعجب بالرأي الخطاء الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر
عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستحقار والاستجهال فان
كان رأيه الفاسد متعلقا بامر دنيوي افتضح وان كان متعلقا بامر ديني سيما في اصول العقائد
اضله واهلكه ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور علماء الدين وسؤال اهل البصيرة لكان
خيرا له واحسن وموصلا له الى الحق المتيقن ومن آفاته انه يفتر في الجد والسعي لظنه انه
قد استغنى وفاز بما ينجيه وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه **فصل** اعلم ان للعجب
علاجين اجمالي وتفصيلي اما العلاج الاجمالي فهو ان يعرف ربه وانه لا يليق العظمة والكبرياء
الا به وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم انه بذاته اذل من كل ذليل واقل من كل قليل ولا يليق
به الا الذلة والمهانة والمسكنة فما له والعجب واستعظام نفسه فانه لا ريب في كونه ممكنا وكل
ممكن في ذاته صرف العدم ومحض اللاشيء كما ثبت في الحكمة المتعالية ووجوده ويتفرع
كماله واثاره جميعا من الواجب الحق فالعظمة والكبرياء انما يليق بمفيض وجوده وكمالاته
لا لذاته التي هي صرف العدم ومحض الليس فان شاء ان يستعظم شيئا ويفتخر به فليستعظم ربه
وبه افتخر ويستحقر نفسه غاية الاستحقار حتى يراها صرف العدم ومحض اللاشيء وهذا المعنى
يشترك فيه كل ممكن كائنا من كان واما المهانة والذلة التي يختص هذا العجب في بني نوعه
فكون اوله نطفة قذرة واخره جيفة عفنة وكونه ما بين ذلك حمال نجاسات منتنة
وقد مر على مجرى البول ثلث مرات ويكفيه اية واحدة من كتاب الله تعالى لو كان له بصيرة وهي قوله

ظ في ايقاظ النفس لتصورها مراتب انتقالاتها من المبدأ الى المعاد

مراتب الانسان

قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى انه كان اولا في كتم العدم الغير المتناهي ثم خلقه من انذر الاشياء الذي هو نطفة مهينة ثم اماته وجعله جيفة منتنة خبيثة واي شيء اخس وارذل ممن بدايته محض العدم وخلقته من انتن الاشياء واقذرها ونهايته الفناء وصيرورته جيفة خبيثة وهو ما بين المبدأ والمنتهى عاجز ذليل لم يفوض اليه امره ولم يقدر على شيء لنفسه ولا لغيره او سلط عليه الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والدم والريح والبلغم يهدم بعض اجزائه بعضا شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويموت كرها ويعطش كرها ويمرض كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء فلا ينسا ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وفيه هلاكه ويكره الشيء وفيه حيوته يستلذ ما يهلكه ويرديه ويستبشع ما ينفعه وينجيه ولا يامن في لحظة من ليله او نهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته ويفلج اعضائه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان خلي فني فهو عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق التعجب به لولا جهله وهذا وسط احواله واما آخره فهو الموت كما عرفت فيصير جيفة منتنة قذرة ثم تضمحل صورته وتبلى اعضائه وتنخر عظامه وتفتت اجزائه فيصير رميما رفاتا ثم مصيره دودا في اجواف الديدان يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان فما احسنه لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلا فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويساق الى عرصات القيمة فيرى سماء منشقة وارضا مبدلة وجبالا مسيرة ونجوما منكدرة وشمسا منكسفة وجحيما مسعرة وجنة مزينة وموازين منصوبة وصحايف منشورة فاذا هو في معرض المواخذة والحساب وعليه ملائكة غلاظ شداد فيعطى كتابا اما بيمينه او شماله فيرى فيه جميع اعماله وافعاله من قليل وكثير ونقير وقطمير فان غلب سيئاته على حسناته وكان مستحقا للعذاب والنار تمنى ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يلقى عقابا ولا عذابا ولا ريب في

الكلب والخنزير احسن واطيب ممن عصى ربه القهار ويعذب في النار اذ اولهما واخرهما التراب
وهو بمعزل عن العقاب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منهما الخلق ولو راى اهل الدنيا
من يعذب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا
من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقاه في بحار الدنيا صارت انتن من الجيفة
المنتنة فما لمن هذه حاله والعجب واستعظام نفسه وما اغفله من التدبر في احوال نفسه و
لو لم يرد ذكر العذاب ولم يؤمر به الى النار فانما ذلك للعفو لانه ما من عبد الا وقد اذنب
ذنبا وكل من اذنب ذنبا استحق عقوبته فلو لم يعاقب فانما ذلك للعفو ولا ريب في ان
العفو ليس يقينيا بل هو مشكوك فيه فمن استحق عقوبته ولا يدري ايعفى عنه ام لا يجب ان
يكون ابدا محزونا خائفا ذليلا فكيف يستعظم نفسه ويلحقه العجب الا ترى ان من جنى على بعض
الملوك بما استحق به الف سوط مثلا فاخذ وحبس في السجن وهو منتظر ان يخرج الى العرض
ويقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في
السجن افترى انه مع هذه الحالة يكون معجبا بنفسه لا اظنك ان تظن ذلك فما من عبد
مذنب ولو اذنب ذنبا واحدا الا وقد استحق عقوبته من الله والدنيا سجنه ولا يدري
كيف يكون امره فيكفيه ذلك خوفا ومهانة وذلة فلا يجوز له ان يعجب ويستعظم نفسه هذا
هو العلاج الاجمالي للعجب واما التفصيلي فهو ان يقطع اسبابه اعني ما به العجب وهي العلم و
المعرفة والعبادة والطاعة وغير ذلك من الكمالات النفسية كالورع والشجاعة والسخاوة و
النسب والحسب والجمال والمال والقوة والبطش والجاه والاقتدار وكثرة الاعوان والانصار و
الكياسة والتفطن لدقائق الامور والراي الخطا اما العجب بالعلم فعلاجه ان يعلم ان
العلم الحقيقي هو الذي يعرف نفسه وخطر الخاتمة وان من يليق به العظمة والعزة والكبرياء هو
الله سبحانه وما عداه هالك الهوية والذات فاقد الكمال والصفات وهذا العلم يزيد الخوف
والذلة والمهانة والمسكنة والاعتراف بالقصور والتقصير في اداء حقوق الله والشكر بازاء
نعمه ولذا قيل من ازداد علما ازداد وجعا فالعلم الذي لا يوجب ذلك ويورث العجب اما
ليس علما حقيقيا بل هو من العلوم الدنيوية التي ينبغي ان تسمى صناعات لا علوما او صاحبه
خاض فيه وهو خبيث النفس ردي الاخلاق لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها بالمجاهدات و
لم يرضها في عبادة ربه فيبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم وان كان علما حقيقيا صادف

من تعلمه من كان خبيثاً ولم يؤدب نفسه ولم يشتغل في الخيرات فان العلم مثله مثل الغيث ينزل
من السماء عذباً صافياً فاذا شربه الاشجار والنبات يزداد المرّ مرارة والحلو حلواً كذلك
العلم اذا صادف القلوب ازداد القلب المظلم الخبيث ظلمة وخباثة والطيب الصافي
طيباً وصفاء واذا علمت ذلك تعرف انه لا ينبغي العجب بالعلم ويجب عليه ان يعلم انه اذا
اعجب بنفسه صار ممقوتاً عند الله مبغوضاً لديه بما تقدم من الاخبار وقد احب الله منه
الذلة والحقارة عند نفسه وقال بواسطة سفرائه ان لك عندي قدراً ما لم تر لنفسك
قدراً فان رايت لنفسك قدراً فلا قدر لك عندي وقال صغروا انفسكم ليعظم عندي محلكم
فلا ينبغي ان يكلف نفسه ما يحب مولاه وان يعلم ان حجة الله على اهل العلم آكد وانه
يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم لان العالم اذا زلّ زلّ بزلته كثير من الناس
ولان من عصى الله عن علم ومعرفة كانت جنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم
ولذلك قال رسول الله يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها
كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير
ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار وبلعم بن باعورا بالكلب
لتركهم العمل بما علموه وقال رسول الله ص يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون
قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها
الامة اولئك هم وقود النار وقال ع ان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه
وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله
فادخله الله الجنة وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل وقال روح
الله ع ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار وقال ع يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل
ان يغفر للعالم ذنب واحد ولا ريب في ان كل عالم يأمر الناس بالتواضع وذل النفس وانكسارها
وينهاهم عن العجب والكبر وهو معجب متكبر يكون من العلماء السوء وممن لم يعمل بعلمه فيكون
داخلاً تحت هذه الاخبار واي عالم يتصور في هذه الازمنة بانه عمل بجميع ما علم وامتثل ما امر
به ولم يضيع شيئاً من اوامره وتحرز من الجنايات الظاهرة والذنوب الباطنة كالرياء والحسد
والعجب والنفاق وغير ذلك وكيف يمكنه القطع بانه امتثل ما امر به من التكاليف العامة
والخاصة بل خطره اعظم من خطر غيره كيف وقد روي ان حذيفة صلى بقوم فلما سلم قال

في طريق معالجة العجب بالعبادة وبالورع وغيره من الفضائل النفسية

المقام الثاني

لنلتمسن اما ما عندي او لنتصلن وحدانا اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا
كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متاخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض
في هذه الاعصار علماء الاخرة الذين اقبلوا على شانهم واستوحشوا من اوثق اخوانهم وشغلهم
عظيم الامر عن الالتفات الى الدنيا وزهرتها وازعجهم خوف الرحمن عن مضاجعهم في حنادس
الليالي وظلمتها ولا يشتهون من نعيم الدنيا حارا ولا باردا وما هو بهم هما واحدا هيهات
فاني يسمح اخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرون
الاولى وبالجملة ان يوجد في زماننا هذا عالم لا يكون له استطالة وخيلاء ولم يكن متكبرا على الفقراء ومتواضعا
للاغنياء فينبغي لكل عالم ان يتفكر في احواله واعماله وما اريد منه وفي عظم خطره حتى تنكسر نفسه
ويظهر خوفه وحزنه ويبطل كبره وعجبه واما العجب بالعبادة والطاعة فعلاجه ان يعلم ان
الغرض من العبادة هو اظهار الذل والانكسار وصيرورتهما ملكة للنفس ليحصل له معنى العبودية
وحقيقتها فالعجب لما فيه الغرض المقصود منها يبطلها وبعد بطلانها فلا معنى للعجب بها وان
افات العبادة الموجبة لحبطها كثيرة وكذلك شرايطها واداتها التي لا يصح بدونها كثيرة فيمكن ان
يدخلها بعض الافات وتفقد عنها بعض الشرايط والاداب فلا يكون مقبولة عند الله ومع
امكان ردها وعدم قبولها كيف يعجب العاقل بها ومن يمكنه القطع بسلامة طاعاته وعباداته
عن جميع الافات ومن قطع بذلك فهو في غاية الجهل بحقايق الامور على ان فائدة العبادة
انما هو اذا كان عند الله سعيدا ومن جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الالهي
بشقوته فاي نفع يتصور لعبادته حتى يعجب بها ولا ريب في انه لا يخبر احد عن هذا التجويز فما له
الى العجب والتكبر في حال من الاحوال سبيل واما العجب بالورع والتقوى والصبر والشكر والسخاء
والشجاعة وغيرها من الفضايل النفسية فعلاجه ان يعلم ان هذه الفضايل انما تكون نافعة
ومنجية اذا لم يدخلها العجب فاذا دخلها العجب يبطلها وافسدها فما للعاقل ان يرتكب رذيلة
تضيع ما له من الفضايل واني له لا يظهر الذلة والتواضع في نفسه حتى يزيد فضيلة على
فضايلها ويختم لاجلها الجميع بالخير ويصير عاقبته محمودة ويكون مساعيه مقبولة
مشكورة وينبغي ان يعلم ان كل واحد من الفضايل التي يثبته لنفسه موجودة مع الزيادة في
كثير من بني نوعه واذا علم اشتراك الناس معه في هذه الفضيلة زال اعجابه بها وقد نقل
ان واحدا من مشاهير الشجعان اذا قابل خصما اصفر لونه وارتعد فرائصه واضطرب قلبه

فقيل له ما هذه الحالة وانت اشجع الناس واقويهم فقال اني لم امتحن خصمي فلعله اشجع مني و
ايضا النصر والغلبة وحسن العاقبة مع الذلة والمسكنة لا مع الاعجاب بالقوة والشجاعة فان
الله عند المنكسرة قلوبهم ومن المعالجات النافعة للعجب بكل واحد من الصفات الكمالية ان
يقابل سببه بضده اذ علاج كل علة بمقابلة سببها بضده ولما كان علة العجب هو الجهل
المحض فعلاجه المعرفة المضادة له فيقول لكمال الذي به يعجب اما ان يكون يعجب به من حيث
انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه نشأ منه وحصل بسببه وقوته وقدرته فان كان
الاول فهو محض الجهل لان المحل مسخر وانما يجري بما يجري فيه وعليه من جهة غيره ولا مدخل
له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان الثاني فينبغي ان يتامل في قدرته
وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم كماله وعمله انها من اين كانت له فان كان
علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله
اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فان ظن انه تعالى
وفقه لهذا العمل لاتصافه ببعض الصفات الباطنة المحمودة كحبه له تعالى او مثله فيقال له
الحب والعمل كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك و
لا علاقة فليكن الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك واعمالك واسباب اعمالك فاذا
لا معنى لعجب العالم بعلمه وعجب العابد بعبادته وعجب الشجاع بشجاعته وعجب الجميل بجماله و
عجب الغني بماله لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا
من فضله وجوده فانه هو الذي خلقك وخلق اعضائك وخلق فيها القوة والقدرة و
الصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك لم تقدر عليه ثم
خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة لك معه في الاختراع الا انه
خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق العلم
ما لم يخلق القلب الذي هو محله فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك
مستقل بايجاد اعمالك وقد غلطت فان تحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة
الاسباب كلها من الله ليس شيء منها اليك ومن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب
بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وكرمه وفضله في ايثاره اياك على الفساق من عباده
اذ مكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير

ظرايف المنن يعجب بالنسب والحسب يقابله الاوّاب

في المقام الثالث

وهيّئها لك حتى تيسّر لك الخير من غير وسيلة سابقة منك روي ان ايوب ع قال الهي
انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد عليّ امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من
غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انّى لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه
وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولذلك قال الله ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي ص ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فان قيل ما ذكرت من اسناد الصفات
والاعمال (الافعال) ومحلها جميعا الى الله تعالى تؤدّي الى الجبر ونفي التكليف وبطلان الثواب والعقاب
قلنا هذا فرع باب مسئلة يتعلق بعلم آخر ولا يليق بيانها هنا ونحن لم نسلب القدرة و
الاختيار عن العبد بالكلية في متعلق التكليف اعني افعاله الجزئية بل نفينا استقلاله فيها
نعم في غيرها من الاسباب والصفات اللازمة والتوفيق وتحريك البواعث وصرف الموانع
لا قدرة له فيها اصلا ولا يلزم منه فساد واما العجب بالحسب والنسب فعلاجه يتم بمعرفة
امور الاول ان يعلم ان التعزّز بكمال الغير من غاية السفاهة والجهل فانه لو كان خسيسا
في صفات ذاته فمن اين يجبر خسّته كمال غيره ولو كان اباه او جدّه بل لو كان الذي يعجب به
بالانتساب حيّا لكان له ان يقول الفضل لي لا لك وانت دودة خلقت من فضلتي افترى
ان الدودة التي خلقت من فضلة الانسان اشرف من الدودة التي خلقت من فضلة
حمار هيهات فانهما متساويان في الخسّة والشرف للانسان لا للدودة ولذا قال امير المؤمنين

انا ابن نفسي وكنيتي ادبي ... من عجم كنت او من العرب
ان الفتى من يقول ها انا ذا ... ليس الفتى من يقول كان ابي

وقيل

لئن فخرت باباء ذوي شرف ... لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وقد روي ان ابا ذر قال بحضرة النبي ص لرجل يا ابن سوداء
فقال النبي ص يا ابا ذر طفّ الصاع طفّ الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضيلة فاضطجع ابو ذر
وقال للرجل قم فطأ على خدّي وروي ان بلالا لما اذّن يوم الفتح على الكعبة قال جماعة هذا
العبد الاسود يؤذّن فنزل قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال رسول الله ص ان الله قد اذهب
عنكم عبيّة الجاهلية اي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب ونقل ان واحدا من رؤساء اليونان
افتخر على غلام فقال له ان كان منشأ افتخارك آباءك فالتفوّق لهم لا لك وان كان لباسك فالشرف

فصل من متعلقات الباب ذكر امور يمكن بها التنبيه على العجب بالانساب والاحساب

له دونك وان كان مركوباً لك فالفضيلة له لا لك فليس لك شيء يصلح للعجب والمفاخرة
ولذا قال متمم مكارم الاخلاق ص لا تاتوني بانسابكم واتوني باعمالكم الثاني ان يعرف نسبه
الحقيقي فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال
وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ والاصل الذي
يطاء بالاقدام او يغسل منه الاجساد اي رفعة يكون لفرعه الثالث ان يعلم ان من يعجب
بهم بالانتساب من اسلافه ان كانوا من اهل الديانة والخصال المرضية والشرافة الحقيقية
فظاهر انه ما كان من اخلاقهم العجب بل الذلة والازراء على النفس ومذمتها واستعظام
الخلق فان اقتدى بهم في اخلاقهم فلا يليق به العجب والتعزز والا كان طاعنا في نسبه بلسان
حاله وان لم يكونوا من اهل الديانة الواقعية والشرافة العلمية والعملية بل كان لهم مجرد شوكة ظاهرية
كالسلاطين الظلمة واعوانهم فاف لمن يفتخر بهم ويعجب بنفسه لاجلهم اذ الانتساب الى
الكلاب والخنازير احسن من الانتساب اليهم كيف وانهم ممقوتون عند الله معذبون
في النار بحيث لو نظر الى صورهم في النار وما لحقهم فيها من النتن والقذارة لاستنكف
منهم وتبرأ من الانتساب اليهم ولذلك قال ص ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا
فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر وروي
انه افتخر رجلان عند موسى ع فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله
الى موسى قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم واما العجب بالجمال
فعلاجه ان يعلم انه في معرض الزوال بالعلل والآلام والامراض والاسقام واي
عاقل يعجب بشيء يزيله حمى يوم او قرحة او جدري   بر مال وجمال خويشتن غره مشو
كان را بشبي برند واين را بتبي   ولو لم يرتفع بها فهل يشك عاقل بزواله بذهاب
الشباب ومجيء الشيب بالموت الذي لا بد ان يذوقه كل نفس فلينظر الى الوجوه الجميلة و
الابدان الناعمة كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور بحيث تستقذرها الطباع على
انه لو نظر العقلاء في باطنه عند اتصافه بغاية جماله لرأى من الفضائح ما يكدر
عليه العجب والتعزز بنفسه وكله الاقذار في جميع اجزائه البصاق في فمه والمخاط في انفه
والوسخ في اذنه والنتن تحت ابطه والصديد تحت بشرته والفضلات في معدته والرجيع
في امعائه والديدان في احشائه والبول في مثانته والصفراء في مرارته يتردد الى الخلاء

علاج العجب الحاصل من القوة بتذكر ما يعقبها من الضعف والزوال

المقام الثاني

كل يوم مرتين ويغسل الغائط كل يوم بيده مرتين يخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وخرج من مجارى الاقذار اعنى الصلب والذكر والرحم والفرج ولو ترك نفسه في حيوته يوما لم يتعهده بالغسل والتنظيف لثارت منه الانتان والاقذار وصار اقذر وانتن من الدواب المهملة هذا اوله ووسطه وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار فما للعاقل ان يعجب ويتعزز بهيئة حاصلة لبدن هذه حقيقته واما العجب بالمال فهو عجب بامر خارج عن ذات الانسان فهو اقبح انواع العجب وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكونه في معرض الفناء والزوال من الغصب والنهب والحرق والغرق وغير ذلك من الآفات السماوية والارضية ويتذكران في اليهود والهنود من يزيد عليه في المال او الشرف بسبقه اليهود والهنود وان لشرف باخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا ويتذكر ما ورد في ذم المال وحقارة الاغنياء وفي فضيلة الفقر وشرافة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة وما ورد في عقوبة المعجب بالمال بخصوصه كقوله صلى الله عليه وآله بينما رجل يتبختر في حلة له متبختر قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة واشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وكيف يتصور المؤمن العاقل ان يعجب بالمال ويفرح به مع كثرة حقوقه وعظم غوائله وايجابه المؤاخذة وطول المحاسبة في القيمة والعقوبة والنكال ان كان حراما وانحطاط المرتبة والدرجة ان كان حلالا بل ينبغي لمن له مال لا يخلو ساعة عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوقه واخذه من حله ووضعه في حقه واما العجب بالقوة وشدة البطش فعلاجه ان يتذكر ما سلط عليه من العلل والامراض وان حمى يوم يضعف قوته ويتحلل منها ما لا ينجبر في مدة وانه لو توجع عرق واحد من بدنه صار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته ثم اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار وجمل وفيل وبقر واى عجب وافتخار في صفة يسبقه البهائم فيها هذا مع ان الغالب ان من يعجب بقوته يسلبها الله تعالى عند ادنى آفة يسلطها عليه واما العجب بالجاه والمنصب وولاية السلاطين وكثرة الاتباع والانصار من الاولاد والاقارب والقبائل والعشائر والخدم والغلمان فعلاجه ان يعلم ان كل ذلك في معرض

طريق علاج العجب بالمال والكثرة وبالعقل والكياسة وبالرأي

الانقطاع وسيقرب يقع بينه وبينها المفارقة اما بفنائه وموته او بفنائها وهلاكها
بل العاقل يجدها كسراب بقيعة وانما هي خيالات تظن شيئا وليست بشيء وسيفترق عنه
اذا مات ودفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه اهل واولاد ولا اعوان واتباع فيسلمونه
الى البلاء والى العقارب والحيات والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكيف
يعجب العاقل بمن يفارقه في اشد احواله على انهم في الدنيا يتبعونه ما دام يحصل منه
ما يشتهونه من البذل والاعطاء فلا بد له من ايقاع نفسه في المهالك والتعرض لسخط الله
وعقوبته لتحصيل الاموال من الوجوه المحرمة وصرفها اليهم ليستمروا على متابعته واعانته
ولو نقص شيء مما يتمنونه تعرضوا لمقته وعداوته فضلا عن بقائهم على حمايته واطاعته
ثم العجب بتمكين السلطان وولاية سياسة امره على قلب هو اشد غليانا من القدر اذا
لو تغير عليه كان اذل الخلق واما العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور فعلاجه
ان يعلم ان ذلك يزول عنه بادنى مرض يصيبه في دماغه وربما زال عقله دفعة مع انه ان
كان في الواقع فطنا كيسا في الامور يلزمه عليه ان يشكر الله على ذلك ويستغفر عقله و
فطانته ليبقى الله تعالى عليه تلك النعمة ولا يسلبها عنه لاجل عجبه واما العجب بالرأي الخطأ
الذي يزين له بجهله فهو اقبح انواع العجب اذ جميع اهل البدع والضلال والفرق الذين
اختاروا مذاهب باطلة وآراء فاسدة انما اصروا عليها لعجبهم بها ولذا يفتخرون
بمذاهبهم على غيرهم وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب
بما لديهم فرحون فكل من استحسن ما يسول اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه حقا يكون
له هذا العجب وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وعلاجه اشد من
علاج غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف
اذ العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه اذا لم يكن معجبا برأيه وجهله واذا كان معجبا به يتهمه ولا يصغي اليه حتى يعالجه
فقد سلطت عليه بلية تهلكه وهو يظن انها نعمة وكيف يطلب الهرب مما يعتقد انه سبب سعادته
وانما علاجه في الجملة ان يكون متهما لرأيه لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع عقلي او نقلي لا يعتريه ريب و
شبهة ومعرفة ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها موقوفة على عقل ثابت
وقريحة تامة مستقيمة مع جد وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة اهل العلم
ومدارسة العلوم طول العمر ومع ذلك لا يؤمن عليه الغلط فالصواب للكل الا من ايده الله

المقام الثاني

في ان الكبر نوع من الرذائل المتعلقة بالقوة الغضبية

بقوة قدسية يتمكن بها من الخوض في غمرات العلوم ان لا يخوض في المذاهب الباطلة ولا يصغي
اليها ويتبع اهل الوحي في ما جاءوا به من عند الله في الاصول والفروع **وصل** ضد العجب
انكسار النفس واستحقارها وكونها في نظره ذليلة مهينة وكما ان العجب مجرد استعظام النفس
من دون اعتبار استصغار الغير معه فكذا ضده مجرد استحقار النفس من دون اشتراط
اعظام الغير معه اذ الاول مع اعتبار الثاني تكبر والثالث مع اشتراط الرابع تواضع وهما ضدان
ثم لا ريب في فوائد انكسار النفس واستصغارها وكل من بلغ مرتبة عظيمة فانما بلغ بهذه
الصفة لان الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم وقال رسول الله ما من احد الا ومعه ملكان وعليه
حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم
ارفعه وروي انه اوحى الله تعالى الى موسى ع ان يا موسى اتدري لم اصطفيتك بكلامي دون
خلقي قال يا رب لم ذلك فاوحى الله اليه اني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم اجد فيهم احدا
اذل نفسا لي منك يا موسى انك اذا صليت وضعت خدك على التراب وروي انه لما
اوحى الله تعالى الى الجبال اني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن فتطاولت وشمخت وتواضع
الجودي فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماري اتقن وهو
بالسريانية رب اصلح ومنها الكبر وقد عرفت انه الركون الى رؤية النفس فوق الغير و
بعبارة اوضح هو عزة وتعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقاد المزية والرجحان
عليه فهو يستدعي متكبرا عليه وبه ينفصل عن العجب اذ العجب مجرد استعظام النفس من
دون اعتبار رؤيتها فوق الغير فالعجب سبب الكبر والكبر من نتائجه ثم الكبر اي العزة
الموجبة لرؤية النفس فوق الغير هو خلق في الباطن يقتضي اعمالا في الظاهر هي ثمراته
ويسمى تلك الاعمال الظاهرة الصادرة منه تكبرا ولذا من تعزز ورأى نفسه باطنا
فوق الغير من دون صدور فعل على جوارحه يقال له كبر واذا ظهر الاعمال يقال له تكبر
وهذه الاعمال الظاهرة التي هي ثمرات خلق الكبر افعال واقوال يوجب تحقير الغير والازراء
به كالترفع عن مواكلته ومجالسته والاستنكاف عن مرافقته ومصاحبته وابعاده عن
نفسه وابائه عن الجلوس بجنبه وانتظاره ان يسلم عليه وتوقعه ان يقوم مائلا بين
يديه والاستنكاف من قبول وعظه وتعنيفه في ارشاده ونصحه وتقدمه عليه في الطرق
والطرقات وعدم الالتفات اليه في المحاورات وتوقع التقديم عليه في كل ما يدل على

ذكر آفات الكبر وعلاجه وبعض ما ورد في ذمه من الآيات والأخبار

التعظيم عرفا وبالجملة الاعمال الصادرة عن الكبر كثيرة ولا حاجة الى احصائها لكونها مشهورة معروفة ومن جملتها الاختيال في المشي وجر الثياب اذ فاعلها يرى نفسه فوق الاكثر ويقصد بهما استحقارهم فهما يقتضيان متكبرا عليه فيكونان من انواع التكبر وما ورد في ذمهما بدل ايهم على ذمه كما يأتي وهذه الافعال المعبر عنها بالتكبر قد يصدر عن الحقد او الحسد او الرياء وان لم يكن في النفس عزة وتعظم **فصل** الكبر آفته عظيمة وغائلته هائلة وبه هلك خواص الانام فضلا عن غيرهم من العوام وهو الحجاب الاعظم للوصول الى اخلاق المؤمنين اذ فيه عزة تمنع عن التواضع وكظم الغيظ وقبول النصح والدوام على الصدق وترك الغضب والحقد والحسد والغيبة والازراء بالناس وغير ذلك فما من خلق مذموم الا وصاحب الكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من فوات عزه ولذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات والاخبار قال الله سبحانه كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ وقال إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ وقال سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ وقال وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الى قوله وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ وقال ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ وقال وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ وقال إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ وقال إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من خردل من كبر وقال من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وقال صلى الله عليه وآله لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال قال الله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما القيته في جهنم وقال صلى الله عليه وآله لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال صلى الله عليه وآله يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلث بكل جبار عنيد وبكل من دعى مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وآله ثلث لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك جبار ومقل مختال وقال صلى الله عليه وآله بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولهى ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدء والمنتهى وقال صلى الله عليه وآله اهل النار كل جعظري وكل جواظ مستكبر مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون

وقال ان ابغضكم الينا وابعدكم منا في الآخرة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون اي المتكبرون وقال يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال ونصا اهل النار وقال يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صورة الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله وقال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكن فيه كل جبار وقال ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض والمطيطا مشية فيها اختيال وقال عيسى بن مريم كما ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون انه من يتشمخ براسه الى السقف شجه ومن يطاطا اظله واكنه ولما حضر نوحا الوفاة دعا ابنيه فقال اني امركما باثنتين وانهيكما عن اثنتين انهيكما عن الشرك والكبر وامركما بلا اله الا الله وسبحان الله وبحمده وقال سليمان بن داود يوما للطير والجن والانس والبهايم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه في البحر فسمع صوتا يقول لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال الباقر الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وقال العز رداء الله والكبر رداؤه فمن تناول شيئا منه اكبه الله في جهنم وقال الصادق ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكى الى الله شدة حره وسئله ان ياذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال ما من احد تكبر او تجبر الا لذلة وجدها في نفسه وقال ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه وقال الجبار الملعون من غمض الناس وجهل الحق قال الراوي اما الحق فلا اجهله والغمض لا ادري ما هو وقال من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار وقال ما من عبد الا وفي راسه حكمة وملك يمسكها فاذا تكبر قال له اتضع وضعك الله فلا يزال اعظم الناس في نفسه وهو اصغر الناس في اعين الناس فاذا تواضع رفعها الله ثم قال له انتعش نعشك الله فلا يزال اصغر الناس في نفسه وهو ارفع الناس في اعين الناس **فصل** التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون وسببه الطغيان ومحض الجهل وهو افحش انواع الكبر اذ هو اعظم افراد الكبر ولذا تكرر في ذمه في الآيات بقوله

بحر في اختلاف اقسام التكبر وقوامه ونفاته والاثار المنبعثة عنها

انّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا وقوله تعالى ثمّ لننزعنّ من كلّ شيعةٍ ايّهم اشدّ على الرّحمن عتيّا وقوله والّذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقد يكون على الرّسل من حيث تعزّز النّفس وترفّعها عن انقيادهم كما كان لمن يقول أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ولمن يقول انؤمن لبشرين مثلنا وان انتم الّا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انّكم اذا لخاسرون ولمن قال لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربّنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوّا كبيرا وهذا في الشّناعة قريب من التكبّر على الله وان كان دونه وقد يكون على العباد بان يستعظم نفسه ويستصغرهم وهذا وان كان دون الاوّلين الّا انّه من المهلكات العظيمة من حيث انّه يؤدّي الى مخالفة الله سبحانه اذ صاحبه اذا سمع الحقّ من عبد استنكف من قبوله واشمأزّ بجحده ومن حيث انّ العزّ والعظمة والعلى لا يليق الّا بالعليّ الاعلى فمهما تكبّر العبد نازع الله في صفة من صفاته ولذا قال الله سبحانه العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته **فصل** للكبر درجات ثلث الاولى ان يكون مستقرّا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره ويظهره في افعاله بالتّرفّع في المجالس والتّقدّم على الاقران وان كان يصعّر خدّه للنّاس كانّه معرض عنهم ويعبّس وجهه ويقطّب جبينه وفي اقواله باظهار الانكار على من يقصر في ما يتوقّعه من التّعظيم وابداء الدّعوى والمفاخرة والمباهات وتزكية النّفس والتّشمير لغلبة الغير في العلم والعمل وهذه الدّرجة اقبح الدّرجات واشدّها اذ صاحبها قد رسخت في قلبه شجرة الكبر وارتفعت اغصانها وفروعها بحيث احاطت على جميع جوارحه الثّانية كالاولى الّا في اظهاره على اللّسان وهي دون الاولى لكونها اقلّ اغصانا منها الثّالثة ان يكون مستقرّا في قلبه بحيث رأى نفسه خيرا من غيره الّا انّه يجتهد في التّواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا وان رسخت في قلبه شجرة الكبر الّا انّه قطع اغصانها بالكلّيّة فان كان مع ذلك منكرا على نفسه فيما رسخ فيها ومغضبا عليها ومشمّرا لازالتها الّا انّه لم يقدر على دفعه بسرعة وسهولة ويميل النّفس الى ما تشتهيه في بعض الاحيان بدون اختيار ولكنّه كان في مقام المجاهدة فلعلّه لم يكن عليه كثير اثم ومثله يوفّقه الله للوصول الى ما يطلبه بمقتضى وعده **فصل** الكبر كالعجب في كيفيّة العلاج اجمالا وتفصيلا اذ الكبر لمّا تضمّن معنى العجب اي استعظام النّفس كان العجب منشأ له فاذكر

في درجات الكبر

في ذكر العلاج علما وعملا

المقام الثاني

لعلاج مطلق العجب بالبواعث المذكورة هو العلاج لمطلق الكبر ايضا ولكون ما به الكبر اعني
بواعثه هي بواعث العجب بعينها فما ذكر لعلاج العجب بالبواعث المذكورة مشترك بينهما ومن
المعالجات المختصة بالكبر ان يتذكر ما ورد في ذمه من الآيات والاخبار المذكورة وغيرها و
يتامل في ما ورد في مدح ضده اعني التواضع كما ياتي ولكون الكبر مشتملا على شيء زائد على
العجب هو رؤية النفس فوق الغير فينبغي ان يعلم ان الحكم بخيرية نفسه من الغير غاية الجهل و
السفاهة فلعل في الغير من خفايا الاخلاق الكريمة ما ينجيه وفيه من الملكات الذميمة ما
يهلكه ويرديه وكيف يجتري صاحب البصيرة ان يرجح نفسه على الغير مع ابهام الخاتمة وخفاء
الاخلاق الباطنة واشتراك الكل في الانتساب الى الله ثم وفي صدورها وترشحها منه و
معلوليتها وافتقارها اليه فالواقف بخطر الخاتمة واناطة النجاة والهلاك بالبواطن لا يرى لنفسه
مزية على غيره والعارف بكون كل فرد من افراد الموجودات اثرا من آثار ذاته ولمعة من لمعات
انوار صفاته بل رشحة من رشحات فضله وجوده وقطرة من قطرات تيار فيض وجوده
لا ينظر الى احد بنظر السوء والعداوة بل يشاهد الكل بعين الخيرية والمحبة فان قيل كيف
يحسن ان يتواضع العالم الورع للجاهل الفاسق ويراه خيرا من نفسه مع ظهور جهله و
فسقه وقطعه باتصاف نفسه بالعلم والورع وخلوه عنهما وكيف يجوز له ان يحب فاسقا او
كافرا او مبتدعا ويتواضع له ولا يعاديه مع انه مبغوض عند الله فيكون مامورا ببغضه والجمع
بين الحب والتواضع وبين البغض جمع بين النقيضين اجيب عن الاول بان حقيقة التواضع
ان لا يرى النفس لذاتها مزية واقعية وخيرية حقيقية على الغير لا ان لا يرى مزية لذاتها عليه
في الصفات الظاهرة التي يجزم باتصاف نفسه بها وعدم اتصافه بها كالعلم والعبادة والسخاوة و
والعدالة والاجتناب عن الاموال المحرمة وغير ذلك اذ العالم ببعض العلوم لا يمكنه ان
يدفع عن نفسه القطع بكونه عالما بها وكون الفلان العامي غير عالم بها لكن المزية الواقعية
والخيرية النفس الامرية انما هو بالتقرب الى الله والوصول الى السعادة الدائمة ولا شك في
ان ذلك لا يحصل بمجرد تعلم بعض العلوم والمواظبة على بعض العبادات او غير ذلك من الصفات
المحمودة بل المناط فيه حسن الخاتمة وهو امر مبهم اذ العواقب مطوية عن العباد فيمكن ان
يسلم الكافر ويختم له بالايمان ويضل هذا العالم الورع ويختم الله له بالكفر فعلى كل عبد ان راى من
هو شر منه ظاهرا ان يقول لعل هذا انجى واهلك انا فلا يراه شرا من نفسه في الواقع خائفا

تشكيك ودفع

تنبيه وتشنيع

بيان امكان الجمع بين التواضع والبغض لله وذكر العلاج العلمي للكبر

من العاقبة ويقول العلم ان هذا باطن بان يكون بينه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله و
يتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ويرى ظاهره لا يأمن ان يدخله الآفات فتحبطه و
ما يجهله ملاحظة الخاتمة والسابقة والعلم بان الكمال في القرب من الله وسعادة الآخرة
دون ما يظهر في الدنيا من الاعمال الظاهرة يوجب نفي الكبر والتواضع لكل احد وفيه
الثاني ان الحب ينبغي ان يكون لاجل النسبة الشريفة المذكورة والتواضع لاجل ملاحظة الخاتمة
ويبغضه ويغضب عليه لاجل ما ظهر منه من الكفر والفسوق واي منافات بين الغضب لله
في صدور معصية من عبد وبين عدم الكبر والادلال اذ الغضب انما هو لله لا للنفس اذ
امرك بان تغضب عند مشاهدة المنكر والتواضع وعدم الكبر انما هو بالنظر الى نفسك
بان لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا في حال غضبك عليه لامر الله بل يكون خوفك
على نفسك مما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة فليس من
ضرورة الغضب والبغض لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره ومثال
ذلك ان يكون لملك غلام وولد وقد وكل الملك الغلام على ولده بان يراقبه ويضربه مهما
ساء ادبه ويغضب عليه اذا اشتغل بما لا يليق به فان كان الغلام مطيعا محبا للمولى يغضب عليه اذا
ساء ادبه امتثالا لامر مولاه ومع ذلك يحبه لانتسابه الى مولاه بالولادة ولا يتكبر عليه و
يتواضع له ويرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام ثم
ما ذكرناه لعلاج الكبر انما هو العلاج العلمي واما العلاج العملي فهو ان يتواضع بالفعل لله ولسائر
الخلق ويواظب على اخلاق المتواضعين ويكلف نفسه على ذلك الى ان ينقطع عن قلبه شجرة الكبر
باصولها وفروعها ويصير التواضع ملكة له وللقطع الكلي وحصول ملكة التواضع امتحانات
يعرف بها فلا بد ان يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بانه متواضع اذ النفس قد تدعي التواضع وتبدي
البراءة من الكبر فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها الاول فمنها ان يناظر
مع اقرانه في بعض المسائل فاذا ظهر شيء من الحق على لسانهم فهو دليل بقاء الكبر بعد فليعالجها
من حيث العلم بان يتذكر سوء عاقبته وخسة نفسه وخباثتها من حيث ان قبول الحق يثقل
عليها ومن حيث العمل بان يكلف نفسه على ما يثقل عليها من الاعتراف بالحق واطلاق
اللسان بالثناء والشكر والاقرار على نفسه بالعجز والقصور ويقول لهما احسن فطانتك لقد
ارشدتني الى الحق فجزاك الله خيرا فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له

فان اعترف مع التحرج والانقباض
والتكلف فيهم اباء عليه غلبة عند
فهو علاج التواضع وان نفذ عليه
التقبل والاعتراف ولم يستبد فهو
الحق على لسانهم مع

طبعا وسقط ثقل الخضوع عن قلبه وطاب له قبوله وان لم يثقل عليه في الخلوة وثقل عليه في
الملاء فليس فيه تكبر بل فيه رياء فليعالج بما يأتي في معالجة الرياء الثاني ان يقدم الاقران
والامثال على نفسه في المحافل ويمشي خلفهم في الطرق فان لم يثقل ذلك عليه فهو متواضع
والا فمتكبر فليتكلف معهم بالتكلف ويجلس تحتهم ويظهر السرور والارتياح بذلك حتى تسقط
عنه ثقله قال ابو عبد الله عليه السلام ان من التواضع ان يجلس الرجل دون شرفه وقال ع من
التواضع ان يرضى بالمجلس دون المجلس وان تسلم على من تلقى وان تترك المراء وان كنت
محقا ولا تحب ان تحمد على التقوى ومن المتكبرين من اذا لم يجد مكانا في الصدر يجلس في صف
النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الاراذل ولا يجلس تحتهم وغرضهم من ذلك اسقاط
الاقران او ايهام ان تركهم للصدر انما هو بالتفضل فهو اشد انواع التكبر الثالث ان يجيب دعوة
الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب ويحمل حاجتهم وحاجة نفسه من السوق الى
البيت فان لم يثقل عليه ذلك في الخلوة والملأ فليس فيه كبر ورياء وان ثقل عليه فيهما ففيه
كبر ورياء وان ثقل عليه عند مشاهدة الناس دون الخلوة ففيه رياء دون الكبر قال
امير المؤمنين ع لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وروي انه اشترى لحما
بدرهم فحمله في ملحفته فقال له بعضهم احمل عنك يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال احق ان
يحمل وروي ان الصادق ع نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما
راه الرجل استحيى منه فقال له ابو عبد الله ع اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا
اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم الرابع ان يلبس ثيابا بذلة
فان لم يثقل عليه ذلك اصلا فليس فيه كبر ورياء والا كان متكبرا او مرائيا قال رسول الله
من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال ص انما انا عبد اكل في الارض
والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي
فليس مني وقيل لسلمان لم لا تلبس جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست
اشار به الى العتق في الاخرة وقال رسول الله ص البذاذة من الايمان اي الدون من اللباس من
الايمان وعوتب امير المؤمنين ع في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلوب
الخامس ان ياكل مع خدامه وغلمانه فان لم يثقل عليه فهو متواضع والا فمتكبر وروي عن
رجل من اهل بلخ قال كنت مع الرضا ع في سفره الى خراسان فدعا يوما بمائدة فجمع

عليها مواليه من السودان وغيرهم فقلت جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة فقال ع ان
الرب تع واحد والدين واحد والام واحدة والاب واحد والجزاء بالاعمال والامتحانات
لبقاء الكبر ليست منحصرة بما ذكر بل هي كثيرة كان يحب قيام الناس له او بين يديه قال امير
المؤمنين ع من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام
وقال بعض الصحابة لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله وكانوا اذا راوه لا يقومون له لما
يعلمون من كراهته لذلك وان يحب ان يمشي خلفه غيره وقد روي انه لا يزال العبد يزداد
من الله بعدا ما مشي خلفه وكان رسول الله في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم
ويمشي في غمارهم وان لا يزور غيره وان كان في زيارته فائدة دينية وان يستنكف من مجالسة
الفقراء والمعلولين والمرضى روي انه دخل على رسول الله رجل عليه جدري قد تقشر وعنده
اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي ص بجنبه وكان ع في نفر من اصحابه
ياكلون في بيته اذ دخل عليهم رجل به زمانة تكره الناس لاجلها فاجلسه رسول الله على فخذه و
قال له اطعم وكان رجل من قريش اشماز منه ويكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة
مثلها وقد مر سيد الساجدين ع على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى
الغذاء اما اني لولا اني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه
ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدا معهم وقس على هذه غيرها من الامتحانات ولقد كانت سيرة
رسول الله جامعة لجميع ما يتحقق به التواضع بريئة عن جميع ما يتصف من الكبر من الافعال
والحركات فينبغي لكل مؤمن ان يقتدي به وقد روى ابو سعيد الخدري انه ص كان يعلف الناضح
ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن
عنه اذا اعيى ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه
فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله
من صغير او كبير اسود واحمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله ولا حلة
لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف
الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة
طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا في
غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما بكل ذي قربى قريبا من كل ذمي ومسلم رقيق القلب

فيه مدح التواضع واشارة الى مضار الكبر والاخبار الواردة في فضله

دائم الاطراق لم يشبع قط من شبع ولا يمد يده الى طمع هذا وقال ابو الحسن عم التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه وسئل عن حد التواضع الذي اذا فعله العبد كان متواضعا فقال التواضع درجات منها ان يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب ان يؤتى الى احد الا مثل ما يؤتى اليه ان راى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين **وصل** قد اشير الى ان ضد الكبر التواضع وهو انكسار للنفس يمنعها من ان ترى لذاتها مزية على الغير ويلزمها افعال واقوال موجبة لاستعظام الغير واكرامه والمواظبة عليها اقوى معالجة لازالة الكبر ولا بد من الاشارة الى الاخبار الواردة في مدح التواضع وفوائده تحريكا للطالبين الى السعي في تحصيل الموجب لازالة ضده وهذه الاخبار كثيرة خارجة عن حد الاحصاء فنكتفي بايراد بعض منها قال رسول الله ص ما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال ص طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذلة والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وروي ان الله سبحانه اوحى الى موسى انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال رسول الله ص لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال ص اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال ص اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال ص اربع لا يعطيهن الله الا من يحبه الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ص ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال ص من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن اكثر ذكر الموت احبه الله ومن اكثر ذكر الله اظله الله في جنته وروي انه ص اتاه ملك فقال ان الله يخيرك ان تكون عبدا رسولا متواضعا او ملكا رسولا فنظر ص الى جبرئيل واومى بيده ان تواضع فقال ص عبدا رسولا فقال الرسول يعني الملك مع انه لا ينقصك مما عند ربك شيئا وقال عيسى بن مريم ع طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله يوم القيمة وقال ص ان التواضع لا يزيد

بقية الاخبار والآثار في فضيلة التواضع وعلامة المتواضع

العبد لا رفعه تواضعوا رحمكم الله واوحى الله تعالى الى داود عم يا داود كما ان اقرب الناس الى الله المتواضعون
كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون وروى ان سليمان بن داود عم اذا اصبح تصفح وجوه
الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين ليقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين
وروى انه ورد على امير المؤمنين عم اخوان له مؤمنان اب وابن فقام اليهما واكرمهما
واجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين ايديهما ثم امر بطعام فاحضر فاكلا منه ثم جاء قنبر
بطشت وابريق وماء ليصب على يد الرجل فوثب امير المؤمنين واخذ الابريق ليصب على
يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال يا امير المؤمنين الله يراني وانت تصب على يدي
قال اقعد واغسل فان الله عز وجل يراك واخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك
يريد بذلك خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف اهل الدنيا فقعد الرجل وقال علي عم
اقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصاب
عليك قنبر ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال يا بني لو كان
هذا الابن حضرني دون ابيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يأبى ان يساوي بين ابن و
ابيه اذا جمعهما مكان لكن قد صب الاب على الاب فليصب الابن على الابن فصب محمد بن الحنفية
على الابن وقال الصادق عم التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة
يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه
مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع سيماء يعرفها اهل
السموات من الملائكة واهل الارض من العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال
يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز و
جل عبادة يرضيها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا
المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل اعز خلقه
وسيد بريته محمدا صلعم بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء وانهن لا يأتين الا منها وفيها ولا يسلم الشرف
التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله وقال الامام ابو محمد الحسن بن علي العسكري عم اعرف
الناس بحقوق اخوانهم واشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شأنا ومن تواضع في الدنيا

المقام الثاني

لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب عليه السلام حقا تتميم لما
عرفت ان كل فضيلة وسط له طرفان مذمومان الكبر كما عرفت وهو من طرف الافراط و
اخرهما الذلة والتخاسس وهو من طرف التفريط فكما ان الكبر مذموم فكذلك المذلة و
التخاسس ايضا مذموم اذ كلا طرفي الامور ذميم والمحمود هو التواضع من دون الخروج
الى شيء من الطرفين اذ احب الامور الى الله اوسطها وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو
العدل فلو وقع في طرف النقصان فلم يرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه فالعالم اذا دخل عليه
اسكاف فتخلى له مجلسه واجلسه فيه وترك تعليمه وافادته واذا قام عدا الى الباب خلفه فقد
تخاسس وتذلل وهو غير محمود بل هو رذيلة في طرف التفريط فاللازم اذا وقع فيه ان يرفع
نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم فان العدل ان يتواضع بمثل ما ذكر
لامثاله ولمن يقرب من رتبته فاما تواضعه للسوقي فبالبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة
دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه نظرا الى خطر الخاتمة ثم
ينبغي ان لا يتواضع للمتكبرين اذ الانكسار والتذلل لمن يتكبر ويتعزز مع كونه من التخاسس و
المذلة المذمومة يوجب ضلال هذا المتكبر وتقريره على تكبره واذا لم يتواضع له الناس
وتكبروا عليه ربما تنبه وترك التكبر اذ المتكبر لا يرضى بتحمل المذلة والاهانة من الناس ولذا
قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا
عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار ومنها الافتخار اي المباهاة باللسان بما يتوهمه كمالا والغالب
كون المباهاة بالامور الخارجة عن ذاته وهو بعض اصناف التكبر كما اشير اليه فكلما ورد في
ذمه يدل على ذمه والاسباب الباعثة عليه هي اسباب التكبر وقد تقدم ان شيئا منها
لا يصلح لان يكون منشأ للافتخار فهو ناش من محض الجهل والسفاهة قال سيد الساجدين عليه السلام
عجبا للمتكبر الفخور الذي كان بالامس نطفة ثم غدا جيفة وقال الباقر عليه السلام عجبا للمختال الفخور
وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به وقال عليه السلام صعد
رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر يوم فتح مكة فقال ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية و
تفاخرها بآبائها الا انكم من آدم وآدم من طين الا ان خير عباد الله عبد اتقاه وقال
له عقبة بن بشير الاسدي انا في الحسب الضخم عزيز في قومي فقال له لا تمن علينا بحسبك ان
الله تعالى رفع بالايمان من كان الناس يسمونه وضيعا اذا كان مؤمنا ووضع بالكفر من كان

من الباب الثالث

في البغي من انواع الرذائل

الناس يسمونه شرها اذا كان كافرا فليس لاحد فضل على احد الا بتقوى الله وقال الصادق ع قال رسول الله صلى الله عليه وآله آفة الحسب الافتخار والعجب وقال افتخر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الرجل انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اما انك عاشرهم في النار ونقل ان القريش تفاخروا عند سلمان فقال لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم ثم ضده استحقار نفسه وترجيح غيره عليها بالقول ومنها البغي ويسمى البذخ ايضا وهو صعوبة الانقياد والتابعية لمن يجب ان ينقاد وقد فسر بمطلق العلو والاستطالة سواء تحقق في ضمن عدم الانقياد لمن يجب ان ينقاد او في ضمن احد افعال الكبر او في ضمن الظلم والتعدي على الغير وعلى اي تقدير هو افحش انواع الكبر اذ عدم الانقياد لمن يجب ان ينقاد يؤدي الى الكفر الموجب للهلاكة الابدية ولقد هلك بذلك اكثر طوائف الكفار كاليهود والنصارى وكفار قريش وغيرهم وكذا الظلم والتعدي على المسلم والاذلال بالمقهورية والمغلوبية من المهلكات العظيمة ولذا ورد في ذمه ما ورد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان اعجل الشر عقوبة البغي وقال صلى الله عليه وآله حق على الله عز وجل ان لا يبغي شيء على شيء الا اذله الله ولو ان جبلا بغى على جبل لهد الله الباغي منهما وقال امير المؤمنين ع ايها الناس ان البغي يقود اصحابه الى النار وان اول من بغى على الله عناق بنت آدم واول قتيل قتله الله عناق وكان مجلسها جريبا في جريب وكان لها عشرون اصبعا في كل اصبع ظفران مثل المنجلين فسلط الله عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالبغل فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على افضل احوالهم وآمن ما كانوا وقال الصادق ع يقول ابليس لجنوده القوا بينهم الحسد والبغي فانهما يعدلان عند الله الشرك وكتب ع الى بعض اصحابه انظر ان لا تكلمن بكلمة بغي ابدا وان اعجبتك نفسك وعشيرتك وعلاجه ان يتذكر اولا هذه الاخبار الواردة في ذمه وثانيا ما ورد في مدح ضده اعني التسليم والانقياد لمن يلزم اطاعته وتابعيته كقولهم ع شيعتنا المسلمون والآيات والاخبار الواردة في وجوب اطاعة الله واطاعة النبي ص واولي الامر وغيرهم من العلماء والفقهاء الذين هم نواب الائمة في زمن الغيبة وبعد ذلك يكلف نفسه التابعية والاطاعة لمن يجب ان يطاع ويخضع له قولا وفعلا حتى يصير ذلك له ملكة ومنها تزكية النفس اي نفي النقايص عنها واثبات الكمالات لها وهو من نتايج العجب وقبحه اظهر من ان يخفى اذ من عرف حقيقة الامكان ثم اطلع على خلق الانسان يعلم انه عين القصور والنقصان فلا يطلق بمدح نفسه

في تزكية النفس من انواع الرذائل

المقام الثاني

في انواع الرذائل العصبية

اللسان على انه يتضمن بخصوصه قبحا يشهد به الذوق والوجدان ولذا قال امير المؤمنين ع تزكية المرء لنفسه قبيحة وقد تقدم ما يكفيك لمعرفة حقارة الانسان وخساسته ثم ضد التزكية عدم تبرئة نفسه من العيوب والاقرار بها واثبات النقايص لها فاذا كلف نفسه عليه وفعل ذلك مرات متوالية يصير معتادا له ويزول عنه ما اعتاده من مدح نفسه ومنها العصبية وهو السعي في حماية نفسه او ماله اليه نسبة من الدين والاقارب والعشاير واهل البلد قولا او فعلا فان كان ما يحميه ويدفع عنه السوء مما يلزمه حفظه وحمايته وكان حمايته بالحق من دون خروج من الانصاف والوقوع في ما لا يجوز شرعا فهو الغيرة الممدوحة التي من فضائل قوة الغضب كما مر وان كان مما لا يلزمه حمايته او كان حمايته بالباطل بان يخرج عن الانصاف ويرتكب ما يحرم شرعا فهو التعصب المذموم وهو من رذائل قوة الغضب ثم الى ذلك يشير كلام سيد الساجدين ع حيث سئل عن العصبية فقال العصبية التي ياثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم اخرين وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم والغالب اطلاق العصبية في الاخبار على التعصب المذموم ولذا ورد بها الذم كقول النبي ص من تعصب او تعصب له فقد خلع ربق الايمان من عنقه وقوله ص من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيمة مع اعراب الجاهلية وقال السجاد ع لا يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب وذلك حين اسلم غضبا للنبي ص في حديث السلا الذي القي على النبي ص وقال الصادق ع ان الملائكة كانوا يحسبون ان ابليس منهم وكان في علم الله انه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب فقال خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ومنها كتمان الحق والانحراف عنه وباعثه اما العصبية او الجبن فهو من نتايج واحد منهما فعلى الاول يكون من رذائل قوة الغضب من جانب الافراط وعلى الثاني يكون من رذائلها من جانب التفريط وربما كان الباعث في بعض افراده الطمع المالي الا ان الظاهر كون الفاعل المباشر النفس مع رذائل قوة الغضب كما في نفس الغضب وغيره اذ ما لم يحصل في النفس ضعف في القوة الغضبية ونحوه لم يتحقق كتمان الحق ويندرج تحته الميل في الحكم وكتمان الشهادة وشهادة الزور وتصديق المبطل وتكذيب المحق وغير ذلك والظواهر الدالة على ذمه مطلقا وعلى كل واحد من الاصناف المندرجة تحته كثيرة ولا حاجة الى ذكرها لاشتهارها وعلاج

في ترجيح

من لباب الثالث

ميتن بها ارالانصاف واد

في مدح الانصاف وذكر بعض الاخبار الواردة في ذلك وفي ذم القساوة

العصبية وكتمان الحق ان يتدارك الا ايجابهما لسخط الله ومقته وربما تاديا الى الكفر وثانيا
فوايد ضدهما اعنى الانصاف والاستقامة على الحق وبعد ذلك يكلف نفسه على اظهار
ما هو الحق والعمل به ولو بالمشقة الشديدة الى ان يصير ذلك عادة له فيزول عن نفسه
ما يترتب الها ملكة من التعصب وكتمان الحق **وصل** لما كان ضدهما الانصاف والاستقامة
على الحق فلنشر الى بعض ما ورد في مدحهما ترغيبا للطالبين الى الاخذ بهما قال رسول الله صلعم لا
يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
وبذل السلام وكان صلعم يقول في اخر خطبته طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت
سريرته وحسنت علانيته وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله وانصف
الناس من نفسه وقال صلعم سيد الاعمال انصاف الناس من نفسك الى اخره وقال صلعم من
واسى الفقير من ماله وانصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقا وقال صلعم ثلث خصال
من كن فيه او واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله رجل اعطى الناس من
نفسه ما هو سائلهم الحديث وقال امير المؤمنين عم في كلام له الا انه من ينصف من نفسه
لم يزده الله الا عزا وقال الصادق عم من يضمن لي اربعة باربعة ابيات في الجنة انفق ولا تخف
فقرا وافش السلام في العالم واترك المراء وان كنت محقا وانصف الناس من نفسك
وقال عم الا اخبركم باشد ما فرض الله على خلقه فذكر ثلثة اشياء اولها انصاف الناس
من نفسك وقال عم من انصف الناس من نفسه رضى به حكما لغيره وقال عم ما تدارأ اثنان
في امر قط فاعطى احدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه الا اديل منه وقال عم ثلثة
هم اقرب الخلق الى الله تعالى يوم القيمة حتى يفرغ من الحساب رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه
الى ان يحيف على من تحت يده ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الاخر بشعيرة
ورجل قال بالحق فيما له وعليه وقال عم ان لله جنة لا يدخلها الا ثلثة احدهم من
حكم في نفسه بالحق ومنها القساوة وهو ملكة عدم التأثر عن تألم ابناء النوع ولا
ريب في كونه ناشيا من غلبة السبعية واكثر ما يتم الصفات من الظلم والايذاء وعدم
اغاثة المظلومين وعدم مواساة الفقراء والمحتاجين وغير ذلك يترتب عليه وضده
الرحمة والرقة وهو التأثر عن مشاهدة تألم ابناء نوعه ويترتب عليه من الصفات
المرضية اضداد ما ذكر وقد ورد به المدح والترغيب في الاخبار الكثيرة كقول النبي صلعم

وقساوة القلب

يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وكقول الصّ اتّقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين الخ وقوله ع تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا اخوة بررة كما امركم الله وقوله ع يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لاهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما امركم الله رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من امرهم على ما مضى عليه معشر الانصار على عهد رسول الله صلعم وقد ورد ان من ترحّم على العباد رحمه الله والاخبار الواردة في فضيلة مطلق الرحمة وفي فضيلة خصوص كل واحد واحد في ما يندرج تحته من اعانة المحتاج واغاثة المظلوم ومواساة الفقير والاغتمام بمصائب المؤمنين وامثال ذلك اكثر من ان يحصى ثم ان ازالة القساوة واكتساب الرحمة في غاية الاشكال اذ القساوة صفة راسخة في القلب لا يقدر على تركها بسهولة فطريق العلاج ان يترك لوازمها وآثارها من الافعال الظاهرة ويواظب على ما يترتب على الرحمة من الصفات الاختيارية ويكلّف نفسه على ذلك حتى يقع على التدريج مبدء الاولى ويحصل مبدء الثانية

المقام الثالث

فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج فنقول امّا جنسا رذائلها فاحدهما الشره وهو طاعة شهوة البطن والفرج وشدّة الحرص على الاكل والجماع وربما فسّر باتباع القوة الشهوية في كل ما تدعوا اليه من شهوة البطن والفرج وحبّ المال وغير ذلك ليكون اعمّ من ساير رذائل قوة الشهوة وتحقّق حقيقته وعلى الاول يكون بعض رذائلها كحبّ الدنيا المتعلق بها اعمّ منه الا انّ القوم لمّا فسّروه بالاول فنحن اتبعناهم اذ الامر في مثله هيّن وبالجملة رذيلة الشره من طرف الافراط ولا ريب في كونه اعظم المهلكات لابن آدم ولذا قال رسول الله صلعم من وقي شرّ قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان وقال صلعم ويل للناس من القبقبين فقيل وما هما يا رسول الله قال الحلق والفرج وقال اكثر ما يلج به امتي النار الاجوفان البطن والفرج وقال صلعم ثلث اخافهن على امتي من بعدي الضلالة بعد المعرفة ومضلات الفتن وشهوة البطن والفرج وبدا على ذم الاول اعني شهوة البطن والحرص على الاكل والشرب قوله صلعم ما

في الشره من الشهوة

في ذمّ شهوة البطن وكثرة الاكل والشرب وخبث كل الشر وذكر ما يناسب المقام

ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان هو فاعلا لا محالة
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال صلعم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلعم افضلكم منزلة عند الله اطولكم
جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وقال صلعم المؤمن ياكل في معاء
واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكله المؤمن ويكون
شهوته سبعة امثال شهوته فتعالى الله عن الشهوة وقال صلعم ابغض الناس الى الله المتخمون
الملاء وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كان له درجة في الجنة وقال صلعم بئس العون
على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد وقال صلعم اطول الناس جوعا يوم القيمة
اكثرهم شبعا في الدنيا وقال صلعم لا يدخل ملكوت السموات والارض قلب من ملأ بطنه
وفي التورية ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وفي بعض
الاخبار ان الله يبغض القاري السمين وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الباقر عم اذا شبع
البطن طغى وقال عم ما من شئ ابغض الى الله من بطن مملو وقال الصادق عم ان البطن ليطغى
من اكله واقرب ما يكون العبد الى الله اذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله
اذا امتلأت بطنه وقال عم ليس لابن آدم بد من اكلة يقيم بها صلبه فاذا اكل احدكم
طعاما فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلثه للنفس ولا تسمنوا
سمن الخنازير للذبح وقال عم ما من شئ اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل وقال الصادق عم
كل داء من التخمة ما خلا الحمى فانها ترد ورودا وقال عم الاكل على الشبع يورث البرص
وكفى لشهوة البطن ذما انها صارت منشأ لاخراج آدم وحوا من دار القرار الى دار
الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما
سوآتهما والبطن منبت الادواء والآفات وينبوع الشهوات اذ يتبعها شهوة الفرج
وشدة الشبق الى المنكوحات وتتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هو
بهما الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ويتبع ذلك انواع الرعونات وضروب
المحاسدات والمنافسات ويتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والعجب
والكبر ويتداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ويفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي و

في فضيلة الجوع وما فيها بيان الفوائد المترتبة عليه

المقام الثالث

المنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد
نفسه بالجوع وضيق مجاري الشيطان لم يسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به الى الانهماك
في الدنيا والانغمار فيها يفضيه الى الهلاكة والردى ولذا ورد في فضيلة الجوع والصبر عليه
ما ورد من الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك
كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال (ص) افضل الناس
من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته وقال (ص) سيد الاعمال الجوع وذل النفس وقال (ص)
اشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال (ص) قلة الطعام هي العبادة وقال (ص) ان الله
يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما
لاجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة تدعها لاجلي الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال (ص)
اقرب الناس الى الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا وقال عيسى (ع)
اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم فلعل قلوبكم ترى الله تعالى وقالت بعض ازواجه (ص)
ان رسول الله لم يمتل شبعا قط وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي
واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول
اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم
مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فان اصبر اياما
يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي وروي انه جاءت فاطمة عليها السلام بكسرة خبز الى رسول الله فقال ما هذه
الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب لنفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسرة فقال اما والله انها
اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام ثم للجوع فوائد هي صفاء القلب ورقته واتقاد
الذهن وحدته والالتذاذ بالمناجاة والطاعة والابتهاج بالذكر والعبادة والترحم
لارباب الفقر والفاقة والتذكر بجوع يوم القيمة والانكسار المانع عن الطغيان والغفلة
وتيسر المواظبة على الطاعة والعبادة وكسر شهوات المعاصي المستولية بالشبع ودفع النوم
الذي يضيع العمر ويكل الطبع ويفوت القيام والتهجد والتمكن من الايثار والتصدق
بالزائد وخفة المؤنة للفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد وصحة البدن ودفع الامراض
ان المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء وورد كلوا في بعض بطنكم تصحوا وهذه

فوائد الجوع

في شهوة الفرج المنع كما الوقاية في ما لا يتقى منشأ قهر الفرج عن التمتع في الآن

الفوائد ومن المفاسد يترتب على الشبع ثم علاج الشره بالاكل والشرب ان يتذكر الاخبار
الواردة في ذمه ويلتفت نفسه على رذالة الماكولات وخساستها وعلى خسة الشركاء من
الحيوانات ويتامل في المفاسد المترتبة على الولوع به من الذلة والمهانة وسقوط الحشمة
المهابة وفتور الفطنة وظهور البلادة وحدوث العلل والامراض الكثيرة وبعد ذلك
يحافظ نفسه عن الافراط في الاكل ولو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عادة هذا واما
الثاني اعني طاعة شهوة الفرج والافراط في الوقاع فلا ريب في انه يقهر العقل حتى يجعل الانسان
مقصور الهم على التمتع بالنسوان والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى
يجر الى اقتحام الفواحش وربما انتهت هذه الشهوة بمن غلبت هي على عقله الى العشق
البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل
ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة وهذا مرض قلوب فارغة خلت عن محبة الله وعن
الهمم العالية ويجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة الفكر والنظر واذا استحكم عسر دفعه
وكذلك حب كل باطل من الجاه والمال والعقار والاولاد فمثل من يكسره في اول الانبعاث مثل
من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها و
مثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابة حتى يدخل ويجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها
ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتراز و
الاحتياط في بدايات الامور فان في اواخرها لا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح
وربما انتهى افراط هذه الشهوة ببعض الى ان يتناولوا ما يقويها ليستكثروا من الجماع ومثلهم
كمثل من بلي بسباع ضارية تغفل عنه في بعض الاوقات فاحتال لاثارتها وتهييجها في هذا الوقت
ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها والتجربة شاهدة بان من يعتاد هذه الشهوة ويسعى في
تكثير ما يهيجها من النسوان ويحدث بهن والتخيل والنظر وتناول الاغذية والادوية المحركة لها
يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر وقد يجر افراطها الى سقوط القوة واختلال القوى
الدماغية وفساد العقل كما برهن في الكتب الطبية والوقاع اضر الاشياء بالدماغ اذ
جل المواد المنوية يجلب منه ولذا شبه الغزالي هذه الشهوة بالعامل الظالم الذي لو اطلقه السلطان ولم يمنعه
من ظلمه اخذ اموال الرعية على التدريج باسرها وابتلاهم بالفقر والفاقة فاهلكهم الجوع
وعند تمكنهم من تحصيل القوت فكذا هذه لو لم يقهرها سلطان العقل ولم يقفها على طريق

في المفاسد المترتبة على افراط الشهوة المتعلقة بالفرج

الا عند الصرف جميع المواد الصالحة والاخلاط المحمودة التي اكتسبتها القوى الغاذية لبدل ما
يتحلل من الاعضاء في مصارف نفسها وحينئذ باسرها منيا ويبقى جميع الاعضاء بلا قوت
فتضعف ويدركها الفناء بسرعة ولو كانت مطيعة للعقل بحيث يقدم على ما يأمرها به و
ينزجر عما ينهاها عنه كانت كالعامل الذي يأخذ الخراج على طريق العدل والمروة ويصرفها
في مصارف المملكة من سد الثغور واصلاح القناطر وخرج العساكر ويبقى سائر اموال الرعية
لانفسهم ليبقى لهم القوت وسائر ما يحتاجون اليه ولعظم آفة هذه الشهوة واقتضائها هلاك
الدين والدنيا ان لم تنضبط ولم ترد الى حد الاعتدال ورد من ذمها ما ورد في الاخبار قال
رسول الله ص في بعض دعواته اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وروي
ان اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وورد في تفسير قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب اي و
من شر الذكر اذا قام (ذكر) او دخل وقال ص النساء حبائل الشيطان وقال ص ما بعث الله نبيا فيما
خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وقال ص اتقوا فتنة
الدنيا وفتنة النساء واول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وروي ان الشيطان قال لموسى ع
لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه
بها وروي ايضا ان الشيطان قال المرأة نصف جندي وهي سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وهي موضع
سري وهي رسولي في حاجتي ولا ريب في انه لولا هذه الشهوة لما كان للنساء تسلط على الرجال
وقد ظهر بالعقل والنقل ان الافراط في هذه الشهوة وكثرة الطروقة والنزو وعلى النسوان مذموم
ولا تغرنك كثرة نكاح رسول الله ص فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا وكان استغراقه
في حب الله بحيث يخشى احتراق قلبه والسراية منه الى قالبه فكان ص يكثر من النسوان ويشغل
نفسه الشريفة بهن ليبقى له نوع التفات الى الدنيا ولا يؤدي به كثرة الاستغراق الى مفارقة
الروح عن البدن ولذا اذا غشيه كثرة الاستغراق وخاض في غمرات الحب والانس يضرب بيده
على فخذ عائشة ويقول ص كلميني يا حميراء واشغليني او هي تشغله بكلامها من عظم ما هو فيه لقصور
طاقة قالبه عنه ثم لما كان جبلته الانس بالله وكان انسه بالخلق عارضا بتكلفه رفقا ببدنه فاذا طال
مجالسته معهم لم يطق الصبر معهم وضاق صدره فيقول ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما
هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله ص فهو معذور لان الافهام تقصر عن الوقوف على
اسرار افعاله وقال ص لا تدخلوا على المغيبات اي التي غاب عنهن ازواجهن فان الشيطان يجري من ابن

علاج افراط بقمع سنا ذكر اسد ذكر الاخبار
في فرج الشهوة الاوفيد المفاد في بعض

ادم مجرى الدم وقال عيسى بن مريم ع اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها فتنة
ثم علاج افراط هذه الشهوة بعد تذكر مفاسدها المذكورة كسرها بالجوع وسد الطرق المؤدية
اليها من التخيل والنظر والتكلم والخلوة فان اقوى الاسباب المهيجة لها هو النظر والخلوة
ولذا قال الله تعالى قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وقال النبي ص النظر سهم مسموم من سهام
ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال ص لكل عضو من
اعضاء ادم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر وقال ص لا تدخلوا على المغيبات
التي غاب عنهن ازواجها فان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال عيسى بن مريم ع اياكم و
النظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدو الزنا قال النظرة
والتمني وقال داود ع لابنه يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقال
ابليس النظرة قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطئ به ولكون النظر مهيجا للشهوة حرم في
الشريعة نظر كل من الرجل والمراة الى الاخر وكذا حرم استماع كل منهما الكلام الاخر الا مع الضرورة
وعموم الحاجة وكذا حرم نظر الرجال الى الامارد من الصبيان اذا كان مورثا للفتنة ولذا كان
كبراء الاخيار وعظماء الابرار في الاعصار والامصار محترزين عن النظر الى وجوه الصبيان حتى قال بعضهم
ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار كخوفي عليه من غلام امرد يجلس اليه ثم ان
لم ينقمع الشهوة بالجوع والصوم وحفظ النظر فينبغي كسرها بالنكاح بشرط الاستطاعة وعدم
الامن من غوائله قال رسول الله ص معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء وقال ص ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم
امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها وثانيهما اي ثاني جنسي رذائل قوة
الشهوة الخمود وهو التفريط في كسب ضروري القوت والفتور عما ينبغي من شهوة النكاح
بحيث يؤدي الى سقوط القوة وتضييع العيال وانقطاع النسل ولا ريب في كون ذلك مذموما غير
مستحسن في الشرع اذ تحصيل المعارف الالهية واكتساب الفضائل الخلقية والعبادات
البدنية موقوف على قوة البدن فالتفريط في ايصال بدل ما يتحلل الى البدن يوجب الحرمان
عن الفوائد بتحصيل السعادات وهو غاية الخسران وكذا اهمال قوة شهوة النكاح يوجب
الحرمان عن الفوائد المترتبة عليها فان هذه القوة انما سلطت على الانسان لبقاء النسل و
دوام الوجود ولان يدرك لذتها ويقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت

عليهما السلام

المقام الثالث

اقوى اللذات الجسمانية كما ان الم النار اعظم الآلام الجسمانية فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم ولتيسر تلك الآلة مدركة للمحسوس من مشابهين للذات والآلام الاخروية ولبقاء النسل فوايد هي موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء نوع الانسان وعدم قطعه السلسلة التي وصلت اليه من مبدء النوع وطلب محبة رسول الله صلى الله عليه وآله في تكثير من به مباهاته وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله كما استفاضت به الاخبار ومن فوايد النكاح كسر التوقان والتحصن من الشيطان بغض البصر وحفظ الفرج وقطع الوسواس وخطرات الشهوة من القلب واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله من تزوج فقد احرز نصف دينه ومن فوايد النكاح تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والفرش والكنس وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الفراغ عن ذلك اعون شيء على تحصيل العلم والعمل ولذا قال النبي ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ومنها مجاهدة النفس ورياضتها بالسعي في حوايج الاهل والعيال والاجتهاد في اصلاحهم وارشادهم الى طريق الدين وفي تحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبة والقيام بتربية الاولاد والصبر على اخلاق النساء وكل ذلك من الفضايل العظيمة ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله الكاد في نفقة عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله من حسنت صلوته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وقال صلى الله عليه وآله من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال من كانت له ثلث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله تعالى له الجنة ولا ريب ان الخلو عن الشهوة يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكورة فهو مرجوح ثم لما كان للنكاح آفات ايضا كالاحتياج الى المال وصعوبة تحصيل الحلال منه لا سيما في امثال زماننا والعجز عن القيام بحقوق النسوان والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وتفرق الخاطر لاجل القيام بتدبير المعيشة وتهيئة ما يحتاجون اليه وتادية ذلك غالبا الى ما لا ينبغي من الانغمار في الدنيا والغفلة عن الله سبحانه وعما خلق لاجله فلا بد ان يلاحظ في كل شخص ان الراجح في حقه ماذا بعد ملاحظة الفوايد والمفاسد فيأخذ به

وصل — العفة في مقابلتها

قد عرفت ان ضد الجنسين العفة وهو انقياد قوة الشهوة للعقل في الاقدام على ما يأمرها به من المآكل والمناكح كما وكيفا والاجتناب عما ينهاها عنه وهو الاعتدال

في مدح عفة البطن والفرج وذكر بعض الاخبار الواردة في فضيلتها

الممدوح عقلا وشرعا وعرفا من الافراط والتفريط منه وما ان فان المطلوب في جميع الاخلاق
والاحوال هو الوسط اذ خير الامور اوسطها وكلا طرفيها ذميم فلا تظنن مما ورد في فضيلة
الجوع ان الافراط فيه ممدوح فان الامر ليس كذلك بل من اسرار حكمة الشريعة ان كلما يطلب
الطبع فيه طرف الافراط بالغ الشرع في المنع عنه على وجه يتوهم الجاهل منه ان المطلوب طرف
التفريط والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط فان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب
غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال ولما بالغ في
الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم انه يقوم الليل كله ويصوم الدهر كله
نهى عنه والاخبار الواردة في مدح العفة وفضيلتها كثيرة قال امير المؤمنين ع افضل العبادة
العفاف وقال الباقر ع ما من عبادة افضل من عفة بطن وفرج وقال الصادق ع اي الاجتهاد افضل
من عفة بطن وفرج وفي معناها اخبار اخر واذا عرفت هذا فاعلم ان الاعتدال في الاكل
ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان المقصود من
الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب و
يمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة
المقدسين عن ثقل الطعام والم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا
وهذا يختلف بالنسبة الى الاشخاص والاحوال والاغذية والمعيار فيه ان لا ياكل طعاما ما
حتى يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه وينبغي ان لا يكون غرضه من الاكل التلذذ بل
حفظ القوة على تحصيل ما خلق لاجله فيقتصر من انواع الطعام على خبز البر في بعض
الاوقات وعلى خبز الشعير في بعضها ولو ضم اليه الادام فيكتفي بادام واحد في بعض الاحيان
ولا يواظب على اللحم ولا يتركه بالمرة قال امير المؤمنين ع من ترك اللحم اربعين يوما ساء
خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسى قلبه والاعتدال ان يكتفي في اليوم والليلة باكلة واحدة
في وقت السحر بعد الفراغ عن التهجد او بعد صلوة العشاء او باكلتين التغدي والتعشي ان لم
يقدر على الاكتفاء بمرة واحدة وقد استفاضت اخبار ائمتنا الراشدين عليهم السلام بالحث
على التعشي ثم للعرفاء ترغيبات على الجوع وتصريحات على كثرة فوائده وعلى توقف كشف
الاسرار الالهية والوصول الى المراتب العظيمة عليه ولهم حكايات في امكان الصبر عليه وعلى عدم
الاكل شهرا او شهرين او سنة ونقلوا حصوله عن بعضهم وهذا امر وراء ما وردت به الشريعة

وكلفت به عموم الامة فان كان ممدوحا فانما هو لقوم مخصوص واما الجماع فالاعتدال فيه
ان يقتصر فيه على ما لا ينقطع عنه النسل ويحصل له التحصن ويزول به خطرات الشهوة ولا
يؤدى الى ضعف البدن والقوى واما غير الجنسين من الانواع والنتايج والاثار المتعلقة بالقوة
الشهوية وان كان بعضها اعم من الجنسين او مساويا لهما فمنها حب الدنيا اعلم ان للدنيا ماهية
في نفسها وماهية في حق العبد اما ماهية الدنيا وحقيقتها في نفسها فعبارة عن اعيان موجودة
هي الارض وما عليها والارض هي العقار والضياع وامثالهما وما عليها يجمعه المعادن والنبات
والحيوان والمعادن تطلب لكونها اما من الالات والزينة كالنحاس والرصاص والجواهر وامثالها او من
النقود كالذهب والفضة والنبات يطلب لكونه من الاقوات او الادوية والحيوانات يطلب اما لكونها
لملكية ابدانها واستخدامها كالعبيد والغلمان او لملكية قلوبها وتسخيرها المترتب عليه التعظيم و
الاكرام وهو الجاه او للتمتع بها والتلذذ كالجوارى والنسوان او للقوة والاعتضاد كالاولاد هذه هي
الاعيان المعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله سبحانه في قوله زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وجميع ذلك من رذائل قوة الشهوة الا حب تسخير القلوب
لقصد الغلبة والاستيلاء فانه من رذائل قوة الغضب كما تقدم وبذلك يظهر ان حب الدنيا
المتعلق بقوة الشهوة اعم من الشره باول تفسيريه كما اشير اليه واما ماهيتها في حق العبد فعبارة
عن جميع ماله قبل الموت كما ان جميع ماله بعد الموت عبارة عن الاخرة فكل ما للعبد فيه
نصيب وشهوة وحظ وغرض ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقه وللعبد فيه
علاقتان علاقة بالقلب هو حبه له وعلاقة بالبدن وهو اشتغاله باصلاحه ليستوفي منه
حظوظه الا ان جميع ماله اليه ميل ورغبة ليس بمذموم وذلك لان ما يصحبه في الدنيا
ويبقى ثمرته معه بعد الموت اعنى العلم النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة في الحقيقة وانما
سمى بالدنيا باعتبار دنوه فان كلا من العالم والعابد قد يلتذ بالعلم والعبادة بحيث يكون ذلك
الذ الاشياء عنده فهو وان كان حظا عاجلا له في الدنيا الا انه ليس من الدنيا المذمومة بل هو
من الاخرة في الحقيقة وان عد من الدنيا من حيث دخوله في الحس والشهادة فان كل ما يدخل
فيهما فهو من عالم الشهادة اعنى الدنيا ولذا جعل نبينا (ص) الصلوة من الدنيا حيث قال حبب الى
من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عينى في الصلوة مع انها من اعمال الاخرة فالدنيا المذمومة

ذكر الاخبار الدالة على مدح تحصيل الرزق من المكاسب الطيبة والاعمال الصالحة

عبارة عن حظ عاجل يكون من اعمال الآخرة ولا وسيلة اليها وما هو الا التلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائد على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل واما قدر الضرورة من الرزق فتحصيله من الاعمال الصالحة كما نطقت به الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال صلى الله عليه وآله ملعون من القى كله على الناس وقال السجاد عليه السلام الدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر عليه السلام من طلب الرزق في الدنيا استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقال الصادق عليه السلام الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال عليه السلام ان الله يحب الاغتراب في طلب الرزق وقال عليه السلام ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم فان آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها وقال عليه السلام رجل انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق واحج واعتمر فقال عليه السلام ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة وكان ابو الحسن عليه السلام يعمل في ارض قد استنقعت قدماه في العرق فقيل له اين الرجال فقال قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن ابي فقيل ومن هو فقال رسول الله وامير المؤمنين وآبائي عليهم السلام كلهم كانوا قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين وقد ورد بهذه المضامين اخبار كثيرة اخر مشهورة **تذنيب** قد ظهر من هذه الاخبار ان الراجح بل اللازم لكل مؤمن ان يكون له مكسب طيب يحصل منه ما يحتاج اليه من الرزق وغيره من المخارج المحمودة وقد صرح بذلك في اخبار كثيرة اخر قال امير المؤمنين عليه السلام اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا قال فبكى داود اربعين يوما صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود فالان الله له الحديد كان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا فباعها بثلثمائة وستين الفا واستغنى عن بيت المال وقال الصادق عليه السلام من احبنا اهل البيت فليأخذ من الفقر جلبابا او تجفافا والجلباب كناية عن الستر على فقره والتجفاف كناية عن كسب طيب يمنع فقره وقال عليه السلام في رجل قال لاقعدن في بيتي ولاصلين ولاصومن ولاعبدن ربي فاما رزقي فسيأتيني قال هذا من احد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم وهذا اي ملكة تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبة وصرفها في المخارج المحمودة هو الحرية باحد المعنيين اذ الحرية اطلاقان احدهما ذلك وهو الحرية بالمعنى الاخص وثانيهما التخلص عن اسر الهوى وعبودية

القوة الشهوية وهو الحرص بالمعنى الاعم المرادف للفقر وضده الرقية بالمعنى الاعم الذي هو طاعة قوة الشهوة ومتابعة الهوى وضد الاول عني الرقية بالمعنى الاخص هو افتقاره الى الناس في ما يحتاج اليه من الرزق والقاء نظرهم الى ايديهم وحوالة رزقه على اموالهم على وجه محرم كالغصب والنهب والسرقة وانواع الخيانات او غير محرم كاخذ وجوه الصدقات ولو من اوساخ الناس بل مطلق الاخذ منهم اذ اجعل يده يدا سفلى ويدهم يدا عليا ولا ريب في كون الرقية بهذا المعنى مذمومة اذ الوجه الاول محرم في الشريعة وموجب للهلاكة الابدية والوجه الثاني وان لم يكن محرما اذا كان فقيرا مستحقا الا انه لا يجابه التوقع من الناس وكون نظره اليهم يقتضي المذلة والانكسار والتخضع للناس والرقية والعبودية لهم وهذا يرفع الوثوق بالله والاعتماد والتوكل عليه ويجر بالتالي الى سلب التوكل على الله بالكلية وترجيح المخلوق على الخالق وهذا ينافي مقتضى الايمان والمعرفة الواقعية بالله سبحانه

في نهي النفس عن الهوى

فصل قد ظهر بما ذكر ان الدنيا المذمومة حظ نفسك الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار بقوله تعالى وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ومجامع الهوى هي المذكورة في قوله تعالى إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ والاعيان التي يحصل منها هذه الامور هي المذكورة في قوله سبحانه زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ فهذه اعيان الدنيا وللعبد معها علاقتان علاقة مع القلب هي حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد والمحب المستهتر بها ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة والحسد والحقد والغل والكبر وحب المدح والتفاخر والتكاثر فهذه هي الدنيا الباطنة والظاهرة هي الاعيان المذكورة وعلاقة مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهذا الاشتغال عبارة عن الصناعات والحرف التي اشتغل الناس بها بحيث انستهم انفسهم وخالقهم واغفلتهم عما خلقوا لاجله ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا على قدر الضرورة لم يستغرقهم اشتغال الدنيا والانهماك فيها ولكنا جهلوا بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها لم يقتصروا على قدر الاحتياج فاوقعوا انفسهم في اشغالها متابعة هذه

[illegible]

الاشغال واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة تغفلوا عن مقصودها وتاهوا
في كثرة الاشغال فان امور الدنيا لا ينفتح منها باب الا وينفتح لاجله عشرة ابواب اخر وهكذا يتداعى
الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها ومن وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى
وهكذا على التوالي الاتري ان ما يضطر اليه الانسان بالذات منحصر بالمأكل والملبس والمسكن
ولذلك حدثت الحاجة الى خمس صناعات هي اصول الصناعات الفلاحة والرعاية للمواشي والحياكة
والبناء والاقتناص اى تحصيل ما خلق الله من الصيد والمعادن والحشائش والاحطاب ثم يترتب
على كل من هذه الصناعات صناعات اخر وهكذا الى ان حدثت جميع الصناعات التي
تراها في العالم وما من احد الا وهو مشتغل بواحدة منها واكثرها الا اهل البطالة والكسالة
حيث غفلوا عن الاشتغال في اول الصبا ومنعهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم حتى
نشأوا بلا شغل واكتساب فاضطروا الى الاخذ مما تسعى فيه غيرهم ولذلك حدثت حرفتان
خبيثتان هي اللصوصية والكدية ولكل واحد منهما انواع غير محصورة لا يخفى على المتامل

فصل اعلم ان الدنيا عدوة لله ولاوليائه ولاعدائه اما عداوتها لله فانها قطعت
الطريق على عباده ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها كما ورد في الاخبار واما عداوتها لاوليائه
واحبائه فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في
مقاطعتها واما عداوتها لاعدائه فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم
بشباكها وحبائلها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فاجتنوا منها حسرة وندامة تنقطع دونها
الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون
ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون والايات الواردة في ذم الدنيا وحبها كثيرة
واكثر القران مشتمل على ذلك وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو المقصود من بعثة
الانبياء فلا حاجة الى الاستشهاد بايات القران لظهورها ولنشر الى نبذة من الاخبار الواردة
في ذم الدنيا وحبها وفي سرعة زوالها قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا
ما كان لله وقال صلى الله عليه وآله الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وآله من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من
الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا

ذكر جملة من الاخبار الدالة على ذم الدنيا والمنع عن الركون اليها

المقام الثالث

لا ينال عناه ابدا وامل لا يبلغ منتهاه وقال صلى الله عليه وآله يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى
لدار الغرور وقال صم لتاتينّكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما ياكل النار الحطب قال الهيكم التكاثر
يقول ابن ادم مالي مالي وما لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت
او لبست فابليت وقال اوحى الله تعالى الى موسى لا تركننّ الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشدّ
عليك منها وقال صم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال صم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب
اخرته اضرّ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ومرّ صم على مزبلة فوقف عليها وقال هلموا الى
الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وقال صم
ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها وقال صم الدنيا دار من
لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها
يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها
الله عز وجل لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا ربّ اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول
اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وقال صم لما هبط آدم من الجنة
الى الارض قال ابن للخراب ولد للفناء وقال صم ليجيئنّ اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة
فيؤمر بهم الى النار فقيل يا رسول الله امصلين قال نعم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون
هنيئة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه وقال صم هل منكم من يريد ان يذهب الله
عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال فيها امله اعمى الله قلبه على قدر ذلك و
من زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية وقال صم فو الله
ما اخشى عليكم الفقر ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها
كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض
فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا
فوق ما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صم سيأتي قوم بعدي ياكلون اطايب الطعام
والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون اقوى الخيل
والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون
اليها اتخذوها الهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون
فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلّم

في زهد طائفة من خاصة الله من الأنبياء والأولياء والأئمة في هذه الدنيا

عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ومن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام

وقال صلى الله عليه وآله ما لي وللدنيا وما أنا والدنيا إنما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها وقال صلى الله عليه وآله احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت وقال صلى الله عليه وآله حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ألزمهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن أصبحت الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقال عليه السلام من ذا الذي يبني على أمواج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقال عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد وأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى ما لك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وأوحى إليه يا موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد عليك منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال تعالى يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا وقال أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما قيل له صف لنا الدنيا ما أصف من دار من صح فيها ما أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب وقال عليه السلام إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما ألين مسها وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوي إليها الصبي الجاهل وقال عليه السلام في وصف الدنيا ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته وقال عليه السلام في بعض مواعظه ارفض الدنيا فإن حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غدا وبعد غد فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة وقد أسلمهم الأولاد والأهلون فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال وقال عليه السلام لا تغرنكم الحيوة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة فكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في

بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما
اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه
من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا
وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم
عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور
اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة
متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من
قرب الجوار ودنو الدار بالديار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلاء واكلتهم
الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب و
سكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم
في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع وكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما
في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف
الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس
بما كسبت وقال عليه السلام في بعض خطبه اوصيكم بتقوى الله وترك الدنيا التاركة لكم وان كنتم
لا تحبون تركها المبلية اجسادكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر
سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى
الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا
لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا و
الموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال السجاد عم ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة
قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا
وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض
بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا
عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب
الا ان لله عبادا كمن راى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن راى اهل النار في النار معذبين شرورهم

بعض اخبار المواعظ عن الائمة الاطهار في النفس والتنبيه عليها

مامونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصارت لهم
عقبى راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون
الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد
براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد
خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها وقال ع ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله
افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصي الله به الكبر وهي
معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية ادم وحوا حين قال الله
تعالى لهما كُلا مِن حَيثُ شِئتُما وَلا تَقرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ فاخذا ما لا حاجة
بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة له
ثم الحسد وهي معصية ابن ادم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب الدنيا وحب النساء
وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن
كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة و
الدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر ع لجابر يا جابر انه من دخل قلبه صافي
خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا
طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم
فيها ولم يامنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن
اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله
ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الاخرة
كما فازوا بذلك العلم وقال الصادق ع قال ابو ذر رحمه الله جزى مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما
شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وقال فيما ناجى الله تعالى موسى ع يا موسى لا تركن الى الدنيا
ركون الظالمين وركون من اتخذها ابا واما يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر اليها اذا
لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها يا موسى نافس في الخير اهله واستبقهم اليه فان الخير كاسمه واترك من الدنيا
ما بك الغنى عنه ولا تنظر اليك عينك الى كل مفتون بها وموكل الى نفسه واعلم ان كل فتنة بدؤها
حب الدنيا ولا تغبط احدا بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن احدا برضى
الناس عنه حتى تعلم ان الله راض عنه ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له فان طاعة الناس له و

ذكر بعض الاخبار ونقل كلمات من الاكابر في هوان الدنيا عند ارباب البصائر

ابناءهم اياه على غيره خوف هلاك له ولئن شعروا واوحى الله الى موسى وهرون لما ارسلهما الى فرعون
ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت
ولكني ارغب لكما عنه ذلك وازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن
نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة واني لاجنبهم عيشها وسلوتها كما يجنب الراعي
الشفيق ابله عن مواقع الغرة وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما
موفرا انما تزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى وقال الكاظم ع قال ابو ذر رضي الله
جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما واتعشى بالآخر وبعد شملتي
الصوف اتزر باحدهما وارتدي بالاخرى وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا
ولا تبع اخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال له يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فليكن
سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناج
وما اراك ناجيا وقال يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له
وانما انت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه اجرا فاوف عملك واستوف اجرك ولا تكن في
هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فاكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ولكن
اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها آخر الدهر اخربها ولا تعمرها
فانك لم تؤمر بعمارتها واعلم انك ستسئل غدا اذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن اربع شبابك
فيما ابليته وعمرك فيما افنيته ومالك مما اكتسبته وفيما انفقته فتأهب لذلك واعد له جوابا ولا
تأس على ما فاتك من الدنيا فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه وكثيرها لا يؤمن بلاؤه فخذ حذرك
وجد في امرك واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك وجدد التوبة في قلبك واكمش
في فراغك قبل ان يقصد قصدك ويقضى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد وقال بعض الحكماء
الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يعمرها وقال
بعضهم الدنيا لمن تركها والآخرة لمن طلبها وقال بعضهم انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا
وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا
تهلك نفسك في اكلة وصم الدنيا وافطر على الآخرة فان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار
وقال بعض اكابر الزهاد الدنيا تخلق الابدان وتجدد الآمال وتقرب المنية وتبعد الامنية
من ظفر بها نصب ومن فاته تعب قال بعضهم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد التزق به شيء يسوءك

بقية ما في الاخبار والآثار الحاكية عن خسة الدنيا وذمها والمرغبة في الزهد فيها

وقال آخر لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم
يحسن الزاد لما قدم عليه وقال حكيم كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب ولا اكون فيها وكيف
اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية
نازلة او منية قاضية وقال بعض العرفاء الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوتها
شيئا فيجيئ في طلبك ويأخذك وقال بعضهم لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف
يبقى لكان ينبغي ان يختار العاقل خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة ذهب يبقى والدنيا
من خزف يفنى وقد ورد ان العبد اذا كان معظما للدنيا توقف يوم القيمة ويقال هذا عظم ما حقره
الله وروي انه لما بعث النبي صلى الله عليه وآله اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا
قالوا نعم قال ان كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلث
اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وروي انه اوحى
الله تعالى الى بعض انبيائه احذر مقتي فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وقال بعض الصحابة
ما اصبح احد من الناس في الدنيا الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة
وقال بعضهم ان الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقيل من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها حتى يصير رمادا ومن
اقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها ومن اقبل على الله سبحانه احرقته
نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقيل ايضا العقلاء ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه
وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وسئل بعض الامراء رجلا بلغ عمره مائتي
سنة عن الدنيا فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم بيوم وليل بليلة يولد ولد ويهلك
هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له الامير سل عني
ما شئت قال اريد منك ان ترد علي ما مضى من عمري وتدفع عني ما حضر من اجلي قال لا املك ذلك
قال فلا حاجة لي اليك والاخبار والآثار في ذم الدنيا وحبها وفي سرعة زوالها وعدم
الاعتبار بها وفي هلاك من يطلبها ويرغب اليها وفي ضديتها للآخرة اكثر من ان يحصى ومما ورد في ذلك من كلام ائمتنا
الراشدين سيما عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام صلوات الله عليهم الى يوم الدين فيزيد على الالف
ومن تأمل في خطب علي عليه السلام ومواعظه كما في نهج البلاغة وغيره يظهر له خسة الدنيا ودناءتها
وقضية السؤال والجواب بين روح الامين ونوح في كيفية سرعة زوال الدنيا مشهورة وحكاية

في الموعظة والتنبيه للدنيا بذكر خسائس وحقائق مثلت بها وفيها

من ودروح الله علی قرية هلك اهلها من حب الدنيا معروفة ولعظم افة الدنيا وحقارتها و
مهانتها عند الله لم يرضها لاحد من اوليائه وحذرهم عن غوايلها فزهدوا فيها واكلوا منها قصدا
وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام
ما سد الجوع نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة انها باقية فتزودوا منها كزاد
الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون
اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا و
نعموا طويلا

فصل اعلم ان للدنيا صفات خبيثة قد مثلت في كل صفة بما تماثله
فيها فمثالها في سرعة الفناء والزوال وعدم الثبات مثل النبات الذي اختلط به ماء السماء
فاخضر ثم اصبح هشيما تذروه الرياح او كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كقنطرة تعبر عنها و
لا تمكث عليها وفي كونها مجرد الوهم والخيال وكونها مما لا اصل لها ولا حقيقة كفي الظلال
او خيالات المنام واضغاث الاحلام فانك قد تجد في منامك ما تهواه فاذا استيقظت ليس
معك منه شيء وفي عداوتها لاهلها واهلاكها اياهم بامرأة تزينت للخطاب حتى اذا نكحتهم
ذبحتهم فقد روي ان عيسى ع كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز شمطاء هتماء عليها من كل
زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل
كلهم قتلت فقال عيسى ع بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم
واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر وفي مخالفة باطنها لظاهرها كعجوز متزينة
تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ظهر لهم قبايحها
روي انه يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها
فتشرف على الخلايق ويقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه
الدنيا التي تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف بها
في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها
وفي قصر عمرها لكل شخص بالنسبة الى ما تقدم من الازل وما تأخر عنه من الابد كمثل خطوة واحدة بل
اقل بذلك بالنسبة الى سفر طويل بل بالنسبة الى كل مسافة الارض اصبعا فاعرف شأنها ومن رأى
الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضيق وضر او في سعة ورفاهية
بل لا يبني لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض اصحابه يبني بيتا من جص فقال ارى الامر

ذكر خسيس صفات الدنيا

تشبيها الدنيا بالعجوز

ولذا سلك النبي صلى الله عليه وآله ما وضع لبنة على لبنة ع

في تشبيه الدنيا باعتبار كل صفة من اوصافها الى شيء من الامور الحسية والمعنوية

اعجل من هذا والى هذا اشار عيسى ع حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وفي تمويه ظاهرها وتشويه باطنها مثل الحية التي يلين مسها ويقتل سمها وفي قلة ما بقي منها بالاضافة الى ما سبق مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وفي قلتها لنسبتها الى الاخرة كمثل ما يجعل احد اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل وفي مادة علائقها بعض الى بعض حتى يجر الى الهلاكة كماء البحر كلما اشرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يهلك وفي تادية الحرص عليها الى الهلاكة غما كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى يموت غما وفي تعذر الخلاص من تبعاتها واستحالة عدم التلوث بقاذوراتها بعد الخوض فيها كالماشي في الماء فانه يمتنع ان لا يبتل قدماه وفي نضارة اوائلها وخبائث عاقبتها كالاطعمة التي يؤكل فكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسومة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب اشهى واقوى كانت فتنتها وكراهيتها والتاذي بها عند الموت اشد وهذا مشاهد في الدنيا فان المصيبة والالم والتفجع في كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده وحرصه عليه وحبه له ولذا ترى ان من نهبت داره واخذت اهله واولاده يكون تفجعه والمه اشد مما اخذ عبد من عبيده فكلما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما الموت معنى الا فقد ما في الدنيا وفي تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها مثل طبق ذهب عليه بخور ورياحين في دار رجل هيأه فيها ودعا الناس على الترتيب واحدا بعد واحد ليدخلوا داره ويشمه كل واحد وينظر اليه ثم يتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فدخل واحد جهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك له فيتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتألم ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافر بالعواري ثم يتركوها ويتوجهوا الى مقصدهم من دون صرف قلوبهم اليها حتى يعظم مصيبتهم عند فراقها ومن جهل سنة الله فيها ظن انها مملوكة له فيتعلق بها قلبه فلما اخذت منه عظمت بليته واشتدت مصيبته وفي اغترار الخلق بها وضعفا ايمانهم بما يقوله في تحذيرهم اياهم عن غوائلها كمفازة غبراء لا ماء فيها تركها سلكوها قوم وتاهوا فيها بلا زاد وماء وراحلة فايقنوا بالهلاكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل وقال ارايتم ان هديتكم الى رياض خضر وماء رواء ما تعملون قالوا لا نعصيك في شيء فاخذ منهم عهودا ومواثيق على ذلك

فاوردهم ماء روياً ورياضاً خضراً فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال الرحيل فقالوا الى اين قال الى
ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم لا نريد عيشاً خيراً من هذا فلم يطيعوه
قالت طائفة وهم الاقلون الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه وقد صدقكم
في اول حديثه فوالله انه صادق في هذا الكلام ايضاً فاتبعه هذا الاقل فذهب بهم الى ان
اوردهم في ماء ورياض احسن بمراتب شتى مما كانوا فيه اولاً وتخلف عنه الاكثرون فبذرهم
عدو لهم فاصبحوا من بين قتيل واسير **تذنيب** قد شبه بعض الحكماء حال الانسان
واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة
الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر
ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر جرذان
ابيض واسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ولا يفتران عن قرضه آناً من الآنات و
ذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آناً فآناً قد اقبل على قليل عسل
قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك
فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت
الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت
والجرذان الليل والنهار القارضان للعمر والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة
بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وشبه بعض العرفاء
الدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الآخرة وحسراتهم العظيمة بعد الموت من فقدهم
نعيم الجنة بسبب اغترارهم في خساسة الدنيا بقوم ركبوا السفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم
الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام فيها وخوفهم مرور السفينة واستعجالها
فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خالياً فاخذ
اوسع الاماكن واوفقها لمراده وبعضهم وقف في الجزيرة واشتغل بالنظر الى ازهارها و
انوارها واشجارها واحجارها ونغمات طيورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها
فلم يصادف الا مكاناً ضيقاً فاستقر فيه وبعضهم بعد التنبه لخطر مرور السفينة تعلق قلبه
ببعض احجار الجزيرة وازهارها وثمارها لم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها حمله ورجع
الى السفينة ولم يجد فيها الا مكاناً ضيقاً لا يسعه الا بالتكلف والمشقة ولم [illegible] مكان

التيشة توقعة بما اخذ من عباد الصالحين عبرة بصيرة
كريمة التمثيل من الماضين لاولي

لو وضع ما حمله فصار ذلك ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها فحملها
في السفينة على عنقه متأسفا على اخذها وبعضهم اشتغل بمشاهدة الجزيرة بحيث لم
يتنبه اولا من خطر مرور السفينة ومن نداء الملاح حتى امتلأت السفينة فتنبه اخيرا ورجع اليها
مثقلا بما حمله من احجار الجزيرة وحشائشها ولما وصل الى شاطئ البحر سارت السفينة او لم يجد فيها
موضعا اصلا فبقي على شاطئ البحر وبعضهم لكثرة الاشتغال بمشاهدة الجزيرة وما فيها نسي المركب
بالمرة ولم يبلغهم النداء اصلا لكثرة انغمارهم في اكل الثمار وشرب الماء والتنعم بالانوار والازهار
والتفرج بين الاشجار فسارت السفينة وبقوا في الجزيرة مترددين فتنبههم بخطر مرورها فتفرقوا
فيها فبعضهم نهشته العقارب والحيات وبعضهم افترسته السباع وبعضهم تاه في الاوحال
وبعضهم هلك من الندامة والحسرة والغصة واما من بقي على شاطئ البحر فمات جوعا واما من
وصل الى المركب مثقلا بما اخذه فشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيق عليه مكانه
فلم يلبث ان ذبلت ما اخذه من الازهار وعفنت الثمار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن
رائحتها فتأذى من نتن رائحتها ولم يقدر على القائها في البحر لصيرورتها جزء من بدنه وقد
اثر فيه ما اكل منها ولم ينته الى الوطن الا بعد احاطة الامراض والاسقام عليه لاجل ما لم
ينفك عنه من النتن فبلغ البحر سقيما مدنفا فبقي على سقمه ابدا او مات بعد مدة واما من
رجع الى المركب بعد تضيق المكان فما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما
وصل الى الوطن استراح ومن رجع اليه اولا وجد المكان الاوسع فلم يتأذ من شيء اصلا
ووصل الى الوطن سالما فهذا امثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم
وطنهم الحقيقي وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح بالعاقل البصير ان تغره احجار الارض
وهشيم النبات مع مفارقته عنه عند الموت وصيرورته كلا ووبالا عليه

فصل

اعلم انه لا يبلغ مع العبد عند الموت الا صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وحب
الله والانس بذكره وصفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والحب
لا يحصل الا بالمعرفة والمعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله
والمواظبة عليه وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات
الصالحات اما طهارة القلب عن ادناس الدنيا فهي الجنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد
في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع

عظة في بيان نافعة الخشية يوم وقفة الدنيا الاخرة
مو بلبغية مد الصفات العظيمة بين ابناء الدنيا والاخرة

المقام الثالث

عنه واذا جاءته من قبل يديه جاءت الصدقة تدفع عنه وامّا الحب والانس فهما يوصلان العبد الى لذة
المشاهدة واللقاء وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض
الجنة وكيف لا يصل صاحب الصفات الثلث بعد موته غاية البهجة ونهاية اللذة بمشاهدة جمال الحق و
لا يكون القبر عليه روضة من رياض الخلد ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه
عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله وبالموت ارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلّى
بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب
الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصبت منه وحيل بينه وبينها وسدّت
عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله
فاذن سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر و
العمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا
بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد الى
اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء
الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من
ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا ينقسم الى ما يعرض صاحبه
لعذاب الله في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول
الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة
ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه في حلالها حساب
وفي حرامها عقاب بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت عن الدرجات العلى في الجنة وما
يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب و
يرشدك الى ذلك حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بالسعادات الدنيوية
كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغّصة
بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وينقطع
الاذهان والدهور دون غايتها وكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او
بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فهو ينقص من حظه في الاخرة والتعرض لجواب السؤال فيه
ذل وحذر وخوف وخطر وخجلة وانكسار ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ فالدنيا قليلها

اعتبار الدنيا ومعنى قربها من الآخرة في فرض التصور يصير بعضها كبعض

وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك ما لقدر ليس من الدنيا
وكل من كان معرفته اقوى واتم كان حذره من نعيم الدنيا اشد واعظم حتى ان عيسى ع وضع رأسه
على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان ع في ملكه كان يطعم
الناس من لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة
فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع وجودها اشد ولذا زوى الله الدنيا عن نبينا ص فكان يطوى
اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله المحن والبلاء على الانبياء و
الاولياء ثم الامثل فالامثل في درجات العلاء كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من
الاخرة حظهم كما يمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواكه والاطعمة ويلزمه الفصد والحجامة شفقة
عليه وحبا له لا بخلا به عليه فقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله
فليس هو من الدنيا ثم الاشياء على اقسام ثلثة الاول ما لا يتصور ان يكون لله بل هو من الدنيا
صورة ومعنى وهي انواع المعاصي والمحظورات واصناف التنعم بالمباحات وهي الدنيا المحضة
المذمومة على الاطلاق الثانية ما صورته من الدنيا كالاكل والنوم والنكاح وامثالها
ويمكن ان يجعل معناه لله فانه يمكن ان يكون المقصود منه حظ النفس فيكون معناه كصورته
ايضا من الدنيا ويمكن ان يكون المقصود منه الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كان
صورته صورة الدنيا قال رسول الله ص من طلب من الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله و
هو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه
كالقمر ليلة البدر الثالثة ما صورته لله ويمكن ان يجعل معناه من الدنيا بالقصد وهو ترك
الشهوات وتحصيل العلم وعمل الطاعات والعبادات فهذه الثلثة اذا لم يكن لها باعث سوى
امر الله واليوم الاخر فهي لله صورة ومعنى ولم تكن من الدنيا اصلا وان كان الغرض منها حفظ
المال والحشمة والاشتهار بالزهد والورع وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة صارت
من الدنيا معنى وان كان يظن بصورته انه لله ومنها حب المال وهو من شعب حب الدنيا اذ
حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا كما ان الجاه بعضها واتباع
شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها
وبالجملة لها ابعاض كثيرة يجمعها كلها ما للانسان فيه حظ عاجل فآفات الدنيا كثيرة الشعب و
الانحاء واسعة الارجاء والاكناف ولكن اعظم آفاتها المتعلقة بالقوة الشهوية هو المال

المقام الثالث

اذ کل ذی روح محتاج الیه ولا غناء له عنه فان فقد حصل الفقر الذی کاد ان یکون کفرا وان
وجد حصل منه الطغیان الذی لا یکون عاقبة امره الا خسرا فهو لا یخلو من فواید وآفات وفوائدها
من المنجیات وآفاتها من المهلکات وتمییز خیرها من شرها من المشکلات اذ من فقده یحصل صفة
الفقر ومن وجوده یحصل صفة الغناء وهما حالتان یحصل بهما الامتحان ثم للفاقد حالتان
القناعة والحرص واحدهما محمودة والاخری مذمومة وللحرص حالتان تشمر للحرف والصنایع مع
الیأس عن الخلق وطمع بما فی ایدیهم واحدی الحالتین شر من الاخری وللواجد حالتان امساک
وانفاق واحدهما مذموم والاخر ممدوح وللمنفق حالتان اسراف واقتصاد والاول مذموم
والثانی ممدوح وهذه امور متشابهة لا بد لا من تمیزها ثم الاخذ بمحمودها والترک لمذمومها
حتی یحصل النجاة من غوایل المال وتبعاتها ومن هنا قال بعض الاکابر الدرهم عقرب فان لم تحسن
رقیته فلا تاخذه فانه ان لدغک قتلک سمه قیل وما رقیته قال اخذه من حله ووضعه فی
حقه **فصل** الکتاب والسنة متظاهران فی ذم المال وکراهة حبه قال الله سبحانه یا ایها
الذین آمنوا لا تلهکم اموالکم واولادکم عن ذکر الله ومن یفعل ذلک فاولئک هم
الخاسرون وقال انما اموالکم واولادکم فتنة وقال المال والبنون زینة الحیوة
الدنیا الایة وقال رسول الله صلی الله علیه و آله حب المال والشرف ینبتان النفاق کما ینبت الماء البقل و
قال صلی الله علیه و آله ما ذئبان ضاریان ارسلا فی زریبة غنم باکثر فسادا من حب المال والجاه فی دین
الرجل المسلم وقال شرار امتی الاغنیاء وقال صلی الله علیه و آله یقول الله تعالی یا ابن آدم مالی مالی وهل
لک من مالک الا ما تصدقت فامضیت او اکلت فافنیت او لبست فابلیت وقال
اخلاء ابن آدم ثلثة واحد یتبعه الی قبض روحه وهو ماله وواحد یتبعه الی قبره وهو اهله
وواحد یتبعه الی محشره وهو عمله وقال یجاء بصاحب الدنیا الذی اطاع الله فیها وماله
بین یدیه کلما تکفأ به الصراط قال له ماله امض فقد ادیت حق الله فیّ ثم یجاء بصاحب الدنیا
الذی لم یطع الله فیها وماله بین کتفیه کلما تکفأ به الصراط قال له ماله ویلک الا ادیت
حق الله فیّ فما یزال کذلک حتی یدعو بالثبور والویل وقال ان الدینار والدرهم اهلکا
من کان قبلکم وهما مهلکاکم وقال تعس عبد الدرهم تعس عبد الدینار تعس وانتکس واذا
شیک فلا انتقش وقال لکل امة عجل وعجل هذه الامة الدینار والدرهم وقال یؤتی بالرجل
یوم القیمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه فی حرام فیقال اذهبوا به الی النار ویؤتی برجل قد

المسائلة عند الاياب والحث ينبغي هذه فقرة في انواع عن المال احتسابا على من البر مجانا يوم الحساب

برجل قد جمع مالا من حلال جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار
وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك اضررت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلوة
لم تصلها لوقتها او فرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت
من حلال وانفقت منه في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا
المال في شيء من مركب وثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك
منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا
يا رب لم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته
وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض
ولم يختل في شيء فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة
او لذة فلا يزال يسأل فليت شعري يا اخي ان الرجل الذي فعل في الحلال وادى الفرائض بحدودها
وقام بالحقوق كلها اذا حوسب بهذه المحاسبة فكيف يكون حال امثالنا الغرقى في فتن
الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها فيا لها من مصيبة ما افظعها ورزية
ما اجلها وحسرة ما اعظمها لا ندري ما يفعل بنا الدنيا غدا في الموقف عند رب الجبار
ولخوف هذا الخطر قال بعض الصحابة ما سرني ان اكسب كل يوم الف دينار من حلال و
انفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله
قال لاني غني عن مقامي يوم القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فينبغي
لكل مؤمن تقي ان لا يتلبس بالدنيا فيرضى بالكفاف وان كان معه فضل فليقدمه لنفسه اذ
لو بقي بعده لكان له مفاسد وآفات وقد روي انه قال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت
فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله
ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه ووضع امير المؤمنين ع درهما على كفه ثم
قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما
ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال عيسى ع لا تنظروا
الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض الاكابر مصيبتان
لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله
ويسئل عنه كله ثم جميع ما ورد في ذم الغنى ومدح الفقر كما ياتي بعضه وجميع ما ورد في

فصل اعلم انه كما ورد ذم المال في الآيات والاخبار ورد مدحه فيها ايضا وقد سماه الله خيرا في مواضع فقال إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ الآية وقال في مقام الامتنان وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة والسخاء والحج ونحو ذلك مما لا يمكن الوصول اليه الا بالمال فهو ثناء عليه ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذامة هو ان المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح هو السعادة الاخروية اذ الوسائل اليها في الدنيا ثلثة وهي الفضائل النفسية والفضائل البدنية والفضائل الخارجية التي عمدتها المال وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن السعادة الاخروية والحجب الابدية والسادة سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود ومذموم بالاضافة الى المقصودين فالظواهر الذامة محمولة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد فاسدة والمادحة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد صحيحة ولما كانت الطبائع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء والاولياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وآله اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا

في غوائل المال وفوائده

فصل قد ظهر مما ذكر ان المال مثل حية فيها سم وترياق فغوائله سمه وفوائده ترياقه فمن عرفهما امكنه ان يحترز من شره ويستدر من خيره ولبيان ذلك نقول ان غوائله اما دنيوية او دينية والدنيوية هي ما يقاسيه ارباب الاموال من الخوف والحزن والهم والغم وتفرق الخاطر وسوء العيش والتعب في كسب الاموال وحفظها ودفع الحساد وكيد الظالمين وغير ذلك والدينية ثلثة انواع اولها اداؤه الى المعصية اذ المال من الوسائل الى المعاصي ونوع من القدرة المحركة لداعيتها فاذا استشعر الانسان من نفسه القدرة انبعثت لداعيته وانهمك في المعاصي وارتكب انواع الفجور ومهما كان آيسا عن القدرة لم يتحرك داعيه اليها اذ العجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر واما مع القدرة فان اقتحم ما يشتهيه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء من فتنة الضراء اعظم وثانيها اداؤه الى التنعم في المباحات فان الغالب ان صاحب المال يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم محبوبا عنده مألوفا بحيث لا يصبر عنه ويجره البعض منه

ذكر بقية غوائل المال وفوائده

البعض واذا اشتد الفقر به وصار عادة له ربما لم يقدر عليه من الحلال فيقتحم في الشبهات ثم
يخوض في المحرمات من الخيانة والظلم والغصب والرياء والكذب والنفاق والمداهنة وسائر
الاخلاق المهلكة والاشغال الردية لينتظم امر دنياه ويتيسر له تنعمه وما اقل لصاحب الثروة و
المال ان لا يصير التنعم مالوفا له اذ متى يقدر ان يقنع بخبز الشعير ولبس الخشن وترك لذائذ
الاطعمة باسرها فانما ذلك شأن نادر من اولى النفوس القوية القدسية كسليمان بن داود عم
وامثاله على ان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم و
يسخط الله في طلب رضاهم فان سلم من الآفة الاولى اعنى مباشرة المحرمات فلا يسلم عن هذه
اصلا ومن الحاجة الى الناس تثور العداوة والصداقة ويحصل الحقد والحسد والكبر والرياء
والكذب والغيبة والبهتان والنميمة وسائر معاصي القلب واللسان وكل ذلك يلزم من شوم
المال والحاجة الى حفظه واصلاحه وثالثها وهو الذي لا ينفك عنه احد من ارباب الاموال
وهو انه يلهيه اصلاح ماله وحفظه عن ذكر الله تعالى وكلما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران
ووبال ولذا قال روح الله عم في المال ثلث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه
في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال اذ اصل العبادة
وروحها وحقيقتها هو الذكر والفكر في جلال الله تعالى وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة
يصبح ويمسى متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته ومنازعة الشركاء وخصومتهم في الماء
والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وغير ذلك
وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة الشركاء وانفرادهم بالربح وتقصيرهم في العمل وتضييعهم
المال ويكون غالبا في بلاد الغربة متفرق الهم محزون القلب من كساد ما يصحبه من مال التجارة
وكذلك صاحب المواشي وغيره من ارباب اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد
المكنون تحت الارض وصاحبه ايضا لا يزال متفكرا مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه و
في الخوف ممن يعثر عليه وفي دفع طمع الخلق عنه وبالجملة اودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها و
الذي ليس معه الا قوت يومه او سنته ولا يطلب الزائد فهو في سلامة من جميع ذلك
واما فوائده فهي ايضا دنيوية ودينية اما الدنيوية فهي ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل
السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاصدقاء و
الاعوان وحصول الوقار والكرامة في القلوب واما الدينية فثلثة انواع اولها ان ينفق

على نفسه في عبادة كالحج والجهاد وفيما يقوى على العبادة كالمطعم والملبس والمسكن وثانيها ان يصرفه الى اشخاص معينة كالصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام واما الصدقة بانواعها فلا يحصى ثوابها وربما نشير الى فضيلتها في موضعها واما المروة ونعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة او هدية او اعانة وما يجري مجريها مما يكتسب به الاخوان والاصدقاء ويجلب به صفة الجود والسخاء اذ لا يتصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة فلا ريب في كونه مما يعظم ثوابه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض ونعني بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء وهجو الشعراء وقطع السنة الفاحشين والمغتابين ومنع شر الظالمين وامثال ذلك فهو ايضا من الفوائد الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة واما اجرة الاستخدام فلا ريب في اعانته على امور الدين اذ للاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له يحتاج ان يتولى بنفسه جميع الاعمال التي يحتاج اليها في الدنيا حتى نسخ الكتاب الذي يفتقر اليه وكلما يتصور ان يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران وندامة وثالثها ان يصرفه الى غير معين يحصل به خير عام وهي الخيرات الجارية من بناء المساجد والمدارس والقناطر والرباطات ونصب الخشبات في الطرق واجراء القنوات ونسخ المصاحف والكتب العلمية وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدائرة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات ممتدة

فصل من اراد النجاة من غوائل المال فليحافظ على امور الاول ان يعرف مقصود المال وباعث خلقه وعلة الاحتياج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته الثاني ان يراعي جهة دخله فيجتنب الحرام والمشتبه والجهات المكروهة القادحة في المروة والحرية كالهدايا المشوبة بالرشوة والسؤال الذي فيه الانكسار والذلة الثالث ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال النبي صلى الله عليه وآله ما عال من اقتصد ثم للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلث ادنى واوسط واعلى وربما كان الميل الى الادنى احرى واولى ليدخل في زمرة المخفين يوم القيمة الرابع ان يضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حله والوضع

الامور المنجية من غوائل المال

في غير حقه سواء الخامس ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما يأخذ
استعانة به على ما خلق لاجله ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واجتنابا عن وزره
وثقله واذا فعل ذلك لم يضره وجوده قال امير المؤمنين ع لو ان شخصا رجلا اخذ جميع ما
في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد لو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فينبغي
لكل مؤمن ان يكون باعث جميع افعاله التقرب الى الله ليصير الجميع عبادة فان ابعد الافعال
عن العبادة الاكل والوقاع وقضاء الحاجة ويصير بالقصد عبادة فمن اخذ من المال ما
يحتاج اليه في طريق الدين وبذل ما فضل منه على اخوانه المؤمنين فهو الذي اخذ من حبة المال
ترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال الا انه لا يتاتى ذلك الا لمن كثر علمه واستحكمت في
الدين قدمه والعامي اذا تشبه به في الاستكثار من المال فشانه شان الصبي الذي يرى
المعزم الحاذق باخذ الحية ويتصرف بها ليأخذ ترياقها فيقتدي به فياخذها مستحسنا
صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل
وقتيل المال قد لا يعرف ذلك وكما يمتنع ان يتشبه الاعمى بالبصير في التخطي على الجبال واطراف
البحار والطرق المشوكة فيمتنع ان يتشبه العامي الجاهل بالعالم الكامل في الاستكثار من المال

وصل ضد حب الدنيا والرغبة اليها هو الزهد وهو ان لا يريد بقلبه الدنيا ويتركها بجوارحه الا
بقدر ضرورة بدنه وبعبارة اخرى هو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها من الاموال والمناصب و
سائر ما يزول بالموت وبتقرير اخر هو الرغبة عن الدنيا عدولا الى الاخرة او عن غير الله
عدولا الى الله وهو الدرجة العليا فمن رغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس ولم يحب الا
الله فهو الزاهد المطلق ومن رغب عن حظوظ الدنيا خوفا عن النار او طمعا في نعيم الجنة
من الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد لكنه دون الاول ومن ترك بعض
حظوظ الدنيا دون بعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل دون التجمل في
الزينة لا يستحق اسم الزاهد مطلقا ومما ذكر يظهر ان الزهد انما يتحقق اذا تمكن من نيل الدنيا
وتركها وكان باعث الترك هو حقارة المرغوب عنه وخساسته اعني الدنيا بالاضافة الى المرغوب
اليه وهو الله والدار الاخرة فلو كان الترك لعدم قدرته عليها او لغرض غير الله تع وغير الدار
الاخرة من حسن الذكر واستمالة القلوب والاشتهار بالفتوة والسخاء او الاستثقال لحفظ الاموال
الاموال من المشقة والعناء وامثال ذلك لم يكن من الزهد اصلا **فصل** الزهد اما ان

في الزهد [illegible] الدنيا والآخرة وفضيلة [illegible] التجافي

الذين واعلى مقامات السالكين قال الله سبحانه فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير نسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو
غاية المدح وقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال من كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الآخرة من نصيب وقال رسول الله من اصبح وهمه الدنيا شتت الله
عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له
ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة وقال اذا رأيتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة
وقال من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال
ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال لامير المؤمنين
يا علي من عرضت له دنياه وآخرته فاختار الآخرة وترك الدنيا فله الجنة ومن اختار
الدنيا استخفافا بآخرته فله النار وقال سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل
والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان
منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغناء وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل
وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله ثواب خمسين صديقا وقال لما
نعبه لما سئل عن معنى شرح الصدر ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح للاسلام فقيل
هل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل حلوله وقال استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا لنستحيي قال فلم تبنون ما
لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وروي انه وفد عليه وفد وقالوا انا مؤمنون قال
وما علامة ايمانكم فقالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء و
نترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون
ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد من مكملات ايمانهم
وقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة وفسرها بحب
الدنيا وطلبها وقال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه فانطق بها لسانه وعرفه
داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وقد كان بعضهم [illegible] بعث [illegible]

في فضيلة الفقر وذكر الاخبار المتعلقة بالفقر والكفاف في الدنيا

به من الجوع وقالت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك فقال والذى نفسى بيده لو سئلت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ان الدنيا لا ينبغى لمحمد صلى الله عليه وآله ولا لآل محمد ان الله لم يرض لاولى العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لى الا ان يكلفنى مثل ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله تعالى يزيدن طاعته وانى والله لاصبرن كما صبروا بجهدى ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وآله لقد كان الانبياء من قبلى ليبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء وكان احدهم ليبتلى بالقمل وكان ذلك احب اليهم من الاعطاء اليهم وقال صلى الله عليه وآله لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشئ احب اليه من كثرته وقال صلى الله عليه وآله اذا اراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وآله من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات وقال صلى الله عليه وآله ان ربى عرض على ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك وروى انه صلى الله عليه وآله خرج ذات يوم ومعه جبرئيل دصعد على الصفا فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله والذى بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال صلى الله عليه وآله امر الله القيامة ان يقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل وقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوحى اليه جبرئيل ان تواضع لله فقال نبيا عبدا وقال صلى الله عليه وآله قال الله ان من اغبط اوليائى عندى رجل خفيف الحال ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه بالغيب كان غامضا فى الناس جعل رزقه كفافا فصبر عليه عجلت منيته فقل تراثه وقلت بواكيه ومر صلى الله عليه وآله براعى ابل فبعث اليه يستسقيه فقال اما ما فى ضروعها فصبوح الحى واما ما فى آنيتنا فغبوقهم فقال صلى الله عليه وآله اللهم اكثر ماله وولده ثم مر براعى غنم فبعث اليه يستسقيه فحلب ما فى ضروعها واكفى ما فى انائه فى اناء رسول الله صلى الله عليه وآله وبعث اليه بشاة وقال هذا ما عندنا وان احببت

فى ما ورد عن المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين فى مدح الزهد والكفاف

المقام الثانى

تزيدك زدناك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم ارزقه الكفاف فقال له بعض اصحابه يا رسول الله لو دعوت
للذى ردك بدعاء عامتنا نحبه ودعوت بالذى اسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه
فقال صلى الله عليه وآله ان ما قل وكفى خير مما كثر والهى اللهم ارزق محمدا وآل محمد الكفاف وقال
امير المؤمنين عليه السلام الناس ثلثة زاهد وصابر وراغب فاما الزاهد فقد خرجت الاحزان
والافراح من قلبه فلا يفرح بشئ من الدنيا ولا يأسى على شئ منها فاته فهو مستريح
واما الصابر فانه يتمناها بقلبه فاذا نال منها الجم نفسه عنها لسوء عاقبتها وشنائتها
ولو اطلعت على قلبه تعجبت من عفته وتواضعه وحزمه واما الراغب فلا يبالى من اين
جائته الدنيا من حلها او حرامها ولا يبالى ما دنس فيها عرضه واهلك نفسه واذهب
مروته فهم فى غمرة يعمهون ويضطربون وقال عليه السلام من جمع ست خصال لم يدع للجنة
مطلبا ولا عن النار مهربا عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الدنيا فتركها
وعرف الآخرة فطلبها وعرف الباطل فاتقاه وعرف الحق فاتبعه وقال عليه السلام من اشتاق
الى الجنة سارع الى الخيرات ومن اشفق من النار لهى عن الشهوات ومن راقب الموت
ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات وقال عليه السلام ان علامة الراغب
فى ثواب الآخرة زهده فى عاجل زهرة الحيوة الدنيا اما ان زهد الزاهد فى هذه الدنيا
لا ينقصه مما قسم الله تعالى له فيها وان حرص فالمغبون من حرم حظه من الآخرة وقال على
بن الحسين عليه السلام ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله افضل من بغض الدنيا الحديث
وقال الباقر عليه السلام اكثر ذكر الموت فانه لم يكثر انسان ذكر الموت الا زهد فى الدنيا وقال عليه السلام
قال الله تعالى وعزتى وجلالى وعظمتى وبهائى وعلو ارتفاعى لا يؤثر عبد مؤمن هواى
على هواه فى شئ من امر الدنيا الا جعلت غناه فى نفسه وهمته فى آخرته وضمنت السموات
والارض رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر وقال عليه السلام اعظم الناس قدرا من لا
يبالى الدنيا فى يد من كانت فمن كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا فى عينه وقال الصادق عليه السلام
جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وقال عليه السلام ما كان شئ احب الى رسول
الله صلى الله عليه وآله من ان يظل خائفا جائعا فى الله تعالى وقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا زهده فى
الدنيا وفقهه فى الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتى خير الدنيا والآخرة
وقال عليه السلام لم يطلب احد الحق بباب افضل من الزهد فى الدنيا وهو ضد لما طلب اعداء الحق

وان زهد على حرص لم يعجز زهده عاجل الحيوة الدنيا لا يزيد فيها

ومن هانت عليه نفسه لم يرج خيره

في ان الزهد اشرف صفات الانبياء وذكر بعض احوالهم صلوات الله عليهم

من الرغبة فيها الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا وقال ع الزهد
مفتاح باب الآخرة والبرائة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على
فواتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض لها بل ترى فوتها
راحة وكونها آفة معتصما بالراحة والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز
والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة و
يكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة وقال الرضا ع من اصبح وامسى معافيا في بدنه آمنا في سربه
عنده قوت يومه فكانما خيرت له الدنيا وكفى للزهد فضيلة ومدحا انه اشرف صفات
الانبياء والاولياء ولم يبعث نبي الا به ولولم يتوقف التقرب الى الله والنجاة في دار
الآخرة عليه لما ضيق عظماء نوع الانسان واعرف الناس بحقيقة الحال على انفسهم في فطامها
عن شهوات الدنيا ولذاتها فانظر الى كليم الله موسى ع كيف كان غالب قوته نبت الارض و
اوراق الاشجار وكان ضعف بدنه من كثرة رياضته بحيث يرى الخضرة من صفاق بطنه
كما اخبر به امير المؤمنين ع في نهج البلاغة ثم انظر الى روح الله ع كيف يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم
يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اينما يدركه المنام وقال له الحواريون
يوما يا نبي الله لو امرتنا ان نبني لك بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا لي بيتا على الماء فقالوا
كيف يستقيم بنيان على الماء قال فكيف يستقيم عبادة على حب الدنيا وروي انه اشتد
به يوما المطر والرعد والبرق فجعل يطلب بيتا يلجأ اليه فرفعت اليه خيمة من بعيد فاتاها
فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال
الهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فاوحى الله اليه مأواك في مستقر من رحمتي
لازوجنك يوم القيامة الف حوراء خلقتها بيدي ولاطعمنك في عرسك اربعة آلاف عام
يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى
بن مريم ثم انظر الى يحيى بن زكريا حيث يلبس المسوح حتى نقب جلده تركا للتنعم بلين
الثياب واستراحة حس اللمس فسألته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى
الله اليه يا يحيى آثرت الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان ثم افتح بصيرتك و
تأمل في سيرة رسول الله ص وزهده في الدنيا فانه ص لبث في النبوة ما لبث ولم يشبع هو
واهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة ولم يشبع من

وتكون ابدا هاديا من الاثر

التمر هو واهل بيته حتى فتح الله عليهم خيبر وقرب اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع
فشق ذلك عليه حتى تغير لونه فامر بالمائدة ص فرفعت و وضع الطعام على الارض وكان
ينام على عباءة مثنية فثنوها له ليلة باربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعتمونى
قيام الليلة هذه بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وكان يضع ثيابه ليغسل
فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلوة فما يجد ثوبا حتى يلبس ويخرج الى الصلوة وروى ان امرأة
من بنى ظفر صنعت له ص كسائين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلوة
وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك وشدة زهد علي ع وتركه
الدنيا اشهر من ان يحتاج الى بيان وكذا من بعده من الائمة الراشدين والاصحاب والتابعين
وغيرهم من اكابر الدين والسلف السالفين الصالحين حتى كان احدهم يعيش خمسين سنة
وستين لم يطوله ثوب لم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من فى
بيته بصنعة طعام فعلى اطرافهم يقومون و وجوههم على الارض يفترشون تجرى دموعهم
على خدودهم ويناجون ربهم فى فكاك رقابهم من النار وقد حكى ان بعض الخلفاء ارسل
الى بعضهم بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على اهله فقال اتدرون ما مثلى و
مثلكم الا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها
فكذلك انتم اردتم ذبحى على كبر سنى موتوا جوعا خير لكم من ان تذبحونى وقد بلغ بعضهم من الزهد
بحيث يطلب لقيام الليل موضعا لا يصيبه نسيم الاشجار خيفة من الاستراحة به وكان
لبعضهم حب مكسور فيه ماؤه لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة
الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا فيا حبيبى افق من سكر الهوى واعرف المضادة التى
بين الآخرة والدنيا واقتد بالواقفين على جلية الحال والمطلعين على حقيقة المآل فى
المواظبة على الزهد والتقوى و فطام النفس عن لذائذ الدنيا فان ذلك وان كان شاقا مدة
قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين انفسهم
بسياسة الشرع المبين المعتصمين بعروة اليقين بما وعد الله تع فى الآخرة لعباده الزاهدين

في اعتبارات الزهد و درجاته

فصل اعلم ان للزهد اعتبارات يتحقق له بكل اعتبار درجات الاول اعتباره نفسه اى من
حيث نفس الترك للدنيا وهذا الاعتبار له درجات ثلث الاولى ان يزهد فى الدنيا مع ميله
اليها وحبه لها بان يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة وهذا هو الزهد الثانية ان يترك

اعتبار وتنبيه من موعظة وضمن المثل في بعض الزهد برفيه بليغة

الدنيا طوعا وسهولة من دون ميل اليها لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما يطمع فيه من
لذات الآخرة وهذا كالذي يترك درهما لاجل درهمين معاوضة فانه لا يشق عليه ذلك وان
كان يحتاج الى قليل انتظار ومثله ربما اعجب بنفسه وبزهده لاحتمال ان نظن بنفسه انه ترك
شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه الثالثة وهي اعلى الدرجات ان يترك الدنيا طوعا و
شوقا ولا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خنفسا واخذ ياقوتة
مما قيمة جزاء فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا وسبب هذا الزهد كمال المعرفة
فان العارف على يقين بان الدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الآخرة اخس من خنفسا بالنظر
الى ياقوتة ومثل هذا الزاهد في امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخنفسا بالياقوتة في
امن من طلب الاقالة في البيع وقد ذكر ارباب القلوب من اهل المعرفة ان مثل تارك الدنيا
بالآخرة مثل من منعه عن باب الملك كلب يكون في بابه فالقى اليه لقمة خبز ملطا من
موائد الملك فشغله بنفسه ودخل الباب ونال غاية القرب من الملك حتى نفذ امره في جميع
مملكته افترى انه يرى لنفسه عوضا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلب في مقابلة ما ناله
مع كون هذه اللقمة ايضا من الملك فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول
مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلها فلذتها في حالة المضغ
وينقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله في المعدة ثم ينتهي الى النتن والقذر ويحتاج
الى اخراجه فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ولا ريب في ان نسبة الدنيا لكل شخص
اعني ما يسلم له منها وان عمر الف سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة
الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والدنيا متناهية ولو كانت تتمادى
الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة
ولذاتها مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد الثاني في اعتبار المرغوب عنه اعني ما يترك
وبهذا الاعتبار له خمس درجات الاولى ان يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام ويسمى زهد
فرض الثانية ان يترك المشتبهات ايضا وهو الزهد في الشبهة ويسمى زهد سلامة الثالثة
ان يزهد في الزائد عن قدر الحاجة من الحلال ايضا ولا يزهد في التمتع بالقدر الضروري من
المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح وما هو وسيلة اليها من المال والجاه والى هذه
الدرجات كلا او بعضا اشار مولانا امير المؤمنين ع بقوله الزهد في الدنيا قصر الامل

ذكر درجة باعتبار المرغوب عنه من الزهد ونقل بعض ما يناسبها من الأخبار

المقام الثالث

شكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله ومولانا الصادق ع بقوله ان الزهد في الدنيا ليس باضاعة
المال و لا بتحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله وهذا
مع ما ياتي بعده هو الزهد في الحلال ويسمى زهد تقى الرابعة ان يترك جميع ما للنفس فيه تمتع و
يزهد فيه ولو في قدر الضرورة لا بمعنى ترك هذا القدر بالمرة اذ ذلك متعذر بل تركه من حيث
التمتع به وان ارتكبه اضطرارا من قبيل اكل الميتة مع الاكراه له باطنا وهذا يتناول ترك جميع مقتضيات
الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها والى هذه الدرجة اشار
الصادق ع بقوله الزاهد في الدنيا الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه واليها
يرجع قول امير المؤمنين ع الزهد كلمة بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى
مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ فمن لم ياس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد
بطرفيه وقوله ع الزهد في الدنيا ثلثة احرف زاء وهاء ودال اما الزاء فترك الزينة
واما الهاء فترك الهوى واما الدال فترك الدنيا الخامسة ان يترك جميع ما سوى الله ويزهد فيه
حتى في بدنه ونفسه ايضا بحيث كان ما يصحبه ويرتكبه في الدنيا الجاء واكراها من دون استلذاذ
وتمتع به والى هذه الدرجة اشار مولانا الصادق ع ايضا في كلامه المنقول سابقا حيث قال الزهد
مفتاح باب الآخرة والبرائة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها
ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها وطلب محمدة عليها ولا عوض لها بل يرى فوتها راحة و
كونها آفة الحديث ثم الالتفات الى بعض ما سوى الله والاشتغال به ضرورة كضروري
الاكل واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وامثال ذلك لا ينافي هذه المرتبة من الزهد
اذ معنى الانصراف من الدنيا الى الله تعالى انما هو الاقبال بكل القلب اليه تعالى ذكرا وفكرا وهذا
لا يتصور بدون البقاء ولا بقاء الا بضروريات المعيشة فمتى اقتصر من الدنيا عليها قاصدا
لدفع المهلكات عن البدن وللاستعانة بها على العبادة وسائر ما يقربه الى الله لم يكن
مشتغلا بغير الله اذ ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الدابة في طريق الحج
ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون البدن في طريق الله مثل الدابة في طريق الحج فكما
ان قصدك من تهيئة ما يحتاج اليه دابتك دفع المهلكات عنها حتى يسير بك الى مقصدك
دون تنعمها فكذلك ينبغي ان يكون قصدك من الاكل والشرب واللباس والسكنى صيانة
بدنك عما يهلكه من الجوع والعطش والحر والبرد فيقتصر على قدر الضرورة ويقصد التقوي

في تحديد الاقتصاد للمقتصد في الزهد واصول موانعه ومراتب المعاني وتفصيلها

على طاعة الله دون التلذذ والتنعم وذلك لا ينافي الزهد بل هو شرطه ثم ترتب التلذذ على ذلك لا يضر اذا لم يكن مقصودا بالذات فان الانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور وهذا لا يضر بعبادته اذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحة على انه لا لذة حقيقة في الاكل والشرب واللباس وانما يندفع بها الام الجوع والعطش والحر والبرد ثم لا يخفى ان الفضول من امور الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمسكن والاثاث والمنكح والمال والجاه ينبغي تركها والزهد فيها اذ الاخذ بما لا يحتاج اليه ينافي الزهد واما غير الفضول مما يحتاج اليه الانسان ويكون مهما له من الامور الثمانية فينبغي ان لا يترك الزهد فيها اذ ما هو المهم الضروري يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فينبغي ان لا يترك الزهد فيه ايضا ومقتضى غاية الزهد فيه ان يقتصر من القوت على قوت يومه وليلته فان كان عنده ازيد من ذلك فليبذله على بعض المستحقين فان اقتصر من جنسه على خبز الشعير فهو غاية الزهد في القوت الا ان اكل خبز الحنطة في بعض الاحيان بل اكل ادام في بعض الاوقات اذا لم يكن من اللذائذ الشديدة ومن اطعمة المتنعمين من اهل الدنيا لا ينافي الزهد وربما لم يكن اكل اللحم في بعض الاحيان منافيا له ويقتصر من اللباس بعد كونه من القطن او الصوف على ما يستر الاعضاء ويحفظها من الحر والبرد ولا باس بكونه اثنين ليلبس الاخر عند غسل احدهما ومن المسكن على ما يحفظ نفسه واهله من الحر والبرد ومن اثاثه اعني الفرش والظروف القدر والكوز وامثال ذلك ما يدفع حاجته من غير تعد الى ما يمكن زوال الضرورة بدونه ومن المنكح على ما يكسر به سورة شهوته ويحفظه عن النظر والوساوس الشهوية المانعة عن الحضور في العبادات ومن المال على ما يقضي به حاجة يومه فليترك كسبه ويشتغل بامر الدين وان كانت له صنيعة ولم يكن له مدخل اخر يمكن ان يصل اليه كل يوم قدر حاجته فيه فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفي ربعه بسنة واحدة بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية نفقته وربما قيل ان مثله من ضعفاء الزهاد بمعنى ان ما وعد للزاهدين في الدار الاخرة من المقامات العالية والدرجات الرفيعة لا يناله وان صدق عليه كونه زاهدا اذ مثله ليس له قوة اليقين لان صاحب اليقين الواقعي اذا كان له قوت يومه لا يحتاط شيئا لغده ومن شرط التوكل في الزهد فلا يكون هذا من الزهاد عنده وهذا غاية الزهد في الامور المذكورة وعليه جرت طوائف الانبياء وزمرة

وليلته فان كان كاسبا
الكسب ما يحتاج يومه

الاوصياء ومن بعدهم من السلف الاتقياء والحق ان حكم الزهد فيهما يختلف باختلاف الاشخاص
والاوقات فان امر المتفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل ومن قصر جميع همته على
تحصيل العلم والعمل ولو يقدر على تحصيل كسب حاله يخالف حال اهل الكسب وكذا في بعض الاوقات
وفي بعض الاماكن يمكن تحصيل قدر الحاجة في كل يوم وفي بعض اخر منهما لا يمكن ذلك
فاللائق لكل احد ان يلاحظ حاله ووقته ومكانه ويتامل في ان الاصلح بامر اخرته و
الاعون على تحصيل ما خلق لاجله امساك اي قدر من المال وصرف اي قدر وجنس من
القوت بحيث لو كان اقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه الى ربه فياخذه ويترك الزائد
فان بعد صحة النية وخلوص القصد في ذلك لا يخرج عن الزهد الواقعي وان تصور الاكتفاء
باقل من ذلك مع ايجابه لفقد ما هو اهم في تكميل النفس واما الجاه فقد تقدم ان القدر
الضروري منه في امر المعيشة كتحصيل منزلة في قلب خادمه ليخدمه وفي قلب السلطان ليدفع
شر الاشرار عنه لا باس به فالظاهر عدم منافاة هذا القدر للزهد وقال بعض العلماء
هذا القدر وان لم يكن به باس الا انه ربما ادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او لخلاص من
ظلم اما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما
يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة ومعلوم ان من اراد ان يخدم بغير اجرة فهو من الظالمين
فكيف يكون من الزاهدين واما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها
وان يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له
عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن
بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب
المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع
عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تخرج
الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن
اذى في بعض الاوقات فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذن
طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة
الخمر فليحترز من قليله وكثيره نعم ما اعطاه الله لبعض عبيده من دون سعيه في طلبه لنشر

في نفي البأس عن القدر الضروري من الجاه كما في المال

دينه او لانضافه ببعض الكمالات المختصة لحصول منزلة له في القلوب فليس به بأس ولا ينافي الزهد
فان جاه رسول الله صلى الله عليه وآله كان اوسع الجاه مع كونه ازهد الناس والحق كما تقدم ان الجاه كالمال في
نفي البأس عن قدر يضطر اليه الانسان اذا وقع في زمان وبلد يتوقف امر معيشته عليه
فالقدر الضروري منهما غير محذور وغير مناف للزهد والزايد على الحاجة سم قاتل فلا
ينبغي ان ينسب المقتصر على الضرورة الى الدنيا بل ذلك القدر من الدين لانه من شرطه والشرط
من جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابرهيم عم اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض
شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب
عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسئلك منها فاوحى الله تعالى ليس الحاجة من الدنيا ويدل
عليه ايضا كلام الصادق عم مع سفيان الثوري كما اورده بطوله شيخنا الاقدم رحمه الله في جامع
الكافي فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الاخرة بل في الدنيا ايضا ويعرف
ذلك بالتأمل في احوال الاغنياء وما عليهم من المحن في كسب المال وجمعه وحفظه و
تحمل الذل فيه وغاية سعادته ان يتركه لورثته فياكلونه وهم اعداؤه او يستعينون به على
المعصية فيكون معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا وتابع الشهوات بدود القز
لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب
العمل الذي عمله بنفسه كما قيل في ذلك

الم تر ان المرء طول حياته / معني بامر لا يزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائما / ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

فكل مكب على الدنيا متبع للشهوات لا يزال يقيد نفسه بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها
الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين شهواته دفعة فيبقى السلاسل من قلبه متعلقة بالدنيا
التي فاتته وخلفها وهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه
الى الاخرة فاهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بالمناشير ويفصل احد
جانبيه عن الاخر فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرات نزوله في اسفل
السافلين ومنعه عن اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن
لقاء الله وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار لكل محجوب معدة كما قال الله تعالى
كَلَّا اِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَومَئِذٍ لَمَحجُوبُونَ ثُمَّ اِنَّهُم لَصَالُوا الجَحِيمِ ولما انكشف لارباب القلوب
ان العبد يهلك نفسه باتباع الهوى والخوض في الدنيا اهلاك دود القز نفسه فضوا

المقام الثالث

دقيقة في بيان الزهد باعتبار المرغوب فيه وتقسيمه بحسبه الى زهد الخائف والراجي والعارف

الدنيا بالكلية فنسئل الله تعالى ان يقرر في قلوبنا ما نفث في روع حبيبه صلى الله عليه وآله حيث اوحى اليه احبب ما احببت فانك مفارقه الثالث باعتبار المرغوب فيه اعني ما يترك لاجله وللزهد بهذا الاعتبار درجات ثلث الاولى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وساير عذاب الآخرة وهذا زهد الخائفين الثانية ان يكون ثواب الله ونعيم الجنة وهذا زهد الراجين الثالثة وهي الدرجة العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله ولقائه فلا يلتفت الى الآلام ليقصد منها الخلاص ولا الى اللذات ليقصد نيلها بل كان مستغرق الهم بالله وهذا زهد العارفين لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه بصفاته الكمالية فكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار وكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة ولذة التنعم بالحور العين والنظر الى القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره وقال بعض العرفاء ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق **تتميم** لا تظنن ان كل من ترك المال الدنيا انه زاهد فان ترك المال واظهار التضيق والخشونة في الماكل والملبس سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهبان في الصوامع تركوا مال الدنيا وردوا انفسهم كل يوم على قدر قليل من القوت واكتفوا من المسكن باي موضع اتفق لهم وكان غرضهم من ذلك ان يعرفهم الناس بالزهد ويمدحهم عليه فهم تركوا المال لنيل الجاه فالزهد الحقيقي ترك المال والجاه بل جميع حظوظ النفس من الدنيا وعلامة ذلك استواء الغنى والفقر والذم والمدح والذل والعز لاجل غلبة الانس بالله اذ ما لم يغلب على القلب الانس بالله والحب له لم يخرج عنه حب الدنيا بالكلية اذ محبة الله ومحبة الدنيا في القلب كالماء والهواء في القدح فاذا دخل احدهما خرج الآخر فكلاهما لا يجتمعان ولا يرتفعان ايضا فالقلب الخالي من حب الدنيا يكون خاليا عن حب الله كما ان القلب المشغول بحب الله والانس به فارغ عن حب

في اعتبار الغنى باحوال الاغنياء وذكر ما ورد في ذم الغنى

الدنيا و بفقده ربما يخرج احدهما بدخل الآخر و بالعكس ومنها الغنى وهو وجود كل ما
يحتاج اليه من امر من الاموال وهذا اقل مراتبه وفوق ذلك مراتب لا تحصى حتى ينتهي الى جمع
اكثر اموال الدنيا كما اتفق لبعض الملوك ثم الغني اما ان يكون بحيث يسعى في طلب المال وجمعه
ويتعب في تحصيله ويكره خروجه عن يده ويتأذى به وهذا غني حريص او يكون بحيث لا يتعب و
لا يسعى في تحصيله الا انه لما اتاه اخذه وفرح به مع تأذيه بفقده وكراهته له وهذا
ايضا لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده او يكون بحيث لا يتعب في طلبه ولا يرغب فيه رغبة يفرح
بحصوله ويتأذى بفقده ولكن لما اتاه رضي به اما مع تساوي وجوده وعدمه او مع كون وجوده
احب اليه من عدمه ومثله الغني الراضي والقانع وايضا الغني اما ان يكون جميع ماله حلالا
او يكون بعضه او كله حراما وايضا اما يمسكه غاية الامساك بحيث لا يؤدي شيئا من حقوقه
الواجبة والمستحبة او ينفقه في مصارفه اللائقة وللانفاق مراتب شتى ادناها ان يؤدي الحقوق
الواجبة واعلاها ان يبذل كلما يزيد عن اقل مراتب الغنى بحيث لو تعدى عنه يسير لصار فقيرا

فصل الغنى الحاصل من الحلال مع بذل ما يفضل عن اقل مرتبته في المصارف اللائقة
ومساواة وجوده وعدمه عند صاحبه سالم من الآفات والاخطار وغير ذلك من
اقسامه لا يخلو عن آفة او خطر وحبه بعض افراد حب الدنيا بل هو راجع الى حب المال بعينه فيدل
على ذمه ما ورد في ذمهما وقد ورد في ذمه بخصوصه بعض من الآيات والاخبار قال الله سبحانه
إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى وقيل لرسول الله صلعم اي امتك اشر قال الاغنياء
وقال صلعم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلعم يدخل فقراء امتي قبل اغنيائهم بخمسمائة
عام وقال صلعم اطلعت على الجنة فرأيت اكثر اهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت اكثر
اهلها الاغنياء وفي طريق فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجد واوحى الله تعالى الى موسى
يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب
عجلت عقوبته وروي انه ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل
يكفيك خير من كثير يطغيك وقال عيسى عليه السلام بشدة يدخل الغني الجنة **وصل** ضد الغنى الفقر
وهو فقد ما يحتاج اليه ولا يسمى فقد ما لا حاجة اليه فقرا فان عمم ما يحتاج اليه ولم
يخص بالمال لكان كل موجود ممكن محتاجا لاحتياجه الى دوام الوجود وغيره من الكمالات
المستفادة من الله سبحانه وانحصر الغني بواجب الوجود لذاته ومفيد لوجود غيره من الموجودات

في الفقر وذكر اعتبارات متفاوتة بحسبها مدح وذم

اقسام الفقر

في اختلاف احوال الفقراء

اعني الله سبحانه فهو الغني المطلق وسائر الاشياء الموجودة فقراء محتاجون وقد اشير الى
هذا الحصر في الكتاب الالهي بقوله تعالى وَاللّٰهُ هُوَ الْغَنِيُّ وَاَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وان خص بالمال لم يكن
كل الناس فقراء بل من فقد المال الذي هو محتاج اليه كان فقيرا بالاضافة اليه والفقر بهذا
المعنى هو الذي نريد بيانه هنا **فصل** الفقير اما ان يكون راغبا في المال محبا له
بحيث لو وجد اليه سبيلا لطلبه ولو بالتعب والمشقة وانما ترك طلبه لعجزه منه ويسمى
هذا فقيرا حريصا او يكون وجود المال احب اليه من عدمه ولكن لم يبلغ حبه له حدا يبعثه
على طلبه بل ان اتاه بلا طلب اخذه وفرح به وان افتقر الى سعي في طلبه لم يشتغل به ويسمى هذا
فقيرا قانعا او يكون بحيث لا يحبه ولا يرغب فيه ويكره وجوده ويتأذى به ولو اتاه هرب منه مبغضا
له ومحترزا عن شره ويسمى هذا فقيرا زاهدا فاعراضه عنه وعدم سعيه في محافظته وضبطه لو
وجده ان كان لخوف العقاب فهو فقر الخائفين وان كان لشوق الثواب فهو فقر الراجين
وان كان لعدم التفات اللازم لاقباله الى الله تعالى بشراشره من دون غرض دنيوي او
اخروي فهو فقر العارفين او يكون بحيث لا يحبه حبا يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها
ويزهد فيه بل يستوي عنده وجوده وعدمه فلا يفرح بحصوله ولا يتأذى بفقده بل كان راضيا بالحالتين
على السواء وغنيا عن دخوله وبقائه وخروجه مرتبته من غير خوف من الاحتياج اذا فقد كالحريص
والقانع ولا تأذ عن حذاره واضراره اذا وجد كالزاهد فمثله لو كان اموال الدنيا باسرها
في يده لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في
يده او في يد غيره فيكون بحيث يستوي عنده المال والهواء المخلوق في الجو فكما ان كثرة الهواء
في جواره لا يؤذيه ولا يكون قلبه مشغولا بالفرار عنه ولا يبغضه بل يستنشق منه بقدر
الضرورة ولا يبخل به على احد فكذلك كثرة المال لا يؤذيه ولا يشغل به قلبه ويرى نفسه وغيره فيه
على السواء في المالكية ومثله ينبغي ان يسمى مستغنيا راضيا لاستغنائه عن وجوده و
عدمه ورضائه بالحالتين ومرتبته فوق الزاهد اذ غاية درجة الزهد
كمال الابرار وصاحب هذه المرتبة من المقربين فالزهد في حقه نقصان اذ حسنات الابرار
سيئات المقربين والسر فيه ان الزاهد كاره للدنيا فهو مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها
مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله سواء كان بالحب او بالبغض فكل ما سوى
الله كالرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فكما ان التفات قلب العاشق الى الرقيب

تحقيق الحال في الفقير والمستغني والجمع بين ما ورد في مدح الفقر وذمه

من الباب الثالث

وبغضه وكراهته حضوره نقص في العشق فكذلك التفات قلب العبد الى غير الله وبغضه وكراهته نقصان في الحب والانس كما ان التفاته بالحب نقص فيهما اذ كما لا يجتمع في قلب واحد حبان في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها وان كان الثاني اسوء حالا من الاول اذ المشغول بحبها غافل في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب فيحتمل زوال غفلته وتبدلها بالشهود فالكمال مرتقب له اذ بغض الدنيا مظنة توصل العبد الى الله وهرب الانبياء والاولياء من المال وفرارهم عنه وترجيحهم فقده على وجوده كما اشير اليه في بعض الاخبار والآثار انما هو لنزولهم الى درجة الضعفاء ليقتدوا بهم في الترك اذ الكمال في حقهم حب الترك وبغض الوجود لان مع وجوده يتعذر في حقهم استواء وجوده وفقده وكونه عندهم كماء البحر فلو لم يظهر الانبياء النفار والكراهة من المال وتمسك الضعفاء بهم في الاخذ لهلكوا فمثل النبي كمثل المعزم الحاذق يفر بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها بل لعلمه بانه لو اخذها لاخذها اولاده ايضا اذا راوها وهلكوا فالسير بسيرة الضعفاء صفة الانبياء والاوصياء او غير الهرب والنفار اللازمين للبغض والكراهة وخوف الاشتغال به بل كان نفارهم منه كنفارهم من الماء على معنى انهم شربوا بقدر حاجتهم وتركوا الباقي في الشطوط والانهار للمحتاجين من غير اشتغال قلوبهم بحبه وبغضه الا ترى انه قد حملت خزائن الارض الى رسول الله وخلفائه فاخذوها ووضعوها في مواضعها من غير هرب منه وبغض له وذلك لاستواء المال والماء والحجر والذهب عندهم ثم تسمية صاحب هذه المرتبة بالفقر والمستغني لا يوجب التنافي اذ اطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجا اليه تعالى في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقربها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان عاما للخلق ثم كل مرتبة من المراتب المذكورة للفقر ما عدا الاخيرة اعم من ان يكون بالغا حد الاضطرار بان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب او لا واذ عرفت بعد ما ذكر اشتراك الفقر بين المعاني المذكورة لم يشكل عليك الجمع بين ما ورد في مدح الفقر كما ياتي وبين ما ورد في ذمه كقوله ص كاد الفقر ان يكون كفرا وقوله الفقر موت الاكبر وقول امير المؤمنين ع من ابتلي بالفقر فقد ابتلي باربع خصال بالضعف في يقينه والنقصان في عقله والرقة في دينه

فكذلك لا يجتمع فيه حب وبغض في حالة واحدة صح

يشرح له

في اختلاف مراتب الفقر في الفضيلة وبعض ما ورد في مدح الفقراء

فصل قد عرفت ان بعض مراتب الفقر راجع الى الزهد وبعضها الى ما هو فوقه اعنى الرضا والاستغناء وبعضها الى القناعة ففضيلة هذه المراتب ظاهرة والاخبار الواردة في فضيلة الزهد والرضا والقناعة تدل على فضيلة المراتب المذكورة من الفقر واما المرتبة الاولى المتضمنة للحرص فهو ايضا لا يخلو عن فضيلة بالنظر الى الغنى المتضمن له والظواهر الواردة في مدح الفقر بتمامها ولعمومها جميع مراتبه قال الله سبحانه للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله الآية ساق الله سبحانه الكلام في معرض المدح وقدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة جلية على مدح الفقر وقال رسول الله ص خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تصعدا في الجنة ضعفاؤها وقال ص اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وقال ص لي حرفتان اثنتان فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وقال ص الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وسئل ص عن الفقر فقال خزانة من خزائن الله وسئل عنه ثانيا فقال كرامة من الله وسئل عنه ثالثا فقال شيء لا يعطيه الله الا نبيا مرسلا او مؤمنا كريما على الله وقال ص ان في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخل فيها الا نبي فقير او فقير مؤمن وقال يجيء فقراء امتي يوم القيمة وثيابهم خضر وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت وبايديهم قضبان من نور يخطبون على المنابر فيمر عليهم الانبياء فيقولون هؤلاء من الملائكة ويقول الملائكة هؤلاء من الانبياء فيقولون نحن لا من الانبياء ولا من الملائكة بل فقراء من امة محمد ص فيقولون بما نلتم هذه الكرامة فيقولون لم يكن اعمالنا شديدة ولم نصم الدهر ولم نقم الليل ولكنا اقمنا على الصلوات الخمس واذا سمعنا ذكر محمد ص فاضت دموعنا على خدودنا وقال ص كلمني ربي فقال يا محمد اذا احببت عبدا اجعل له ثلثة اشياء قلبه حزينا وبدنه سقيما ويده خالية من حطام الدنيا واذا ابغضت عبدا اجعل معه ثلثة اشياء قلبه مسرورا وبدنه صحيحا ويده مملوة من حطام الدنيا وقال ص الناس كلهم مشتاقون الى الجنة والجنة مشتاق الى الفقراء وقال ص الفقر فخري وقال ص تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقال ص يؤتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الاخ الى اخيه في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوا

خاتمة مبحث في ذكر الاخبار الواردة من اهل العصمة في فضيلة الفقر والفاقة

علي ولكن لما اعددت من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في
او كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل
الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال صلى الله عليه وآله اكثروا معرفة الفقراء
واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم
القيمة قيل لهم انظروا الى من اطعمكم كسرة او سقاكم شربة او كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم افضوا
به الى الجنة وقال صلى الله عليه وآله الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف
اغبر اشعث ذي طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره ودخل صلى الله عليه وآله على رجل فقير ولم ير له شيئا
فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وآله اذا ابغض الناس فقراءهم واظهروا
عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم والدنانير رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان و
الجور من السلطان والخيانة من ولاة الحكام والشوكة من الاعداء وورد من طريق اهل البيت
عليهم السلام ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال
لم يترك له اهلا ولا مالا وقال امير المؤمنين عليه السلام وكل الرزق بالحمق ووكل الحرمان بالعقل ووكل
البلاء بالصبر وقال الباقر عليه السلام اذا كان يوم القيمة امر الله تعالى مناديا ينادي بين يديه اين الفقراء
فيقوم عنق من الناس كثير فيقول عبادي فيقولون لبيك ربنا فيقول اني لم افقركم لهوان بكم
علي ولكني انما اخترتكم لمثل هذا اليوم تصفحوا وجوه الناس فمن صنع اليكم معروفا لم يصنعه
الا في فكافئوه عني بالجنة وقال الصادق عليه السلام لولا الحاح المؤمنين على الله في طلب الرزق لنقلهم
من الحال التي هم فيها الى حال اضيق منها وقال عليه السلام ليس لمصاص شيعتنا في دولة الباطل الا
القوت شرقوا ان شئتم او غربوا لن ترزقوا الا القوت وقال عليه السلام ما كان من ولد آدم مؤمن الا
فقيرا ولا كافر الا غنيا حتى جاء ابرهيم عليه السلام فقال ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا فصير
الله في هؤلاء اموالا وحاجة وفي هؤلاء اموالا وحاجة وقال عليه السلام ان فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل
اغنيائهم باربعين خريفا ثم قال ساضرب لك مثل ذلك انما مثل ذلك مثل سفينتين مر بهما على عاشر فنظر في احديهما
فلم ير فيها شيئا فقال اسربوها ونظر في الاخرى فاذا هي موقرة فقال احبسوها وفي بعض الاخبار
فسر الخريف بالف عام والعام بالف سنة وعلى هذا فيكون المراد من اربعين خريفا اربعين الف
الف عام وقال عليه السلام المصائب منح من الله والفقر مخزون عند الله اي المصائب عطايا من الله
يعطيها عباده والفقر من جملتها مخزون عنده عزيز لا يعطيه الا من خصه بمزيد العناية وقال

في نقل الاخبار تسلية الفقراء وتبشيرهم على ما لهم في الآخرة

ان الله تعالى ليلتفت يوم القيمة الى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر اليهم فيقول وعزتي وجلالي ما افقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي ولترون ما اصنع بكم اليوم فمن زود منكم في دار الدنيا معروفا فخذوا بيده فادخلوه الجنة قال فيقول رجل منهم يا رب ان اهل الدنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النساء ولبسوا الثياب اللينة واكلوا الطعام وسكنوا الدور وركبوا المشهور من الدواب فاعطني مثل ما اعطيتهم فيقول الله لك ولكل عبد منكم مثل ما اعطيت اهل الدنيا منذ كانت الدنيا الى ان انقضت الدنيا سبعون ضعفا وقال ع ان الله لبعتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الاخ الى اخيه فيقول وعزتي وجلالي ما احوجتك في الدنيا من هوان كان بك علي فارفع هذا السجف فانظر الى ما عوضتك من الدنيا قال فيرفع فيقول ما ضرني ما منعتني مع ما عوضتني وقال ع اذا كان يوم القيمة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة فيضربوا باب الجنة فيقال من انتم فيقولون نحن الفقراء فيقال لهم اقبلوا الحساب فيقولون ما اعطيتمونا شيئا تحاسبونا عليه فيقول الله تعالى صدقوا ادخلوا الجنة وقال ع لبعض اصحابه اما تدخل السوق اما ترى الفاكهة تباع والشيء مما تشتهيه فقلت بلى فقال اما ان لك بكل ما تراه فلا تقدر على شراه حسنة وقال الكاظم ع يقول الله تعالى اني لم اغن الغني لكرامة به علي ولم افقر الفقير لهوان به علي وهو مما ابتليت به الاغنياء بالفقراء ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة وقال ص ان الانبياء واولاد الانبياء واتباع الانبياء خصوا بثلث خصال السقم في الابدان وخوف السلطان والفقر وقال الرضا ع من لقي فقيرا مسلما وسلم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله يوم القيمة وهو عليه غضبان وقال ع الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيمة وقال موسى ع في بعض مناجاته الهي من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير وقال عيسى ع ان احب الاسامي الي ان يقال يا مسكين وقال لبعض الصحابة ملعون من اكرم بالغني واهان بالفقير وقال لقمان لابنه لا تحقرن احد الخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد ومما يدل على فضيلة الفقر اذا كان مع الرضا او القناعة او الصبر او الصدق او الستر قوله ص يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم وقوله ص ان احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقوله ص لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقوله ص يقول الله تعالى يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين

بقدر بسيء ادخلوهم الجنة منذ خلوها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون وقوله صلعم
ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقوله صلعم طوبى للمساكين بالصبر و
هم الذين يرون ملكوت السموات والارض وقوله من جاع او احتاج نكتمه عن الناس وافشا
الى الله تعالى كان حقا على الله ان يرزقه رزق السنة من الحلال وقوله صلعم ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح
الجنة حب المساكين والفقراء الصبر وهم جلساء الله يوم القيمة وما روي ان الله اوحى الى اسمعيل عم اطلبني
عند المنكسرة قلوبهم من اجلي قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال رسول الله صلعم لامير المؤمنين
يا علي ان الله جعل الفقر امانة عند خلقه فمن ستره اعطاه الله تعالى مثل اجر الصائم القائم و
من افشاه الى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله اما انه ما قتله بسيف ولا رمح
ولكنه قتله بما نكا من قلبه ثم لا ريب في ان كل من لم يجد القوت من التعفف وستر احتياجه هذا
وصبر ورضي يكون داخلا تحت هذه الاخبار ويثبت له الفضيلة التي وردت فيها **فصل**
لا ريب في ان الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ افضل من الغنى مع الحرص والامساك كما
لا ريب في ان الغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة افضل من الفقر مع الجزع والحرص وانما وقع
الشك في الترجيح بين الفقر والغنى في مواضع الاول في الترجيح بين الفقر مع الصبر والقناعة و
الغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة فقال قوم ان الاول افضل لما روي ان رسول
الله صلعم قال لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى من نفسه وماله فقال نعم
الرجل هذا وليس به المراد قالوا فمن خير الناس يا رسول الله فقال فقير يعطي جهده وما روي
ان الفقراء بعثوا رسولا الى رسول الله صلعم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك و
بمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم فقال قالوا ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون
ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال
النبي صلعم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلث خصال ليست للاغنياء اما خصلة
واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها
الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف
يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم
وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا وقال اخرون الثاني افضل لان الغني من

ولا ريب في ان هذه صفة لا توجب التفاضل والاحد و
انما الفقير الحريص الذي يطلب فقره ويحتج مع مصرفيها هو
بعض الاخبار وان شئنا لقلنا الا ان الفقراء هم حيث صبروا
كما ان حال بعض الاخبار التي تكون وان كان الحسن حال الا
من الفقر الذي مثله في الحرص

حكومة بين طائفتين على فضيلة الفقر على الغنى وبين ما ذهب الى الاخرى

المقام الثالث

صفات الربوبية والفقر من لوازم العبودية ووصف الحق افضل من وصف العبد واجيب عنه
بان غنى الواجب سبحانه ليس بالاسباب والاعراض وغنى العبد بهما اذ هو غنى بوجود المال ومفتقر
الى بقائه فانى يكون الغنى الذي يتصف العبد به من اوصاف الربوبية نعم الغنا بمعنى الاستغنا
عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي كلاهما عنده يشبه اوصاف الحق الا انك قد عرفت انه
نوع من الفقر وبان التكبر من اوصاف الربوبية فينبغي ان يكون افضل من التواضع مع ان الامر
ليس كذلك بل الحق ان الافضل للعبد انما هو صفات العبودية كالخوف والرجاء اذ صفات الربوبية
لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال الله سبحانه العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما
قصمته وعلى هذا فالفقر افضل من الغنى والحق ان ترجيح واحد من صفات الربوبية وصفات
العبودية على الآخر للعبد على الاطلاق غير صحيح اذ كما ينتقض ترجيح الاولى على الثانية بالتكبر
ينتقض العكس بالعلم والمعرفة والجهل والغفلة فان العلم من صفات الربوبية والجهل من
صفات العبودية مع ان الاول افضل من الثاني ضرورة والحق ان الافضل من الفقر والغنى
ما لا يشغل العبد عن الله فان كان الفقر يشغله فالغنى اولى به وان كان الغنى يشغله عن
الله فالفقر اولى به وذلك لان الغنى ليس محذورا بعينه بل لكونه عائقا عن الوصول الى
الله والفقر ليس مطلوبا بالذات بل لعدم كونه عائقا عن الله وليس مانعية الاول وعدم
مانعية الثاني كليا اذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد وكم من غني لا يصرفه الغنى عنه اذ
الشاغل ليس الا حب الدنيا المضادة لحب الله ثم المحب للشيء مشغول به سواء كان
في وصاله او في فراقه فاذن فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال وجودا وعدما
فان تساويا فيه تساوت درجتهما وان تفاوتا فيه فايهما اقل تعلقا فدرجته اعلى وافضل
بل مع وجود تعلقهما وتساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجة من المال افضل من فقده
اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة والطاعة ومع عدم تعلق قلبهما اصلا بحيث
يستوي عندهما وجود المال وعدمه وكان المال عندهما كهواء الجو وماء البحر وبالجملة قد
حصلت لهما المرتبة الاخيرة من الفقر اعني الاستغنا والرضا كان الواجد افضل من الفاقد
لاستوائهما في عدم الالتفات اليه ومزية الواجد باستفادة ادعية الفقراء والمساكين
ثم الحكم بانقطاع القلب راسا عن المال وجودا وعدما انما يتصور في الشاذ النادر الذي
لا يسمح الدهر بمثله الا بعد ازمنة متطاولة وقلوب جل الناس غير خالية عن حب المال و

في الترجيح بين مرتبتي الفقر والغنا مرتبتهما ودرجتهما وبعد العليا في القصوى

التعلق به فتفصيل القول بافضلية من هو اقل تعلقا بالمال واستواء درجتهما مع استوائهما في التعلق ومزية الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبهما بالكلية عند مزلة الاقدام وموضع الغرور اذ الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فما عدا الانبياء والاولياء وشرذمة قليلة من اكابر الاتقياء لو ظنوا انقطاعهم عن الدنيا اذا جربوا انفسهم باخراج المال من ايديهم يظهر لهم انهم مغرورون وليس لهم تمام الانقطاع عن الدنيا واذا كان ذلك محالا او بعيدا فالطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الناس وافضل لان الخطر ابعد اذ فتنة السراء من فتنة الضراء اشد وعلاقة الفقير وانسه بالدنيا غالبا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب اذكاره وعباداته اذ حركات اللسان والجوارح ليست مرادة لاعيانها بل ليتاكد بها الانس بالمذكور وتأثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور اشد من تأثيرها في قلب مشغول ولهذا وردت الاخبار مطلقة في فضل الفقر على الغنى وفي فضل الفقراء على الاغنياء الثاني في الترجيح بين الفقر مع الحرص والجزع والغنى مع الحرص والامساك والتحقيق فيه ان مطلوب الفقير ان كان ما لا بد منه في المعيشة وكان حرصه في تحصيل هذا القدر دون الزايد منه وكان قصده الاستعانة به على الدين وكذا كان حرص الغنى وامساكه في هذا القدر بهذا القصد فحال الوجود افضل لان الفقد يصده عن امور الدين لاضطراره في طلب القوت وهو اولى بالتفضيل اذا كان قصد الغنى ذلك وكان مطلوب الفقير فوق الحاجة او لم يكن قصدهما الاستعانة به على امر الدين فالفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال وفي عدم قصد الاستعانة به على الدين لكنهما افترقا في ان الواجد يتأكد حب الدنيا في قلبه ويطمئن اليها لانسه بها والفاقد يتجافى قلبه عنها اضطرارا ويكون الدنيا عنده كالسجن الذي يطلب الخلاص منه وهو اولى واحرى بالتفضيل اذا كان قصد الفقير ذلك وكان قصد الغنى فوق الحاجة او قدر الحاجة بدون الاستعانة به على امر الدين الثالث في الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه وغنى هو دونه في الحرص على حفظ المال وتفجعه بفقد المال لو فقده اقل من تفجع الفقير بفقره والظاهر حينئذ كون الفقير اسوء حالا اذ البعد من الله بقدر قوة التفجع بفقد المال والقرب بقدر ضعف التفجع به

فصل ينبغي للفقير ان لا يكون كارها للفقر من حيث انه فعل الله ومن حيث انه فقر بل يكون راضيا به طالبا له

او قدر الحاجة بدون قصد الاستعانة به الى امر الدين كانها فوق الحاجة ع وان كان مطلوب

فيما ينبغي ان يرتقبه حتى يحسن الاجر والمثوبة للفقير ويتصف بقوة

المقام الثالث

فرحا نابه لعلمه بغوائل الغنى وان يكون متوكلا في باطنه على الله واثقا به في اتيان قدر ضرورته ويكون قانعا به كارها للزيادة عليه منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم وغير حريص على اكتساب المال كيف كان وان يكون صابرا شاكرا على فقره قال امير المؤمنين ع ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامته اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسيء عليه خلقه ويعصي به ربه ويكثر الشكاية ويتسخط بالقضاء وهذا يدل على ان كل فقير ليس مثابا على فقره بل من يرضى على الفقر ويفرح به ويقنع بالكفاف ويقصر الامل وان لم يرض به وتشوف به الى الكثرة وطول الامل وفاته عز القناعة وتدنس بذل الحرص والطمع وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات حبط اجره وكان اثما قلبه وينبغي ان يظهر التعفف ويستر الفقر ويستر انه يستر وان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم ولا يتواضع لهم لاجل غناهم بل يتكبر عليهم قال امير المؤمنين ع ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله وان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا لما في ايديهم ولا يفتر بسبب فقره عن عبادة الله و لا يبذل قليل ما يفضل عنه فانه جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة يبذلها الغني قال رسول الله ص درهم من الصدقة افضل عند الله من مأة الف دينار قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مأة الف دينار يتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مأة الف دينار و ينبغي ان لا يدخر ازيد من قدر الحاجة فان لم يدخر اكثر من قوت يومه وليلته فهو من الصديقين وان لم يدخر اكثر من قوت اربعين يوما كان من المتقين وان لم يدخر اكثر من قوت سنة وهو الفصل المشترك بين الفقر والغنى كان من الصالحين ولو زاد عليه خرج عن زمرة الفقراء **فصل** ما يعطى الفقير بغير سؤاله ان كان حراما او شبهة وجب عليه رده والاجتناب عنه وان كان حلالا فان كان هدية استحب قبوله تأسيا برسول الله ص ان لم يكن فيه منة ولو كان فيه منة فالاولى تركه وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول له اتركه عندك وانظر ان كنت انا بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى اخذه والا فلا وعلامة ذلك ان يشق على المعطي رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبوله

وان كان صدقة او زكوة او غير ذلك مما يكون للثواب المحض فينبغى ان ينظر في استحقاقه لذلك
فان كان من اهله قبله والا ردّه وان كان المعطى اعطاه لوصف يعلمه فيه كعلم او ورع او
كونه علويا ولو لم يكن هذا الاختصاص لنفر طبعه ولما تقرب الى الله باعطائه ولم يكن
له باطنا كذلك فاخذه حرام وان لم يكن هدية ولا صدقة بل اعطاه للشهوة والرياء والسمعة
فينبغى ان يردّ عليه ولا يقبله والا كان معينا له على غرضه الفاسد في الاعانة على الاثم

فصل ما يعطى الفقير ان كان محتاجا اليه ولم يكن ازيد من حاجته فالافضل له الاخذ
اذا سلم من الآفات المذكورة قال رسول الله صلعم ما المعطى من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا
كان محتاجا وقال صلعم من اتاه شيء من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه
الله اليه فلا يردّه وان كان زائدا على قدر حاجته فليردّ الزائد ان كان طالبا طريق الآخرة
اذ الزيادة على قدر الحاجة انما اتتك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر
الحاجة يأتيك رفقا بك فانت في اخذ قدر الحاجة مثاب وفيما زاد عليه اما عاص او متعرض
للحساب قال رسول الله صلعم لا حق لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت
يكنّه فما زاد فهو حساب فلا ينبغى لطالب السعادة ان يأخذ الازيد من قدر الحاجة اذ
النفس اذا رخصت في نقض العزم والعهد والفت به وردها تعسر للالف والعادة
مشكل قال بعض المجاورين بمكة كانت عندى دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت
فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفى جايع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما
ترى يا من يرى ولا يُرى فنظرت اليه فاذا عليه ثوب خلق لا يكاد يواريه فوجدته موضعا
لانفاق دراهمى فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ خمسة دراهم منها وقال اربعة لاشترى
بها مئزرين ودرهم انفقه وردّ الباقى وقال لا حاجة لى اليه فرأيته الليلة الثانية وعليه
مئزران جديدان فهجس في نفسى منه شيء فالتفت الىّ واخذ بيدى واطافني معه اسبوعا كل شوط
منها في جوهر من جواهر الارض من الياقوت واللؤلؤ والفضة والذهب والزمرد وغير ذلك
ويتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدى
الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والحاصل ان اخذ قدر الحاجة
راجح لكونه مما لا بدّ منه وايجابه ثواب المعطى ولذلك لما امر موسى بن عمران عم بان يفطر عند
بنى اسرائيل قال الهى ما بالى فرقت رزقى على ايدى بنى اسرائيل يغدينى هذا يوما ويعشينى

خذ بقدر الحاجة من الأموال
وجواز الزيادة على قدر في موارد التوسعة والاضطرار

المقام الثالث

منه البلية فاوحى الله اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي
ليوجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور واما اخذ الزيادة على قدر
الحاجة فليس مما ينبغي نعم من كان حالة التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من
البذل والسخاء والرفق والعطاء فيجوز له اخذ الزيادة ليبذلها على المستحقين ولكن يلزم
ان يبادر الى الصرف اليهم ولا ينبغي ان يدخر في مساكنه ولو في يوم واحد وليلة واحدة فتنة
واختبار فربما مالت النفس الى الامساك ويصير وبالا عليها وقد نقل ان جماعة تصدوا
لخدمة الفقراء والتكفل لاحوالهم فخدعتهم النفس الامارة باعانة الشيطان فاتخذوها
وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب فجر امرهم الى الهلاكة

فصل

ينبغي للمؤمن ان لا يسئل الناس من غير حاجة اضطره اليه بل يستعفف عن السؤال ما استطاع
لانه فقر معجل وحساب طويل يوم القيمة والاصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من الله واذلال
السائل نفسه عند غير الله وايذاء المسؤل غالبا اذ ربما لم يسمح نفسه بالبذل عن طيبة
القلب وبعد السؤال الجأه الحياء او الرياء اليه ومعلوم ان الاعطاء استحياء او رياء لئلا ينقص جاههم
عند الناس بنسبتهم اياه الى البخل لا يكون له حليته شرعا ولتضمنه هذه المفاسد ورد في
الشريعة النهي عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله مسئلة الناس من الفواحش وقال صلى الله عليه وآله من سئل عن ظهر غنى
فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سئل وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس
عليه لحم وقال صلى الله عليه وآله من سئل الناس وعنده قوت ثلثة ايام لقي الله يوم يلقاه وليس على وجهه
لحم وقال عليه السلام ما من عبد فتح على نفسه بابا من المسئلة الا فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر
وقال ان المسئلة لا تحل الا لفقر مدقع او غرم مفظع وقال السؤال عن ظهر غنى صداع في
الرأس وداء في البطن وقال من سئل الناس اموالهم تكثرا فانما هي جمرة فليستقل منه او ليستكثر
وروي انه جائت فخذ من الانصار الى رسول الله فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا يا رسول
الله لنا اليك حاجة فقال هاتوا حاجتكم فقالوا انها حاجة عظيمة فقال هاتوا ما هي
قالوا تضمن لنا على ربك الجنة فنكس راسه ثم نكت في الارض ثم رفع راسه فقال افعل ذلك بكم
على ان لا تسئلوا احدا شيئا فكان الرجل يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره ان يقول لانسان
ناولنيه فرارا من المسئلة فينزل فياخذه ويكون على المائدة ويكون بعض الجلساء اقرب الى الماء
منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب وبايع قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة

خاتمة في ذكر الاخبار في فضيلة التعفف عن السؤال وبيان الحاجة المجوزة

ثم قال لهم خفية ولا تسئلوا الناس شيئا فكان بعد ذلك يقع المخصرة من يد احدهم فينزل لها و
لا يقول لاحد ناولنيها وكان ص يأمر غالبا بالتعفف عن السؤال ويقول من سئلنا اعطيناه
ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسئلنا فهو احب الينا وقال وما قل من السؤال فهو خير
قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وقال لو ان احدكم اخذ حبلا فيأتي بحزمة حطب على ظهره
فيبيعها ويكف بها وجهه خير من ان يسئل وقال سيد الساجدين ع ضمنت على ربي ان
لا يسئل احد احدا من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسئلة يوما الى ان يسئل من غير حاجة
ونظر ع يوم عرفة الى رجال ونساء يسئلون فقال هؤلاء شرار خلق الله الناس مقبلون على
الله وهم مقبلون على الناس وقال الباقر ع اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب
مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال ع طلب الحوائج الى الناس استلاب للعزة ومذهبة
للحياء واليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن والطمع هو الفقر الحاضر وقال الصادق ع لو
يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سئل احد احدا ولو يعلم المسئول ما عليه اذا منع ما منع
احد احدا قال ومن سئل من غير حاجة فكانما يأكل الجمر ثم المنع والتحريم انما هو في السؤال
بدون الاضطرار واما مع الحاجة والاضطرار فلا ريب في جوازه وقد ورد به الرخصة قال
الله سبحانه واما السائل فلا تنهر وقال رسول الله ص لا تردوا السائل ولو بشق تمرة وقال ص
لولا ان السائل يكذب ما قدس من رده وقال ص للسائل حق ولو جاء على فرس وقال لا
تردوا السائل ولو بظلف محترق ولو كان السؤال مطلقا حراما لما اجازه الله ورسوله
اعانة العاصي على معصيته ثم الحاجة المجوزة للسؤال اما بلغت حد الاضطرار كسؤال
الجائع الخائف على نفسه بالموت والمرض لو لم يصل اليه قوت وسؤال العاري الذي
بدنه مكشوف يخاف من الحر والبرد ويبلغ الى الهلاك او حاجة مهمة كالاحتياج الى الجبة
في الشتاء بحيث لولاها لتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي الى حد الضرورة والاحتياج الى
الكري مع القدرة على المشي مع المشقة او حاجة خفيفة كالاحتياج الى الادام مع وجود الخبز
والظاهر جواز السؤال في جميع ذلك مع رجحانه في الاول واباحته في الثاني ومرجوحيته
في الثالث بشرط اخلائه عن المحذورات المذكورة اعني الشكوى والذل والايذاء ويندفع
هذه المحذورات بان يظهر حاجته بتعريضها بحيث يقدم الشكر لله واظهار الاستغناء
عن الخلق عند بعض الاصدقاء او الاسخياء اذ السؤال عن الصديق لا يوجب الاذلال والتخي

المقام الثالث

لا يتأذى بالسؤال بل يفرح به ثم ما ذكرنا انما هو في السؤال لاحتياج اليه بعد السنة لما يحتاج اليه في الحال واما السؤال لما يحتاج اليه في الاستقبال فان كان يحتاج اليه بعد السنة فهو حرام قطعا وان كان يحتاج اليه قبلها سواء كان بعد اربعين يوما من يومه او خمسين او اقل او اكثر فان امكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجة فلا يحل له السؤال وان علم بانه لا يتمكن من السؤال عنده فهو جايز مع الكراهة والمرجوحية وكلما كان تراخي الحاجة عن يومه اكثر كان الكراهة اشد ثم معرفة درجات الحاجة وضعفها وشدتها والوقت الذي يحتاج فيه موكول الى العبد في منوط باجتهاده ونظره لنفسه بينه وبين الله فليعمل به بعد استغناء قلبه على ما يقتضيه سلوك طريق الآخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق اتم و قناعته بقوت الوقت اظهر قد رجته عند الله اعلى فيا حبيبي لا تهبط بنفسك من اوج التوكل والاعتماد على الله الى حضيض الخوف والاضطراب في مجيء رزقك ولا تصغ الى تخويف الشيطان فانه يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وكن مطمئنا بوعد ربك اذ قال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا واسمع قول نبيك صلى الله عليه وآله حيث قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطيور تغدو خماصا وتروح بطانا ومنها الحرص وهو معنى راتب في النفس باعث على جمع ما لا يحتاج اليه ولا يفيده من الاموال من دون ان ينتهي الى حد يكتفي به وهو اقوى شعب حب الدنيا وانواعه اشهرها ولا ريب في كونه مسلكة مهلكة وصفة مضلة بل بادية مظلمة الارجاء والاطراف وهاوية غير متناهية الاعماق والاكناف من وقع فيها ضل وباد ومن سقط فيها هلك وما عاد والتجربة والاعتبار والاخبار والآثار متظاهرة على ان الحريص لا ينتهي الى حد يقف دونه بل لا يزال يخوض في غمرات الدنيا الى ان يغرق ويطرحه ارضا الى ارض حتى يهلكه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وآله يشيب ابن ادم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وقال الصادق عليه السلام ان فيما نزل به الوحي من السماء لو ان لابن ادم واديين يسيلان ذهبا وفضة لابتغى لهما ثالثا يا ابن ادم انما بطنك بحر من البحور وواد من الاودية لا يملأه شيء الا التراب وقال بعض الاكابر من عجيب امر الانسان

ومنها الحرص

بيان الحرص

في فضيلة القناعة وبيان حقيقتها وذكر الاخبار في الحث عليها والامر باهتمامها

انه لو تؤيد بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد
استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال ثم ما ورد من الاخبار في ذمه اكثر من ان يحصى و
لا حاجة الى ايرادها لاشتهارها وقال الباقر ع رب حريص على امر قد شقي به حين اتاه
ورب كاره لامر قد سعد به حين اتاه واي خسران اشد من ان يسعى الانسان في طلب من به هلاكه
واي تامل في ان كلما يحرص عليه الانسان من اموال الدنيا يكون مهلكا له **وصل** ضد
الحرص القناعة وهي ملكة للنفس يوجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال
من دون سعي وتعب في طلب الزايد عنه وهي صفة فاضلة يتوقف عليها اكتساب الفضايل بل
وعدمها يؤدي بالعبد الى مساوي الاخلاق والرذايل وهي المظنة للوصول الى المقصد واعظم
الوسايل لتحصيل سعادة الابد اذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس واقتصر
على اقله قدرا واخسه نوعا ورد امله الى يوم او الى شهر ولا يشغل قلبه بالزايد عن ذلك
كان فارغ البال مجتمع الهم فيتمكن من الاشتغال بامر الدين وسلوك طريق الاخرة
ومن فاته القناعة وتدنس بالحرص والطمع وطول الامل وخاض في غمرات الدنيا تفرق قلبه
وتشتت امره فكيف يمكنه التشمر لتحصيل امر الدين والوصول الى درجات المتقين ولذلك
ورد في مدح القناعة ما ورد من الاخبار قال رسول الله ص طوبى لمن هدي للاسلام
وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد من غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان
اوتي قوتا في الدنيا وقال ص ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب له
في الدنيا ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وقال ص
نفث روح القدس في روعي انه لن يموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب وقال ص كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس
ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وفي الخبر القدسي يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم
يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك
فانا اليك محسن وروي ان موسى ص سئل ربه وقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم لما اعطيته
وقال امير المؤمنين ع يا ابن ادم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما فيها
يكفيك وان كنت انما تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك وقال ابو جعفر الباقر ع
اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه ص ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم

واعمة خ د

وقال لا تمدّن عينيك الى ما متّعنا به ازواجا منهم زهرة الدنيا فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلعم فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجده وقال من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس وقال صلعم من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل وقال مكتوب في التورية ابن ادم كن كيف شئت كما تدين تدان من يرضى من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حدّ الفجور وقال ان الله يقول يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه وذلك اقرب له مني ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه وذلك ابعد له مني وقال كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا في معيشته والاخبار الواردة في فضيلة القناعة اكثر من ان يحصى وما اوردناه كاف لاهل البصيرة **فصل** طريق المعالجة في ازالة الحرص وتحصيل القناعة ان يتذكر اولا ما في القناعة من المدح والشرافة وعزّ النفس وفضيلة الحرية وما في الحرص من الذم والمهانة وتحمّل الذلة ومتابعة الشهوة ويعرف ان من لا يؤثر عزّ النفس على شهوة البطن فهو قليل العقل ناقص الايمان ثم يتذكر ما في جمع المال من الافات الدنيوية والعقوبات الاخروية ويكثر التأمل فيما مضى عليه عظماء الخلق واعزّ اصنافهم اعنى الانبياء والاوصياء ومن سار بسيرهم من السلف الاتقياء من صبرهم على القليل وقناعتهم باليسير وفيما يجري عليه الكفار من الهنود واليهود والنصارى واراذل الناس واغنيائهم من الاكراد والاعراب وامثالهما من التنعم وجمع المال الكثير وبعد هذا التأمل لا اظن ان يشك في ان الاقتداء باعزّ الخلائق احسن من الاقتداء باراذلهم بل المتأمل يعرف ان الحريص المتكالب على لذات الدنيا خارج عن افق الانسانية وداخل في جريدة البهائم اذ الحرص على شهوات البطن والفرج من لوازم البهيمية واحرص الناس على الشهوات لا يبلغ رتبة البهائم في ذلك فما من حريص على التنعم في البطن الا والحمار اكثر اكلا منه وما من حريص على الجماع الا والخنزير اشد نزوا منه فظهر ان الحريص في مرتبة الخنزير والحمير واليهود والهنود والقانع لا يباهيه في الرتبة الا الانبياء والاولياء وبعد التأمل في جميع ما ذكر يتم العلاج العلمي وبه يسهل ازالة الحرص واكتساب القناعة فليبادر الى العلاج العملي وهو العمل بالاقتصاد في امر المعيشة ليسد ابواب الخرج ما امكن ويرد النفس الى ما لابد منه فان من كثر خرجه واتسع انفاقه لم يمكنه القناعة فان كان وحده اكتفى بثوب خشن ويقنع بأي

طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه وهكذا الحال في ساير ما يضطر اليه ويوطن نفسه عليه
وان كان له عيال رد كل واحد منهم الى هذا القدر واذا بنى امره على الاقتصاد لم يحتج الى كثير جهد و
ان كان معيلا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وآله ثلث منجيات خشية الله في السر و
العلانية والقصد في الغناء والفقر والعدل في الرضا والغضب وقال التدبير نصف المعيشة
وقال من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله وقال الاقتصاد وحسن السمت والهدى
الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وقال امير المؤمنين ع القصد مثراة والسرف متواة
وقال السجاد ع لينفق الرجل بالقصد وبلغة الكفاف ويقدم منه الفضل لآخرته فان ذلك
ابقى للنعمة واقرب الى المزيد من الله تعالى وانفع في العافية وقال الصادق ع ان القصد امر يحبه الله وان
السرف امر يبغضه الله حتى طرحك النواة فانها تصلح لشيء وحتى صبك فضل شرابك وقال ع
ضمنت لمن اقتصد ان لا يفتقر وقال ع ان السرف يورث الفقر وان القصد يورث الغنا و
الاخبار في مدح الاقتصاد اكثر من ان تحصى ثم اذا تيسر له المعيشة في الحال فلا ينبغي ان يكون
مضطربا لاجل الاستقبال ويعتمد على فضل الله ووعده بان الرزق الذي قدر له يأتيه و
ان لم يكن حريصا ولا مضطربا لاجله ولا يعلم لنفسه مدخلا يأتي رزقه منه وقال الله تعالى
وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وقال وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب ثم
ينبغي ان لا ينظر الى من هو فوقه بل ينظر الى من هو دونه في النعم وفي مال الدنيا فان
الشيطان يصرف نظره في امر الدنيا الى من هو فوقه ويقول لم تفتر عن طلب الدنيا وارباب
الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في امر الدين الى من هو دونه ويقول
لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك ولا يخاف الله قال ابوذر اوصاني
خليلي رسول الله ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي في الدنيا وقال صلى الله عليه وآله اذا نظر احدكم
الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ومنها الطمع وهو التوقع
عن الناس في اموالهم وهو ايضا من شعب حب الدنيا ومن انواعه ومن الرذايل المهلكة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال امير المؤمنين ع استغن عمن شئت
تكن نظيره وارغب الى من شئت تكن اسيره واحسن الى من شئت تكن اميره وقال الباقر ع
بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق ع الذي يثبت الايمان

ذكر الطمع وضده

في العبد الورع والذي يخرجه منه الطمع والاخبار في ذمّ الطمع كثيرة وكفى به ذمًّا ان كل طامع يكون ذليلاً مهينا عند النّاس وان وثوقه بالنّاس واعتماده عليهم اكثر من وثوقه بالله اذ لو كان اعتماده على الله اكثر من اعتماده على النّاس لم يكن نظره اليهم بل لم يطمع من احد شيئا الا من الله سبحانه **وصل** ضدّ الطمع هو الاستغناء عن النّاس وهو من الفضائل الموجبة لتقرب العبد الى الله سبحانه اذ من استغنى بالله عن غير الله احبّه الله والاخبار الآمرة بها والمادحة له كثيرة قال رسول الله صلعم ليس الغنى عن كثرة العرض انّما الغنى غنى النّفس وقال لاعرابي طلب منه موعظة اذا صلّيت فصلّ صلوة مودّع ولا تحدثنّ بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس عمّا في ايدي النّاس وقال صلعم عليك باليأس عمّا في ايدي النّاس فانّه الغنى الحاضر وقال امير المؤمنين عم ليجتمع في قلبك الافتقار الى النّاس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلامك وحسن بشرك ويكون استغناءك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزّك وقال سيّد السّاجدين عم رايت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في ايدي النّاس ومن لم يرج النّاس في شيء وردّ امره الى الله تعالى في جميع اموره استجاب الله له تعالى في كلّ شيء وقال الباقر عم سخاء المرء عمّا في ايدي النّاس اكثر من سخاء النّفس والبذل ومروّة الصّبر في حال الفاقة والحاجة والتعفّف والغنى اكثر من مروّة الاعطاء وخير المال الثقة بالله واليأس عمّا في ايدي النّاس وقال عم اليأس ممّا ايدي النّاس عزّ المؤمن في دينه وقال الصّادق عم شرف المؤمن قيام اللّيل وعزّه استغناؤه عن النّاس وقال عم شيعتنا من لا يسئل النّاس ولو مات جوعا وقال عم ثلث هنّ فخر المؤمن وزينته في الدّنيا والآخرة الصّلوة في آخر اللّيل ويأسه ممّا في ايدي النّاس وولايته للامام من آل محمّد عليهم السّلام وقال عم اذا اراد احدكم ان لا يسئل ربّه شيئا الّا اعطاه فلييأس من النّاس كلّهم ولا يكون له رجاء الّا عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسئل الله شيئا الّا اعطاه ثمّ طريق العلاج في قطع الطمع وكسب الاستغناء قريب ممّا ذكر في علاج ازالة الحرص وتحصيل القناعة فتذكّر ومنها البخل وهو الامساك حيث ينبغي البذل كما ان الاسراف هو البذل حيث ينبغي الامساك وكلاهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الجود والسّخاء اذ لم يؤمر رسول الله صلعم الّا بالسّخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط وقال تعالى والّذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو

ومنها البخل وضده السخاء

واما

تقدير البذل والإمساك بقدر الواجب اللائق ولا يكفي في تحقق الجود والسخاء أن يفعل ذلك بالجوارح ما لم يكن قلبه طيباً غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب أو ينبغي صرفه إليه

فصل البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجه وهو من خبائث الصفات ورذائل الأخلاق ولذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات والأخبار قال الله سبحانه الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال رسول الله إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال ص لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وقال ع البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وقال ص ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ص ان الله يبغض الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال ص الشح قد اهلك من كان قبلكم امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال ص البخل شجرة تنبت في النار ولا يلج النار الا بخيل وقال خلق البخل من مقته وجعل الله راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقتل في الجهاد رجل من اصحاب رسول الله ص فبكته باكية وقالت واشهيداه فقال النبي ص ما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال ع ان الله يبغض البخيل في حيوته والسخي عند موته وقال ص السخي الجهول احب الى الله عز وجل من العابد البخيل وقال الشح والايمان لا يجتمعان في قلب احد وقال ايضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ص لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال ص يقولون الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وقال اللهم اني اعوذ بك من البخل وروي انه ص كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي قال ص وما ذنبك صفه

لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ص ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال ص فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال ص فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال ص فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله قال ص فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى واجل قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار فقال رسول الله اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال امير المؤمنين ع سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وروي انه ما من صباح الا وقد وكل الله تعالى ملكين يناديان اللهم اجعل لكل ممسك تلفا ولكل منفق خلفا والاخبار في ذم البخل اكثر من ان تحصى مع ان تضمنه للمفاسد الدنيوية والاخروية مما يحكم به الوجدان ولا يحتاج الى دليل و برهان حتى ان النظر الى البخيل يقسي القلب ومن كان له صفاء سريرة يكدر قلبه ويظلم من ملاقاته وقد قيل ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه

وصل ضد البخل السخاء وقد عرفت معناه وهو من ثمرة الزهد كما ان البخل من ثمرة حب الدنيا فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة ان يكون حاله القناعة ان لم يكن له مال والسخاء واصطناع المعروف ان كان له مال ولا ريب في كون الجود والسخاء من شرائف الصفات ومعالي الاخلاق وهو اصل من اصول النجاة واشهر اوصاف النبيين واعرف اخلاق المرسلين وما ورد في مدحه خارج عن حد الاحصاء قال رسول الله ص السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال ص ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وقال ص السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي وقال قال الله سبحانه ان هذا دين ارتضيته لنفسي لن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال ص ما جعل الله اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وقال ع ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام

وحسن الكلام وقال ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار
وقال تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر فاتح له وقال طعام الجواد دواء وطعام
البخيل داء وقال افضل الاعمال الصبر والسماحة وقال خلقان يحبهما الله وهما حسن الخلق
والسخاء وقال ص ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال ص
الرزق الى مطعم الطعام اسرع من المسكين (هكذا) الى ذروة البعير وان الله ليباهي بمطعم الطعام
الملائكة وقال ص ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها
الله عنه وحولها الى غيره وقال ص الجنة دار الاسخياء وقال ص شاب سخي مرهق في الذنوب
احب الى الله من شيخ عابد بخيل وقال ص اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان
اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله وقال ص ان بدلاء امتي لم يدخلوا
الجنة بصلوة ولا بصيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال
ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه
طلاب المعروف اليهم ونشر عليهم اعطاءه كما ييسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها
وقال ص السخي محبب في السموات محبب في الارضين خلق من طينة عذبة وخلق ماء عينيه من ماء
الكوثر والبخيل مبغض في السموات مبغض في الارضين خلق من طين سبخة وخلق ماء عينيه من
ماء العوسج وقال ص ان افضل الناس ايمانا ابسطهم كفا وقال ص يؤتى يوم القيامة برجل فيقال
احتج فيقول يا رب خلقتني وهديتني واوسعت علي فلم ازل اوسع على خلقك وانشر عليهم
لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسره فيقول الرب تعالى صدق عبدي ادخلوه الجنة وروي
انه اتى النبي ص وفد من اليمن وفيهم رجل كان اعظمهم كلاما واشدهم استقصاء في محاجة
النبي ص فغضب النبي ص حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربد وجهه واطرق الى الارض
فاتى جبرئيل وقال ربك يقرئك السلام ويقول لك هذا رجل سخي يطعم الطعام فسكن عن
النبي الغضب ورفع راسه وقال لولا ان جبرئيل اخبرني عن الله انك سخي تطعم الطعام لشردت
بك وجعلتك حديثا لمن خلفك فقال له الرجل ان ربك يحب السخاء فقال نعم فقال اني اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله والذي بعثك بالحق لا رددت عن مالي احدا وقال ص
كل معروف صدقة وكلما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو له
صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال ص كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله

والله يحب إغاثة اللهفان. وروي: أنه أوحى الله إلى موسى (ع): لا تقتل السامري فإنه سخي. وقال عيسى (ع): استكثروا من شيء لا تأكله النار. قيل: وما هو؟ قال: المعروف. وقال أمير المؤمنين (ع): من يبسط يده بالمعروف إذا وجده، يخلف الله له ما أنفق في دنياه، ويضاعف له في آخرته. وقال الباقر (ع): إن الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي: يا صاحب الخير أتم وأبشر، وملك ينادي: يا صاحب الشر انزع وأقصر، وملك ينادي: أعط منفقا خلفا وآت ممسكا تلفا، وملك ينضح الأرض بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض. وقال الصادق (ع) لبعض جلسائه: ألا أخبرك بشيء يقرب من الله ويقرب من الجنة ويباعد من النار؟ فقال: بلى، فقال: عليك بالسخاء. وقال: خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان والسعي في حوائجهم، وإن البار بالإخوان ليحبه الرحمن، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان. وقال الكاظم (ع): السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يتخلى الله منه حتى يدخله الجنة، وما بعث الله نبيا ولا وصيا إلا سخيا، وما كان أحد من الصالحين إلا سخيا، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى.

فصل

لعلك تقول: إنك قلت: السخاء هو الوسط بين الإقتار والإسراف، وهو صرف المال إلى ما يجب وينبغي صرفه البذل، وهذا غير كاف لمعرفة حد السخاء لتوقفه على معرفة ما يجب أو ينبغي، وهو عندنا مبهم. قلنا: ما يجب أو ينبغي بذله هو الواجب أو اللائق بحسب الشرع والمروة والعادة. فالسخي هو الذي يؤدي واجب الشرع وواجب المروة والعادة جميعا، فإن منع واحدا منها فهو بخيل، وإن كان الذي يمنع واجب الشرع أبخل. ثم ما يجب بذله شرعا مضبوط معين من الزكاة والخمس وغيرهما من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه، والإنفاق على أهله وعياله على قدر احتياجهم، فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعي، ويستحق اسم السخي شرعا إذا كان الأداء بطيبة من قلبه من دون أن يشق عليه ذلك، إذ لو شق عليه كان بخيلا بالطبع ومتسخيا بالتكلف. وأما ما يجب مروة وعادة فهو ترك المضايقة في بذل ما يستقبح المضايقة فيه عرفا وعادة، وهو يختلف في الأحوال والأشخاص، فيستقبح من الغني من المضايقة ما لا يستقبح من الفقير، ومع الأهل والأقارب ما لا يستقبح مع الأجانب، ومع الجار ما لا يستقبح من البعيد، وفي الضيافة ما لا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة، ويستقبح من المضايقة في الأطعمة ما لا يستقبح في غيرها. وبالجملة يختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة، وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب أو فرس أو غير ذلك، وبمن معه المضايقة من صديق أو قريب أو جار أو أجنبي أو بعيد، وبمن منه المضايقة من غني أو فقير أو أمير أو رعية أو عالم أو

جاهل

في ضبط حدّ السخاء والجود والتنبيه على اختلاف الدرجات في الصعود والنزول

جاهل وصبيّ او كامل فالسخيّ هو الّذي لا يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع شرعاً او مروّة او عادة و
البخيل من يمنع شيئاً ممّا ينبغي ان لا يمنع شرعاً او مروّة او عادة ولا يمكن التنصيص على مقدار
ذلك فلعلّ حدّ البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض اهمّ من حفظ المال وفي مقابله
الجود والسخاء ثمّ من يؤدّي الواجب ويحفظ العادة والمروّة ولكن له مال كثير قد جمعه لا يصرف
الى المحتاجين ولا ينفقه في الصدقات المستحبّة ليكون له عدّة على نوائب الزمان وان لم يكن
بخيلاً عند عوام الخلق ولكنّه بخيل عند اهل الفطانة والكياسة اذ التبرّي عن البخل لا يكفي في الاتصاف
بصفة الجود والسخاء لا يتحقّق عندهم ما لم يبذل زيادة على قدر الواجب الشرع وواجب المروّة
والعادة اللايقة به لطلب الفضيلة والثواب ونيل الدرجات في الآخرة ويختلف هذه
الزيادة باختلاف مقدار ماله وباختلاف حاجة المحتاجين وصلاحهم وورعهم
فالاتصاف بالجود بقدر ما يتّسع له نفسه من قليل او كثير ويختلف درجات ذلك فاصطناع
المعروف امر وراء ما يوجبه العادة والمروّة وهو الجود بشرط ان يكون عن طيبة من النفس
ولا يكون لاجل غرض من خدمة او مدح وثناء اذ من يبذل المال بعوض المدح والثناء و
غيره فليس بجواد بل هو متبايع يشتري المدح بماله لكون المدح الذّ عنده من المال فالجود هو
بذل الشيء عن طيبة القلب من غير غرض وهذا وان كان حقيقة الّا انّه لا يتصوّر في غير حقّ الله
اذ ما من انسان الّا ولا يبذل الشيء الّا لغرض لكن اذا لم يكن غرضه الّا الثواب في الآخرة ورفع
الدرجات واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل سمّي جواداً وان كان
غرضه شيئاً من الامور الدنيويّة لم يسمّ جواداً **تنبيه** ارفع درجات الجود والسخاء
الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه قال الله سبحانه في معرض الثناء على اهل الايثار
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله ايّما امرء اشتهى شهوة فردّ
شهوته وآثر على نفسه غفر له وكان الايثار من شعار رسول الله صلّى الله عليه وآله ولقد قالت بعض ازواجه
انّه عليه السلام ما شبع ثلثة ايّام متوالية حتّى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنّا كنّا نؤثر على انفسنا
وروي انّ موسى بن عمران قال يا ربّ ارني بعض درجات محمّد وامّته قال يا موسى انّك لن
تطيق ذلك لكنّي اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضّلته بها عليك وعلى جميع خلقي
قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت ان يتلف نفسه من انوارها وقربها
من الله فقال يا ربّ بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم و

هو الايثار يا موسى لا يأتي احد منهم قد عمل بالايثار وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته
وبوّأته من جنتي حيث يشاء وسئل الصادق عليه السلام اي الصدقة افضل قال عليه السلام جهد المقل اما سمعت
قول الله عز و جل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وايثار علي عليه السلام غيره في جميع اوقات
عمره مشهور وفي الكتب مسطور ولقد آثر حيوة رسول الله صلى الله عليه وآله على حيوته ليلة المبيت فباهى
الله به الملائكة وانزل فيه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ولقد كان
الخواص من شيعته والمقتدون به في سنته وسيرته يجهدون في المحافظة على هذه الفضيلة
مهما امكن **فصل** علاج مرض البخل يتم بعلم وعمل والعلم يرجع الى معرفة آفة
البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف الى ان يصير طبعا له فكل
طالب لازالة البخل وكسب الجود ينبغي ان يكثر التأمل في اخبار ذم البخل ومدح السخاء وما
توعد الله به على البخل من العذاب العظيم ويكثر التأمل في احوال البخلاء وفي نفرة الطبع عنهم
حتى يعرف بنور المعرفة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة ثم يكلف نفسه
على البذل ومفارقة المال ولا يزال يفعل ذلك الى ان يهيج رغبته في البذل وكلما تحركت
الرغبة ينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه و
يوسوسه بانواع الوساوس الصادة عن البذل ولو كان مرض البخل مزمنا غير مندفع
بتمامه فمن معالجاته ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالجود فيبذل على قصد الريا
حتى يسامح نفسه بالبذل طمعا في الاشتهار بصفة الجود فيكون قد ازال عن نفسه رذيلة
البخل واكتسب خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون
طلب الشهرة والاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلى الصبي عند فطامه عن
الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا لكون اللعب مطلوبا بذاته بل لينتقل من الثدي اليه
ثم ينتقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض حتى يندفع
الجميع فيسلط الشهوة على الغضب حتى تكسر سورته ويسلط الغضب على الشهوة حتى يكسر
رعونتها وقد جرت سنة الله بدفع الموذيات والمهلكات بعضها ببعض الى ان يندفع
الجميع سواء كانت من الصفات الموذية او من الاشخاص الموذية من الظلمة والاشرار الا ترى
انه يسلط الظالمين والاشرار بعضهم على بعض الى ان يهلك الجميع ومثال ذلك كما قيل ان الميت يستحيل
جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان بعضا الى ان يرجع الى اثنين فيقويين ثم لا يزالان

تنبيه على ان العمدة في العلاج قطع سبب البخل حب المال حتى ينقطع

يتقابلان ويتعارضان الى ان يغلب احدهما الآخر فياكله ويسمن به ثم لايزال يبقى وحده
جائعا الى ان يموت فكذا هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقهرها
فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لايبقى الا واحدة ثم يقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة
وهو منع القوت منها اي عدم العمل بمقتضاها فانها تقتضي لامحالة اثارا فاذا خولفت
خمدت وماتت مثلا البخل يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاها وبذل المال مع الجهد في المشقة
مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا وسقط التعب والمشقة فيه ثم
العمدة في علاجه ان يقطع سببه وسببه حب المال اما حب الشهوات التي يتوقف الوصول اليها
على المال مع طول الامل اذ لو لم يكن له طول امل وعلم انه يموت بعد ايام فلا يبعد ربما لم
يبخل بماله اوادخاره وابقائه لاولاده فانه يقدر بقائهم كبقاء نفسه فيمسك المال لاجلهم
او حب عين المال من حيث انه مال فيحب فان بعض الناس من المشايخ والمعمرين يكون له من
المال ما يكفيه لغاية ما يتصور من بقية عمره ويزيد معه اموال كثيرة ولا ولد له يحتاط لاجله ومع
ذلك لايسمح نفسه باخراج مثل الزكوة ومداواة نفسه عند المرض بل هو محب للدنانير عاشق
لها يتلذذ بوجودها في يده مع علمه بانه عن قريب يموت فيضيع او ياخذها اعدائه ومع
ذلك لايسمح نفسه بان ياكل منها او يتصدق بعضها وهذا مرض عسر العلاج لاسيما في
كبر السن اذ ح يكون المرض مزمنا والطبيعة المدافعة له قاصرة والبدن ضعيفا ومثله من عشق
شخصا فاحب رسوله ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات
وهي محبوبة من هذه الحيثية لامن حيث انها دنانير فمن نسي الحاجات ويصير الدنانير
محبوبة عنده في نفسها فهو غاية الضلالة والخسران بل من راى بين الفاضل منها عن قدر
الحاجة وبين الحجر فرقا فهو في غاية الجهل ثم لما كان الطريق في قطع سبب كل علة
ان يواظب على ضد هذا السبب فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج
طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه
بعدهم ويعالج التفات القلب الى الاولاد بان الذي خلقهم خلق ارزاقهم وكم من ولد لم
يرث مالا من ابيه وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم ان ولده ان كان تقيا صالحا
فيكفيه الله وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته عليه ويعالج
حب المال من حيث انه مال بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ منه الا بقدر حاجته

ذكر الزكوة من الامور الواجبة فيما بين العبد والرب ومدح فاعلها وذم تاركها

المقام الثالث

وببذل الباقي على المستحقين ليبقى له ثوابه في الاخرة **فصل** اعلم ان بذل الاموال
وانفاقها المترتب على صفة الجود والسخا بين الامور بعضها واجب وبعضها مندوب وقد
ورد في فضيلة كل منه بخصوصه اخبار فلابد لنا ان نشير الى ذلك تاكيد البيان فضل السخا
والى بعض ما لها من الاداب والدقايق الباطنة ونحيل ما لها من الاحكام والشروط الظاهرة
الى كتب الفقه فنقول اما الامور الواجبة فاولها الزكوة والايات والاخبار الواردة في ذم
تاركها ومدح فاعلها كثيرة قال الله سبحانه اقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق
في سبيل الله اخراج الزكوة كما ورد عن اهل البيت عليهم السلام واجمع عليه المفسرون
وقال رسول الله صلعم اذا منعت الزكوة منعت الارض بركاتها وقال الباقر ع ان الله تعالى قرن
الزكوة بالصلوة فقال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة
فلم يقم الصلوة وقال الصادق ع ما من ذي مال ذهب وفضة يمنع زكوة ماله الا حبسه الله
يوم القيمة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعا اقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا راى انه لا يتخلص
منه امكنه من يده فقضمها كما يقضم الفجل ثم يصير طوقا في عنقه وذلك قول الله تعالى سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة وما من ذي مال ابل وغنم وبقر يمنع زكوة ماله الا حبسه الله يوم
القيمة بقاع قرقر يطاه كل ذات ظلف بظلفها وينهشه كل ذات ناب بنابها وما من ذي مال
نخل وكرم او زرع يمنع زكوتها الا طوقه الله ريعة ارضه الى سبع ارضين الى يوم القيمة و
قال ع ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم من الزكوة وفيها هلك عامتهم وقال من منع
قيراطا من الزكوة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
وقال ع انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم
ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا
ولا جاعوا ولا عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله
واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق انه ما ضاع مال في بر ولا بحر الا بترك الزكوة وما صيد صيد
في بر ولا بحر الا بتركه التسبيح في ذلك اليوم وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس
من ادى زكوة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما فرض الله لهم في ماله وقال ع ان الزكوة ليس يحمد بها
صاحبها وانما هو شيء ظاهر حقن بها دمه وسمي بها مسلما ولو لم يؤدها لم يقبل له صلوة و

بيان سر ايجاب الزكوة ومطلق الانفاق من التوحيد العام وتطهير النفس وشكر النعمة

الاخبار في فضل الزكوة وذم تاركها اكثر من ان تحصى وما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين **فصل**
السر في ايجاب الزكوة بل فضيلة مطلق انفاق المال ثلثة امور الاول ان التوحيد العام ان لا يبقى
للموحد محبوب سوى الواحد الفرد اذ المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى
وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة ساير المحاب والاموال محبوبة عند الناس لانها آلة تمتعهم
بالدنيا ولاجلها يأنسون بهذا العالم ويخافون من الموت ويتوحشون منه مع ان فيه لقاء
المحبوب فامتحنوا في صدق دعواهم الحب التام لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم اعني المال ولذلك
قال الله سبحانه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولفهم هذا السر في
بذل الاموال انقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة ثلثة اقسام قسم صدقوا التوحيد و
وفوا بعهده ولم يجعلوا قلوبهم الا محلا لحب واحد فنزلوا عن جميع اموالهم ولم يدخروا شيئا
من الدرهم والدينار وغيرهما من انواع المال ولم يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى
قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم و
اما نحن فيجب علينا بذل الجميع وسئل الصادق ع في كم يجب الزكوة من المال فقال اما الزكوة
الظاهرة ففي كل الف خمسة وعشرون واما الباطنة فلا تستاثر على اخيك بما هو احوج اليه منك
وقسم درجتهم دون هذا وهم الذين امسكوا اموالهم ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات و
مراسم الخيرات ويكون قصدهم من الامساك الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف
الفاضل عن قدر الحاجة الى وجوه البر وهؤلاء لا يقتصرون على اعطاء مجرد ما يجب عليهم من الزكوة
والخمس بل يؤدون جميع انواع البر والمعروف واكثرها وقسم اقتصروا على اداء الواجب فلا
يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهو ادون الدرجات واقل المراتب وهو درجة العوام
الراغبين الى المال لجهلهم بحقيقته وفائدته وضعف حبهم للآخرة الثاني تطهير النفس
عن رذيلة البخل فانه من المهلكات كما تقدم وانما يزول هذه الرذيلة ببذل المال مرة بعد
اخرى حتى يتعود اذ حب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا
وعلى هذا فالانفاق يطهر صاحبه عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر
فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى الثالث شكر النعمة فان لله سبحانه على عبده نعمة
في نفسه ونعمة في ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال
وما اقبح بالغني المسلم ان ينظر الى فقير مسلم وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا

نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه باعطاء عشر او ربع عشر
من ماله **فصل** ينبغي للمعطي المنفق عند ظهور داعية الخير من باطنه ان يغتنم الفرصة و
يسارع الى الامتثال تعجيلا لادخال السرور في قلوب الفقراء وحذرا عن عوائق الزمان المانعة
عن الخيرات وعلما بان في التأخيرات آفات وتنبها بان انبعاث داعية الخير لمة الملك و
قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر
بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك وصونا للفقراء عن الاضطرار الى السؤال اذ ورد ان
الاعطاء معه مكافات لوجه المبذول وثمن لما اخذ منه وليس بمعروف وروي ان امير المؤمنين ع
بعث الى رجل بخمسة اوساق من تمر وكان الرجل ممن يرجى نوافله ويرضى نائله ورفده وكان لا
يسئل عليا ولا غيره شيئا فقال رجل لامير المؤمنين ع والله ما سئلك فلان شيئا ولقد
كان يجزيه من الخمسة اوساق وسق فقال له امير المؤمنين ع لا كثر الله في المؤمنين ضربك حزبك خ ل
اعطي انا وتبخل انت اذا انا لم اعط الذي يرجوني الا من بعد مسئلتي ثم اعطيته بعد المسئلة
فلم اعطه الا ثمن ما اخذت منه لاني عرضته لان يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي وربه
عز وجل عند تعبده له وطلب حوائجه اليه فمن فعل هذا باخيه المسلم وقد عرف انه موضع لصلته و
معروفه فلم يصدق الله تعالى في دعائه له حيث يتمنى له الجنة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله ثم
ينبغي ان يعين لاداء صدقته وقتا فاضلا كيوم الغدير وشهر ذي الحجة سيما عشرا وله او شهر
رمضان سيما عشر آخره وقد ورد ان رسول الله ص كان اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة
لا يمسك فيه شيئا **فصل** الصدقة الواجبة اعني الزكوة اعلانها افضل من اسرارها
ان كان في اظهارها ترغيب للناس في الاقتداء وامن من تطرق الرياء ولم يكن الفقير ممن
يستحيي من اخذها علانية قال الصادق ع كلما افترض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكلما كان
تطوعا فاسراره افضل من اعلانه ولو ان رجلا حمل زكوة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا
وقال في قوله تعالى وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ هي ما سوى الزكوة ان الزكوة علانية غير
سر فلو دخل في نفسه الرياء مع الاظهار او كان الفقير يستحيي من اخذها علانية كان الاسرار بها
افضل اما الاول فظاهر واما الثاني فلما روي انه قيل لابي جعفر الباقر ع الرجل من اصحابنا
يستحيي من ان يأخذ من الزكوة فاعطيه من الزكوة ولا اسمي له انها من الزكوة فقال اعطه و
لا تسم له ولا تذل المؤمن وبالجملة الاعلان كما يتصور فيه فائدة الترغيب يتطرق اليه محذور

في المنع عن المن والاذى في الصدقة والعطاء وعلاج كل واحد منهما

الرياء والمن والاذى وذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فبالنظر الى بعض الاحوال والاشخاص يكون الاعلان افضل وبالنظر الى بعض اخر يكون الاسرار افضل فلابد لكل منفق ان يلاحظ حاله ووقته ويقابل الفائدة بالمحذور ويختار ما هو الافضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له ما هو الاولى والاليق

فصل ينبغي للمتصدق ان يجتنب عن المن والاذى قال الله سبحانه لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال وكرههن للاوصياء من ولدي واتباعهم من بعدي العبث في الصلوة والرفث في الصوم والمن بعد الصدقة واتيان المساجد جنبا والتطلع في الدور والضحك بين القبور والمن ان يرى نفسه محسنا ومن ثمراتها الظاهرة الاظهار بالانفاق والتحدث به وطلب المكافاة منه بالشكر والخدمة والتعظيم والمتابعة في الامور والاذى التعيير والتوبيخ والاستخفاف والاستخدام والقول السيء وتقطيب الوجه وهتك الستر ثم معرفة الاذى ظاهر وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن واما المن الباطني اي رؤية نفسه محسنا فيعرف بان يكون استبعاده من خيانة القابض بعد العطاء اكثر من استبعاده منه قبله وعلاج المن ان يعرف ان المحسن هو الفقير القابض لايصاله الثواب والانجاء من العذاب وكونه نائبا عن الله تعالى وكون ما يعطيه حقا من الله سبحانه احال عليه الفقير انجازا لما وعده من الرزق وعلاج الاذى ان يعرف ان سببه استكثار العطاء وكراهة انفاق المال والتكبر على الفقير القابض برؤية نفسه خيرا منه لغنائه واحتياجه وجميع ذلك جهل وحماقة اما استكثاره العطاء فلان ما اعطاه بالنظر الى ما يطلبه لاجله من رضاء الله وثواب الآخرة في غاية القلة والخسة وكيف يستعظم العاقل بذل الخسيس الفاني اذا اخذ في مقابله خطيرا باقيا واما استحقاره الفقير فلما تعلم من فضل الفقير على الغني فكيف يرى نفسه خيرا منه وكفى للفقير فضلا ان الله سبحانه جعل الغني مسخرا له بان يكتسب المال بالجهد والتعب ويسعى في حفظه ويسلم الى الفقير بقدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني يخدم الفقير في طلب المال مع كونه محنة للفقير وكون ما يذم منه من تحمل المشاق وتقلد المظالم وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكله الاعداء على الغني وبالجملة العاقل بعد التأمل يعلم ان ما يعطيه قليل في مقابلة ما يأخذه وان الفقير محسن اليه قال امير المؤمنين عليه السلام من علم ان ما

صنع انما صنع الى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم فلا تلتمس من غيرك
شكر ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه
عن وجهك فاكرم وجهك عن رده وينبغي للمتحرز عن المن والاذى ان يتواضع ويتخضع للفقير عند
اعطائه بان يضع الصدقة لديه ويمثل قائما بين يديه او يبسط كفه ليأخذ الفقير ويكون يد الفقير
هي العليا **فصل** ومما ينبغي للمعطي ان يستصغر العطية ليعظم عند الله وان استعظمها
صغرت عند الله قال الصادق ع رايت المعروف لا يصلح الا بثلث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك
اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه واذا سترته تممته واذا عجلته هنأته وان كان غير ذلك
محقته ونكدته واستعظام العطاء غير المن والاذى اذ الصرف الى عمارة المسجد مثله يتأتى
فيه الاستعظام ولا يتأتى فيه المن والاذى وان يعطي الاجود والاحب والابعد عن الشبهة
لان الله طيب لا يقبل الا طيبا واخراج غير الجيد سوء ادب بالنسبة الى الله اذ امساك الجيد لنفسه
واهله وانفاق الردي في سبيل الله يوجب ايثار غير الله وترجيحه عليه لو فعل هذا بضيف و
قدم اليه رديء طعام في البيت لانكسر قلبه وغير صدره هذا اذا كان نظره الى الله بان يتصدق
لوجه الله من غير ملاحظة عوض لنفسه في دار الاخرة وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الاخرة فلا
ريب في ان العاقل لا يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى و
لعظم فائدة انفاق الاجود الاحب وقبح انفاق الردي الاخس قال الله تعالى وَاَنْفِقُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا اَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ
وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ اِلَّا اَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ اي لا تأخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض وما هذا
شانه عندكم فلا تؤثروا به ربكم وقال سبحانه لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وقال و
يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُونَ وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرج الانسان
وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف
درهم مما يكره من ماله فيدل على انه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه ومما ينبغي له ان يعطي الفقير
اذا قدر ففي الخبر اذا اعطيته فاغنه وان يقبل يده بعد الاعطاء لانه يقع في يد الله تعالى اولا
قال امير المؤمنين ع اذا ناولتم السائل فليرد الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها فان الله عز
وجل ياخذ الصدقات وقال النبي ص ما يقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى يقع في يد الله
ثم تلى هذه الاية اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ و

قال الصادق عم ان الله تعالى يقول ما من شيء الا وقد وكلت من يقبضه غيري الا الصدقة فاني اتلقفها
بيدي تلقفا حتى ان الرجل ليتصدق والمرأة لتصدق بالتمرة او بشق تمرة فاربيها كما يربي الرجل
فلوه وفصيله فيلقاني يوم القيمة وهي مثل جبل احد واعظم من احد وفي ان يلتمس الدعاء من
الفقير لان دعائه يستجاب فيه كما روى ان علي بن الحسين ع كان يقول للخادم امسكي قليلا حتى يدعو
فان دعوة السائل الفقير لا ترد وانه ع كان يامر الخادم اذا اعطت السائل ان يامره ان يدعو
بالخير وعن احدهما عليهما السلام اذا اعطيتموهم فلقنوهم الدعاء فانه يستجاب لهم فيكم ولا
يستجاب لهم في انفسهم وما قيل من ارباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القابض لانه شبيه
المكافات وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ولو ارسلوا معروفا الى فقير قالوا للرسول احفظ ما يدعو به
لنرد عليه مثل قوله خلاف طريقة ائمتنا الراشدين ع فلا اعتبار به عندنا ومما ينبغي له ايضا
ان يصرف الصدقات الى من يكثر باعطائه الاجر كاهل الورع والعلم وارباب التقوى في الصدق
والكاملين في الايمان والتشيع قال رسول الله ص لا ياكل طعامك الا التقي وقال ص اطعموا
طعامكم الاتقياء وقال ع اضف بطعامك من تحبه في الله ولكن يرفعهم عن الزكوة الواجبة
والصدقات فانها اوساخ الاموال ويوسع عليهم بالهدايا والصلات ففي الخبر مستحق الزكوة
المستضعفون من شيعة آل محمد والذين لم يقو بصائرهم واما من قويت بصيرته وحسنت
بالولاية لاوليائهم والبراءة من اعدائهم معرفته فذاك اخوكم في الدين امس بكم رحما من الآباء
والامهات المخالفين فلا تعطوه زكوة ولا صدقة فان موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد
يحرم على جماعتنا الزكوة والصدقة ولكن ما تعطونه اخوانكم المستبصرين البر وارفعوهم عن
الزكوة والصدقات ونزهوهم عن ان تصبوا عليهم اوساخكم ايحب احدكم ان يغسل وسخ
بدنه ثم يصب على اخيه المؤمن ان وسخ الذنوب اعظم من وسخ البدن فلا توسخوا اخوانكم
الحديث ولا ينبغي لمن نظره الى الوسائط بل ينبغي التصرف الى من بلغ مقام التوحيد
يرى النعمة من الله ولا ينظر الى الوسائط اذ من لم يتصف بالمنع عن رؤية الوسائط وحيث
انهم وسائط فغير خال من نوع من الشرك الخفي قال الصادق ع في قول الله تعالى وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت كذا و
لولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه قد جعل لله شريكا في ملكه يرزقه او يدفع عنه فقال
الراوي يجوز ان يقال لولا ان الله من علي بفلان لهلكت قال نعم لا بأس بهذا ومن اهل

الريبة والاختصاص بالبذل الیه من كان مستترا باستار الحاجة كائنا من اهل المروة متعففا
في جلباب التجمل محصورا في سبيل الله محبوسا في طريق الآخرة بعيلة او مرض او ضيق معيشة
او اصلاح قلب او سبب اخر من الاسباب والاولى من الكل الاقارب اولوا الارحام من اهل الاحتياج
فان الانفاق عليهم صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب لا يخفى قال امير المؤمنين ع لان
اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين
درهما احب الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة
وفي خبر اخر لا صدقة وذو رحم محتاج الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة الاخوان
بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وفي الخبر ان افضل الصدقات والصلات
الانفاق على ذي الرحم الكاشح يعني المبغض وكانه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص و
التقوى **فصل** ينبغي للفقير الاخذ ان يعلم ان الله تع اوجب صرف المال اليه ليكفي
مهمه فيتجرد للعبادة والاستعداد للموت فينبغي ان يتاهب لذلك ولا يصرفه عن فضول
الدنيا ويشكر الله على ذلك ويشكر المعطي فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه
قال رسول الله ص من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال الصادق ع لعن الله قاطعي سبيل المعروف
قيل وما هم قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من ان يصنع ذلك الى
غيره وقال امير المؤمنين ع من صنع بمثل ما صنع اليه فانما كافاه ومن ضعفه كان
شكورا ومن شكر كان كريما وينبغي له ايضا ان يستر عيوب صاحب العطاء ولا يذمه ولا يحقره
ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس اعطاءه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة
لئلا يكون مشركا وان يتوقى مواقع الحرمة والريبة والشبهة في اصله ومقداره فلا ياخذ
ممن لا يحل ماله او يشتبه كعمال السلاطين والجنود ومن اكثر كسبه من الحرام ولا الزيادة
على قدر الحاجة ولا يسئل على رؤس الملأ ممن يستحيي ان يرد وان يتورع العالم والمتقي من اخذ
الزكوة والصدقات ما لم يضطر اليها تنزيها للنفس عن الاوساخ وان يستر الاخذ بنية انه
ابقى لستر المروة والتعفف واصون لنفسه عن الاهانة والاذلال واعون للمعطي على الاخفاء و
الاسرار واسلم لقلوب الناس عن الحسد وسوء الظن او يظهر بنية الاخلاص و
الصدق واظهار المسكنة والعبودية والتبري عن الكبر وتلبيس الحال واقامة سنة الشكر او
غير ذلك فانه يختلف باختلاف النيات والاشخاص والاحوال ولكل امرء ما نوى و

في الانفاقات الحسنة من زكوة المال والبدن ومن ذكر الخمس والجبايات فيهما

في زكوة الاموال والابدان

كل مراقب للاحوال عارف بالفوايد والمفاسد يمكنه الاخذ بالانفع الارجح **تتميم** اعلم انه كما في المال زكوة فكذلك للبدن زكوة وهو نقصه ليزيد الخير والبركة لصاحبه وهذا النقص اما يكون اختيارا بان يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية او اضطرارا بان ينقص بمرض وآفة قال رسول الله صلعم يوما لاصحابه ملعون كل مال لا يزكى ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين يوما مرة قيل له يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها فما زكوة الاجساد قال صلعم ان تصاب بآفة فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك فلما راهم قد تغيرت الوانهم فقال هل تدرون ما عنيت بقولي فقالوا لا يا رسول الله قال ان الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين وقال لكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام وقال الصادق عم على كل جزء من اجزائك زكوة واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعرك بل على كل لحظة فزكوة العين النظر بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم والحكمة والقران وفوايد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك وبالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكوة اليد البذل والسخا بما انعم الله عليك وتحريكها بكتبة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى والقبض عن الشرور وزكوة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه اصلاح قلبك وسلامة دينك

في الخمس وغيره

وثانيها الخمس وقد فرضه الله تعالى على عباده صونا لذرية نبيه صلعم عن الافتقار وتنزيها لهم عن الصدقات التي هي اوساخ الناس فقال سبحانه وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ويستفاد من الاية ان مانع الخمس لا ايمان له وقال امير المؤمنين عم هلك الناس في بطونهم وفروجهم لانهم لا يؤدون الينا حقنا ولا ريب في عظم الثواب والاجر في ادائه وايصاله الى اهله وكيف لا وهو اعانة ذرية الرسول صلعم وقضاء حوائجهم وقد قال رسول الله صلعم حقت شفاعتي لمن اعان ذريتي بيده ولسانه وماله وقال صلعم اربعة انا شفيع لهم يوم القيمة ولو جاؤا بذنوب اهل الدنيا المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم عند اضطرارهم والمحب لهم بقلبه ولسانه وقال صلعم من

المقام الثالث

صنع الى احد من اهل بيتي يدا كافيته يوم القيمة وعن الصادق عم قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد ايها الخلايق انصتوا فان محمدا يكلمكم فينصت الخلايق فيقوم النبي صلعم فيقول يا معشر الخلايق من كانت له عندي يد او منة او معروف فليقم حتى اكافيه فيقولون باباءنا وامهاتنا واي يد واي منة واي معروف لنا بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلايق فيقول لهم بلى من اوى احدا من اهل بيتي او برهم او كساهم من عري او اشبع جايعهم فليقم حتى اكافيه فيقوم اناس قد فعلوا ذلك فياتي النداء من عند الله يا محمد يا حبيبي قد جعلت مكافاتهم اليك فاسكنهم من الجنة حيث شئت قال فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون عن محمد واهل بيته صلوات الله عليهم وقد ظهر مما تقدم بعض ما يتعلق به من الاسرار والاداب والشرايط الباطنية وينبغي ان يكون معطيه في غاية الحذر عن استعظامه وعن المن والاذى وان يكون في غاية التخضع والتواضع للذرية العلوية عند اعطائه اياهم ويعلم انه عبد من عباد الله اعطاه مولاه شيئا من امواله ثم امره بان يوصل قليلا منها الى ذرية نبيه صلعم وجعل له ايضا في مقابلة هذا الايصال زيادة المال في الدنيا وعظيم الاجر والثواب في العقبى فما اقبح بالعاقل مع ذلك ان يستعظم ما يعطيه ويمن على اولاد نبيه صلعم وثالثها الانفاق على الاهل والعيال والتوسع عليهم وهو ايضا من الواجبات على النحو المقرر في كتب الفقه وما ورد في مدحه وعظم اجره اكثر من ان يحصى قال رسول الله الكاد في نفقة عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال صلعم خيركم خيركم لاهله وقال صلعم المؤمن ياكل بشهوة اهله والمنافق ياكل اهله بشهوته وقال افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى ولا يلوم الله تعالى به على الكفاف وقال صلعم دينار انفقته على اهلك ودينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين واعظمها اجرا الدينار الذي انفقته على اهلك وقال صلعم ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى في امرأته وقال صلعم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال صلعم من كانت له ثلث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله تعالى له الجنة الا ان يعمل عملا لا يغفر الله له وقال صلعم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا قال انفقه على نفسك قال ان عندي اخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي اخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي اخر قال انت ابصر به وقال صلعم ملعون ملعون من القى كله على الناس ملعون ملعون من ضيع من يعول وقال صلعم لامير المؤمنين ع بعدما راه في البيت ينقي العدس وفاطمة عليها السلام

الانفاق على الاهل والعيال

في الاخبار الدالة على فضيلة خدمة العيال والقيام بامر مؤنتهم وفي وظائف طالب الثواب

جالساً عند القدر اسمع مني يا ابا الحسن وما اقول الا من امر ربي ما من رجل يعين امرأته في
بيتها الا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله من الثواب
مثل ما اعطى الصابرين داود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام يا علي من كان في خدمة
العيال في البيت ولم يأنف كتب الله اسمه في ديوان الشهداء وكتب له بكل يوم وليلة ثواب الف شهيد و
كتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة واعطاه الله بكل عرق في جسده مدينة في الجنة يا علي
ساعة في خدمة البيت خير من عبادة الف سنة والف حج والف عمرة وخير من عتق الف
رقبة والف غزوة والف مريض عاده والف جمعة والف جنازة والف جائع يشبعهم والف
عار يكسوه والف فرس يوجهه في سبيل الله وخير له من ان يقرأ التورية والانجيل و
الزبور والفرقان ومن الف اسير اسرها فاعتقها وخير له من الف بدنة يعطي للمساكين
ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة يا علي خدمة العيال كفارة للكبائر ويطفي غضب الرب
ومهور الحور العين ويزيد في الحسنات والدرجات يا علي لا يخدم العيال الا صديق او
شهيد او رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة وقال السجاد ع ارضاكم عند الله اسبغكم
على عياله وقال ع لئن ادخل السوق ومعي دراهم ابتاع لعيالي لحماً وقد قرموا اليه احب الي
من ان اعتق نسمة وقال الصادق ع كفى بالمرء اثماً ان يضيع من يعوله وقال ع من سعادة الرجل ان
يكون القيم على عياله وقال الكاظم ع ان عيال الرجل اسراؤه فمن انعم الله عليه نعمة فليوسع
على اسرائه فان لم يفعل اوشك ان يزول تلك النعمة منه وقال ابو الحسن الرضا ع ينبغي للرجل
ان يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته وقال ع صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله والاخبار
الواردة في ثواب الانفاق على العيال وخدمتهم والتوسيع عليهم مما لا يعد كثرة وما ذكرنا
كاف لايقاظ اهل الاستبصار **فصل** ينبغي لطالب الاجر والثواب في انفاق العيال
ان يقصد في كده وسعيه في تحصيل النفقة وفي انفاقه وجه الله وثواب الآخرة اذ لا ثواب بدون القربة
وان يجتنب عن تحصيل الحرام والشبهة ولا يدخل على عياله الا الحلال اذ اخذ الحرام وانفاقه
اعظم الذنوب واشد المعاصي وان يقتصد في التحصيل والانفاق فليحترز عن الاقتار لئلا يضيع
عياله وعن الاسراف لئلا يضيع عمره في طلب المال فيكون من الخاسرين الهالكين قال الله سبحانه
كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا وقال وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ وقال وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا وعن الصادق ع

المقام الثالث

انزلت هذه الاية فاخذ قبضة من حصى وقبض ما بيده فقال هذه الاقتار الذى ذكره الله في كتابه ثم اخذ قبضة اخرى فارخى بعضها وامسك بعضها فقال هذا القوام وينبغى ان لا يستاثر نفسه ويجفو عياله بما كول طيب لا يطعم سائرهم منه فان ذلك يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف الا ان يضطر اليه لمرض او ضعف او غير ذلك وينبغى ان لا يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه وان يقعد عياله كلهم على مائدته عند الاكل فقد روى ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت يا كلون جماعة واما الامور المستحبة من الانفاق الداخلة تحت السخاء فاولها صدقة التطوع وفضلها عظيم وفوائدها الدنيوية والاخروية كثيرة قال رسول الله تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار وقال صلعم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلعم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا كان الله عز وجل يا خذها بيمينه فيربيها له كما يربى احدكم فصيله حتى يبلغ التمرة مثل احد وقال صلعم ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته وقال كل امرء فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال ارض القيمة نار ما خلا ظل المؤمن فان صدقته ظلته وقال صلعم ان الله لا اله الا هو ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة والحرق والغرق والهدم والجنون وعد سبعين بابا من الشر وقال صلعم صدقة السر تطفى غضب الرب جل جلاله وقال صلعم اذا طرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه وفائدة التخصيص بالذكر والليل ان من يسئلك ليلا فى صورة الانسان يحتمل ان يكون ملكا اتاك للامتحان كما روى انه سبحانه اوحى الى موسى بن عمران عم وقال يا موسى اكرم السائل ببذل يسير او برد جميل انه يأتيك من ليس بانس ولا جان بل ملائكة من ملائكة الرحمن يبلونك فيما خولتك ويسئلونك فيما نولتك فانظر كيف انت صانع يا ابن عمران ولذلك حث رسول الله صلعم على عدم رد السائل وقال اعط السائل ولو على ظهر فرس وقال لا تقطعوا على السائل مسئلته فلولا ان المساكين يكذبون ما افلح من ردهم وقال الباقر عم البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان فى العمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء وقال الصادق عم داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء واستنزلوا الرزق بالصدقة فانها تفك من بين لحى سبعمائة شيطان وليس شيء اثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن وهى تقع فى يد الرب قبل ان تقع فى يد العبد وقال عم الصدقة باليد تقى ميتة السوء وتدفع سبعين نوعا من البلاء وتفك

صدقة التطوع وفضلها

عن لحى

عن لحي سبعين شيطانا كلهم يامره ان لا يفعل وقال ع يستحب للمريض ان يعطي السائل بيده ويامر ان يدعو
له وقال ع باكروا بالصدقة فان البلا لا يتخطاها ومن تصدق بالصدقة اول النهار رفع الله عنه
شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم فان تصدق اول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء
في تلك الليلة وكان ع اذا اعتم اي صلى العتمة وذهب من الليل شطره اخذ جرابا فيه خبز ولحم و
دراهم وحمله على عنقه ثم ذهب به الى اهل الحاجة من اهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه فلما
مضى ع فقدوا ذلك فعلموا انه كان ابا عبد الله ع وسئل ع عن السائل يسئل ولا يدري ما
هو فقال اعط من وقع في قلبك الرحمة وقال ع اطعموا ثلثة وان شئتم ان تزدادوا فازدادوا في السؤال
والا فقد اديتم حق يومكم وقال ع في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسمها قال يجري له من الاجر مثل
ما يجري للمعطي ولا ينقص من اجره شيئا ولو ان المعروف جرى على سبعين يدا لاوجروا كلهم
من غير ان ينقص من اجر صاحبه شيء وقد وردت اخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه قال
امير المؤمنين ع اول ما يبدء به في الاخرة صدقة الماء يعني في الاجر وقال ابو جعفر ع ان الله
تعالى يحب ابراد الكبد الحراء ومن سقى كبدا حراء من بهيمة وغيرها اظله الله في ظل عرشه يوم لا
ظل الا ظله وقال الصادق ع من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن اعتق رقبة ومن سقى
الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن احيى نفسا ومن احيى نفسا فكانما احيى الناس جميعا

تنبيه سئل رسول الله ص اي الصدقة افضل قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح
تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا

فصل لا كلام في ان الاسرار بالصدقة المندوبة افضل من اظهارها للمعطي في اعطائها
ويدل عليه قول الصادق ع الصدقة في السر والله افضل من الصدقة في العلانية وقوله ع كلما
فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكلما كان تطوعا فاسراره افضل من اعلانه
وانما الكلام في ان الافضل للآخذ في اخذها ان ياخذها سرا او علانية فقيل الافضل
اخذها خفية لانه ابقى للتعفف وستر المروة واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء
الظن والغيبة واعون للمعطي على اسرار العمل وقد علمت افضلية السر على الجهر في الاعطاء و
اصون لنفسه عن الاذلال والاهانة واخلص من شوب شركة الحضار فان المستفاد من الاخبار
ان الحضار شركاء من اهدي له في الهدية والظاهر ان الصدقة مثلها اذا كان الحضار من اهلها
قال رسول الله ص من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وقال الباقر ع جلساء الرجل

ذكر ما يترجح فيها من كل من الاسرار والاعلان في الصدقة على الآخر بحسب اختلاف المواضع

شركائه في الهدية وقال اذا اهدى للرجل هدية من طعام وعنده قوم فهم شركائه في الهدية الفاكهة او غيرها وقيل الافضل اخذها علانية والتحدث بها لنفيه الكبر والرياء وتلبيس الحال وايجابه الاخلاص والصدق واقامة سنة الشكر واسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة مع ان العارف ينبغي له ان لا ينظر الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد والحق ان الحكم بافضلية احدهما على الاطلاق غير صحيح اذ تختلف فضيلة كل منهما باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي لطالب السعادة ان يراقب نفسه ويلاحظ حاله ووقته وير ان اى الحالتين من السر والجهر بالنظر اليه اقرب الى الخلوص والقربة وابعد من الريا والتلبيس وساير الآفات فيختار ذلك ولا يتلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان مثلا اذا كان طبعه مايلا الى الاسرار ورأى ان باعث هذا الميل حفظ الجاه والمنزلة وخوف سقوط القدر من اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطى كونه منعما محسنا اليه او خوفا ان لا يعطيه الناس بعد ذلك لعلمهم بما اخذه فليتنقل عن الاسرار ويأخذها علانية اذ لو ابقى نفسه على ما استكن فيها من الداء الدفين وعمل بمقتضاها هلكا وان كان طبعه مايلا الى الاسرار وايقن بان باعث الميل اليه ابقاء التعفف وستر المروة وصيانة الناس عن الحسد وسوء الظن والغيبة ولم يكن باعثه شيء من المفاسد المذكورة فالاولى ان يأخذها سرا ويعرف ذلك بان يكون تألمه بانكشاف اخذه للصدقة كتألمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه واخوانه المؤمنين فانه ان كان طالبا لبقاء الستر واعانة المعطى على الاسرار وصيانة العلم عن الابتذال وحفظ الناس عن الحسد والغيبة وسوء الظن فينبغي ان يكون طالبا في صدقة اخيه ايضا اذ يحصل ما يحذر منه من هتك الستر وابتذال العلم ووقوع الناس في الغيبة والحسد بانكشاف صدقة اخيه ايضا فان كان انكشاف صدقته اثقل عليه من انكشاف صدقة غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني تلبيس من النفس ومكر من الشيطان واذا كان طبعه مايلا الى الاظهار ووجد من نفسه ان باعث هذا الميل هو التطييب لقلب المعطى والاستحثاث له على مثله والاظهار للغير بانه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في الاحسان اليه فليتنبه ان هذا من الداء الدفين الذي يهلكه لو لم يعالجه فليترك اخذها جهرا والتحدث بها وينتقل الى الاخذ خفية وان تيقن من نفسه بان الباعث هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة واسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة

الدوي

تنبيه يوقظ على الدقائق في ان الشكر واخفاء العطية ترغيب الى الاهداء والضيافة

الهدية وفضلها وآدابها

او غير ذلك من المقاصد الصحيحة من دون تطرّق شيء من المفاسد المذكورة فالاظهار افضل و
يعرف ذلك بان يميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين
يكجماعة يعلم انهم يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم ان لا يعطوها الّا من
يخفيها ولا يتحدث بها ولا يشكر عليها ثم اذا جزم بكون الباعث اقامة السنّة في الشكر فلا ينبغي ان
يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر انه ان كان ممن يحبّ الشكر والنّشر فينبغي الاخذ ولا يشكر لان
قضاء حقه ان لا ينصره على الاثم وان كان ممن لا يحبّ الشكر ولا يطلب النّشر فالاولى ان يشكره و
يظهر صدقته وينبغي لكل من يراعي قلبه ان يلاحظ هذه الدقائق ولا يهملها اذ اعمال الجوارح مع
اهمالها ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب فيها مع عدم تصور نفع لها والعلم بهذه الدقائق
وملاحظتها هو العلم الّذي ورد فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ
هذا العلم يحيي عبادة العمر وبالجهل به يموت عبادة العمر وثانيها الهديّة وهو ما يعطي و
يرسل الى اخيه المسلم فقيرا كان ام غنيا طلبا للاستيناس وتاكيد للصحبة والتودّد وهو
مندوب اليه من الشرع ومع سلامة القصد والنيّة يكون عبادة قال رسول الله ص تحابوا تهادوا فانها
تذهب بالضغاين وقال ص لو اهدي اليّ ذراع لقبلت وقال امير المؤمنين ع لان اهدي لاخي المسلم
هديّة احبّ اليّ من ان اتصدّق بمثلها وقال الصادق ع من تكرمة الرّجل لاخيه المسلم ان يقبل تحفته
ويتحفه بما عنده ولا يتكلف له شيئا وثالثها الضيافة وثوابها جزيل واجرها جميل وثمرها جسيم
قال رسول الله ص لا خير فيمن لا يضيف ومرّ ص برجل له ابل وبقر كثير فلم يضفه ومرّ بامرأة لها
شويهات فذبحت له فقال ص انظروا اليهما فانّما هذه الاخلاق بيد الله عزّ وجلّ فمن شاء
ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ص الضيف اذا جاء فنزل بالقوم جاء برزقه معه من السماء
فاذا اكل غفر الله لهم بنزوله وقال ص ما من ضيف حلّ بقوم الّا ورزقه في حجره وقال من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال ص لا يزال امتي بخير ما تحابوا وتهادوا والامانة واجتنبوا
الحرام واقروا الضيف واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط
وقال ص اذا اراد الله بقوم خيرا اهدى اليهم هديّة قالوا وما تلك الهديّة قال الضّيف ينزل
برزقه ويرتحل بذنوب اهل البيت وقال ص كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا يدخله الملائكة
وقال ص الضّيف دليل الجنّة وقال امير المؤمنين ع ما من مؤمن يحبّ الضّيف الّا ويقوم من
قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر فينظر اهل الجمع فيقولون ما هذا الّا نبيّ مرسل فيقول ملك هذا

الضيافة والآداب ما يتعلق بها

وفضلها عظيم

الشويهات جمع شوية مصغر شاة

بقية الاخبار في شرح فقرة الاطعام
ذكر مدح الضيافة وفضل السقاية

مؤمن يحب الضيف ويكرم الضيف ولا سبيل له الا ان يدخل الجنة وقال عم ما من مؤمن يسمع بهمس الضيف وفرح بذلك الا غفرت له خطاياه وان كانت مطبقة بين السماء والارض وبكى عم يوما فقيل له ما يبكيك قال لم يأتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني و عن محمد بن قيس عن ابي عبد الله عم قال ذكر اصحابنا قوما فقلت والله ما اتغدى ولا اتعشى الا ومعي منهم اثنان او ثلثة او اقل او اكثر فقال عم فضلهم عليك اعظم من فضلك عليهم قلت جعلت فداك كيف ذا وانا اطعمهم طعامي وانفق عليهم من مالي واخدمهم عيالي فقال اذا دخلوا عليك دخلوا من الله بالرزق الكثير واذا خرجوا خرجوا بالمغفرة وكان ابرهيم الخليل عم اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان وجميع الاخبار الواردة في فضيلة اطعام المؤمن وسقيه يدل على فضيلة الضيافة كقوله عم بعد سؤاله عن الحج المبرور هو اطعام الطعام وطيب الكلام وقال عم من اطعم ثلث نفر من المسلمين اطعمه الله من ثلث جنان في ملكوت السموات والارض الفردوس وجنة عدن وطوبى وشجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده وقول الصادق عم من اشبع مؤمنا وجبت له الجنة وقوله عم من اطعم مؤمنا حتى يشبعه لم يدر احد من الخلق ما له من الاجر في الاخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل الا الله رب العالمين وسئل عم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال عم من احب الاعمال الى الله تعالى اشباع جوعة المؤمن وتنفيس كربته في قضاء دينه وقال عم ان الله يحب اطعام الطعام في الله ويحب الذي يطعم الطعام في الله والبركة في بيت من اطعم الطعام اسرع من الشفرة في سنام البعير وقال عم خيركم من اطعم الطعام وقال عم من اطعم الطعام اخاه المؤمن حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة خمسمائة عام وفي الخبر ان الله تعالى يقول للعبد في القيمة يا ابن ادم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاع اخوك فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عم من سقى مؤمنا من ظماء سقاه الله من الرحيق المختوم وقال عم من سقى مؤمنا شربة من ماء من حيث يقدر على الماء اعطاه الله بكل شربة سبعين الف حسنة وان سقاه من حيث لا يقدر على الماء فكانما اعتق عشر رقاب من ولد اسمعيل **فصل** ينبغي ان يقصد في ضيافته التقرب الى الله والتاسي بسنة رسول الله واستمالة قلوب الاخوان وادخال السرور على

في وظائف الضيافة واكرام الضيف وفي آداب الضيف وذكر الطعام

قلوب المؤمنين ولا يقصد الرياء والمفاخرة والمباهات والا ضاع عمله وان يدعو الفقراء والانقياء وان كان في ضيافة الاغنياء ومطلق الناس فضيلة ايضا وينبغي ان لا يهمل في ضيافة الاقارب والجيران اذا اهمالهم قطع رحم وايحاش وان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة وينبغي ان يعجل في احضار الطعام لانه من اكرام الضيف وقد ورد ان العجلة من الشيطان الا في خمسة اشياء فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب وان يحضر من الطعام قدر الكفاية لان التقليل نقص في المروة والزيادة عليه تضييع وان يسعى في اكرام الضيف من طلاقة الوجه وطيب الكلام معه عند دخوله وخروجه وعلى المائدة والخروج معه الى باب الدار اذا خرج قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان من سنة الضيف ان يشيعه الى باب الدار ومما ينبغي له ان لا يستخدم الضيف قال الباقر عليه السلام من الجفاء استخدام الضيف وكان عند الرضا عليه السلام ضيف فكان يوما في بعض الحوائج فنهاه عن ذلك وقام بنفسه الى تلك الحاجة وقال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ان يستخدم الضيف **فصل** ينبغي لكل مؤمن ان يجيب دعوة اخيه الى الضيافة من غير ان يفرق بين الغني والفقير بل يكون اسرع اجابة الى دعوة الفقير وان لا يمنعه بعد المسافة عن الاجابة اذا امكن احتمالها عادة قال رسول الله صلى الله عليه وآله اوصي الشاهد من امتي والغائب ان يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة اميال ولا يمنعه صوم التطوع عن الاجابة بل يحضر فان علم سرور اخيه بالافطار فليفطر ويحتسب في افطاره افضل ما يحتسب في صومه قال الصادق عليه السلام من دخل على اخيه وهو صائم فافطر عنده ولم يعلمه بصومه فيمن عليه كتب الله له صوم سنة وان علم انه متكلف ولا يسر بافطاره فليتعلل وينبغي ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن لئلا يدخل عمله في امور الدنيا بل ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله واكرام اخيه المؤمن ليكون في عمله مطيعا لله مثابا في الآخرة وان يحترز عن الاجابة اذا كان الداعي من الظلمة او الفساق او كان ضيافته للفخر والمباهاة او من كان طعامه حراما او شبهة او لم يكن موضعه او بساطه المفروش حلالا او كان في الموضع شيء من المنكرات كاناء فضة او تصوير حيوان على سقف وحائط او احد آلات اللهو من المزامير وامثالها او التشاغل بشيء من اللهو واللعب والهزل فكل ذلك مما يمنع الاجابة ويوجب تحريمها او كراهتها قال الصادق عليه السلام لا ينبغي للمؤمن ان يجلس مجلسا يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره ومن ابتلي بحضور طعام ظالم اكراها او تقية فليقلل الاكل ولا يأكل اطايب الاطعمة وينبغي للضيف ايضا اذا دخل

في بقية آداب الضيف وفي ذكر الحق المعلوم وحق الحصاد من انواع الانفاق

الباب الثالث

الدار ان لا يتصدر ولا يقصد احسن الاماكن بل يتواضع ويرضى بالدون من المجلس وان اشار
اليه صاحب الدار بموضع فلا يخالفه ويجلس فيه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع او
الانحطاط وان لا يجلس في مقابلة باب حجرة النسوان ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه
الطعام فانه دليل الشره وخسة النفس وان يخص بالتحية والسؤال اولا من يقرب منه وينبغي
لمن دعى الى الضيافة ان لا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد
رابعها الحق المعلوم والجداد والمراد من الاول ما يعرضه الرجل ويقدره مما في ماله من قليل
او كثير غير الصدقات الواجبة يعطيه محتاجا او يصل به رحمه والمراد بالثاني ما يعطيه الى الفقراء
من الضغث بعد الضغث اي القبضة بعد القبضة من الزرع يوم حصاده ومن الحفنة بعد الحفنة
اي ملاء الكف من التمر او الحنطة او غيرهما من الثمار والفواكه والحبوبات عند قطعها وتصفيتها
وهذان النوعان من الانفاق معدودان في صدقة التطوع وقد ورد بخصوصهما اخبار كثيرة لشدة
استحبابهما قال الصادق عم ان الله فرض للفقراء في اموال الاغنياء فريضة لا يحمدون الا باداها وهي
الزكوة بها حقنوا دمائهم وبها سموا مسلمين ولكن الله فرض في اموال الاغنياء حقوقا غير
الزكوة فقال تعم في اموالهم حق معلوم والحق المعلوم غير الزكوة وهو شيء يفرضه الرجل على
نفسه في ماله يجب عليه ان يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله فيؤدي الذي فرض على نفسه ان
شاء كل يوم وان شاء كل جمعة وان شاء في كل شهر وقال عم الحق المعلوم ليس من الزكوة هو الشيء
تخرجه من مالك ان شئت كل جمعة وان شئت كل شهر ولكل ذي فضل فضيلة قال الله تعم والذين
في اموالهم حق معلوم غير الزكوة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه انه ماله ويجب له ان يفرضه بقدر
طاقته وقال عم ان عليكم في اموالكم غير الزكوة فقال الراوي وما علينا في اموالنا غير الزكوة قال
سبحان الله اما تسمع قول الله تعم يقول والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم قال فما
ذا الحق المعلوم قال هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله يعطيه في اليوم او في الجمعة او في الشهر
قل او كثر غير انه يدوم عليه وقال عم في قول الله تعم في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم هو
الرجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الالف والالفين والثلثة الاف والاقل والاكثر
فيصل به رحمه ويحمل به الكل عن قومه وقال عم في الزرع حقان حق تؤخذ وحق تعطيه اما الذي
تؤخذ به فالعشر ونصف العشر واما الذي تعطيه فقول الله تعم واتوا حقه يوم حصاده يعني من حصدك
الشيء ثم الشيء والضغث ثم الضغث حتى يفرغ وقال عم لا تصرم بالليل ولا تحصد بالليل ولا تضح بالليل

وحق الحصاد

فالحق المعلوم

بالليل ولا تبذر بالليل فانك ان فعلت ذلك لم يأتك القانع والمعتر قال الراوى وما القانع و
المعتر قال القانع الذى يقنع بما اعطيته والمعتر الذى يمر بك فيسئلك وان حصدت بالليل لم يأتك
السؤال وهو قول الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده عند الحصاد يعنى القبضة بعد القبضة اذا حصدته
فاذا خرج فالحفنة بعد الحفنة وكذلك عند الصرام وكذلك عند البذر ولا تبذر بالليل لانك تعطى
من البذر كما تعطى من الحصاد وقال الباقر عليه السلام فى قول الله عز وجل وآتوا حقه يوم حصاده هذا من الصدقة
تعطى المسكين القبضة بعد القبضة ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة حتى يفرغ وفى مضمون هذه الاخبار
اخبار كثيرة اخر وخامسها القرض وهو ايضا من ثمرات السخاء لان السخى يسمح نفسه بان يقرض اخيه
المحتاج بعض امواله الى حين استطاعته كما يسمح نفسه بان يبذل عليه اصل ماله والبخيل يشق
عليه ذلك وثواب القرض عظيم وفضله جسيم قال الباقر عليه السلام من اقرض رجلا قرضا الى ميسرة
كان ماله فى زكوة وكان هو فى الصلوة مع الملائكة حتى يقبضه وقال الصادق عليه السلام مكتوب على باب
الجنة الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وقال عليه السلام ما من مؤمن اقرض مؤمنا يلتمس به وجه الله
الا حسب الله له اجره بحساب الصدقة حتى يرجع ماله اليه يعنى اعطاه الله فى كل آن اجر صدقة وذلك
لان له اقتضاءه فى كل آن فلما لم يفعل فكانما اعطاه ثانيا وثالثا وهلم جرا الى ان يقبضه و
قال عليه السلام لا تمانعوا قرض الخمير والخبز واقتباس النار فانه يجلب الرزق على اهل البيت مع ما
فيه من مكارم الاخلاق وقال لا تمانعوا قرض الخمير والخبز فان منعهما يورث الفقر وسادسها
انظار المعسر والتحليل وهو ايضا من افراد البذل المترتب على السخاء وقد ورد فى فضله اخبار
كثيرة قال الصادق عليه السلام من اراد ان يظله الله يوم لا ظل الا ظله فلينظر معسرا او يدع له من حقه و
قال عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى يوم حار وقد حنا كفه اى لواها من احب ان يستظل من فور
جهنم قالها ثلث مرات فقال الناس فى كل مرة نحن يا رسول الله فقال من انظر غريما او ترك
المعسر وقال عليه السلام صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر ذات يوم فحمد الله واثنى عليه وصلى على انبيائه ثم قال ايها
الناس ليبلغ الشاهد الغائب منكم الا ومن انظر معسرا كان له على الله فى كل يوم ثواب صدقة
بمثل ماله حتى يستوفيه وقيل له عليه السلام ان لعبد الرحمن بن سيابة دينا على رجل قد مات وكلمناه ان يحلله
فابى فقال ويحه اما يعلم ان له بكل درهم عشرة اذا حلله وان لم يحلله فانما له درهم بدل درهم
وفى معناها اخبار كثيرة اخر وسابعها غير ما ذكر من وجوه الاعانة بالمسلم كبذل الكسوة والسكنى و
حمله على الدابة واعطاء الماعون واعارة المتاع وسائر ما يحتاج اليه واطراق الفحل وغيره

فضيلة القرض

انظار المعسر وتحليله

في وجوه انفاق حسن الانفاق على فقراء المسلمين بذل المال لوقاية العرض وفي المنافع العامة

ذلك فان جميع ذلك من ثمرات السخاء ومنعها من نتايج البخل وفي كل واحد منها فضيلة وثواب
ورد في فضيلة كل منها اخبار ومما يدل على مدح كسوة المؤمن قول الباقر ع لان احج حجة احب
الى من ان اعتق رقبة ورقبة ورقبة حتى انتهى الى عشرة ومثلها ومثلها حتى انتهى الى سبعين و
لان اعول اهل بيت من المسلمين اشبع جوعتهم واكسو عورتهم واكف وجوههم عن الناس
احب الى من ان احج حجة وحجة وحجة حتى انتهى الى عشرة وعشرة ومثلها ومثلها حتى انتهى الى
سبعين وقال الصادق ع من كسا اخاه كسوة شتاء او صيف كان حقا على الله ان يكسوه من
ثياب الجنة وان يهون عليه من سكرات الموت وان يوسع عليه في قبره وان يلقى الملائكة اذا
خرج من قبره بالبشرى وهو قول الله عز وجل في كتابه وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي
كنتم توعدون وقال من كسا احدا من فقراء المسلمين ثوبا من عري او اعانه بشيء مما يقوته
من معيشته وكل الله تعالى به سبعة الاف ملك من الملائكة يستغفرون لكل ذنب عمله
الى ان ينفخ في الصور وثامنها ما يبذل لوقاية العرض وحفظ الحرمة ودفع شر الاشرار و
ظلم الظلمة فان السخي لا يقصر في شيء من ذلك والبخيل ربما منع بخله عن ذلك فهتك عرضه
وذهب حرمته وفي بعض الاخبار دلالة على ان البذل لذلك صدقة وتقدم ان ما وقي المرء به
عرضه فهو له صدقة وكذا بذل ما يقتضيه المروة والعادة من ثمرات الجود والسخاء ومن منعه
كان بخيلا وتاسعها ما ينفق في المنافع العامة والخيرات الجارية من بناء المساجد والمدارس
والربط والقناطير واجراء القنوات وامثال ذلك مما يبقى اثره على ممر الدهور ويصل نفعه و
ثوابه الى صاحبه في كل وقت الى يوم النشور ولا يخفى ثواب ذلك والاخبار الواردة في مدحه و
فضيلته اكثر من ان تحصى ولا حاجة الى ذكرها لاشتهارها بين الناس **تنبيه**

اعلم ان لفظ الانفاق والمعروف والبر يشمل جميع ما تقدم من الانفاقات الواجبة والمستحبة
والفرق بينها ان الانفاق خاص بالمال والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله او
التقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع من فعل وترك وهو من الصفات
الغالبة اي امر معروف بين الناس اذا راوه لا ينكرونه والغالب في الاخبار اطلاقه على ما يتعلق بالمال
من وجوه الانفاقات المتقدمة باسرها وربما خص بما سوى الصدقة منها لما ورد ان البر والصدقة ينفيان
الفقر ويزيدان في العمر والظاهر ان مبنى الخبر على ذكر الخاص بعد العام فلا وجه للتخصيص ثم الصدقة
من بينها ولجميع ما تقدم من وجوه الانفاق سوى المروة وعلى التقدير لا ريب في ان ما ورد من

تفرقة بين الانفاق والبر والمعروف

... البر والمعروف ...

في الآيات الشاملة بعمومها على فضيلة مطلق الانفاق والمعروف وفي الخاصة بفضيلة الصدقة

الآيات والاخبار في فضيلة مطلق الانفاق والمعروف والبر يدل على فضيلة كل واحد مما نعد من وجوه الانفاق كقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم وقوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون وقوله وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى الآية وقوله وما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الخ وقوله يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة الآية وقوله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقول رسول الله صلى الله عليه وآله اول من يدخل الجنة المعروف واهله واول من يرد الحوض وقوله صلى الله عليه وآله ان البركة اسرع الى البيت الذي يمتار منه المعروف من الشفرة الى سنام البعير او من السيل الى منتهاه وقول الباقر عليه السلام ان من احب عباد الله الى الله لمن حبب اليه المعروف وحبب اليه فعاله وقول الصادق عليه السلام ان من بقاء المسلمين وبقاء الاسلام ان يصير الاموال في ايدي من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف وان من فناء الاسلام وفناء المسلمين ان يصير الاموال في ايدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف وقوله عليه السلام رايت المعروف كاسمه وليس شيء افضل من المعروف الا ثوابه وقوله عليه السلام ثلث اذا لم يعلمهن المؤمن كانت زيادة في عمره وبقاء النعمة عليه تطويله في ركوعه وسجوده في صلوته وتطويله لجلوسه على طعامه اذا اطعم على مائدته واصطناعه المعروف الى اهله وقوله عليه السلام اقيلوا لاهل المعروف عثراتهم واغفروا لهم فان كف الله عليهم هكذا واومى بيده كانه يظلل بها شيئا وقوله عليه السلام صنايع المعروف تقي مصارع السوء وقال عليه السلام ان للجنة بابا يقال له المعروف لا يدخله الا اهل المعروف واهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة يعني كما انهم يصنعون المعروف في الدنيا كذلك يصنعون في الآخرة فيهبون حسناتهم لمن شاؤا كما قال الصادق عليه السلام في خبر آخر يقال لهم في الآخرة ان ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنة وقال عليه السلام قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله فداك اباؤنا وامهاتنا ان اصحاب المعروف في الدنيا عرفوا بمعروفهم فبم يعرفون في الآخرة فقال صلى الله عليه وآله ان الله اذا ادخل اهل الجنة الجنة امر ريحا عبقة طيبة فلزقت باهل المعروف فلا يمر احد منهم بملاء من اهل الجنة الا وجدوا ريحه فقالوا هذا من اهل المعروف ومنها

في ذمّ طلب الحرام وترك الاجتناب عنه والاخبار الشاهدة على العقوبات المترتبة

المقام الثالث

في الاكتساب المحرّم من انواع الرذائل الشهوية

اي من رذائل القوة الشهوية طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه ولا ريب في كونه مترتبا على حب الدنيا
والحرص عليها وهو اعظم المهلكات وبه هلك اكثر من هلك وجل الناس حرموا عن السعادة
لاجله ومنعوا عن توفيق الوصول الى الله بسببه ومن تأمل يعلم ان اكل الحرام اعظم الحجب للعبد من
نيل درجة الابرار واقوى الموانع له عن الوصول الى عالم الانوار وهو الموجب لظلمة القلب وكدرته
وهو الباعث لخبثه وغفلته وهو العلة العظمى لخسران النفس وهلاكها وهو السبب الاقوى لضلالتها
وخباثتها وهو الذي انساها عهود الحمى وهو الذي اهواها في مهاوي الضلالة والردى وما للقلب
المتكون من الحرام والاستعداد لفيوضات عالم القدس وانى للنطفة الحاصلة منه والوصول الى
مراتب الانس كيف يدخل النور والضياء في قلب اظلمته ادخنة المحرمات وكيف يحصل الطهارة والصفا
لنفس خبثتها قذارة المشتبهات ولامر ما اصبحت اصحاب الشرع وامناء الوحي محذرين عنه غاية
التحذير وزاجرين منه اشد الزجر قال رسول الله (ص) ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة
من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل اي نافلة ولا فريضة وقال (ص) من لم يبال من اين اكتسب المال
لم يبال الله من اين ادخله النار وقال (ص) كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال (ص) من اصاب
مالا من مأثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم ادخله
في النار وقال (ص) ان اخوف ما اخاف على امتي من بعدي هذه المكاسب الحرام والشهوة الخفية
والربوا وقال (ع) من اكتسب مالا من الحرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه كان زاده الى النار
وقال (ع) اذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ثم حج فلبى نودي لا لبيك ولا سعديك وان كان
من حله نودي لبيك وسعديك وقال (ع) كسب الحرام يبين في الذرية وقال (ع) في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا ان اعمالهم كانت اشد بياضا من القباطي فيقول الله تعالى لها كوني
هباء وذلك انهم كانوا اذا شرع لهم حرام اخذوه وقال الكاظم (ع) ان الحرام لا ينمى وان نمى لم يبارك
فيه وما انفقه لم يوجر عليه وما خلفه كان زاده الى النار وفي بعض الاخبار ان العبد يوقف عند
الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسئل عن ماله من اين كسبه وفيما انفقه وعن رعاية
عياله والقيام بحقهن حتى تفنى تلك المطالبات تمام اعماله فلا يبقى له حسنة فينادي الملائكة
هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله وورد ان اهل الرجل واولاده
يتعلقون به يوم القيمة فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما
علمنا ما نجهل وكان يطعمنا من الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه

فصل ينبغي لطالب

في صعوبة تحصيل الحلال من المال وتثليث الاقسام في احكام الاموال

النجاة ان يفر من الحرام فراره من الاسد ويحترز منه احترازه من الحية السوداء بل اشد وانى
يمكنه ذلك في امثال زماننا التي لم يبق فيها من الحلال الا الماء الفرات والحشيش النابت في
ارض الموات وما عداه قد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة فما من درهم
الا وقد غصب من اهله مرة بعد اولى وما من دينار الا وقد خرج من ايدى من اخذها قهرا
كرة غب اولى وجل المبانى والاراضى من اهلها مغصوبة وانى يمكن القطع بحلية الاقوات واكثر
المواشى والحيوانات من اهلها منهوبة فانى يتاتى الجزم بحلية اللحوم والالبان والدسوم فيهما
ذلك هيهات هيهات ما من تاجر الا ومعاملته مع الظالمين وما من ذى عمل الا وهو مخالط مع الجائرين من
عمال السلاطين وبالجملة الحلال في امثال زماننا مفقود والسبيل دون الوصول اليه مسدود
ولعمرى ان فقده اقد عم في الدين ضررها وناراستطار في الخلق شررها والظاهر ان اكثر
الاعصار كان حالها كذلك ولذلك قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام
المؤمن ياكل في الدنيا بمنزلة المضطر وقال رجل للكاظم ع ادع الله عز وجل ان يرزقني الحلال فقال
اتدرى ما الحلال قال الكسب الطيب فقال كان على بن الحسين ع يقول الحلال قوت المصطفين ولكن
قل اسئلك من رزقك الواسع ومع ذلك كله لا ينبغى للمؤمن ان ييأس من تحصيل الحلال و
يترك الفرق والفصل بين الاموال فان الله سبحانه اجل واعظم من ان يكلف عباده باكل الحلال
ويسد عنهم طريق تحصيله **فصل** اعلم ان الاموال على اقسام ثلثة حلال بين وحرام بين و
شبهات بينهما ولكل منها درجات فان الحرام وان كان كله خبيثا الا ان بعضه اخبث من بعض
فان ما يوخذ بالمعاملة الفاسدة مع التراضى ليس في الحرمة كمال اليتيم الذى يؤخذ قهرا او
كذا الحلال وان كان كله طيبا الا ان بعضه اطيب من بعض والشبهة كلها مكروهة ولكن بعضها
اشد كراهة من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة
الاولى وبعضها في الثانية وبعضها في الثالثة وبعضها في الرابعة فكذلك الحرام بعضها خبيث في
الدرجة الاولى وبعضها في الثانية وبعضها في الثالثة وبعضها في الرابعة وكذلك درجات الحلال
في الصفا والطيبة ودرجات الشبهة في الكراهة ثم الحرام اما يحرم بعينه كالكلب والخنزير و
التراب ولصفة حادثة فيه كالخمر لاسكاره والطعام المسموم لسميته او الخلل في جهة اثبات اليد
عليه ولها اقسام غير محصورة كالماخوذ بالظلم والقهر والغصب والسرقة والخيانة في الامانة وغيرها
والغش والتلبيس والرشوة وبالبخس في الوزن والكيل وباخذ المعاملات الفاسدة من الربوا و

وغيرهما من المحرمات العينية صح

الصرف

المقام الثالث

الصرف والاحتكار وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه وقد نهى الله سبحانه عن جميع ذلك في آيات كثيرة كقوله ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً الآية وعن خصوص الربا بقوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ثم قال فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ثم قال ومن عاد فأولئك أصحاب النار جعل آكل الربا في أول الأمر مؤذناً إلى محاربة الله وفي آخره متعرضاً للنار وقد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه في أخبار كثيرة وهي في كتب الأخبار والفقه مذكورة وتفصيل جميع المحرمات موكول إلى كتب الفقه وليس هنا موضع بيانه فليرجع فيه إلى كتب الفقه وفتاويها وربما يتوهم الاشتباه في بعض الموارد بين الرشوة والهدية فلنشر إلى حلية الحال فنقول الهدية أصولاً إما أن يرسل مال إلى بعض الإخوان طلباً للاستيناس وتأكيداً للصحبة والتودد وقد عرفت كونه هدية وحلالاً سواء قصد به الثواب في الآخرة والتقرب إلى الله تعالى أيضاً أو لم يقصد به الثواب بل قصد مجرد الاستيناس والتودد الثانية أن يقصد بالبذل عوضاً مالياً معيناً في العاجل كأن يهدي الفقير إلى الغني أو الغني إلى الغني شيئاً طمعاً في عوض أكثر أو مساوٍ من ماله وهذا أيضاً نوع هدية وحقيقته يرجع إلى الهبة بشرط العوض وإذا وفى بما يطمع من العوض فلا ريب في حليته قال الصادق ع الربا ربوان ربا يؤكل وربا لا يؤكل وأما الذي يؤكل فهديتك إلى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها فذلك الربا الذي يؤكل وهو قول الله تع وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله وأما الذي لا يؤكل فهو الذي نهى الله عنه وأوعد عليه النار وعنه ع قال قال رسول الله ص الهدية على ثلاثة أوجه هدية مكافأة وهدية مصانعة وهدية لله عز وجل وفي بعض الأخبار نوع إشعار بالحل وإن لم يتحقق الوفاء بما يطمع من العوض كخبر إسحق بن عمار عن الصادق ع قال قلت له ع الرجل الفقير يهدي إلي الهدية يتعرض لما عندي فآخذها ولا أعطيه شيئاً أيحل لي قال نعم هي لك حلال ولكن لا تدع أن تعطيه وهل يحل مع إعطاء العوض المطموع فيه إذا لم يكن من ماله بل كان من الأموال التي أعطته الناس ليصرف إلى الفقراء من الزكوات والأخماس وسائر وجوه البر والظاهر الحل إذا كان المهدي من أهل الاستحقاق والمهدى له معطياً إياه وإن لم يكن ليهدي له شيئاً وفيه تأمل كما يظهر بعد ذلك الثالثة أن يقصد به الإعانة بفعل معين كالمحتاج إلى السلطان أو ذي شوكة يهدي إلى وكيلهما أو من له مكانة

فيما أنسب في بيان الفرق بين الرشوة والهدية

عندها

عندهما فينظر الى ذلك العمل فان كان حراما كالسعي في تنجز ادرار حرام او ظلم انسان او غير ذلك
او واجبا كدفع ظلم واستخلاص حق يتعين الدفع والاستخلاص به او شهادة معينة او حكم شرعي يجب
عليه وامثال ذلك فهو رشوة محرمة يحرم اخذها وان كان العمل مباحا لا حراما ولا واجبا
فان كان فيه تعب بحيث جاز الاستيجار عليه فما يأخذه حلال وجار مجرى الجعالة كان يقول
اوصل هذه القصة الى السلطان ولك دينارا واقترح على فلان ان يعينني على كذا او يعطيني
كذا ويتوقف تنجز غرضه على تعب او كلام طويل فما يأخذه في جميع ذلك مباح اذا كان الغرض مشروعا
مباحا وهو مثل ما يأخذه وكيل القاضي للخصومة بين يديه بشرط ان لا يتعدى من الحق وان لم يكن
العمل مما فيه تعب بل كان مثل كلمة او فعلة لا تعب فيها اصلا ولكن كانت تلك الكلمة او تلك
الفعلة من مثله مفيدة لكونه ذا منزلة كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان فقال بعض
العلماء الاخذ على هذا حرام اذ لم يثبت في الشرع جواز ذلك ويقرب من هذا اخذ الطبيب
العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته وفيه نظر اذ الظاهر جواز هذا الاخذ مع
مشروعية الغرض وعدم كونه واجبا عليه الرابعة ان يطلب به حصول التودد والمحبة ولكن لا
من حيث انه تودد فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان
بحيث لولا جاهه لكان لا يهدى اليه فان كان جاهه لاجل علم او ورع او نسب فالامر فيه اخف
والظاهر كون الاخذ مكروها لانه هدية في الظاهر مع كونه مشابها للرشوة وان كان
لاجل ولاية تولاها من قضاء او حكومة او ولاية صدقات او وقف او جباية مال او غير ذلك من
الاعمال السلطانية فالظاهر كون ما يأخذه حراما لو كان بحيث لا يهدى اليه لولا تلك
الولاية لانه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب والمحبة ولكن
لامر ينحصر جنسه لظهور ان ما يمكن التوصل اليه بالولايات ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله سياتي
على الناس زمان يستحل السحت فيه بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البري ليتوعظ به العامة
وروي انه صلى الله عليه وآله بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء امسك بعض ما معه وقال هذا ما لكم وهذا
هدية لي فقال صلى الله عليه وآله الا جلست في بيتك وبيت ابيك وبيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا
ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له
والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا اتاه الله بحمله ولا ياتين احدكم يوم القيمة
ببعير له رغاء او ببقرة له خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأوا بياض ابطيه وقال اللهم هل

بلغت وعلى هذا فينبغى لكلّ وال او حاكم او قاض وغيرهم من عمّال السّلاطين ان يقيد نفسه فى بيت ابيه وامّه معزولا بلا شغل ثمّا كان يعطى يجوز له ان يأخذه فى ولايته ايضًا وما لا يعطى مع عزله ويعطى لولايته يحرم اخذه وما اشكل عليه من عطايا اصدقائه فهو شبهة وطريق الاحتياط فيها واضح **وصل** ضدّ عدم الاجتناب عن الحرام التنزه والاحتياط عنه وهو الورع باحد اطلاقيه فان الورع قد يفسر بملكة التنزه والاجتناب عن مال الحرام اكلا وطلبا واخذا واستعمالا وقد يفسر بكفّ النفس عن مطلق المعاصى ومنعها عمّا لا ينبغى فعلى الاوّل يكون ضدّ العدم الاجتناب عن المال الحرام ويكون من رذائل قوة الشهوة وعلى الثّانى يكون ضدّا لملكة الولوع على مطلق المعصية ويكون من رذائل القوة الغضبيّة والشّهويّة جميعًا ثمّ الظّاهر ان التقوى مرادف للورع فانّ له ايضا تفسيرين احدهما الاتقاء عن الاموال المحرّمة وقد اطلق التقوى فى بعض الاخبار على هذا المعنى وثانيهما ملكة الاتقاء عن مطلق المعاصى خوفا عن سخط الله وطلبا للرضا فعلى الاوّل يكون ضدّا لعدم التنزه عن المال الحرام ورذيلة لقوّة الشّهوة وعلى الثّانى يكون ضدّ الملكة ارتكاب المعاصى ورذيلة للقوّتين معًا ثمّ اللّازم على طريقتنا ان نذكر الورع والتقوى بالتفسير الاوّل هنا وبالتفسير الثّانى فى المقام الرّابع الّذى نذكر فيه ما يتعلّق بالقوّتين او بالثلث من الرذائل والفضائل الّا انا نذكر ما ورد فى فضيلتهما هنا لالتزام ما ورد فى فضيلتهما بالتفسير الثّانى على فضيلتهما بالتفسير الاوّل ايضًا ولعدم فائدة فى استيناف عنوان على حدة لمطلق المعصية وذكر ما ورد فى ذمّها ثمّ تذييلها بضدّها الّذى هو الورع والتقوى بتفسيرهما العامّ اذ بعد ذكر جميع الاجناس والانواع والاصناف من المعاصى والطاعات باحكامها ولوازمها وذمّها ومدحها لا فائدة لاستيناف ذكر مطلق المعصية او الطاعة اذ لا يتعلّق بهما غرض سوى ذكر ما ورد فى ذمّ مطلق المعصية وما ورد فى مدح مطلق الطاعة وهذا امر ظاهر لا حاجة اليه فى كتب الاخلاق نعم نشير الى مطلق العصيان وضدّه اعنى الورع والتقوى بالمعنى الاعمّ اجمالا اضبطا للانواع والاقسام **فصل** الورع والتقوى عن الحرام اعظم المنجيات وعمدة ما ينال به الى السّعادات ورفع الدّرجات قال رسول الله صلى الله عليه وآله خير دينكم الورع وقال من لقى الله سبحانه ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كلّه وفى بعض الكتب السماويّة وامّا الورعون فانّى استحيى ان احاسبهم وقال الباقر عليه السلام ان اشدّ العبادة الورع وقال عليه السلام ما

شرح فضيلة الورع والتقوى

الاخبار الواردة فى فضيلة الورع وفى فضل التكسب من الحلال للعيال

شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين احد
قرابة احب العباد الى الله تعالى واكرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته وقال الصادق عم اوصيك
بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم انه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه وقال اتقوا الله وصونوا دينكم
بالورع وقال لا ينال ما عند الله الا بالورع وقال عم ان الله ضمن لمن اتقاه ان يحوله عما
يكره الى ما يحب ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال عم ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير
بلا تقوى وقال عم ما نقل الله عبدا من ذل المعاصى الى عز التقوى الا اغناه من غير مال و
اعزه من غير عشيرة وآنسه من غير بشر وقال عم انما اصحابى من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا
ثوابه وقال الا ان من اتباع امرنا وارادتنا الورع فتزينوا به يرحمكم الله وكيدوا اعداءنا
به ينعشكم الله وقال الباقر عم اعينونا بالورع فان من لقى الله تعالى منكم بالورع كان له عند الله
فرجا ان الله تعالى يقول ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و
الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وقال عم قال الله تعالى يا ابن آدم
اجتنب ما حرمت عليك تكن من اورع الناس وقال الصادق عم الورع من يتورع عن محارم الله اعلم
ولكون طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه باعثا للهلاكة وتوقف النجاة والسعادة فى الآخرة على الورع
عن المحرمات مع افتقار الناس فى الدنيا الى المطاعم والملابس ورد فى فضيلة الكسب الحلال ومدحه
ما ورد قال رسول الله طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال ص من بات كالا من
طلب الحلال بات مغفورا له وقال ص العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال العبادة
عشرة اجزاء تسعة اجزائه فى طلب الحلال وقال ص من اكل من كد يده مر على الصراط كالبرق
الخاطف وقال ص من اكل من كد يده نظر الله اليه بالرحمة ثم لا يعذبه ابدا وقال ص من اكل من
كد يده حلالا فتح الله له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال ص من اكل من كد يده كان
يوم القيمة فى عداد الانبياء ويأخذ ثواب الانبياء وقال ص من طلب الدنيا حلالا استعفافا
عن المسئلة وتعطفا على جاره لقى الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان ص اذا نظر الى الرجل
واعجبه قال هل له حرفة فان قال لا قال سقط من عينى قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال لان المؤمن اذا لم
يكن له حرفة يعيش بدينه وقال ص من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله
وقال ص من طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء وقال ص من اكل الحلال اربعين
يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وطلب بعض الصحابة منه ص ان يجعله الله

مستجاب

مستجاب الدعوة فقال الراهب طعمتك يستجب دعوتك وقال القرّاء اقرؤا من لقيتم من اصحابكم السلام وقولوا لهم فلان بن فلان يقرء كم السلام ويقول عليكم بتقوى الله عزّ وجلّ وما ينال به ما عند الله وعليكم بالجدّ والاجتهاد واذا صليتم الصبح وانصرفتم فبكروا في طلب الرزق و اطلبوا الحلال فان الله عزّ وجلّ سيرزقكم ويعينكم عليه

فصل اعلم ان مداخل الحلال خمسة الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب و الاحتشاش والاستقاء من الشطوط والانهار وهذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصا بذي حرمة من الناس وتفصيل ذلك موكول الى كتاب احياء الموات الثاني ما يؤخذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وساير اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين بالشروط المقررة في كتاب الغنايم والجزية الثالث ما ينتقل اليه بالرضا من غير عوض من حيّ او ميت كالهبة و الميراث والوصية والصدقات وهذا حلال بشرط ان يكون المنقول عنه اكتسبه من مداخل الحلال ويضمن ساير الشروط المقررة في كتاب الهبات والفرايض والوصايا والصدقات الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال بالشرايط والآداب المقررة في فن المعاملات من العقود من البيع و السلم والاجارة والصلح والشركة والمضاربة والمساقاة والمزارعة والجعالة والحوالة والكتابة والضمان والخلع والصداق وغير ذلك من المعاوضات الخامس ما يحصل من الزراعة ومنافع الحيوانات وهو حلال اذا كان الارض والبذر والماء والحيوانات حلالا باحد الوجوه المتقدمة فهذه مداخل الحلال فينبغي لطالب النجاة ان يكون ما يكتسبه من المال من احد هذه المداخل بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرايط الحلية

فصل قسّم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على اربع درجات الاولى ورع العدل وهو الاجتناب عن كل ما يلزمه الفسق باقتحامه ويسقط به العدالة ويثبت به النقصان و التعرض للنار وهو الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين الثانية ورع الصالحين وهو الاجتناب من الشبهات ايضا الثالثة الورع عما يخاف اداؤه الى محرم او شبهة ايضا وان لم يكن في نفسه حراما ولا شبهة فهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس الرابعة ورع الصديقين وهو الاجتناب عن كل ما ليس لله ويتناول لغير الله وغير نيّة التقوى على عبادته وان كان حلالا صرفا لا يخاف اداؤه الى حرام او شبهة والصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ انفسهم المتفردون لله بالقصد الرائين كل ما ليس لله تعالى حراما العاملين بقوله سبحانه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون **تتميم** قال الصادق عليه السلام التقوى على ثلثة اوجه تقوى من خوف النار و

في ذم الغدر والخيانة ومدح الصدق والامانة وذكر بعض الاخبار الواردة

العفاف هو ترك الحرام وهو تقوى العام وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام وهو تقوى الخاص وتقوى في الله وهو ترك الحلال فضلا عن الشبهة والى هذه المراتب الثلث اشير في الكتاب الالهي بقوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ومنها الغدر والخيانة في المال او العرض والجاه ويدخل تحته الذهاب بحقوق الناس خفية وحبسها من غير عسر وبالبخس في الوزن والكيل وبالغش بما يخفى وغير ذلك من التدليسات والتمويهات والتلبيسات المحرمة وجميع ذلك من خباثة القوة الشهوية ورذائلها ومن الرذائل المهلكة وخباثتها وقد ورد في ذم الخيانة باقسامها اخبار كثيرة وجميع ما يدل على ذم الذهاب بحقوق الناس واخذ اموالهم بدون رضاهم يدل على ذمها وضد الخيانة الامانة وقد ورد في مدحها وعظم فوائدها اخبار كثيرة كقول الصادق ع ان الله لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر وقوله ع لا تغتروا بصلوتهم ولا بصيامهم فان الرجل ربما لهج بالصلوة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث واداء الامانة وقوله ع انظر الى ما بلغ به علي ع عند رسول الله ص فالزمه فان عليا ع انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله ص بصدق الحديث واداء الامانة وقوله ع ثلثة لا عذر فيها لاحد اداء الامانة الى البر والفاجر والوفاء بالعهد الى البر والفاجر وبر الوالدين برين كانا او فاجرين وقوله ع كان ابي يقول اربع من كن فيه كمل ايمانه ولو كان ما بين قرنه الى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك وهي الصدق واداء الامانة والحيا وحسن الخلق وقوله ع اهل الارض مرحومون ما يخافون وادوا الامانة وعملوا بالحق وقيل له ع ان امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن ومع ذلك ما راينا مثل ما صب عليها من الرزق فقال انها صدقت الحديث وادت الامانة وذلك يجلب الرزق والاخبار في فضيلة الامانة كثيرة ولقد قال لقمان ما بلغت الى ما بلغت اليه من الحكمة الا بصدق الحديث واداء الامانة فمن تامل في ذم الخيانة وايجابها الفضيحة والعار في الدنيا والعذاب بالنار في الاخرة وفي فضيلة الامانة وادائها الى خير الدنيا وسعادة الاخرة سهل عليه ترك الخيانة والاتصاف بالامانة

ذكر الغدر من الرذائل المتعلقة بالقوة الشهوية

ومنها انواع الفجور من الزنا واللواط وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي واستعمال الاتها من العود والزمر والرباب والدف وامثالها فان كل ذلك من رذائل القوة الشهوية

في ان الفجور من الرذائل الشهوية

ذكر الخوض في الباطل

وكذا لبس الذهب والحرير للرجال وقد ورد في ذم كل واحد منهما بخصوصه اخبار كثيرة ولا حاجة الى ذكرها لشيوعها واشتهارها ومنها الخوض في الباطل وهو التكلم في المعاصي والفجور وحكايتها كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة وامثال ذلك فكل ذلك من رذائل القوة الشهوية وخبائثها ثم لما كان انواع الباطل غير محصورة لكثرتها فالخوض فيه ايضا كذلك ويكون له انواع غير متناهية ولا يفتح باب كلام الا وينتهي الى واحد منها فلا خلاص منه الا باقتصار الكلام على قدر الحاجة من مهمات الدين والدنيا وربما وقعت من الرجل من انواع الخوض في الباطل كلمة يهلكه وهو مستحقرها فان اكثر الخوض في الباطل حرام ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وقوله تعالى فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وقال صلى الله عليه وآله ان الرجل ليتكلم بكلمة من رضوان الله ما يظن انها تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بكلمة من سخط الله ما يظن انها تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وكان رجل من الانصار يمر على مجلس الخائضين في الباطل فيقول لهم توضأوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث ثم الخوض في الباطل هو ذكر محظورات سبق وجودها بمجرد شهوة النفس من دون حاجة داعية اليه فلا مدخلية له بمثل الغيبة والنميمة والفحش والمراء والجدال وامثالها ويدخل فيه الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة فان الخوض الحديث عنها خوض في الباطل وورد النهي عنه ومنها التكلم بما لا يعني وبالفضول والمراد بالاول التكلم بما لا فائدة فيه اصلا لا في الدين ولا في الدنيا والثاني اعني فضول الكلام اعم منه اذ يتناول الخوض في ما لا يعني والزيادة في ما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر ويتمكن من تقريره وتاديته مقصوده بكلمة واحدة ومع ذلك ذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل على الحاجة ولا ريب في ان التكلم بما لا يعني وبالفضول مذموم وان لم يكن فيه اثم وهو ناش من رذائل القوة الشهوية اذ الباعث عليه ليس الا مجرد تشهي النفس وهواها والسر في ذمه انه يوجب تضييع الوقت والمنع من الذكر والفكر وربما يبني لاجل تسبيحه وتهليله قصر في الجنة وربما ينفتح من

التكلم بما لا يعني وبالفضول

فيما ورد من الاخبار والآيات في ذم التكلم بما لا يعني والفضول

الثالث من الباب

تسبيحات رحمه الله عند تفكره ما يعظم جدواه فمن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله
مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا فمن ترك ذكر الله والفكر في عجائب قدرته واشتغل بمباح لا
يعنيه وان لم ياثم الا انه قد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله وفكره فان راس
مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد
ضيع راس ماله على ان الغالب تادية الخوض في ما لا يعني وفي الفضول الى الخوض في الباطل
وربما ادى الى الكذب بالزيادة والنقصان ولذا ورد في ذمه ما ورد وقد روي انه استشهد
يوم احد غلام من اصحاب النبي ص ووجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب
من وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي ص وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا
يعنيه ويمنع ما لا يضره وورد ايضا ان رسول الله ص قال لبعض اصحابه وهو مريض ابشر
فقالت امه هنيئا لك الجنة فقال رسول الله ص وما يدريك لعله قال ما لا يعنيه حوسب عليه او
منع ما لا يعنيه يعني وانما تتهنا الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان
كان كلامه مباحا فلا تتهنا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وروي انه
تكلم رجل عند النبي ص فاكثر فقال له النبي كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني فقال اما
كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية اخرى انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستغرق في
الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل لسانه وروي انه قدم رهط من بني عامر على رسول
الله ص فشرعوا بالمدح والثناء عليه ص فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ومراده ص ان
اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها
وقال بعض الصحابة ان الرجل ليكلمني بالكلام وجوابه اشهى الي من الماء البارد على الظمآن فاترك جوابه
خيفة ان يكون فضولا وقال بعض الاكابر من كثر كلامه كثر كذبه وقال بعضهم يهلك الناس في
خصلتين فضول المال وفضول الكلام

فصل التكلم بما لا يعني وبالفضول لا ينحصر انواعه
واقسامه لعدم تناهيها وانما حده ان تتكلم بما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في شيء
مما يتعلق بك ولم يتعطل شيء من امورك مثاله ان تحكي مع قوم اسفارك وما رايت فيها من
جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من
مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر ولا ينقص بها لذة دينية
ولا دنيوية لاحد فاذا بالغت في الاجتهاد حتى لا يمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث

المتفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب بشخص ولا مذمة بشيء مما خلقه الله فانك مع ذلك كله مضيع وقتك ثم ان التكلم بما لا يعنيك مذموم كذلك سؤالك غيرك عما لا يعنيك مذموم بل هو اشد ذما لانك بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك بالجواب الى تضييع وقته وهذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة ولو كان في جوابه آفة كما هو الشأن في اكثر الاسؤلة عما لا يعنيك كنت آثما عاصيا مثلا لو سئلت غيرك عن عبادته فتقول هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل الرياء سقطت عبادته لا اقل من ديوان عبادة السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى تعب وجهد فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او الكذب او للاستحقار او التعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن كل ما يخفيه ويستحيي من اظهاره او عما يحتمل ان يكون في اظهاره مانع كان يحدث غيرك فتسئله وتقول ماذا تقول وفيم انتم وكان ترى انسانا في الطريق فتقول من اين اذ ربما يمنع مانع من اظهار مقصوده ومن هذا القبيل سؤالك من غيرك لم انت ضعيف وما هذا الضعف والهزال الذي حدث بك واي مرض فيك وامثال ذلك واشد من ذلك ان تخوف مريضا بشدة مرضه وتقول له ما اشد مرضك وما اسوء حالك فان جميع ذلك وامثالها مع كونها من فضول الكلام والخوض في ما لا يعني يتضمن اثما وايذاء وليس من مجرد التكلم بما لا يعني والفضول وانما مجرده ما لا يعني ما لا يتصور فيه ايذاء وكسر خاطر واستحياء من الجواب كما روي ان لقمان دخل على داود ع وهو يسرد الدرع ولم يكن يراها قبل ذلك فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فامسك نفسه ولم يسئله فلما فرغ داود قام ولبسها وقال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله وهذا وامثاله من الاسؤلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وايقاع في رياء او كذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام

فصل

سبب الخوض في ما لا يعني وفي فضول الكلام اما الحرص على معرفة ما لا حاجة اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وكل ذلك من رذائل قوة الشهوة وعلاج ذلك من حيث العلم ان يتذكر ذم ما تقدم ومدح ضده اعني الصمت وتركه كما ياتي ويعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران ومن حيث العمل ان يعتزل

ذكر الصمت في قبال الكلام وفضوله ونقل بعض ما ورد في المقام

عن الناس مهما امكن ويلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود لسانه ترك ما لا يعنيه وان يقدم التأمل والتروي على كل كلام يريد ان يتكلم به فان كان فيه فائدة دينية او دنيوية تكلم به والا تركه وكان بعضهم يضع في فمه حجرا خوفا من التكلم بالفضول ومما لا يعنيه **وصل** ضد التكلم بما لا يعنيه وبالفضول تركهما اما بالصمت وبالتكلم فيما يعنيه يتعلق بدينه او دنياه وفوائد الصمت وسيجيء كما يأتي في موضعه وقد ورد اخبار في المدح على خصوص ترك ما لا يعني وفضول الكلام كقول النبي صلى الله عليه وآله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقوله صلى الله عليه وآله طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله وانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وروي انه صلى الله عليه وآله قال ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فلما دخل هذا الرجل قالوا له اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني رجل ضعيف العمل واوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعني وقال صلى الله عليه وآله لابي ذر الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قال بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال ابن عباس خمس هن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك بحسبه وان السفيه يؤذيك بمنطقه واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان ما حكمتك قال لا اسئل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وما ورد في فضيلة ترك الفضول وما لا يعني في اخبار الحجج عليهم السلام وكلمات الاكابر من الحكماء والعرفاء اكثر من ان يحصى وما ذكرناه كاف لاهل الاستبصار

الجزء الثاني من كتاب جامع السعادات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقام الرابع فيما يتعلق بالقوى الثلث من العاقلة وقوتي الغضب والشهوة او باثنتين منها من الرذائل والفضائل فمنها الحسد وهو تمني زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة ومنافسة فان لم يكن فيها صلاح واردت زوالها عنه فهو غيرة ثم ان كان باعث حسدك مجرد الحرص على وصول النعمة الى نفسك فهو من رذائل القوة الشهوية وان كان باعثه محض وصول المكروه الى المحسود فهو من رذائل القوة الغضبية ويكون من نتائج الحقد الذي هو من نتائج الغضب وان كان باعثه مركبا منهما فهو من رذائل القوتين وضده النصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله على اخيك المسلم مما له فيه صلاح ولا ريب في انه لا يمكن الحكم على القطع بكون هذه النعمة صلاحا او فسادا فربما كانت بالا على صاحبه وفسادا له مع كونها نعمة وصلاحا في بادي النظر فالمناط في ذلك غلبة الظن فما ظن كونه صلاحا فارادة زواله حسد وارادة بقائه نصيحة وما ظن كونه فسادا فارادة زواله غيرة ثم ان اشتبه عليك الصلاح والفساد فلا ترد زوال نعمة اخيك ولا بقاءها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك حكم النصيحة والمعيار في كونك ناصحا ان تريد لاخيك ما تريد لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك وفي كونك حاسدا ان تريد له ما تكره لنفسك وتكره له ما تريد لنفسك

فصل الحسد اشد الامراض واصعبها واسوء الرذائل واخبثها ويؤدي بصاحبه الى عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة لانه في الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والالم اذ هو يتألم بكل نعمة يرى لغيره ونعم الله غير متناهية لا تنقطع عن عباده فيدوم حزنه وتألمه فوبال حسده يرجع الى نفسه ولا يضر المحسود اصلا بل يوجب زيادة حسناته ورفع درجاته من جهة انه

فی ذم الحسد

يغتبه ويقول فيه ما لا يجوز في الشريعة فيكون ظالما عليه فيحمل بعضا من اوزاره ويعطيه ويفضل
صالحات اعماله الى ديوانه فحسده لا يؤثر فيه الا خيرا ونفعا ومع ذلك يكون في مقام التعاند والتضاد
مع رب الارباب وخالق العباد اذ هو الذي افاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء واراد بمقتضى
حكمته ومصلحته فحكمته الحقة الكاملة اوجبت بقاء هذه النعمة على هذا العبد والحاسد
المسكين يريد زوالها وهل هو الا سخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وتمني انقطاع فيوضات
الله التي صدرت عنه بحسب حكمته وارادة خلاف ما اراد الله على مقتضى مصلحته بل هو يريد
نقصه سبحانه وعدم اتصافه بصفاته الكمالية اذا افاضت النعم منه سبحانه في اوقاتها اللائقة على محالها
المستعد من صفاته الكمالية التي عدمها نقص عليه تعالى والا لم يصدر عنه وهو يريد ثبوت هذا
النقص ثم لما ثبت ان النعم الالهية التي هي الوجودات ورجوع الشرور الى الاعدام يكون طالبا
للشر ومحبا له وقد صرح الحكماء بان من رضي بالشر ولو يوصل الى الغير فهو شرير فالحسد اشد الرذائل
والحاسد شر الناس واي معصية اشد من كراهة راحة مسلم من غير ان يكون له فيها مضرة ولذا ورد
به الذم الشديد في الآيات والاخبار قال الله سبحانه في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما
آتيهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من
عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال قال الله تعالى لموسى بن عمران لا تحسدن الناس
على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صاد
لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وقال صلى الله عليه وآله لا تحاسدوا ولا
تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال صلى الله عليه وآله دب اليكم داء الامم من
قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول انها حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي
نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك
لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وآله كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال سيصيب امتي
داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي
ثم يكون الهرج وقال صلى الله عليه وآله اخوف ما اخاف على امتي ان تكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وآله
ان لنعم الله اعداء فقيل ومن ذلك قال الذين يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله وورد
في بعض الاحاديث القدسية ان الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين

عبادي وقال الامام ابو جعفر الباقر (ع) ان الرجل ليأتي بأي بادرة فيكفر وان الحسد ليأكل
الايمان كما تأكل النار الحطب وقال ابو عبد الله (ع) آفة الدين الحسد والعجب والفخر وقال (ع) ان المؤمن
يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط وقال الحاسد مضرّ بنفسه قبل ان يضرّ بالمحسود كابليس اورث
بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء فكن
محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا
ينفع الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر
وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصرّ معتقد عليه
به فيه مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج وقال
بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرئ وقال بعض العقلاء ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه
يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال بعض الاكابر الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا من الملائكة
الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال
عند الموقف الا فضيحة ونكالا والاخبار والآثار في ذم الحسد اكثر من ان تحصى وما ذكرنا
يكفي لطالب الحق ثم ينبغي ان يعلم انه اذا اصاب النعمة كافر او فاجر وهو يستعين بها على
تهييج الفتنة وايذاء الخلق وافساد ذات البين فلا مانع من كراهتها عليه وحب زوالها عنه من
حيث انها آلة للفساد لا من حيث انها نعمة

فصل (في المنافسة والغبطة) قد علمت ان المنافسة هي تمنّي مثل ما
للمغبوط من غير ان يريد زواله عنه وهي ليست مذمومة بل هي في الواجب واجبة وفي المندوب
مندوبة وفي المباح مباحة قال الله سبحانه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعليها يحمل قول النبي (ص)
لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على ملكه في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل
به ويعلمه الناس اي لا غبطة الا في ذلك سمى الغبطة حسدا كما يسمى الحسد منافسة اتساعا
لمقارنتهما وسبب الغبطة حب النعمة التي للمغبوط فان كانت امرا دينيا فسببها حب الله وحب طاعته
وان كانت دنيوية فسببها حب مباحات الدنيا والتنعم فيها والاول لا كراهة فيه بوجه بل هو مندوب اليه
والثاني وان لم يكن حراما الا انه ينقص درجته في الدين ويحجب عن المقامات الرفيعة لمنافاته
الزهد والتوكل والرضا ثم الغبطة لو كانت مقصورة على مجرد حب الوصول الى مثل ما للمغبوط لكونه
من مقاصد الدين والدنيا من دون حب مساواته له وكراهة نقصانه عنه فلا حرج فيه بوجه وان
كان معه حب المساواة وكراهة التخلف والنقصان فهنا موضع خطر اذ زوال النقصان اما

بوصوله الى نعمة المغبوط او بزوالها عنه فاذا انسد احد الطريقين لكاد النفس لا ينفك عن شهوة
الطريق الآخر اذ يبعد ان يكون انسان مريد المساواة غيره في النعمة فيعجز عنها ثم لا ينفك عن ميل
الى زوالها بل الاغلب ميله اليه حتى اذا زالت النعمة عنه كان ذلك عنده اشهى من بقائها عليه
اذ بزوالها يزول نقصانه وتخلفه عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة
النعمة عنه كان حاسدا حسدا مذموما وان منعه مانع العقل من ذلك السعي ولكنه وجد من طبعه
الفرح والارتياح بزوال النعمة عن المغبوط من غير كراهة لذلك ومجاهدة لدفعه فهو ايضا من المذموم
الحسد وان لم يكن في مرتبة الاول وان كره ما يجده في طبعه من السرور والانبساط بزوال النعمة
بقوة عقله ودينه وكان في مقام المجاهدة لدفع ذلك عن نفسه فمقتضى الرحمة الواسعة ان يعفى
عنه لان دفع ذلك ليس في وسعه وقدرته الا بمشاق الرياضات اذ ما من انسان الا ويرى من
هو فوقه من معارفه واقاربه في بعض النعم الالهية فاذا لم يصل الى مقام التسليم والرضا كان طالبا
لمساواته له فيه وكارها عن ظهور نقصانه عنه فاذا لم يقدر ان يصل اليه مال طبعه بلا اختيار
الى زوال النعمة عنه واهتز وارتاح به حتى ينزل هو الى مساواته وهذا وان كان نقصا ينحط به النفس
عن درجات المقربين سواء كان من مقاصد الدنيا او الدين الا انه لكراهته له بقوة عقله و
تقواه وعدم العمل بمقتضاه يعفى عنه ان شاء الله ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له وقد ظهر
من تضاعيف ما ذكر ان الحسد المذموم له مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عن المحسود وان
لم ينتقل اليه وهذا اخبث المراتب واشدها ذما الثانية ان يحب زوالها لرغبته في عينها
كرغبته في دار حسنة معينة او امراة جميلة بعينها ويحب زوالها من حيث توقف وصوله اليها
عليه لا من حيث تنعم غيره بها ويدل على تحريم هذه المرتبة وذمها قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها الا انه ان عجز عن
مثلها احب زوالها عنه كيلا يظهر التفاوت بينهما ومع ذلك لو خلي وطبعه اجتهد وسعى في زوالها
الرابعة كالثالثة الا انه ان اقتدر على ازالتها منعه قاهر العقل او غيره من السعي فيه ولكنه يفتتن و
يرتاح به من غير كراهة وقهر على نفسه من ذلك الارتياح والغبطة لها مرتبتان الاولى ان يشتهي
الوصول الى مثل ما للمغبوط من غير ميل الى المساواة وكراهة للنقصان فلا يحب زوالها عنه مطلقا الثانية
ان يشتهي الوصول اليه مع ميل الى المساواة وكراهة للنقصان بحيث لو عجز عن نيله وجد من طبعه
حبا خفيا لزوالها عنه وارتياحا من ذلك ادراكا للمساواة ودفعا للنقصان الا انه كان كارها من

هذا الحب ومغضبا على نفسه لغلك الارتياح وربما سمي هذه المرتبة بالحسد المعفو عنه وكانه المعفو من قوله ثلث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبع اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وكن كارها له واذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض

فصل بواعث الحسد سبعة الاول خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد في زوايا العالم من يسر ويرتاح بابتلاء العباد بالبلايا والمحن ويحزن من حسن حالهم وسعة عيشهم فتمثله اذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم يجد من طبعه الخبيث فرحا وانبساطا وان لم يكن بينه وبينهم عداوة ولا رابطة ولم يوجب لك تفاوتا في حاله من وصول الى جاه او مال او غير ذلك واذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله وانتظام اموره شق ذلك عليه وان لم يوجب لك نقصا في شيء مما له فهو يبخل بنعمة الله على عباده من دون قصد وغرض ولا تصور انتقال النعمة اليه فيكون تأسفا عن خبث نفسه ورذالة طبعه ولذا يعسر علاجه لكونه مقتضى خباثة الجبلة وما يقتضيه الطبع والجبلة تعسر ازالته بخلاف ما يحدث من الاسباب العارضة الثاني العداوة والبغضاء وهو اشد اسبابه اذ كل احد الا وحده من المجاهدين اذا اصابت عدوه بلية فرح بذلك اما لظنها مكافاة من الله لاجله او لحبه طبعا ضعفه وهلاكه ومهما اصابته نعمة ساء ذلك لانه ضد مراده وربما تصور لاجله انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم من عدوه وانعم عليه فيحزن لذلك الثالث حب الرياسة وطلب المال والجاه فان من غلب عليه حب التفرد والثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه وحيد الدهر وفريد العصر في فنه من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او غير ذلك لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك وارتاح بموته او زوال النعمة التي يشاركه فيها ليكون فائقا على الكل في فنه مستغرقا بالمدح والثناء في صفته الرابع الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كان كل واحد منهما يحسد صاحبه في وصوله هذا المقصود طلبا للتفرد به كتحاسد الضرات في مقاصد الزوجية والاخوة في نيل المنزلة في قلب الابوين توصلا الى مالهما والتلامذة لاستاد واحد في نيل المنزلة في قلبه وندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة والكرامة عنده والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على اهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم اذا كان غرضهم ذلك الخامس التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه بعض اقرانه ويعلم انه لو اصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره وهو لا يطيق ذلك لعزة نفسه فيحسده لو اصاب تلك النعمة تعززا لنفسه فليس غرضه ان يتكبر لانه قد رضي بمساواته بل غرضه ان يدفع كبره السادس التكبر وهو ان يكون في طبعه الترفع على بعض

في بقية اسباب الحسد وفي ذكر ... البواعث وفيها

الناس ويتوقع منه الانقياد والمتابعة في مقاصده فاذا نال بعض النعم خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته وربما اراد مساواته او التفوق عليه فيعود مخدوماً بعد ان كان خادماً فيحسده في وصول النعمة اليه لاجل ذلك وقد كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله من هذا القبيل حيث قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم فقير ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم **السابع** التعجب وهو ان يكون المحسود في نظر الحاسد حقيراً والنعمة عظيمة فيتعجب عن فوز مثله بمثلها فيحسده واحب زوالها عنه ومن هذا القبيل حسد الامم على انبيائهم حيث قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبة الوحي والرسالة وحسدوهم بمجرد ذلك من دون قصد تكبر او رياسة او عداوة او غيرها من اسباب الحسد وقد يجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد فيعظم لذلك حسده ويقوى قوة لا يقدر معها على المجاملة فيظهر العداوة بالمكاشفة وربما قوي الحسد بحيث يتمنى صاحبه ان يزول من كل احد ما يراه له من النعمة وينتقل اليه ومثله لا ينفك عن الجهل والحرص اذ هو يتمنى اجتماع جميع النعم والخيرات الحاصلة لجميع الناس له ولا ريب في استحالة ذلك ولو قدر امكانه لا يمكنه الاستمتاع بها فلو لم يكن حريصاً لم يتمن ذلك اصلاً ولو كان عالماً لدفع هذه التمني بقوته العاقلة **تنبيه** بعض الاسباب المذكورة كما يقتضي تمني زوال النعمة والسرور به كذلك يقتضي تمني حدوث البلية والارتياح منه الا ان المعدود من الحسد هو الاول والثاني معدود من العداوة فالعداوة اعم منه اذ هي تمني وقوع مطلق الضرر بالعدو سواء كان زوال النعمة او حدوث بلية والحسد تمني زوال مجرد النعمة

فصل الاسباب المذكورة انما يكثر بين اقوام يجمعهم روابط يجتمعون لاجلها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف بعضهم بعضاً في غرض من اغراضه بغضه وثبت فيه الحقد فعند ذلك يريد استحقاره والتكبر عليه ويكون في صدده مكافاته على المخالفة لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه فيتحقق الحسد ولذا ترى انه لا تحاسد بين شخصين في بلدتين متباعدتين لعدم رابطة بينهما الا اذا تجاورا في محل واحد وتواردا على مقاصد يظهر فيها مخالفة بينهما فيحدث منهما التباغض وينشؤ منه بقية اسباب الحسد فترى كل صنف يحسد مثله دون غيره لتواردهما على المقاصد وتزاحمهما على صنعة واحدة فالعالم يحسد العالم دون العابد والتاجر يحسد التاجر دون غيره الا لسبب اخر سوى الاجتماع على الحرفة وهكذا نعم من اشتد حرصه على حب الجاه واحب الصيت والاشتهار في جميع اطراف العالم واشتاق التفرد بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم ممن يشاركه في الفن الذي يتفاخر به ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا اذ منافعها لضيقها وانحصارها يصير محل التزاحم والتعارك بحيث لا يمكن

وصول نفع منها كمنصب او مال الى احد يمنعه عن الآخر واما الآخرة فلا ضيق فيها فلا تنازع بين اهلها
ومثالها في الدنيا العلم فانه منزه عن المزاحمة فمن يحب العلم بالله وصفاته وافعاله وصنع نظام العالم
الجملي من البدء الى النهاية لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا اذ العلم لا يضيق عن كثرة العالمين و
المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح كل واحد منهم بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص ما لديه بمعرفة غيره
بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه
وكل علم لا ينفد بالانفاق وتشريك غيره من ابناء النوع يصير منشأ لزيادة اللذة والبهجة وقس على العلم
التقرب والمنزلة عند الله وغيرها من النعم واعلى مراتب المنزلة والقرب عنده تعالى لذة اللقاء وليس فيهما تنازع
ومزاحمة ولا يضيق بعض اهل اللقاء على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم وقد ظهر مما ذكر انه لا تحاسد بين علماء
الآخرة لانهم يلتذون ويبتهجون بكثرة المشاركين في معرفة الله وحبه والانس وانما يقع التحاسد بين
علماء الدنيا وهم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاه اذ المال اعيان اجسام اذا وقعت في يد واحد خلت
عنها ايدي الآخرين والجاه ملك القلوب واذا امتلأ قلب شخص بتعظيم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص
عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للتحاسد واما اذا امتلأ قلب من الابتهاج بمعرفة الله لم يمنع ذلك من ان
يمتلي غيره به فلو ملك انسان جميع ما في الارض بحيث لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه وانحصاره واما
العلم فلا نهاية له ومع ذلك لو ملك انسان بعض العلوم لم يمنع ذلك من تملك غيره له فظهر ان التحاسد
انما هو في الموارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل فلا حسد بين العارفين ولا بين اهل العليين
لعدم ضيق ومزاحمة في المعرفة ونعيم الجنة ولذا قال الله سبحانه فيهم ونزعنا ما في صدورهم من
غل اخوانا على سرر متقابلين بل الحسد من صفات المسجونين في سجن السجين فيا حبيبي ان كنت مشفقا
على نفسك طالبا لعمارة رمسك فاطلب نعمة لا مزاحمة فيها ولذة لا تكدر لها وما هي الا لذة معرفة
الله وحبه والانس والانقطاع الى جناب قدسه وان كنت لا تلتذ بذلك ولا تشتاق اليه وتنحصر لذاتك
بالامور الحسية والوهمية فاعلم ان جوهر ذاتك معيوب وعن عالم الانوار محجوب وعن قريب تحشر مع
البهائم والشياطين وتكون مغلولا معهم في اسفل السافلين ومثلك في عدم دركك هذه اللذة مثل
الصبي والعنين في عدم دركه لذة الوقاع فكما ان هذه اللذة تختص بادراكها رجال اصحاء فكذلك لذة
المعرفة تختص بادراكها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا تشتاق غيرهم اليها اذ الشوق
بعد الذوق فمن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك
ولم يدرك كان مطرودا عن العليين ممنوعا عن مجاورة المقربين محبوسا مع المحرومين في اضيق دركات السجين و

الاخروية فالجل ما عند الله من النعم

في ان الحسد يضر الحاسد في دينه ودنياه ولا ضرر منه على المحسود في دينه ودنياه

ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

فصل

لمّا علمت ان الحسد من الامراض المهلكة للنفوس (وعلمت ان امراض النفوس) لا تداوى الّا بالعلم والعمل والعلم النّافع لمرض الحسد ان تعرف انّه يضرّك في الدين والدنيا ولا يضرّ محسودك فيهما بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت ذلك عن بصيرة وتحقيق ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد امّا انّه يضرّ بدينك ويؤدّيك الى عذاب الابد وعقاب السّرمد فلما علمت من الآيات والاخبار الواردة في ذمّه وعقوبة صاحبه ولما عرفت من كون الحاسد ساخطا لقضاء الله وكارها لنعمه التي قسمها لعباده ومنكرا لعدله الذي اجراه في ملكه ومثل هذا السّخط والانكار لمجابهة القدرة والعناد لخالق العباد كاد ان يزيل اصل التوحيد والايمان فضلا عن الاضرار بهما على انّ الحسد يوجب الغشّ والعداوة بالمؤمن وترك نصيحته وموالاته وتعظيمه ومراعاته ومفارقة انبياء الله واوليائه في حبّهم الخير لعباده ومشاركة الشيطان واحزابه في فرحهم بوقوع المصائب والبلايا عليه وزوال النّعم عنه وهذه خبائث في النّفس تاكل الحسنات كما تاكل النّار الحطب وامّا انّه يضرّك في الدّنيا لانّك تتالّم وتتعذّب به ولا تزال في تعب وغمّ وكدّ وهمّ اذ نعم الله لا ينقطع عن عباده ولا عن اعدائك فانت تتعذّب بكل نعمة تراها لهم وتتألّم بكلّ بليّة تنصرف عنهم فتبقى دائما مغموما محزونا ضيّق النّفس متشعّب القلب باختيارك تجرّ الى نفسك ما تريد لاعدائك ويريد اعداؤك لك وما اعجب من العاقل ان يتعرّض لسخط الله ومقته في الآجل ودوام الضّرر والالم في العاجل فتهلك دينه ودنياه من غير جدوى وفائدة

امّا انّه لا يضرّ المحسود في دينه ودنياه فظاهر لانّ النّعمة لا تزول عنه بحسدك اذ ما قدّره الله من النّعم على عباده لا بدّ ان يستمرّ الى وقته ولا ينفع التّدبير والحيلة في دفعه لا مانع لما اعطى ولا رادّ لما قضى لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ولو كانت النّعم تزول بالحسد لم يبق عليك وعلى كافة الخلق نعمة لعدم خلوّك وخلوّهم عن الحسّاد بل لم يبق نعمة الايمان على المؤمنين اذ الكفّار يحسدونهم كما قال الله سبحانه وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ولو تصوّرت زوال النّعمة عن محسودك بحسدك وعدم زوالها عنك بحسد حاسدك لكنت اجهل النّاس واشدّهم غباوة نعم ربما صار حسدك منشأ لانتشار فضل المحسود كما قيل واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود فاذا لم تزل النّعمة بحسدك لم يضرّه في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة وامّا انّه ينتفع في الدّين فذلك ظاهر من حيث كونه مظلوما من جهتك سيّما اذا اخرجك الحسد الى ما لا ينبغي من القول والفعل كالغيبة والبهتان وهتك ستره وافشاء سرّه والقدح فيه وذكر مساويه فتحمل بهذه الهدايا التي تهديها اليه بعضا من اوزاره وعصيانه وتنقل شطرا من حسناتك الى

ديوانه فيلقاك يوم القيمة مفلساً محروماً عن الرحمة كما كنت تلقاه في الدنيا محروماً عن النعمة فاضعف له نعمة الى نعمة ولنفسك نقمة الى نقمة واما انه ينفعه في الدنيا فهو ان اهم اغراض الناس مساءة الاعداء وسوء حالهم وكونهم متألمين معذبين ولا عذاب اشد مما انت فيه من الم الحسد فقد فعلت بنفسك ما هو غاية مراد حسادك في الدنيا واذا تاملت هذا عرفت ان كل حاسد عدو نفسه وصديق عدوه فمن تامل في ذلك وتذكر ما يأتي من فوائد النصيحة وحب الخير والنعمة للمسلمين ولم يكن عدو نفسه فارق الحسد البتة واما العمل النافع فيه فهو ان يواظب على آثار النصيحة التي هي ضده بان يصمم على ان يتكلف نفسه بنقيض ما يقتضيه الحسد من قول وفعل فان بعثه الحسد على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له وان بعثه على غيبته والقدح فيه كلف لسانه المدح والثناء عليه وان بعثه على الغش والخرق بالنسبة اليه كلف نفسه بحسن البشر واللين معه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه زيادته ومهما فعل ذلك عن تكلف وكره وداوم عليه انقطع عنه مادة الحسد على ان المحسود اذا عرف منه ذلك طاب قلبه واحبه واذا ظهر حبه للحاسد زال حسده واحبه ايضاً فيتولد بينهما الموافقة وترتفع عنهما مادة المحاسدة وهذا هو المعالجة الكلية لمطلق مرض الحسد والعلاج النافع لكل نوع منه ان يقمع سببه من خبث النفس وحب الرياسة والكبر وعزة النفس وشدة الحرص وغير ذلك مما ذكر وعلاج كل واحد من هذه الاسباب يأتي في محله **تنبيه** اعلم ان مساواة حسن حال العدو وسوء حاله وعدم وجدان التفرقة بينهما في النفس ليست مما يدخل تحت الاختيار فالتكليف به تكليف بالمحال فالواجب في نفي الحسد وازالته هو القدر الذي يمكن فعله وبيان ذلك كما اشير اليه ان الحسد اما ان يبعث صاحبه على اظهاره بقول او فعل بحيث يعرف حسده من آثاره الاختيارية ولا ريب في كونه معه ما محروما وكون صاحبه عاصياً انما لاجل آثاره الظاهرة التي هي الغيبة والبهتان مثلا اذ هي افعال صادرة عن الحسد محلها الجوارح وليست عين الحسد اذ هي صفة القلب لا صفة الفعل ومحلها القلب دون الجوارح قال الله سبحانه وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وقال وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً وقال إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ فلو كان الاثم على مجرد افعال الجوارح لم يكن اصل الحسد الذي هو صفة القلب معصية والامر ليس كذلك فيكون عاصياً بنفس الحسد الذي في قلبه ايضاً اعني ارتياحه بزوال النعمة مع عدم كراهة ذلك من نفسه والاثم حقيقة على عدم كراهته وعدم مقته وقهره على نفسه لهذا الارتياح الذي يجده منها لكونه اختيارياً يمكن الزوال لا على نفس الارتياح والاهتزاز لما اشير اليه من انه طبيعي غير ممكن الدفع لكل احد فهذا القسم من الحسد

تثليث الاحوال المتصورة في الحسد وتميز المحرم منها عن غيره واقسام

اشد انواعه لترتب معصيته على اصله واخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومة ولا يبعثه على اظهارها
بالآثار القولية والفعلية بل يكف ظاهره عنها الا انه بباطنه يحب زوال النعمة من دون كراهة في نفسه
لهذه الحالة ولا ريب في كونه مذموما محرما ايضا لانه كسابقه ولا فرق بينهما الا في انه لا يصدر منه الآثار
الفعلية والقولية الظاهرة فهو ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل معصية بينه وبين الله لان الاستحلال
انما هو من الافعال الظاهرة الصادرة من الجوارح او لا يبعثه على الآثار الذميمة الظاهرة ومع ذلك يكون
كارها لما يترشح منه طبعا من حب زوال النعمة حتى انه يمقت نفسه ويقهرها على هذه الحالة التي رسخت
فيها والظاهر عدم ترتب الاثم عليه اذ يكون كراهته التي من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد
ادى الواجب عليه واصل الميل الطبيعي لا يدخل تحت الاختيار غالبا اذ تغيير الطبع بحيث يستوي عنده المحسن والمسيء
وعدم التفرقة بين ما يصل منهما اليه من النعمة والبلية ليس شريعة لكل وارد نعم من تنور قلبه بمعرفة ربه
واشرقت نفسه باضواء حبه وانشرح صار مستغرقا بحب الله مثل السكران الواله واستشعر بالارتباط الخاص
الذي بين العلة والمعلول والاتحاد الذي بين الخالق والمخلوق وعلم ان اقوى النسب والروابط يتحقق
بان الموجودات باسرها من رشحات وجوده وان الاعيان الممكنة والكائنات برمتها صادرة عن فيضه وجوده متساوية في ارتضاع لبان الوجود من ثدي
واحد والحقائق الكونية غير متفاوتة في شرب ماء الرحمة والجود من مشرع الوحدة الحقيقية فقد ينتهي امره الى
ان لا يلتفت نفسه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل عباد الله
وافعاله ويراهم مسخرين له فلا ينظر الى شيء بعين السخط والمساواة وان ورد منه اليه ما ورد من السوء و
البلية لانه لا ينظر اليه من حيث هو حتى يظهر التفاوت بل من حيث انتسابه اليه سبحانه والكل في الانتساب
اليه سواء ثم من الناس من ذهب الى انه لا اثم على الحسد ما لم يظهر آثاره على الجوارح وعلى هذا ينحصر الحسد المحرم
في القسم الاول واحتج على ما ذهب اليه بما ذكرناه من قوله عم ثلث لا ينفك المؤمن منهن الحسد الخ وبقوله عم
ثلثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والصحيح ان يحمل امثال هذه الاخبار على
القسم الثالث وهو ما يكون فيه ارتياح النفس بزوال النعمة طبعا مع كراهته له من جهة العقل والدين
حتى يكون هذه الكراهة في مقابلة حب الطبع اذ اخبار ذم الحسد تدل بظاهرها على ان كل حاسد اثم
والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال الظاهرة وعلى هذا المذهب لا يكون اثم على صفة القلب
بل انما يكون على مجرد الافعال الظاهرة على الجوارح فقد اتضح بما ذكرنا ان الاحوال المتصورة لكل احد
بالنسبة الى اعدائه ثلثة الاولى ان يحب مسائتهم ويظهر الفرح بمسائتهم بلسانه وجوارحه او يظهر ما
يؤذيهم قولا او فعلا وهذا محظور محرم قطعا وصاحبه عاص اثم جزما الثانية ان يحب مسائتهم طبعا و

في محبة الخير للاخوان والنصيحة لهم ضد الحسد والحقد وفي الاخبار في كراهتهما

لكن يكره حبه لذلك بعقله ويمقت نفسه عليه ولو كانت له حيلة في ازالة ذلك الميل لازاله و
هذا معفو عنه وفاقا وفاعله غير آثم اجماعا الثالث وهي ما بين الاولين ان يحسد بالقلب من
غير مقت لنفسه على حسده ومن غير انكار منه على قلبه ولكن يحفظ جوارحه عن صدور آثار الحسد عنها و
هذا محل الخلاف وقد عرفت ما هو الحق فيه **وصل** قد عرفت ان ضد الحقد والحسد النصيحة وهي
ارادة بقاء نعمة الله على المسلمين وكراهة وصول الشر اليهم وقد يطلق في الاخبار على ارشادهم الى
ما فيه مصلحتهم وغبطتهم وهو لازم للمعنى الاول فينبغي ان يشير الى فوائدها وما ورد في مدحها
تحريكا للطالبين على المواظبة عليها ليرتفع بها ضدها فنقول اعلم ان من احب الخير والنعمة للمسلمين كان شريكا
في الخير بمعنى انه في الثواب كالمنعم وفاعل الخير وقد ثبت من الاخبار ان من لم يدرك درجة الاخيار بصالحات
الاعمال ولكنه احبهم يكون يوم القيمة محشورا معهم كما ورد ان المرء يحشر مع من احب وقال اعرابي لرسول
الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال (ص) هو مع من احب وقال رجل بحضرة النبي بعد ما ذكر الساعة
ما اعددت لها كثيرة صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال (ص) انت مع من احببت قال الراوي فما
فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اذ اكثر ثقتهم كان بحب الله وبحب رسوله وروي انه قيل له (ص)
الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال هو مع من احب وبهذا المضمون
ورد اخبار كثيرة والاخبار الواردة في مدح خصوص النصيحة وذم تركها وفي ثواب ترك الحسد وعظم فوائده
اكثر من ان يحصى قال رسول الله (ص) اعظم الناس منزلة عند الله يوم القيمة امشاهم في ارضه بالنصيحة
لخلقه وقال (ص) لينصح الرجل منكم اخاه كنصيحته لنفسه وقال الباقر (ع) يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له
في المشهد والمغيب وقال (ع) عليك بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل افضل منه وبمضمونها اخبار اخر
وقال رسول الله (ص) من سعى في حاجة اخيه المؤمن ولم يناصحه فقد خان الله ورسوله وقال الصادق (ع)
من مشى في حاجة اخيه ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه والاخبار الآخر
هذا المضمون ايضا كثيرة وروي ان رسول الله (ص) شهد لرجل من الانصار بانه من اهل الجنة وكان باعثه
بعد التفتيش خلوه عن الغش والحسد على خير اعطي احد من المسلمين وروي ان موسى (ع) لما تعجل الى
ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسئل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال
احدثك عن عمله كان لا يحسد الناس على ما آتيهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة
وغاية النصيحة ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه قال رسول الله (ص) المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وقال
لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال (ص) ان احدكم مرآة اخيه فاذا رأى به شيئا فليمط عنه

وقال (ص) يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة

هذا

في ذكر بعض الآيات والاخبار الواردة في ذم ايذاء المؤمن وتحقيره وفي فضل كف الأذى

هذا ومنها الايذاء والاهانة والاحتقار ولاريب في كون ذلك في الغالب مترتبا على العداوة والحسد وان ترتب بعض افرادها في بعض الاحيان على مجرد الطمع والحرص ليكون من رذائل القوة الشهوية او على مجرد الغضب وسوء الخلق والكبر وان لم يكن حقد وحسد وعلى اي تقدير لا شبهة في ان الايذاء من لوازم الحسد واحتقاره محرم في الشريعة موجب للهلاك الابدية قال الله سبحانه والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من اذى مؤمنا فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فهو ملعون في التورية والانجيل والزبور والفرقان وفي خبر آخر فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقال صلى الله عليه وآله المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وقال صلى الله عليه وآله لا يحل للمسلم ان ينظر الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وآله الا انبئكم بالمؤمن من ائتمنه المؤمنون على انفسهم واموالهم الا انبئكم بالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن حرام على المؤمن ان يظلمه او يخذله او يغتابه او يدفعه دفعة وقال الصادق عليه السلام قال الله ليأذن بحرب مني من اذى عبدي المؤمن وقال عليه السلام اذا كان يوم القيمة ينادي مناد اين المؤذون لاوليائي فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال هؤلاء الذين اذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم فيؤمر بهم الى جهنم وقال عليه السلام قال الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى من اهان لي وليا فقد ارصد لمحاربتي وقال عليه السلام ان الله يقول من اهان لي وليا فقد ارصد لمحاربتي وانا اسرع شيء الى نصرة اوليائي وقال عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى قد نابذني من اذى عبدي المؤمن وقال عليه السلام من حقر مؤمنا مسكينا او غير مسكين لم يزل الله تعالى له حاقرا ماقتا حتى يرجع عن محقرته اياه وفي معناها اخبار اخر كثيرة ومن عرف النسبة التي بين العلة والمعلول والربط الخاص الذي بين الخالق والمخلوق يعلم ان ايذاء العباد واهانتهم يرجع في الحقيقة الى ايذاء الله واهانته وكفاه بذلك ذما فيجب على كل عاقل ان يكون دائما متذكرا لذم ايذاء المسلمين واحتقارهم ولمدح ضدهما من دفع الاذية عنهم واكرامهم كما ياتي ويحافظ نفسه عن ارتكابهما لئلا يفتضح في الدنيا ويعذب في الآخرة

وصل لاريب في فضيلة اضداد ما ذكر وفوائدها من كف الاذى عن الناس كثيرة كقول النبي صلى الله عليه وآله من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء او نار وجبت له الجنة وقوله صلى الله عليه وآله افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقوله صلى الله عليه وآله في حديث طويل امر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقوله صلى الله عليه وآله رايت رجلا يتقلب في الجنة لاجل شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المؤمنين وقوله من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة اوجب له بها الجنة وكذا الاخبار التي وردت في مدح اكرام المؤمن وتعظيمه كثيرة قال الصادق عليه السلام قال الله سبحانه ليأمن من غضبي من اكرم عبدي المؤمن وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من اكرم اخاه

كف الاذى عن المؤمنين والمسلمين واكرامهم وتعظيمهم والظواهر الواردة في مدحهم والصريح

صدق

المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك و
قال ع ما في امتي عبد لطف اخاه في الله بشيء من لطف الا اخدمه الله من خدم الجنة وقال ص ايما مسلم
خدم قوما من المسلمين الا اعطاه الله مثل عددهم خداما في الجنة وقال الصادق ع من اخذ من وجه اخيه المؤمن
قذاة كتب الله له عشر حسنات ومن تبسم في وجه اخيه كانت له حسنة وقال ع من قال لاخيه مرحبا كتب
الله له مرحبا الى يوم القيمة وقال ع من اتاه اخوه المسلم فاكرمه فانما اكرم الله تعالى وقال ع لاسحق
بن عمار احسن يا اسحق الى اوليائي ما استطعت فما احسن مؤمن الى مؤمن ولا اعانه الا
خمش وجه ابليس وفرح قلبه ثم ينبغي تخصيص بعض طبقات الناس بزيادة التعظيم والاكرام
كاهل العلم والورع لما ورد من الحث الاكيد في الاخبار الكثيرة قال قال رسول الله ص من عرف فضل
كبير لسنه فوقره امنه الله من فزع يوم الاكبر وقال ع من اجلال الله تعالى اجلال الشيخ الكبير وقال ع
ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا والاخبار في هذا المضمون كثيرة وكذا ينبغي تخصيص
كرام القوم بزيادة الاكرام لقول النبي ص اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذا تخصيص الذرية
العلوية بزيادة الاكرام والتعظيم قال رسول الله ص حقت شفاعتي لمن اعان ذريتي بيده و
لسانه وماله وقال ص اربعة انا لهم شفيع يوم القيمة ولو جاؤا بذنوب اهل الدنيا المكرم لذريتي و
القاضي لهم حوائجهم والساعي لهم عند اضطرارهم والمحب لهم بقلبه ولسانه وقال ص اكرموا اولادي و
حسنوا ادابي وقال ص اكرموا اولادي الصالحون لله والطالحون لي والاخبار في فضل السادات وثواب من
يكرمهم ويعينهم اكثر من ان تحصى واضرار المؤمن قريب من معنى ايذائه وربما كان الاضرار اخص منه
فما يدل على ذمه يدل على ذمه كقول النبي ص خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله تعالى والضر
بعباد الله وكذا ضده اعني ايصال النفع اليه قريب من معنى ضده واخص منه فما يدل على مدحه يدل
على مدحه ولا ريب في ان ايصال النفع الى المؤمنين من شرائف الصفات والافعال والاخبار الواردة
في فضيلته كثيرة قال رسول الله ص الخلق عيال الله فاحب الخلق الى الله من نفع عيال الله وادخل
على اهل بيته سرورا وسئل ص من احب الناس الى الله قال انفع الناس للناس وقال رسول الله ص
خصلتان من الخير ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله **تنبيه** اعلم ان الظلم
قد يراد به ما هو ضد العدالة وهو التعدي عن الوسط في اي شيء كان وهو جامع للرذائل باسرها
كما اشير اليه وهو الظلم بالمعنى الاعم وقد يطلق عليه الجور ايضا وقد يراد به ما هو اخص من هذا وهو الاضرار والايذاء بالغير
وهو ايضا وقتله وضربه وشتمه وقذفه وغيبته واخذ ماله قهرا ونهبا وغصبا وسرقة وغير ذلك

عطف على اهل العلم وكذا ينبغي تخصيص ذوي النسب السادة بزيادة التوقير والتكريم لما ورد في ذلك من الاخبار

في الظلم بالمعنى الأخص واختلاف اعتباراته والآيات والأخبار الواردة في ذم الظلم

من الاقوال والافعال المؤذية وهذا هو الظلم بالمعنى الاخص وهو المراد اذا اطلق في الآيات والاخبار وفي عرف الناس وباعتباران كان العداوة والحسد يكون من رذائل قوة الغضب وان كان الحرص والطمع في المال يكون من رذائل قوة الشهوة وهو اعظم المعاصي واشدها عذابا باتفاق جميع الطوائف ويدل على ذمه بعد ما ورد في ذم كل واحد من الامور المندرجة تحته كما يأتي بعضها ما تكرر في القرآن من اللعن على الظالمين وكفى ذما انه تعالى في مقام ذم الشرك انه ظلم عظيم وقال عز وجل شانه انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وقال رسول الله ان اهون الخلق على الله من ولي امر المسلمين فلم يعدل لهم وقال صلى الله عليه وآله جور ساعة في حكم اشد واعظم عند الله من معاصي تسعين سنة وفي رواية ستين سنة وقال رسول الله اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله من خاف القصاص كف عن ظلم الناس وروي انه تعالى اوحى الى داود قل للظالمين لا يذكروني فان حقا علي ان اذكر من ذكرني وان ذكري اياهم ان العنهم وقال علي بن الحسين عليه السلام لابنه ابي جعفر عليه السلام حين حضرته الوفاة يا بني اياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا الا الله وقال ابو جعفر عليه السلام ما من احد يظلم بمظلمة الا اخذه الله تعالى بها في نفسه وماله وقال رجل له عليه السلام اني كنت من الولاة فهل لي من توبة فقال لا حتى تؤدي الى كل ذي حق حقه وقال عليه السلام الظلم ثلثة ظلم يغفره الله وظلم لا يغفره الله وظلم لا يدعه الله فاما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك واما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله واما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة وقال عليه السلام ما من مظلمة اشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونا الا الله تعالى وقال من اكل مال اخيه ظلما ولم يرده اليه اكل جذوة من النار يوم القيمة وقال عليه السلام اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء في مملكة جبار من الجبابرة ان ائت هذا الجبار فقل له اني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الاموال وانما استعملتك لتكف عني اصوات المظلومين فاني لن ادع ظلامتهم وان كانوا كفارا وقال عليه السلام اما ان المظلوم يأخذ من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم ثم قال من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر اذا فعل به اما انه يحصد ابن ادم ما يزرع وليس يحصد احد من المر حلوا ولا من الحلو مرا وقال عليه السلام من ظلم سلط الله عليه من يظلمه او على عقبه او على عقب عقبه قال الراوي قلت هو يظلم فيسلط الله على عقبه وعلى عقب عقبه فقال فان الله تعالى يقول وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا والظاهر ان مؤاخذة الاولاد بظلم اباءهم انما هو في الاولاد الذين كانوا راضين بفعل ابائهم او وصل اليهم اثر ظلمهم اي انتقل اليهم منهم بعض اموال

في الظلم الظالم عن نفسه ومدح او لا في نسبتها الى اعقاب والتبع مع الظلمة العدل والانصاف

المقام الرابع

في ذلك ان

المظلومين وقال بعض العلماء الدنيا دار مكافاة وانتقام وان كان بعض ذلك مما يؤخر الى الاخرة وفائدة
ذلك اما بالنسبة الى الظالم فانه يردع عن الظلم اذا سمع واما بالنسبة الى المظلوم فانه يستبشر بنيل الانتقام
في الدنيا مع نيله ثواب الظلم الواقع عليه في الاخرة فانه ما ظفر احد بخير مما ظفر به المظلوم لانه ياخذ من دين
الظالم اكثر مما اخذ الظالم من ماله كما تقدم وهذا مما يصحح الانتقام من عقب الظالم وعقب عقبه فانه و
ان كان في صورة الظلم لانه انتقام من غير اهله مع انه لا تزر وازرة وزر اخرى الا انه نعمة من الله عليه في
المعنى من جهة ثوابه في الدارين فان ثواب المظلوم في الاخرة اكثر مما جرى عليه من الظلم في الدنيا ثم ان
معين الظالم والراضي بفعله والساعي له في قضاء حوائجه وحصول مقاصده كالظالم بعينه في الاثم والعقوبة
قال الصادق ع العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم وقال ع من اعان ظالما بظلمه سلط الله عليه من
يظلمه فان دعى لم يستجب له ولم ياجره الله على ظلامته وقال رسول الله ص شر الناس المثلث قيل وما المثلث
قال الذي يسعى باخيه الى السلطان فيهلك نفسه ويهلك اخاه ويهلك السلطان وقال ص من مشى مع ظالم
فقد اجرم وقال ص اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الظلمة واعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة او ربط لهم
كيسا او مد لهم مدة قلم فاحشروهم معهم **وصل** ضد الظلم بالمعنى الاخص هو العدل بالمعنى الاخص وهو
الكف عنه ورفعه والاستقامة واقامة كل احد على حقه والعدل بهذا المعنى هو المراد عند اطلاقه في الايات و
الاخبار وفضيلته اكثر من ان تحصى قال الله سبحانه ان الله يامر بالعدل والاحسان الخ وقال الله ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال رسول الله ص عدل ساعة
خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها وقال الصادق ع من اصبح ولا يهم بظلم احد غفر له ما
اجترم وقال الصادق ع من اصبح لا ينوي ظلم احد غفر الله تعالى له ذنب ذلك اليوم ما لم يسفك دما او ياكل
مال يتيم حراما وقال الصادق ع العدل احلى من الماء يصيبه الظمآن ما اوسع العدل اذا عدل فيه وان
قل وقال ع العدل احلى من الشهد والين من الزبد واطيب ريحا من المسك وقال ع اتقوا الله واعدلوا
فانكم تعيبون على قوم لا يعدلون ومما يدل على فضيلة العدل بهذا المعنى ما ورد في ثواب رد المظالم قال
رسول الله ص درهم يرده العبد الى الخصماء خير له من عبادة الف سنة وخير له من عتق الف رقبة و
اعطى بكل دانق ثواب نبي وبكل درهم ثواب مدينة من درة حمراء وقال الصادق ع من رد ادنى شيء الى
الخصماء جعل الله بينه وبين النار سترا كما بين السماء والارض ويكون في عداد الشهداء وقال ع من ارضى
الخصماء من نفسه وجبت له الجنة بغير حساب ويكون في الجنة رفيق اسمعيل بن ابرهيم وقال ع ان في الجنة
مداين من نور وعلى المداين ابواب من ذهب مكلل بالدر والياقوت وفي جوف المداين قباب من مسك و

في العدل والانصاف

وخير له من الف حجة وعمرة وقال ص من رد درهما الى الخصماء اعتق الله رقبته من النار

في مدح اطعام المؤمن وذم خائن الرزق الى ذي خيانة ومدح ... صلة

زعفران من نظر الى تلك المداين يتمنى ان يكون له مدينة منها قالوا يا نبي الله لمن هذه المداين قال للتائبين النادمين المرضين الخصماء من انفسهم فان العبد اذا رد درهما الى الخصماء اكرمه الله كرامة سبعين شهيدا فان درهما يرد العبد الى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل ومن رد درهما نادا ملك من تحت العرش استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وقال صلعم من مات غير تائب زفرت جهنم في ثلث زفرات واولها لا يبقى دمعة الا جرت من عينيه الزفرة الثانية لا يبقى دم الا خرج من منخريه الزفرة الثالثة لا يبقى قيح الا خرج في فمه فرحم الله من تاب ثم ارضى الخصماء فمن فعل فانا كفيله بالجنة وقال صلعم لرد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين الف حجة مبرورة ومنها اخافة المؤمن وادخال الكرب في قلبه وهما شعبتان من الايذاء والاضرار فيترتبان غالبا على العداوة والحسد وقد يترتبان على مجرد الغضب وسوء الخلق او الطمع وهما من رذائل الافعال والاخبار الواردة في ذمهما كثيرة كقول النبي صلعم من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها اخافه الله تعالى يوم لا ظل الا ظله وقول الصادق عم من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ومن روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فاصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار وقوله عم من ادخل السرور على مؤمن فقد ادخله على رسول الله ومن ادخله على رسول الله فقد وصل ذلك الى الله وكذا من ادخل عليه كربا والاخبار الواردة في هذا المعنى كثيرة

وصل وضد ذلك ازالة الخوف عنه وتفريج كربه وادخال السرور في قلبه وهي من اعظم شعب النصيحة ولا حد للثواب المترتب عليها كما نطقت به الاخبار قال رسول الله صلعم من حمى مؤمنا من ظالم بعث الله له ملكا يوم القيمة يحمي لحمه من نار جهنم وقال صلعم من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة وقال صلعم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم وقال الامام ابو عبد الله الصادق عم من اغاث المؤمن اللهفان واللهثان عند جهده فنفس كربته واعانه على نجاح حاجته كتب الله تعالى له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله يعجل له منها واحدة يصلح بها امر معيشته ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيمة واهواله وقال عم من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الاخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد وقال الرضا عم من فرج عن مؤمن فرج الله قلبه يوم القيمة وقال رسول صلعم من سر مؤمنا فقد سرني ومن سرني فقد سر الله وقال صلعم ان احب الاعمال الى الله تعالى ادخال السرور على المؤمنين وقال الباقر عم تبسم رجل في وجه اخيه حسنة وصرف القذى عنه حسنة وما عبد الله بشئ احب الى الله من ادخال السرور على المؤمن وقال عم ان فيما ناجى الله تعالى به عبده موسى عم قال ان لي عبادا ابيحهم جنتي واحكمهم فيها قال يا رب من هؤلاء قال من ادخل على مؤمن

وجه

ذم اخافة المؤمن

مدح ادخال السرور في قلب المؤمن

المقام الرابع

في ترك اعانة المسلمين

سرورا ثم قال ان كان في مملكة جبار مؤمنا فولع به فهرب منه الى دار الشرك فنزل برجل من اهل الشرك فاظله
وارفقه واضافه فلما حضره الموت اوحى الله اليه وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لاسكنتك
فيها ولكنها محرمة على من مات بي مشركا ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه ويؤتى برزقه من طرفي النهار
قلت من الجنة قال من حيث ما شاء الله وقال ع لا يرى احدكم اذا ادخل على مؤمن سرورا انه عليه ادخله
فقط بل والله علينا بل والله على رسول الله ص وقال ان المؤمن اذا خرج من قبره خرج معه مثال من
قبره يقول له ابشر بالكرامة من الله والسرور فيقول له بشرك الله بخير قال ثم يمضي معه يبشره بمثل ما
قال واذا مر بهول قال ليس هذا لك واذا مر بخير قال هذا لك فلا يزال معه يؤمنه مما يخاف و
يبشره بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله تع فاذا امر به الى الجنة قال له المثال ابشر فان الله تع قد امر
بك الى الجنة قال فيقول من انت رحمك الله تبشرني من حين خرجت من قبري وآنستني في طريقي
وخبرتني عن ربي قال فيقول انا السرور الذي كنت تدخله على اخوانك في الدنيا خلقت منه لابشرك
واونس وحشتك وروى ابن سنان انه قرء رجل عنده ع هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين و
المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا فقال ابو عبد الله ع فما ثواب من
ادخل عليه السرور فقلت عشر حسنات قال اي والله والف الف حسنة ومنها ترك اعانة
المسلمين وعدم الاهتمام بامورهم فان من يعادي غيره او يحاسده يترك اعانته ولا يهتم بامور(ه) وربما
كان ذلك من نتايج الكسالة وضعف النفس والبخل وبالجملة لا ريب في كونه من رذايل الصفات ودليلا
على ضعف الايمان وما ورد في ذمه من الاخبار كثير قال الباقر ع من بخل بمعونة اخيه المسلم و
القيام له في حاجته ابتلي بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يوجر وقال الصادق ع ايما رجل من شيعتنا
اتاه رجل من اخوانه فاستعان به في حاجة فلم يعنه وهو يقدر ابتلاه الله تع بان يقضي حوائج غيره
من اعدائنا يعذبه الله عليها يوم القيمة وقال ع ايما مؤمن منع مؤمنا شيئا مما يحتاج اليه وهو
قادر عليه من عنده او من عند غيره اقامه الله تع يوم القيمة مسودا وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه
الى عنقه فيقال هذا الخائن الذي خان الله تع ورسوله ثم يؤمر به الى النار وقال ع من كانت له دار و
احتاج مؤمن الى سكناها فمنعه اياها قال الله تع يا ملائكتي ابخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا وعزتي وجلالي
لا يسكن جناني ابدا وقال ع لنفر عنده ما لكم لا تستخفون بنا فقام اليه رجل من اهل خراسان
فقال معاذ لوجه الله ان نستخف بك او بشيء من امرك فقال انك احد من استخف بي فقال معاذ الله لوجه الله
ان استخف بك فقال له ويحك الم تسمع فلانا ونحن بقرب الجحفة وهو يقول احملني قدر ميل فقد

والله اعيت والله ما رفعت به راساً لقد استخففت به ومن استخف بمؤمن حبنا استخف و
ضيّع حرمة الله عزّ وجلّ وقال ع من اتاه اخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلّط
الله عليه شجاعاً ينهش ابهامه في قبره الى يوم القيمة مغفوراً له او معذباً وقال ابو الحسن ع من قصد
اليه رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض احواله فلم يجره بعد ان يقدر عليه فقد قطع ولاية الله وقال
رسول الله ص من لم يهتم بامور المسلمين فليس بمسلم وقال ص من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس منهم
ومن يسمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم **وصل** تضمنت هذه الرواية بلزوم قضاء حوائج
المسلمين والسعي في انجاح مقاصدهم وهو من اعظم افراد النصيحة ولا حدّ لمثوبته عند الله
قال رسول الله ص من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال ص من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل
او نهار قضاها او لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين وقال ابو جعفر ع اوحى الله تع
الى موسى ع ان من عبادي من يتقرّب الىّ بالحسنة فاحكّمه في الجنة فقال موسى يا ربّ وما
تلك الحسنة قال يمشي مع اخيه المؤمن في حاجة يقدر على قضائها قضيت او لم تقض وقال ع
من مشى في حاجة اخيه المسلم اظله الله تع بخمسة وسبعين الف ملك ولم يرفع قدماً الا كتب الله
له حسنة وحط عنه بها سيئة ويرفع له بها درجة فاذا فرغ من حاجته كتب الله تع له بها اجر
حاج ومعتمر وقال ع ان المؤمن لترد عليه الحاجة لاخيه فلا يكون عنده فيهتم بها قلبه فيدخله
الله تع بهمه الجنة وقال الصادق ع من قضى لاخيه المؤمن حاجة قضى الله تع له يوم القيمة مائة الف حاجة
من ذلك اولها الجنة ومن ذلك ان يدخل قرابته ومعارفه واخوانه الجنة بعد ان لا يكونوا
نصاباً وقال ع ان الله تع خلق خلقاً من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على
ذلك الجنة فان استطعت ان تكون منهم فكن وقال ع قضاء حاجة المؤمن خير من عتق الف
رقبة وخير من حملان الف فرس في سبيل الله وقال ع لقضاء حاجة امرء مؤمن احبّ الى
الله تع من عشرين حجة كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة الف وقال ع من طاف بهذا البيت طوافاً
واحداً كتب الله ستة الاف حسنة ومحى عنه ستة الاف سيئة ورفع له ستة الاف درجة
وفي رواية وقضى له ستة الاف حاجة حتى اذا كان عند الملتزم فتح له سبعة ابواب من الجنة
قلت له جعلت فداك هذا الفضل كله في الطواف قال نعم واخبرك بافضل من ذلك قضاء حاجة
مسلم افضل من طواف وطواف وطواف حتى اذا بلغ عشراً وقال ع تنافسوا في المعروف لاخوانكم وكونوا
من اهله فان للجنة باباً يقال له المعروف لا يدخله الا من اصطنع المعروف في الحيوة الدنيا

فان العبد ليمشي في حاجة اخيه المؤمن فيوكل الله به ملكين واحدا عن يمينه واخر عن شماله
يستغفران له ربه ويدعوان بقضاء حاجته ثم قال والله لرسول الله ص اسر بقضاء حاجة المؤمن
اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة وقال ع ما قضى مسلم لمسلم حاجة الا ناداه الله تع علي ثوابك
ولا ارضى لك بدون الجنة وقال ع ايما مؤمن اتاه اخوه في حاجة فانما ذلك رحمة من الله
ساقها اليه وسببها له فان قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وان رده عن حاجته
وهو يقدر على قضائها فانما رد عن نفسه رحمة من الله تع ساقها اليه وسببها له وذخر الله
تلك الرحمة الى يوم القيمة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها ان شاء صرفها الى نفسه
وان شاء صرفها الى غيره ثم قال ع للراوي فاذا كان يوم القيمة وهو الحاكم في رحمة من الله تع قد شرعت له
فالى من ترى يصرفها قال لا اظن يصرفها عن نفسه قال لا تظن ولكن استيقن فانه لن يردها عن
نفسه وقال ع من مشى في حاجة اخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى يقضى له كتب الله تع
له بذلك مثل اجر حجة وعمرة مبرورتين وصوم شهرين من اشهر الحرم واعتكافهما في المسجد
الحرام ومن مشى فيها بنية ولم يقض كتب الله له بذلك مثل حجة مبرورة فارغبوا في الخير وقال ع
لئن امشي في حاجة اخ لي مسلم احب الي من ان اعتق الف نسمة واحمل في سبيل الله على الف فرس
مسرجة ملجمة وقال ع من سعى في حاجة اخيه المسلم طلب وجه الله كتب الله تع له الف الف حسنة
يغفر فيها لاقاربه وجيرانه واخوانه ومعارفه ومن صنع اليه معروفا في الدنيا فاذا كان يوم القيمة قيل له
ادخل النار فمن وجدته فيها صنع اليك معروفا في الدنيا فاخرجه باذن الله الا ان يكون ناصبا
وقال ابو الحسن ع ان لله عبادا في الارض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيمة ومن ادخل
على مؤمن سرورا فرح الله قلبه يوم القيمة والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة وما ذكرناه
كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين ومما يدل على مدحه وشرافته ما ورد في ثواب
اطعام المؤمن وسقيه وكسوته كما ياتي ومنها التهاون والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وهو ناش اما من ضعف النفس وصغرها او من الطمع المالي ممن يسامح به فيكون من رذائل
القوة الغضبية من جانب التفريط او من رذائل القوة الشهوية من جانب الافراط وهو من المهلكات
التي يعم فسادها وضررها ويسري الى معظم الناس اثرها وشرها كيف ولو طوى بساط الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر اضمحلت الديانة وتعطلت النبوة وعمت الفترة وفشت الضلالة
وشاعت الجهالة وضاع احكام الدين واندرست آثار شريعة رب العالمين وهلك العباد وخربت البلاد

ومنها المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ذكر الاخبار عن المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذم المصنف اهلها الناهين

البلاد ولذا ترى وتسمع ان في كل عصر نهض باقامة هذه السنة بعض المؤيدين من عند الله باخذهم في الله لومة لائمين من اقوياء العلماء المتكفلين لعلمها والقائمين بها ومن سعداء الامراء الساعين في اجرائها وامضائها رغب الناس الى ضروب الطاعات والخيرات وفتحت عليهم بركات الارض والسموات وفي كل قرن لم يقم باحيائها عالم عامل ولا سلطان عادل استشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد واسترسل الناس في اتباع الشهوات والهوى وانمحت اعلام الهداية والتقوى ولذا نرى في عصرنا لما اندرس من هذا القطب الاعظم عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته واسمه وعز على بسيط الارض دين يحرس الشريعة واستولت على القلوب مداهنة الخليقة ان الناس في بيداء الضلالة حيارى وفي ايدي جنود الابالسة اسارى لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن الشرع الا رسمه ولاجل ذلك ورد الذم الشديد في الآيات والاخبار على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمداهنة فيهما قال الله سبحانه لولا ينهيهم الربانيون والاحبار والرهبان عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقال صلى الله عليه وآله ان الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له قيل وما المؤمن الذي لا دين له قال الذي لا ينهى عن المنكر وقيل له صلى الله عليه وآله اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله وقال صلى الله عليه وآله لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم وقال صلى الله عليه وآله ان الله تعالى ليسئل العبد ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكر وقال صلى الله عليه وآله ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يظهر المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه وقال امير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه انما هلك من كان قبلكم حيث عملوا بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما اعزه الله ومن خذلهما خذله الله وقال عليه السلام من ترك انكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الاحياء وقال عليه السلام امرنا رسول الله صلى الله عليه وآله ان نلقى اهل المعاصي بوجوه مكفهرة وقال عليه السلام ان اول ما تقلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر منكرا انكس فجعل اعلاه اسفله وقال الباقر عليه السلام اوحى الله تعالى الى شعيب النبي عليه السلام اني معذب من قومك مائة الف واربعين الفا من شرارهم وستين الفا من خيارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار فاوحى الله تعالى

لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك

اليه داهنوا اهل المعاصي لم يغضبوا بغضبي وقال عليه السلام ما قدست امة لم يؤخذ لضعيفها من قويها بحقه وقال عليه السلام ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال عليه السلام ان الله بعث ملكين الى اهل مدينة ليقلبها على اهلها فلما انتهيا الى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع فقال احد الملكين اما ترى هذا الداعي فقال قد رايته ولكن امضي ما امر به ربي فقال لا ولكن انا ما احدث شيئا حتى اراجع ربي فعاد الى الله تعالى فقال يا رب اني انتهيت الى المدينة فوجدت عبدك فلانا يدعوك ويتضرع اليك فقال امض ما امرتك به فان ذا رجل لم يتغير وجهه غيظا لي قط وقال عليه السلام لقوم من امته حق لي ان اخذ البريء منكم بالسقيم وكيف لا يحق لي ذلك وانتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح ولا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يتركه وقال عليه السلام لاحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم الى ان قال ما منعكم اذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ان تأتوه فتؤنبوه وتعزلوه وتقولوا قولا بليغا قيل له لا يقبلون منا قال اهجروهم واجتنبوا مجالستهم وفي بعض الاخبار النبوية ان امتي اذا تهاونوا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بحرب من الله وقد ورد اخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر اذا لم يمكنه دفعه والنهي عنه ولو حضر نزلت عليه اللعنة وعلى هذا لا يجوز دخول بيوت الظلمة والفسقة ولا حضور المشاهد التي يشاهد فيها المنكر ولا يقدر على تغييره اذ لا يجوز مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة حذرا من مشاهدة المنكر في الاسواق والجامع والاعياد مع عجزهم عن التغيير ثم اذا كان الامر في المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المثابة فيعلم ان الامر بالمنكر والنهي عن المعروف كيف حاله قال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف بكم اذا فسدت نسائكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر فقيل له صلى الله عليه وآله ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم وشر من ذلك كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف فقيل يا رسول الله ويكون ذلك قال نعم وشر من ذلك كيف بكم اذا رايتم المعروف منكرا والمنكر معروفا وفي رواية وعند ذلك يبتلى الناس بفتنة يصير الحليم فيها حيران ومن تامل في الاخبار والآثار واطلع على الاخبار والآثار والتواريخ والسير وقصص الامم السالفة والقرون الماضية وما حدث لهم من العقوبات وضم ذلك الى التجربة والمشاهدة في عصره من ابتلاء الناس ببعض البلايا السماوية والارضية يعلم ان كل عقوبة سماوية وارضية من الطاعون والوباء والقحط والغلاء وحبس المها والامطار وتسلط الظالمين والاشرار ووقوع القتل والغارات وحدوث الصواعق والزلازل وامثال ذلك يكون مسبوقا بترك الامر بالمعروف

ذكر الآيات والاخبار الدالة على الترغيب في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وصل ضد المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنهي عن المنكر بين الناس
هو السعي فيهما والتشمير لهما وهو اعظم مراسم الدين والمهم الذي بعث الله لاجله النبيين ونصب
من بعدهم الخلفاء والاوصياء وجعل نوابهم اولي النفوس القدسية من العلماء بل هو القطب
الذي يدور عليه رحى الملل والاديان وتطرق الاختلال فيه يؤدي الى سقوطها عن الدوران
ولهذا ورد في مدحه والترغيب عليه مما لا يمكن احصائه من الآيات والاخبار قال الله سبحانه و
لتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون
وقال كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال
فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس
بما كانوا يفسقون وقال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط والقيام بالقسط هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال
رسول الله ص ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد
في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة وقال ص اياكم والجلوس على الطرقات
فقالوا ما لنا بد منها انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاتوا الطريق حقه قالوا
وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال ص
ما بعث الله نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل بكتاب الله فيهم وبامره
حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا
كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك
فحق على كل مؤمن جهادهم بيده وان لم يستطع ذلك فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام وقال امير المؤمنين
انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد
اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى
فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق وقال ع فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه
وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك
بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك
الذي ضيع اشرف الخصلتين من الثلث وتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه

وقلبه وبيده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وافضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر وفي خبر جابر عن الباقر عم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتامن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الارض وينتصف من الاعداء ويستقيم الامر فانكروا بقلوبكم والفظوا بالسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم فان اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم هنالك فجاهدوا بايديكم وابغضوا بقلوبكم غير طالبين سلطانا ولا باغين مالا ولا مريدين بالظلم ظفرا حتى يفيئوا الى امر الله ويمضوا على طاعته **فصل** مقتضى الايات والاخبار المذكورة وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا خلاف فيه ايضا انما الخلاف في كون وجوبهما كفائيا او عينيا والحق الاول كما يأتي ثم الواجب انما هو الامر بالواجب والنهي عن الحرام واما الامر بالمندوب والنهي عن المكروه فمندوب وانما يجب بشروط اربعة الاول العلم بكونهما معروفا ومنكرا ليامن من الغلط فلا يجب الا في المتشابه فمن علم بالقطع الوجوب او الحرمة وعدم جواز الاختلاف فيه من ضرورة الدين او المذهب او الاجماع القطعي النظري والكتاب والسنة او من قول العلماء فله ان يامر وينهى ويحتسب به على كل احد من لم يعلمها بالقطع بل علمها بالظن الحاصل من الاجتهاد او التقليد وجوز الاختلاف فيه فليس له الامر والنهي والحسبة الا على من كان على هذا الاعتقاد من مجتهد او مقلد او لزم عليه ان يكون على هذا الاعتقاد وان لم يكن عليه بالفعل للجهل كالمقلد المطلق لمجتهد اذا لم يعلم ببعض الاجتهاديات لمجتهده فيتاتى لغيره ان يحتسب به عليه وحاصل ما ذكر ان القطعيات الوفاقية يتاتى لكل احد ان يحتسب بها على كل احد بعد علمها وغير القطعيات الجائزة فيها الاختلاف والترجيح احد طرفيها الاجتهاد الاباني لمجتهدها ومقلده فيها الاحتساب اي الامر والنهي الا على من كان موافقا في الاعتقاد او يلزم ان يكون موافقا الثاني تجويز التاثير فلو علم او غلب على ظنه انه لا يؤثر لم يجب لعدم الفائدة الثالث القدرة والتمكن منه وعدم تضمنه مفسدة فلو ظن توجه الضرر اليه او الى احد من المسلمين بسببه سقط اذ لا ضرر في الدين ولا ضرار الرابع ان يكون المامور او المنهي مصرا على الاستمرار فلو ظهر منه امارة الاقلاع سقط للزوم العبث ثم هذه الشروط تختلف

في تعيين ما لا يعتبر وما يعتبر في باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

اشتراطها بسبب اختلاف درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ياتي ويدل على اشتراط الاول الثلثة ما روي
انه سئل عن مولانا الصادق ع ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الامة جميعا فقال
لا فقيل له ولم قال انما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف عن المنكر لا على الضعفاء الذين لا
يهتدون سبيلا والدليل على ذلك من كتاب الله قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر فهذا خاص غير عام كما قال الله عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وبه يعدلون ثم سئل عنه عن الحديث النبوي ان افضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر ما
معناه قال هذا على ان يامره بعد معرفته وهو مع ذلك يقبل منه والا فلا وفي خبر آخر انما يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ او جاهل فيتعلم واما صاحب سوط او سيف فلا وفي خبر آخر من
تعرض لسلطان جائر فاصابته بلية لم يوجر عليها ولم يرزق الصبر عليها ومن الشرائط ان
يظهر المنكر على المحتسب من غير تجسس فلا يجب بل لا يجوز التجسس كفتح الباب المغلق ووضع الاذن
والانف لاحساس الصوت والريح وطلب رائحة ما تحت الثوب وامثال ذلك لنص الكتاب والسنة

فصل لا يشترط فيه العدالة وايتمار الامر بما يامره وانتهاء الناهي عما ينهى عنه لاطلاق
الادلة ولان الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره امران تركه وانكاره ولا يسقط بترك
احدهما وجوب الاخر كيف ولو شرط ذلك لاقتضى عدم وجوب ذلك الا على المعصوم فينسد باب
الحسبة بالكلية واما الانكار في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى
لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وما في حديث الاسرى
من قرض مقاريضهم بالنار فانما هو على عدم العمل بما يامر به بقوله لا على الامر والقول وكذا ما روي ان
الله اوحى الى عيسى عظ الى نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني ونص على ذلك جميع ما
ورد من هذا القبيل وما قيل ان هداية الغير فرع الاهتداء وتقويم الغير فرع الاستقامة
فهذيان لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة تكون بالوعظ وتارة بالقهر ومن لم يكن مهتديا
مستقيما يسقط عنه الحسبة بالوعظ لعلم الناس بفسقه فلا يتضمن وعظه وكلامه فائدة ولا
يؤثر في العالم بفسقه ولا يخرج ذلك وعظه وقوله عن الجواز كما لا يخرج حسبة القهرية عن التاثير
والفائدة بلا شبهة والحاصل ان احد نوعي الاحتساب اعني الوعظي يتوقف تاثيره على العدالة
واما نوع الاخر اعني القهري فلا يتوقف عليها فان قيل اذا زنى رجل امراة اكراها وهي مستورة
الوجه فكشفت وجهها باختيارها فما اشنع واقبح ان ينهاها الرجل في اثناء الزنا عن كشف

ايضا اذ الفاسق اذا منع غيره عن الزنا واللواط وشرب الخمر واراقة الخمور وكسر آلات الملاهي حصل التاثير والفائدة

وجهها ويقول لها انت تكرهين في الزنا وتختاره في كشف الوجه لغير المحرم وما انا بمحرم لك
فاستري وجهك فلنا القبح والاستنكار انما هو لاجل انه ترك الاهم واشتغل بما هو الاهون كما في
ارتكاب الشبهة واكل الحرام او ترك الغيبة وشهد بالزور لا لان هذا النهي هو حرام في نفسه او خرج
عن الوجوب الى الاباحة او الكراهة ولان نهيه هذا خرج بفسقه عن التاثير والفائدة فالاستنكار انما
عليه ولان تقبيح نهيه عن هذا من حيث انه نزل نفسه مقام من يؤثر قوله مع انه لا يؤثر كما تقدم انفا ثم ما ذ
من عدم اشتراط العدالة في العمل بما يأمر به وينهى عنه انما هو في احاد الحسبة الصادرة من افراد الرعية
المطلعين على المنكر واما من نصب نفسه لاصلاح الناس ونصحهم وبيان الاحكام الالهية بالنيابة عن رسول
الله صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين فلا بد فيه من العدالة والتقوى والعلم بالكتاب والسنة وغير ذلك من
شرايط الاجتهاد وعلى هذا يحصل جواب اخر عن الايات والاخبار الواردة في الانكار على الواعظ غير
المتعظ بتخصيصها به دون افراد الرعية وعليه يحمل قول الصادق ع في مصباح الشريعة من لم ينسلخ عن هواه
ولم يتخلص من افات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف الله وتوحيده و
امان عصمته لا يصلح له الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه اذا لم يكن بهذه الصفة فكلما اظهر امرا
كان حجة عليه ولا ينتفع الناس به قال الله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ويقال له يا
خائن اتنهى خلقي عما خنت به نفسك وارخيت عنه عنانك وكذا يحمل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله صاحب
الامر بالمعروف يحتاج الى ان يكون عالما بالحلال والحرام فارغا من خاصة نفسه مما يأمرهم به وينهاهم
عنه ناصحا للخلق رحيما لهم رفيقا بهم داعيا لهم باللطف وحسن البيان عارفا بتفاوت اخلاقهم لينزل كلا
منزلته بصيرا بمكر النفس ومكائد الشيطان صابرا على ما يلحقه لا يكافيهم بها ولا يشكو منهم ولا يستعمل الحمية
ولا يتغلظ لنفسه مجردا نيته لله تعالى مستعينا به ومبتغيا لوجهه فان خالفوه وجفوه صبر وان وافقوه
وقبلوا منه شكر مفوضا امره الى الله تعالى ناظرا الى عيبه **تنبيه** اعلم ان المحتسب عليه اعني من يؤمر
به او ينهى عنه وان اشترط كونه عاقلا بالغا الا ان هذا الشرط انما هو في غالب الاوامر والنواهي وفي بعضها
لا يشترط فيه ذلك اذ من راى صبيا او مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه عنه ولا يلزم منه ان
يكون منع بهيمة عن افساد زرع انسان حسبة ونهيا عن منكر اذ لا يصدق اسم المحتسب عليه والنهي الا
على من كان الفعل الممنوع عنه في حقه منكرا وهو لا يكون الا الانسان دون سائر الحيوانات
فصل اعلم ان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب الاولى الانكار بالقلب بان يبغضه على
ارتكاب المعصية وهذا مشروط بعلم الناهي واصرار المنهي ولا يشترط بالشرطين الاخيرين التأثير

في ذكر مراتب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر ما ينبغي للآمر والناهي

التعريف بان يعرف المرتكب للمنكر بانه معصية فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصي لجهلهم بانه
معصية ولو عرف كونه معصية تركه الثالثة اظهار الكراهة والاعراض والمهاجرة الرابعة الانكار
باللسان بالوعظ والنصح والتخويف والزجر مرتبا الايسر فالايسر الى ان يصل الى التعنيف بالقول
والتغليظ في الكلام كقوله يا جاهل يا احمق لا تخالف ربك وههنا شبكة عظيمة للشيطان ربما
يصطاد بها اكثر الوعاظ فينبغي لكل عالم ناصح ان يراها بنور البصيرة وهي ان يحضره عند الوعظ والارشاد
ويلقي في قلبه تعززه وشرافته بالعلم وذلة من يعظه بالجهل والخسة فربما يقصد بالتعريف والوعظ
الاذلال والتجهيل واظهار شرف نفسه بالعلم وهذه آفة عظيمة تتضمن كبرا ورياء وينبغي لكل واعظ
دين ان لا يغفل عن ذلك ويعرف بنور بصيرته عيوب نفسه وقبح سريرته وعلامة براءة نفسه من هذه
الآفة ان يكون اتعاظ ذلك العاصي بوعظ غيره او امتناعه من المعصية بنفسه احب اليه من اتعاظه
بوعظه الخامسة المنع بالقهر مباشرة ككسر آلات اللهو واراقة الخمر واستلاب الثوب المغصوب منه ورده
الى صاحبه وامثال ذلك السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا والا ضربتك او كسرت راسك
او غير ذلك مما يجوز له ان يفعل لو لم ينته عن معصيته ولا يجوز ان يهدده بما لا يجوز فعله كقوله دع
هذا والا ضربت عنقك او اضرب ولدك او استبين زوجتك وامثال ذلك السابعة مباشرة الضرب
باليد والرجل وغيرهما للضرب دون ان ينتهي الى شهر سلاح وجراح الثامنة الجرح بشهر بعض الاسلحة وجوزه
المرتضى من اصحابنا وجماعة والباقون اشترطوا اذن الامام في ذلك اذ ربما لا يقدر عليه بنفسه فيحتاج الى
اعوان وانصار يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه فيؤدي الى المقاتلة والمحاربة وحدوث
فتنة عظيمة **فصل** اذا اجتمعت الشرائط وكان المطلع منفردا تعين عليه وان كان ثمة غيره وجاز
شرع احدهما في الامر والنهي فان ظن الآخر ان لمشاركته اثرا في تعجيل رفع الاثم ورسوخ الامر
وجب عليه ايضا والا فلا لان الغرض وقوع المعروف وارتفاع المنكر فمتى حصلا بفعل واحد كان
السعي من الآخر عبثا وهذا معنى كون وجوبهما كفائيا **فصل** ينبغي لكل آمر بالمعروف وناه عن
المنكر ان يكون حسن الخلق صابرا حليما قويا في نفسه لئلا ينزعج ولا يضطرب اذا قيل في حقه ما لا
يليق به فان اكثر الناس لاتباع الهوى فاذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم فربما اطلقوا
السنتهم في حق الناهي ويقولون فيه ما لا يليق بشانه وربما تجاوزوا الى سوء الادب قولا وفعلا و
بالمشافهة وان يكون رفيقا بالناس فان الوعظ بالرفق والملاءمة اوقع واشد تاثيرا في قلوب
اكثر الناس وان يكون قاطعا للطمع عن الناس فان الطامع من الناس في اموالهم واطلاق السنتهم

بالثناء عليه لا يقدر على الحسبة ولذا نقل ان بعض المشايخ كان له سنور وكان ياخذ من قصاب في
جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء و
وعظ القصاب فشدد عليه القول فقال القصاب لا اعطى سنورك شيئا بعد ذلك فقال ما احتسبت عليك
الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع عنك **تتميم** اعلم ان المنكرات اما محظورة او مكروهة و
المالوفة منها في العادات اكثر من ان يحصى فمنها ما يكون غالبا في المساجد كاساءة الصلوة و
الاخلال ببعض افعالها والتاخير عن اوقاتها وادخال النجاسة فيها والتكلم فيها بامور الدنيا و
البيع والشرى ودخول الصبيان والمجانين فيها مع اشتغالهم باللهو واللعب وقرائة القران فيها
باللحن او الغناء ودخول النسوان فيها مع ظن تطرق الريبة ونظر الاجانب اليهن ونظرهن اليهم ودخول
الجنب والحائض فيها وتغني المؤذنين بالاذان وغيره مما يقرؤن وتقديمهم الاذان على الوقت و
وعظ من لا ينبغي ان يتمكن من الموعظة كمن يكذب في حديثه او يفتي بالمسائل وليس اهلا لها او يظهر من
وعظه كونه مرائيا طالبا للجاه وامثال ذلك فان كل ذلك من المنكرات بعضها محظورة وبعضها
مكروهة ينبغي لكل مطلع ان ينهى عنها ومنها ما يكون غالبا في الاسواق من الكذب في المحاورات و
المعاملات واخفاء العيب والايمان الكاذبة والمنازعة بالضرب والشتم والطعن واللعن وامثال ذلك و
التبخس في الكيل والميزان والمعاملات الفاسدة باقسامها على ما هو مقرر في الفقهيات ومنها
ما يكون في الشوارع كوضع الاساطين وبناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة وتضييق الطرق
على المارة بوضع الاطعمة والاحطاب وربط الدواب فيها وسوق الدواب فيها وعليها الاشواك
والنجاسات اذا تاذى الناس منها وامكن العدول بها الى موضع واسع وان لم يمكن فلا منع اذ
حاجة اهل البلد ربما تمس الى ذلك وتحميل الدواب ما لا يطيقها من الحمل وذبح القصاب
على الطريق او على باب دكانه بحيث تلوث الطريق بالدم وطرح الكناسة على جوادّ الطرق بحيث
يخشى منه التزلق والسقوط وارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط الى الطرق الضيقة وغير
ذلك وقس على ذلك منكرات الحمامات والخانات والاسواق ومجالس العامة ومجامع القضاة و
مدارس الفقهاء ورباطات الصوفية ودواوين السلاطين وغيرها فان امثال ما ذكر من المنكرات
يجب ان ينهى عنها فلو قام بالاحتساب والنهي عنها احد سقط الحرج عن البواقي والا عم الحرج اهل
البلد جميعا وامثال ما ذكره انما هو من المنكرات اليسيرة الجزئية واما المنكرات العظيمة من البدعة
في الدين والقتل والظلم والزنا واللواط وشرب الخمر وانواع الغناء والنظر الى غير المحارم و

ورش الماء على الطريق

اكل الحرام والصلوة في الاماكن المغصوبة والوضوء والغسل من المياه المحرمة والتصرف في اموال الاوقاف
وغصبها والمعاملة مع الظالمين والجهل عن الاصول الاعتقادية والفروع الواجبة وآفات اللسان
فلا يمكن حصرها لكثرتها سيما في امثال زماننا فلو امكن لمؤمن ان يغير هذه المنكرات كلا او بعضا
بالاحتساب فليس له ان يقعد في بيته بل وجب عليه الخروج للنهي والتعليم بل ينبغي لكل مسلم ان يبدء بنفسه
فيصلحها بالمواظبة على الطاعات وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ
منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى اهل السواد المكتنف لبلده ثم الى غيرهم وهكذا
فالاقرب فالاقرب الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا لزم الحرج على كل قادر عليه
قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو
قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله
عن سائر المشاغل الا ان اعراض الناس عن امور دينهم في عصرنا لم يبلغ حدا يقبل الاصلاح الى
ان يتعلق به مشية الله فينهض بعض عباده السعداء والاقوياء فيدفع هذه الزحمة ويسد هذه
الثلمة وبلا في هذه الفترة ومنها الهجرة والتباعد لا ريب في كونه من نتائج العداوة والحقد او
الحسد او البخل فيكون من رذائل قوة الغضب او الشهوة وهو من ذمائم الافعال قال رسول الله ص
ايما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلثا لا يصطلحان الا كانا خارجين من الاسلام ولم يكن بينهما ولاية
فايهما سبق الى كلام صاحبه كان السابق الى الجنة يوم الحساب وقال ص لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث
الحديث وقال الصادق ع لا يفترق رجلان على الهجران الا استوجب احدهما البرائة واللعنة وربما استوجب
ذلك كلاهما فقال له معتب هذا الظالم فما بال المظلوم قال لانه لا يدعو اخاه الى صلته ولا يتغا
مس له عن كلامه سمعت ابي ع يقول اذا تنازع اثنان فعاز احدهما الاخر فليرجع المظلوم الى صاحبه
حتى يقول لصاحبه اي اخي انا الظالم حتى يقطع الهجران بينه فان الله تعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم
وقال ع لا يزال ابليس فرحا ما اهتجر المسلمان فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت اوصاله و
نادى يا ويله ما لقي من الثبور وقال الباقر ع ان الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع احدهم
عن دينه فاذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه وتمدد ثم قال فزت فرحم الله امرء الف بين وليين لنا يا
معاشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا والاخبار الواردة في ذم الهجرة والتباعد كثيرة فيجب على كل طالب
لنجاة الاخرة ان يتأمل في امثال هذه الاخبار ثم يتذكر ثواب ضد ذلك وفوائده اعني التألف و
التزاور بين الاخوان بنفسه فيحافظ نفسه من حصول الانقطاع والمباعدة مع احد اخوانه ولو حصل

فرع من التباعد والهجر من صنوف الرذائل

وبين صاحبه

ذلك

ذلك كلف نفسه المبادرة الى زيادته وتألفه حتى تغلب على الشيطان ونفسه الامارة ويفوز بما يرجوه المتقون من عظيم الأجر وجزيل الثواب **وصل** مما يشير الى ان ضد التباعد والهجران هو التزاور والتآلف وهو من ثمرات النصيحة والمحبة وثوابه اكثر من ان يحصى قال رسول الله حدثني جبرئيل ان الله اهبط الى الارض ملكا فاقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع الى باب عليه رجل يستاذن على رب الدار فقال له الملك ما حاجتك الى رب هذه الدار قال اخ لي مسلم زرته في الله تعالى فقال له الملك ما جاء بك الا ذلك فقال له ما جائني الا ذاك فقال اني رسول الله اليك وهو يقرئك السلام ويقول وجبت لك الجنة وقال الملك ان الله تعالى يقول ايما مسلم زار مسلما فليس اياه زار بل اياي زار وثوابه على الجنة وقال امير المؤمنين عليه السلام لقاء الاخوان مغنم جسيم وان قلوا وقال ابو جعفر الباقر ع ان لله جنة لا يدخلها الا ثلثة رجل حكم على نفسه بالحق ورجل زار اخاه المؤمن في الله تعالى ورجل آثر اخاه المؤمن في الله وقال ع ان المؤمن ليخرج الى اخيه ليزوره فيوكل الله تعالى به ملكا فيضع جناحا في الارض وجناحا في السماء يظله فاذا دخل الى منزله ناداه الجبار تبارك وتعالى ايها العبد المعظم لحقي المتبع لآثار نبيي حق على اعظامك سلني اعطك ادعني اجبك اسكت ابتدئك فاذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل الى منزله ثم يناديه تعالى ايها العبد المعظم لحقي حق على اكرامك قد وجبت لك جنتي وشفعتك في عبادي فقال ع ايما مؤمن خرج الى اخيه يزوره عارفا بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة فاذا طرق الباب فتحت له ابواب السماء فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا اقبل الله تعالى عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة فيقول انظروا الى عبدي تزاورا وتحابا في حق على ان لا اعذبهما بالنار بعد هذا الموقف فاذا انصرف شيعه الملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه يحفظونه من بلاء الدنيا وبوائق الاخرة الى مثل تلك الليلة من قابل فان مات فيما بينهما اعفي من الحساب وان كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل اجره وقال الصادق ع من زار اخاه في الله لا لغيره التماس موعد الله وتنجز ما عند الله وكل الله به سبعين الف ملك ويناديه ان طبت و

طابت لك الجنة وقال ع من زار اخاه في الله تعالى قال الله تعالى اياي زرت وثوابك علي ولست ارضى لك ثوابا دون الجنة وقال عليه السلام من زار اخاه في الله في مرض وصحة لا يأتيه خداعا ولا استبدالا وكل الله تعالى به سبعين الف ملك ينادون في قفاه ان طبت وطابت لك الجنة فانتم زوار الله وانتم وفد الرحمن حتى يأتي منزله وقال عليه السلام من زار اخاه في الله تعالى ولله جاء يوم القيمة يخطو بين قباطي من نور ولا يمر بشيء الا اضاء له حتى يقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى له مرحبا فاذا قال الله مرحبا اجزل الله تعالى له العطية وقال عليه السلام لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات ومن اعتق رقبة مؤمنة وقى بكل عضو عضوا من النار حتى ان الفرج يقي الفرج وقال عليه السلام لابي خديجة كم بينك وبين البصرة قال في الماء خمس اذا طابت الريح وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك فقال ما اقرب هذا تزاوروا وتعاهدوا بعضكم بعضا فانه لابد يوم القيمة ياتي كل انسان بشاهد يشهد له على دينه وقال ان المسلم اذا رأى اخاه كان حيوة لدينه اذا ذكر الله وقال رسول الله صلعم مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين يغسل احديهما الاخرى وما التقى المؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة والسر في هذا الترغيب التشديد على تزاور المؤمنين وملاقاتهم كونه دافعا للحسد والعداوة جالبا للتآلف والمحبة وهو اعظم ما يصلح به امر دنياهم وعقباهم ولذا ورد الثناء والمدح في الآيات والاخبار على نفس الالفة وانقطاع الوحشة لا سيما اذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وورد الذم على التفرقة والتوحش قال الله سبحانه في مقام الامتنان على المؤمنين بنعمة الالفة لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ وقال فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا اي بنعمة الالفة وقال سبحانه وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وقال رسول الله صلعم المؤمن الف مالوف ولا خير في من لا يألف ولا يولف وهذا هو السر في الترغيب على التسليم والمصافحة والمعانقة قال رسول الله صلعم اولى الناس بالله تعالى وبرسوله من بدء بالسلام وقال امير المؤمنين عليه السلام لا تغضبوا ولا تغضبوا افشوا السلام واطيبوا الكلام

ذكر بقية اخبار ائمة الاطهار في الاحاديث في التحية وافشاء السلام وما يتعلق بقطع الرحم

وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام وقال الباقر ع ان الله يحب افشاء السلام وقال عليه السلام من التواضع ان تسلم على من لقيت وقال الصادق عليه السلام تصافحوا فانها تذهب بالسخيمة وقال مصافحة المؤمن افضل من مصافحة الملائكة وقال الباقر ع ان المؤمنين اذا التقيا فتصافحا ادخل الله تعالى يده بين ايديهما واقبل بوجهه على اشدهما حبا لصاحبه فاذا اقبل الله تعالى بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق عن الشجرة وقال رسول الله صلعم اذا لقي احدكم اخاه فليسلم وليصافحه فان الله تعالى اكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة وقال الصادق عليه السلام ان المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمة فاذا التزما لا يريدان بذلك الا وجه الله ولا يريدان غرضا من اغراض الدنيا قيل لهما مغفور لكما فاستانفا ومنها قطع الرحم وهو ايذاء ذي اللحمة والقرابة او عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهية والثروة والخيرات الدنيوية مع احتياجهم اليه وباعثه اما العداوة او البخل فهو من رذائل القوة الغضبية او الشهوية ولا ريب في كونه من اعظم المهلكات المفسدة للدنيا والدين قال الله سبحانه وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وقال رسول الله صلعم ابغض الاعمال الى الله تعالى الشرك بالله ثم قطيعة الرحم ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقال صلعم لا تقطع رحمك وان قطعتك وقال انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال صلعم حافتا الصراط يوم القيمة الرحم والامانة فاذا مر الوصول للرحم المؤدي للامانة نفذ الى الجنة واذا مر الخائن للامانة القطوع للرحم لم ينفعهما معه عمل وتكفئ به الصراط في النار وقال امير المؤمنين عليه السلام في خطبة اعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء فقام اليه عبد الله بن الكوا وقال يا امير المؤمنين او يكون ذنوب تعجل الفناء فقال نعم ويلك قطيعة الرحم ان اهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله عز وجل وان اهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله وهم اتقياء وقال ع اذا قطعوا الارحام جعلت الاموال

قطع رحم وقطع الرحم بناء على الرذائل

تحية تسليم مصافحة معانقة

ذنوب تعجل الفناء

في يدي الاشرار وقال الباقر ع في كتاب علي ع ثلث خصال لا يموت صاحبهن ابدا حتى يرى وبالهن البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها وان اعجل الطاعات ثوابا لصلة الرحم وان القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتنمو اموالهم ويثرون وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من اهلها وتثقل الرحم وان ثقل الرحم انقطاع النسل وقال الصادق عليه السلام اتقوا الحالقة فانها تميت الرجال قيل وما الحالقة قال قطيعة الرحم وجاء رجل اليه وشكى اقاربه فقال له اكظم غيظك وافعل فقال انهم يفعلون ويفعلون فقال اتريد ان تكون مثلهم فلا ينظر الله تعالى اليكم وكتب امير المؤمنين ع الى بعض عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وذلك لان التجاور يورث التزاحم على الحقوق وذلك ربما يورث التحاسد والتباغض وقطيعة الرحم كما هو مشاهد في اكثر ابناء عصرنا وليس الخبر كالمعاينة واذا لم يتجاوروا وتزاحمت ديارهم كان اقرب الى التحابب كما قيل بالفارسية دوري ودوستي **وصل** ضد قطيعة الرحم صلة الرحم وهو تشريك ذوي اللحمة والقرابات بما ناله من المال والجاه وساير خيرات الدنيا وهو اعظم القربات وافضل الطاعات قال الله سبحانه فَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى الآية وقال وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْاَرْحَامَ اِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا وقال الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا اَمَرَ اللهُ بِهِ اَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ يَخْشَوْنَ ربهم وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ الى قوله اُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ وقال رسول الله ص اوصي الشاهد من امتي والغائب منهم ومن في اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيمة ان يصل الرحم وان كان منه على مسيرة سنة فان ذلك من الدين وقال ص ان اعجل الخير ثوابا صلة الرحم وقال من سره النساء في الاجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه وقال ع ان القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة فيصلون ارحامهم فتنمى اموالهم وتطول اعمارهم فكيف اذا كانوا ابرارا بررة وقال ص الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وقيل له ص اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ع ان اهل البيت ليكونون فجارا فيتمنى

اموالهم وتكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال ص افضل الفضائل ان تصل من قطعك و تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ص من سره ان يمد الله فى عمره وان يبسط فى رزقه فليصل رحمه فان الرحم لها لسان يوم القيمة ذلق تقول يا رب صل من وصلنى واقطع من قطعنى فالرجل ليرى انه بسبيل خير اذا اتته الرحم التى قطعها فتهوى به الى اسفل قعر فى النار وقال امير المؤمنين ع صلوا ارحامكم ولو بالتسليم يقول الله تع واتقوا الله الذى تسائلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وقال الباقر ع الرحم متعلقة يوم القيمة بالعرش يقول اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى هذا تمثيل للمعقول بالمحسوس و اثبات لحق الرحم على ابلغ وجه وتعلقها بالعرش كناية عن مطالبة حقها بمشهد من الله وقال ع صلة الارحام تحسن الخلق وتسمح الكف وتطيب النفس وتزيد فى الرزق وتنسئ فى الاجل و قال صلة الارحام تزكى الاعمال وتنمى الاموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسئ فى الاجل وقال الص ع صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب فصلوا ارحامكم وبروا باخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب وقال ع صلة الرحم تهون الحساب يوم القيمة وهى منسأة فى العمر وتقى مصارع السوء وقال ع صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان فى الاعمار وقال ع ما نعلم شيئا يزيد فى العمر الا صلة الرحم حتى ان الرجل يكون اجله ثلث سنين فيكون وصولا للرحم فيزيد الله فى عمره ثلثين سنة فيجعلها ثلثا وثلثين سنة ويكون اجله ثلثا وثلثين سنة فيكون قاطعا للرحم فينقصه الله تع ثلثين سنة ويجعل اجله الى ثلث سنين والاخبار الواردة فى فضيلة صلة الرحم وعظم مثوباته اكثر من ان يحصى وما ذكرناه كاف لتنبيه الغافل **تنبيه** المراد بالرحم الذى يحرم قطعه ويجب صلته ولو وهب له شئ لا يجوز الرجوع عنه هو مطلق القريب المعروف بالنسب وان بعدت النسبة وجاز النكاح والمراد بقطعه ان يؤذيه بالقول او الفعل او كان له شدة احتياج الى ما يفضل عليه زيادة على قدر حاجته من مسكنه وملبوس وماكول فيمنعه او امكنه ان يدفع عنه ظلم ظالم ولم يفعله او هاجره غيظا وحقدا من دون ان يعوده اذا مرض او يزوره اذا قدم من سفر وامثال ذلك فان جميع ذلك وامثالها قطع للرحم واضدادها من دفع الاذية ومواساته بماله وزيارته واعانته باللسان واليد والرجل والجاه وغير ذلك صلة ثم الظاهر تحقق الواسطة بين القطع والصلة اذ كل احسان ولو كان مما لا يحتاج اليه قريبه وهو يحتاج اليه يسمى صلة وعدمه لا يسمى قطعا

ومنها

كاف

في الآيات والاخبار الدالة على شدة النهي عن عقوق الوالدين وذمه

الثالث من الباب

جامع ١١ ذم عقوق الوالدين من انواع الرذائل

ومنها عقوق الوالدين وهو اشد انواع قطيعة الرحم اذ اخص الارحام وامسها بالولادة فيتضاعف تاكد الحقوق فيها فهو كقطيعة الرحم انما يكون ناشيا من الحقد او الغيظ او من البخل وحب الدنيا فيكون من رذائل احدى قوتي الغضب او الشهوة ثم ما يدل على ذم قطيعة الرحم يدل على ذم العقوق ولكونه اشد انواع القطيعة وافظعها ورد في خصوص ذمه آيات واخبار اخر كقوله تعالى وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وقول رسول الله صلى الله عليه وآله كن بارا واقتصر على الجنة وان كنت عاقا فظا فاقتصر على النار وقوله اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة الف عام ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين وقوله من اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار وقال الباقر عليه السلام ان ابي نظر الى رجل ومعه ابوه يمشي والابن متكئ على ذراع الاب قال فما كلمه ابي مقتا حتى فارق الدنيا وقال الصادق عليه السلام من نظر الى ابويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلوة وقال صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيمة كشف غطاء من اغطية الجنة فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام الا صنفا واحدا فقيل له من هم قال العاق لوالديه وقال عليه السلام لو علم الله شيئا هو ادنى من اف لنهى عنه وهو من ادنى العقوق ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر اليهما وسئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يقول لبعض ولده بابي انت وامي او بابوي انت اترى بذلك باسا فقال ان كان ابواه حيين فارى ذلك عقوقا وان كانا قد ماتا فلا باس والاخبار في ذم العقوق اكثر من ان تحصى وورد في بعض الاخبار القدسية بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو ان العاق لوالديه يعمل باعمال الانبياء جميعا لم اقبلها منه وروي ايضا ان اول ما كتب الله في لوح المحفوظ اني انا الله لا اله الا انا من رضي عنه والداه فانا منه راض ومن سخط عليه والداه فانا عليه ساخط وقد ورد عن رسول الله انه قال كل المسلمين يروني يوم القيمة الا عاق الوالدين وشارب الخمر ومن سمع اسمي ولم يصل علي وقد ثبت من الاخبار والتجربة ان دعاء الوالد على ولده لا يرد ويستجاب البتة ودلت الاخبار على ان من لا يرضى عنه امه يشتد عليه سكرات الموت وعذاب القبر وكفى للعقوق ذما انه ورد في الاسرائيليات انه تعالى اوحى الى موسى ان من بر والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا

وصل ضد العقوق بر الوالدين والاحسان اليهما وهو افضل القربات واشرف السعادات ولذلك ورد ما ورد من

ذكر ما ورد من الآيات والأخبار في الحث على بر الوالدين والإحسان اليهما

المقام الرابع

الحث عليه والترغيب فيه قال الله سبحانه واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقال واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقال رسول الله بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله و قال صلى الله عليه وآله من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله اوصني فقال لا تشرك بالله شيئا وان حرقت بالنار وعذبت الا وقلبك مطمئن بالايمان ووالديك فاطعهما وبرهما حيين كانا او ميتين وان امراك ان تخرج من اهلك و مالك فافعل وجاء آخر وسئله عن بر الوالدين فقال ابرر امك ابرر امك ابرر امك ابرر اباك ابرر اباك ابرر اباك وبدء بالام قبل الاب وجائه آخر وقال يا رسول الله من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك واتاه رجل آخر وقال اني رجل شاب نشيط واحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك فقال ارجع وكن مع والدتك فوالذي بعثني بالحق لانسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة وروي انه صلى الله عليه وآله اتته اخت له من الرضاعة فلما نظر اليها سر بها وبسط ملحفته لها فاجلسها عليها ثم اقبل يحدثها ويضحك في وجهها ثم قامت فذهبت وجاء اخوها فلم يصنع به ما صنع بها فقيل له يا رسول الله صنعت باخته ما لم تصنع به وهو رجل فقال لانها كانت ابر بوالديها منه و قال الصادق عليه السلام افضل الاعمال الصلوة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله وقال الكاظم عليه السلام رجل ان ابي قد كبر جدا وضعف فنحن نحمله اذا اراد الحاجة فقال ان استطعت ان تلي منه ذلك فافعل ولقمه بيدك فانه جنة لك غدا وقال الكاظم عليه السلام رجل ان لي ابوين مخالفين فقال برهما كما تبر المسلمين ممن يتولانا وقال رجل للرضا عليه السلام ادعو لوالدي اذا كانا لا يعرفان الحق قال ادع لهما وتصدق عنهما وان كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق وقد ورد اخبار اخر في الامر بالبر والاحسان الى الوالدين وان كانا على خلاف الحق وقال عليه السلام ما يمنع الرجل منكم ان يبر والديه حيين وميتين يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك فيزيده الله تعالى ببره وصلته خيرا كثيرا والاخبار في ثواب بر الوالدين غير محصورة فينبغي لكل مؤمن ان يكون شديد الاهتمام في تكريمهما وتعظيمهما واحترامهما وتعظيمهما ولا يقصر في خدمتهما ويحسن صحبتهما وان لا يتركهما حتى يسئلاه شيئا مما يحتاجان اليه بل يبادر الى الاعطاء قبل ان يفتقرا الى السؤال كما ورد في الاخبار وان ضجراه فلا يقل لهما اف وان ضرباه لا يعبس وجهه وقال لهما غفر الله لكما ولا يملأ عينا من النظر اليهما الا برحمة ورقة

بقية الاخبار في بر الوالدين وذكر حق كبير الاخوة على الصغير وحق الجار

ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يديه فوق ايديهما ولا يتقدم قدامهما بل مهما امكن له لا يجلس عندهما
وكلما بالغ في التذلل والتخضع كان اجره ازيد وثوابه اعظم وبالجملة اطاعتهما واجب وطلب رضاهما
حتم فليس للولد ان يرتكب شيئا من المباحات والمستحبات بدون اذنهما ولذا افتى العلماء بانه لا يجوز المسافرة
في طلب العلم الا باذنهما الا اذا كان في طلب علم الفرايض من الصلوة والصوم واصول العقايد و
لم يكن في بلده من يعلمه ولو كان في بلده من يعلمه لم يجز المسافرة وقد روي انه رجلا هاجر من
اليمن الى رسول الله ص واراد الجهاد فقال له ارجع الى ابويك فاستاذنهما فان اذنا فجاهد والا
فبرهما ما استطعت فان ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد وجاء اخر الى النبي للجهاد فقال آلك
والدة فقال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها وجاء اخر وطلب البيعة على الهجرة
الى الجهاد وقال ما جئتك حتى ابكيت والدي قال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما ولو
وقع بين الوالدين مخالفة بحيث توقف رضا احدهما على سخط الاخر ينبغي ان يجتهد في
الاصلاح بينهما باي طريق امكن ولو بالعرض الى فقيه البلد حتى يطلبهما ويعظهما ويفهمهما
على الوفاق لئلا ينكسر خاطر احدهما منه واعلم ان حق كبير الاخوة على صغيرهم عظيم فينبغي
محافظته قال رسول الله ص حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده

تذنيب

حق الجوار قريب من حق الرحم اذ الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار
المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة فمن قصر في حقه عداوة او بخلا فهو اثم قال رسول الله
الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة
حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان
فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف
اثبت للمشرك حق الجوار وقال ص احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال ص من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال ص لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه
وقيل له ص ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال ص هي في النار وعن علي
ان رسول الله ص كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من اهل يثرب ان الجار كالنفس غير
مضار وحرمة الجار على الجار كحرمة امه وقال الصادق ع حسن الجوار زيادة في الاعمار وعمارة
في الديار وقال ع ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره وقال ع قال رسول الله ص
ما من نبي من بات شبعانا وجاره جايع وقال ان يعقوب لما ذهب عنه بنيامين نادى يا رب

المقام الرابع

اما رحمتني اذهبت حبيبي واذهبت ابني فاوحى الله اليه لو ذبحت في وقت فلان شاة وسويتها واكلت وفلان في جوارك صائم لم تنله منها شيئا فكان بعد ذلك يعقوب ينادي منادية كل غداة ومساء من منزله على فرسخ الا من اراد الغداء او العشاء فليات الى يعقوب وفي بعض الاخبار ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة ويقول سل يا رب هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني **تتميم** معرفة الجوار موكولة الى العرف فما يطلق عليه الجار عرفا يلزم مراعاة حقوق اهله والمستفاد من بعض الاخبار ان كل اربعين دارا من كل واحد من الجوانب الاربعة جيران ثم لا ينحصر حق الجار في مجرد كف الاذى اذ ذلك يستحقه كل احد بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف وتشريكه فيما يملكه ويحتاج اليه من المطاعم كما ظهر من بعض الاخبار المتقدمة وينبغي ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنيه في الفرح ويصفح عن زلاته ويستر ما اطلع عليه من عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في صب الماء على ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا في المرور عن طريقه ولا يمنعه ما يحتاج اليه من الماعون ويغض بصره عن حرمته ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ويتلطف لاولاده في كلمته ويرشده الى ما يصلحه من امر دينه ودنياه وان استعانه في اعانه وان استقرضه اقرضه ولا يستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشترى شيئا من لذائذ المطاعم وطرفها فليهد له وان لم يفعل فليدخلها بيته سرا ولا يخرج بها اولاده حتى يطلع عليها بعض اولاد جاره فيشتهيه وينكسر لذلك خاطره ومنها طلب العثرات وتجسس العيوب والعورات واظهارها ولا ريب في كونه من نتايج العداوة والحسد وربما حصل في القوة الشهوية ردائة توجب الاهتزاز والانبساط من ظهور عيب بعض المسلمين وان لم يكن عداوة وحسد كما قيل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

ومن تصفح الايات والاخبار يعلم ان من يتتبع عيوب المسلمين ويظهرها بين الناس اسوء الناس واخبثهم قال الله ولا تجسسوا وقال سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من اذاع فاحشة كان كمبتديها ومن عير مؤمنا بشيء لم يمت حتى يرتكبه وقال صلى الله عليه وآله كل امتي معافى الا المجاهرون والمجاهر ان يعمل الرجل سوء فيخبر به وقال صلى الله عليه وآله من استمع من قوم هم له كارهون صب في اذنيه الانك يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله يا معشر من اسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه لا تتبعوا عثرات المسلمين فانه من يتتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثراته ومن تتبع الله عثراته

بفضحه

يفضحه وقال الباقر ع اقرب ما يكون العبد الى الكفر ان يواخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته
وزلاته ليعيره بها يوما وقال الصادق ع من انب مومنا انبه الله تع في الدنيا والاخرة وقيل للصادق ع
من شيء يقوله الناس عورة المؤمن على المؤمن حرام فقال ليس حيث تذهبون انما عنى عورة المؤ
من ان يزل زلة او يتكلم بشيء يعاب عليه فيحفظ عليه ليعيره به يوما وقال الباقر ع كفى بالمرء عيبا ان
يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه ويعير الناس بما لا يستطيع تركه او يؤذي جليسه بما لا يعنيه
الاخبار الواردة بامثال هذه المضامين كثيرة **وصل** ضد كشف العيوب سترها واخفاؤها
وهو من اعظم شعب النصيحة ولاحد لثوابه كما يستفاد من الاخبار الكثيرة قال رسول الله ص من
ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والاخرة وقال ص لا يستر عبد عيب عبد الا ستره الله يوم القيمة و
قال ص لا يرى امرء من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وكفى بستر العيوب فضلا انه من اوصاف
الله سبحانه ومن شدة اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا وهو افحشها بما لا يمكن اتفاقه
الا نادرا وهو مشاهدة اربعة عدول كالميل في المكحلة فانظر الى انه تع كيف اسبل الستر على
العصاة من خلقه في الدنيا بتضييق الطرق المؤدية الى كشفه ولا تظنن انك تحرم هذا الستر
يوم تبلى السرائر فقد ورد في الحديث ان الله تع اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من
ان يكشفها في الاخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها اخرى وورد ايضا انه يؤتى في
يوم القيمة بعبد يبكي فيقول الله سبحانه له لم تبكي فيقول ابكي على ما سيكشف عني من عوراتي و
عيوبي عند الناس والملائكة فيقول الله عبدي ما افضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك
وانت تعصيني وتضحك فكيف افضحك اليوم بكشفها وانت لا تعصيني وتبكي وفي خبر اخر ان
رسول الله ص يطلب يوم القيمة من الله سبحانه ان لا يحاسب امته بحضرة من الملائكة والرسل
وساير الامم لئلا يظهر عيوبهم عندهم بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه
ورسوله ص فيقول الله سبحانه يا حبيبي انا ارأف بعبادي منك فاذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك
فانا اكره كشفها عندك ايضا فاحاسبهم وحدي بحيث لا يطلع على عثراتهم غيري فاذا كان عنايته
الله سبحانه في ستر عيوب العباد هذه الغاية فانى لك ايها المسكين المبتلى بانواع العيوب والمعاصي
تسعى في كشف عيوب عباد الله مع انك مثلهم في الاتصاف بانواع العيوب والعثرات وتامل انه
لو اظهر احد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك فقس عليه حال غيرك ممن تكشف
انت بعض فواحشه وقد ثبت ووضح من الاخبار والتجربة ان من يفضح يفتضح فيا حبيبي

المقام الرابع

على نفسك وتأسر بربك فاسبل الستر على عيوب غيرك ومنها افشاء السر واذاعته وهو اعم من كشف العيب اذ السر قد يكون عيبا وقد يكون بعيب ولكن في افشائه ايذاء واهانة بحق الاصدقاء او غيرهم من المسلمين وهو من رذائل قوة الغضب ان كان منشائه العداوة ومن رذائل قوة الشهوة ان كان منشائه توقع نفع مالي او مجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها وهو مذموم منهي عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال عليه السلام الحديث بينكم امانة وورد ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك وقال عبد الله بن سنان للصادق عليه السلام عورة المؤمن على المؤمن حرام فقال نعم فقال يعني سفليه قال ليس حيث تذهب انما هو اذاعة سره

فصل

ضد افشاء السر كتمانه وهو من الافعال المحمودة وقد امر به في الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله طوبى لعبد نومة عرفه الله ولم يعرفه الناس اولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة ليسوا بالمذاييع البذر ولا الجفاة المرائين وقال امير المؤمنين عليه السلام طوبى لعبد نومة لا يعرف الناس ولا يعرفه الناس يعرفه الله منه برضوان اولئك مصابيح الهدى ينجلي عنهم كل فتنة ويفتح لهم باب كل رحمة ليسوا بالبذر المذاييع ولا الجفاة المرائين وقال عليه السلام قولوا الخير تعرفوا به واعملوا الخير تكونوا من اهله ولا تكونوا عجلا مذاييع فان خياركم الذين اذا نظر اليهم ذكر الله وشراركم المشاؤن بالنميمة المفرقة بين الاحبة المبتغون للبراء المعايب

تنبيه

في حقيقة النميمة

النميمة يطلق في الاكثر على ان ينم قول الغير الى المقول فيه كان يقال فلان تكلم فيك بكذا وكذا او فعل فيك كذا وكذا وعلى هذا يكون نوعا خاصا من افشاء السر وهتك الستر وهو الذي يتضمن فسادا او سعاية وقد يطلق على ما لا يختص بالمقول فيه بل على كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او الكتابة او بالرمز والايماء وسواء كان المنقول من الاعمال ومن الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن وعلى هذا يكون مساوقة لافشاء السر وهتك الستر وح فكل ما يرى من احوال الناس ولم يرضوا بافشائه فاذاعته نميمة فاللازم على كل مسلم ان يسكت عما يطلع عليه من احوال غيره الا اذا كان في حكايته نفع لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى احد ايتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له واما اذا راه يخفي مالا لنفسه فحكايته نميمة وافشاء للسر ثم الباعث على النميمة يكون غالبا ارادة السوء بالمحكي عنه فيكون داخلا تحت الايذاء وربما كان باعثه اظهار المحبة للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في الفضول وعلى

في النميمة وذكر ما ورد من الآيات والأخبار الدالة على مذمتها والتنفر منها وخباثتها

تقدير لا ريب في ان النميمة ارذل الافعال القبيحة واشنعها وما ورد في ذمها من الآيات و الاخبار لا يحصى كثرة قال الله سبحانه همّاز مشّاء بنميم منّاع للخير معتد اثيم عتلّ بعد ذلك زنيم والزنيم هو ولد الزنا فيستفاد من الآية ان كل من يمشي بالنميمة فهو ولد الزنا وقال سبحانه ويل لكل همزة لمزة اي النمام المغتاب وقال رسول الله صلعم لا يدخل الجنة نمّام وفي خبر اخر لا يدخل الجنة قتّات اي نمّام وقال صلعم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشّاؤن بالنميمة بين الاحبة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال صلعم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشّاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال صلعم من اشار على مسلم كلمة ليشينه بها في الدنيا بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال صلعم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال صلعم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان افعل كذا وكذا ثم لم يف به وقال الباقر عم الجنة محرمة على المغتابين المشائين بالنميمة وقال عم يحشر العبد يوم القيمة وما ندا دما فيدفع اليه شبه المحجمة او فوق ذلك فيقال له هذا سهمك من دم فلان فيقول يا رب انك لتعلم انك قبضتني وما سفكت دما فيقال بلى سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه فنقلت حتى صارت الى فلان الجبار فقتله عليها وهذا سهمك من دمه وقال الصادق عم من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من اعين الناس اخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ولا يقبله الشيطان وروي انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وروي ان ثلث عذاب القبر من النميمة ومن عرف حقيقة النميمة يعلم ان النمام شر الناس واخبثهم كيف وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وقد قال الله سبحانه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض والنمام سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل وفسد في الارض وقال الله انما

المعايب

فی ذکر بقیة الاخبار والروایات المتعلقة بباب النمیمة وفی حقیقة السعایة وبیانها

المقام الرابع

السبیل علی الذین یظلمون الناس ویبغون فی الارض بغیر الحق والنمام منهم وقال رسول الله لا یدخل الجنة
قاطع ای قاطع بین الناس والنمام قاطع بینهم وقال صه شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم
اعظم شرا من کل احد نقل ان رجلا باع عبدا فقال للمشتری ما فیه عیب الا النمیمة قال رضیت
فاشتراه فمکث الغلام ایاما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجک لا یحبک وهو یرید ان یسری علیک
وانا اسحره لک فی شعره فقالت کیف اقدر علی اخذ شعره فقال اذا نام فخذی الموسی واحلقی من قفاه
عند نومه شعرات حتی اسحره علیک فیحبک ثم قال للزوج ان امراتک اتخذت خلیلا وترید
ان تقتلک فتناوم لها حتی تعرف فتناوم فجائته المرئة بالموسی فظن انها تقتله فقام و
قتلها فجاء اهلها وقتلوا الزوج فوقع القتال بین القبیلتین وطال الامر بینهم ثم یلزم علی من
یحمل الیه النمیمة ان لا یصدق النمام لانه فاسق والفاسق مردود الشهادة بقوله تعـ ان جاءکم
فاسق بنبأ فتبینوا وان ینهاه عن ذلک وینصحه ویقبح له فعله لقوله تعـ وأمر بالمعروف وانه عن
المنکر وان یبغضه فی الله لکونه مبغوضا عنده تعـ وان لا یظن باخیه سوء بمجرد قوله لقوله تعـ اجتنبوا
کثیرا من الظن وان لا یحمل عمله علی التجسس والبحث لتحقیق ما حکی له لقوله تعـ ولا تجسسوا وان لا
یرضی لنفسه ما نهی عنه النمام فلا یحکی نمیمته فیقول فلان قد حکی کذا وکذا فیکون به نماما ومغتابا
وروی محمد بن الفضیل عن الکاظم عـ انه قال له عـ جعلت فداک الرجل من اخوانی یبلغنی عنه الشیء
الذی اکرهه واسئله عن ذلک فینکر ذلک وقد اخبرنی عنه قوم ثقات فقال لی یا محمد کذب
سمعک وبصرک عن اخیک فان شهد عندک خمسون قسامة وقال لک قولا فصدقه وکذبهم لا
تذیعن علیه شیئا تشینه به وتهدم مروته فتکون من الذین قال الله فی کتابه ان الذین یحبون
ان تشیع الفاحشة فی الذین امنوا لهم عذاب شدید وقد روی عن امیر المؤمنین عـ ان رجلا
اتاه یسعی الیه برجل فقال یا هذا نحن نسئل عما قلت فان کنت صادقا مقتناک وان کنت
کاذبا عاقبناک وان شئت ان نقیلک اقلناک قال اقلنی یا امیر المؤمنین ونقل ان رجلا زار بعض
الحکماء واخبره بخبر عن غیره فقال قد ابطأت عنی الزیارة وبغضت الی اخی وشغلت قلبی الفارغ
واتهمت نفسک الامینة **تتمة** السعایة هی النمیمة بشرط کون المحکی له من یخاف بهاسه
کالسلاطین والامراء والحکام والرؤساء وامثالهم فهی اشد انواع النمیمة اثما ومعصیة وهی
ایضا یکون من العداوة ومن حب المال وطمعه فیکون من رذائل القوتین وخبائثهما قال
رسول الله صـ الساعی بالناس الی الناس لغیر رشدة یعنی لیس ولد حلال وذکرت السعاة عند

والنمام

في الافساد بين الناس ومدح ضده الاصلاح وفي الشماتة على المصيبة

من الباب الثالث

رذيلة الافساد

بعض الاكابر فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة الا منهم ومنها الافساد بين الناس وهو
في الاكثر يحصل بالنميمة وان لم يوجب كل نميمة افسادا ولا ريب في كونه من المهلكات المؤدية
الى النار قال الله سبحانه الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله افساد ذات البين
هي الحالقة **وصل** وضده الاصلاح بين الناس وهو اعظم افراد النصيحة ولا غاية لمثوبته عند الله
قال رسول الله صلى الله عليه وآله افضل الصدقة اصلاح ذات البين وقال صلى الله عليه وآله اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان
الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وقال
كل الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما
الخ وقال الصادق عليه السلام صدقة يحبها الله تعالى اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا
وقال عليه السلام لمفضل اذا رايت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي وقال عليه السلام لابن عمار فبلغهم
عنك واقول عني ما قلت لي وغير الذي قلت قال نعم ان المصلح ليس بكذاب يعني اذا تكلم بما لا
يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الاصلاح لم يعد كلامه كذبا وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين
الناس لان ترك الكذب واجب لا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه ومنها الشماتة وهو اظهار
ان ما حدث بغيره من البلية والمصيبة انما هو من سوء فعله واساءته والغالب صدوره عن العداوة
او الحسد علامته ان يكون مع فرح ومسرة وربما صدر عن دناءة القوة الشهوية بان يهتز بالشماتة
ويميل اليه مع جهله بمواقع القضاء والقدر وان لم يكن معه حقد وحسد والتجربة والاخبار
شاهدان على ان كل من شمت مسلما بمصيبة لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى ويشمته غيره بها قال الصادق عليه السلام
لا تبد الشماتة لاخيك فيرحمه الله تعالى ويحلها بك وقال عليه السلام من شمت بمصيبة نزلت باخيه لم
يخرج من الدنيا حتى يفتتن به على ان كل مصيبة وبلية ترد على مسلم يمكن ان يكون كفارة لذنوبه او
باعثا لرفع درجاته واعلاء مرتبته في دار الآخرة والدليل على ذلك ان اعظم البلايا والمصايب موكل
بالانبياء ثم بالاولياء ثم بالامثل فالامثل في درجات الاعتلاء ولا ريب في ان ورود المصايب
والمحن عليهم ليس من سوء فعلهم واساءتهم فينبغي لكل عاقل ان يتامل ولا ان الشماتة لمسلم بمصيبة
لا ينفك في الدنيا من ابتلائه بمثلها وثانيا انها ايذاء باخيه المسلم فلا ينفك عن العذاب في الآخرة
وثالثا ان نزول هذه المصيبة به لا يدل على سوء حاله عند الله بل الارجح دلالته على حسن حاله
وتقربه عند الله سبحانه فيحافظ نفسه عن ابداء الشماتة لاحد من المسلمين ويخوف من نزولها من

الخبر عني كذا وكذا فاذا اتيتنا امرتهما فقال الله امين عمار ع

انما هو الصلح ليس بكذب
وقال عليه السلام المصلح ليس بكذاب

رذيلة الشماتة

بمثلها

في ذم المراء والجدال والخصومة وتميز كل واحد منها عن الآخر

الشامتين عن عقوبة العاجل وعذاب الآجل ومنها المراء والجدال والخصومة اعلم ان المراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير غرض سوى تحقيره واهانته واظهار تفوقه وكياسته والجدال مراء يتعلق باظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام لاستيفاء مال او حق مقصود وذلك يكون تارة ابتداء وتارة اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق فالمراء داخل تحت الايذاء ويكون ناشئا من العداوة او الحسد واما الجدال والخصومة فربما صدرا من احدهما ايضا وربما لم يصدرا منه فالجدال ان كان بالحق اي يتعلق باثبات احدى العقائد الحقة وكان الغرض منه الارشاد والهداية ولم يكن الخصم لدودا عنودا فهو الجدال بالاحسن وليس مذموما بل ممدوح معدود من ثمرات الايمان الذي هو من نتائج قوة المعرفة وكبر النفس قال الله سبحانه وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وان لم يكن بالحق فهو مذموم مقتضى العصبية وحب الغلبة او الطمع المالي فيكون من رذائل القوة الغضبية او الشهوية وربما اورث شكوكا وشبهات يضعف العقيدة الحقة ولذا نهى الله سبحانه عنه وذم عليه فقال وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ وقال سبحانه وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ والخصومة ايضا ان كانت بحق اي كانت مما يتوقف عليه استيفاء مال او حق ثابت فهو ممدوح معدود من فضائل القوة الشهوية وان كانت بباطل اي تعلقت بما يدعيه كذبا او بلا علم ويقين فهو مذموم معدود من رذائلها فالخصومة المذمومة يتناول المخاصمة فيما يعلم قطعا عدم استحقاقه وفيما لا علم له بالاستحقاق كخصومة وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب كان ويخاصم من غير علم وايقان فيتلذذ حطام الغير او ركاب الشبهات يضر بالمسلمين بلا غرض ويتحمل اوزار الغير بلا عوض فهو اخسر الناس اعمالا واعظمهم في الآخرة اوزارا ونكالا ويتناول ايضا مخاصمة من يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والعناد في الخصومة قصد التسلط والايذاء ومن يمزج بخصومته كلمات موذية لا يحتاج اليها في اظهار الحق وبيان الحجة ومن يحمله على الخصومة محض العناد بقهر الخصم وكسره مع استحقاره لذلك القدر من المال وربما صرح بان قصدي العناد والغلبة عليه وكسر عرضه واذا اخذت منه هذا المال رميته ولا ابالي فمثله غرضه اللدد واللجاج فينحصر الخصومة الجائزة بمخاصمة المظلوم الذي يطلب حقه وينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد وايذاء مع الاقتصار على قدر الحاجة في الخصومة من دون ان يتكلم بالزوائد ولا بكلمات موذية ففعله ليس بحرام وان كان الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا اذ ضبط اللسان في الخصومة على حد

الا عند الضرورة لو منتشر لانها يوغر الصدور ويهيج الغضب واذا هاج الغضب ذهب التنازع فيه من
البين واشتد الحقد بين المتخاصمين حتى يحزن كل واحد بمسرة صاحبه ويفرح بمسائته فهو مثل
سد كل شر فينبغي ان لا يفتح بابها الا عند الضرورة على قدر الضرورة ولا يتعدى عن الواجب اذ اقل
درجاتها تشويش الخاطر حتى انه في الصلوة ليشتغل بمخاصمة الخصم ويتضمن الطعن والاعتراض اي التجهيل
والتكذيب اذ من يخاصم غيره اما يجهله او يكذبه فيكون اتيا بسوء الكلام ويفوت به ضده اعني طيب
الكلام مع ما ورد فيه من الثواب كذا الحال في المراء والجدال وبالجملة المراء والجدال والخصومة
سوى ما استثنى منه من اهم الافعال ومبادي اكثر الشرور والفتن ولذا ورد بها الذم الشديد
في الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال ان ابغض
الرجال الى الله الالد الخصم وقال ما اتاني جبرئيل قط الا وعظني فاخر قوله لي اياك ومشارة
الناس فانها تكشف العورة وتذهب بالعز وورد اياك والخصومة فانها يمحق الدين وما
خاصم قط ورع في الدين وقال امير المؤمنين عليه السلام اياكم والمراء والخصومة فانهما يمرضان القلوب
على الاخوان وينبت عليهما النفاق وقال علي بن الحسين عليه السلام ويل امه فاسقا من لا يزال مماريا
ويل امه فاجرا من لا يزال مخاصما ويل امه اثما من كثر كلامه في غير ذات الله وقال الصادق عليه السلام لا تمارين
حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك وقال اياكم والمراء فانها تورث
المعرة وتظهر العورة وقال عليه السلام اياكم والخصومة فانها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغاين
تامل في ما يدل على ذمها وسوء عاقبتها عقلا ونقلا فمع عدم ترتب فائدة عليها وتذكر ما ورد في
مدح تركها وفوايد ضدها اعني طيب الكلام يسهل عليه ان يتركها ولا يحوم حولها **تذنيب**
طريق المعالجة في ازالة المراء والجدال والخصومة ان يعلم انها يوجب التباغض والمباينة و
تزيل الالفة والمحبة وتقطع الالتيام والوحدة ولا ريب في ان قوام النظام الاصلح بالالتيام والوحدة
كما اقتضته العناية الالهية والحكمة الازلية والمباينة الراجعة الى الكثرة ينافيهما ولا ينبغي للعاقل
ان يرتكب ما يضاد فعل الله وحكمته وهذا هو العلاج العلمي واما العملي فليواظب على ضد
هذه الثلثة اعني طيب الكلام ويكلف نفسه عليه حتى يصير ملكة له ويرتفع اضدادها عنه بالمرة
وصل قد اشير الى ان ضد الرذائل الثلث طيب الكلام وما ورد في مدحه وفي ثواب تركها
اكثر من ان يحصى قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث من لقي الله بهن دخل الجنة من اي باب شاء من حسن
خلقه وخشى الله في المغيب والمحضر وترك المراء وان كان محقا وقال ان مما يمكنكم من الجنة طيب الكلام

في السخرية والاستهزاء وبيان منشأهما وذكر طريق العلاج والاتصاف بالتوقير

في بيان السخرية والاستهزاء

واطعام الطعام وقال صلى ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها
الله لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وقال صلى الكلمة الطيبة صدقة وروى ان عيسى عليه السلام مر بخنزير فقال
مر بسلامة فقيل له يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان اعوّد لسانى الشر وقال بعض الحكماء
الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح ومنها السخرية والاستهزاء وهو محاكاة اقوال
الناس وافعالهم او صفاتهم وخلقتهم قولا وفعلا او ايماء واشارة على وجه يضحك منه وهو لا
ينفك عن الايذاء والتحقير والتنبيه على العيوب والنقايص وان لم يكن ذلك بحضرة المستهزئ به
فيتضمن الغيبة ايضا وباعثها اما العداوة او التكبر واستصغار المستهزئ به فيكون من رذايل
القوة الغضبية او قصد اضحاك الاغنياء وتنشيط قلوبهم طمعا في بعض وساخهم الملوثة واخذ
النبذ من حطامهم المحرمة ولا ريب في انه صفة من لا خطر له في الدين وشيمة اراذل احزاب الشياطين
لانهم يظهرون اكاذيب الاقوال ويرتكبون اعاجيب الافعال يخلعون قلائد الحرية عن الرقاب و
يهتكون استار الحياء برئي من اولى الالباب يتبعون عيوب المؤمنين وعوراتهم ويظهرون نقايص
المسلمين وعثراتهم يقلدون افعال الاخيار على وجه يضحك الاشرار ويحاكون صفات الابرار
على افضح الوجوه في الانظار ولا ريب في ان المرتكب لهذه الافعال بعيد عن الانسانية بمراحل و
مستوجب لعقوبة العاجل وعذاب الاجل ولا يخفى ساعة عن الصغار والهوان ولا وقع له في قلوب
اهل الايمان وكفاه ذما انه جعل تلك المعاصى الخبيثة وسيلة لتحصيل المال او الوقع في قلوب
ابناء الدنيا ويلزمه عدم اعتقاده بان الله سبحانه هو المتكفل لارزاق العباد والطريق في دفعه بعد
التأمل في سوء عاقبته ووخامة خاتمته وفيما يلزمه من الذلة والهوان في الدنيا ان يبادر
الى ازالة العداوة والتكبر ان كان باعثه ذلك وان كان باعثه تنشيط قلوب اهل الدنيا
طمعا في مالهم فليعلم ان كل نفس ما قدّر لها من الاموال والارزاق يصل اليها من الله سبحانه
البتة فان من يتق الله ويتوكل عليه يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ويكون في الاخرة
سعيدا وان اغواه الشيطان وحثه على تحصيلها من المداخل الخبيثة لم يصل اليه اكثر مما قدّر له و
كان في الاخرة شقيا وليعلم ايضا ان المتوكل على الله والمتصف بالحرية لا ينبغى له ان يترك التوكل والحرية
بهذه الافعال لاجل الوصول الى بعض خباثات الاموال فليعاتب نفسه ويزجرها بالمواعظ
والنصايح وليتذكر ما ورد في الشريعة من ذم المستهزئين وتعذيبهم يوم القيمة بصورة الاستهزاء
قال الله جل شانه لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم وقال رسول الله صلى ان المستهزئين

تذنيب في السخرية التي هي الاخرى للمذموم ذكرها على الاستهزاء عمن خبر ونكات المزاح

بين الناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه ثم يفتح له
باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه فما يزال كذلك حتى يفتح له الباب فيقال
له هلم هلم فما يأتيه وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة و
لا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وفيه اشارة
الى ان الضحك على الناس من الجرائم العظيمة ثم جميع ما ذكر انما هو في حق من يؤذي الناس
ويهينهم باستهزائه وسخريته واما من جعل نفسه مسخرة ويسر بان يهزل ويسخر به وان كان هو
ظالما على نفسه خارجا عن شعار المؤمنين حيث اهان نفسه واذلها الا ان سخرية الغير به من جملة
المزاح ويأتي ما يذم منه وما يحمد وانما المحرم منه ما يؤدي الى ايذائه وتحقيره بان يضحك على
كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا
او طويلا او ناقصا بعيب من العيوب فالضحك على جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها
وطريق علاجه بعد تذكر ما تقدم ان استهزائه يوجب خزي نفسه يوم القيمة عند الله وعند الملائكة
والنبيين وعند الناس اجمعين فلو تفكر في حسرته وحيائه وخجلته واخزائه يوم يحمل سيئات
من استهزء به ويساق الى النار لادهشه ذلك عن اخزاء غيره ولو عرف حقيقة حاله يوم القيمة
لكان الاولى له ان يضحك على نفسه تارة ويبكي عليها اخرى لانه باستهزائه له عند بعض اراذل
الناس عرض نفسه لان ياخذ بيده يوم القيمة على ملاء من الناس ويسوقه تحت السياط كما يساق
الحمار الى النار مستهزءا به مسرورا بخزيه وتمكين الله تعالى اياه على الانتقام منه فمن تامل في ذلك ولم
يكن عدو النفس اجتنب عن السخرية والاستهزاء كل الاجتناب ومنها المزاح واصله مذموم منهي عنه و
سببه اما خفة في النفس فيكون من رذايل القوة الغضبية او ميل النفس وشهوتها اليه او تطييب خاطر
بعض اهل الدنيا طمعا في مالهم فيكون من رذايل القوة الشهوية وسبب الذم فيه انه يسقط المهابة
والوقار وربما ادى الى التباغض والوحشة والضغينة وربما انجر الى الهزل والاستهزاء و
ادخل صاحبه في جملة المستهزئين وربما صار باعثا لظهور العداوة كما قيل وربما جد جره اللعب وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله لا تمار اخاك ولا تمازحه وقال بعض الاكابر لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك
ولا تمازح الدني فيجتري عليك وقال آخر اياكم والممازحة فانها تورث الضغينة وتجر الى القطيعة
وقال آخر المزاح مسلبة للبهاء ومقطعة للاصدقاء وقيل لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ومن
مفاسد المزاح انه سبب للضحك وهو منهي عنه قال الله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال

رسول الله صلى الله عليه وآله ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلسائه يهوى بها ابعد من الثريا وقال لو علمتم ما
اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وهو يدل على ان الضحك علامة الغفلة عن الاخرة وقال بعض
الاكابر من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر شيئا عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه
قل حيائه ومن قل حيائه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وخاطب عارف نفسه وقال اتضحك و
لعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم
قال فهل اتاك انك خارج منها فقال لا قال ففيم الضحك فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى مات ونظر
بعضهم الى قوم يضحكون في يوم الفطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان
لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين ثم المذموم من الضحك هو القهقهة والتبسم الذي ينكشف فيه
السن ولا يسمع الصوت ليس مذموما بل محمود لفعل النبي صلى الله عليه وآله **تذنيب** الحق ان المذموم من المزاح
هو الافراط فيه والمداومة عليه او ما يؤدي الى الكذب او الغيبة وامثالهما ويخرج صاحبه عن الحق و
اما القليل الذي يوجب انبساط خاطر وطيبة قلب ولا يتضمن ايذاء ولا كذبا ولا باطلا فليس مذموما
لقول رسول الله صلى الله عليه وآله اني لامزح ولا اقول الا حقا ولما روي انهم قالوا له يا رسول الله انك تداعبنا فقال
اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا ولما روت العامة انه صلى الله عليه وآله كان كثير التبسم وكان افكه الناس ولما
ان امير المؤمنين عليه السلام كان يمزح بحيث عابوه وقالوا لولا دعابة فيه لكان اولى الناس بالخلافة وقال له
سلمان الفارسي عند مزاح له هذا ما اخرك الى الرابعة وورد ان رسول الله صلى الله عليه وآله كسى ذات يوم واحدة
من نسائه ثوبا واسعا وقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وقال صلى الله عليه وآله لعجوز لا يدخل
الجنة عجوز فبكت العجوز فقال انك لست يومئذ بعجوز وجاءت امرأة اليه فقالت ان زوجي يدعوك
فقال صلى الله عليه وآله زوجك هو الذي بعينه بياض فقالت لا والله ما بعينه بياض قال بلى ان بعينه بياضا ما من
احد الا بعينه بياض وهو البياض المحيط بالحدقة وجاءته امرأة اخرى فقالت احملني يا رسول الله على بعير
فقال احملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به ولا يحملني فقال صلى الله عليه وآله هل من بعير الا وهو ابن بعير وكان صلى الله عليه وآله يدلع
لسانه للحسين عليه السلام فيرى لسانه فيهش له وقال لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت ارمد فقال
انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله حتى بدت نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى
نسوة من بني كعب بطريق مكة وكان ذلك قبل اسلامه فاطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ما لك مع النسوة
قال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود فمضى رسول الله لحاجته ثم اطلع فقال يا ابا عبد الله ما ترك ذلك الجمل
الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك استخفي منه حياء حتى اسلمت وقدمت المدينة

في ذكر الغيبة وبيان حقيقتها وذكر ما ورد من الاخبار في موضوع الترخيص عنها

فاطلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت الصلوة فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما تركت ذلك الجمل الشراد بعد قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله فحسن اسلامه وكان نعمان الانصاري رجلا مزاحا فاذا دخل المدينة شيء نفيس من اللباس والمطاعم اشترى منه وجاء به الى رسول الله ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعمان بثمنه جاء به الى رسول الله وقال يا رسول الله اعط ثمن ما اهديته لك فيقول له النبي ص اولم تهده لنا فيقول انه لم يكن عندي والله ثمنه واحببت ان تأكله فيتبسم رسول الله ويأمر لصاحبه بثمنه وامثال هذه المطايبات مروية عن رسول الله ص وعن الائمة عليهم السلام واكثرها منقوله مع النسوان والصبيان وكان ذلك معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل ولا كذب ولا باطل وكان صدور ذلك عنهم احيانا وعلى الندرة ومثلهم كانوا يقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق والاعتدال واما غيرهم فاذا فتح باب المزاح فربما وقع في الافراط والباطل فالاولى لامثالنا تركه مطلقا ومنها الغيبة وهي ان يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه سواء كان ذلك بنقص في بدنه او في اخلاقه او في افعاله او في اقواله المتعلقة بدينه او دنياه بل وان كان بنقص في ثوبه او داره او دابته والدليل على هذا التعميم بعد اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه اذا سمعه فهو مغتاب ما روي عن رسول الله ص انه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وما روي انه ذكر رجل عنده ص فقالوا ما اعجزه فقال ص اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وما روي انه ذكرت امرأة فقالت عائشة انها قصيرة فقال النبي ص اغتبتيها وما روي انها قالت لامرأة ذكرت عند النبي ص ان هذه الطويلة الذيل فقال لها الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم وقد روي ان احد الشيخين قال للاخر ان فلانا لنؤوم ثم طلبا اداما من رسول الله ص ليأكلا مع الخبز فقال رسول الله ص قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما دما واما ما روي عن الصادق ع انه قال صفة الغيبة ان يذكر احدا بما ليس هو عند الله بعيب ويذم ما يحمده العلم فيه واما الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله واما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وان كان صوابا فهو مخصص بما اذا

في بيان الغيبة من النوع الرابع من الرذائل

موضوع على ما استفيد وانظار من الاخبار في تحقيق الغيبة من اخبار المشايخ الكبار

لم يكن صاحبه خاليا بفعله وكان ساترا على نفسه كارها لظهوره ويدل على ذلك ما روي عنه ع ايضا انه قال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد وقال ع الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا وقال الكاظم ع من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته و بان ان المجاهر بمعصيته غير ساتر لها لا غيبة له فيها والحاصل ان الاجماع والاخبار متطابقان على ان حقيقة الغيبة هو ان يذكر الغير بما يكرهه اذا سمعه سواء كان ذلك بنقص في نفسه او بدنه او دينه او دنياه او فيما يتعلق به من الاشياء وربما قيل انه لا غيبة فيما يتعلق بالدين لانه ذم من ذمه الله ورسوله فذكره بالمعاصي وذمه جائز واستدل لذلك بما روي انه ذكر عند رسول الله ص امرأة وكثرة صومها وصلوتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت مرة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن ولا ريب في بطلان هذا القول لما عرفت من عموم الادلة وما ورد في ذم الاشخاص المعينين في كلام الله وكلام حججه انما هو لتعريف الاحكام وتبيينها وسؤال الاصحاب عنهم وذكرهم بالمعاصي انما كان لحاجتهم الى معرفة الاحكام لا للذم واظهار العيب ولذا لم يكن ذلك الا في مجلس الرسول ص او الائمة عليهم السلام

فصل اعلم ان الغيبة لا تنحصر باللسان بل كلما يفهم نقصان الغير ويعرف ما يكرهه فهو غيبة سواء كان بالقول او الفعل او التصريح او التعريض او بالاشارة والايماء او بالغمز والرمز او بالكتابة والحركة ولا ريب في ان الذكر باللسان غيبة محرمة لتفهيمه الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه لا لكون المفهم والمعرف لسانا فكلما كان مفهما ومعرفا فهو مثله فالغيبة تتحقق باظهار النقص بالفعل والمحاكاة كمشية الاعرج بل هو اشد من الغيبة باللسان لانه اعظم في التصوير والتفهيم منه وبالايماء والاشارة وقد روي انه دخلت امرأة على عائشة فلما ولت اومأت بيدها اي قصيرة فقال رسول الله ص قد اغتبتها وبالكتابة اذ القلم احد اللسانين وبالتعريض كان يقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة والتبذل في طلب الجاه والمال او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء ونسأل ان يعصمنا منه معرضا في كل ذلك لمن ارتكب ذلك فيذكره بصيغة الدعاء وربما قدم مدح من يريد غيبته ثم اتبعه باظهار عيبه كان يقول لقد كان فلان حسن الحال ولكنه ابتلي بما ابتلي به كلنا من سوء الحال فهو جمع بين الرياء والغيبة ومدح نفسه بالتشبه بالصلحاء في ذم انفسهم ومن الطفها بين المنافقين من يظهر في مقام غيبة مسلم الاغتمام والحزن من سوء حاله كان يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الاهانة والاستخفاف او ارتكابه معصية كذا فنسأل الله ان يحفظه

مكايد تلبيسات الشياطين وكالمغتابين الاخيار على التنبيه المغتابين للشيطان بتلبيسات المستمع بصريح

مكرما او يصلح حاله او يقول قد ابتلى ذلك المسكين بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه وهو كاذب
في ادعائه الحزن والكآبة وفي اظهار الدعاء اذ لو اغتم لاغتم باظهار ما يكرهه ايضا ولو قصد
الدعاء لاخفاه في خلواته فاظهار الحزن والدعاء ناش عن خبث سريرته وهو يظن انه ناش عن
صفا طويته هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوة البصيرة بمكائد اللعين وتلبيساته فيسخر بهم
ويضحك عليهم ويحبط اعمالهم بمكائده وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وربما ذكر بعض المغتابين من
عيب مسلم ولم يتنبه له بعض الحاضرين فيقول لما سمع حاله واعلامه بقوله سبحان الله ما اعجب هذا حتى
يتوجه اليه ويعلم ما يريد فيستعمل اسم الله آلة لتحقيق خبثه ثم المستمع للغيبة احد المغتابين كما
ورد به الخبر وقد دل على ذلك ايضا ما تقدم من حديث الشيخين وما روي انه صلى الله عليه وآله لما رجم ماعزا بالزنا
قال رجل لآخر هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وآله معهما بجيفة فقال انهشا من هذه
الجيفة فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه فجمع بينهما
مع ان احدهما كان قائلا والآخر مستمعا وهو اما لا يبتر باستماعها الا انه لا ينكر باللسان ولا يكره
بالقلب او يبتر ويفرح باستماعها الا انه للنفاق والتزهد حملاه على عدم التصديق وربما منع
منها رياء وتزهدا مع كونه مشتهيا لها بقلبه وربما توصل بالحيل المرغبة للمغتاب في زيادة
الغيبة مع التباس الامر عليه بانه يشتهيها مثل ان يظهر التعجب ويقول عجبت منه ما علمت انه
كذلك وما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان ذلك تصديق
للمغتاب باعث لزيادة نشاطه في الغيبة فكانه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق والحاصل ان
المستمع لا يخرج عن اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه او يقطع الكلام بكلام آخر او يقوم من المجلس وان لم
يقدر على شيء من ذلك فلينكر بقلبه وان قال بلسانه اسكت وهو يشتهيه بقلبه فذلك نفاق
ولا يخرجه من الاثم ما لم يكرهه بقلبه مع عدم الخوف لا يكفي ان يشير باليد او حاجبه او جبينه اي
اسكت اذ ذلك استحقار للمذكور مع انه ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال النبي صلى الله عليه وآله من اذل
عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق وقال
من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وقال صلى الله عليه وآله ما من رجل ذكر عنده اخوه المسلم وهو
يستطيع نصره ولو بكلمة ولم ينصره الا اذله الله عز وجل في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده
اخوه المسلم فينصره نصره الله في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث
الله له ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال صلى الله عليه وآله من تطول على اخيه في غيبة سمعها عنده في مجلس

رد ذبها رد الله الف الف باب من الشر في الدنيا والاخرة وان لم يردها وهو قادر على ردها
كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة وقال الباقر عليه السلام من اغتيب عنده اخوه المؤمن فنصره واعانه نصره
الله في الدنيا والاخرة ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه اذله الله في
الدنيا والاخرة وبهذه المضامين اخبار كثيرة اخر **فصل** اعلم ان باعث الغيبة غالبا
اما الغضب او الحقد والحسد فيكون من نتايجها ومن رذائل قوة الغضب فله بواعث اخر
الاول التحقير والاستهزاء فان ذلك كما يجري في الحضور يجري في الغيبة ايضا وقد عرفت ان منشأهما
ما ذا الثاني اللعب والهزل والمطايبة فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب والمحاكات
وبالجملة ان باعث الهزل والمزاح ما ذا وانه متعلق بالقوة الشهوية الثالث ارادة الافتخار و
المباهاة بان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان لا يعلم شيئا وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك
فضل نفسه وانه افضل منه وظاهر ان منشأ ذلك التكبر او الحسد فيكون ايضا من رذايل
القوة الغضبية الرابع ان ينسب الى شيء من القبايح فيريد ان يتبرء منه بذكر الذي فعله وكان
اللازم عليه ان يبرء نفسه منه ولا يتعرض للغير الذي فعله وقد يذكر غيره بانه كان مشاركا
له في الفعل ليتمهد بذلك عذر نفسه في فعله وربما كان منشأ ذلك صغر النفس وخبثها
الخامس مرافقة الاقران ومساعدتهم على الكلام حذرا عن تنفرهم واستثقالهم اياه لولاه
فيساعدهم على اظهار عيوب المسلمين وذكر مساويهم ظنا منه انه مجاملة في الصحبة فيهلك معهم
وباعث ذلك ايضا صغر النفس وضعفها السادس ان يستشعر من رجل انه سيذكر مساويه او
يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ذلك باظهار عداوته او بتقبيح
حاله ليسقط اثر كلامه وشهادته وربما ذكره بما هو فيه قطعا بحيث يثبت ذلك عند السامع
ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ليس الكذب من عادتي فاني اخبرتكم
قبل ذلك من احواله كذا وكذا فكان كما قلت فهذا ايضا صدق كما يقدر وهذا ايضا منشأه الجبن وضعف
النفس السابع الرحمة وهو ان يحزن ويغتم بسبب ما ابتلى به غيره فيقول المسكين فلان قد
غمني ما ارتكبه من القبيح او ما حدث به من الاهانة والاستخفاف فيكون صادقا في اغتمامه
الا انه لما ذكر اسمه واظهر عيبه صار مغتابا وقد كان له الاغتمام بدون ذكر اسمه وعيبه ممكنا
فاوقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه ورحمته الثامن التعجب من صدور المنكر والغضب لله عليه
ان يرى منكرا من انسان او سمعه فيقول عند جماعة ما اعجب من فلان ان يقارف مثل هذا المنكر

او يغضب

او يغضب منه فيظهر غضبه واسمه ومنكره فانه وان كان صادقا في تعجبه من المنكر وغضبه
عليه لكن كان اللازم ان يتعجب منه ويغضب عليه ولكنه لا يظهر اسمه عند من لم يطلع بما صدر
عنه من المنكر بل يظهر غضبه عليه بالنهى عن المنكر والامر بالمعروف فمن غير ان يظهره على غيره
فلما اوقعه الشيطان في ذكره بالسوء صار مغتابا وبطل ثواب تعجبه وغضبه وصار اثما من حيث لا
يدري وهذه الثلثة الاخيرة مما يغمض دركها لان اكثر الناس يظنون ان الرحمة والتعجب و
الغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ محض اذ المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة
فيها عن ذكر الاسم دون غيرها وقد روي ان رجلا مر على قوم في عصر النبي صلى الله عليه وآله فلما جاوزهم قال
رجل منهم اني ابغض هذا الرجل لله فقال القوم والله لبئس ما قلت وانا نخبره بذلك فاخبروه به فاتى الرجل
رسول الله صلى الله عليه وآله وحكى له ما قال وسئله ان يدعوه فدعاه وسئله عما قال في حقه فقال نعم قد قلت
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تبغضه فقال انا جاره وانا به خبير والله ما رايته يصلي صلوة قط
الا هذه المكتوبة فقال يا رسول الله فاسئله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسأت الوضوء لها او
الركوع والسجود فسئله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه
كل بر وفاجر قال فاسئله يا رسول الله هل رآني افطرت فيه او نقصت منها شيئا من حقه او ما كنت فيها
طالبها الذي يسئلها فسئله فقال لا فقال والله ما رايته يعطي سائلا قط ولا مسكينا ولا رايته
ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فاسئله
هل رآني نقصت منها شيئا او ما كنت طالبها فيها الذي يسئلها فسئله فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للرجل
قم فلعله خير منك ولا ريب في ان انكار القوم عليه بعد قوله ابغضه لله يفيد عدم جواز اظهار المنكر
الصادر من شخص لغيره وان كان في مقام الغضب والبغض لله

فصل لما علمت حقيقة الغيبة و
بواعثها فاعلم انها اعظم المهلكات واشد المعاصي وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه
صاحبها باكل لحم الميتة فقال وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وقال سبحانه لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ
وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا وقال سبحانه مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقال صلى الله عليه وآله اياكم و
الغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر
له حتى يغفر له صاحبه وقال صلى الله عليه وآله مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبرئيل

في ذكر الاقوال الناشئة من ازالة الغيبة المهلكات خاصة العصمة من العظمة

المقام الرابع

من هؤلاء قال هم الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وخطبة يوما حتى اسمع العواتق في
بيوتهن فقال يا معشر من امن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم
حتى يفضحه في جوف بيته وخطبة يوما فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل
من الربوا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل واربى الربوا
عرض الرجل المسلم ومرّ على قبرين يعذب صاحبهما فقال انهما يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان
يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يستبري من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم
امر بكل كسرة فغرست على قبر وقال اما انه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين وروي انه صلعم امر
الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول
يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لافطر فيأذن له ثم الرجل ثم الرجل حتى جاء رجل فقال يا
رسول الله فتاتان من اهلي ظلتا صائمتين وانهما تستحييان ان تاتياك فاذن لهما ان تفطرا فاعرض
عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل
لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع الى النبي صلعم فاخبره فقال والذي
نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار واوحى الله الى موسى عم من مات تائبا من الغيبة
فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال صلعم من مشى
في غيبة اخيه وكشف عورته كانت اول خطوة خطاها وضعها في جهنم ومن اغتاب مسلما بطل صومه
ونقض وضوءه فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وقال صلعم الغيبة اسرع في دين الرجل
المسلم من الاكلة في جوفه وقال صلعم الجلوس في المسجد انتظار للصلوة عبادة ما لم يحدث فقيل يا رسول
الله وما الحدث قال الاغتياب وقال صلعم من اغتاب مسلما او مسلمة لم يقبل الله صلوته ولا صيامه اربعين يوما
وليلة الا ان يغفر له صاحبه وقال صلعم من اغتاب مسلما في شهر رمضان لم يوجر على صيامه وقال صلعم
من اغتاب مؤمنا بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة ابدا ومن اغتاب مؤمنا بما ليس فيه انقطعت
العصمة بينهما وكان المغتاب في النار خالدا فيها وبئس المصير وقال صلعم كذب من زعم انه ولد من حلال
وهو ياكل لحوم الناس بالغيبة فاجتنب الغيبة فانها ادام كلاب النار وقال صلعم ما عمر مجلس
بالغيبة الا خرب بالدين فنزهوا اسماعكم من استماع الغيبة فان القائل والمستمع لها شريكان
في الاثم وقال صلعم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنة العبد وقال الصادق عم من قال في مؤمن ما
رأته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة

فان من يتبع عورة اخيه يتبع الله عورته

وكشف الله عورته على رؤس الخلائق

فى الذين امنوا لهم عذاب اليم وقال عم من روى عن مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته
ليسقط من اعين الناس اخرجه من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان وقال عم من اغتاب
اخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان وقال عم الغيبة حرام على كل مسلم وانها لتاكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب والاخبار الواردة فى ذم الغيبة مما لا يكاد ان يمكن حصرها وما ذكرناه كاف لايقاظ
الطالبين والعقل ايضا حاكم بانها اخبث الرذايل وقد كان السلف لا يرون العبادة فى الصوم والصلوة
بل فى الكف عن اعراض الناس لانه كان عندهم افضل الاعمال ويرون خلافه صفة المنافقين ويعتقدون
ان الوصول الى المراتب العالية فى الجنة يتوقف على ترك الغيبة لما ورد عن رسول الله صلعم انه قال
من حسنت صلوته وكثرت عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين وما
اقبح بالرجل ان يغفل عن عيوب نفسه ويتجسس عيوب اخوانه المسلم ويظهرها بين الناس فما باله يبصر القذا فى
عين اخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه فيا حبيبى اذا اردت ان تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوبك
وتيقن بانك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح ذلك
العيب واذا كان شغلك اصلاح عيوب نفسك كان شغلك فى خاصة نفسك ولم يكن لك فرصة للاشتغال
بغيرك وح كنت من احب العباد الى الله لقول النبى صلعم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وان علم
ان عجز غيرك فى الاجتناب عن ذلك العيب وصعوبة اثره عليه كعجزك عن الاجتناب عنه ان كان ذلك
العيب فعلا اختياريا وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق تعالى فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها
قيل لبعض الحكماء يا قبيح فقال ما كان خلق وجهى الى فاحسنه ولو فرض برائتك عن جميع العيوب
فلتشكر الله ولا تلوث نفسك باعظم العيوب اذ اكل لحوم الميتات اشد العيوب واقبحها مع انك
لو ظننت خلوك عن جميع العيوب لكنت اجهل الناس ولا عيب اعظم من مثل هذا الجهل ثم ينبغى ان يعلم
المغتاب ان الغيبة يحبط حسناته ويزيد فى سيئاته لما ثبت من الاخبار الكثيرة ان الغيبة ينقل حسنات
المغتاب يوم القيمة الى من اغتابه وان لم يكن له حسنة نقل اليه من سيئاته قال رسول الله صلعم يؤتى باحد
يوم القيمة فيوقف بين يدى الله تعالى ويدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول الهى ليس هذا كتابى فانى لا
ارى فيه طاعتى فيقول له ان ربك لا يضل ولا ينسى ذهب عملك باغتياب الناس ثم يؤتى
باخر ويدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول الهى ما هذا كتابى فانى ما عملت هذه
الطاعات فيقول له ان فلانا اغتابك فدفعت حسناته اليك وفى معناه اخبار اخر ولا ريب فى
ان العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه سيئة واحدة مما اغتابه مسلما

فيحصل به الرجحان ويدخل لاجله النار واقل ما في الباب ان ينقص من ثواب صالحات اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والمناقشة في الحساب وروي عن بعضهم ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام والحاصل ان العاقل ينبغي ان يتامل في امر من يغتابه ان كان صديقا ومحبا له فاظهار عيوبه وعثراته بعيد عن المروة والانصاف وان كان عدوا له فتحمل خطاياه ومعاصيه ونقل حسناته الى ديوانه غاية الحماقة والجهل

فصل الطريق في علاج الغيبة وتركها ان يتذكر اولا ما تقدم من مفاسدها الاخروية ثم يتذكر مفاسدها في الدنيا فانه قد يصل الغيبة الى من اغتيب فيصير منشأ لعداوته او لزيادة عداوته فيتعرض لايذاء المغتاب واهانته وربما انجر الامر بينهما الى ما لا يمكن تداركه من الضرب والقتل وامثال ذلك ثم يتذكر فوائد اضدادها كما اشير اليها وبعد ذلك فليراقب لسانه ويقدم التروي في كل كلام يريد ان يتكلم به فان تضمن غيبة سكت عنه ويكلف نفسه ذلك على الاستمرار حتى يرتفع عن نفسه الميل الجلي والخفي الى الغيبة والعمدة في العلاج ان يقطع اسبابها المذكورة وقد تقدم علاج الغضب والحقد والحسد والاستهزاء والسخرية ويأتي طريق العلاج في الهزل والمطايبة والافتخار والمباهات واما تنزيه النفس بنسبة ما نسب اليه من الجناية الى الغير فعلاجه ان يعلم ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت المخلوق ومن اغتاب تعرض لمقت الله وسخطه قطعا ولا يدري انه يتخلص من سخط الناس ام لا فيحصل بجهله ذم الله وسخطه نقدا وينتظر دفع ذم الناس نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما تعرضه لمشاركة الغير في الفعل تمهيدا لعذر نفسه كان يقول اني اكلت الحرام لان فلانا ايضا اكل وقبلت مال السلطان لان فلانا ايضا قبل مع انه اعلم مني فلا ريب في انه جهل وسفه لانه اعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز به الاقتداء فان من خالف الله لا يقتدى به كائنا من كان فلو دخل غيره النار وهو يقدر على عدم الدخول فهل يقتدي به في الدخول ولو دخل عد سفيها احمقا ففعله معصية وعذره غيبة وغباوة فجمع بين المعصيتين والحماقة ومثله كمثل الشاة اذا نظرت الى العنز تردي نفسها من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق واعتذرت عن فعلها بان العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك فعلت انا لكان هذا الغبي المعتذر يضحك عليها مع ان حاله مثل حالها ولا يضحك على نفسه والعجب ان بعض الاشقياء من العوام لما صار قلوبهم عش الشيطان وصرفوا اعمارهم في المعاصي واشتغلت ذممهم بمظالم الناس

تفصيل العلاج بقمع الغيبة اجمالا وفي ضمنه الزامات على اهل الغي والضلالة

بحيث لا يرجى لهم الخلاص مالت نفوسهم الخبيثة الى ان لا يكون معاد وحساب وحشر وعقاب
ولما وجد ذلك المبتلى منهم اللعين فخرج من الكمين ووسوس في صدورهم بانواع الشكوك
والشبهات حتى ضعف بها عقائدهم او افسدها في مقام الاعتذار عن اعمالهم الخبيثة ان لا يظهروا
ما ارتكز في قلوبهم ويسترونه خوفا من القتل واجراء احكام الكفار عليهم ولم يدعهم ابليس بتلبيسهم و
تزويرهم وغلبة الشيطنة عليهم ان يعترفوا بالتقصير وسوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على ان
يعتذروا من سوء فعالهم بان بعض العلماء يفعلون ما نفعل ولا يجتنبون عن مثل اعمالنا من
طلب الرئاسة واخذ الاموال المحرمة ولم يدروا ان هذا القول ناش من جهلهم وخباثتهم
اذ نقول لهم ان فعل هذا البعض ان صار منشأ لزوال ايمانكم بالمعاد والحساب فانتم كافرون و
باعث اعمالكم الخبيثة هو الكفر وعدم الاذعان باحوال النشأة الآخرة وان لم يصر منشأ بل ايمانكم
ثابت فاللازم عليكم العمل بمقتضاه من غير تزلزل بعمل الغير كائنا من كان فما الحجة في عمل
هذا البعض مع اعتقادكم بانه على الباطل وايضا لو كان باعث اعمالكم الخبيثة فعل العلماء
فلم اقتديتم بهذا البعض مع عدم كونه من علماء الآخرة وعدم اطلاعه على حقيقة العلم ولو كنتم
صادقين فيما تنسبون اليه فهو المتآكل بعلمه وانما حصل نبذا من علوم الدنيا ليتوسل بها
الى حطامها ولا يعد مثله عند اولي الالباب عالما بل هو متشبه بالعلماء ولم ما اقتديتم بعلماء
الآخرة المتخلفين لسيرتهم عن الدنيا وحطامها وانكار وجود مثلهم والقدح في الكل مع كثرتهم
وانتشارهم في اقطار الارض غاية اللجاج والعناد ولو سلمنا منكم ذلك فلم ما اقتديتم بطوائف الانبياء
والاوصياء مع انهم اعلم الناس باتفاق الكل وحقيقة العلم ليس الا عندهم فان انكروا اعلميتهم و
عصمتهم من المعاصي واحتملوا كونهم امثالهم ظهر ما في بواطنهم من الكفر الخفي واما موافقة
الاقران فعلاجه ان يتذكر ان الله يسخط عليه ويغضبه اذا اختار رضا المخلوقين على رضاه و كيف
يرضى المؤمن ان يترك رضا ربه لرضا بعض اراذل الناس وهل هذا الا كونه تعالى اهون عنده منهم و
هو ينافي الايمان واما استشعار من جعل انه يقبح عند محتشم حاله او يشهد عليه بشهادة فيبادره
بالغيبة اسقاطا لاثر كلامه فعلاجه ان يعلم اولا ان مجرد الاستشعار لا يستلزم الوقوع فلعله
لا يقبح حاله ولا يشهد عليه فان يؤاخذه بمحض التوهم ينافي الديانة والايمان وثانيا ان اقتضاء
قوله سقوط اثر كلام من اغتابه في حضرة مجرد التوهم فالتعرض لمقت الله يقينا بمجرد توهم ترتب فائدة
دنيوية عليه محض الجهل والحماقة وثالثا ان تأدي فعل الغير اعني تقبيح حاله عند محتشم مع فرض

وامّا اذا كانت معه غيبة

دوعه والى اضراره فى حيز الشّك اذ ربما لم يقبله المحتشم و ربما لم يقبل شهادته شرعا فتقبيح حاله ويحمل معاصيه بدون الجزم بصيرورته سببا لابتلائه محض الجهل والخذلان وامّا الرّحمة له على اثمه والتعجب منه والغضب لله عليه وان كان كل منها حسنا الّا انه اذا لم يكن معه غيبة احبط اجره وبقى اثمها فالعلاج ان يتأمّل ان باعث الرّحمة والتعجب والغضب هو الايمان وحماية الدّين واذا كان معها غيبة اضرّت بالدّين والايمان وليس شئ من الامور الثّلثة ملزوما للغيبة لامكان تحققها بدونها فمقتضى الايمان وحماية الدّين ان يترحّم ويتعجّب ويغضب لله مع ترك الغيبة واظهار الاثم والعيب ليكون ماجورا غير اثم

فصل لما عرفت ان الغيبة ذكر الغير بما يكرهه لو سمعه فاعلم ان ذلك انّما يحرم اذا قصد به هتك عرضه والتفكه به او اضحاك النّاس منه وامّا اذا كان ذلك لغرض صحيح لا يمكن التوصل اليه الّا به فلا يحرم والاغراض الصّحيحة المرخّصة له امور الاوّل التظلم عند من له رتبة الحكم واحقاق الحقوق كالقضاة والمفتين والسلاطين فان نسبة الظّلم والسّوء الى الغير عندهم لاستيفاء الحقّ جائز لقول النبى صلى الله عليه وآله لصاحب الحقّ مقال وقوله صلى الله عليه وآله لىّ الواجد يحلّ عرضه وعقوبته وعدم انكاره صلى الله عليه وآله على قول هند بحضرته ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى اياى وولدى فآخذ من غير علمه وقوله صلى الله عليه وآله لها خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف الثّانى الاستعانة على دفع المنكر وردّ المعاصى الى الصّلاح وانّما يستباح بهذا ذكر مساويه بالقصد الصّحيح لا بدونه الثالث نصح المستشير فى التزويج وايداع الامانة وامثالهما وكذلك جرح الشّاهد والمفتى والقاضى اذا سئل عنهم فله ان يذكر ما يعرفه من عدم العدالة والاهليّة للافتاء والقضاء بشرط صحة القصد وارادة الهداية وعدم باعث حسد او تلبيس من الشيطان وكذلك توقية المسلمين من الشرّ والضّرر وسراية الفسق والبدعة فان من رأى عالما او غيره من المؤمنين يتردّد الى ذى شرّ او فاسق او مبتدع وخاف ان يتضرّر ويتعدّى اليه الفسق والبدعة بمصاحبتهم يجوز له ان يكشف له ما يعرفه من شرّه وفسقه وبدعته بشرط كون الباعث مجرّد خوف وصول الشرّ والضّرر او سراية الفسق والبدعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله اترعوون عن ذكر الفاجر حتّى لا يعرفه النّاس اذكروه بما فيه يحذره النّاس ومن جملة ما يدخل فى تحذير المسلمين وتوقيهم من الشرّ والضّرر اظهار عيب يعلمه فى مبيع وان كره البايع حفظا للمشترى من الضّرر مثل ان يشترى عبدا وقد عرفه بالسّرقة او الفسق او عيب آخر او فرسا وقد عرفه بكونه مال الغير فله ان يظهر ذلك لاستلزام سكوته ضررا على المشترى الرّابع ردّ من ادّعى نسبا ليس له الخامس القدح فى مقالة او دعوى باطلة فى الدين السّادس الشّهادة

بقية المستثنيات من الغيبة وخروجها عنها ونقل اخبار الشائع وذكر سبب حكم الحرمة لبعض الافراد

على فاعل المحرم حسبة الشائع ضرورة التعريف فانه اذا كان احد معروفا بلقب يعرب عن عيب وقف تعريفه عليه لم يكن اثم على ذكره بشرط عدم امكان التعريف بعبارة اخرى لفعل الرواة والعلماء في الاعصار والامصار فانهم يقولون روى الاعمش والاعرج وغير ذلك لان الغالب صيرورته بحيث لا يكرهه صاحبه الثامن كون المقول فيه مستحقا للاستخفاف لتظاهره وتجاهره بفسق كالظلم والزنا وشرب الخمر وغير ذلك بشرط عدم التعدي عما يتظاهر به لكان اثما واما اذا ذكر منه مجرد ما يتجاهر به فلا اثم عليه اذ صاحبه لا يستنكف من ذكره وربما يتفاخر به ويقصد اظهاره ومع قطع النظر عن ذلك فالاخبار دالة عليه كما تقدم جملة منها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال صلى الله عليه وآله ليس لفاسق غيبة والظاهر ان ذكر ما يتجاهر به من العيوب ليس غيبة لا شرعا ولا لغة لا انه غيبة استثني جوازها شرعا قال الجوهري الغيبة ان يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه فان كان صدقا سمي غيبة وان كان كذبا سمي بهتانا هذا وقد صرح جماعة بجواز الغيبة في موضعين آخرين احدهما ان يكون اثنان او اكثر مطلعين على عيب رجل فيقع تحاكيه بينهم من غير ان يظهروه لغيرهم ممن لم يطلع عليه وفي بعض الاخبار المتقدمة دلالة على جوازه كما لا يخفى وثانيهما ان يكون متعلقها اعني المقول فيه غير محصور كان يقال قال قوم كذا او اهل البلد الفلاني كذا ومثله اذا قال بعض الناس يقول او يفعل كذا او من مر بنا اليوم شانه كذا اذا لم يتعين البعض المار عند المخاطب لو انتقل الى شخص معين لقيام بعض القرائن كانت غيبة محرمة وكذا لو قال بعض من قدم من السفر او بعض من يدعي العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة والا فلا وكذا اذا ذكر مصنف في كتابه فاضلا معينا وقبح من كلامه بلا اقتران شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره غيبة واما لو ذكره بدون تعيينه كان يقول قال بعض الفضلاء من صدر عنه في المقام هفوة او عثرة فليس غيبة ثم السر في اشتراط الغيبة بكونه تعريفا لشخص معين وعدم كون التعريض بالمبهم وغير المحصور غيبة عدم حصول الكراهة مع الابهام وعدم الانحصار كما لا يخفى وربما كان في بعض الاخبار ايضا اشعار به وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا كره من انسان شيئا يقول ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا من دون تعيين للفاعل **تذنيب** كفارة الغيبة بعد التوبة والندم للخروج عن حق الله ان يخرج من حق من اغتابه وطريق الخروج من حقه ان كان ميتا او غائبا لم يمكن الوصول اليه ان يكثر له من الاستغفار والدعاء ليحسب له يوم القيمة من حسناته ويقابل بها سيئة الغيبة وان كان حيا يمكن الوصول اليه ولم يبلغ اليه الغيبة وكان في بلوغها اليه مظنة العداوة

او لو ذكره بغيرها يتظاهر به

الفتنة فليكثر له ايضا من الدعاء والاستغفار من دون ان يخبره بها وان بلغت اليه او لم يبلغ ولم يكن في بلوغها مظنة الفتنة والعداوة فليستحله معتذرا متأسفا مبالغا في الثناء عليه والتودد اليه و ليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه من ذلك ولم يحلله كان اعتذاره وتودده حسنة يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة والدليل على هذا التفصيل قول الصادق (ع) انك ان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه وان لم تلحقه فاستغفر الله وذلك لان في الاستحلال مع عدم البلوغ اليه اثارة الفتنة وجلب للضغاين وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه بموت وغيبة وعلى هذا فقول النبي (ص) كفارة من اغتبته ان تستغفر له محمول على صورة عدم امكان الوصول اليه او امكانه مع ايجاب الاعلام والاستحلال لاثارة الفتنة والعداوة وقوله (ص) من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته محمول على صورة البلوغ او عدم البلوغ مع عدم ايجاب الاعلام والاستحلال فتنة وعداوة **تتميم** قد ظهر مما تقدم ان البهتان ان تقول في مسلم ما يكرهه ولم يكن فيه فان كان ذلك في غيبته كان كذبا وغيبة وان كان بحضوره كان اشد انواع الكذب وعلى اي تقدير فهو اشد اثما من الغيبة والكذب قال الله سبحانه وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا وقال رسول الله (ص) من بهت مؤمنا او مؤمنة او قال فيه ما ليس فيه اقامه الله على تل من النار حتى يخرج مما قاله فيه وقال (ع) من بهت مؤمنا او مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال قلت وما طينة خبال قال صديد يخرج من فروج المومسات ثم ما ورد في ذم اللسان وكونه شر الاعضاء ومنبع اكثر المعاصي كما ياتي في موضعه يدل على ذم الغيبة والبهتان كما يدل على ذم جميع آفات اللسان مما تقدم من الفحش والطعن واللعن والسخرية وغير ذلك وما ياتي من الكذب والمزاح والخوض في الباطل وفضول الكلام وغير ذلك **وصل** الغيبة لما كانت راجعة الى الذم فضدها المدح ودفع الذم والبهتان لما كان كذبا فضده الصدق وكما ان لكل واحد من آفات اللسان مما مر ومما ياتي ضدا خاصا فكذلك لجميعها ضد واحد عام هو الصمت كما اشير اليه فيما سبق ويأتي وضد البهتان اعني الصدق ياتي في بيان مقام الكذب واما الضد العام للكل فقد ياتي في موضعه مع ما يدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان فهنا نشير الى بيان المدح وما يحمد منه حتى يكون ضدا لها وفضيلة للقوة الغضبية او الشهوية وما يذم منه حتى يكون رذيلة لاحد مما تقدم

ذكر المدح في مقابلة الغيبة وبيان مواضع المدح بحسبها وآفاته

لا ريب في ان مدح المؤمن في غيبته وحضوره بممدوح مندوب اليه لكونه ادخالا للسرور
عليه وقد علم مدحه وثوابه ولما ورد من ان رسول الله صلى الله عليه وآله اثنى على اصحابه وانه قال لجماعة لما
اثنوا على بعض الموتى وجبت لكم الجنة وانتم شهداء الله في الارض ولما ورد من ان لبني
ادم جلساء من الملائكة فاذا ذكر احد اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره
بسوء قالت الملائكة يا ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك ولكنه
ليس راجحا مندوبا على الاطلاق بل اذا سلم من آفاته وهي ان يكون صدقا لا يفرط المادح فيه بحيث ينتهي
الى الكذب وان لا يكون المادح فيه مرائيا منافقا بان يكون غرضه اظهار الحب مع عدم كونه محبا في الواقع
سواء كان صادقا فيما ينسبه اليه من المدح ام لا وان لا يمدح الظالم والفاسق وان كان صادقا فيما
يقول في حقه لانه يفرح بمدحه وادخال الفرح على الظالم او الفاسق غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح وان لا
يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه وهذه الآفة انما تتطرق في المدح بالاوصاف
المطلقة والخفية كقولك انه تقي وورع زاهد خير او قولك انه عدل رضي وامثال ذلك لتوقف
الصدق في ذلك على قيام الادلة والخبرة الباطنة وتحققها في غاية الندرة فالغالب ان المدح بامثال
ذلك يكون من غير تحقق وتثبت وان لا يحدث في الممدوح كبرا او اعجابا يوجبان هلاكته ولا
رضى عن نفسه يوجب فتوره عن العمل اذ من اطلقت الالسنة عليه بالثناء يرضى عن نفسه ويظن انه
قد ادرك وهذا يوجب فتوره عن العمل اذ المتشمر له انما هو من يرى نفسه مقصرا ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل مدح بحضرته رجلا آخر ويحك قطعت عنق صاحبك اذ لو سمعها ما افلح
وقال صلى الله عليه وآله اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه الموسى وقال ايضا لمن مدح
رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال صلى الله عليه وآله لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له
من ان يثني عليه في وجهه والسر في هذه الاخبار ان المدح يوجب الفتور عن العمل او الكبر او العجب وهو
مهلك كقطع العنق والعقر وامرار الموسى والسكين على الحلق وبذلك يظهر وجه ما قيل ان
المدح الذبح فان سلم المدح عن الآفات المذكورة المتعلقة بالمادح والممدوح كان ممدوحا والا
كان مذموما وبذلك يحصل الجمع بين ما ورد في ذمه كما تقدما فاللازم على المادح ان يحترز
عما تقدم من الآفات المتعلقة به وعلى الممدوح ان يحترز من آفة الكبر والعجب والفتور والرياء
بان يعرف نفسه ويتذكر خطر الخاتمة ولا يغفل عن دقائق الرياء ويظهر كراهة المدح

بما ورد في ذمه

لوامع المقام

واليه الاشارة بقوله ص احثوا التراب في وجوه المداحين وبالجملة اللازم على الممدوح ان لا يقاس حاله بالمدح وهذا فرع معرفته بنفسه وتذكر ما لا يعرفه المادح من عثراته وينبغي ان يظهر انه لو عرفوه قال بعض الصالحين لما اثني عليه اَللّٰهُمَّ اِنَّ هٰؤُلَاۤءِ لَا يَعْرِفُونِي وَاَنْتَ تَعْرِفُنِي و قال امير المؤمنين ع لما اثني عليه اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ ثم الظاهر عدم المؤاخذة والاثم بالانبساط والارتياح بالمدح لكون النفوس مجبولة على الفرح والسرور بنسبة الكمال اليها ولكن بشرط ان يكره ذلك من نفسه الارتياح ويقهر نفسه ويعاتبها على ذلك ويجتهد في ازالة ذلك عنها اذ مقتضى العقل الفرح بوجود الكمال له لا بنسبته اليه منه ان كان موجودا له فينبغي ان يكون فرحه به لا بنسبته اليه اذ لا نسبة فما ينسب اليه بتصريح رجل بانك صاحب هذا الكمال حمق وسفه وان لم يكن موجودا فيه فاللازم ان يحزن و يغضب لكونه استهزاء لا مدحا والحاصل ان العاقل ينبغي ان لا يسر بمدح الغير ولا يحزن بذمه اذ من ملك ياقوتة شريفة حمراء اي ضرر عليه اذا قال رجل انها خرزة واذا ملك خرزة اي فائدة له اذا قال له انها ياقوتة ومنها الكذب وهو اما في القول اي الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه وصدوره اما عن العداوة او الحسد او الغضب فيكون من رذائل قوة الغضب ومن حب المال والطمع او الاعتياد الحاصل من مخالطة اهل الكذب فيكون من رذائل قوة الشهوة او في النية والارادة وهو عدم تمحيضها بان لا يكون الله سبحانه بانفراده باعث طاعاته وحركاته بل يمازجه شيء من حظوظ النفس وهذا يرجع الى الرياء ويأتي كونه من رذائل اي قوة واما في العزم اي الجزم الذي على الخير وذلك بان يعزم على شيء من الخيرات والقربات ويكون في عزمه نوع ميل وضعف وتردد يضاد الصدق في العزيمة وهذا ايضا من رذائل قوة الشهوة واما في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا ايضا من رذائل قوة الشهوة ومن انواع الشر واما في الاعمال وهو ان يدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به اي لا يكون باطنه مثل ظاهره ولا خيرا منه وهذا غير الرياء لان المرائي هو الذي يقصد غير الله تعالى في اعماله ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره سبحانه ولكن قلبه غافل عن الله وعن الصلوة فمن نظر الى ما يصدر عن ظاهره من الخشوع والاستكانة يظن انه بتمامه منقطع الى جناب ربه وحده فما سواه عن صحيفة قلبه وهو بالكلية عنه تعالى غافل والى امر من امور الدنيا متوجه وكذلك قد يمشي

في بيان الكذب من نوعي الرذائل

فى درجات الكذب وتنوعه باعتبار المقامات والاشارة الى انواع غيرها وطرق النجاة عنه

الرجل على هيئة الطمانينة والوقار بحيث من يراه يجزم بانه صاحب السكينة والوقار مع ان باطنه ليس موصوفا بذلك فمثل ذلك كاذب فى عمله وان لم يكن مرائيا ملتفتا الى الخلق ولا نجاة من هذا الكذب الا باستواء السريرة والعلانية او كون الباطن احسن من الظاهر وهذا القسم من الكذب ربما كان من رذائل قوة الشهوة وربما كان من رذائل قوة الغضب ربما كان من رذائل القوة المدركة بان كان باعثه مجرد الوساوس واما فى مقامات الدين كالكذب فى الخوف والرجاء والزهد والتقوى والحب والتعظيم والتوكل والتسليم وغير ذلك من الفضائل الخلقية فان لها مبادى يطلق الاسم بظهورها ثم لها حقايق ولوازم وغايات والصادق المحقق من نال حقايقها ولوازمها وغاياتها فمن لم يبلغها كان كاذبا فيها مثلا الخوف من الله تعالى له مبدء هو الايمان به سبحانه وحقيقته هو تالم الباطن واحتراقه ولوازم وآثار هى اصفرار اللون وارتعاد الفرائص وتكدر العيش وتقسم الفكر وغير ذلك وغايات هى الاجتناب عن المعاصى والسيئات والمواظبة على الطاعات والعبادات فمن امن بالله تعالى صدق عليه كونه خائفا منه خوفا يطلق عليه الاسم الا انه ان لم يكن معه حرقة القلب وتكدر العيش والتشمر للعمل كان خوفا كاذبا وان كان معه ذلك كان خوفا صادقا اى بالغا درجة الحقيقة قال امير المؤمنين اياكم والكذب فان كل راج طالب وكل خائف هارب اى لا تكذبوا فى ادعائكم الرجاء والخوف من الله وذلك لان كل راج طالب لما يرجوا ساع فى اسبابه وانتم لستم كذلك وهذا مثل قولهم كذب فى الله العظيم ما باله لا يتبين رجاؤه فى عمله وكل من رجا عرف رجاؤه الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول الحديث ثم الكذب فى كل مقام لما كان راجعا الى عدمه فيكون رذيلة متعلقة بالقوة التى فى هذا المقام فضيلة متعلقة بها وبما ذكر يظهر ان من كان له مبدأ الايمان اعنى الاقرار بالشهادتين وكان فاقد الحقيقة اعنى اليقين القطعى بالمبدء والمعاد او للوازمه وغاياته اعنى الخوف الصادق منه تعالى والتعظيم الحقيقى له سبحانه والاهتمام البالغ فى امتثال اوامره ونواهيه كان كاذبا فى دعوى الايمان.

فصل

الكذب اقبح الذنوب وافحشها واخبث العيوب واشنعها قال الله سبحانه اِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وقال سبحانه فَاَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ اِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا اَخْلَفُوا اللّٰهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وقال رسول الله صلعم اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وقال صلعم المؤمن اذا كذب بغير عذر لعنه سبعون الف ملك وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية اهونها

وكل خائف هارب مما يخاف منه [illegible] ليس كذلك

ثم ذكر ما ورد من آيات الكتاب واخبار آل العصمة صلوات الله عليهم في ذم الكذب والفرية

كمن يزني مع امه وسئل عنه ص هل يكون المؤمن جبانا قال نعم قيل ويكون بخيلا قال نعم قيل ويكون كذابا
قال لا وقال صلى الله عليه وآله كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب و
قال ص الكذب ينقص الرزق وقال ص ويل للذي يحدث ويكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له
وقال ص رايت كان رجلا جائني وقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس
وبيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب
الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في
قبره الى يوم القيمة وقال ص الا اخبركم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول
الزور اي الكذب وقال ص ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال ص
ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وقال
روح الله لاصحابه من كثر كذبه ذهب بهاؤه وقال امير المؤمنين ع لا يجد العبد طعم الايمان حتى
يترك الكذب هزله وجده وقال ع اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة
يوم القيمة وقال علي بن الحسين عليهما السلام اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل
فان الرجل اذا كذب في الصغير اجترء على الكبير وقال ابو جعفر ع ان الله تع جعل للشر اقفالا
وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب والكذب شر من الشراب وقال ع ان الكذب هو خراب الايمان
وقال ع ان اول من يكذب الكذاب الله ثم الملكان اللذان معه ثم هو يعلم انه كذاب وقال الامام
الزكي العسكري ع جعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحها الكذب والاخبار الواردة
في ذم الكذب اكثر من ان تحصى واشد انواع الكذب اثما ومعصية الكذب على الله وعلى رسوله وعلى
الائمة وكفى ذما انه يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة على الاقوى قال الصادق عليه السلام
ان الكذبة لتفطر الصائم قال الراوي واينا لا يكون ذلك منه قال ليس حيث ذهبت انما ذلك الكذب
على الله تعالى وعلى رسوله وعلى الائمة عليهم السلام وقال ع الكذب على الله وعلى رسوله من الكبائر وذكر عنده
الحائك وكونه ملعونا فقال ذاك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله وقال الباقر ع لا تكذب علينا كذبة
فتسلب الحنيفية

فصل

الكذب حرام لما فيه من الضرر على المخاطب وعلى غيره اولا بايجاب
اعتقاد المخاطب خلاف الواقع فيصير سببا لجهله وهذا القسم مع كونه اهون الدرجات واقلها اثما
محرم ايضا اذ القاء خلاف الواقع على الغير وسببية جهله غير جائز الا انه اذا كان مما يتوقف عليه تحصيل
مصلحة مهمة ولم يكن التوصل اليها بالصدق زال حرمته وارتفع اثمه فان كانت المصلحة مما يجب تحصيله

كانقاذ مسلم من القتل والاسر وحفظ عرضه او ماله المحترم كان الكذب فيه واجبا وان كانت راجحة
غير بالغة حد الوجوب فالكذب لتحصيلها مباح او راجح كالاصلاح بين الناس والغلبة على
العدو في الحرب وتطييب خاطر امرأته واسترضائها وقد وردت الاخبار المتكثرة بجواز الكذب اذا
توقف عليه تحصيل هذه المقاصد الثلاثة كما روى ان رسول الله صلعم لم يرخص في شيء من الكذب
الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته
والمرأة تحدث زوجها وقال صلعم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وقال صلعم كل الكذب
يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وقال صلعم كل الكذب مكتوب كذبا لا
محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته
يرضيها وقال صلعم لا كذب على مصلح وقال ع اذا حدثتكم عن رسول الله فلان اخر من السماء
احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة وقال الصادق ع كل
كذب مسؤل عنه صاحبه يوما الا في ثلثة رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه ورجل اصلح بين
اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح فيما بينهما ورجل وعد اهله شيئا
وهو لا يريد ان يتم لهم وقال ع الكلام ثلثة صدق وكذب واصلاح بين الناس قيل
له ما الاصلاح بين الناس قال تسمع في الرجل كلاما يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه وتقول قد
سمعت من فلان فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه وقد تقدمت اخبار اخر في هذا المعنى و
هذه الاخبار وان اختصت بالمقاصد الثلثة الا ان غيرها من المقاصد الضرورية التي فوقها او مثلها
في المصلحة يلحقها من باب الاولوية او اتحاد الطريق والاخبار التي وردت في ذم هتك الستر وكشف
العيوب والفواحش يفيد وجوب القول بعدم الاطلاع وان كان مطلعا مع كونه كذبا فلا اثم على احد
لصدور الكذب عنه اذا كان وسيلة الى شيء من المقاصد الصحيحة الضرورية له او لغيره من المسلمين
فان اخذه من المسلمين ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره وان اخذه سلطان ويسأله عن فاحشة
ارتكبها بينه وبين الله فله ان ينكر وان سئل عما يعلمه من عيب اخيه او سره فله ان ينكره ولو وقع
بين اثنين فساد فله ان يكذب توسلا الى الاصلاح بينهما وكذا يجوز للاصلاح بين الضرات من نسائه
ان يظهر لكل واحدة انها احب اليه وان كانت امرأته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه يجوز ان
يعدها في الحال تطييبا لقلبها وان لم يكن صادقا في وعده ويلحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا
لم يرغب فيما يؤمر به من الكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كان ذلك جائزا وان لم يكن في نيته

امير المؤمنين

الوفاء به وكذا لو تكدر منه انسان وكان لا يطيب قلبه الا بالاعتذار اليه بانكار ذنب واظهار زيادة
تودد كان ذلك جائزا وان لم يكن صدقا والحاصل ان الكذب لدفع ضرر او شر او فساد جائز
بشرط صحة القصد وقد ورد ان الكذب المباح يكتب ويحاسب عليه لتصحيح قصده فان كان
قصده صحيحا يعفى عنه والا يؤاخذ به فينبغي ان يجتهد في تصحيح قصده وان يحترز عنه ما لم يضطر اليه
ويقتصر فيه على حد الواجب لا يتعداه الى ما يستغنى عنه ولا ريب في ان ما يجب ويضطر اليه هو الكذب
لامور في فواتها محذور واضرار وليس كل الكذب لزيادة المال والجاه وغير ذلك مما يستغنى عنه
فانه محرم قطعا اذ فواته لا يوجب ضررا ولا فسادا واعداما للموجود بل انما يوجب فوات حظ من حظوظ
النفس وكذلك فتوى العالم بما لا يتحققه وفتوى من ليس له اهلية الافتاء اظهارا للفضل او
طلبا للجاه والمال بل هو اشد انواع الكذب اثما وحرمة لانه مع كونه كذبا لما يستغنى عنه كذب
على الله وعلى رسوله فالكذب اذا كان وسيلة الى ما يستغنى عنه حرام مطلقا واذا كان وسيلة
الى ما لا يستغنى عنه ينبغي ان يوازن محذور الكذب مع محذور الصدق فيترك اشدهما وقعا
في نظر الشرع وبيان ذلك ان الكذب في نفسه محذور والصدق في المواضع المذكورة يوجب محذورا فينبغي ان
يقابل احد المحذورين بالاخر ويوازنا بالميزان القسط فان كان محذور الكذب اهون من
محذور الصدق فله الكذب وان كان محذور الصدق اهون وجب الصدق وقد يتقابل المحذوران
بحيث يتردد فيهما فالميل الى الصدق اولى اذ الكذب اصله الحرمة وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة واذا
شك في كون الحاجة مهمة لزم الرجوع الى اصل التحريم **تنبيه** كل موضع يجوز فيه الكذب ان
امكن عدم التصريح به والعدول الى التعريض والتورية كان الاولى ذلك وما قيل ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب وان فيها ما يغني الرجل عن الكذب ليس المراد به انه يجوز التعريض بدون حاجة
واضطرار اذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به لان المحذور من الكذب تفهيم الشيء على
خلاف ما هو عليه في نفسه وهذا موجود في الكذب بالمعاريض فالمراد ان التعريض يجوز اذا اضطر الانسان
الى الكذب ومست الحاجة اليه واقتضته المصلحة في بعض الاحوال في تاديب النساء والصبيان
ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة والاشرار وفي قتال الاعداء فمن اضطر الى الكذب في شيء من ذلك
فهو جائز له لان نطقه فيه انما هو على مقتضى الحق والدين فهو في الحقيقة صادق وان
كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لصدق نيته وصحة قصده وارادته الخير والصلاح فمثل هذا
النطق لا يكون خارجا عن حقيقة الصدق اذ الصدق ليس مقصودا لذاته بل للدلالة على الحق

باب في تبديل الكذب الصريح بالتعريض والتورية عند حصول الغرض الصحيح

فلا ينظر الى قالبه وصورته بل الى معناه وحقيقته نعم ينبغي له في هذه المواضع ان يعدل الى المعاريض
ما وجد اليها سبيلا لصدق اللفظ ايضا وان كان مشاركا مع التصريح في تفهيم الشيء على خلاف
ما هو عليه في الواقع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا توجه الى سفر ورّاه بغيره لئلا ينتهي الخبر الى الاعداء
فيقصدونه ومما يدل على جواز التعريض مع صحة النية ما روي في الاحتجاج انه سئل الصادق عليه السلام عن
قول الله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون قال ما فعله
كبيرهم وما كذب ابرهيم قيل وكيف ذلك فقال انما قال ابرهيم فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اي
ان نطقوا فكبيرهم فعل وان لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئا فما نطقوا وما كذب ابرهيم عليه السلام
وسئل عن قوله تعالى في سورة يوسف ايتها العير انكم لسارقون قال انهم سرقوا يوسف عن
ابيه الا ترى انه قال لهم حين قالوا ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولم يقولوا
سرقتم صواع الملك انما سرقوا يوسف عن ابيه وسئل عن قول ابرهيم فنظر نظرة في
النجوم فقال اني سقيم قال ما كان ابرهيم سقيما وما كذب انما عنى سقيما في دينه اي مرتادا
وطريق التعريض والتورية ان يخبر المتكلم المخاطب بلفظ ذي احتمالين احدهما غير مطابق
في الواقع واظهر في المقام فيحمله المخاطب عليه وثانيهما مطابق له يريده المتكلم كما ظهر من خبر
الاحتجاج ومن امثلته انه اذا طلبك ظالم وانت في دارك ولا تريد الخروج اليه ان تقول
لاحد ان يضع اصبعه في موضع ويقول ليس ههنا واذا بلغ عنك شيء الى رجل واردت تطييب قلبه
من غير ان تكذب تقول ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء على ان يكون لفظ ما عندك
للابهام وعند المستمع للنفي وقد ظهر مما ذكر ان كل تعريض لغرض باطل كالتصريح في عدم الجواز
لان فيه تغريرا للغير على ظن كاذب نعم قد يباح المعاريض لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح
كقول النبي صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير وقس عليه امثال ذلك ومن
الكذب الذي يجوز ولا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقولك قلت لك كذا مأة مرة
وامثال ذلك لانه لا يراد بذلك تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة
واحدة كان كاذبا وان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مأة ومن الكذب
الذي لا اثم عليه ما يكون من انواع المجاز والاستعارات والتشبيهات اذ الغرض تفهيم نوع من
المناسبة والمبالغة لا دعوى الحقيقة والمساواة من جميع الجهات ومن الكذب الذي جرت
العادة به وبيننا هذا وقول الرجل اذا قيل له كل الطعام لا اشتهيه مع كونه مشتهيا له و

وطلبتك مأة مرة

المقام الرابع في ذمّ شهادة الزور واليمين الكاذبة وخلف الوعد وعدّها من أخسّ أنواع الكذب

منهي عنه كما يدلّ عليه بعض الاخبار الا اذا كان فيه غرض صحيح ومما جرت العادة به قول الرجل الله يعلم فيما لا يعلمه وهو اشدّ انواع الكذب قال عيسى ع ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد الله يعلم لما لا يعلم ومن الكذب الذي يعظم ذنبه ويتساهل فيه الكذب في حكاية المنام قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يرى عينيه في المنام ما لم يرا او يقول عليّ ما لم اقل وقال صلى الله عليه وآله من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين

تذنيب من انواع الكذب واخسّها شهادة الزور واليمين الكاذبة وخلف الوعد يدلّ على ذم الاول قوله تعالى في صفة المؤمنين وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وقول النبي صلى الله عليه وآله شاهد الزور كعابد الوثن وعلى ذمّ الثاني قول النبي صلى الله عليه وآله التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله قد احلّ الله البيع فقال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدّثون فيكذبون وقوله صلى الله عليه وآله ثلث نفر لا يكلّمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكّيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقوله صلى الله عليه وآله ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقوله صلى الله عليه وآله ثلث يشناهم الله التاجر او البايع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وعلى ذمّ الثالث قول النبي صلى الله عليه وآله من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليف اذا وعد وقول الصادق عليه السلام عدة المؤمن اخاه نذر لا كفارة له فمن اخلف فبخلف الله تعالى بدأ ولمقته تعرّض وذلك قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله اربع من كنّ فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من خلال النفاق حتى يدعها اذا حدّث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر فمن وعد وكان عند الوعد عازما على ان لا يفي او كان عازما على الوفاء وتركه بدون عذر فهو منافق واما ان عنّ له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا واثما وان جرى عليه ما هو صورة النفاق فالاولى ان يحترز عن صورة النفاق ايضا كما يحترز عن حقيقته وذلك بان لا يجزم في الوعد بل يعلّقه على المشية ومثلها

ايقاظ طريق معالجة الكذب اوّلا ان يتأمل في ما ورد في ذمّه من الآيات والاخبار ليعلم انه لو لم يتركه لادركه الهلاكة الابدية ثم يتذكر ان كل كاذب ساقط عن القلوب في الدنيا ولا يعتني احد بقوله وكثيرا ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه ومن اسباب افتضاحه ان الله سبحانه يسلّط عليه النسيان حتى انه لو قال شيئا ينسى انه قاله فيقول خلاف ما قاله فيفتضح والى ذلك اشار الصادق عليه السلام بقوله ان مما اعان الله به على الكذابين النسيان ثم يتأمل في الآيات

والاخبار

في مدح الصدق وذكر الاخبار الواردة في مدحه وبيان اقسامه وانواعه والاشارة على فضيلة بعضها

فصل في فضيلة الصدق من الفضائل

والاخبار الواردة في مدح ضده اعني الصدق كما ياتي وبعد ذلك ان لم يكن عدو النفسه فليقصد التروي في كل كلام يريد ان يتكلم به فان كان كذبا تركه وليجتنب مجالسة الفساق واهل الكذب ويجالس الصلحاء واهل الصدق **وصل** ضد الكذب الصدق وهو اشرف الصفات المرضية ورئيس الفضائل النفسية وما ورد في مدحه وعظم فائدته من الآيات والاخبار مما لا يمكن احصاؤه قال الله سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وقال سبحانه انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال عز وجل ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ثم قال والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اولئك الذين صدقوا وقال رسول الله صم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم وعن الصادقين عليهما السلام ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقا وعن الصادق عليه السلام قال كونوا دعاة الناس بالخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع وعنه عم من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره باهل بيته مد له في عمره وعنه عم قال لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده فان ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء امانته وقال عم لبعض اصحابه انظر الى ما بلغ به علي عم عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه فان عليا عليه السلام انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صم بصدق الحديث واداء الامانة وعنه عم قال ان الله لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر وقال عم اربع من كن فيه كمل ايمانه ولو كان ما بين قرنه الى قدمه ذنوبا لم ينقصه ذلك قال هي الصدق واداء الامانة والحياء وحسن الخلق وقد وردت بهذه المضامين اخبار كثيرة اخر ومن انواع الصدق الصدق في الشهادة وهو ضد شهادة الزور والصدق في اليمين وهو ضد الكذب فيه والوفاء بالعهد وهو ضد خلف الوعد وهذا القسم من الصدق اعني الوفاء بالعهد افضل انواع الصدق القولي واوجبها ولذا اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل وقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا قيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره وروي انه بايع رجل رسول الله صم ووعده ان ياتيه في مكانه ذلك فنسي وعده في يومه وغده واتاه في يوم الثالث وهو في مكانه وقال رسول الله صم العدة

دين وقال ع الوأي اي الوعد مثل الدين وافضل **تكميل** الصدق كالكذب له
انواع ستة الاول الصدق في القول وهو الاخبار عن الاشياء على ما هي عليه وكمال
هذا النوع بترك المعاريض من دون ضرورة حذرا من تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة
ورعاية معناه في الفاظه التي يناجي بها الله سبحانه فمن قال وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض وفي قلبه سواه او قال اياك نعبد وهو يعبد الدنيا بتقييد قلبه به اي كل من تقيد
بشيء فهو عبد له كما دلت عليه الاخبار فهو كاذب الثاني الصدق في النية والارادة و
يرجع ذلك الى الاخلاص وهو تمحيض النية وتخليصها لله بان لا يكون له باعث في طاعاته بل في
جميع حركاته وسكناته الا الله فالشوب يبطله ويكذب صاحبه الثالث الصدق في العزم اي
الجزم على الخير فان الانسان قد يقدم العزم على العمل ويقول في نفسه ان رزقني الله كذا تصدقت منه
كذا وان خلصني الله من تلك البلية فعلت كذا فان كان في باطنه جازما على هذا العزم مصمما
على العمل بمقتضاه فعزمه صادق وان كان في عزمه نوع ميل وضعف وتردد كان عزمه كاذبا
اذ التردد في العزيمة ينافي الصدق فيها وكان الصدق هنا بمعنى القوة والتمامية كما يقال لفلان
شهوة صادقة اي قوية تامة او شهوة كاذبة اي ناقصة ضعيفة الرابع الصدق في الوفاء بالعزم
فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد فاذا حان حين العمل بمقتضاه هاجت
الشهوات وتعارضت مع باعث الدين وربما غلبته بحيث انحلت العزيمة ولم يتفق الوفاء بمتعلق
الوعد وهذا ينافي الصدق فيه ولذلك قال الله سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الخامس الصدق في الاعمال وهو تطابق الباطن والظاهر واستواء السريرة والعلانية او كون
الباطن خيرا من الظاهر بان لا يدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك
الاعمال بل بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا اعلى مراتب الاخلاص لامكان تحقق نوع
من الاخلاص بما دون ذلك وهو ان يخالف الباطن الظاهر من دون قصد فان ذلك ليس
رياء فلا يمنع صدق اسم الاخلاص عليه وتوضيح ذلك ان الرياء هو ان تقصد غير الله سبحانه
في الاعمال وقد يصدر عن انسان اعمال ظاهرة يدل على انه صاحب فضيلة باطنة من التوجه الى
الله والانس به او السكينة والوقار او التسليم والرضا او غير ذلك مع انه صاحب فاقد عنها
لحصول الغفلة المانعة عن تحققها واتفاق صدور الاعمال الظاهرة بهذه الهيئة من دون
ان يقصد بها مشاهدة غيره سبحانه فهذا غير صادق في عمله كاذب في دلالة الظاهر على الباطن و

في ذكر بقية انواع الصدق واقسامه ونقل بعض اخبار الشأن والامثال الواردة في هذه

ان لم يكن مرائيا ولا ملتفتا الى الخلق فان من مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سميت
رياء ويفوت بها الاخلاص وان كانت من غير قصد سميت كذبا ويفوت بها الصدق وربما لم
يفت بها بعض مراتب الاخلاص وهذا النوع من الصدق اعني مساواة السر والعلانية او كون السر خيرا
منها اعز من الانواع السابقة عليه ولذلك كرر طلبه من الله سيد الرسل صلى الله عليه وآله في دعواته بقوله اللهم اجعل
سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وورد انه اذا ساوت سريرة المؤمن علانيته
باهى الله به الملائكة ويقول هذا عبدي حقا وكان بعض الاكابر يقول من يدلني على بكاء بالليل
بسّام بالنهار ولنعم ما قيل

اِذَا السِّرُّ وَالاَعْلَانُ فِي المُؤمِنِ استَوَى ... فَقَدْ عَزَّ فِي الدَّارَيْنِ وَاسْتَوْجَبَ الثَّنَا
وان خالف الاعلان سرا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كَمَا خَالِصُ الدِّينَارِ فِي السُّوقِ نَافِقٌ ... ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى

ومن جملة هذا الصدق موافقة القول والفعل فلا يقول ما لا يفعل ولا يأمر بما لا يعمل
ومن وعظ ولم يتعظ نفسه كان كاذبا ومن هنا قال امير المؤمنين ع اني والله ما احثكم على طاعة
الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها السادس الصدق في مقامات الدين
من الصبر والشكر والتوكل والحب والرجاء والخوف والزهد والتعظيم والرضا والتسليم وغير
ذلك وهو اعلى درجات الصدق واعزها فمن اتصف بحقايق هذه المقامات ولوازمها وآثارها
وغاياتها فهو الصديق الحق ومن كان له منها مجردها يطلق عليه الاسم من دون اتصافه
بحقايقها وآثارها وغاياتها فهو كاذب فيها اما ترى ان من خاف سلطانا او مثله كيف يصفر لونه
ويتنغص عليه اكله ونومه ويتنغص عليه عيشه ويتفرق عليه فكره ويرتعد فرائصه ويتزلزل اركانه و
جوانبه وقد ينزعج عن وطنه ويفترق عن اهله وولده فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب
والمشقة فيتعرض للاخطار ويختار مشقة الاسفار كل ذلك خوفا من درك المحذور فمثل هذا الخوف
هو الخوف الصادق المحقق ثم ان من يدعي الخوف من الله ومن النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند ارادة المعصية ومعها وبعدها
عند نحوه فخوفه كاذب قال النبي ص لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها ثم لا
غاية لهذه المقامات حتى يمكن لاحد ان ينال غايتها بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله ومرتبته
فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه غير متناهية فلذلك لما راى النبي ص جبرئيل على صورته الاصلية
خر مغشيا عليه وقال بعد عوده الى صورته الاولى وافاقته ما ظننت ان احدا من خلق الله
هكذا قال فكيف لو رأيت اسرافيل ان العرش على كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين

التقلي ومع ذلك يتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع اي كالعصفور الصغير وقال ص
رأيت ليلة اسري انا وجبرئيل بالملأ الاعلى كالحلس البالي من خشية الله اي كالكساء الذي يلقى
على ظهر البعير فانظر الى اعاظم الملائكة والنبيين كيف يصير حالهم من شدة الخشية والتعظيم
وهذا انما هو لقوة معرفتهم بعظمة الله وجلاله وفوق ما لم يدركوه من عظمته وقدرته مراتب
غير متناهية فاختلاف الناس في مراتب الخوف والتعظيم والحب والانس انما هو بحسب
اختلافهم في معرفة الله وليس يمكن ان يوجد من يبلغ غايتها ولذلك ورد انه ما بلغ عبد حقيقة الايمان
حتى يرى الناس كلهم حمقى في دين الله وقال ص لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يرى الناس كالاباعر
في جنب الله فاختلاف الناس انما هو في القدر الذي يمكن ان يبلغ اليه والبلوغ اليه في
الجميع ايضا نادر فالصادق في جميع المقامات عزيز جدا ومن علامات هذا الصدق كتمان المصائب
والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها وقد روي ان الله تعالى اوحى الى موسى اني اذا احببت
عبدا ابتليته ببلاء لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان
وجدته جزوعا يشكو الى خلقي خذلته ولا ابالي وقال ص اذا اردت ان تعلم اصادق انت ام كاذب
فانظر في صدق معناك وغور دعواك وعيرهما بقسطاس من الله عز وجل كانك في القيمة قال الله
عز وجل والوزن يومئذ الحق فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق وادنى حد الصدق
ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه
ان لم ينزع فماذا تصنع **تنبيه** اعلم ان اكثر ما تقدم من الرذائل المذكورة في هذا المقام
من الكذب والغيبة والبهتان والشماتة والسخرية والمزاح وغيرها وفي المقام الثالث اعني التكلم
بما لا يعني والفضول والخوض في الباطل من آفات اللسان وهو اضر الجوارح بالانسان واعظمها
اهلاكا له وآفاته اكثر من آفات سائر الاعضاء وهي وان كان من المعاصي الظاهرة الا انها تؤدي
الى مساوي الاخلاق والملكات اذ الاخلاق انما ترسخ في النفس بتكرر الاعمال والاعمال انما تصدر
من القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة يصلح لان يصدر منه الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة
وان يصدر منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة فلا بد من مراعاة القلب والجوارح معا
بصرفهما الى الخيرات ومنعهما من الشرور وعمدة ما يصدر منه الذمائم الظاهرة المؤدية الى
الرذائل الباطنة هو اللسان وهو اعظم آلة للشيطان في استغواء نوع الانسان فمواظبته اهم ومحافظته
اوجب اللزوم والتنبيه كما قيل انه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه وان كان صغيرا

في ذكر آفات اللسان وتفصيلها وترتيبها وكيفيتها والآيات والأخبار الشاهدة عليها

جرمه ولكن عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادته ولا يهتدى الى شيء من امور
الشرائع الا به اذ ما من موجود او معدوم الا وهو يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي
اذ كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم يتناوله وهذه خاصية
لا يوجد في سائر الاعضاء اذ العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات و
اليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان وسيع الجولان ليس له مرد ولا لمجاله
منتهى ولا حد فله في الخير مجال رحب وفي الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخي العنان
سلك به الشيطان في كل ميدان واوقعه في اودية الضلالة والخذلان وساقه الى شفا جرف هار
الى ان يضطره الى الهلاكة والبوار ولذلك قال سيد الرسل صلى الله عليه وآله وهل يكب الناس على مناخرهم
في النار الا حصائد السنتهم فلا ينجي من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع ولا يطلق الا فيما ينفع
في الدنيا والآخرة ويكف عن كل ما يخشى غائلته في العاجلة والآجلة وعلم ما يحمد اطلاق اللسان
فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وهو اعصى الاعضاء على الانسان
اذ لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه فلا يجوز التساهل في الاحتراز عن آفاته وغوائله وفي
الحذر عن مصائده وحبائله والآيات والاخبار الواردة في ذمه وكثرة آفاته وفي الامر بحفظه
والتحذير عنه كثيرة وهي بعمومها تدل على ذم جميع آفاته بتمامها ومما يأتي قال الله سبحانه ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد وقال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من يتكفل لي ما بين لحييه ورجليه
اتكفل له بالجنة وقال ص من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب
البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان وقيل له ص ما النجاة قال املك عليك لسانك وقال ص
اكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفم والفرج والمراد بالفم اللسان وقال ص وهل يكب
الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم وقال له رجل اخوف ما يخاف علي فاخذ بلسانه
وقال هذا وقال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال ص اذا
اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تستكفي اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت
استقمنا وان اعوججت اعوججنا وقال له رجل اوصني فقال ص اعبد الله كانك تراه وعد
نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وقال ص
ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال ص من لم يحسب كلامه من عمله كثرت

خطاياه وحضر عذابه وقال ص يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئا من الجوارح فيقول أي
رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح فيقال له خرجت منك كلمة فبلغت مشارق
الارض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام
وعزتي وجلالي لاعذبنك بعذاب لا اعذب به شيئا من جوارحك وقال ان كان في شيء شوم ففي اللسان
وقال امير المؤمنين عليه السلام لرجل يتكلم بفضول الكلام يا هذا انك تملي على حافظيك
كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وقال ع المرء مخبوء تحت لسانه فزن
كلامك واعرضه على العقل فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه
وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضاء الله
ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف
ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم ثبت بهذا
انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله
واشدها ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه واللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب
وبه ينكشف ما في سر الباطن وعليه يحاسب الخلق يوم القيمة والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير
الله وليس شيء احق بطول السجن من اللسان وقال السجاد ع لسان ابن آدم يشرف على جوارحه كل
يوم فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب
ونعاقب بك وقال الصادق ع ما من يوم الا وكل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان يقول
نشدتك الله ان نعذب فيك

تتميم

لما علمت كون اللسان شر الاعضاء وكثرة
آفاته وذمه فاعلم انه لا نجاة من خطره الا بالصمت وقد اشير فيما سبق ان الصمت ضد
لجميع آفات اللسان وبالمواظبة عليه يزول كلها وهو من فضائل قوة الغضب او الشهوة وفضيلته
عظيمة وفوائده جسيمة فان فيه جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للعبادة والفكر والذكر والسلامة
من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة ولذا مدحه الشرع وحث عليه قال رسول الله ص
من صمت نجى وقال الصمت حكم وقليل فاعله وقال ص من كف لسانه ستر الله عورته وقال ص
الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ص من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وقال ص رحم الله عبدا تكلم خيرا فغنم او سكت فسلم
وجاء اليه صلى الله عليه وآله اعرابي وقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن

فضيلة الصمت

في ذكر فضيلة الصمت وأنواع الفضائل المتعلقة به وذكر الأخبار الحاكية عن فضله

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا عن خير فانك بذلك تغلب الشيطان و
قال ص اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ص الناس ثلثة
غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل
شجب لنصر وفرح شجوبا وشجبا هلك (ق)
وقال ص ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه
وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال ص امسك لسانك
فانها صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال لا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه وقال ص
لرجل اتاه الا ادلك على امر يدخلك الله به الجنة قال بلى يا رسول الله قال انل مما انالك الله
قال فان كنت احوج ممن انيله قال فانصر المظلوم قال فان كنت اضعف ممن انصره قال فاصنع للاخرق
يعني اشر عليه قال فان كنت اخرق ممن اصنع له قال فاصمت لسانك الا من خير اما يسرك ان تكون فيك
خصلة من هذه الخصال تجرك الى الجنة وقال ص نجاة المؤمن حفظ لسانه وجاء رجل الى النبي ص
فقال يا رسول الله اوصني قال احفظ لسانك قال يا رسول الله اوصني قال احفظ لسانك قال
يا رسول الله اوصني قال احفظ لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد
السنتهم وقيل لعيسى بن مريم ع دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك
قال فلا تنطقوا الا بخير وقال ايضا العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في
الفرار عن الناس وقال لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فان الذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم
ولكن لا يعلمون وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب
وقال ابو جعفر الباقر ع كان ابو ذر يقول يا مبتغي العلم ان هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر فاختم
على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك وقال ع انما شيعتنا الخرس وقال الصادق ع لمولى له
يقال له سالم بعد ان وضع يده على شفتيه يا سالم احفظ لسانك تسلم ولا تحمل الناس على رقابنا
وقال ع في حكمة آل داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وقال ع
لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا فاذا تكلم كتب محسنا او مسيئا وقال ع النوم راحة للجسد و
النطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل وقال ع الصمت كنز وافر وزين الحليم وستر الجاهل
وقال له ابو الحسن ع احفظ لسانك تعز ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك وقال
الرضا ع من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت ان الصمت باب من ابواب الحكمة ان الصمت يكسب
المحبة انه دليل على كل خير وقال ع كان الرجل من بني اسرائيل اذا اراد العبادة صمت قبل ذلك

المقام الرابع

عشر سنين وفي مصباح الشريعة عن مولانا الصادق ع قال الصمت شعار المحققين بحقائق ما
سبق وجف به القلم وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة وفيه رضاء الرب وتخفيف الحساب
والصون من الخطايا والزلل قد جعله الله سترا على الجاهل وزينا للعالم ومعه عزل الهوى و
رياضة النفس وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب والعفاف والمروة والظرف فاغلق باب
لسانك عما لك منه بد لا سيما اذا لم تجد اهلا للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله وكان
الربيع بن خثيم يضع قرطاسا بين يديه فيكتب كلاما يتكلم به ويحاسب نفسه عشية ما له وما عليه
ويقول واه نجى الصامتون وبقينا وكان بعض اصحاب رسول الله ص يضع حصاة في فمه فاذا
اراد ان يتكلم بما علم انه لله وفي الله ولوجه الله اخرجها فان كثيرا من اصحابه كانوا يتنفسون تنفس
الغرقى ويتكلمون شبه المرضى وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت فطوبى لمن
رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت وفوائده فان ذلك من اخلاق الانبياء وشعار
الاصفياء ومن علم قدر الكلام احسن صحبة الصمت ومن اشرف على ما في لطائف الصمت وائتمن
على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه الا الملك الجبار وقد ظهر من هذه
الاخبار ان الصمت مع سهولته انفع للانسان من كل عمل وكيف لا يكون كذلك وخطر اللسان الذي
هو اعظم الاخطار وآفاته التي هي اشد المهلكات لا ينسد الا به والكلام وان كان في بعضه فوائد وعوائد
الا ان الامتياز بين الممدوح والمذموم منه مشكل ومع الامتياز فالاقتصار على مجرد الممدوح عند اطلاق اللسان
اشكل وح فالصمت مما لا جرم بتضمنه للخير والثواب من الكلام اولى وانفع وقد نقل ان اربعة
من اذكياء الملوك اعني ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر تلاقوا في وقت فاجتمعوا
على ذم الكلام ومدح الصمت فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولم اندم على ما لم اقل وقال الآخر اني اذا تكلمت
بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم
ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني
على رد ما قلت ومنها حب الجاه والشهرة والمراد بالشهرة انتشار الصيت ومعنى الجاه ملك
القلوب وتسخيرها بالتعظيم والاطاعة والانقياد له وبعبارة اخرى قيام المنزلة في قلوب الناس
وانما يصير القلوب مملوكة مسخرة للشخص باعتقادها على اتصافه بكمال حقيقي او بما يظنه
كمالا من علم وعبادة او ورع وزهادة او قوة وشجاعة او بذل وسخاوة او سلطنة وولاية او
منصب ورياسة او غنى ومال او حسن وجمال وغير ذلك مما يعتقده الناس كمالا وتسخير القلوب

ومنها حب الجاه والشهرة

وانقيادها

وانقيادها على قدر اعتقادها وبحسب درجة ذلك الكمال عندها فبقدر ما يعتقد ارباب
القلوب فيه من الكمال تذعن له قلوبهم وبقدر اذعانها يكون قدرته عليهم وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه ثم
تلك القلوب يبعث اربابها على المدح والثناء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني
عليه وعلى الخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده وعلى الايثار
وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والابتداء بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد

تنبيه حب الجاه والشهرة ان كان من حيث ايجابهما الغلبة والاستيلاء حتى يرجع حقيقته
الى حبهما وكان طالبهما طالبا لهما فهو من رذائل قوة الغضب وان كان من حيث التوسل بهما الى
قضاء الشهوات وحظوظ النفس البهيمية فهو من رذائل قوة الشهوة وان كان من الحيثيتين فهو
من رذائلهما بالاشتراك بمعنى مدخلية كل منهما في حدوث خصوص هذه الصفة والاصل اشتراك
القوتين في حدوث حب الجاه والشهرة كما ذكرناه في جملة ما يتعلق بهما معا وهو بخلاف حب المال
فان الغالب ان حبه من حيث التوصل به الى قضاء حظوظ القوة الشهوية وكونه لمجرد الاستيلاء
عليه بالمالكية والتمكن على التصرف فيه نادر ولذا نذكره فيما يتعلق بقوة الشهوة **فصل**
اعلم ان حب الجاه والشهرة من المهلكات العظيمة وطالبهما طالب للآفات الدنيوية والاخروية
ومن اشتهر اسمه وانتشر صيته لا يكاد ان يسلم دنياه وعقباه الا من شهره الله لنشر دينه من غير
تكلف طلب للشهرة منه ولذا ورد في ذمهما ما لا يمكن احصاؤه من الآيات والاخبار قال الله سبحانه
﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ وقال ﴿مَنْ
كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
وهذا بعمومه متناول لحب الجاه لانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكبر زينة من زينتها
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله
ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم
وقال صلى الله عليه وآله حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع وقال امير المؤمنين عليه السلام
تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال
الباقر عليه السلام لا تطلبن الرياسة ولا تكن ذنبا تأكل بنا الناس فيفقرك الله الخ وقال الصادق عليه السلام اياكم و
هؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال عليه السلام

طاعته ذ د

ولا تأكل ذ د

فيفقرك ذ د

المقام الرابع

ملعون من تراس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وقال من اراد الرياسة هلك وقال

اعرابي لا اعرف خياركم من شراركم بلى والله ان شراركم من احب ان توطأ عقبه انه لابد من كذاب او

عاجز الرأى وفى الاخبار هذه المضامين كثيرة ولكثرة افاتها لايزال اكابر العلماء واعاظم الاتقياء

يفرون منها فرار الرجل من الحية السوداء حتى ان بعضهم اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام من مجلسه

وبعضهم يبكى لاجل ان اسمه بلغ المسجد الجامع وبعضهم اذا تبعه اناس من عقبه التفت اليهم وقال

على ما تتبعونى فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابى ما تبعنى منكم رجلان وبعضهم يقول لا اعرف رجلا

احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح واخر يقول لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

واخر يقول والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه ومن غلب حب الجاه صار مقصور الهم

على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال فى اقواله وافعاله ملتفتا الى ما

يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر لا محالة الى التساهل فى العبادات و

المراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص القلوب لذلك شبه رسول الله حب

الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل

اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس يضطر

الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق

فصل

الجاه احب من المال ان لملك القلوب ترجح على ملك المال بوجوه الاول ان المال معرض للتلف و

الزوال لانه يغصب ويسرق ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة ويتطرق اليه

اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت فهى من هذه الافات محفوظة نعم انما يزول ملك القلوب بتغير

اعتقادها فيما صدقت به من الكمال الحقيقى او الوهمى الثانى ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل

بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له بسهولة

لان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب مبذولة لمن اذعنت له بالاتقياد واعتقدت فيه

اوصاف الكمال واما الخسيس العارى عن الكمال اذا ظفر بكثرة من المال ولم يكن له جاه يحفظ به ماله و

اراد ان يتوصل به الى الجاه لم يتيسر له الثالث ان ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة

الى تعب ومشقة اذ القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت اتصافه بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة

بما فيها لا محالة فيصف ما يعتقده لغيره وايضا هو يذعن به ويصفه لاخر فلا يزال يستطار فى الاقطار و

يسرى من واحد الى واحد الى ان يجتمع معظم القلوب على التعظيم والقبول واما المال فمن ملك

انزى فى

ان من غلب على قلبه حب الجاه

في التنبيه على ما لابد منه من حب الجاه وطلب الحشمة وما لا يستغني عنه الفقير في المعيشة

شيأ منه فلا يقدر على استمالته الا بتعب ومقاساة ولهذا الوجوه يستحقر الاموال في مقابلة
عظم الجاه وانتشار الصيت وانطلاق الالسنة بالمدح والثناء **فصل** كما انه لابد من
ادنى مال لضرورة المطعم والملبس والمسكن ومثله ليس بمذموم فكذلك لابد من ادنى جاه لضرورة
المعيشة مع الخلق اذ الانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذي يبتاع
به الطعام فكذلك لا يستغني عن خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار
فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المنزلة ما يدعوه الى الخدمة وفي قلب رفيقه من المحل ما يحسن
به مرافقته وفي قلب السلطان من المحل ما يدفع به الشر عنه ليس بمذموم اذ الجاه كالمال وسيلة
الى الاغراض فلا فرق بينهما الا ان الاغراض هذا يقتضي الى ان لا يكون المال والجاه محبوبين
باعيانهما بل من حيث التوصل بهما الى غيرهما ولا ريب في ان كل ما يراد به التوصل الى محبوب
فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه دون الوسيلة ومثل هذا الحب مثل حب الانسان ان يكون في
داره بيت الخلاء لقضاء حاجته ولو استغنى عن قضاء الحاجة ولم يضطر اليه كره اشتمال داره
على بيت الخلاء ومثل ان يحب زوجته ليدفع بها فضلة الشهوة ولو كفى مؤنة الشهوة لا حب
مهاجرتها واذا كان حبهما لضرورة البدن والمعيشة لا لذاتهما لم يكن مذموما والمذموم
ان يحبهما لذاتهما وفيما يجاوز ضرورة البدن كحب زوجته لذاتها حب العشاق حتى لو كفى مؤنة
الشهوة لبقي مستصحبا لحبها ثم حبهما باعيانهما وان كان مذموما مرجوحا لكنه لا يوصف صاحبه
بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابهما بكذب
وخداع وتلبيس كان يظهر للناس قولا او فعلا اعتقد والاجله اتصافنا بوصف ليس فيه مثل العلم
والورع او علو النسب بذلك يطلب قيام المنزلة في قلوبهم وما لم يتوصل الى اكتسابهما بعبادة اذ
التوصل الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما
يأتي واما طلبهما بصفة هو متصف بها فهو مباح غير مذموم وذلك كقول يوسف ع اجعلني على
خزائن الارض اني حفيظ عليم حيث طلب المنزلة في قلب الملك بكونه حفيظا عليما وكان صادقا
في قوله وكذا طلبهما باخفاء عيب من عيوبه معصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا يزول به منزلته في قلبه
مباح غير مذموم اذ حفظ الستر على القبايح جائز بل لا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه
كذب وتلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب
الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع

بل يمنع العلم بالشرب هو جائز شرعا وعقلا **فصل** ان قيل الوجه في حبهما بالعرض وفي
حب قدر ما يضطر اليهما في المعيشة وضرورة البدن ظاهر فما الوجه في حبهما باعيانهما وفي حب الزائد
عن قدر الضرورة منهما كحب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء
جميع الحاجات وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي نعلم قطعا انه لا يطاها ولا
يشاهد اهلها ليعظموه ويعينوه على غرض من اغراضه فانه مع ذلك يلتذ به غاية الالتذاذ ويسر
غاية السرور حتى لا يجد في نفسه لذة اقوى منه ويراه فوق جميع لذاته وابتهاجاته قلنا الوجه في ذلك
امران احدهما دفع الم الخوف الناشي من سوء الظن وطول الامل فان الانسان وان كان له من المال ما
يكفيه في الحال الا انه لطول امله قد يخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره
فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يزول الم الخوف الا بالامن الحاصل من وجود مال آخر
يفزع اليه ان اصابت هذا المال آفة فهو ابدا لحبه الحيوة وشفقته على نفسه يقدر طول الحيوة ويهجم
الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه و
هو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله يفزع الى الاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار
مخصوص من المال ولذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وآله
منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة يطرد في حب قيام المنزلة و
الجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك
عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا كان للنفس لذة و
سرور بقيام المنزلة في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف وثانيهما ان الانسان مركب من
اصول مختلفة هي القوة الشهوية والقوة السبعية والقوة الشيطانية والروح الذي هو امر
رباني ولذلك له ميل الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والايذاء والى صفات
شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالعلم والقدرة والكبر والعز والفخر
والاستعلاء فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال
والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال وبالغلبة والاستيلاء على جميع الاشياء بالغلبة وانتساب
الكل اليه بالصدور عنه والمعلولية وبالجملة مقتضى الربوبية التفرد بالوجود والكمال ورجوع كل
وجود وكمال اليه اذ هو التام فوق التمام ولا يتحقق ذلك الا بالتفرد بالوجود والكمال والقدرة
والاستيلاء على جميع ما عداه اذ المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها

في بيان ان محبة الرياسة والربانية من حيث حب الكمال والتفرد الجبلة الاولى للمبدأ الاول

فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم يكن منفردة بكمال معنى الشمسية فاذا كان معنى الربوبية هو التفرد بالوجود والكمال وكل انسان كان فيه امر رباني فالتفرد بالوجود والكمال محبوب له بالطبع وضده اعني العبودية قهر على نفسه الا انه علم ان للتفرد بالوجود والكمال هو الله تعالى اذ ليس موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به وليس له معية في الوجود بالنسبة اليه تعالى اذ المعية توجب المساواة في الرتبة وهو نقصان في الكمال اذ الكامل الحقيقي من لا نظير له في الوجود والكمال بوجه من الوجوه وان كان لغيره وجود وكمال بحيث كونه معلولا له صادرا منه اذ تحقق الموجودات وذوات الكمال لا يوجب نقصانا في ذاته سبحانه بعد استناد جميعها اليه وكونها اضعف منه بمراتب غير متناهية في الوجود والكمال شدة وقوة فكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصانها بوجود شمس اخرى مساوية لها في الرتبة مستغنية عنها فكذلك وجود كل ما في العالم اذا كان من اشراق نور القدرة الالهية تابعة لها لم يكن ذلك نقصانا في الواجب سبحانه بل كان كمالا له ولما علم ذلك وتيقن بان التفرد بالوجود والكمال والاستيلاء التام على جميع الاشياء لا يليق به لانه عبد مملوك مقهور تحت القدرة الالهية عرف انه عاجز عن درك منتهى الكمال الذي هو التفرد بالوجود والاستيلاء اي كون وجود غيره منه الا انه لم يسقط شهوته للكمال بل هو محب له ملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وطالب لتحصيل ما يتمكن منه فمطلق الكمال محبوب عنده الا ان طلبه انما يتعلق بالكمال الممكن في حقه ومن الكمال الممكن في حقه ان يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات فكان ذلك محبوبا عنده ومطلوبا له ولما كانت الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير كذات الواجب وصفاته وعالم المجردات والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق بالتصرف كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وغير ذلك والى ما يقبل التغير ويستولي عليه قدرة العباد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الآدميين ونفوسهم لكونها قابلة للتغير والتاثير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فلم يكن للانسان ان يتصور امكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه فلم يتعرض لطلب ذلك بل احب في كل منها نوع الاستيلاء الذي يمكن في حقه والاستيلاء الذي يمكنه في حقه بالنظر الى القسمين الاولين هو الاحاطة عليه بالعلم والاطلاع على اسراره لان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به تحت القدرة والعالم كالمستولي عليه ولذلك احب الانسان ان يعرف الواجب تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وعجائب الملك والملكوت

المقام الرابع

لان ذلك نوع استيلاء والاستيلاء نوع كمال واما القسم الثالث فيمكن ان يستولى عليه بالتصرف
فيه كيف يريد فيقدر على الاراضي والاملاك بان يتصرف فيها بالحيازة والضبط والزرع والغرس
وعلى الاجساد الارضية الحيوانية والنباتية والجمادية بالركوب والضبط والحمل والرفع والوضع و
التسليم والمنع وعلى نفوس الادميين وقلوبهم بان يكون مسخرة متصرفة تحت اشارته وارادته ومصيدة
محبة له باعتقاد الكمال فيه ولكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال احب الانسان هذا الاستيلاء على
الاموال والقلوب وان كان لا يحتاج اليهما في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق
العبيد واستعباد الاحرار ولو بالقهر والغلبة وقد ظهر مما ذكر ان محبوب النفس بذاتها هو الكمال
بالعلم والقدرة والمال والجاه محبوب لكونه من اسباب القدرة ولما كانت المعلومات والمقدورات
غير متناهية فلا يكاد ان يقف النفس الى حد من العلم والقدرة ولهما درجات غير متناهية فسرور
كل نفس ولذتها بقدر الدرجة التي تدركها **فصل** لما عرفت ان المحبوب عند الانسان هو
العلم والقدرة والمال والجاه لكونها كمالا فاعلم انه اشتبه الامر عليه باغواء الشيطان حيث التبس
عليه الكمال الحقيقي بالوهمي ويتيقن بكون جميع ذلك كمالا واقعية اذ التحقيق ان بعضها كمال حقيقي
وبعضها كمال وهمي لا اصل له والسعي في طلبه جهل وخسران وتضييع وقت وخذلان بيان ذلك
انه لا ريب في عدم كون المال والجاه كمالا لان الاستيلاء والقدرة على اعيان الاموال بوجوه التصرف
وعلى القلوب والابدان بالتسخير والانقياد ينقطع بالموت فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق
كلهم في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال
بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال ولما اعتقدوا كون ذلك كمالا احبوه ولما احبوه
طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله اعني
العلم والحرية كما ياتي فهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى اَلمالُ وَالبَنونُ زينَةُ الحَيوةِ وَالباقِياتُ
الصّالِحاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَواباً فالعلم والحرية وفضائل الاخلاق هي الباقيات
الصالحات التي تبقى كمالا للنفس بعد خراب البدن والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب و
هو كما مثله الله تعالى حيث قال اِنَّما مَثَلُ الحَيوةِ الدُّنيا كَماءٍ اَنزَلناهُ مِنَ السَّماءِ
فَاختَلَطَ بِهِ نَباتُ الاَرضِ الآية وكلما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا و
كل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد ظهر ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال

في الكلام في الكمال الحقيقي والوهمي وحصر الكمال الحقيقي في العلم والمعرفة بالله

وهمي لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الاقدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي واما العلم فلا ريب في كون ما هو حقيقة العلم كمالا حقيقيا اذ الكمال الحقيقي هو الذي يقرب من يتصف به من الله ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ولا شك في ان العلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو المقرب للعبد الى الله اذ هو علم ثابت لا يقبل التغير والانقلاب اذ معلوماته ازلية ابدية وليس لها تغير وانقلاب حتى يتغير العلم بتغيرها مثل المتغيرات التي يتغير العلم بها بتغيرها وانقلابها كالعلم بكون زيد في الدار فهو علم ثابت ازلا وابدا من دون تغير واختلاف كالعلم بجواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فهذا العلم اعني معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله هو الكمال الحقيقي الذي يبقى بعد الموت وينطوي تحت هذا العلم العلم بالنظام الجملي الاصلح وجميع المعارف المحيطة بالموجودات وحقايق الاشياء اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة كان هذه المعرفة من تكملة معرفة الله التي يبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وهي راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله فلم يكن له مطمع في هذا النور بل هو في ظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وما عدا هذه المعرفة من المعارف اما لا فائدة فيه اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب ومثلها او له منفعة في معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار ومعرفة طريق تزكية النفس التي بها يستعد لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه وسيلة الى معرفة الله والتحصيل الحرية مما لا بد منه بالعرض ثم ان المعرفة التي هو كمال حقيقي للانسان ليس كمال العلم وغايته اذ لا يتصور كمال العلم ونهايته الا للواجب تعالى اذ كمال العلم انما يتحقق بامور ثلثة الاول ان يحيط بكل المعلومات ولا يتحقق ذلك في علم البشر اذ ما اوتي من العلم الا قليلا بل العلم الذي يحيط بجميع المعلومات هو علم الله تعالى وعلم العبد انما يتحقق ببعض المعلومات وكلما كان معلوماته اكثر كان علمه اقرب الى علم الله الثاني ان يتعلق بالمعلوم على ما هو به بان يكون المعلوم منكشفا

واضحا في غاية الانكشاف والوضوح بحيث لا يقبل انكشافا اتم منه وهذا ايضا غير ممكن تحققه في حق الانسان اذ علمه لا يخلو عن كدرة وابهام بل الكشف التام الذي هو غاية الظهور والانجلاء مختص بعلم الله تعالى معلوماته مكشوفة باتم انواع الكشف على ما هي عليها وعلم العبد بعض مراتب الانكشاف فكلما كان اجلى واوضح وايقن واوفق للمعلوم في تفاصيل صفاته كان اقرب الى علم الله الثالث ان يكون باقيا ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول وهذا ايضا مختص بعلم الله تعالى اذ علمه تعالى باق لا يتصور ان يختلف ويتغير ويزول فكلما كان علمه للمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى علم الله تعالى هذا ومن الكمالات للانسان التحلي بفضائل الاخلاق والصفات لايجابها صفاء النفس المؤدي الى البهجة الدائمة والحرية اعني الخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب اذ رفع اثار الشهوة والغضب من النفس كمال حقيقي لانه من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله سبحانه عدم تطرق التغير والتأثر على حرم كبريائه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض ابعد كان الى الله اقرب واما القدرة فقال بعض العلماء اما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد فان القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب لا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على كل شيء من الارضيات كالمال والابدان والنفوس تنقطع بالموت انتهى وانت خبير بان تحقق نوع قدرة للعباد مما لا ريب فيه وان كان اسبابها واصلها من الله سبحانه الا ان القدرة على الامور الدنيوية الفانية كالمال والاشخاص وغير ذلك ليست كمالا حقيقيا لزوالها بالموت نعم الحق ثبوت القدرة النفسية للعبد اعني تاثيره بنفسه في الغير من الكائنات تاثيرا روحانيا معنويا كما هو ظاهر من تاثير بعض النفوس في الانسان والحيوان والنبات والجماد بانواع التاثيرات ومثل هذه القدرة تبقى للنفوس بعد الموت ولذا ترى ان بعض من يستغيث ببعض النفوس الكاملة من الاموات يرى منها عجائب التاثيرات والاستفاضات فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدرة للنفوس بعد الموت محل نظر وقد ظهر بما ذكر ان الكمال الحقيقي للانسان هو العلم الحقيقي

وعلم الانسان يتغير ويزول

في ذكر العلاج العلمي والعملي لحب الجاه وطلب المنزلة في قلوب الناس وفي ضمنه فصول جمة

وفضايل الاخلاق والحرية والقدرة

فصل

اعلم ان علاج حب الجاه مركب من علم وعمل
وعلاجه العلمي ان يعلم ان السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى
قلوبهم ان صفى وسلم فآخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الارض الى
خمسين سنة او اكثر لا ابدا لا آخرة يموت الساجد والمسجود له ويكون حاله كحال من مات من
ذوي الجاه مع المتواضعين له ولا ينبغي للعاقل ان يترك بمثل ذلك الدين الذي هو الحيوة الابدية
التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك
انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده
وايضا اكثر الخلق ضعفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ وقال كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ
وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ فمن هذا مرتبته فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بمعرفة الآفات العاجلة وهو
ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء
وخائف على الدوام على جاهه ولا يزال في الاضطراب والخوف من ان تتغير منزلته في القلوب مع ان
قلوب الناس اشد تغيرا وانقلابا من القدر في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكلما
يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ
الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك
غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا
ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا التفات له الى الدنيا
فهذا هو العلاج العلمي واما العلاج العملي فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالاتيان بضد الجاه
الذي هو الخمول والقنع بالقبول من الخالق واقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة
الى مواضع الخمول لا مجرد الاعتزال في بيته في البلدة التي فيها مشهور لان المعتزل في بيته في البلدة التي
بها مشهور عند اهلها لا يخلو بسبب عزلته عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب فربما يظن انه
ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس
عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به ربما جزعت نفسه وتألمت وتوصلت الى
الاعتذار من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن
قلوبهم الى الكذب والتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ولا يمكنه ان لا يحب

المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى من الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب وزن عنده بل من لم يطمع في الناس وكان من اهل المعرفة كان الناس عنده كالبهائم فكيف يكون طالبا لقيام منزلته في قلوبهم والحاصل ان الغالب كون الباعث على قيام المنزلة في قلوب الناس هو الطمع منهم ولذا ترى انك لا تطلب قيام منزلتك في قلوب من في اقصى المشرق والمغرب لعدم طمعك فيهم ثم ينبغي ان يستعين على المعالجة بالاخبار الواردة في ذم الجاه كما مر وفي مدح الخمول كما ياتي

فصل ضد حب الجاه والشهرة حب الخمول وهو شعبة من الزهد كما ان حب الجاه شعبة من حب الدنيا فحب الدنيا والزهد ضدان ثم الخمول من صفات المؤمنين وخصال الموقنين وقد كان طوائف العرفاء الموحدين ومن يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالبين اياه وكل من عرف الله وانس به واحبه كان محبا للخمول متوحشا من الجاه وانتشار الصيت كما ينادي به كتب السير والتواريخ وقد ورد بمدحه اخبار كثيرة كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اسئلك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتخلخل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يسئله دينارا لم يعطه اياه او يسئله درهما لم يعطه اياه ولو سئل الله تعالى الجنة لاعطاه اياه ولو يسئله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه وقوله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحال ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه بالغيب واطاعه في السر والعلانية وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وصبر على ذلك عجلت منيته فقل تراثه وقلت بواكيه وورد ان الله يقول في مقام الامتنان على بعض عبيده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وقال بعض خيار الصحابة كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض ومن اطلع على احوال اكابر الدين والسلف الصالحين من ايثارهم الخمول والذل على الجاه والشهرة والغلبة ثم ما ورد في مدحهما من الاخبار يتيقن بانهما من اوصاف المؤمنين ولا بد للمؤمن من الاتصاف بهما ولذا ورد

ابلة وبه كنى وفرح اي وتحرك فطن كانى وقد لا يؤبه لها اى لا يلتفت اليه

الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره وقوله صلى الله عليه وآله

الطمر الثوب الخلق والجمع اطمار مثل حمل واحمال (مصباح)

ان المؤمن

في ذم حب المدح وكراهة الذم وانهما من المهلكات وذكر الدرجات

مراتب الناس بالنسبة الى المدح

ان المومن لا يحزن له او عليه او فيه ومنها حب المدح وكراهة الذم وهما من شعب حب الجاه و
من المهلكات العظيمة اذ كل محب للمدح والثنا خائف من الذم يجعل افعاله وحركاته على ما يوافق رضا
الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم فيختار رضا المخلوق على رضا الخالق فيرتكب المحظورات ويترك الواجبات
ويتهاون في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويتعدى عن الانصاف والحق وكل ذلك من المهلكات وليس
للمؤمن ان يحوم حولها بل المؤمن من لم يؤثر قط رضا المخلوق على رضا الخالق ولا تاخذه في الله لومة
لائم ولعظم فساد حب المدح وبغض الذم ورد في ذمهما ما ورد في الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله انما هلك
الناس باتباع الهوى وحب الثناء وقال صلى الله عليه وآله راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقال عليه السلام
لرجل اثنى على آخر بحضرته لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت فمات على ذلك دخل النار و
قال صلى الله عليه وآله للمادح لآخر ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله الا لا تمادحوا
واذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب قال صلى الله عليه وآله ويل للصايم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف
الا من فقال يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة

فصل اعلم ان لحب المدح وكراهة الذم مرتبتين اوليهما ان يفرح بالمدح ويشكر
المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق ولاحد
لاثمهما واخريهما ان يفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره من اظهار السرور ويتبغض في
الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته وهذه وان كانت نقصانا الا انها
بالنظر الى الاولى كمال وباعتبار الآخر لحب المدح درجات الاولى ان يتمنى المدح والثناء ويطلب
بحيث يتوصل الى نيلهما بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمفارقة المحظورات لاستمالة
قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين الثانية ان يريد ذلك ويطلبه
بالمباحات لا بالعبادات وارتكاب المحظورات على شفا جرف الهلاكة اذ حدود الكلام والاعمال
التي يستميل بها القلوب لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل له ليتوصل به الى نيل المدح
فهو قريب من الهالكين الثالثة ان لا يريد المدح ولا يسعى لطلبه لكن اذا مدح سر وارتاح من
غير وجدان كراهة في نفسه لهذا السرور والارتياح وهذا ايضا نقصان وان كان اقل اثما
بالاضافة الى ما قبله الرابعة ان يسر ويرتاح ولكن كره هذا السرور والارتياح وكلف
قلبه كراهة المدح وبغضه وهو في مقام المجاهدة ولعل الله يسامحه اذا بذل جهده ومع ذلك
لم يقدر على ربط نفسه على كراهة المدح دائما

فصل حب المدح والثناء له

في ذكر اسباب حب المدح والشرف ومعالجه في طريق الاستعلاج من نقائه

اسباب الاول شعور النفس بكمالها فان الكمال لما كان محبوبا فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت
واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان كان ما به المدح وصفا مشكوكا فيه صادرا
عن خبير بصير لا يجازف في القول كالوصف بكمال العلم والورع وبالحسن المطلق فاللذة فيه عظيمة لان
الانسان ربما كان شاكا في كمال علمه وكمال حسنه ويكون شائقا لزوال هذا الشك فاذا ذكره غيره
سيما اذا كان من اهل البصيرة اورث ذلك طمأنينة وثقة بوجود ذلك الكمال فعظم لذته ولو كان
صادرا ممن لا بصيرة له كان لذته اقل لقلة الاطمينان بقوله وان كان ما به المدح وصفا جليا كاعتدال
القامة وبياض اللون كان لذته في غاية القلة لان ثنائه لا يورث ما ليس له من الطمانينة والثقة
الا انه لا يخلو عن لذة ما اذ النفس قد يغفل عنه فيخلو عن لذته فتنبيهها عليه بالمدح يورث لذة ما ولضد
هذه العلة يبغض الذم ايضا لانه يشعر بنقصان في نفسه والنقصان ضد الكمال الثاني ان المدح يدل على ان
قلب المادح ملك للممدوح وانه مريد له معتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور
بحصوله لذيذ ولذلك تعظم اللذة مهما صدر ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر
ولضد هذه العلة يكره الذم ويتالم القلب به الثالث ان المدح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا
سيما اذا كان المادح ممن يعتنى بقوله وهذا يختص بمدح يقع على الملاء الرابع ان المدح يدل على حشمة
الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه طوعا او قهرا والحشمة محبوبة
لما فيها من الغلبة والقدرة فشعور النفس بها يورث لذة وهذه اللذة تحصل منه وان علم الممدوح ان المادح لا يعتقد ولضد هذه
العلة يبغض الذم ايضا وهذه الاسباب قد تجتمع في مدح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فينقص
ويندفع استشعار الكمال بان يعلم الممدوح ان المادح غير صادق في مدحه فان كان يعلم ان المادح ليس
يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية ايضا وهو استيلائه على قلبه ويبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على
اضطرار لسانه الى النطق بالمدح فصل اذا علمت ان حب المدح وكراهة الذم من المهلكات فيجب
ان يبادر الى العلاج وعلاج الاول ان يلاحظ اسبابه ويعلم ان شيئا منها لا يصلح حقيقة لان يكون
سببا له اما استشعار الكمال بالمدح فلان المادح ان صدق فليكن الفرح من فضل الله حيث اعطاه هذه الصفات
وان كذب فينبغي ان يغمه ذلك ولا يفرح به لانه استهزاء به مع ان الفرح مطلقا في صورة الصدق من السفاهة
اذ الوصف الذي يمدح به ان كان مما لا يستحق الفرح به كالثروة والجاه وغيرهما من المطالب الدنيوية
فالفرح به من قلة العقل لانها كمالات وهمية لا اصل لها وان كان مما يستحق الفرح به كالعلم و
الورع فالفرح انما هو لكونه مقربا الى الله وهذا فرع حسن الخاتمة وهو غير معلوم ففي الخوف من خطر

الخاتمة شغل شاغل من الفرح بكل شيء واما دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب من يسمعه فحب ذلك يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق طريق معالجته واما دلالته على الحشمة فانها ايضا قدرة عارضة ناقصة لا ثبات لها والعاقل لا يفرح بمثلها واما علاج الثاني اعني كراهة الذم فيعلم بالمقايسة على علاج حب المدح والقول الوجيز فيه ان من يذمك ان كان صادقا وقصده النصح والارشاد فلا ينبغي ان تبغضه وتغضب عليه بل ينبغي ان تفرح وتجتهد في ازالة الصفة المذمومة عن نفسك وما اقبح بالمؤمن ان يغضب على من يحسن اليه ويريد هدايته وان كان قصده الايذاء والتعنت فلا ينبغي لك ايضا ان تبغضه وتكره ذلك لانه ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به وذكرك اياه ان كنت غافلا عنه وقبحه في عينك ان كنت متذكرا له وعلى التقادير فقد استفدت منه ما تنتفع به وينبغي لك ان تغتنمه وتبادر الى ازالة عيبك وان كان كاذبا مفتريا عليك بما انت منه بريء فينبغي لك ايضا ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه لانك وان خلوت من ذلك العيب الا انك لا تخلو من عيوب اخر مثله او اخس منها فاشكر الله تعالى على انه سترها ولم يطلع احدا عليها ودفعها بذكر ما انت منه بريء مع انه كفارة لبقية مساويك ومن ذمك اهدى اليك حسناته وجنى على دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه عليك فما بالك لا تحزن بحط ذنوبك واهداء الحسنات اليك ولم تغضب عليه مع ان الله سبحانه غضب عليه وابعده من رحمته فان ذلك كان لاشقا ملعنة

وصل

في حب المدح وكراهة الذم اما كراهة المدح وحب الذم او مساواتهما عنده بحيث لا يسره المدح ولا يغمه المذمة وقد نقل بعض الاخبار الدالة على ذم من لم يتصف بالحالة الاولى وهي وان كانت نادرة الوجود اذ ما اقل على بسيط الارض سيما في هذه الاعصار من يستوي عنده المدح والمذمة فضلا عمن يكره المدح ويسر بالذم الا ان تحصيلها ممكن اذ كل من عرف ان المدح مضر بدينه وقاصم لظهره فلا بد ان يكرهه ويبغض المادح لو كان عاقلا مشفقا على نفسه وكذا من عرف ان الذام له يرشده الى عيوبه ويهدي اليه بعض حسناته لا بد ان يحبه ويسر بذمه واما الحالة الثانية فهي اولى درجات الكمال ومن لم يتصف بها فهو ناقص فالاتصاف بها لازم على كل مؤمن وربما ظن بعض الناس اتصافه بها مع كونه فاقدا عنها فمن ظن ذلك من نفسه فلا بد ان يمتحن نفسه بعلاماتها حتى يظهر له صدق ظنه وكذبه وعلاماتها ان لا يكون سعيه ونشاطه في قضاء حوائج المادح اكثر منهما في قضاء حوائج الذام وان لا يتفاوت همه وحزنه لاجل موتهما وابتلائهما بمصيبة وان لا يكون زلة المادح اخف في قلبه وعينه من زلة الذام وان لا يكون جلوس الذام عنده ولا قيامه اثقل من جلوس المادح وقيامه وبالجملة

ومن الرذائل الرياء

ان يستويا عنده من كل وجه فمن وجد من نفسه استواءهما في جميع الجهات فهو ممن يتساوى عنده المدح والذم ومنها الرياء وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير او ما يدل عليها من الآثار فهو من اصناف الجاه اذ هو طلب المنزلة في القلوب باي عمل اتفق والرياء طلب المنزلة باراءة خصال الخير او ما يدل على الخيرية ثم خصال الخير يشمل اعمال البر باسرها وهي اعم من العبادات ان خصت العبادة بمثل الصلوة والصوم والحج والصدقة وامثال ذلك ومساوقة لها ان اريد بالعبادة كل فعل يقصد به التقرب في يترتب عليه الثواب اذ على هذا كل عمل من اعمال الخير سواء كان من الواجبات او المندوبات او المباحات في الاصل اذا قصد به القربة كان طاعة وعبادة وان لم يقصد به ذلك لم يكن عبادة ولا عمل خير ولو كان مثل الصلوة وربما خص الرياء عادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة بالمعنى الاخص والمراد بالآثار الدالة على الخيرية هي كل فعل ليس في ذاته برا وخيرا وانما يستدل به على الخيرية وهي اما متعلقة بالبدن كاظهار النحول والصفار ليستدل بهما على قلة الاكل او الصوم وسهر الليل ويوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة الخوف من الله ومن اهوال الآخرة وكخفض الصوت ليستدل به على ان وقار الشرع قد خفض صوته وقس عليها غيرها من الامور المتعلقة بالبدن الدالة على الخيرية قصدا الى تحصيل المنزلة في قلوب الناس وكل ذلك يضر بالدين وينافي الورع واليقين ولذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه خوفا من نزغ الشيطان بالرياء ثم هذا مراءاة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيراؤن في البدن باظهار السمن وصفاء اللون ونظافة البدن وحسن الوجه وامثال ذلك او متعلقة بالزي والهيئة كحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود في الجبهة ولبس الصوف والثوب الخشن او الابيض وتعظيم العمامة ولبس الطيلسان والدراعة وامثال ذلك مما يدل على العلم والتقوى او الانخلاع عن الدنيا والمراؤن من اهل الدين بالزي واللباس على طبقات منهم من يرى طلب المنزلة بالثياب الخشنة ومنهم من يرى بالثياب الفاخرة ومنهم من يرى بالوسخة ومنهم من يراه بالنظيفة وللناس في ما يعشقون مذاهب واما اهل الدنيا فلا ريب في انهم يراؤن في اللباس بلبس الثياب النفيسة وركوب المراكب المرتفعة وامثال ذلك او متعلقة بالقول والحركات كاظهار الغضب والاسف على المنكرات ومفارقة الناس للمعاصي ليستدل بها على حمايته للدين وشدة اهتمامه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ان قلبه لم يكن متاثرا عن ذلك وكارخاء الجفون وتنكيس الراس عند الكلام واظهار الهدو والسكون في المشي ليستدل بذلك على وقاره وربما اسرع المرائي في المشي الى حاجة فاذا اطلع عليه واحد رجع الى الوقار

رجل مرد بالكسر ثقيل (قاموس)

خوفاه من ان ينسب الى عدم الوفاء فاذا غاب الرجل عاد الى مجلسه او متعلقه بغير ذلك لكن يتكلف ان يكثر الزائرون له والواردون عليه سيما من العلماء والعباد والامراء ليقال ان اهل الدين والعظماء يتبركون بزيارته **فصل** الرياء من الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة وقد تعاضدت الايات والاخبار على ذمه قال سبحانه (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) (وقال سبحانه) (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (وقال سبحانه) (يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (وقال كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ) (وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة للمرائين اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه واله وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه واله وسلم يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يقبل الله تعالى عملا فيه مقدار ذرة من رياء وقال صلى الله عليه واله ادنى الرياء الشرك وقال ع ان المرائي ينادي يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن تعمل له وكان ص يبكي فقيل له ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال صلى الله عليه واله وسلم سياتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء ولا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وقال ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد به وقال ع ان الحفظة تصعد بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع لها دوي كدوي الرعد وكضوء الشمس معها ثلثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى تقطع الحجب كلها الى الله فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح

المدوي السحاب المجد ودوي الريح حفيفها (ق)

المخلص لله فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل و
اراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا ويقول السموات كلها عليه لعنة
الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن وقال امير المؤمنين ع اخشوا الله خشية ليست
بتعذير واعملوا بغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله وقال الباقر ع الابقاء
على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا
شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وقال الصادق ع قال الله تعالى انا خير شريك
من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وقال ع كل رياء شرك انه من عمل
للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله وقال ع في قوله تعالى فمن كان يرجوا
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به
وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ثم قال
ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له شرا قال اما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر
سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة
ان السريرة اذا صحت قويت العلانية وقال ع من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما
اراد ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا ان يقلله في عين من
سمعه وقال ع لعباد البصري ويلك يا عباد اياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له
وقال اجعلوا امركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد الى الله
وقال الرضا ع لمحمد بن عرفة ويحك يا ابن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما
عمل ويحك ما عمل احد عملا وكفى للرياء ذما انه يوجب الاستحقار لله وجعله اهون من عبادة الضعفاء
الذين لا يقدرون نفعا ولا ضرا اذ من قصد بعبادة الله عبدا من عبيده فلا ريب في ان ذلك لاجل ظنه
بان هذا العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه منه تعالى واي استحقار بمالك الملوك
اشد من ذلك **فصل** الرياء اما في العبادات او في غيرها والاول حرام مطلقا وصاحبه ممقوت
عند الله وهو يبطل اصل العبادة لان الاعمال بالنيات والمرائي بالعبادة لم يقصد امتثال امر
الله بل قصد ادراك مال او جاه او غرض آخر من الاغراض فلا يكون ممتثلا لامر الله خارجا عن عهدة
التكليف ثم مع بطلان عبادته وعدم خروجه عن عهدة التكليف يكون له اثم على حدة لاجل الرياء كما
دل عليه الآيات والاخبار ويكون اسوء حالا ممن ترك العبادة راسا كيف لا والمرائي بالعبادة جميع

خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له ع

في تقسيم الرياء الى ما يتعلق بالعبادات والى ما يتعلق بغيرها وان الاول حرام والثاني ينقسم الى المباح والممدوح والمذموم

بين الاستهزاء بالله والتلبيس والمكر لانه يخيل الى الناس انه مطيع لله من اهل الدين وليس كذلك ايضا
الرياء بغير العبادات فقد يكون مذموما وقد يكون مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون واجبا
اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا ينبغي لذوي المروات ان يرتكبوا
الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم ذلك في الخلوة ومن زين نفسه
باللباس وغيره في اعين الناس حذرا من لومهم واستقذارهم له او استبعادهم اياه كان ذلك مباحا
لان الحذر من الم الذم غير مذموم الا ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص من
العباد فربما كان بعض اقسام الرياء بغير العبادات مذموما بالنظر الى وقت وشخص وبلد وغير مذموم
بالنظر الى اخر روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اراد يوما ان يخرج الى اصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي
عمامته وشعره فقيل له او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين
لاخوانه اذا خرج اليهم وقال امير المؤمنين عليه السلام ليتزين احدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي
يحب ان يراه في احسن الهيئة وقال الصادق عليه السلام الثوب النقي يكبت العدو وروي انه عليه السلام نظر الى رجل من اهل
المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيى منه فقال عليه السلام اشتريته لعيالك و
حملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة ان
يعيبوا علي ذلك لفعلته الا انه لما كان في زمانه يعاب عليه بمثله لم يجز له ان يرتكبه ولما لم يكن ذلك
مما يعاب عليه في زمن امير المؤمنين عليه السلام كان يرتكبه وكان ذلك منقبة له وتعليما فظهر ان ارتكاب بعض الامور
وعدم ارتكاب بعض الافعال قد يكون رياء محبوبا وقد يكون رياء مذموما

فصل

الرياء اما ان يكون مجردا عن قصد القربة والثواب بحيث لولاه وانفرد صاحبه لترك العمل وهو
اشد درجات الرياء واعظمها اثما او يكون مع قصدهما فان كان قصدا ضعيفا مرجوحا بحيث لو
كان خاليا عن قصد الرياء لم يبعثه على العمل ولو كان قصد الرياء خاليا عنه لبعثه عليه كان قريبا من
سابقه وان كان مساويا لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فالحق
كونه مفسدا للعمل ايضا لظواهر الاخبار وان كان راجحا على قصد الرياء غالبا عليه بان يكون قصد
الرياء واطلاع الناس مرجحا ومقويا للنشاط بحيث لو لم يكن لم يترك العمل ولو كان قصد الرياء وحده
لما اقدم على العمل فبعض العلماء على انه لا يحبط اصل العمل والثواب بل ينقص من الثواب ويعاقب
صاحبه على مقدار قصد الرياء وفيه نظر اذ ظواهر الاخبار تفيد ابطاله اصل العمل والثواب بقصد الرياء
عليه وفي المرائي على صاحبه لقول امير المؤمنين عليه السلام ثلث علامات للمرائي ينشط اذا رأى الناس ويكسل

المقام الرابع

تذنيب

اذا كان في حده ويجب ان يحمل في كل اموره وما تقدم من الاخبار الدالة على ان كل عمل اشرك مع الله تعالى
غيره كان الله منه بريئا ولم يقبله صريح في المطلوب وحملها على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد
الرياء ارجح خلاف الظاهر ثم الظاهر ان البطلان في هذه الصورة انما هو اذا رجع قصده الى حب اطلاع
الناس عليه ليقع منزلته في قلوبهم ليتوسل بها الى نيل غرض من الاغراض الدنيوية واما اذا كان سروره
وقصده من اطلاع الناس لاحد المقاصد الصحيحة الآتية فلا باس به ولا يبطل العمل **تنبيه**
من كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله فاذا اتفق اطلاع الناس على طاعته فلا باس بالسرور
به من حيث علمه بان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من حاله فيستدل به على حسن صنع الله به من حيث انه
ستر الطاعة والمعصية والله تعالى ابقى معصيته على الستر واظهر طاعته فيكون فرحه بجميل نظر الله و
فضله لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا وكان ظهر له بظهور طاعته انه عند الله مقبول ففرح به او من حيث
استدلاله باظهار الله الجميل وستره القبيح في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة قال
رسول الله ص ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر الله عليه في الآخرة فالاول فرح بالقبول في الحال
من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل او من حيث ظنه رغبة المطلعين في الاقتداء
به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره اذ يكون له اجر السر بما قصده اولا واجر العلانية بما ظهر اخرا
ومن اقتدى الناس في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شيء او من حيث
فرحه بطاعة المطيعين لله في مدحهم وحبهم للمطيع وميل قلوبهم الى الطاعة اذ من الناس من يمقت
اهل الطاعة ويحسدهم او يستهزئ بهم وينسبهم الى الرياء فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة
الاخلاص فيه ان يكون سروره بمدحهم غيره مثل سروره بمدحهم اياه ويدل على عدم الباس بالسرور فيما ذكر
ما روي ان رجلا قال لرسول الله ص اني اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني قال
لك اجران اجر السر واجر العلانية وما روي انه سئل الباقر ع عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه
انسان فيسره ذلك قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن
صنع ذلك لذلك وهذان الخبران باطلاقهما يدلان على نفي الباس بالسرور لاجل المقاصد
المذكورة ويخصص منهما ما هو المذموم من الفرح الحاصل من اطلاع الناس وان كان قصده
الاخفاء اولا وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا
بحوائجه وانما يخصص ذلك منهما مع شمول اطلاقهما له ايضا لمعارض اقوى هذا وقد تقدم ان

بيان جواز كتمان المعاصي والسعي في اخفائها لاحد الاسباب التي تتضمن الاغراض الصحيحة

قصده اولا اى في حال عقد الطاعة اطلاع الناس عليه وارتياحه به لاحد المقاصد المذكورة ولا باس
ايضا بعد الباس لا يختص بطرء القصد والارتياح بعد العقد وبعد تمام العمل ثم كما لا باس
بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذكورة فكذلك لا باس بكتمان المعاصي واغتمامه باطلاع
الناس عليها لاسباب نذكرها بل الحق رجحان الكتمان ومرجوحيته بعد ارتكابها وان كان الاصل
في الاخلاص استواء السريرة والعلانية ولذا قال بعض الاكابر عليك بعمل العلانية وهو ما ان
ظهر لم تستحي منه وقال بعضهم ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول
والغائط الا ان ذلك درجة عظيمة ليست شريعة لكل وارد ولا يصل اليها الا واحد بعد واحد اذ
كل انسان الا من عصمه الله لا يخلو من ذنوب باطنة سيما ما يختلج بباله من الاماني الباطلة والامور
الشهوية والله مطلع عليها وهي مخفية عن الناس والسعي في اخفائها وكراهة ظهورها جائز بل
راجح بشرط ان لا يكون باعث اخفائها قصد ان يعتقد وافية الورع والصلاح بل كان الباعث
اما كون الستر مامورا به او كون الهتك واظهار المعاصي منهيا عنه قال رسول الله ص من ارتكب
شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى ويعرف صدق ذلك بكراهة ظهورها عن الغير او
كون ستر الله عليه في الدنيا دليلا على ستره في الاخرة لما ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستره عليه
في الاخرة او كون ظهور المعاصي موجبا لذم الناس والذم يولم القلب ويشغله عن طاعة الله
ويصده عن الاشتغال بتحصيل ما خلق لاجله ولكون التالم بالذم جبليا غير ممكن الدفع بسهولة
يكون اخفاء ما ظهوره يؤدي الى حد وشرعا جائز نعم كمال الصدق استواء المدح والذم الا ان ذلك
قليل جدا واكثر الطباع يتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان وربما كان التالم بالذم ممدوحا اذا
كان الذام من اهل البصيرة في الدين فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه فينبغي ان يتالم منه ويتشمر
لدفعه او كون الناس شهدائه يوم القيمة كما ورد فيجوز الاخفاء لئلا يشهدوا عليه يوم القيمة
او خوف ان يقصد بشر اذا عرف ذنبه او خوف صيرورة الذام عاصيا بذمه وهذا من كمال الايمان
ويعرف بتسوية ذمه وذم غيره او خوف سقوط وقع المعاصي من نفسه او اقتداء الغير به فيها وهذه
العلة هي المبيحة لاظهار الطاعة ويختص ذلك بمن يقتدى به من الائمة وامثالهم وبهذه العلة ينبغي ان
يخفي العاصي معصيته من اهله وولده ايضا لئلا يقتدوا به فيها او حب محبة الناس له لا للتوسل
بها الى الاغراض الدنيوية بل ليستدل بها على محبة الله له لان من احبه الله جعله محبوبا في قلوب الناس
او مجرد الحياء من ظهور قبائحه وهو غير خوف الذم والقصد بالشر وهو من فضائل الاخلاق

في التنبيه على اشتباه الحياء بالرياء والإشارة إلى كيفية امتزاجهما وفي شعب بعض ...

كرم الطبع قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وآله الحياء شعبة من الإيمان وقال صلى الله عليه وآله الحياء لا يأتي إلا بالخير وقال صلى الله عليه وآله إن الله يحب الحيي الحليم ومن صدر عنه فسق ولم يبال بظهوره للناس فقد جمع إلى الفسق الهتك وعدم الحياء أعني الوقاحة فهو أسوء حالا ممن يفسق ويستحيي فيستره ثم أكثر ما يشتبه الحياء بالرياء فيدعي من يرائي بأنه يستحيي وأن تركه السيئات أو إخفاءها أو تحسينه للعبادات إنما هو لأجل الحياء من الناس دون الرياء وذلك كذب وبيان ذلك أن الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم ويمكن أن يهيج عقيبه داعية الرياء فيرائي معه ويمكن أن يهيج داعية الإخلاص فيخلص معه مثلا من طلب من صديقه قرضا فإن رده صريحا من غيرهما إلا من دون أن يتعلل ارتكب الوقاحة وعدم الحياء وإن أعطاه بمجرد انقباض نفسه من استشعار قبح رده مشافهة من دون رغبة في الثواب ولا خوف من ذمه أو حب لمدحه حتى لو طلبه مراسلة أو بتوسط غيره من الأجانب لرده فإعطاؤه هذا صادر عن مجرد الحياء من دون ترتب رياء أو إخلاص عليه وإن تعسر عليه الرد للحياء وكان ما في نفسه من البخل مانعا من الإعطاء فحدث خاطر الرياء ويخاطب نفسه بأنه ينبغي أن تعطيه حتى يمدحك بالسخاء ولا يذمك بالبخل فأعطاه لذلك فهو مزج الرياء بالحياء والمحرك للرياء هو هيجان الحياء وإن تعسر عليه الرد للحياء والإعطاء للبخل فهيج باعث الإخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بثمانية ففيه أجر عظيم وإدخال السرور على قلب مسلم صديق من أقرب القربات فيسخي نفسه بالإعطاء فهو جمع بين الحياء والإخلاص ثم الحياء لا يكون إلا في القبايح الشرعية والعقلية والعرفية كالبخل ومقارفة الذنوب والظلم وصدور بعض الحركات القبيحة عرفا في المحافل والرياء يكون في المباحات أيضا حتى أنه لو عاد الضاحك إلى الانقباض والمستعجل في المشي إلى الهدو بعد اطلاع الناس كان مرائيا وربما ظن أن باعث ذلك هو الحياء وهو جهل إذ باعثه مجرد الرياء وما قيل إن بعض الحياء ضعف فالمراد أن الحياء عما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس كالحياء من وعظ الناس وإمامة الصلوة ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا إذا وجد عذر يحسن الحياء معه كأن يشاهد معصية من شيخ فيستحيي من شيبته أن ينكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم ولو استحيى من الله ولا يضيع الأمر بالمعروف لكان أحسن وأقوياء النفوس من أهل الإيمان يؤثرون الحياء من الله على الحياء من الخلق وأما ضعفاء النفوس منهم فقد لا يقدرون على ذلك

فصل

الرياء إما بأصل الإيمان وهو إظهار الشهادتين مع التكذيب باطنا وهذا هو كفر النفاق وقد كان في صدر الإسلام كثيرا وقلما يوجد أمثاله في زماننا وإن كثر فيه إنكار بعض ضروريات الدين كالجنة والنار والثواب

في تفاوت مراتب الرياء المتعلق بالباعث والمرائي من حيث ان بعض اسوء من بعض

والعقاب واعتقاد لحق ببناء احكام الشرع باطنا ميلا الى قول الملاحدة واهل الاباحة مع اظهار الخلاف
ظاهرا وهذا ايضا معدود من كفر النفاق وصاحبه بسبيل من الذين مخلد في النار وصاحب كفر
النفاق مطلقا اسوء حالا من الكافر المحارب لانه جمع بين الكفر الباطن والنفاق الظاهر او بامور
العبادات مع التصديق باصل الدين كان يصلي في الملاء دون الخلوة ويصوم مع اطلاع الناس
عليه ويفطر بدونه ومثله وان لم يكن من اصل الدين الا انه شر المسلمين لترجيحه الخلق على
الخالق وكون التقرب اليهم احب من التقرب لديه وكون خوفه من ذمهم اشد من خوفه من عقابه
سبحانه او بالنوافل والسنن وهذا ايضا مذموم مهلك ولكنه دون ما قبله لان صاحبه وان
قدم مدح الخلق على مدح الخالق الا انه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه لعدم ترتب عقاب
على مجرد ترك النافلة او باوصاف العبادات الواجبة او المستحبة كفعل ما في تركه نقصان او كراهة او زيادة
في فعله احدهما او بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده
الصف الاول وامثال ذلك وكل ذلك مذموم الا ان بعضه اشد من بعض

فصل

باعث الرياء اما التمكن من المعصية كاظهار الورع والتقوى ليفوض اليه الحكومة والقضاء لينال
الجاه والاستيلاء ويحكم بالجور ويأخذ الرشا او يسلم اليه الودايع والصدقات واموال اليتامى
وامثال ذلك فيأخذ لنفسه منها ما يقدر عليها او كحضوره مجالس العلم والوعظ والتعزية
لملاحظة النسوان والصبيان وهذا اشد درجات الرياء اثما ويقرب منها اظهار الديانة والتقوى
ليدفع عن نفسه تهمة ما اقترفه من الجرائم او نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا كالاشتغال بالوعظ و
التذكير والامامة والتدريس واظهار الصلاح والورع ليبذل اليه الاموال ويرغب في تزويجه
النسوان او خوف ان ينظر اليه بعين النقص والحقارة او ينسب الى الكسالة والبطالة كترك العجلة
والضحك بعد اطلاع الناس عليه خوفا من ان يعرف باللهو والهزل فيستحقر وكالقيام
للتهجد واداء النوافل اذا وقع بين المتهجدين والمتنفلين لئلا ينسب الى الكسالة ولو خلى بنفسه لم يتنفل
مطلقا وكذا الامتناع من الاكل والشرب في اليوم الذي يصام فيه تطوعا وتصريحه باني صائم خوفا من ان
ينسب الى البطالة وربما لم يصرح بكونه صائما بل يقول لي عذر وح قد جمع بين ريائين الرياء بكونه
صائما والرياء بكونه مخلصا غير مراء ثم ان الجائة الكسالة والشهوة الى القيام الى النوافل وعدم الصبر عن
الاكل والشرب ذكر لنفسه عذرا اما تصريحا او تعريضا كان يتعلل الترك بمرض وضعف وشدة العطش
او تطييب خاطر فلان وقس عليها غيرها من الكلمات والاعذار فانها لا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق

الرياء في النفس والمخلص لا يريد غير الله والتقرب اليه ولا يعتني بالخلق وحصول المنزلة في قلوبهم فان لم يصم لم يحب ان يعتقد غيره فيه ما يخالف علم الله لئلا يكون ملبسا وان صام قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره ثم هذه البواعث لما كان بعضها صادرا من رذائل قوة الغضب وبعضها من رذائل قوة الشهوة فتكون بعض انواع الرياء من رذائل الاولى وبعضها من رذائل الثانية **تنبيه** الرياء جلي وخفي والجلي ما يبعث على العمل لولا قصد الثواب والخفي ما لا يبعث بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به التقرب في الخلوة ويعرف بالسرور اذا اطلع عليه الناس لا للمقاصد المتقدمة بل لطلب نوع منزلة في قلوب الناس وبتوقع التعظيم والتوقير وقضاء الحوائج منهم ووجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر في احترامه كان نفسه تتقاضى الاكرام والاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه احد ولا شك ان هذا التقاضي لا ينفك عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل ولو كان عنده وجود اطلاعه كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق وقنع بعلم الله فيها لم يكن هذا التوقع وحد علامة خلو العمل من الرياء ان لا يجد تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ومهما وجد تفرقة في ذلك فلا يكون منفكا عن توقع ما عن الناس في طاعته وذلك مما يحبط العمل قال امير المؤمنين ع يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبدؤن بالسلام الم يكن يقضى لكم الحوائج فلا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم **فصل** لو عقد العمل على الاخلاص واستمر الى الفراغ لم يحبطه السرور بظهوره بعده لا من قبله كما دل عليه بعض الظواهر السالفة ولا يعصى به الا ان كان لاجل احد المقاصد السالفة ويكتب له معصية ان كان لطلب حصول منزلة له في القلوب ولو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبة والسرور بذلك فربما قيل باحباطه العمل اذ حب التحدث به يدل على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد خفي من الرياء وقد ايد ذلك بما روي ان رجلا قال للنبي ص اني صمت الدهر فقال ص لا صمت ولا افطرت وما روي ان ابن مسعود سمع رجلا يقول قرأت البارحة سورة البقرة فقال ذلك حظه منها والظاهر انه لا يحبط عمله بل يثاب وان عوقب على ما صدر منه بعد الفراغ من الرياء والتعليل لو تم لا يفيد البطلان اذ العقد الذي لم يشعر به صاحبه لا يؤاخذ به والا لزم التكليف بالمحال والخبر لو صح فانكاره لاجل كراهة صوم الدهر لا لاظهاره وقول ابن مسعود لو ثبت لا حجية فيه ولو عقد العمل على الاخلاص وورد في اثنائه وارد السرور باطلاع بعض الناس عليه فان لم يكن باعثا على العمل ومؤثرا فيه بحيث لولا تحريكه لاتم العمل على الاخلاص من غير فتور وكان ايضا لاحد المقاصد الصحيحة المتقدمة فلا بطلان ولا اثم لسابقه من الاخبار وان لم يكن

باعثا ولكن لم يكن بشيء من المقاصد المذكورة بل كان لظنه نيل الجاه او المال بالظهور يلحق
بطلان العمل وكونه اثما للعمومات السالفة وان كان باعثا ومؤثرا فهو الرياء المحرم سواء كان غالبا
على قصد التقرب ومساويا له او مغلوبا عنه فيحبط العمل وعليه الاعادة لو كان فريضة لما تقدم
من العمومات ولقوله العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله وقوله من راءى بعمله ساعة حبط عمله
الذي كان قبله ثم هذا في العمل المركب الذي له اجزاء ويتوقف صحة كل واحد منها على صحته كالصوم والصلوة
والحج واما العمل الذي كل جزء منه منفرد كالصدقة والقرائة فما يطرء من الرياء في اثنائه انما يفسد
الباقي دون الماضي فطريه فيه في الاثناء بالنسبة الى الماضي كطريه بعد الفراغ في الاول وهذا حكم
الرياء الطاري بعد عقد الطاعة على الاخلاص اما بعد الفراغ او قبله سواء لم يرجع عنه حتى يتمها
او ندم بعده في الاثناء ايضا ورجع واستغفر واما المقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة مثلا
على قصد الرياء فان اتمها عليه فلا خلاف في كونه اثما وعدم الاعتداد بها وان ندم عليه في الاثناء
ورجع واستغفر فان كان مجرد القصد الى العبادة الباعث الى اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمة
وارتياحه به فلا باس به ولا يحبط العمل وان كان غيره لك افسده سواء في ذلك جميع شقوقه المتقدمة
كما علم وجهه **فائدة** لما كان المناط في الاعمال صحة وفسادا هو القصد والنية اذ الاعمال بالنيات
ولكل امرئ ما نوى فكل عمل يدخله شوائب الرياء فهو فاسد سواء وقع سرا او علانية وكل عمل
كان خالصا لله وامن صاحبه من دخول الرياء فيه فلا باس باسراره ولا باظهاره ثم لو تعلق قصد صحيح
باظهار نفس العمل والتحدث به بعد الفراغ عنه كترغيب الناس في الخير وتنبيههم على الاقتداء به
فيه كان اظهاره افضل من اسراره بشرط عدم اشتماله على رياء او فساد آخر كاهانة الفقير في التصدق
ولو اشتمل على شيء من ذلك كان اسراره افضل من اعلانه وبذلك يجمع بين الاقوال والاخبار
والحاصل انه متى انفك القلب عن شوائب الرياء بحيث يتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين
فما فيه القدوة وهو العلانية افضل ومهما حصلت فيه شوائب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره
لكونه مهلكا له فالسر افضل منه فعلى من يظهر العمل ان يعلم ويظن انه يقتدى به وان يراقب قلبه لئلا
يكون فيه حب للرياء الخفي فربما اظهر العمل بحجة الاقتداء وكان في نفسه قصد التجمل بالعمل وكونه
مقتدى به وهذا حال كل من يظهر العمل الا من ايده الله بقوة النفس وخلوص النية فلا ينبغي لضعيف
النفس ان يخدع نفسه فيضل ويضل ويهلك ويهلك من حيث لا يشعر فان الضعيف مثاله
مثال الغريق الذي يعلم سباحة ضعيفة فينظر الى جماعة من الغرقى فيرحمهم واقبل عليهم لينجيهم

فتشبثوا به وهلك وهلكوا وهذه المواضع مزال اقدام العلماء والعباد فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم بالرياء ودرك ذلك غامض جدا لا يبلغه الا الخائضون في غمرات علم الاخلاق ويعرف الخلوص في ذلك بان لا يتفاوت حاله باقتداء الناس به وبغيره من اقرانه وامثاله فان كان غلبة ميل الى ان يكون هو المقتدى به فاظهاره العمل غير خال عن شوائب الرياء

ايقاظ لما عرفت ان المناط في صحة الاعمال وفسادها هو القصد والنية تعلم ان كل عمل لم يكن خالصا لوجه الله واريد به غيره سبحانه ينبغي ان يترك ويعرض عنه وان كان خالصا لله مقصودا على قصد صحيح لا ينبغي تركه لمجرد بعض الوساوس والخواطر الشيطانية فان الشيطان يدعو اولا الى ترك العمل فان لم يجب يدعو الى عمل الرياء فاذا ايس منه يقول هذا العمل ليس خالصا بل هو رياء فاي فائدة فيه ثم الاعمال اما من الطاعات اللازمة التي لا تعلق لها بالغير كالصلوة والصوم والحج وامثالها او من الطاعات المتعدية التي لها تعلق بالخلق كالامامة والقضاء والحكومة والافتاء والوعظ والتذكير والتعليم والتدريس وانفاق المال وغير ذلك والقسم الاول ان دخله الرياء قبل الفعل بان يكون باعثه الرياء دون الخلوص والقربة فينبغي ان يترك ولا يشرع فيه وان دخله بعد العقد ومعه فلا ينبغي ان يترك لانه وجد له باعث ديني وانما طرئه باعث الرياء دون الخلوص والقربة فليجاهد في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا بالمعالجات التي نذكرها ومهما كان في مقام المجاهدة مع نفسه مغالبا لها قاهرا عليها في ميلها الى الرياء ووجد من طبعه كراهة هذا الميل فالنجاة في حقه مرجو ولعل الله يسامحه بعظيم رحمته واما اذا لم يكن في مقام المجاهدة ولم يكن كارها لما يجد في نفسه من الميل الى الرياء بل اعطى زمام الاختيار الى النفس الامارة وهي زائة في الاعمال وهو يتبعه في ذلك من غير قهر عليها وكراهة لفعلها فلا ريب في فساد اعماله واولوية تركها وان كان باعثها ابتداء محض القربة ودخلها الرياء مع العقد او بعده واما القسم الثاني المتعلق بالخلق اعني امامة الصلوة والقضاء والتدريس والافتاء والوعظ والارشاد وامثال ذلك فاخطارها عظيمة ومثوباتها جسيمة فمن له اهلية ذلك من حيث العلم ان كان ذا نفس قوية لا يعتني بالناس ولا يزعجها وساوس الخناس وله معرفة تامة بعظمة ربه وقدرته وساير صفاته الكمالية بحيث شغله ذلك عن الالتفات الى الخلق وما في ايديهم حتى يرائي لاجلهم او يختار رضاهم على رضا ربه فالاولى لمثله ان لا يترك هذه المناصب لفوت مثوباتها العظيمة وان كان ذا نفس ضعيفة كخيط مرسل في الهواء تفيئها الريح مرة هكذا ومرة هكذا

فهولا يامن الرياء وساير اخطارها فاللازم لمثله تركها ولذلك كان اهل اليقين من السلف يتدافعون هذه المناصب ما وجدوا اليه سبيلا وورد ما ورد من الاخبار في عظم خطرها وكثرة آفاتها ولزوم التثبت والاحتياط لمن يزاولها وما ورد من الوعيد الشديد في حق العلماء السوء يكفي للزوم الحذر عن فتن العلم وغوائله ومما يفصم ظهور امثالنا من الذين يقولون ما لا يعملون ويامرون بما لا يفعلون قول عيسى بن مريم عليهما السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا ينقضي من الدنيا شهوته ولا ينقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا يوشك الدنيا ان تقلعكم من اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم ياخذ خطاياكم بنواصيكم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء افعالكم هذا ويعرف الصادق المخلص من اهل هذه المناصب بانه اذا ظهر من هو اعدل واحسن وعظا واكثر علما منه واشد قبولا للناس فرح به ولم يحسده و اذا حضر الاكابر والاعاظم مجلسه او افتد وابر لم يتغير كلامه ولم يتفاوت حاله بل يبقى على ما كان عليه ينظر الى عباد الله بعين واحدة

تنبيه لما عرفت حقيقة الرياء تعلم انه اذا صار عمل بعض الصالحين او قولهم محركا لغيرهم على الاشتغال بطاعة لم يكن هذه الطاعة رياء اذا عقد على الخلوص وان لم يكن هذا الغير ان يفعل هذه الطاعة اذا لم يشاهدها من بعض الصالحين او لم يسمعها منه فمن لم يكن عادته التهجد وبات مع قوم متهجدين في موضع فاذا قاموا للتهجد انبعث نشاطه للموافقة وافقهم في التهجد ولم يكن ذلك رياء بعد ان يكون قصده منه الثواب والتقرب الى الله اذ كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل ولكن قد يعوقه العوائق ويمنعه الغفلة فاذا شاهد قوما

يتهجدون وربما صار مشاهدة طاعتهم سببا لزوال غفلته كما يصير توهم وعظهم سببا لذلك فتحرك باعث الدين دون الرياء ويدعوه الى موافقتهم وربما كان الموضع مما الليل فيه عائق فيغتنم الفرصة ويبعثه ما فيه من الايمان الى الطاعة وقس على التهجد غيره من الصوم والتصدق والقراءة والذكر وغيرها من اعمال البر

فصل لما كان الاسباب الباعثة على الرياء هي حب لذة المدح والفرار من ألم الذم والطمع لما في ايدي الناس فالطريق في علاجه ان يقطع هذه الاسباب وقد تقدم طريق العلاج في قطع الاولين ويأتي طريق ازالة الثالث وما نذكره هنا من العلاج العلمي للرياء هو ان يعلم ان الشيء انما يرغب فيه لكونه نافعا واذا علم انه ضار يعرض عنه البتة وح فينبغي لكل ان يتذكر مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من المقت والعذاب متى تذكر ذلك وقابل ما يحصل له في الدنيا من الناس الذين راءى لاجلهم بما يفوته في الآخرة من ثواب الاعمال لترك الرياء لاجله مع ان العمل الواحد ربما يترجح به كفة حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة السيئات فيترجح به ويهوي الى النار هذا مع ان المرائي في الدنيا متشتت الهم متفرق البال بسبب ملاحظة قلوب الناس فان رضاهم غاية لا تدرك وكلما ارضى به فريق يسخط به فريق ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل مدحهم ولا يزيد مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة ومن كان ريائه لاجل الطمع بما في ايدي الناس ينبغي ان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب للمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة واذا قرر ذلك في نفسه ولم يكن منكر الامر زالت غفلته وفترت عن الرياء رغبته واقبل على الله بقلبه وانقطع بشراشره الى جنابه ويكفيه ان يعلم ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه اليهم ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بمدحه وثنائه مع انه لا يحصل له كمال بمدحهم ولا نقصان بذمهم ثم من تنور قلبه بنور الايمان وانشرح صدره باليقين والعرفان وعرف معنى الواجب وحقيقة الممكن وتيقن بان الواجب اي الحقيقة التي يقتضي بنفس ذاته التحقق والبقاء وهو صرف الوجود يجب ان يكون تاما وفوق التمام ولا يتصور حقيقة اتم كمالا منه والحقيقة التي هذا شانها يجب ان يكون ما سواها باسرها مستندا اليها وصادرا عنها على اشرف انحاء الصدور واوفقها وهذا النحو الاشرف الاقوى الذي لا

ذكر المعالجة العملية لاقلاع الرياء عن القلب وبيان ان الوساوس بمجردها لا تفسد العمل

يتصور نحو اقوى منه في الاختراع وادل منه على كمال عظمة الموجد وقدرته هو كون ما سواه سبحانه
من الموجودات ما اعتبارات وشئونات لدرجات ذاته واشراقات لتجليات صفاته كما
ذهب اليه قوم وكونها ماهيات ممكنة اخترعها علما وعينا صادرة عنه سبحانه بوجودات
خاصة متعددة ارتباطية بمحض ارادته ومشيته كما ذهب اليه قوم ولو لم يكن غيره من الموجودات
مستندا اليه على اقوى انحاء الاستناد لم يكن تاما فوق التمام او يكون الذات التي يستند
الكل اليها باحد النحوين اكمل منه واشرف واذا عرف انه سبحانه كذلك يعرف انه ليس في الوجود حقيقة
احد سواه وغيره حقيقة العدم وماله من الوجود والظهور منه سبحانه وبعد هذه المعرفة
لا يختار غيره تعالى عليه ويعلم ان العباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون
موتا ولا حيوة فلا يتغير قلبه بمشاهدة الخلق ولا يلتفت اليهم الا بخطرات ضعيفة لا تشق
عليه ازالتها فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله واما العلاج العملي فهو ان يعود نفسه
اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما يغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله و
اطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وذلك وان شق في بداية المجاهدة
لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله وما يمد
به عباده من حسن التوفيق والتاييد لكن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فمن العبد
المجاهدة ومن الله الهداية ﴿وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

تتميم العامل مع قلع مغارس
الرياء من قلبه بقطع الطمع واستحقار مدح الناس وذمهم ربما يحركه الشيطان نحوهما في اثناء
العبادة فعارضه بخطرات الرياء ونزغاته حتى احدث في قلبه ميلا خفيا الى الرياء وخياله والحق
ان ذلك ليس من الرياء المحرم ولا يفسد العبادة مع كونه كارها لهذا الميل والحب وقاهرا على
نفسه ما امكنها في تاثرها وتغيرها عن نزغات الشيطان ومنازعا للشيطان ومجاهدا اياه
لدفع خطراته لان الله لم يكلف عباده الا ما يطيقون وليس في وسعهم منع الشيطان من نزغاته
ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى شهواته وغاية ما يقدرون عليه ان يقابلوا نزغاته وميل الطبع
بالكراهة والقهر على النفس في هذا الميل مع المجاهدة في دفع ذلك بتذكر المعالجات المقررة
لدفع الرياء والوساوس واذا فعلوا ذلك ادوا ما يجب عليهم ويدل على ذلك ايضا ما تقدم من الاخبار
الدالة على عدم المؤاخذة بمجرد الوسوسة وقول النبي صلى الله عليه وآله الحمد لله الذي رد كيد الشيطان
الى الوسوسة فوسوسة الشيطان وميل النفس لا يضران مع ردهما بالكراهة والاباء اذ
الوساوس والخواطر والتذكرات والتخيلات المهيجة للرياء من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك

ذكر طرق اربع لدفع خطرات الرياء في اثناء العبادة وللغلبة على الشيطان المعاند في ضمنه

الخواطر من النفس والاباء والكراهة من الايمان ومن آثار العقل فلا يضر ما من النفس والشيطان اذا قوبل بما من العقل والايمان ولذا قال بعض الاكابر ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه ثم الطرق المتصورة في دفع خطرات الرياء في اثناء العبادة مع كراهتها اربع الاولى ان يشتغل بمجادلته في رد نزغاته ويطيل معه الجدال الثانية ان يقتصر على تكذيب الشيطان ودفعه من غير اشتغال بمجادلته الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا بل يكتفي بما قرر في عقد ضميره من كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا له غير مشتغل بالمخاصمة والتكذيب الرابعة ان يزيد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله او ما يؤدي اليهما كاخفاء العبادة والصدقة غيظا للشيطان لان ذلك يغيظ الشيطان ويوجب ياسه مهما عرف من عبد هذه العادة كف عنه خوفا من ان يزيد في حسناته ولا ريب في ان الاشتغال بالمجادلة والتكذيب واطالتهما يمنع الخشوع ويصد عن التوجه الى الله وهو نقصان لاهل السلوك فالصواب للمؤمن ان يقرر دائما في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان ويعزم ابدا على انه اذا هجم عليه الشيطان وعارضه بنزغات الرياء زاد ما هو فيه مما يغيظ الشيطان ويوجب ياسه فاذا حدث خطرات الشيطان في الاثناء اكتفى بما عقد عليه اولا مستصحبا له وزاد في الاخلاص وما يؤدي اليه فان ذلك يوجب قنوط الشيطان واذا عرف العبد بهذه الصفة لا يتعرض له لئلا يزيد فيما يغيظه وينبغي لكل مؤمن ان يكون هذا ديدنه في جميع الصفات والملكات مثلا اذا حصل اليقين والعقيدة الجازمة بالمبدأ وصفاته الكمالية ثم قرر ذلك في نفسه واثبت في قلبه كراهة الشك وخطور الوساوس فاذا حدث بعض الوساوس في اثناء عبادة او غيرها ينبغي ان لا يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان ويكتفي بما تقرر في قلبه من اليقين وكراهة الشك والوسوسة معتقدا بان هذه الوساوس لا اصل لها ولا عبرة بها وكذا اذا قرر في نفسه النصيحة للمسلمين وكراهة الحسد فاذا اوقع الشيطان نزغات الحسد في قلبه ينبغي ان لا يلتفت اليها ويستصحب ما كان عليه من النصيحة والكراهة وقس عليها سائر الصفات والاخلاق ثم مثل من يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان مثل من قصد مجلسا من مجالس العلم والوعظ لينال فائدته وهدايته فعارضه ضال فاسق ودعاه الى مجلس فسق فابى وانكر عليه فاذا عرف الضال اباءه اشتغل بالمجادلة معه وهو ايضا يساعده على ذلك لترحم ضلاله ظانا ان ذلك مصلحة مع ان غرض الضال اذ قصده من المجادلة ان يؤخره عن نيل مقصوده ومثل من يشتغل بالتكذيب مثل من لا يشتغل

في ذكر ضده وهو الاخلاص في العمل وتحقيقه واعلى مراتبه وادناها

فضيلة اخلاص العمل

بالقتال مع الضال بعد دعوته الى مجلس الضلال بل رفع بعد ان يدفع في نحره وذهب مستعجلا
ففرح الضال بعد توفقه للدفع ومثل من يكتفي بعقد الضمير ومثل من لم يلتفت الى الضال بعد عوده
اصلا واستمر على ما كان عليه من المشي ومثل من يزيد فيما كان له من الاخلاص وما يؤدي اليه مثل
من يزيد في عجلته بعد عوده ليغيظه ولا ريب في ان الضال يمكن ان يعاود الجميع في الدعوة الى الضلالة
اذا مروا عليه مرة اخرى الا الاخير فخاف ان يزداد فائدة باستعجاله

وصل ضد الرياء الاخلاص
هو تجريد القصد عن الشوائب كلها فمن عمل طاعة رياء فهو مراء مطلق ومن عملها وانضم الى قصد
القربة قصد غرض دنيوي انضماما غير مستقل فعمله مشوب غير خالص كقصد الانتفاع بالحمية من
الصوم وقصد التخلص من مؤنة العبد وسوء خلقه من عتقه وقصد صحة المزاج او التخلص من بعض
الشرور والاحزان من الحج وقصد العزة بين الناس وسهولة طلب المال من تعلم العلم وقصد النظافة
والتبرد وطيب الرائحة من الوضوء والغسل والتخلص عن ابرام السائل من التصدق عليه وهكذا
فمتى كان باعث طاعة هو التقرب ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات خرج عمله من
الاخلاص فالاخلاص تخليص العمل من هذه الشوائب كلها كثيرها وقليلها والمخلص من يكون
عمله لمحض التقرب الى الله سبحانه من دون قصد شيء آخر اصلا ثم اعلى مراتب الاخلاص وهو الاخلاص
المطلق واخلاص الصديقين بعين ارادة محض وجه الله سبحانه من العمل دون توقع غرض في الدارين
ولا يتحقق الا لمحب الله تعالى المستهتر به المستغرق الهم بعظمته وجلاله بحيث لم يكن ملتفتا الى الدنيا مطلقا
وادناها وهو الاخلاص الاضافي قصد الثواب والاستخلاص من العذاب وقد اشار سيد
الرسل الى حقيقة الاخلاص بقوله هو ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت تعمل لله لا تحب ان
تحمد عليه اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذا
اشارة الى قطع ما سوى الله سبحانه عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا ويتوقف تحصيله على كسر حظوظ
النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب والتفكر في صفات
الله تعالى وافعاله والاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله وعظمته ويستولي عليه حبه و
انسه وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لعدم
عثوره على وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في
المسجد جماعة في الصف الاول لاني تأخرت يوما لعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من
الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس اليّ في الصف الاول كان يسرني وكان سبب

استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر فهذا دقيق غامض وقلّما تسلم الاعمال عن امثاله وقلّ من يتنبّه له والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله تع وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وبقوله قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

فصل

الاخلاص منزل من منازل الدين ومقام من مقامات المؤمنين وهو الكبريت الاحمر وتوفيق الوصول اليه من الله الاكبر ولذا ورد في فضيلته ما ورد من الآيات والاخبار قال الله تعالى وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وقال أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وقال إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ وقال فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا نزل فيمن يعمل لله ويحبّ ان يحمد عليه وفي الخبر القدسي الاخلاص سرّ من اسراري استودعه قلب من احببته من عبادي وقال رسول الله صلعم اخلص العمل يجزئك منه القليل وقال ص ما من عبد يخلص العمل لله تعالى اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال ص ثلث لا يغلّ عليهن (يحقد) وعدّ منها قلب رجل مسلم اخلص العمل لله عزّ وجلّ وقال امير المؤمنين ع لا تهتموا لقلّة العمل واهتموا للقبول وقال ع طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطى غيره وقال الباقر ع ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوما الا زهّده الله تعالى في الدنيا وبصّره داءها ودواءها واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وقال الصادق ع في قول الله عزّ وجلّ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم عملا وانّما الاصابة خشية الله والنيّة الصادقة ثم قال الابقاء على العمل حتى يخلص اشدّ من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد الا الله عزّ وجلّ والنيّة افضل من العمل الا وانّ النيّة هو العمل ثم تلا قوله تع قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ يعني على نيّته وقال ع الاخلاص يجمع فواضل الاعمال وهو معنى مفتاحه القبول وتوقيعه الرضا فمن يتقبّل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وان قلّ عمله ومن لا يتقبّل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بآدم ع وابليس وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب مع اصابة كل حركة وسكون المخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال والعامل والمعمول بالعمل لانه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الاوّل (ره) هلك العاملون الا العابدون وهلك

بيان مراتب الاخلاص وذكر الآفات المكدرة له ودرجاتها في الخفاء والجلاء

تنبيه

العابدون الا العالمون وهلك العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون الا المخلصون و
هلك المخلصون الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون وان الموقنين لعلى خطر عظيم قال الله تعالى
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وادنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند
الله قدرا فيوجب به على ربه مكافاة بعمله لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى مقام
المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة ومن تأمل في
هذه الاخبار وفي غيرها مما لم يذكر يعلم ان الاخلاص رأس الفضائل ورئيسها وهو المناط في قبول
الاعمال وصحتها ولا اجرة بعمل لا اخلاص معه ولا خلاص من الشيطان الا بالاخلاص لقوله الا عبادك
منهم المخلصين وما ورد في الاسرائيليات من حكاية العابد والشيطان والشجرة مشهور وفي الكتب
مسطور

فصل الآفات التي تكدر الاخلاص وتشوشها لها درجات في الظهور والخفاء اجلاها
الرياء الظاهر وهو الظاهر ثم تحسين العبادة والسعي في الخشوع فيها في الملاء دون الخلوة ليستحسنه
الناس ولو كان عمله هذا خالصا لله لم يتركه في الخلوة اذ من يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى
لغيره تركه فكيف يرضى ذلك لنفسه في الخلوة ثم تحسينها في الخلوة ايضا بقصد التسوية بين الخلوة و
الملاء وهذا من الرياء الغامض لانه حسن عبادته في الخلوة ليحسنها في الملاء فلا يكون فرق بينهما في التفاته
منهما الى الخلق اذ الاخلاص الواقعي ان يكون مشاهدة الخلق لعبادته كمشاهدة البهائم لها من دون
تفاوت اصلا فكأن نفسه لا تسمح باساءة العبادة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في
صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول باستواء عبادته في الخلوة والملاء وليس كما ظنه اذ زوال ذلك
موقوف على عدم التفاته الى الخلق في الملاء والخلاء كما لا يلتفت الى الجمادات فيهما مع انه مشغول
الهم بالخلق فيهما جميعا واخفاها ان يقول له الشيطان وهو في العبادة في الملاء بعد يأسه عن المكائد
السابقة انت واقف بين يدي الله سبحانه فتفكر في جلاله وعظمته واستحي من ان ينظر
الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه وهذا اخفى مكائد الشيطان وخداعه و
لو كان هذه الخطرة ناشئة عن الاخلاص لما انفكت عنه في الخلوة ولم يختص خطورها بحالة حضور
غيره وعلامة الامن من هذه الآفات ان يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملاء ولا يكون حضور الغير
سببا لخطوره كما لا يكون حضور بهيمة سببا له فما دام العبد يفرق في احواله واعماله بين مشاهدة
الناس ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء
وهذا الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء

المقام الرابع

كما ورد به الخبر ولا يسلم منه الا من عصمه الله بخفي لطفه اذ الشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله لا
يغفل عنهم لحظة ليحملهم على الرياء في كل واحد من افعالهم واعمالهم **تتميم** الحق كما اشير اليه
ان الشوب الممزوج بالاخلاص ان كان من المقاصد الصحيحة الراجحة شرعا لم يبطل العمل والاخلاص
ولم ينقص الاجر والثواب اذ نية الخيرات المتعددة توجب تضاعف الثواب بحسبها وان كان من
الاغراض الدنيوية الراجعة الى حب جاه وطمع مال فهو مبطل للعمل والثواب سواء كان الباعث
الديني اضعف من الباعث النفسي او مساويا له او اقوى منه لظواهر الاخبار المتقدمة ومع ابطاله
العمل يترتب عليه عقاب على حدة ايضا اذ الرياء في العبادة في نفسه منهي عنه محرم سواء كان هو الباعث
وحده او انضم الى نية التقرب انضماما مستقلا او غير مستقل فمن ارتكبه كان اثما لاجل الرياء في نفسه و
تاركا للعبادة من حيث دخول الرياء فيها فان كانت واجبة ترتب اثم اخر على تركها الا ان يسقط
بقضائها وان كانت مستحبة لم يلزم قضاؤها ولم يترتب اثم على تركها بل كان اثمها منحصرا بما يترتب
على الرياء في نفسه ثم الاثم المترتب على الرياء المحض اشد واغلظ من المترتب على الرياء الممزوج
بالقربة ويتزايد اثم الممزوج بحسب ازدياد قوة باعث الرياء بالنظر الى باعث الاخلاص وينقص بحسب
نقصان ذلك وعلى ما ذكرناه فما انعقد عليه اجماع الامة من ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح
حجه واثيب عليه مع ان سفره ليس خالصا للحج فوجهه ان التجارة بغرض الرزق وهو ايضا
عبادة وقد تقدم ان نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها فلا حاجة الى ما قيل
ان التاجر انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص
وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولا الى ما قيل مهما كان الحج هو المحرك
الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب نعم اذا كان التجارة
للجمع والادخار من غير حاجة فلا يبعد ان يؤثر ذلك وكذا اذا انضم الى قصد الحج قصد التفرج
ودفع التوحش عن الاهل انضماما غير مستقل ومثله اذا انضم الى نية الوضوء التبرد والى نية
الصوم قصد الحمية والى نية العتق الخلاص من المؤنة وسوء الخلق الى غير ذلك اذا لم يكن الانضمام
مستقلا ومن العلماء من قال ان الباعثين ان تساويا تساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان
كان باعث الرياء اقوى لم يكن العمل نافعا بل كان مضرا وموجبا للعقاب وان كان عقابه اخف من عقاب
الذي تجرد للرياء وان كان باعث التقرب اقوى فله ثواب بقدر ما فضل من قوته لقوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير

بيان رذيلة النفاق وبيان ما انعقد ... وتحقيق الرائي عليه حقيقة

بل ان كان قصد التقرب غالبا على الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادته وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد والسر ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وقوة هذا المهلك بالعمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وقوته بالعمل على وفقه فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قويت تلك الصفة وان عمل على وفق داعية الخير قويت ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والاخر منج فان كانت تقويته لهذا بقدر تقويته للاخر فقد تقاوما وان كان احدهما غالبا زاد تأثيره بقدر الفاضل من قوته كما في تأثير الادوية والاغذية المتضادة انتهى وفيه ان اطلاق الظواهر يفيد كون شوب الرياء محبطا للعمل والثواب وقد تقدم بعضها ومنها ما روي ان رجلا سئل النبي صلى الله عليه وآله عمن يصطنع المعروف ويحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ولا ريب في انه قصد الحمد والاجر جميعا ومع ذلك نزل في حقه هذه الاية ومنها ما روي ان اعرابيا اتاه صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل للشجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وآله من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وحملها على صورة تساوي القصدين او غلبة قصد الرياء وما ذكره من ان لكل قصد فعل تأثيرا خاصا على حدة ففيه ان ذلك اذا لم يسلط ضده ونحن نقول ان مقتضى الاخبار كصريح العقل يدل على ان قصد الرياء يبطل قصد القربة اذا تواردا على فعل واحد فلا يبقى لقصد التقرب تأثير حتى يتصف بالزيادة على تأثير قصد الرياء ومنها النفاق وهو مخالفة السر والعلن سواء كان في الايمان او في الطاعات او في المعاشرات مع الناس وسواء قصد به طلب الجاه والمال او لا وعلى هذا فهو اعم من الرياء مطلقا وان خص بمخالفة القلب واللسان او بمخالفة الظاهر والباطن في معاملة الناس ومصاحبتهم فبينهما عموم وخصوص من وجه وعلى التقادير ان كان باعثه الجبن فهو من رذائل قوة الغضب من جانب التفريط وان كان باعثه طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الافراط وان كان منشأه تحصيل مال او منكح فهو من رذائل قوة الشهوة ولا ريب في انه من المهلكات العظيمة وقد تظافرت الايات والاخبار على ذمه واشد انواع النفاق بعد كفر النفاق كون الرجل ذا وجهين ولسانين بان يمدح اخاه المسلم في حضوره ويظهر له المحبة والنصيحة ويذمه في غيبته ويؤذيه بالسب والسعاية الى الظالمين وهتك عرضه واتلاف ماله وغير ذلك وبان يتردد بين متعاديين ويتكلم لكل واحد بكلام

خلاف الظاهر

رذيلة النفاق من رذائل ...

يوافقه ويحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه واثناه على ذلك او يعد
كل واحد منهما انه ينصره او ينقل كلام كل واحد الى اخر وهذا شر من النميمة التي هي النقل من احد
الجانبين وبالجملة هو بجميع اقسامه مذموم محرم قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كان له وجهان في الدنيا
كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي
ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء يوم القيمة ذو الوجهين دالعا
لسانه في قفاه واخر من قدامه يلتهبان نارا حتى يلهبا نار جسده ثم يقال هذا الذي كان في
الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيمة وورد في التورية بطلت الامانة
والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين واوحى
الله تعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام ليكن لسانك في السر والعلانية لسانا واحدا وكذلك قلبك اني
احذرك نفسك وكفى بي خبيرا لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد وقال
الباقر عليه السلام بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهدا وياكله غائبا ان اعطى
حسده وان ابتلى خذله ثم لا يخفى ان الدخول على المتعاديين والمجاملة مع كل منهما قولا وفعلا
لا يوجب كونه منافقا ولا ذا لسانين اذا كان صادقا اذ الواحد قد يصادق متعاديين ولكن
صداقة ضعيفة اذ الصداقة التامة تقتضي معاداة الاعداء وكذا من ابتلى بذي شر يخاف شره يجوز
ان يجامل معه ويتقيه ويظهر له في حضوره من المدح والمحبة ما لم يعتقد به قلبه وهو معنى المداراة
وهو وان كان نفاقا الا انه جائز شرعا للعذر قال الله سبحانه ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ وروي انه
استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظن
ان له عنده منزلة فلما خرج قيل له لما دخل قلت الذي قلت ثم النت له القول فقال ان شر الناس منزلة
عند الله يوم القيمة من اكرمه الناس اتقاء لشره ويدل على جواز ذلك جميع اخبار التقية و
اخبار المداراة وفي الخبر ما وقي المرء به عرضه فهو له صدقة وقال بعض الصحابة انا لنبشر في
وجوه اقوام نلعنهم بقلوبنا ثم جواز ذلك انما اذا اضطر الى الدخول على ذي الشر ومدحه
وكان في عدم معاشرته ومدحه مظنة الضرر اما لو كان مستغنيا عن الدخول والثناء او عن
احدهما ومع ذلك يبدي بلسانه ما ليس في قلبه من المدح فهو نفاق محرم ثم ضد النفاق
استواء السر والعلانية او كون الباطن خيرا من الظاهر وهو من شرائف الصفات وكان الاتصاف
به والاجتناب عن النفاق اهم مقاصد المؤمنين من الصدر الاول ومن تامل في ما ورد في ذم

النفاق وفي غير موافقة الباطن مع الظاهر وتقدم الروية في كل قول وفعل لم يصعب عليه ان
يحافظ نفسه من رذيلة النفاق ومنها الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل
اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة
فاسدة فهو مغرور ولما كان اكثر الناس ظانين بانفسهم خيرا ومعتقدين بصحة ما هم عليه من
الاعمال والافعال وخيريتها مع انهم مخطئون فيه فهم مغرورون مثلا من ياخذ المال الحرام و
ينفقها في مصارف الخير كبناء المساجد والمدارس والقناطر والرباطات وغيرها يظن ان
هذا خير له وسعادة مع انه محض الغرور حيث خدعه الشيطان واراه ما هو شر له خيرا وكذا
الواعظ الذي غرضه الجاه والقبول من وعظه يظن انه في طاعة الله مع انه في المعصية بغرور
الشيطان وخدعه ثم لا ريب في ان سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل الطبع اليه عن شبهة
ومخيلة مركب من امرين احدهما اعتقاد النفس بان هذا خير له مع كونه خلاف الواقع وثانيهما
حبها وطلبها بالطبع لما تقتضيه الشهوة او الغضب فان الواعظ اذا قصد بوعظه طلب الجاه والمنزلة
معتقدا انه يجلب به الثواب يكون له رغبة الى الجاه واعتقاد بكونه خيرا له اذ الغني اذا امسك ماله
ولم ينفقه في مصارفه اللازمة وواظب على العبادة معتقدا ان مواظبته على العبادة يكفي لنجاته
وان كان بخيلا يكون له حب للمال واعتقاد بانه على الخير ثم الاعتقاد المذكور راجع الى نوع
معين من الجهل المركب هو الجهل الذي يكون المجهول المعتقد فيه شيئا يوافق الهوى فيكون
من رذائل القوة العاقلة والحب والطلب للجاه والمال من رذائل قوتي الغضب والشهوة فالغرور
يكون من رذائل القوى الثلث او من رذائل العاقلة مع احديهما

فصل
الغرور والغفلة

الغرور منبع كل هلكة وام كل شقاوة ولذا ورد عليه الذم الشديد في الآيات والاخبار قال الله سبحانه
لَا يَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ وقال عز وجل وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ اَنْفُسَكُمْ
وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْاَمَانِيُّ حَتّٰى جَاءَ اَمْرُ اللّٰهِ وَغَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ وقال
رسول الله ﷺ حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة
من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال الصادق عليه السلام المغرور
في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك
حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك ان لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك
واصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بمالك ومنيتك واصابتك ما هولك وهواك

ومن رذائل الغرور
نوع من انواع الرذائل

ظننت انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من التندم على تقصيرك في العبادة ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اتعبت نفسك على العبادات متكلفا والله يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريد بهم لنفسك ان يميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها في الحقيقة

فصل اعلم ان فرق المغترين كثيرة و جهات غرورهم ودرجاته مختلفة وما من طائفة في العالم مشتركين في وصف مجتمعين على امر واحد الا ويوجد فيهم فرقة من المغترين الا ان بعض الطوائف كلهم مغترون كالكفار والعصاة والفساق وبعضهم يوجد فيهم المغرور وغير المغرور وان كان معظم كل طائفة ارباب الغرور ونحن نشير الى مجاري الغرور والى جهات غرور كل طائفة ليتمكن طالب السعادة من الاحتراز عنه اذ من عرف مداخل الآفات والفساد ومجاريها يمكنه ان يأخذ منها حذره ويبني على الحزم والبصيرة امره فنقول

من اصناف الغرور

الطائفة الاولى الكفار وهم مغرورون باسرهم وهم ما بين من غرته الحيوة الدنيا وبين من غره الشيطان بالله كما قال سبحانه فَمِنْهُمْ مَنْ غَرَّتْهُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَمِنْهُمْ مَنْ غَرَّهُ بِاللهِ الْغَرُورُ واما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فباعث غرورهم قياسان نظمهما الشيطان في قلوبهم اولهما ان الدنيا نقد والآخرة نسية والنقد خير من النسية وثانيهما ان لذات الدنيا يقينية ولذات الآخرة مشكوكة فيها واليقيني خير من المشكوك فلا يترك به و هذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال اَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ وعلاج هذا الغرور يحصل بتحصيل اليقين بوجود الواجب تع وتحقيق النبي صع وهو في غاية السهولة لوضوح الطرق والادلة اما ان يتبع مقتضى ايمانه ويصدق الله في قوله مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وفي قوله تع وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَاَبْقَى وقوله وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَاَبْقَى وقوله وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ وقوله تع وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ واما ان يعرف بالبرهان فساد القياسين حتى يزول عن نفسه ما ذكر بالبيان من الغرور وطريق معرفة الفساد في القياس الاول ان يتأمل في ان كون الدنيا نقدا والآخرة نسية صحيح الا ان كون كل نقد خيرا من النسية غير صحيح بل هو محل التلبيس اذ المسلم خيرية النقد على النسية ان كان مثلها في المقدار والمنفعة والمقصود والبقاء واما ان كان اقل منها في ذلك وادون فالنسية خير الا ترى ان هذا المغرور اذا حذره الطبيب من لذائذ الاطعمة تركها

مبادي المغترين بالدنيا نفية من اصحاب الغرور
ابطال اقيسة المغترين بالحيوة من الطائفة الاولى

في الحال خوفا من المرض في الاستقبال و يبذل درهما في الحال ليأخذ درهمين نسية و يتعب في
الاسفار و يركب البحار في الحال لاجل الراحة والربح نسية و قس عليه جميع اعمال الناس و صنايعهم في
الدنيا من الزراعة والتجارة والمعاملات فانهم يبذلون فيها المال نقدا ليصلوا الى اكثر منه
نسية فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث الشدة والمدة
والمدة الى لذة الآخرة من هذه الحيثيات فان من عرف حقيقة الدنيا والآخرة يعلم انه ليس
للدنيا قدر محسوس بالنسبة الى الآخرة على ان لذة الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات
ولذات الآخرة صافية غير ممتزجة بشيء من المكدرات واما طريق معرفة فساد القياس الثاني
باصليه هو ان يعرف ان كون لذات الآخرة مشكوكا فيها خطأ وان كل يقيني خير من المشكوك
غلط اما الاول فلان الآخرة يقينية قطعية عند اهل البصيرة وليقينهم مدركان احدهما ما يدركه
عموم الخلق وهو اتفاق عظماء الناس من الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء فان ذلك
يورث اليقين والطمانينة بعد التامل كما ان المريض الذي لا يعرف دواء علته اذا اتفق جميع
ارباب الصناعة على ان دوائه كذا فانه تطمئن نفسه الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين
بل يثق بقولهم ويعمل به وان كذبهم صبي او معتوه او سوادي ولا ريب في ان المنكرين للآخرة المغترين
بالحيوة الدنيا من الكفار والبطالين بالنظر الى المخبرين عن احوال الآخرة والمشاهدين لها
من الانبياء والاولياء دون حالا واقل رتبة من صبي ومعتوه او سوادي بالنظر الى اطباء
بلد او مملكة وثانيهما ما لا يدركه الا الانبياء والاولياء وهو الوحي للانبياء والالهام والكشف للاولياء
فانه قد كشف لهم حقائق الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت
المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد ولا تظنن ان معرفة النبي
لامر الآخرة ولامور الدين مجرد تقليد لجبرئيل بالسماع منه كما ان معرفتك لها تقليد للنبي فيها
فان الانبياء يشاهدون حقائق الملك والملكوت وينظرون اليها بعين البصيرة واليقين وان
اكد ذلك بلقاء الملك والسماع منه واما المغرورون بالله وهم الذين يعتقدون في انفسهم و
يقولون بالسنتهم ان كان لله معاد فنحن فيه اوفر حظا واسعد حالا من غيرنا كما اخبر الله سبحانه عن
قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن
خيرا منها منقلبا وباعث ذلك ما القى الشيطان في روعهم من نظرهم مرة الى نعم الله عليهم
في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما

فالوحي للانبياء والالهام

ذكر مقدمات المغيرة بن الله فداها با وبيان والتنبيه على علاج الغرور

المقام الرابع

ولو لم يحبنا لما احسن الينا فيها

نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء محتاجون
فيقولون لو احبهم الله لاحسن اليهم في الدنيا فلما لم يحسن اليهم في الدنيا واحسن الينا فيها فيكون
محبا لنا ولا يكون محبا لهم فيكون الامر في الاخرة ان كانت ايضا كذلك كما قال الشاعر
كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى ولا ريب في ان كل ذلك خيالات
فاسدة وقياسات باطلة فان من ظن ان النعم الدنيوية دليل الحب والاكرام فقد اغتر بالله
اذ ظن انه كريم عند الله بدليل لا يدل على الكرامة بل يدل عند اولي البصائر على الهوان والخذلان
لان نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات من الله وان الله يحمي احبائه الدنيا كما يحمي الوالد
الشفيق ولده المريض لذائذ الاطعمة ومثل معاملة الله سبحانه مع المؤمن الخالص والكافر والفاسق
حيث يزوي الدنيا عن الاول ويصب نعمها ولذاتها على الثاني مثل من كان له عبدان صغيران يحب
احدهما ويبغض الاخر فيمنع الاول من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من لذائذ
الاطعمة والفواكه التي تضره ويسقيه الادوية البشعة التي تنفعه ويهمل الثاني ليعيش كيف يريد ويلعب و
ياكل كل ما يشتهي فلو ظن هذا العبد المهمل انه محبوب كريم عند سيده لتمكنه من شهواته ولذاته وان
الاخر مبغوض عنده لمنعه عن شهواته كان مغرورا احمق وقد كان الخائفون من ذوي البصائر
اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا
بشعار الصالحين واما المغرورون فعلى خلاف ذلك لظنهم ان اقبال الدنيا عليهم كرامة من الله
وان ادبارها عنهم هوان لهم كما اخبر الله تعالى عنه بقوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي
اهانن وعلاج هذا الغرور ان يعرف ان اقبال الدنيا دليل الهوان والخذلان دون الكرامة
والاحسان والتجرد منها سبب الكرامة والقرب الى الله سبحانه والطريق الى هذه المعرفة اما ملاحظة
احوال الانبياء والاولياء وغيرهما من طوائف العرفاء وفرق الاتقياء او التدبر في الايات
والاخبار قال الله سبحانه ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال الله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فتحنا
عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال تعالى
انما نملي لهم ليزدادوا اثما الى غير ذلك من الايات والاخبار ومنشأ هذا الغرور الجهل
بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن من مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات الفاسدة و

الى قارون وفرعون وغيرهما من الملوك الجبابرة كيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله عباده عن مكره واستدراجه فقال ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال ويمكرون ويمكر الله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا والله خير الماكرين

الطائفة الثانية

العصاة والفساق من المؤمنين وسبب غرورهم وغفلتهم اما بعض بواعث غرور الكافرين كما تقدم او ظنهم ان الله تعالى كريم ورحمته واسعة ونعمته شاملة واين معاصي العباد في جنب بحار رحمته ويقولون انا موحدون ومؤمنون فكيف يعذبنا مع التوحيد والايمان ويغترون بظنهم بما ورد في فضيلة الرجاء كما تقدم وربما اغتر بعضهم بصلاح ابائهم وعلو رتبتهم كاغترار العلويين بنسبهم مع مخالفتهم سيرة ابائهم الطاهرين في الخوف والورع وعلاج هذا الغرور ان يعرف الفرق بين الرجاء الممدوح والتمني المذموم ويعلم ان غروره ليس رجاء ممدوحا بل هو تمني مذموم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فان الرجاء لا ينفك عن العمل اذ من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو مغرور احمق كذلك من يرجو رحمة الله وهو لم يؤمن او آمن ولم يترك المعاصي او تركها ولم يعمل صالحا فهو مغرور رجاؤه كيف وقد قال الله سبحانه إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ يعني ان الرجاء يليق بهم دون غيرهم وذلك لان ثواب الآخرة اجر وجزاء على الاعمال كما قال تعالى جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وقال إِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وقال وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى وقال كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ افترى ان من استوجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بوعده وشرطه بل كان بحيث يزيد عليهما وعده وشرطه فجاء الاجير وكسر الاواني وافسدها جميعا ثم جلس ينتظر الاجر زعما منه ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره راجيا او مغرورا متمنيا وبالجملة سبب هذا الغرور الجهل بين الرجاء والغرة فليعالجه بما ذكر هنا وفيما سبق ثم ان المغرور بعلو رتبة ابائه ظانا ان الله تعالى يحب اباءه ومن احب انسانا احب اولاده اشد حمقا من المغرور بالله لان الله سبحانه يحب المطيع ويبغض العاصي من غير ملاحظة لاباءهما فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع وليس ولا يمكن ان يتعدى من الاب الى الابن شيء من الحب والبغض والمعصية والتقوى اذ لا

تزر وازرة وزر اخرى فمن زعم انه ينجو بتقوى ابيه كان كمن زعم انه يشبع باكل ابيه او يصير عالما بتعلم
ابيه او يصل الى الكعبة بمشي ابيه فهيهات هيهات ان التقوى فرض عين على كل احد فلا يجزي والد عن ولده
شيئا وعند الجزاء يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ولا ينفع احد احدا الا على
سبيل الشفاعة بعد تحقق شرائطها ثم العصاة المغرورون اما ليس لهم طاعات فتمنيهم المغفرة
غاية الجهل كما مر او لهم طاعات ولكن معاصيهم اكثر وهم عالمون باكثرية المعاصي ومع ذلك
يتوقعون المغفرة وترجيح حسناتهم على سيئاتهم وهو ايضا غاية الجهل اذ مثله مثل من وضع عشرة
دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الفا او الفين ويتوقع ان يميل الكفة الثقيلة بالخفيفة
ومن الذين معاصيهم اكثر من لا يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا
يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يحج طول عمره حجة ويبني مسجدا
ثم لا يكون شيء من عباداته على النحو المطلوب ولا يجتنب من اخذ اموال المسلمين فينسى ذلك كله
فيكون حجه وما بناه من المسجد في نظره ويقول كيف يعذبني الله وقد حججت وبنيت مسجدا او
كالذي يسبح الله كل يوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه
الله طول نهاره من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته مع غفلته عن هذيانه طول نهاره
الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون فهو يتأمل دائما في فضيلة
التسبيحات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة الكذابين والمغتابين والنمامين والفحاشين ولو كان
كتبة اعماله يطلبون منه اجرة الزائد من هذيانه على تسبيحاته لكان عند ذلك يسعى في كف لسانه عن
اكثرها وموازنتها بتسبيحاته حتى لا يكون لها زيادة عليها يؤخذ منه اجرة نسخ الزائد فيا عجبا لمن
يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على ان يفوته مقدار قيراط ولا يحتاط خوفا من فوت العليين ومجاورة
رب العالمين

الطائفة الثالثة

اهل العلم والمغرورون منهم
فرق فمنهم من اقتصر من العلم على علم الكلام والمجادلة ومعرفة اداب المناظرة ليتفاخر في
اندية الرجال ويتفوق على الاقران والامثال من غير ان يكون له في العقائد قدم راسخ او مذهب
بل يختار تارة ذلك وتارة هذا ويكون عقيدته كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا
ومرة هكذا ومع ذلك يظن بغروره انه اعرف الناس واعلمهم بالله وبصفاته ومنهم من اقتصر من العلم
على علم النحو واللغة والشعر والمنطق واغتر به وافنى عمره فيها وزعم ان علم الشريعة والحكمة
موقوف عليها ولم يعلم ان ما ليس مطلوبا بالذات ويكون وسيلة الى ما هو مقصود لذاته يجب

ان يقتصر

في عد المغرورين صنف من اهل العلم الغافلين عن سلوك الطريق وقطع عقبات النفس

ان يقتصر عليه بقدر الضرورة والتعمق فيه الى درجات لا تتناهى فضول مستغنى عنها وموجب للحرمان عما هو مقصود لذاته ومنهم من اقتصر على فن المعاملات من الفقه المتضمن لكيفية الحكم والقضاء بين الناس واشتغل باجراء الاحكام واعرض عن علم العقائد والاخلاق بل عن فن العبادات من الفقه واهمل تفقد قلبه ليتخلى عن رذايل الاخلاق ويتحلى بفضايل الملكات وتفقد جوارحه وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات ومنهم من حصل فن العبادات ايضا بل احكم العلوم الشرعية باسرها وتعمق فيها واشتغل ولكن ترك العلم الالهي وعلم الاخلاق ولم يحفظ الباطن والظاهر عن المعاصي ولم يعمرها بالطاعات ومنهم من احكم جميع العلوم من العقلية والشرعية وتعمق فيها واشتغل بها الا انه اهمل بالعمل راسا او واظب على الطاعات الظاهرة واهمل صفات القلب وربما تفقد صفات القلب واخلاق النفس ايضا وجاهد نفسه في التبري عنها وقلع من قلبه منابتها الجلية القوية ولكن بقيت في زوايا قلبه خفايا من مكايد الشيطان وخبايا وتلبيسات النفس ما دق وغمض مدركه فلا يتفطن بها وجميع هؤلاء غافلون مغرورون اذا كان اعتقادهم انهم على خير وشيء وان كان بينهم تفاوت من حيث الضعف والشدة اذ سعادة النفس وخلاصها عن العذاب لا تحصل الا بمعرفة الله تعالى وصفاته وافعاله ومعرفة احوال النشأة الآخرة والعلم برذايل الاخلاق وشرايفها ثم تهذيب الباطن بفضايل الاخلاق وعمارة الظاهر بصوالح الطاعات والاعمال فكل من تعلم بعض العلوم وترك ما هو الاهم من العلم اعني معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات النفس التي هي الصفات المذمومة المانعة عن الوصول الى الله وظن انه على خير كان مغرورا واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمن ترك العلم المهم واشتغل بغيره فهو كمن له مرض خاص مهلك فاحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء امراض اخر بدلا عن تعلم الدواء مرضه في المعالجة كما ان من احكم العلوم باسرها وترك العمل مثل المريض الذي تعلم دواء مرضه وكتبه وهو يقرئه ويعلمه المرضى ولا يستعمله قط لنفسه فانه لا ريب في ان مجرد تعلم الدواء لا يشفيه بل لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم ينفعه ذلك من مرضه شيئا حتى يشتري هذا الدواء ويشربه كما تعلم في وقته ومع شربه واستعماله يكون على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فلو ظن ان مجرد تعلم الدواء يكفيه ويشفيه فهو مغرور وكذلك من احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق ولم يزك نفسه عن رذايلها ولم يتصف بفضائلها فهو في غاية الغرور اذ قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيهَا﴾ ولم يقل قد

في احتيال المتلبسين بالعلم الا من ... الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا

المقام الرابع

افلح من علم طريق تزكيتها ثم من هذه الطائفة فرقة متصفة برذائل الاخلاق والغرور ادى
بهم الى حيث ظنوا انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بها وانما يبتلى بها العوام
دون من بلغ مبلغهم في العلم ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال
ما هذا تكبر انما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم وارغام انف المخالفين ومهما ظهر
منه آثار الحسد واطلق لسانه بالغيبة في اقرانه ومن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان
ذلك حسد بل يقول ان هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه مع انه لو طعن في
غيره من اهل العلم ورد عليه قوله ومنع من منصبه لم يكن غضبه مثل غضبه الآن بل
ربما يفرح به ولو كان غضبه للحق لا للحسد على اقرانه وخبث باطنه لاستوى غضبه في الحالين واذا
خطر له خاطر الرياء قال غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا
من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به و
لو كان غرضه صلاح الخلق يفرح بصلاحهم على يد من كان وربما يتذكر هذا ومع ذلك لا يخليه
الشيطان بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي ففرحي انما هو بثواب
الله لا بقبول الخلق هذا ما يظن بنفسه والله مطلع على سريرته اذ ربما كان باطنه في الخباثة بحيث
لو علم قطعا بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم والعمل اكثر من ثوابه في الاظهار لاحتال مع ذلك
في اظهار رياسة من تدريس او وعظ او امامة او غير ذلك واذا كان بحيث يدخل على السلاطين
والامراء الظلمة ويثني عليهم ويتواضع لهم وخطر له ان مدحهم والتواضع لهم حرام قال له
الشيطان ان ذلك عند الطمع في مالهم وغرضك من الدخول عليهم دفع الضرر عن المسلمين
دون الطمع والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان وكان بحيث
يقبل شفاعته في كل احد وهو لا يزال يستشفع ويدفع الضرر عن المسلمين يثقل ذلك عليه
بحيث لو قدر ان يقبح حاله عند السلطان لفعل وربما انتهى الغرور في بعضهم الى ان
ياخذ من اموالهم المحرمة واذا خطر له انها حرام قال له الشيطان هذا مال مجهول المالك
يجب ان يتصرف فيه امام المسلمين وانت امامهم وعالمهم وبك قوام دين الله فيحل لك ان تاخذ
منها قدر حاجتك وتصرف الباقي على مصارف الخير للمسلمين فيغتر بهذا التلبيس ولا يزال ياخذها
من غير ان يبذل شيئا منها في مصرف غيره وربما انتهى الغرور في بعضهم الى حيث انه اذا حضر
مائدتهم واكل طعامهم وقيل له ان هذا لا يليق بمثلك قال الاكل جائز بل واجب اذ هذا

ذكر تعبية احوال الملبسين بالعلم الغافلين عن الحق المبين وانهم دجالو الدين

مالا يعلم مالكه فيجب تصدقه على الفقراء ويجب على مثلى بقدر القوة ان يجتهد فى استخلاصه من يد الظالم وايصاله الى اهله اعنى الفقراء واكلى منها نوع قدرة على استخلاصه فاكل منه وتصدق قيمته على الفقراء والله يعلم من باطنه انه لا يتصدق بقيمته ولا يعتقد بجيفيته وانما هو تلبيس القاء الشيطان فى روعه لئلا يضعف اعتقاد العامة فى حقه وربما كان لايبالى من اخذ مالهم واكل طعامهم خفية ولو علم انه يطلع عليه واحد من صولح العامة المعتقدين به امتنع منه غاية الامتناع وربما كان بعضهم فى الباطن مائلا الى الدخول على السلاطين والامراء وتاركا له فى الظاهر وكان الباعث فى ذلك طلب المنزلة فى قلوب العامة ومع ذلك يظن ان الاجتناب عنهم عين ورعه وتقواه وربما كان بعضهم امام قوم يظن انه على خير وباعث لترويج الدين واعلاء الكلمة ومقيم لشعار الاسلام ومع ذلك لو قام غيره ممن هو اعلم واورع منه فى مسجده او تخلف بعض من يقتدى به عن الاقتداء به قامت عليه القيامة وربما لم يكن باعثه على الحركة الى المسجد للامامة مجرد التقرب والامتثال لامر الله بل كان الباعث محض حب الجاه والرياسة واعتقاد العامة او تركها منه ومن نية الثواب وربما اتخذ بعضهم الامامة شغلا ووسيلة لامر المعاش ومع ذلك يظن انه مشتغل بامر الخير والطاعة فى امثال زماننا هذه والامام الذى كان قصده من الامامة مجرد التقرب الى الله من دون وجود شئ من حب طلب المنزلة فى القلوب او تحصيل المال او دفع بعض الشرور عن نفسه فى زوايا قلبه ولو وجد مثله فهو القدوة الذى يجب ان يشد الرجال من المواضع البعيدة اليه ليقتدى به ومثله كلما وجد فى نفسه قصد التقرب والثواب فى الذهاب الى المسجد للامامة ذهب ولو لم يجد ذلك من نفسه تخلف وصلى منفردا من دون ان يجد فى نفسه تفاوتا فى الحالين وبالجملة اصناف غرور اهل العلم سيما فى هذه الاعصار كثيرة والمتامل يعلم ان الغرور والتلبيس وغيرهما من ذمائم الافعال انتهى فى بعضهم الى ان وجودهم مضر للاسلام والمسلمين وموتهم انفع للايمان والمؤمنين لانهم دجالو الدين وقوام مذهب الشياطين ومثلهم كما قال عيسى بن مريم ع العالم السوء كصخرة وقعت على فم الوادى فلا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع **الطائفة الرابعة** الوعاظ والمغترون منهم كثيرون فمنهم من يتكلم فى وعظه فى اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والتوكل والرضا والصبر والشكر ونظائرها ويظن انه اذا تكلم بهذه الصفات ودعى الخلق اليها صار موصوفا بها وهو منفك عنها فى الواقع الا عن قدر

بسره لا ينفك عنه عوام المسلمين ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق دون امر اخر ومع ذلك لو اقبل الخلق على احد من اقرانه وصلحوا على يديه وكان اقوى منه في الارشاد والاصلاح لمات غما وحسدا ولو اثنى احد المترددين عليه على بعض اقرانه لصار ابغض خلق الله اليه ومنهم من اشتغل بالشطح والطامات وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل وربما تكلف بالفصاحة والبلاغة وتصنع بالتشبيهات والمقدمات وشعف بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها طلبا للاعوان والانصار وشوقا الى تكثر البكاء والرقة والتواجد والرغبات في مجلسه والتذاذا بتحريك الرؤس على كلامه والبكاء عليه وفرحا بكثرة الاصحاب والمستفيدين والمعتقدين به وسرورا بالتخصيص بهذه الخاصة من بين سائر الاقران وربما لم يبال بالكذب في نقل الاخبار والاثار ظنا منه انه اوقع في النفوس واشد تاثيرا في رقة العوام وتواجدهم ولا ريب في ان هؤلاء شر الناس بل شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل اذ الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله لان تسعيهم في ذكر ما يسر به العامة ليصلوا به منهم الى اغراضهم الفاسدة فلا يزالون يذكرون ما يقوي الرجاء ويزيدهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا سيما اذا كان هذا الواعظ ايضا ممن يرغب الى الدنيا ويسر بوصول المال اليه ويتزين بالثياب الفاخرة والمراكب الفارهة وغيرهما من زينة الدنيا فمثله ممن يضل ويكون افساده اكثر من اصلاحه ومع ذلك يظن انه مروج الشرع والدين ومرشد الضالين فهو اشد المغرورين والغافلين ومنهم من هذب اخلاقه وراقب قلبه وصفاه عن جميع الكدورات وصغرت الدنيا في عينه وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ودعاه الرحمة والشفقة على عباد الله الى نصحهم وتخليصهم عن امراض المعاصي بالوعظ فلما استقل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النملة لا يشعر به ولم يزل ذلك في قلبه يربو وينمي حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئة والشمايل واقبل الناس اليه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ ارادوه شافيا لامراضهم بمحض الرحمة والشفقة من غير طمع فاثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له كالخدم والعبيد فعند ذلك انتشر طبعه وارتاحت نفسه وذاق لذة يا لها من لذة واصاب من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فوقع في اعظم لذات الدنيا بعد قطعه بانه تارك للدنيا فقد غره الشيطان على ما لا يشعر به علاوة

ثم ان حب الرياسة في باطنه انه لو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في
القبول على كلامه شق ذلك عليه اذ لولا ان النفس قد استبشرت واستلذت بالرياسة لكان
يغتنم ذلك وعلى هذا فينبغي ان لا يشتغل احد بالنصح والوعظ الا اذا وجد من نفسه انه ليس له
قصد سوى هدايتهم الى الله تعالى وكان يسره غاية السرور ظهور من يعينه على ارشادهم او اهتداءهم من عند
انفسهم وانقطع طمعه بالكلية عن ثنائهم واموالهم واستوى عنده حمدهم وذمهم ولم يبال بذمهم
اذا كان الله يحمده ولم يفرح بمدحهم اذا لم يقترن به مدح الله ونظر اليهم كما ينظر الى من هو اعلم منه
او ورع حيث لا ينكر عليه ويراه خيرا من نفسه لدلالة الظاهر على ذلك وجهله بالخاتمة والى
البهائم من حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف يراه البهائم فلا يتزين لها
اذ راعي الماشية انما غرضه رعايتها ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه بعين المدح
والثناء ثم لو ترقى الواعظ وعلم هذه المكيدة من الشيطان واشتغل بنفسه وترك النصح او نصح مع
رعاية شرط الصدق والاخلاص يخيف عليه الاعجاب بنفسه في الفرار عن الغرور ورعاية الغرور وهو
المهلك الاعظم اذ العجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت انك
بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي ثم لو دفع عن نفسه العجب وعلم ان ذلك من الله
لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان عنه الا بتوفيق الله وانه ضعيف عاجز لا يقدر على شيء
اصلا فضلا عن دفع الشيطان يخيف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره
حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا ريب ان الامن من مكر الله خاسر مغرور
فسبيل النجاة بعد تهذيب النفس وخلوص القصد والانقطاع عن الدنيا ولذاتها ان يرى
ذلك كله وكان خائفا على نفسه من سلب حاله في كل لحظة وغير امن من مكر الله وغير غافل
عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بمجاوزة الصراط والدخول في الجنة و
لذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال افلت مني يا
فلان فقال لا بعد

الطائفة الخامسة

اهل العبادة والعمل
المغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غلب عليه الوسوسة في ازالة النجاسة وفي الوضوء
فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بالطهارة في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة
الموجبة للنجاسة واذا آل الامر الى الاكل واخذ المال يقدر الاحتمالات الموجبة للحل بل ربما
اكل الحرام المحض وقدر له محلا بعيدا لحله وان غلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان

في فراره عن الغرور فيكون اعجابه بنفسه م

من فضل الله

اشتبه بسيرة اكابر الاولياء ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صبه الماء وربما بالغ عند الوضوء في التخليل وضرب حك يديه على وجهه او يده الاخرى ولا يدري هذا المغرور ان هذا العمل ان كان مع اليقين بحصول ما يلزم شرعا فهو تضييع للعمر الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه وان كان بدونه بل يحتاط في التخليل ليحصل الجزم بوصول الماء الى البشرة فما باله لا يتيقن بوصول الماء الى البشرة في الغسل بدون هذه المبالغة واحتياط في الصلوة وساير العبادات وانحصر احتياطه ومبالغته بالوضوء زاعما ان هذا يكفي لنجاته فهو مغرور في غاية الغرور ومنهم من اغتر بالصلوة فغلب عليه الوسوسة في نيتها فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى يفوته الجماعة او فضيلة الوقت وقد يتوسوس في التكبير حتى يغير صيغتها لشدة الاحتياط فيه يفعل ذلك في اول صلوته ثم يغفل في جميع صلوته ولا يخطر قلبه ويغتر بذلك ويظن انه اذا اتعب نفسه في تصحيح النية فهو على خير وربما غلب على بعضهم الوسوسة في دقايق القراءة واخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار عن مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات وتصحيح المخارج والتميز بين مخارج الحروف المتقاربة من غير اهتمام فيما عدا ذلك من حضور القلب والتفكر في معاني الاذكار ظنا منه انه اذا صحح القراءة فالصلوة مقبولة وهذا اقبح انواع الغرور ومنهم من اغتر بالحج فيخرج الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذمايم الصفات ومع ذلك يظن انه على خير فهو في غاية الغرور ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الايام الشريفة بل صام الدهر ولم يحفظ لسانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه الخير وذلك في غاية الغرور ومنهم من اغتر بقراءة القران فيهذ هذا وربما يختم في اليوم والليلة مرة فيجريه لسانه وقلبه مترددا في اودية الاماني وربما اسرع في القراءة غاية السرعة ويظن ان سرعة اللسان من الكمالات ويتفاخر به على الامثال والاقران ومنهم من اغتر ببعض النوافل كصلوة الليل او مجرد غسل الجمعة وامثال ذلك من غير اعتداد بالفرائض زاعما ان المواظبة على مجرد هذه النافلة منجية في الاخرة فهو ايضا من المغرورين ومنهم من زهد وقنع بالدون من المطعم والملبس والمسكن ظانا انه ادرك رتبة الزهاد ومع ذلك راغب في الرياسة باشتهاره في الزهد فهو اهون المهلكين باعظمها اذ حب الجاه اشد فسادا من حب المال ولو ترك الجاه واخذ المال لكان اقرب الى السلامة فهو مغرور اذ ظن انه من الزهاد ...

والاحتياط مع حصول القطع باتصال الماء الى البشرة في الغسل لازم واوجب وربما لم يكن له مبالغة

فرق المتصوفة الذين يدعون ترك الدنيا والاقبال في عين القرب والبعد صاروا في غاية عن الوصول

الطائفة السادسة ان منتهى لذات الدنيا الرياسة وهو يحبها فكيف يكون زاهدا
المتصوفة والمتصرفون فيهم اكثر من ان يحصى فمنهم ارباب الدعوات وهم الفلسفية لا يعرفون
معنى التصوف ولا شيئا من مراسم الدين وصرفوا اوقاتهم في التكدي والسؤال عن الناس و
يظنون انهم تاركون للدنيا مقبلون على الاخرة مع انهم لو ظفروا بشيء من امور الدنيا لاخذوه
بجميع جوارحهم فهؤلاء ارذل الناس بوجوه كثيرة لا تخفى ومنهم من اغتر بالزي من المنطق و
الهيئة من لبس الصوف واطراق الرأس وادخاله في الجيب وخفض الصوت وتنفس الصعداء و
تحريك البدن في الطول والعرض والسقوط الى الارض سيما اذا سمعوا كلاما في الوحدة والعشق
مع عدم اطلاعهم على حقيقة شيء منهما وربما يتجاوز بعضهم من ذلك الى الرقص والتصعيق وابداء
الشهيق والنهيق واختراع الاذكار والتغني بالاشعار وغير ذلك من الحركات القبيحة والهيئات
الشنيعة ويظن ان العبد بهذه الحركات والافعال يصل الى الدرجات العالية ولم يعلم المغرور
انها يقرب العبد الى سخط الله وعذابه ومنهم من وقع في الاباحة وطوى بساط الشرع و
الاحكام وترك الفصل بين الحلال والحرام يتكالب على الحرام والشبهات ولا يحترز عن اموال
الظلمة والسلاطين وربما قال المال مال الله والخلق عباد الله فهم فيه سواء وربما قال ان
الله مستغن عن عملي فاي حاجة الى ان اتعب نفسي فيه وربما قال لا وزن لاعمال الجوارح وانما ينظر
الى القلوب قلوبنا والهة الى حب الله واصلة الى معرفة الله وربما قال خاضوا في الشهوات
الدنيوية وقالوا انها لا تصدنا عن طريق الله لقوة نفوسنا وقوة اخذ منا فيها وانما يحتاج
العوام الى تهذيب النفس بالاعمال البدنية ونحن مستغنون عنه فهؤلاء مرتفعون درجتهم
عن درجة الانبياء اذ كانوا مصرحين بان ارتكاب الامور المباحة فضلا عن الخطايا و
المعاصي يصدهم عن طريق الله حتى يكونون سنين متوالية على ترك الراجح وفعل المرجوح فهم
اشد الناس غرورا واعظم الخلق حماقة وجهلا ومنهم من يدعي غاية المعرفة واليقين والوصول
الى درجات المقربين ومشاهدة المعبود ومجاورة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود
وتلقف من الطامات كلمات يرددها ويظن انه يتكلم عن الوحي ويخبر عن السماء وينظر الى العباد
والفقهاء والمحدثين وسائر اصناف العلماء بعين الحقارة والازدراء يقول في العباد انهم
اجراء مبعوثون وفي العلماء انهم بالحديث عن الله لمحجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات ما
لا يدعيه نبي ولا ولي ويدعي كونه واصلا الى الحق فارغا عن اعباء التكليف لا علما احكم ولا عملا

هذه نبذة من المعارف لا اسماء يتفوه بها عند الاغبياء للوصول الى حطامهم الخبيثة فهو
عند الله من شرار المنافقين وعند ارباب القلوب من اجهل الجاهلين مع ظنه انه من المقربين فهو اشد
الغافلين المغرورين ومنهم ملامتية يرتكبون قبايح الاعمال وشنايع الافعال الموجبة وشنايع
الافعال الموجبة عن طريق المروة ظنا منهم ان هذا موجب لكسر النفس وازالة ذمايم الاخلاق ولم
يعلموا ان هذه الافعال من الذمايم وقد نهى صاحب الشرع عنه ومنهم من اشتغل بالرياضة والمجاهدة
وقطع بعض المنازل ووصل الى بعض المقامات ما على قدر سعيه ومجاهدته الا انه لم يتم سلوكه وانقطع
ساير المقامات اما لاعراض معتسد في اثناء السلوك او لوقوعه في الاثناء ظنا منه انه وصل الى
الله ولم يصل بعد فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب
في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة في حكاية الخليل حيث راى كوكبا فقال
هذا ربي ثم انتقل الى القمر ثم عنه الى الشمس فانه ليس المراد بالكوكب والقمر والشمس هذه الاجسام
المضيئة فان شان مثل الخليل اعظم من ان يظن كونها الهة بل هذا بيان في شانه ورتبته فالمراد
بها الانوار التي هي من حجب الله ويراها السالك في الطريق ولا يتصور الوصول الى الله الا
بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض فاستعير لفظ الكوكب لاصغرها
لاقل مراتبها والقمر لاوسطها والشمس لاعظم مراتبها والخليل لم يزل عند سيره في الملكوت
يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم انكشف له ان وراءه امر فيترقى اليه
حتى وصل الى الحجاب الاقرب فقال هذا اكبر فلما ظهر له مع عظمته غير خال عن الهوي في حضيض النقص
والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي الى اخره فسالك هذا الطريق
قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وربما عرفت بالحجاب الاول واول الحجاب بين الله وبين
العبد هو قلبه فانه ايضا هو امر رباني ونور من انوار الله يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى يتسع
بجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه
الوجود كله على ما هو في اول الامر محجوبا فاذا تجلى نوره وانكشف فيه جماله بعد اشراق نور الله عليه
ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفايق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه
الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك وقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب
صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل
الالتباس اذ المتجلي ممتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس ما

مراتب الارباب ومن يسرح في هذه الفتوى الغرور
في بيان التجلي الشهودي الالبا المشاليستلزم ويلازم

في الزجاج بالزجاج فيظن انه لون الزجاج كما قيل — رق الزجاج ورقت الخمر

فتشابها وتشاكل الامر — فكأنما خمر ولا قدح — وكأنما قدح ولا خمر و

بهذا العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا واشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن

يرى كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليه اليد فهو مغرور وانواع

الغرور في طريق السلوك الى الله كثيرة لا يخفى على ارباب البصيرة ثم اكثر المتلبسين بلباس

العارفين مع كذبهم فيما يدعونه ونقصانهم في طريق السلوك وجهلهم بحقيقة الامر وعدم قطعهم

جل المقامات يتشبهون بالصادقين من العرفاء في زيهم وهيئتهم وادابهم ومراسمهم والفاظهم

ظانين انهم بهذا التشبه يصلون الى مراتبهم فهيهات هيهات ان الوصول الى درجة كل احد

انما يحصل بالاتصاف باوصافه الباطنة والتخلق باخلاقه النفيسة دون التشبه في حالاته الظاهرة وقد

شبههم بعض الاكابر بامرأة عجوز سمعت ان الشجعان من المقاتلين يثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع

كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يكون مثلهم فلبست درعا ووضعت

على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعلمت كيفية جولاتهم في الميدان وتلقفت

جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات وتوجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في

ديوان الشجعان فلما وصلت اليه انفذت الى ديوان العرض وامرت بان تجرد عن المغفر

والدرع وينظر الى جثتها وتمتحن بالمبادرة مع بعض الشجعان المعروف قد رشحا عنها فلما جرد عنها فاذا

هي عجوز زمنة ذات ضعيفة لا تقدر على شيء فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك واهل حضرته فلقد

والقوها الى قدام الفيل فدقها وبحتها فهكذا يكون حال المدعين للتصوف والعرفان في

القيمة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا الى القاضي الحق الذي لا ينظر الى الزي واللباس بل الى

سر القلب وصفائه

الطائفة السابعة

الاغنياء وارباب الاموال

والمغرورون فيهم اكثر من المغترين من سائر الطوائف فمنهم من يحرص على بناء المساجد والمدارس

والرباطات والقناطر وسائرها مما يظهر للناس بالاموال المحرمة وربما غصب ارض المساجد

والمدارس وربما صرف لها موقوفات اخذها من غير حله ولا باعث له على ذلك سوى الرياء

والشهرة ولذا يسعى في كتابة اسمه على احجارها ليتخلد ذكره ويبقى بعد الموت اثره ويظن المسكين

انه قد استحق المغفرة بذلك وانه مخلص فيه ولم يدر انه يعرض لسخط الله في كسب هذه الاموال وفي

انفاقها وكان الواجب عليه الامتناع عن اخذها من اهله واذا عصى الله واخذها كان

ذكر اصناف المغترين ومقاماتهم وبيان مداخل الغرور والتنبيه على سد غوائله

الواجب عليه التوبة وردّها الى اهلها فان لم يبق من اخذها منه ولا ورثته كان الواجب ان يتصدّق بها على المساكين مع انه ربما كان في بلده او في جواره مسكين يكون في غاية الفقر والمسكنة ولا يعطيه درهما ومنهم من ينفق الاموال في الصدقات الا انه يطلب الفقراء الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر بل يطلب المحافل الجامعة ويتصدق فيها وربما يكره التصدق على فقراء بلده ويرغب ان يعطي اهل البلاد الاخر مع اكثرية استحقاق فقراء بلده طلبا للاشتهار بالبذل والعطاء في البلاد الخارجة البعيدة وربما يصرف كثيرا منه الى رجل معروف في البلاد وان لم يكن مستحقا ليشتهر ذلك في البلاد ولا يعطي قليلا منه الى فقير له غاية الاستحقاق اذ كان خامل الذكر يفعل هذا ويظن انه يجلب بذلك الاجر والثواب ولم يدر المغرور ان هذا القصد احبط عمله واضاع ثوابه ومنهم من يجمع المال من غير حلّه ولا يبالي باخذ المال من اي طريق كان ثم يمسكه غاية الامساك الا انه لا يبالي بصرف بعضه في طريق الحج اما لنفسه فقط او للاولاد والازواج ايضا اما للاشتهار او لما وصل اليه ان تارك الحج يبتلي بالفقر ومنهم من غلب عليه البخل فلا يسمح نفسه بانفاق شيء من ماله فيشتغل بالعبادة البدنية من الصوم والصلوة ظنا منه ان ذلك يكفي لنجاته ولم يدر ان البخل صفة مهلكة لا بدّ من ازالتها وعلاجه بذل المال دون العبادات البدنية ومثله مثل من دخل في ثوبه حيّة وقد اشرف على الهلاكة وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن الصفرا وغافل بانه يقتله الحيّة الآن ومن قتلته الحيّة فلا حاجة له الى السكنجبين

وصل

قد عرفت ان الغرور مركب من الجهل وحبّ مقتضيات الشهوة والغضب فضدّه الفطانة والعلم والزهد فمن كان فطنا كيّسا عارفا بربّه وبنفسه وبالآخرة والدنيا وعالما بكيفية سلوك الطريق الى الله وبما يقربه اليه وبما يبعده عنه وعالما بآفات الطريق وعقباته وغوائله لا اجتنب عن الغرور ولم يغرّه الشيطان في شيء من الامور اذ من عرف نفسه بالذلّ والعبودية وبكونه غريبا في هذا العالم اجنبيا من هذه الشهوات البهيمية عرف كون هذه الشهوات مضرة له وان الموافق له طبعا هو معرفة الله والنظر الى وجهه فلا يسكن نفسه الى شهوات الدنيا ومن عرف ربّه وعرف الدنيا والآخرة ولذاتها وعدم النسبة بينهما ثار من قلبه حبّ الله والرغبة الى دار الآخرة والانزجار عن الدنيا ولذاتها واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحّت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على

ذكر علاج الغرور وبيان حقيقة طول الأمل وسائر الرذائل الموبقة والتنبيه على ما يعول به ويعتمد عليه

سلوك طريق الآخرة واندفع عنه كل غرور منشاؤه تجاذب الاغراض والشروع الى الدنيا والى الجاه والمال وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله لم يمكنه الخلاص من الغرور فالاصل في علاج الغرور ان يفرغ القلب عن حب الدنيا ويغلب عليه حب الله حتى يتقوى به الارادة ويصح به النية وبذلك يندفع عنه الغرور وقال الصادق عليه السلام واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة ومنها طول الامل وهو ان يقدر بقائه ويعتقد بقاؤه الى مدة متمادية مع رغبته في جميع توابع البقاء من المال والاهل والدار وغير ذلك وهو من رذائل قوتي العاقلة والشهوة اذ الاعتقاد المذكور راجع الى الجهل المتعلق بالعاقلة وحبه لجميع توابع البقاء وميله اليه من شعب حب الدنيا وجهله راجع الى تعويله اما على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب ولا يتفكر المسكين في ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر عشير اهل البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر والى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب او على صحته وقوته ويستبعد مجيء الموت فجاة ولا يتامل في ان ذلك غير بعيد ولو سلم بعده فالمرض فجاة غير بعيد اذ كل مرض انما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن شتاء وخريف وصيف وربيع وليل ونهار وحضر وسفر لكان دائما مستشعرا له غير غافل عنه وعظم اشتغاله بالاستعداد له لكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا بعثاه على الغفلة وطول الامل فهو ابدا يظن ان الموت بين يديه ولا يقدر نزوله ووقوعه فيه ويشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه بتكرر مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه لانه لم يقع واذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الاخر واما حبه لتوابع البقاء من المال والدار والمراكب والضياع والعقار فيرجع الى الانس بها والالتذاذ بها في مدة مديدة فيثقل على قلبه مفارقتها فيمتنع قلبه عن التفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها اذ كل من كره شيئا يدفعه عن نفسه [illegible] فالانسان مشغوف بالاماني الباطلة وبالدنيا وشهواتها ولذاتها وعلائقها فيتمنى لنفسه ابدا ما يوافق مراده ومراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره

في نفسه ويقدر توابع البقاء من اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحيان امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه الى ان يكبر فيتوب واذا كبر اخر التوبة الى ان يصير شيخا واذا صار شيخا يؤخرها الى ان يفرغ من عمارة هذه الضيعة او يرجع من سفر كذا او يفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له ولا يزال يسوّف ويؤخّر الى ان يخطفه الموت في وقت لا يحتسبه فيعظم عند ذلك بليته ويطول حسرته وقد ورد ان اكثر اهل النار من صياحهم سوف يقولون واحزناه من سوف المسوّف المسكين لا يدرى ان الذى يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا اذ الخائض في الدنيا لا يتصور له الفراغ منها قطّ اذ ما قضى احد منها لبانته وانما فرغ منها من اطّرحها

فصل

لما عرفت ان طول الامل منشائه الجهل وحبّ الدنيا فينبغى ان يدفع الجهل بالفكر الصافى من شوائب الهوى وبسماع الوعظ من النفوس الطاهرة فان من تفكر يعلم ان الموت اقرب اليه من كل شيء وان لا بدّ ان يحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه ولعل اكفانه قد خرجت من عند القصار وهو لا يدرى واما حبّ الدنيا فينبغى ان يدفع من القلب بالتأمل في حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة وما ورد في الاخبار من الذمّ والعقاب في حبّ الدنيا والرغبة اليها ومن المدح والثواب على تركها والزهد عنها وقد تقدم ما يكفى لهذا البيان وينبغى ايضا ان يتذكر ما ورد في مدح ضد طول الامل اعنى قصر الامل كما يأتى وما ورد في ذمّ طول الامل كقوله صلعم ان اشدّ ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحقّ واما طول الامل فانه يحبّب الدنيا ثم قال ان الله يعطى الدنيا من يحبّ ويبغض واذا احبّ الله عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وقوله صلعم نجى اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخر هذه الامة بالبخل والامل وقول امير المؤمنين عم ما اطال عبد الامل الا اساء العمل

وصل

ضد طول الامل قصره وهو من شعار المؤمنين ودثار الموقنين ولذا ورد في الامر به والنهى عن ضده ما ورد قال رسول الله صلعم اذا اصبحت فلا تحدّث

في قصر الأمل وخاتمة فيه ذكر الأمر الغالب من الأسباب وبيان اختلاف الناس في طول الأمل وقصره

نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من دنياك لآخرتك ومن حيوتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك لا تدري ما اسمك غدا وقال ص بعد ما سمع ان اسامة اشترى وليدة بماة دينار الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها الموت يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وروي انه ص قد اطلع ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تقصروا من الامل واجعلوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان ص يقول في دعائه اَللّٰهُمَّ اِنّي اَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيا تَمْنَعُ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَاَعُوذُ بِكَ مِنْ حَيوةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ الْمَماتِ وَاَعُوذُ بِكَ مِنْ اَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْرَ الْعَمَلِ وكان ص يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه بعد وقال عيسى ع لا تهتموا برزق غد فان لم يكن غد من آجالكم فستأتي فيه ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن غد من آجالكم فلا تهتموا لارزاق غيركم

فصل

الناس في طول الامل وقصره يختلفون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهيه ابدا كما قال سبحانه يَوَدُّ اَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ وهو الذي انغمر في الدنيا وخاض في لذاتها وليس له من الآخرة نصيب ومنهم من يأمل البقاء الى اقصى مدة العمر الذي يتصور لاهل عصره وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا ويشتغل بجمع شتاتها في هذه المدة وربما يجتهد بجمع الازيد منه ومنهم من يأمل اقل من ذلك الى ان ينتهي الى من لا يأمل ازيد من سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها ولا يعد لنفسه وجوده في عام قابل فان بلغه حمد الله على ذلك ومثله يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه السنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل اقل من السنة الى ان ينتهي الى من لا يأمل ازيد من يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره دون غده ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره ومثله يصلي دائما صلوة المودعين وقد روي ان النبي ص سئل بعض الصحابة عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكان بعضهم اذا يصلي يلتفت يمينا وشمالا فسئل ما هذا الالتفات قال انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني ثم اكثر الخلق سيما في امثال زماننا قد غلبهم طول

قال اتجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون
وتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون ... ان
[illegible] الجنة [illegible] رسول الله

الامل بحيث لا يأمل اقل من انقضى مدة السن وقل فيهم من قصر امله والعجب انه كلما ازداد
طول الامل في عصرنا اكثر المشايخ والمعمرين حرصهم وطول املهم اكثر من الشبان ومن هنا قال
رسول الله ص يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل وقال ص حب
الشيخ شاب في طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ثم
يعرف طول الامل وقصره بالاعمال فمن اعتنى بجميع اسباب الاحتياج اليها في سنة فهو طويل
الامل وكذلك من انتشرت اموره بان يكون له مع الناس معاملات ومحاسبات الى مدة متمادية
كالسنة وازيد منها وكان عليه ديون من الناس كذلك لم يكن مع ذلك مضطربا ولا خائفا فهو طويل
الامل فعلامة قصر الامل ان يجمع امره بحيث لا يكون عليه من الناس شيء ولا يسعى لطلب
قوت ازيد من اربعين يوما ويصرف اوقاته في الطاعة والعبادة ويرى نفسه كمسافر يجتهد
في تحصيل الزاد

فصل

ذكر الموت يقصر الامل ويدفع طوله ويوجب التجافي
عن دار الغرور والاستعداد لدار الخلود ولذا ورد في فضيلته والترغيب فيه اخبار كثيرة
قال رسول الله ص اكثروا ذكر هادم اللذات قيل وما هو يا رسول الله قال الموت فما
ذكره عبد على الحقيقة في سعة الا ضاقت عليه الدنيا ولا في شدة الا اتسعت عليه وقال ص
الموت تحفة المؤمن وقال ص الموت كفارة لكل مسلم وقيل له ص هل يحشر مع الشهداء احد
قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وقال ص اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب
ويزهد في الدنيا وقال ص كفى بالموت واعظا وقال ص الموت الموت الا ولا بد من
الموت جاء الموت بما فيه جاء بالروح والراحة والكرة المباركة الى جنة عالية لاهل دار
الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وقال ص اذا استحقت ولاية الله والسعادة
جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء الظهر وذكر عنده ص رجل فاحسنوا الثناء
عليه فقال ص كيف ذكر صاحبكم الموت قالوا ما كنا نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك
وسئل اي المؤمنين اكيس واكرم فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك
هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الباقر ع اكثر ذكر الموت فانه
لم يكثر ذكره انسان الا زهد في الدنيا وقال الصادق ع اذا انت حملت جنازة فكن
كانك انت المحمول وكانك سئلت ربك الرجوع الى الدنيا ففعل فانظر ماذا تستأنف ثم
قال عجبا لقوم حبس اولهم عن آخرهم ثم نودي فيهم بالرحيل وهم يلعبون وقال ع لابي بصير

السن يزداد

متمادية

فضيلة ذكر الموت

واذا استحقت ولاية الله والسعادة جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء الظهر

في بقية الاخبار المتضمنة ذكر الموت وانه اظهر متيقن يشابه ما مشكوك خفى

ما شكى اليه الوسواس اذكر يا ابا محمد تقطع اوصالك في قبرك ورجوع احبائك عنك اذا دفنوك في حفرتك وخروج بنات الماء من منخريك واكل الدود لحمك فان ذلك يسلى عنك ما انت فيه قال ابو عبيدة فوالله ما ذكرته الا سلى عنى ما انا فيه من هم الدنيا وقال من كان كفنه معه في بيته لم يكتب من الغافلين وكان فيها جور اكلما نظر اليه وقال ع ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ويقلع منابت الغفلة ويقوى القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر اعلام الهوى ويطفى نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى ما قال النبي ص فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عندما يحل اطناب خيام الدنيا ويشدها في الاخرة ولا تستنكر نزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيمة فلا خير فيه قال النبي ص اكثروا ذكر هادم اللذات ثم ذكر تمام الحديث كما مر ثم قال ع والموت اول منزل من منازل الاخرة واخر منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن احسن مشايعته في اخرها والموت اقرب الاشياء من بني ادم وهو يعده ابعد فما اجرء الانسان على نفسه وما اضعفه من خلق وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق وكره من كره قال النبي ص من احب لقاء الله احب الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقائه

فصل عجبا لقوم نسوا الموت وغفلوا عنه وهو اظهر اليقينيات والقطعيات في العالم واسرع الاشياء الى بني ادم قال الله سبحانه وتعالى اَيْنَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وقال سبحانه كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَاِنَّمَا تُوَفَّوْنَ اُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَاُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ وقال الصادق ع ما خلق الله يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وقال امير المؤمنين ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا من اجله وقال ع لو راى العبد اجله وسرعته اليه لابغض العمل من الدنيا وقال الص ع ما من اهل بيت شعر ولا وبر الا وملك الموت يتصفحه كل يوم خمس مرات وقد تقدمت اخبار اخر في هذا المعنى

فصل اعلم ان الموت هائلة من الدواهي العظمى ومن كل داهية اشد وادهى وهو من الاخطار العظيمة والاهوال الجسيمة فمن علم ان الموت مصرعه والتراب مضجعه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والدود انيسه والعقارب والحيات جليسه فجدير ان يطول حسرته وتدوم عبرته ويحصر فيه فكرته ويعظم بليته وتشتد

اكره عند الرحيل وادلها وعلو يلس

نفس

لاجله زينته ويرى نفسه في اصحاب القبور ويعدها من الاموات اذ كل ما هو آت قريب و
البعيد ما ليس بآت وحقوا ان لا يكون ذكره وفكره وغمه وهمه وقوله وفعله وسعيه وجدله الا فيه
وله قال رسول الله صلعم لو ان البهائم تعلم ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقال صلعم لقوم يتحدثون
ويضحكون اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ومر صلعم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قال
الموت ثم غفلة الناس عن الموت لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب
فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا وعلائقها فلا ينفع ذكره في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ
القلب عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى بلد بعيد ما بينهما
مفازة مخطرة او بحر عظيم لابد ان يركبه فانه لا يتفكر الا فيه ومن تفكر في الموت بهذا الطريق و
تكرر منه ذلك اثر ذكره في قلبه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينزجر نفسه عنها و
ينكسر قلبه ويستعد لاجله واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله ونقلوا من انس
العشرة الى وحشة الوحدة ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان
الى مصاحبة الهوام والديدان ويتذكر مصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم و
احوالهم ثم يتفكر كيف محى التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزائهم في قبورهم وكيف ارملوا نسائهم
وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساكنهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم واوحشت
ديارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية حيوته وتوهم صورته وتذكر نشاطه
وامله في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتات الاسباب وركونه الى القوة والشباب
وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف
يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان
يضحك وقد اكل التراب اسنانه وكيف دبر لنفسه الامور وجمع من حطام الدنيا ما لا يحتاج اليه ابدا
عليهم الاعوام والشهور وكر الازمنة والدهور ثم يتامل انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وسيصير
حاله في القبر كحالهم فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر وتشييع الجنائز و
مشاهدة المرضى تجدد ذكر الموت في قلبه حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه وعند
ذلك ربما يستعد له ويتجافى عن دار الغرور واما الذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان فقليل
الجدوى في التنبيه والايقاظ ومهما طاب قلبه بشيء من اسباب الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال

قالوا وما مكدر اللذات

انه لا بد من مفارقته كما نقل ان بعض الاكابر نظر يوما الى داره فاعجبه حسنها فبكى وقال والله
لولا الموت لكنت به مسرورا **فصل** الناس بين منهمك في الدنيا خائض في لذاتها و
شهواتها وبين تائب مبتدئ وعارف منتهى فالاول لا يذكر الموت وان ذكره فيذكره مذمة
لصده عما يحبه من الدنيا وهو الذي يفر منه وقال الله تعالى فيه قل ان الموت الذي تفرون
منه فانه ملاقيكم الاية وهذا يزيده ذكر الموت بعدا من الله الا اذا استفاد منه التجافي
عن الدنيا وينتغص عليه نعيمه ويتكدر صفو لذته وح ينفعه لان كل ما يكدر على الانسان
اللذات فهو من اسباب نجاته والثاني يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية
فيفي بتمام التوبة وربما يكره خيفة من ان يختطف قبل الاستعداد وتهيئة الزاد وتمام
التوبة وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل تحت قوله ص من كره لقاء الله كره الله لقائه
لان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو الذي
يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه
وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد للموت لا شغل له سواه وان لم يكن مستعدا له عاملا
بما ينفعه في الاخرة التحق بالاول واما الثالث فانه يذكر الموت دائما لانه موعد للقاء حبيبه
والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجئ الموت ويحب مجيئه
ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي ان حذيفة لما حضرته الوفاة
قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى
والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من الحيوة فسهل علي الموت حتى القاك
واعلى رتبة منه من يفوض امره الى الله ولا يختار لنفسه شيئا من الموت والحيوة والفقر
والغنى والمرض والصحة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه وهذا قد انتهى
بفرط الحب والولاء الى درجة التسليم والرضا وهو الغاية والانتهاء **تتميم**
من علامات قصر الامل وتذكر الموت المبادرة الى الحسنات واشتياق الخيرات ولذا ورد فيه
الترغيب والتحذير عن افة التاخير قال رسول الله ص اغتنم خمسا قبل خمس شبابك
قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك
قبل موتك وقال ص ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة
الله الجنة وكان ص اذا احس من اصحابه غفلة وغرة نادى فيهم بصوت عال اتتكم المنية اما

الاشارة الاجمالية الى رذيلة العصيان والوقاحة ورذيلة الاصرار على المعصية والتنبيه على ضدها

المقام الرابع

بشقاوة او بسعادة وروى انه ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وقال بعض الاكابر التودة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة ومنها العصيان مطلقا ولا ريب في كونه من رذايل قوتي الغضب والشهوة معا لان بعض انواعه من رذايل احديهما من جانب الافراط او التفريط او من باب رداءتهما وبعض آخر من انواعه من رذايل الاخرى وضده التقوى والورع بالمعنى الاعم اعني الاجتناب عن مطلق المعصية خوفا من سخط الله وقد تقدم ما ورد في فضيلتها فتذكر

رذيلة العصيان

ومنها الوقاحة وهو عدم مبالاة النفس وعدم انفعالها من ارتكاب المحرمات الشرعية والعقلية او العرفية وكونه من رذائل قوتي الغضب والشهوة ظاهر وضده الحياء وهو انحصار النفس وانفعالها من ارتكاب المحرمات الشرعية والعقلية والعادية حذرا من الذم واللوم وهو اعم من التقوى اذ التقوى اجتناب المعاصي الشرعية والحياء يعم ذلك واجتناب ما يقبح العقل والعرف فعله فهو من شرايف الصفات النفيسة ولذا ورد في فضله ما ورد قال الصادق ع الحياء من الايمان والايمان في الجنة وقال ع الحياء والعفاف والعي اعني عي اللسان لا عي القلب من الايمان وقال ع الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ذهب احدهما تبع صاحبه وقال لا ايمان لمن لا حياء له ثم حقيقة الحياء كما عرفت هو الانفعال عن ارتكاب ما يذم شرعا او عقلا او عرفا فالانفعال عن غير ذلك حمق فان الانفعال عن تحقيق احكام الدين او الجمود عما ينبغي شرعا وعقلا لا يعد حياء بل حمقا ولذا قال رسول الله الحياء حياءان حياء عقل وحياء حمق فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل

رذيلة الوقاحة

فضيلة الحياء

ومنها الاصرار على المعصية وهو اما ناش من رداءة احدى القوتين وخروجها عن اطاعة العاقلة او عن رداءتهما معا فيكون من رذايل القوتين وكلما يدل على ذم مطلق المعصية او على ذم خصوص افرادها يدل على ذم الاصرار على المعصية بطريق اولى واوكد واما الاخبار الواردة في ذم خصوص افراد المعاصي فربما يظفر بجملة منها في هذا الكتاب عند ذكر كل معصية واما الاخبار الواردة في ذم مطلق الذنب والمعصية فكثيرة جدا كقول النبي ص ما من يوم طلع فجرها ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان ينادبان باربعة اصوات يقول احدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ياليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ياليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا فيقول الآخر وياليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا واعلموا ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مأة عام وانه لينظر الى ازواجه في الجنة يتنعمن و

رذيلة الاصرار على المعصية

ذكر بعض الأخبار الواردة في التحذير من الذنب والمعصية وان العقوبة لا بد ان تحل عليه

قال امير المؤمنين ع لا تبدين عن واضحة وقد عملت الاعمال الفاضحة ولا تأمن البيات و
قد عملت بالسيئات وقال الباقر ع ان الله قضى قضاء حتما ان لا ينعم العبد بنعمة فيسلبها
اياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة وقال ع ما من شيء افسد للقلب من
خطيئته ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله وقال ع
ان العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق وقال الصادق ع ان ادنى ما اصنع بالعبد
اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وقال ع من هم بسيئة فلا يعملها
فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تعالى فيقول وعزتي وجلالي لا اغفر لك بعد ذلك
ابدا وقال ع اما انه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب و
ذلك قول الله عز وجل في كتابه وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قال ع وما يعفو الله اكثر مما يؤاخذ به وقال ع ان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلوة
الليل وان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في اللحم وقال الكاظم ع حق على الله ان لا يعصى في
دار الا اضحاها للشمس حتى يطهرها والاخبار في هذا المعنى اكثر من ان تحصى ولا يتوهم احد انه
يمكن ان لا يصل اليه اثر الذنب ووباله فان هذا محال فانه لم يتجاوز عن الانبياء في تركهم
الاولى فكيف يتجاوز عن غيرهم في كبائر المعاصي نعم كانت سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة
ولم يؤخروا الى الآخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ويعذبوا في الآخرة عذابا اكبر واشد
اما سمعت ان اباك آدم قد اخرج من الجنة بترك الاولى حتى روى انه لما اكل الشجرة تطايرت
الحلل عن جسده وبدت عورته وجاء جبرئيل واخذ التاج من راسه وحل الاكليل عن جبينه و
نودي من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم الى حوا باكيا
وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروى انه تعالى قال يا آدم اي جار كنت
لك قال نعم الجار يا رب قال يا آدم اخرج من جواري وضع عن راسك تاج كرامتي فانه لا يجاورني
من عصاني وقد روى ان آدم بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل الله توبته وتجاوز عما ارتكبه من
ترك الاولى فان كان مؤاخذته في خطيئة واحدة مع حبيبه وصفيه هكذا فكيف معاملته مع الغير
في ذنوب لا تحصى **وصل** ضد الاصرار التوبة وهو الرجوع من الذنب القولي
والفعلي والفكري وبعبارة اخرى هو تنزيه القلب عن الذنب والرجوع من البعد الى القرب
وبعبارة اخرى ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من

ذكر عبارات في التعبير عن حقيقة التوبة وتحقيق ما اعتبر فيها وما يؤدي اليها

المقام الرابع

النفسية وكما ان الاصرار على المعاصي من رذائل قوتي الغضب والشهوة فالرجوع منه وتركه من فضائلهما بمعنى ان العزم على ترك كل معصية يكون من عمل كليهما او احدهما او من فعل النفس باعانتهما وانقيادهما للعاقلة وان كان الباعث على الرجوع وتهيج النفس والقوتين على مباشرة الرجوع والترك هو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين المحبوب ويمكن ان يقال ان التوبة هو الرجوع عن الذنب وهو من ثمرات الخوف والحب فان مقتضى الحب ان يمتثل مراد المحبوب ولا يعصيه في شيء مما يريده ويطلب من المحب ويمكن ان يقال ان التوبة عبارة عن مجموع العلم بضرر الذنوب وكونها حجابا بينه وبين الله والندم الحاصل منه والقصد المتعلق بالترك حالا واستقبالا والتلافي للماضي والندم والقصد بالترك والتلافي من فعل القوتين او فعل النفس بوساطة القوتين وانقيادهما للعاقلة والعلم المذكور من العاقلة فيكون التوبة من فضائل القوى الثلث وتوضيح حقيقة التوبة انه اذا علم العبد علما يقينيا ان ما صدر عنه من الذنوب حائلة بينه وبين محبوبه ثار من هذا العلم تألم القلب بسبب فوات المحبوب وصار متأسفا على ما صدر عنه من الذنوب سواء كانت افعالا او تروكا كالطاعات ويسمى تألمه بسبب فعله او تركه المفوت لمحبوبه ندما واذا غلب هذا الندم على القلب انبعث منه حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال بترك الذنب الذي كان ملابسا له وبالاستقبال بالعزم على ترك الذنب المفوت لمحبوبه الى آخر عمره وبالماضي بتلافي ما فات بالجبر والقضاء فالعلم اعني اليقين بكون الذنب سموما مهلكة هو الاول وهو مطلع البواقي اذ مهما اشرق نور هذا اليقين على القلب اثمر نار الندم على الذنب فيتألم به القلب حيث ينظر باشراق نور الايمان واليقين انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيطلع النور عليه بانقشاع سحاب او انجلاء حجاب فيرى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وينبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلثة معان مرتبة في الحصول يطلق اسم التوبة على مجموعها وربما اطلق التوبة على مجرد الندم وجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر والى هذا الاعتبار يشير قوله الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره او عن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حدها انه ذوبان الحشا لما سبق

فيكون من فضائل القوتين ايضا

بقية التفسير عن حقيقة التوبة والاشارة الى ان لكل من العباد من التوبة ورتبة الرجوع

الخطأ او نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وربما اطلق على مجرد ترك الذنوب حالا والعزم على تركها استقبالا وبهذا الاعتبار قيل في حدها انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا او انه تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة او انه ترك اختيار الذنب حالا ويوطن القلب بتجريد العزم على عدم العود اليه استقبالا وعلى هذا لا يكون الندم داخلا في حقيقة التوبة وقد صرح بعض الاعاظم بخروجه عنها محتجا بان الندم وهو تألم القلب وحزنه على الذنب غير مقدور ولذا ترى تقع الندامة على امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك فلا يكون الندم مقدورا وانما المقدور تحصيل اسبابه اعني الايمان والعلم بفوات المحبوب وتحقيقهما في قلبه وعلى هذا فلا يكون الندم من التوبة اذ التوبة مقدورة للعبد ومامور بها فاللازم فيها الندم دون الندم وغير خفي بان الندم كغيره من صفات النفس فان امكن ازالة الصفات النفسية وكسبها فالندم كذلك والا لزم بطلان علم الاخلاق بالكلية وايضا اذا امكن تحصيل سبب الندامة اعني العلم بفوات المحبوب لزم ترتب المسبب اعني الندامة عليه فما معنى عدم كونه مقدورا فالندامة في الازالة والتحصيل لا يكون اصعب من كثير من الاخلاق النفسية وبعضهم يعد ما عدا الندم من شرايط التوبة قال واما الندم بمعنى تألم القلب على الذنب الذي هو روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة حقيقة وانما المقدور تحصيل اسبابه من العلم والايمان وتحقيقهما في قلبه انتهى وفيه ما لا يخفى بعد ملاحظة ما سبق قال المصنف التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مدامة التوبة على كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء من اضطراب السر وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة الاصفياء من التنفس وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة العام من الذنوب ولكل واحد منهم معرفة وعلم في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول شرحه هنا فاما توبة العام فان يغتسل بالماء من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره ولا يستصغر توبته فيحمله ذلك الى الكسل ويديم البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه عن الشهوات ويستغيث الى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه عن العود الى ما سلف ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ويقضي عن الفوائت من الفرائض ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه وضرائه ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة

تحقيق فيما يتعلق بالتوبة والفرق بين التوبة والتقوى

التوابين فان في ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عز وجل
وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ **تتمة** التوبة انما يكون عن ذنب سبق مثله
او ترك ذنب لم يسبق مثله حالا والعزم على تركه استقبالا لا يسمى توبة بل يسمى تقوى ويسمى صاحبه
متقيا لا تائبا ولذا يصح القول بان النبي صلى الله عليه وآله كان متقيا عن الكفر ولا يصح القول بانه كان تائبا عنه ثم
المراد بالمثل السابق اعم من ان يكون مثلا في الصورة او المنزلة فالشيخ الهم الذي سبق منه الزنا و
قطع الطريق ولم يقدر الساعة على فعلهما اذا اراد التوبة عنهما ينبغي ان يتوب عما يماثلهما منزلة
ودرجة كالقذف والسرقة وامثالهما اذ لا معنى للتوبة عما يماثلهما صورة اعني نفس الزنا وقطع
الطريق مع عدم قدرته عليهما ولو لم يكن التوبة عما يماثل الشيء في المنزلة والدرجة توبة عن هذا
الشيء لزم ان يكون باب التوبة مسدودا بالنسبة الى مثل الشيخ الهم وكل من صدر عنه معصية والآن لا
يقدر عليه وهو باطل لانفتاح باب التوبة الى الموت ولما ذكر قال بعض المشايخ في حد التوبة
انها ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله وحذرا من سخطه فقوله سبق مثله
احتراز عن ترك ذنب لم يسبق مثله فانه لا يسمى توبة بل تقوى وقوله منزلة لا صورة لادخال التوبة
عما سبق ولا يقدر الآن على فعله وعلى هذا فتوبة العنين عن النظر واللمس وامثال ذلك يكون
توبة عن الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة والظاهر ان بناء ذلك على انه لا توبة عما يقدر
عليه الآن لانه لو كان قادرا على الزنا لتركه ايضا لاشعاره بان توبته صدرت عن معرفة ويقين بضرر
الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة قال ابو حامد الغزالي ان قلت هل يصح توبة العنين من
الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة قلت لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك
فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ثم قال ولكني اقول لو طرأ
عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث
لو كانت شهوة الوقاع باقية لكان حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك
مكفرا لذنبه وماحيا عنه السيئة اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان من
التائبين وان لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار
ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل ان يبلغ قوة الندم
في حق العنين عن هذا المبلغ فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف و
الله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعسى ان يقبله منه والحقيقة في هذا ترجع الى ان

فلو كان قادرا عليه لتركه ايضا ح

اقامة الحجة على وجوب التوبة بالعقل والاجماع والنقل وتذنيب ببيان سر وجوبه

المعصية تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والاخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محو ها دون المجاهدة ولولا هذا لزهان لا يقبل التوبة ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه

فصل

التوبة عن الذنوب باسرها واجبة بالاجماع والعقل والنقل اما الاجماع فلا ريب في انعقاده واما النقل فكقوله تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن شوائب الاغراض من مال او جاه او خوف من سلطان او عدم اسباب والامر للوجوب فتكون التوبة واجبة بمقتضى الايتين واما العقل فهو ان من علم معنى الوجوب ومعنى التوبة فلا يشك في ثبوتها لها بيان ذلك ان معنى الواجب وحقيقته هو ما يتوقف عليه الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك السرمد ولولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن معنى لوجوبه فالواجب ما هو وسيلة وذريعة الى سعادة الابد ولا ريب في انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله والانس به فكل من كان محجوبا عن اللقاء والوصال محروما عن مشاهدة الجلال والجمال فهو شقي لا محالة محترق بنار الفراق ونار جهنم ثم لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات النفسية والغضب والانس بهذا العالم الفاني والانكباب على حب ما لا بد من مفارقته قطعا ويعبر عن ذلك بالذنوب ولا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام الذكر والمحبة له بدوام الفكر في عظمته وجلاله وجماله على قدر طاقته ولا ريب في ان الانصراف عن طريق البعد الذي هو الشقاوة واجب للوصول الى القرب الذي هو السعادة ولا يتم ذلك الا بالتوبة التي عبارة عن العلم والندم والعزم وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فالتوبة واجبة قطعا

تنبيه

كيف لا تكون التوبة عن المعاصي واجبة مع ان العلم بضرر المعاصي وكونها مهلكة من اجزاء الايمان ووجوب الايمان مما لا ريب فيه والعالم بهذا العلم اذا لم يعمل به فكانما لا يعلمه او ينكره فلا يكون له هذا الجزء من الايمان لان كل علم يراد ليكون باعثا على العمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقول

تفسير قول النبي صلى الله عليه وآله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وان العاصي بقدر معصيته ناقص الايمان

النبي صلى الله عليه وآله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان بالله ووحدانيته و
صفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان بالله لكون
الزنا مبعدا عن الله وموجبا لسخطه وليس الايمان بابا واحدا بل هو كما ورد نيف وسبعون بابا
اعلاها الشهادتان وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان
موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها الروح والقلب وادناها اماطة الاذى
عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن
البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظفارها فالايمان كالانسان
وفقد الشهادتين كفقد الروح الذي يوجب البطلان بالكلية والذي ليس له الا شهادة التوحيد
والرسالة وترك سائر اجزائه من الاعمال فهو كالانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين
فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من الموت
ومزايلة الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك
من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا اخذتها الرياح
العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت وورود ه فكل ايمان لم يثبت في
النفس اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك
الموت وخيف عليه سوء الخاتمة فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع يحجب في الخاتمة عن
الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع يساق الى الموت المعدم
للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين
الاصل والفرع الا في شيء واحد هو ان وجود الفرع وبقائه جميعا يستدعي وجود الاصل
واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقائه يستدعي وجود الفرع فبقاء
الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فمساواة العاصي والمطيع في اسم المؤمن كمساواة شجرة القرع
وشجرة الصنوبر في اسم الشجرة وانما يظهر الفرق اذا عصفت الرياح القوية فعند ذلك
ينقطع اصول شجرة القرع وتتناثر اوراقها وتبقى شجرة الصنوبر ثابتة على اصلها وفرعها
ومثل العاصي الذي لا يخاف الخلود في النار لاجل معصيته اتكالا على ايمانه بالتوحيد والرسالة
كمثل الصحيح الذي ياكل اغذية مضرة والسموم ولا يخاف الموت اتكالا على صحته
هذا الصحيح يتناول السموم والاغذية الى المرض والمرض الى الموت فكذلك يؤدي الذنوب

العاصي

العاصي الى سوء الخاتمة وسوء الخاتمة الى الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالسمومات والمأكولات المضرة للابدان فكما ان مضرة السمومات لا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك آثار المعاصي لا تزال تتراكم في النفس حتى تفسد مزاجها فيسلب عنها اصل الايمان والخائف من الموت في هذه النشأة القصيرة اذا وجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ترك الذنوب ومن تناول السم وندم عليه اذا وجب ان يتقيأ ويرجع عن تناوله باخراجه عن المعدة فمتناول سموم الايمان وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام له مهلة التدارك فالبدار البدار معاشر اخواني الى التوبة قبل ان يعمل سموم الذنوب بروح ايمانكم عملا لا ينفع بعده الاحتماء وخرج الامر فيه عن ايدي الاطباء القلوب فلا ينفع حينئذ وعظ الواعظين ونصح الناصحين ويحق عليكم كلمة العذاب وتدخلوا تحت عموم قوله تعالى وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وقوله تعالى خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وغير ذلك من الآيات ثم مقتضى الادلة المذكورة كون التوبة واجبة على الفور فيجب على كل مسلم ان يتوب عن ذنوبه فورا ولا يجوز له التأخير قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض والموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد ان اكثر صياحا اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف

فصل

وجوب التوبة يعم الاشخاص والاحوال فلا ينبغي ان ينفك عنه احد في حالة قال الله تعالى وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا وهو يعم الكل في الكل ومما يدل على وجوبها على الكل ان كل فرد من افراد الناس اذا بلغ سن التميز والتكليف قام القتال والنزاع في مملكة بدنه بين الشهوات جنود الشياطين وبين العقول حزب الملائكة اذ لا يكمل غريزة العقل في احد الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة واذا قام القتال بينهما لا بد بحكم العقل والشرع ان يغلب جنود الله على جنود الشيطان بقمعها بكسر الشهوات ورد النفس على سبيل القهر والغلبة على الصفات المحمودة والعبادات ولا معنى لوجوب التوبة الا هذا ومما يدل على وجوبها

بيان السرّ في وجوب التوبة على جميع الاشخاص في جميع الاحوال ونقل بعض الاخبار

على الدوام وفي كل حال هو ان كل عبد لا يخلو عن معصية بجوارحه فان خلا في بعض الاحوال
عن معصية الجوارح فلا يخلو عن رذائل النفس والهمّ بالذنوب بالقلب فان خلا عن ذلك ايضا
فلا يخلو عن وسوسة الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا
يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وآثاره وكل ذلك نقص يجب الرجوع عنه
وهو معنى التوبة ولعدم خلو احد من الخلق من نوع هذا النقص اصلا في حالة وان تفاوتوا
في المقادير يلزم وجوب التوبة على كل عبد في كل حالة ولو خلا عن التوبة عن جميع الذنوب في
لحظة واختطفه الموت لزم خروج روحه بلا توبة لعدم انفكاكه قبل موته ولو بلحظة عن فرد
من المعاصي المذكورة فالتوبة واجبة على كل عبد سالك في كل نفس من انفاسه قال بعض
العرفاء لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى من عمره في غير طاعة الله لكان حقيقا
ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله ومن عرف قدر
العمر وفائدته وما يكتسب به من سعادة الابد يعلم ان ما يضيع منه في المعصية وعدم التوبة
اي حسرة وندامة يترتب عليه فان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة فان ضاعت منه بغير فائدة
يبكي عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل نفس من العمر
جوهرة نفيسة لا عوض لها لايصالها العبد الى سعادة الابد وانقاذه اياه من شقاوة السرمد
واي جوهر انفس من هذا فمن ضيّعها في الغفلة خسر خسرانا مبينا ومن صرفها في معصية فقد
هلك هلاكا ابديا وقد قيل ان لله تعالى الى عبده سرّين يسرّهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا
خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك و
ائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول
عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك
بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وبقوله تعالى
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ وقد روي ان ملك الموت اذا ظهر للعبد عند
موته اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الحزن والحسرة
والاسف ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لاعطاها بدل ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى
يتدارك فيها تفريطه ولا يجد اليها سبيلا وقد روي ايضا انه اذا كشف الغطاء للعبد قال
لملك الموت اخّرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام

فلا يوم فيقول اخرى ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيغرغر
بروحه ويتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على
تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان سبقت له
من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة
والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة **فصل**
التوبة عن بعض المعاصي المذكورة اعني المحرمات وترك الواجبات واجب بفتوى الشرع
بمعنى ان التارك لهذه التوبة والمرتكب لهذه المعاصي يكون معذبا بالنار وهذا الوجوب
يشترك فيه كافة الخلق وتكليف الجميع به لا يوجب فسادا في النظام الكلي واما التوبة عن بعض
اخر منها اعني الخواطر والهمم الطارية على القلب المقصود من معرفة كنه جلال الله وعظمته واما
ذلك فليس واجبا بهذا المعنى لمنافاته انتظام العالم اذ لو كلف الخلق كلهم ان يتقوا الله حق
تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية وذلك يؤدي الى بطلان التقوى راسا لانه
ان فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى فالتوبة عن كل ما هو المرجوح ليست واجبة بهذا
الاعتبار بل هو واجب بمعنى اخر وهو ما لا بد منه للوصول الى غاية القرب الى الله والى المقام
المحمود والدرجات العالية فمن رضي باصل النجاة وقنع به لم يكن هذه التوبة واجبا عليه ومن
طلب الوصول الى ما ذكر وجب عليه هذه التوبة وجوبا شرطيا بمعنى توقف مطلوبه عليه
كما جرت عليه طوائف الانبياء والاولياء واكابر العرفاء والعلماء ولاجله رفضوا اللذات الدنيا
بالكلية وعلى هذا فما ورد من استغفار الانبياء والاوصياء وتوبتهم انما هو من ترك دوام الذكر
وغفلتهم عن مقام الشهود والاستغراق لاجل اشتغالهم بالمباحات لا عن ذنوب كذنوبنا لتعاليهم
وتقدسهم عن ذلك قال الصادق عليه السلام ان رسول الله ص كان يتوب الى الله ويستغفره
في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب ان الله يخص اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير
ذنب لعلهم من غير ذنب كذنوبنا فان ذنب كل احد انما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله وبمقتضى
اخبار اخر **فصل** لا يكفي في تدارك الشهوات والتوبة عن الذنوب مجرد تركها في المستقبل
بل لا بد من محو آثارها التي انطبعت في جوهر النفس بنور الطاعات اذ كل شهوة ومعصية صدرت
من الانسان ارتفعت منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة المصقلة
فان تراكمت ظلمة الشهوات والمعاصي صارت رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة

عند تراكمه خبثا كما قال تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار
طبعا فينطبع على قلبه كما ان الخبث في وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده
وصار بحيث لا يقبل التصقيل بعده فالتائب من الذنوب لا بد له من محو تلك الآثار التي انطبعت منها
في نفسه ولا يكفي مجرد تركها في المستقبل كما لا يكفي في تصقيل المرآة وظهور الصور فيها قطع الانفاس والبخارات
المسودة لوجهها في المستقبل ما لم تشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار وكما يرتفع الى النفس ظلمة من
المعاصي والشهوات فيظلم فكذلك يرتفع نور من الطاعات وترك الشهوات فيتنور وبهذا النور ينمحي
ظلمة المعاصي والشهوات واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذن لا يستغني
العبد في حال من الاحوال من محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات
بمعنى ان تكون الحسنة التي يرتكب لمحو السيئة مناسبة لتلك السيئة لقوله صلى الله عليه وآله اتق الله حيث كنت ولان المرض يعالج
بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب فلا يمحوها الا نور يرتفع اليه من حسنة تضادها اذ الضد
انما يرتفع بالضد فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبحضور مجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا
بالعبادة فيه ويكفر مس المصحف محدثا باكرامه وتقبيله وكثرة قرائته ويكفر شرب الخمر بالتصدق
بكل شراب حلال هو احب اليه الى غير ذلك وليس ذلك اي ايقاع المناسبة شرطا في المحو فقد روي ان
رجلا قال لرسول الله اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله
فقال اما صليت معنا قال بلى فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وينبغي ان يكون التوبة عن
قرب عهد بالخطيئة بان يندم عليها ويمحو اثرها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو
قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب اي عن
قرب عهد بعمل السوء وقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن قال الصادق عليه السلام ذلك اذا عاين امر الآخرة وقد ورد مثله عن رسول الله
ايضا

فصل

اعلم ان التوبة اول مقامات الدين وراس مال السالكين ومفتاح استقامة المائلين
ومطلع التقرب الى رب العالمين مدحها عظيم وفضلها جسيم قال الله تعالى ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن
لا ذنب له وقال الباقر عليه السلام ان الله اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في
ليلة ظلماء فوجدها فالله تعالى اشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها وقال
التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذنب وهو يستغفر منه كالمستهزئ وقال الصادق عليه السلام

بقية ما ورد في فضل التائبين وفضيلة التوبة وان التوبة المستجمعة للشرائط مقبولة

ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني كثير الذنب كثير التوبة وقال عم اذا تاب العبد توبة
نصوحا احبه الله فستر عليه قيل وكيف يستر عليه قال ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله
على جوارحه والى بقاع الارض ان اكتمي عليه ذنوبه حتى يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب و
قال عم ان الله تعالى اعطى التائبين ثلث خصال لو اعطي خصلة منها جميع اهل السموات و
الارض لنجوا بها قوله تعالى اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ الى آخره وقوله اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ
مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً
وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا الى قوله وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وقوله وَالَّذِينَ لَا
يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ اَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً اِلَّا مَنْ تَابَ
وَآمَنَ الى قوله وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً وقال ابو الحسن عم احب العباد الى الله المنيبون
التوابون

فصل التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة بالاجماع ويدل عليه قوله تعالى
هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وقوله تعالى غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ وقوله تعالى
وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً اَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً وقول النبي صلعم
ان الله تعالى يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس
من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة وطالب التوبة يقبلها البتة وقوله صلعم
ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ وقوله صلعم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ
السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقوله صلعم ان العبد ليذنب الذنب فيدخل في الجنة قيل
كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقوله صلعم
كفارة الذنب الندامة وقوله صلعم من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ثم قال ان السنة لكثير
من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله
توبته ثم قال ان الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ثم قال ان يوما لكثير من تاب
قبل ان يعاين ملك الموت قبل الله توبته وقال الباقر عم لمحمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا
تاب مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستانف بعد التوبة والمغفرة اما والله انها ليست الا
لاهل الايمان فقال له فان عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة فقال عم
يا ابن مسلم اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته فقال له

ويؤمنون به

انه يفعل ذلك مرارا ثم يذنب ويستغفر فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة والله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان تقنط المؤمنين عن رحمة الله و قوله ع اذا بلغت النفس هذه واومى بيده الى حلقه لم تكن للعالم توبة وكانت للجاهل توبة و قوله ع ان آدم عليه السلام قال يا رب سلطت على الشيطان واجريته مجرى الدم مني فاجعل لي شيئا فقال يا آدم جعلت لك ان من هم من ذريتك بسيئة لم يكتب عليه شيء فان عملها كتبت عليه سيئة ومن هم منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له حسنة فان هو عملها كتبت له عشرا قال يا رب زدني قال جعلت لك ان من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له قال يا رب زدني قال جعلت لهم التوبة حتى يبلغ النفس هذه قال يا رب حسبي وقوله الصادق ع ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة قيل يدخله الله بالذنب الجنة قال نعم انه ليذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة وقوله ع العبد المؤمن اذا اذنب ذنبا اجله الله سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتب عليه شيء وان مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة وان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له وان الكافر لينساه من ساعته وقوله ع ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته اربعين كبيرة فيقول وهو نادم أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ يَتُوبَ عَلَيَّ الا غفرها الله له ولا خير فيمن يقارف في كل يوم اكثر من اربعين كبيرة و روي ان الله تعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح و ورد في الاسرائيليات ان شابا عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول احببتنا فاحببناك فتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك والاخبار والآثار في هذا المعنى اكثر من ان تحصى وفي بعض الاخبار المتقدمة دلالة عليه ايضا ثم الناظر بنور البصيرة لا يحتاج في هذا المعنى الى بيان اذ يعلم ان التوبة توجب سلامة القلب وكل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله ويعلم ان القلب خلق في الاصل سليما صافيا اذ كل مولود يولد على الفطرة وانما مرضه واسوداده بامراض الذنوب وظلماتها ودواء التوبة يزيل هذه الامراض ونور الحسنات يمحو هذه الظلمات ولا

طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار ولكدورة الوسخ مع بياض الصابون والماء الحار نعم اذا تراكمت الذنوب بحيث صارت رينا وطبعا وافسدت القلب بحيث لا يقبل الصفاء والتوبة بعد ذلك فمثل هذا القلب لا يفيده التوبة بمعنى انه لا يرجع ولا يتوب وان قال باللسان تبت اذ اوساخ الذنوب غاصت في تجاويفه وتراكمت فيه بحيث لا يقبل التطهير ولو بولغ فيه ادى الى انخراق القلب وهلاكه لصيرورة الاوساخ جزءا من جوهره كما ان الثوب الذي غاص الوسخ في تجاويفه وخلله وتراكم فيه لو بولغ في تطهيره بالماء والصابون ادى ذلك الى انخراقه وهذا حال اكثر الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله فانهم لا يرجعون ولا يتوبون لصيرورة ذمائم الاخلاق ورذائلها ملكات راسخة في نفوسهم وغاصت اوساخها في تجاويف قلوبهم بحيث لا ينتبهون ولا يتيقظون حتى يقصدوا التوبة ولو قصدوها فانما هو بمجرد اللسان والقلب غافل خال عن الايمان بل يتعذر عليه التوبة لبطلان حقيقته

فصل اعلم ان ما عنه التوبة هي الذنوب التي علمت تفاصيلها في هذا الكتاب وهي كما ذكرناها لا تخرج عن الصفات والافعال الشيطانية المتعلقة بالوهمية والصفات والافعال السبعية المتعلقة بالقوة السبعية والصفات والافعال البهيمية المتعلقة بالقوة البهيمية ومن حيث تعلق التوبة بها وكيفية الخروج عنها ينقسم الى اقسام ثلثة احدها ترك الطاعات الواجبة من الصلوة والصوم والزكوة والخمس والكفارة وغيرها وطريق التوبة عنها ان يجتهد في قضائها بقدر الامكان وثانيها المحرمات التي بين العبد وبين الله اعني المنهيات التي هي حقوق الله كشرب الخمر وضرب المزامير والكذب والزنا بغير ذات بعل وطريق التوبة عنها ان يندم عليها ويوطن قلبه على ترك العود الى مثلها ابدا وثالثها الذنوب التي بينه وبين العباد وهي المعبر عنها بحقوق الناس والامر فيها اصعب واشكل وهي اما في المال او في النفس او في العرض او في الحرمة او في الدين فما كان في المال يجب عليه ان يرده الى صاحبه ان امكنه فان عجز عن ذلك لعدم او فقر وجب ان يستحل منه وان لم يستحله او عجز عن الايصال لغيبة الرجل غيبة منقطعة او موته وعدم بقاء وارث له فليتصدق عنه ان امكنه والا فعليه بالتضرع والابتهال الى الله ان يرضيه عنه يوم القيمة وعليه بتكثير حسناته وتكثير الاستغفار له ليكون يوم القيمة عوضا عن حقه اذ كل من له حق على غيره لابد ان ياخذ عوضا يوم القيمة عن حقه اما بعض طاعاته او يتحمل هذا الغير بعض سيئاته وما كان في النفس فان كان جناية جرت عليه خطأ

وجب ان يعطي الدية وان كان عمدا وجب عليه ان يمكن المجني عليه او اوليائه مع هذا ذكر من القصاص حتى يقتص منه او يجعل في حل وان عجز عن ذلك فعليه بكثرة اعتاق الرقاب لان ذلك نوع احياء و ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل به الاعدام والاماتة وعليه الرجوع ايضا الى الله بالتضرع والابتهال ان يرضيه عنه يوم القيمة وما كان في العرض بان شتمه او قذفه او بهته او اغتابه فحقه ان يكذب نفسه عند من قال ذلك لديه ويستحل من صاحبه مع الامكان ان لم يخف تهييجه و زيادة غيظه وهيجان فتنة من اظهاره فان خاف ذلك فليكثر الاستغفار له و يبتهل الى الله ان يرضيه عنه يوم القيمة وما كان في الحرمة بان خان مسلما في اهله و ولده او نحوهما فلا وجه للاستحلال اذ اظهار ذلك يورث الغيظ والفتنة لان من له شوب الرجولية لا يمكن ان يحل من خان في حرمته و عرضه وجنه كيف ولو احله و رضي بذلك كان فيه عرق من الدياثة فاللازم لمثله ان يكثر التضرع والابتهال الى الله تعالى ويواظب على الطاعات والخيرات الكثيرة لمن خانه في مقابلة خيانته و ان كان حيا فليفرحه بالاحسان والانعام وبذل الاموال و يكرمه بالخدمة وقضاء الحوائج و يسعى في مهماته واغراضه ويتلطف به ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فاذا طاب قلبه بكثرة توده وتلطفه فربما سمحت نفسه في القيمة بالاحلال فان ابى يكون انعامه وتلطفه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيمة خيانته فان كل ظلم وايذاء وحق من حقوق العباد اذا لم يحل صاحبه يوم القيمة يقتص من الظالم في يوم القيمة بالحكم العدل القهري باخذ العوض سواء رضي الظالم ام لا وسواء امتنع صاحب الحق عن القبول والابراء ام لا كما انه يحكم في الدنيا على من اتلف مال غيره باعطاء المثل ويقهر على ذلك ويحكم على هذا الغير بقبوله ويجبر عليه ان امتنع عن الابراء وعن القبول فكذلك يحكم بحكم احكم الحاكمين واعدل العادلين في محكمة القيمة فيقتص من كل ظالم موذ باخذ حسناته ووضعها في موازين ارباب المظالم فان لم يف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك المسكين بسيئات غيره وبذلك تعلم انه لا خلاص لاحد في القيمة الا برجحان ميزان الحسنات على ميزان السيئات ومع الرجحان ولو بقدر مثقال يحصل النجاة فيجب على كل معتقد بيوم الحساب ان يسعى في تكثير الحسنات وتقليل السيئات حتى لا يرجح سيئاته يوم القيمة على حسناته ولو بمثقال فيكون من الهالكين وعلى كل حال لا يغفل عن التضرع والابتهال في الليل والنهار الى الله سبحانه لعله بعميم لطفه لا يفضحه يوم تبلى السرائر ويرضي خصمه بخفي الطافه وما كان في الدين بان نسب مسلما الى الكفر والضلالة او البدعة فليكذب نفسه بين يدي من قال ذلك عنده و

بتحل

في انقسام الذنوب الى الكبيرة والصغيرة وبيان حقيقتهما وان اجتناب الكبائر يكفر الصغائر

يستحل من صاحبه مع الامكان وبدونه فيستغفر له ويكثر الابتهال الى الله ليرضيه عنه يوم القيمة
ومجمل ما يلزم في التوبة عن حقوق الناس ارضاء الخصوم مع الامكان وبدونه التصدق وتكثير
الحسنات والاستغفار والرجوع الى الله بالتضرع والابتهال ليرضيهم عنه يوم القيمة ويكون ذلك
بمشية الله فلعله اذا علم الصدق من قلب عبده وذله وانكساره ترحم عليه وارضى خصمائه من خزائن
فضله فلا ينبغي لاحد ان ييأس من روح الله

فصل اعلم ان صاحب الشرع قسم الذنوب
الى كبيرة وصغيرة وحكم بان اجتناب الكبائر يكفر الصغائر وان الصلوات الخمس لا تكفر الكبائر و
تكفر الصغائر قال الله تعالى اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ و
قال وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْاِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ اِلَّا اللَّمَمَ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
الصلوة الخمس والجمعة الى الجمعة تكفرها بينهن ان اجتنبت الكبائر واجتناب الكبيرة انما
يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف
نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير
قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان امتناعه لعجز او خوف ونحو ذلك
فلا يصلح للتكفير وكذلك من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عن الصغائر
التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار ومثله ثم الكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع
خاص في اللغة ولا في الشرع والعرف لان الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير
بالاضافة الى ما دونه وصغير بالاضافة الى ما فوقه وقد اختلف العلماء في تعيين الكبائر اختلافا
لا يكاد يرجى زواله واختلف الروايات فيها ايضا والاظهر بالنظر الى الروايات والى الجمع
بينها كون الكبيرة عبارة عما توعد النار على فعله او ما ورد في نص الكتاب النهي عنه ويعني بوصفه
بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة او ان تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ويمكن ان يق
ان الشرع لم يعينها وابهمها ليكون العباد على وجل منها فيجتنبون جميع الذنوب كما ابهم ليلة القدر
ليعظم جد الناس في طلبها ويواظبون في ليال متعددة على العبادات وكما ابهم الاسم الاعظم ليواظبوا
على جميع اسماء الله والحاصل ان كلما لا يتعلق به حكم في الدنيا جاز ان يتطرق اليه الابهام و
الكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة فان موجبات الحدود معلومة
باساميها وانما حكم الكبيرة ان اجتنابها يكفر الصغائر وان الصلوة الخمس لا يكفرها وهذا امر
يتعلق بالآخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن على الصغائر

فصل اعلم ان الصغيرة قد يكبر بأسباب أحدها الاصرار والمواظبة ولذلك قال الصادق ع لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار والسر فيه ان الصغيرة لقلة تأثيرها لا يؤثر في القلب باظلامه مرة او مرتين ولكن اذا تكررت وتراكمت آثارها الضعيفة صارت قوية واثرت على التدريج في القلب وذلك كما ان قطرات من الماء يقع على الحجر على توال فيؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله خير الاعمال ادومها وان قل واذا كان النافع هو الطاعة الدائمة وان قلت فكذلك الضار هو السيئة الدائمة وان قلت ثم معرفة الاصرار موكول الى العرف وقال الباقر ع في قوله تعالى وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار وثانيها استصغار الذنب فان العبد كلما استعظم من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة لعدم تأثره به ولذلك ورد في الخبر ان المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر قيل وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك وروي انه صلى الله عليه وآله نزل بارض قرعاء فقال لاصحابه ائتونا بحطب فقالوا يا رسول الله نحن بارض قرعاء ما بها من حطب قال فليأت كل انسان بما قدر عليه فجاؤا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال صلى الله عليه وآله هكذا يجتمع الذنوب اياكم والمحقرات من الذنوب فان لكل شيء طالبا الا وان طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين وقال امير المؤمنين ع لا يصغر ما ينفع يوم القيمة ولا يصغر ما يضر يوم القيمة فكونوا فيما اخبركم الله كمن عاين وقال الباقر ع اتقوا المحقرات من الذنوب فان لها طالبا يقول احدكم اذنب واستغفر الله ان الله تعالى يقول سَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ وقال عز وجل إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ وقال الصادق ع ان الله يحب العبد ان يطلب الله في الجرم العظيم ويبغض العبد ان يستخف بالجرم اليسير وقال الكاظم ع لا تستكثروا كثير الخير

اتونا بالحطب

مطلب لله

لا تستقلوا

بقية الامور التي تصير الصغيرة كبيرة وهي التي بها والسرور وذكره ومن الذنب به

لا تستقلوا قليل الذنوب فان الذنوب تجتمع حتى تكون كثيرا وخافوا الله في السر حتى تعطوا من انفسكم
النصف والسر في عظم الذنب في قلب المؤمن كونه عالما بجلال الله وكبريائه فاذا نظر الى عظم من عصى
به راى الصغيرة كبيرة وقد اوحى الله الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها
ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وكذلك قال بعض الصحابة للتابعين
انكم تعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات
اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله اتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر و
ثالثها ان يتهاون بالصغائر ولا يبالي بفعلها اغترارا بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله
اياه ولا يعلم انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فتزهق انفسهم وهم كافرون فمن ظن
ان تمكنه من المعاصي عناية من الله فهو جاهل بمكامن الغرور وامن من مكر الله الذي لا
يامن منه الا الكافرون ورابعها السرور بالصغيرة واعتداد التمكن من ذلك نعمة و
الغفلة عن كونها نقمة وسبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت وعظم
اثرها في تسويد قلبه فمن مزق عرض مسلم وفضحه وخجله او غبنه في ماله في المعاملة ثم فرح به
ويقول اما رايتني كيف مزقت عرضه وكيف فضحته وكيف روجت عليه الزيف كان معصيته
اشد مما اذا لم يفرح بذلك وتاسف عليه اذ الذنوب مهلكات واذا ابتلي بها العبد فينبغي
ان يتاسف من حيث ان العدو واعني الشيطان ظفر به وغلب عليه لا ان يفرح بغلبة العدو عليه فالمريض
الذي يفرح بانكسار الاناء الذي فيه دواؤه لتخلص من الم شربه لا يرجى شفاؤه وخامسها ان يذنب و
يظهر ذنبه بان يذكره بعد اتيانه او ياتيه في مشهد غيره فان ذلك خيانة منه على ستر الله الذي سدله
عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به
فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش
الامر وهذا لان من صفات الله انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه
النعمة قال رسول الله المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر
بها مغفور له وقال بعض القوم من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة
قد سترها الله فنحوه وسادسها ان يكون الاتي بالصغيرة عالما يقتدى به الناس فاذا فعله بحضرة الناس
او بحيث اطلعوا عليه كبر ذنبه وذلك كلبسه الذهب والابريسم واخذه مال الشبهة واطلاق
اللسان في اعراض الناس ونحو ذلك فهذه ذنوب يقتدى بالعالم فيها ويتبع عليها فيموت ويبقى شره مستطيرا في العالم

ذكر الامور المعتبرة في التوبة كمالية وبيان التوبة عن بعض المعاصي دون بعض صحيحة

فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق الاعمال بعد انقضاء العمل فعلى العالم وظيفتان احدهما ترك الذنب والاخر اخفائه وكما يتضاعف اوزار العالم على السيئات اذا اتبع فيها فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات اذا اتبع

فصل يشترط في تمام التوبة وكمالها بعد مقابلة كل معصية بما مر من طول الندم وقضاء العبادات والخروج عن مظالم العباد طول البكاء والحزن والحسرة وانسكاب الدموع وتقليل الاكل وارتياض النفس ليذوق عن بدنه كل لحم نبت من الاغذية المحرمة والمشتبهة قال امير المؤمنين عم لمن قال بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود عليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ منهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله

فصل اعلم ان التوبة عن بعض الذنوب دون بعض ممكن ويصح بشرط ان لا يكون الذنوب التي يتوب عنها مخالفة بالنوع للذنوب التي لا يتوب عنها كان يتوب عن الكبائر دون الصغائر او عن القتل والظلم ومظالم العباد دون بعض حقوق الله او عن شرب الخمر دون الزنا او بالعكس او عن شرب الخمر دون اكل اموال الناس بالباطل خيانة وتلبيسا او غصبا وقهرا او عن بعض الصغائر دون بعض الكبائر كالذي يتوب عن الغيبة مع اصراره على شرب الخمر والدليل على امكان ذلك وصحته ان العبد اذا علم ان بعض الكبائر اعظم اثما عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليها فلا يبعد ان يتوب عن الاعظم دون الاصغر وكما اذا تصور ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله من بعض فلا يبعد ان يتوب عن الاغلظ دون الاخف وقد يكون ضراوة احد بنوع معصية شديدة فلا يقدر على الصبر عنها ويكون ضراوته بنوع آخر منها اقل فيمكنه الترك بسهولة فيتوب عنه دون الاول وان كان الاول اغلظ واشد اثما كالذي شهوته بالخمر اشد من شهوته بالغيبة فيترك الغيبة ويتوب عنها دون الخمر فالتوبة عن بعض المعاصي دون بعض مع اختلافهما نوعا باي نحو كان ممكن وصحيح ومعها يندفع عنه اثم ما تاب عنه ويكتب عليه اثم ما لم يتب عنه بل ربما كان اكثر ما

في ان التوبة ببعض الذنب دون بعض مع التماثل غير معقول

في ذكر اصناف التائبين مختلفة باعتبارات

وقع من التوبة من هذا القبيل اذ اكثر التائبين في الاعصار الخالية والقرون الماضية ولم يكن احد
منهم معصوما فيكون كل منهم جازما بانه يصدر عنه معصية ثانية ويدل على الصحة قوله عم التائب
من الذنب كمن لا ذنب له حيث لم يقل التائب من الذنوب نعم التوبة عن بعض الذنوب دون
بعض مع تماثلهما غير صحيح وغير معقول لاستوائهما في حق الشهوة وحق التعرض لسخط الله
فلا معنى للتوبة عن اخذ الخبز الحرام دون اللحم الحرام او عن اخذ الدرهم الحرام دون الدينار
الحرام او عن ترك صلوة الظهر دون العصر اذ لو كان ذلك صحيحا لصح ان يتوب عن اخذ
هذا الخبز دون ذلك الخبز او عن اخذ هذا الدرهم دون ذلك الدرهم وهكذا والحاصل
ان التوبة عن بعض الذنوب دون بعض مع تفاوتهما في العقاب وفي اقتضاء الشهوة صحيح ومع تماثلهما
فيهما غير معقول ومن العلماء من قال ان التوبة عن البعض دون البعض لا يصح مطلقا و
استدل على ذلك بان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة
ولا يعقل الندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية اذ العلة شاملة لهما لان
من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان التوجع انما هو بفوات
المحبوب سواء كان بالسيف او بالسكين وكذلك توجع التائب انما هو لفوات المحبوب بالمعصية
سواء عصى بالسرقة او بالزنا وجوابه قد ظهر مما ذكرناه

فصل التائبون بين من
سكنت نفسه عن النزوع الى الذنوب فلا يحوم حومه وبين من بقي في نفسه النزوع لبقية
الرغبة فيه وهو يجاهدها ويمنعها والاول بين من سكون النزوع وبطلانه فيه لاجل قوة اليقين وصدق
المجاهدة ومن سكونه وانقطاعه بفتور في نفس الشهوة فقط والاول من الاول افضل من الثاني
والثاني منه ادون من الثاني والوجه ظاهر وايضا التائبون بين من نسي الذنب من دون اشتغال
بالتفكر فيه وبين من جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه ولا ريب في ان التذكر
والاحتراق بالنظر الى المبتدي ومن يخاف عليه العود افضل لانه يصده عنه والنسيان بالنظر الى
المنتهي السالك والواصل الى مرتبة الحب والانس الواثق من نفسه انه لا يعود افضل لانه شغل
مانع من سلوك الطريق وحاجب من الحضور بلا فائدة ولا ينافيه بكاء الانبياء ونياحتهم من
الذنوب لانهم قد ينزلون في افعالهم واقوالهم الى الدرجات اللائقة بالامة فانهم بعثوا لارشادهم فعليهم
التلبس بما ينتفع الامة بمشاهدته وان كان نازلا عن ذروة مقامهم ولذا قال
رسول الله صلى الله عليه وآله اما اني لا انسى لكن انسى لاشرع ولا تعجب من هذا فان الامم

الانبياء كالعيال في كنف شفقة

في كنف شفقة الآباء، وكالمواشي في كنف الرعاة والاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصغير نزل الى درجة نطق الصبي والراعي للشاة او طاير يصوت برغاء او صفير اشبها بالبهيمة والطاير تلطفا في تعليمه

فصل اعلم ان التائب اما يتوب عن المعاصي كلها ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط ولا يعود الى ذنوبه ولا يصدر عنه معصية الا الزلات التي لا يخلو عنه غير المعصومين وهذه التوبة هي التوبة النصوح والنفس التي صاحبها هي النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية او يتوب عن كبائر المعاصي والفواحش ويستقيم على امهات الطاعات الا انه ليس ينفك عن ذنوب تصدر عنه في مجاري احواله غفلة وسهوا وهفوة لا عن تعمد وتجريد القصد واذا اقدم على ذنب لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان لا يعود الى مثله ويتشمر للاحتراز عن اسبابه التي تؤدي اليه والنفس التي هذه مرتبته هي النفس اللوامة التي جزها يجلب على شرها ولها حسن الوعد من الله تعالى بقوله الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ والى مثلها الاشارة بقوله خياركم كل مفتن تواب وفي خبر آخر لا بد للمؤمن من ذنب لعله العبنة العبنة اي الحين بعد الحين وكل ذلك شاهد صدق على ان هذا القدر من الذنوب لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبه بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن النجاة ووصوله الى درجة التائبين فهو ناقص ومثله مثل الطبيب الذي يؤيس الصحيح من دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه مرة او مرتين ومثل الفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار في اوقات نادرة ولا ريب في نقصانه فالعالم حق العالم هو الذي لا يؤيس الخلق من درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات اذ امثال الفترات وما يصدر عن السهو والغفلات لا يفسد النفس ولا يبطلها بحيث لا يقبل الاصلاح او يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم يغلبه الشهوة في بعض الذنوب فيقدم عليه عمدا وقصدا لعجزه عن قهر الشهوة وقمعها الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك لاكثر الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهره بعض الشهوات بحيث يغفل عند هيجانها ويرتكب مقتضاها من دون مجاهدة وندامة وعند قضاء هذه الشهوة والفراغ عنها يتندم ويقول ساتوب عنها لكنه يسول نفسه ويسوف توبته يوما بعد يوم والنفس التي هذه درجتها هي التي تسمى النفس المسولة صاحبها واليها الاشارة بقوله تعالى وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فنجاتها من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما يتعاطاه مرجو

نفسى

في ان توبة التائب مع عدم الوثوق بنفسه ولو ناقصة نافعة في الجملة

فعسى الله ان يتوب عليها من حيث تسويفها وتاخيرها فربما اختطفها الموت قبل التوبة وتقع اربابها في المشية فيدخل في زمرة السعداء او تسلك في سلك الاشقياء او يتوب بجريمة على الاستقامة ثم يعود الى الذنوب عمدا او قصدا من غيران يحدث نفسه بالتوبة ومن غيران يتاسف ويتندم بل ينهمك انهماك الغافل في الذنوب واتباع الشهوات وهذا معدود من المصرين ونفسه محسوبة من النفوس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ومثله ان مات على التوحيد وختم له بالحسنى وغلب طاعته على سيئاته كان من اهل الجنة وان ختم له بالسوء كان من اهل النار وان مات على التوحيد لكن ترجح سيئاته على حسناته فامره الى الله ولعله يعذب في النار مدة بقدر زيادة سيئاته على حسناته ثم يخلص منها بعميم لطفه

فصل اعلم ان من تاب ولا يثق من نفسه الاستقامة على التوبة فلا ينبغي ان يمنعه ذلك من التوبة علما منه انه لا فائدة فيه فان ذلك من غرور الشيطان ومن اين له هذا العلم فلعله يموت تائبا قبل ان يعود الى الذنب واما الخوف من العود فليسد اركه بتحرير القصد وصدق العزم فان وفى به فقد نال مطلبه والا فقد غفرت ذنوبه السابقة كلها وتخلص منها ولم يمنعه ليس عليه الا هذا الذنب الذي احدثه الان وهذا من الفوائد العظيمة والارباح الجسيمة فلا يمنعك خوف العود من التوبة فانك من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين احدهما العظمى وهي غفران الذنوب السابقة وعدم العود الى ذنبه في الاستقبال وثانيتهما وهي الصغرى غفران الذنوب الماضية وان لم يمنع العود الى الذنب في المستقبل ثم اذا عاد الى الذنب ينبغي ان يتوب عنه دفعة ويتبعه بحسنة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا واخر سيئا والحسنات المكفرة للذنوب ما متعلقة بالقلب هي الندم والتضرع الى الله والتذلل له واضمار الخير للمسلمين والعزم على الطاعات او باللسان وهي الاعتراف بالظلم والاسائة وكثرة الاستغفار او بالجوارح وهي انواع الطاعات والصدقات وينبغي ملاحظة المناسبة بين السيئة التي صدرت عنه والحسنة التي يتبعها ليمحوها وفي الخبر ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب هي التوبة والعزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وخوف العقاب ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقيبه ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان ربي العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الاخبار يسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلي ركعتين وفي بعضها تصلي اربع ركعات ولا تظنن ان الاستغفار باللسان بدون حل عقدة الاصرار لا فائدة فيه اصلا بل هو توبة الكذابين لما ورد من ان المستغفر من ذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بايات الله

ولكن يخاف عليها

السالفة

لان الاستغفار الذي هو توبة الكذابين ولا فائدة فيه اصلا هو الاستغفار بمجرد اللسان وبحكم العادة وعلى سبيل الغفلة اي ما يكون مجرد حركة اللسان من دون مدخلية للقلب كما اذا سمع شيئا مخوفا فيقول على الغفلة استغفر الله او نعوذ بالله من غير شركة للقلب فيه وتأثره منه واما اذا انضاف اليه تضرع القلب وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص نية ورغبة وميل قلبي الى الانقلاع عن هذا الذنب فهي حسنة في نفسها وان علم ان نفسه الامارة سيعود الى هذا الذنب فتصلح هذه الحسنة لان يدفع بها السيئة فالاستغفار بالقلب وان خلى عن حل عقدة الاصرار لا يخلو عن الفائدة وليس وجوده كعدمه وقد عرف ارباب القلوب بنور البصيرة معرفة قطعية يقينية لا يعتريهم ريب وشبهة في صدق قوله تعالى فَمَن يَعمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ وَمَن يَعمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ولذا جزموا وقطعوا بانه لا تخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو كانت كل شعيرة خالية عن اثر لكان لا يرجح الميزان باجتماع الشعيرات فميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى ان يثقل فيشيل كفة السيئات فاياك وان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وتستحقر ذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد اي غنى يحصل منه وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة وربما رتب على عمل قليل ثواب جزيل فلا ينبغي تحقير شيء من الطاعات قال الصادق ع ان الله خبا ثلثا في ثلث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها فلعله ولي الله فاذا الاستغفار بالقلب حسنة لا يضيع اصلا بل ربما قيل الاستغفار بمجرد اللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها غفلة خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالنظر الى السكوت عنه وان كان نقصا بالاضافة الى عمل القلب فينبغي ان لا يترك حركة اللسان بالاستغفار ويجتهد في اضافة حركة القلب اليها ويتضرع الى الله ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير

فصل

اعلم ان الخير الطريق الى تحصيل التوبة والعلاج لحل عقدة الاصرار على الذنوب ان يتذكر ما ورد في فضلها كما مر ويتذكر قبح الذنوب وشدة العقوبة عليها وما ورد في الكتاب والسنة من ذم المذنبين والعاصين ويتأمل في حكايات الانبياء واكابر العباد وما جرى عليهم من المصائب الشديدة بسبب تركهم الاولى وارتكابهم بعض صغائر المعاصي وان يعلم ان كلما يصيب العبد في الدنيا من العقوبة والمصائب فهو بسبب معصيته كما دل عليه الاخبار الكثيرة ويتذكر ما ورد

بيان الامور ما يعتبر في حقيقة التوبة وكمالها وحقيقة المحاسبة والمراقبة وما يتوقف استكمالها عليها

من العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والكبر والحسد والكذب والغيبة واخذ المال الحرام وغير ذلك من احاد المعاصي مما لا يمكن حصره ثم يتذكر ضعف نفسه وعجزها عن احتمال عذاب الاخرة وعقوبة الدنيا ويتذكر خساسة الدنيا وشرف الاخرة وقرب الموت ولذة المناجات مع ترك الذنوب لا بغيرها بعد الاخذ الحالي اذ لعله كان من الاملاء والاستدراج فمن تأمل في جميع ذلك وعلم ذلك على سبيل التحقيق انبعث نفسه للتوبة البتة اذ لو لم ينزعج الى التوبة بعد ذلك فهو اما معتوه احمق او غير معتقد بالمعاد وينبغي ان يجتهد في قلع اسباب الاصرار من قلبه اعني الغرور وحب الدنيا وحب الجاه وطول الامل وغير ذلك

فصل

اعلم ان الانابة هو الرجوع عن كل شيء مما سوى الله والاقبال الى الله تعالى بالسر والقول والفعل حتى يكون دائما في فكره وذكره وطاعته فهو غاية درجات التوبة واقصى مراتبها اذ التوبة هو الرجوع عن الذنب الى الله والانابة هو الرجوع عن المباحات ايضا اليه سبحانه فهو من المقامات العالية والمنازل السامية قال الله سبحانه ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ وقال سبحانه ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ وقال ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ [بالغيب] وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وانابة العبد تتم بثلثة امور الاول ان يتوجه اليه بشراشره باطنه حتى يستغرق قلبه في فكره الثاني ان لا يكون خاليا عن ذكره وذكر نعمه ومواهبه وذكر اهل حبه وتقربه الثالث ان يواظب على طاعته وعبادته مع خلوص النية

تذنيب

اعلم ان المحاسبة والمراقبة قريبة من التوبة في ضدية نهما من وجه للاصرار على الذنوب ومثلها في كونها من ثمرات الخوف والحب وتعلقهما بقوتي الشهوة والغضب وكونهما من فضائلها فنحن نشير هنا الى ما يتعلق بهما من بيان حقيقتهما وفضيلتهما والاعمال التي يتوقف تماميتهما عليها في فصول

فصل

المحاسبة ان يعين في كل يوم وليلة وقتا يحاسب فيه نفسه بموازنة طاعاته ومعاصيه ليعاتب نفسه ويقهرها لو وجدها في هذا اليوم والليلة مقصرة في طاعة واجبة او مرتكبة لمعصية ويشكر الله سبحانه لو اتت بجميع الواجبات ولم يصدر منها معصية ويزيد الشكر لو صدر منها شيء من الخيرات والطاعات المندوبة والمراقبة ان يلاحظ ظاهره وباطنه دائما حتى لا يقدم على شيء من المعاصي ولا يترك شيئا من الواجبات ليتوجه عليه اللوم والندامة وقت المحاسبة هذا هو المعنى الظاهر للمحاسبة والمراقبة ويأتي اعتبار امور في اعمال

فصل اعلم ان الكتاب والسنة واجماع الامة دالة على ثبوت المحاسبة يوم القيمة اخر فيه عرفا

وحصول التدقيق والمناقشة في الحساب والمطالبة بمثاقيل الذر من الاعمال والخطرات واللحظات

قال الله سبحانه ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة

من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا

احصاه الله ونسوه والله على كل شيء قدير وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين

مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها

ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا

ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال

يوم تجد كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال فوربك لنسئلنهم اجمعين

عما كانوا يعملون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما منكم من احد الا ويسئله رب العالمين ليس

بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وورد بطرق متعددة ان كل احد في يوم القيمة لا يرفع قدما

عن قدم حتى يسئل عن عمره فيما افناه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما

انفقه والآيات والاخبار الواردة في محاسبة الاعمال والسؤال عن القليل والكثير والنقير والقطمير

اكثر من ان يحصى وبازائها اخبار دالة على الامر بالمحاسبة والمراقبة في الدنيا والترغيب

عليها وعلى كونها سببا للنجاة والخلاص عن حساب الآخرة وخطره ومناقشته فمن حاسب

نفسه قبل ان يحاسب وطالبها في الانفاس والحركات وحاسبها في الخطرات واللحظات ووزن

بميزان الشرع اعماله واقواله خف في القيمة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم

يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي سيئاته قال الله

سبحانه ولتنظر نفس ما قدمت لغد والمراد بهذا النظر المحاسبة على الاعمال وقال رسول

الله صلى الله عليه وآله حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وقال الصادق عليه السلام اذا اراد احدكم

ان لا يسئل ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا من عند الله تعالى

فاذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لم يسئله شيئا الا اعطاه فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها

فان للقيمة خمسين موقفا كل موقف مقام الف سنة ثم تلا في يوم كان مقداره خمسين الف

سنة وتفريع المحاسبة على الامر باليأس عن الناس والرجاء من الله يدل على ان الانسان انما

يرجو الناس من دون الله في عامة امره وهو غافل عن ذلك وان على المحاسبات انما يرجع الى

ذلك وذكر الوقوف في مواقف يوم القيمة عند الامر بمحاسبة النفس يدل على ان الوقفات هنالك انما
يكون للمحاسبات فمن حاسب نفسه في الدنيا يوما فيوما لم يحتج الى تلك الوقفات في ذلك اليوم و
قال عم لو لم يكن في الحساب مهول الاحياء العرض على الله تع وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحق
للمرء ان لا يهبط من رؤس الجبال وشدايدها ولا ياوي الى عمران ولا يشرب ولا ينام الا عن اضطرار
متصل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى القيمة باهوالها وشدايدها قائمة في كل نفس و
يعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار حينئذ ياخذ نفسه بالمحاسبة كانه الى عرصاتها مدعو وفي
غمراتها مسئول قال الله تع وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ
وقال الكاظم عم ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنا استزاد الله تع
وان عمل سيئا استغفر الله منها وتاب اليه وفي بعض الاخبار ينبغي ان يكون للعاقل اربع
ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه

فصل اعلم ان العقل بمنزلة تاجر في طريق الاخرة
وراس ماله العمر وهذا مستعان في تجارته هذا بالنفس فهي بمنزلة شريكه او غلامه الذي يتجر
في ماله وربح هذه التجارة المصالحة تحصيل الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة الموصلة
الى نعيم الابد وسعادة السرمد وخسرانها المعاصي والسيئات المؤدية الى العذاب المقيم في
دركات الجحيم او نقول راس مال العبد في دينه الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه
المعاصي وموسم هذه التجارة مدة العمر ايام عمره وكما ان التاجر يشارط شريكه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه
ثالثا وان قصر في التجارة بالخيانة والخسران وتضييع راس المال يعاتبه ويعاقبه وياخذ منه
الغرامة كذلك العقل يحتاج في مشاركة النفس الى ان يرتكب هذه الاعمال ومجموع هذه الاعمال
يسمى بالمحاسبة والمراقبة تسمية الكل باسم بعض اجزائه وقد يسمى مرابطة ايضا فاول الاعمال
المشارطة وهي ان يشارط النفس وياخذ منها العهد والميثاق في كل يوم وليلة مرة ان لا
يرتكب المعاصي ولا يصدر منها شيء يوجب سخط الله ولا يقصر في شيء من الطاعات الواجبة
ولا يترك ما تيسر له من الخيرات والنوافل والاولى ان يكون ذلك بعد الفراغ عن فريضة الصبح وتعقيباتها
فيخاطب النفس ويقول لها يا نفس ما لي بضاعة سوى العمر ومهما فني فني راس المال ووقع الياس عن
التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله فيه بعظيم لطفه ولو توفاني لكنت
اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا لاعمل صالحا فاحسبي انك توفيت ثم رددت فاياك
ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان تشتري بها

التنبيه على اجتناب المعاصي بحسب ساعات اليوم والليلة وتوصيتها في حفظ الاعضاء والقيام بوظيفة الطاعة

المقام الرابع

كنزا من الكنوز لا يتناهى نعيمها ابد الآباد ويتذكر ما ورد في بعض الاخبار من ان كل عبد خلقت له
بازاء كل يوم وليلة من عمره اربع وعشرون خزانة مصفوفة فاذا مات يفتح له هذه الخزائن ويشاهد
كل واحد منها ويدخلها فاذا فتحت له خزانة خلقت بازاء الساعة التي اطاع الله فيها يراها
مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك
الانوار التي هي وسائل عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم
النار واذا فتحت له خزانة خلقت بازاء الساعة التي عصى الله فيها يراها سوداء مظلمة تفوح نتنها ويتغشاه ظلامها
فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لينغص عليهم نعيمها واذا فتحت له خزانة
بازاء الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا لم يشاهد فيها ما يسره وما
يسوئه وهكذا يعرض عليه بعدد ساعات عمره الخزائن وعند ذلك يتحسر العبد على اهماله
وتقصيره ويناله من الغبن ما لا يمكن وصفه وبعد هذا التذكر يخاطب نفسه ويقول اجتهدي
اليوم في ان تعمري خزائنك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تركني الى الكسل و
البطالة فيفوتك من درجات العليين ما يدركه غيرك فتدركك الحسرة والغبن يوم القيمة وان
دخلت الجنة اذ الم الغبن والحسرة وانحطاط الدرجة مع وجود ما فوقها من الدرجات العلى
المتناهية التي نال اليها ابناء نوعك مما لا يطاق ثم يستانف لها وصيته في اعضائه السبعة
اعني العين والاذن واللسان والفرج والبطن واليد والرجل ويسلمها اليها لانها رعايا خادمة
لها في التجارة ولا يتم اعمال هذه التجارة الا بها فيوصيها بحفظ هذه الاعضاء عن المعاصي التي
تصدر عنها وباعمال كل منها فيما خلق لاجله ثم يوصيها بالاشتغال بوظايف الطاعات
التي يتكرر عليه في اليوم والليلة وبالنوافل والخيرات التي يقدر عليها وهذه شروط يفتقر
اليها كل يوم لكن اذا اعتادت النفس بتكرر المشارطة والمراقبة بالعمل بها والوفاء بحقها استغنى
عن المشارطة فيها وان اعتادت بالعمل في بعضها لم تكن حاجة الى المشارطة فيه وبقي الحاجة
اليها في الباقي وكل من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس وامثال ذلك
لا يخلو كل يوم منه من مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيها حق فعليه
ان يجدد الاشتراط على نفسه بالاستقامة عليها والانقياد للحق في مجاريها وينبغي ان يوصيها
بالتدبر في عاقبة كل امر يرتكبه في هذا اليوم والليلة وهذه الوصية عمدة الوصايا وراسها
وقد روي ان رجلا اتى النبي ص وقال يا رسول الله اوصني فقال له فهل انت مستوص انا

لاما

ذكر المراقبة وهي المعتبرة بعد المشارطة لمقامات المرابطة وبيان درجتيها الأولى والثانية

وصيتك حتى قال له ذلك ثلثا وفي كلها يقول الرجل نعم يا رسول الله فقال له رسول الله صم
اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان يك رشدا فامضه وان يك غيا فانته ويظهر من هذا الخبر ان التامل
في عاقبة كل امر اعظم ما يحصل به النجاة فينبغي ان يؤكد العهد والميثاق في ذلك على النفس ويحذرها
عن الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد المتمرد الابق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية
عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري
مجراه هو المشارطة وهو اول مقامات المرابطة وثانيها المراقبة وهو ان يراقب نفسه عند الخوض
في الاعمال فيلاحظها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ثم يراقب الله في كل حركة و
سكون بان يعلم ان الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل
نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك
قال الله سبحانه ان الله كان عليكم رقيبا وقال الم يعلم بان الله يرى وقال رسول
الله صم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وفي الحديث القدسي
انما يسكن جناتي عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انحنت اصلابهم
من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من
مخافتي صرفت عنهم العذاب وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف قامت وغطت وجه صنمها
فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وهذه
المعرفة اعني معرفة اطلاع الله على العباد واعمالهم وسرائرهم وكونه رقيبا عليهم اذا صارت
يقينا اي خلت من الشك ثم استولت على القلب سخرت القلب وقهرته على مراعاة جانب الرقيب
وصرفت الهمة اليه والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين احديهما مراقبة التعظيم والاجلال
وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى
الغير وهذا هو الذي صار همه هما واحدا وكفاه الله سائر الهموم وآخرهما مراقبة الورعين من اصحاب
اليمين وهم قوم غلب عليهم يقين اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لا يدهشهم ملاحظة الجلال
والجمال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للالتفات الى الاحوال والاعمال والمراقبة فيها
وغلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون
به في القيمة فانهم يرون الله من حركاتها وسكناتها وخطراتها وافعالها وحالاتها لا يخلو عن ثلثة
لانه اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالقربة والاخلاص والحضور

المقربين وهي مراقبة

مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى
انتظار القيمة ثم ينبغي للعبد ان
لا يغفل عن مراقبة نفسه والتضييق
عليها في لحظة

ذكر الحالة المتصوّرة للعبد عند المراقبة وبيان اقسام الناس باعتبار النظر الى الطعام

والاكمال وحراستها عن الآفات ومراعاة الادب ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير ومراقبته في المباح بمراعاة الادب بان ياكل بعد التسمية وغسل اليدين وسائر الآداب المقررة في الشرع في الاكل ويقعد مستقبل القبلة وينام بعد الوضوء على اليد اليمنى مستقبل القبلة وبالصبر عند ابتلائه ببليّة ومصيبة وبالشكر عند كل نعمة ويتذكر شهود المنعم وحضوره ويكفّ النفس عن الغضب وسوء الخلق عند حدوث امر يميل النفس عنده الى الغضب والتضجر والتكلّم بما لا يحسن من الاقوال فان لكلّ واحد من افعاله واقواله حدودا لا بدّ من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه وينبغي ان لا يخ عند اشتغاله بالمباحات عن عمل هو الافضل كالذكر والفكر وتخليص النية فان الطعام الذي يتناوله من عجائب صنع الله فلو تفكر فيه وتدبّر في فوائده وحكمه وما فيه من غرائب قدرة الله لكان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس عند الاكل على اقسام قسم ينظرون فيه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة للشهوة وامثال ذلك وهؤلاء هم اولوا الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليها ويتمنّون الاستغناء عنه وعدّ كونهم مقهورين مسخّرين بشهوته وهؤلاء هم الزهاد وقسم يرون فيه خالقه ويشاهدون في صنع الصانع ويترقون منه الى صفات الخالق من حيث ان كلّ معلول اثر من العلة ورشحة من رشحات ذاته وصفاته فمشاهدته يذكر العلّة بل التامل يرشدك الى ان دلالة كلّ ذرّة من ذرات العالم على ربّك وخالقك وايجابها لحضوره عندك وظهوره لديك وتوجّهه اليك وقربه منك اشدّ واقوى من دلالة مشاهدتك بدن زيد وصورته وحركاته وسكناته على وجوده وحضوره عندك وسرّ ذلك ظاهر واضح وهؤلاء المشاهدون الصانع في كلّ مصنوع والخالق في كلّ مخلوق هم العرفاء المحبّون اذ المحبّ اذا رأى صنعة حبيبه وتصنيفه وآثاره وما ينتسب اليه اشتغل قلبه بالمحبوب وكل ما يتردّد العبد فيه وينظر اليه من الموجودات هو صنع الله فله في النظر منها الى الصانع مجال رحب ان فتح له ابواب الملكوت وقسم ينظرون فيه بعين الحرص والشهوة وليس نظرهم الى الطعام الا من حيث يوافق شهوتهم ويلتذ بذائقتهم ولذلك يذمّونه لو لم يوافق هواهم وهؤلاء اكثر اهل الدنيا وثالثها اي ثالث مقامات المرابطة واعمالها هو المحاسبة بعد العمل فان العبد كما يختار وقتا في اوّل كل يوم للمشارطة فيه النفس على سبيل التوصية بالحق ينبغي له ان يختار وقتا في آخر كلّ يوم ليطالب النفس فيه بما اوصى به ويحاسبها على جميع

فصل فی الامر بمحاسبة النفس بعد العمل وذکر کیفیتها وترتیب المطالبة والمعاتبة منها معها

حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في اخر كل سنة مع الشركاء وهذا امر لازم على كل سالك لطريق
الاخرة معتقد للحساب في يوم القيمة وقد ورد في الاخبار ان العاقل ينبغي ان يكون له اربع
ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله وساعة يخلو فيها
للمطعم والمشرب ولذلك كان الصدر الاول من الخائفين ومن تقدمنا من سلفنا الصالحين
في غاية السعي والاهتمام في محاسبة النفس بحيث كانت عندهم من الطاعات الواجبة وكانوا
اشد محاسبة لنفوسهم من سلطان غاشم ومن شريك شحيح ويعتقدون ان العبد لا يكون
من اهل التقوى والورع حتى يحاسب نفسه اتم من محاسبة شريكه وان من لا يحاسب نفسه اما
معتوه احمق او لا يعتقد بحساب يوم القيمة اذ العاقل المعتقد به مع اهواله وشدايده وما
يوجبه من الخجلة والحياء والافتضاح اذا علم ان محاسبة النفس في الدنيا يسقطه او يوجب خفته
كيف يجوز له ان يتركها ثم كيفية المحاسبة بعد العمل ان يطالب نفسه اولا بالفرايض التي هي بمنزلة
راس ماله فان اداها على وجهها شكر الله عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها
طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعتابها
وتعذيبها ومعاقبتها واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه
يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط والنقير والقطمير فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان
حتى لا يغبن في شيء منها كذلك ينبغي ان يفتش عن افعال النفس ويضيق عليها ويتق غائلتها
وحيلتها فانها خداعة مكارة ملبسة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول
نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب قبل ان يتولاه غيره في صعيد القيمة ثم بتصحيح الجواب عن جميع
افعاله واحواله من نظره وقيامه وقعوده ونومه واكله وشربه حتى عن سكوته لم سكت وعن
سكونه لم سكن وعن خواطره وافكاره وصفاته النفسية واخلاقه القلبية فان خرجت عن
عهدة الجواب عن الجميع بحيث ادت الحق في الجميع ولم يترك شيئا مما يجب عليها ولم ترتكب
شيئا من المعاصي حصل لها الفراغ من حساب هذا اليوم ولم يكن شيئا باقيا عليها وان ادت الحق
في البعض دون البعض كان قدر ما ادت الحق فيه محسوبا له ويبقى غيره باقيا عليها فيثبته عليها
وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي
منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء
من ذلك الا بعد تحقق الحساب وتميز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة

ذكر معاتبة النفس ومعاقبتها على تقصيرها والزامها بما يشق عليها وطريق العلاج في رياضتها

المقام الرابع

والاستيفاء ورابعها وهو اخر مقامات المرابطة معاتبة النفس ومعاقبتها على تقصيرها والمجاهدة بتكليفها الطاعات الشاقة والزامها الرياضات الشديدة فانه اذا حاسب نفسه فوجدها خائنة في الاعمال مرتكبة للمعاصي مقصرة في حقوق الله متوانية بحكم الكسل والبطالة في شيء من الفضائل فلا ينبغي ان يهملها اذ لو اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانس بها بحيث عسر بعد ذلك فطامها عنها فينبغي للعاقل ان يعاتبها اولا ويقول اف لك يا نفس هلكتني وعنقريب تعذبين في النار مع الشياطين والاشرار فيا ايتها النفس الامارة الخبيثة اما تستحيين وعن غيك لا تنتهين فما اعظم جهلك وحماقتك اما تعرفين ان بين يديك الجنة والنار وانت صائرة الى احدهما عنقريب فما لك تضحكين وتفرحين وباللهو والعصيان تشتغلين واما علمت ان الموت يأتي بغتة من غير اخبار وهو اقرب اليك من كل قريب فما لك لا تستعدين له اما تخافين من جبار السموات والارض ولا تستحيين منه تعصين بحضرته وانت عالمة بانه مطلع عليك ويحك يا نفس جرأتك على معصية الله ان كانت لاعتقادك انه لا يراك فما اعظم كفرك وان كانت مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك وما اعجب نفاقك وكثرة دعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك فتنبهي عن رقدتك وخذي حذرك لو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك لصبرت وتركته ولو اخبرك طفل بعقرب في ثوبك نزعته افقول الله وقول انبيائه المؤيدين بالمعجزات وقول الاولياء والحكماء والعلماء اقل تأثيرا عندك من قول يهودي او طفل فلا يزال يكرر عليها امثال هذه المواعظ والتوبيخات والمعاتبات ثم يعاقبها ويلزمها ما يشق عليها من وظائف العبادات والتصدق بما يجبر جرا ما فات منها وتداركا لما فرط فيها فاذا اكل لقمة مشتبهة ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم يعاقب العين بمنع النظر واذا اغتاب مسلما يعاقب اللسان بالصمت والذكر مدة كثيرة و كذلك يعاقب كل عضو من اعضائه اذا صدر منه معصية بمنعه من شهواته واذا استخف بصلوة الزم نفسه بصلوة كثيرة بشرائطها وادابها واذا استهان بفقير اعطاه صفوة ماله وهكذا الحال في سائر المعاصي والتقصيرات وطريق العلاج في الزام النفس بعد تقصيرها في العمل على هذه العقوبات وربطها على تلك الطاعات الشاقة والرياضات امران الاول تذكر ما ورد في الاخبار من فضيلة رياضة النفس ومخالفتها والاجتهاد في الطاعة والعبادة ووظائف الخيرات قال الصادق ع طوبى لعبد جاهد نفسه وهواه ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله ومن

جاوز

ذكر بعض ما ورد في فضيلة رياضة النفس ونقل حكايات السلف الصالحين

جاوز غفلة نفسه الامّارة بالسّوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله فقد فاز

فو زا عظيما ولا حجاب اظلم واوحش بين العبد وبين الله من النّفس والهوى وليس لقتلهما وقطعهما

سلاح والة مثل الافتقار الى الله والخشوع والجوع والظّمأ بالنّهار والسّهر باللّيل فان مات

صاحبه مات شهيدا وان عاش واستقام اداه عاقبته الى الرّضوان الاكبر قال الله عزّ وجلّ

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ واذا رايت مجتهدا ابلغ منك

في الاجتهاد فوبّخ نفسك ولمها وعيّرها تحثيثا على الازدياد عليه واجعل لها زماما من الامر

وعنانا من النّهي وسقها كالرّائض للفارة الّذي لا يذهب عليه خطوة من خطواته الا وقد صحّح

اوّلها واخرها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي حتى يتورّم قدماه ويقول افلا اكون عبدا شكورا اراد ان

يعتبر به امّته فلا تغفلوا عن الاجتهاد والتعبد والرّياضة بحال الا وانّك لو وجدت حلاوة

عبادة الله ورايت بركاتها واستضأت بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة ولو قطعت اربا

اربا فما اعرض عنها من اعرض الا بحرمان فوائد السّلف من العصمة والتوفيق قيل

للربيع بن خثيم ما لك لا تنام باللّيل قال لانّي اخاف البيات والاخبار الواردة في فضل السّعي و

الاجتهاد ومخالفة النّفس والهوى اكثر من ان تحصى وانّ في مصاحبة اهل السّعي والاجتهاد في العبادة

ومجالسة المجاهدين المرتاضين الّذين لا ينفكّون ساعة من مشاق الطّاعات في العبادات والزام

نفوسهم على ضروب النّكال والعقوبات فملاحظة احوالهم ومشاهدة اعمالهم اقوى باعث للاقتداء

باثارهم وافعالهم حتى قال بعضهم اذا اعترانى فترة في العبادات نظرت الى بعض العباد والمجتهدين

في العبادة فكنت بعد ذلك اعمل اسبوعا الا ان ذلك غير مرجوّ في امثال زماننا اذ لم يبق في

عباد الله من يجتهد في العبادة اجتهاد الاوّلين وليس فينا من يقرب عبادته عبادة ادنى

رجل من سلفنا الصّالحين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى سماع احوالهم ومطالعة حكاياتهم

واخبارهم ومن لاحظ حكاياتهم وسمع احوالهم واطّلع على كيفيّة اجتهادهم في طاعة الله يعلم انّهم

عباد الله واحبّاؤه وانّهم ملوك الجنّة قال بعض اصحاب امير المؤمنين عليه السلام صلّينا خلفه

الفجر فلمّا سلّم انفتل عن يمينه وعليه كابة فمكث حتى طلعت الشّمس ثم قلب يده وقال والله

لقد رايت اصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا فقد باتوا لله

سجّدا وقياما يتلون كتاب الله عزّ وجلّ يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا

الله مادوا كما يميد الشّجرة في يوم الرّيح وهملت اعينهم حتى تبلّ ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين

حكايات الصالحين لتنبيه المستعدين
بقية الصالحين الابرار النفوس واذيال الاعتبار

المقام الرابع

وكان اويس القرني يقول في بعض الليالي هذه الليلة ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة و
يقول في بعضها هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة وقال الربيع بن خثيم اتيت
اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر فجلست موضعا وقلت لا اشغله عن التسبيح فمكثت مكانه
حتى صلى الظهر ولم يقم حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت حتى صلى
العشا ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبت عيناه فقال اللّهمّ انّي اعوذ بك من
عينٍ نوامةٍ ومن بطنٍ لا يشبع وروى ان رجلا من العباد تكلم امرأة ووضع يده على
فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى نشت عقوبة لها ونظر بعضهم الى جارية فتنبه وعاتب عينه
وقال انك للحاظة فلطم عليها حتى عميت وبعضهم نظر الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء
البارد طول حيوته فيشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ومر بعضهم بغرفة فقال متى
بنيت هذه الغرفة ثم اقبل على نفسه وقال تسئلين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة
فصامها وبعضهم منع نفسه عن النوم سنة عقوبة لما قال لم نام فلان بعد العصر وروى
ان ابا طلحة الانصاري شغل قلبه في الصلوة طير في حائط فتصدق بالحائط جبرا
لما فاته من الحضور في الصلوة وبعضهم فاتته صلوة العصر في جماعة فتصدق بارض قيمتها
مائتا الف درهم وبعضهم فاتته صلوة في جماعة فاحيى تلك الليلة وبعضهم اخر صلوة المغرب
ليلة حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وبعضهم يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في
ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قرائة خمسين اية وكان بعضهم يصلي كل يوم
الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى بثوبه ثم
قال عجبت للخليقة كيف ارادوا بدلا منك عجبت للخليقة كيف انسوا بسواك عجبت للخليقة كيف
استنارت قلوبهم بذكر سواك وكان حب بعضهم للصلوة بحيث يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد
ان يصلي في قبره فاذن لي اصلي وبعضهم كان بحيث بلغ عمره قريبا من مائة وما راى في هذه
المدة مضطجعا الا في مرض موته وكان بعضهم لا يتهنا بالطعام والشراب ويواظب على العبادة
فقيل له لو رفقت بنفسك فقال الطلب لرفيق تعب قليلا وانعم كثيرا وبعضهم كان يحج ولا
ينام قط في طريق الحج ولا في مكة الا ساجدا على وجهه وكان بعضهم اذا بلغ اربعين طوى فراشه
اي لا ينام طول الليل وكان بعضهم لم يضع جنبه على فراش اربعين سنة ونزل الماء في عينيه
فمكث عشرين سنة لم يعلم به احد من اهله ومن غيرهم وكان بعضهم علق سوطا في محل عبادته

تنبيه صوت صبيان الماء
رحصاء

قنطرة وقلة وشياه وضيعة
ضيعة دارس

ذكر ايضا حكايات عمال الله وسالكي طريق الآخرة تنشيطا للنشاط وزيادة للرغبة

واذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول انت اولى بالضرب من دابتي ويقول ايظن اصحاب محمد صلعم انهم يستأثرون به وبالجنة كلا لنزاحمهم زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا ورائهم رجالا وكان بعضهم اذا جاء الشتاء اضطجع على السطوح ليضر البرد واذا كان في الصيف اضطجع في داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وكان بعضهم اعتلت احدى قدميه فيصلي على قدم حتى يصلي الصبح بوضوء العشاء وكان بعضهم يقول ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين صلوة الليل وحكى رجل انه نزل لبعض اهل الله عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وفي كل ليل يقوم ويصلي الى السحر فاذا كان السحر ينادي باعلى صوته ايها الركب المعرسون أكل هذا الليل تنامون فكيف ترحلون فيسمع صوت كل من كان بالمحصب فيتواثبون بين باك وداع وقار ومتوضى واذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وهكذا كان عمل عمال الله وسلوك سالكي طريق الآخرة وحكاياتهم غير محصورة خارجة عن الاحصاء اشرنا الى نموذج منها ليعلم الطالب كيفية سيرة الرجال في مرابطة النفس ومراقبتها ويعلم ان عباد الله ليسوا امثالنا بل هم قوم آخرون قال بعض الحكماء ان لله عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم يجول في الملكوت وتلوذ بحجب الغيوب ثم يرجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد مما لا يمكن لواصف ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل مبتذلة لمن ارادهم تواضعا وطريقتهم لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء فعليك يا حبيبي بمطالعة احوالهم وحكاياتهم لينبعث نشاطك ويزيد رغبتك واياك ان تنظر الى اهل عصرك ولعمري قل في امثال زماننا من يذكرك الله رؤيته ويعينك في طريق الدين صحبته فان قطع اكثر من في بلدك وعصرك يضلوك عن سبيل الله ومنها الغفلة وهو فتور النفس عن الالتفات والتوجه الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلا او آجلا وضدها النية ويرادفها الارادة والقصد وهي انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها حالا او مآلا والموافق لغرض النفس ان كان خيرا لها وسعادة في الدنيا والدين فالغفلة عنه وعدم انبعاث النفس الى تحصيله رذيلة ونقصان والنية له والقصد اليه فضيلة وكمال وان كان شرا وشقاوة فالغفلة عنه وكف النفس منه فضيلة والنية له وارادته رذيلة ثم باعث النفس على النية او الغفلة

خلاصه صفت الفصل الاول من الباب الثالث

الباعث للنفس على العرفان الذي هو الطب

(٩٨)

صفت (و) النية والغفلة الثانية

(٩٨)

في ان الغفلة والتدبر من الجزء الثاني

ما بتعلق بالقلب

ومنها

الغفلة من الرذائل

من الانبعاث

ما يوافق ١٤

والكف ان كان من القوة الشهوية كانت النية او الغفلة متعلقة بها فضيلة او رذيلة وان كان من قوة الغضب كانت النية او الغفلة م

في ذمّ الغفلة وبيان حقيقتها وما تعلّقت بها من القوى ومدح النيّة وما يترتّب عليها

متعلّقة بهذه القوّة كما أنّ النيّة والعزم على التزويج متعلّقة بالقوّة الشهويّة وعلى دفع كافر يؤذي المسلمين متعلّقة بقوّة الغضب والنيّة في العبادات مع انضمام التقرّب إليها يسمّى إخلاصاً ثمّ المتبادر من الموافق للغرض والمطلوب لمّا كان ما هو كذلك عند العقلاء وأرباب البصيرة فيكون المراد منه ما هو مرغوب ومطلوب في نفس الأمر وما في تحصيله خير وسعادة وبهذا الاعتبار يكون الغفلة بإطلاقها مذمومة والنيّة ممدوحة فلو ذمّت الغفلة بإطلاقها ومدحت النيّة كذا كان بهذا الاعتبار والآيات والأخبار الواردة في ذمّ الغفلة خارجة بهذا الاعتبار كما وصف الله الغافلين وقال إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا وقال أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ **تنبيه** الغفلة بالمعنى المذكور أعمّ من أن يكون فتور النفس وخمودها عن الانبعاث إلى ما تراه موافقاً للغرض مع الجهل بالموافق والملائم أو مع العلم به ومع النسيان عنه أو مع التذكّر له وربما خصّ في عرف أهل النظر بصورة الذهول وعدم التذكّر ثمّ الكسالة والبطالة قريب من الغفلة بالمعنى العامّ وربما فرق بينهما ببعض الاعتبارات **تتميم** الغفلة والكسالة عمّا ينبغي تحصيله من أمور الدنيا والدين يوجب الحرمان عن سعادة الدارين ويؤدّي إلى شقاوة النشأتين إذ الإهمال في رعاية أمر المعيشة ومصالحها يؤدّي إلى هلاكة الشخص وانقطاع النوع والغفلة عن اكتساب المعارف والأخلاق الفاضلة وعن أداء الفرائض والنوافل يجرّ إلى إبطال غاية الإيجاد أعني بلوغ كلّ شخص إلى كماله المستعدّ له وهو مع كونه صريح المضادّة والمنازعة لخالق العباد يوجب الهلاك والشقاوة أبد الآباد **وصل** قد عرفت أنّ ضدّ الغفلة النيّة وهو انبعاث النفس وتوجّهها إلى ما تراه موافقاً لغرضها وقد عرفت أيضاً أنّ النيّة والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد هي واسطة بين العلم والعمل إذ ما لم يعلم أمر لم يقصد وما لم يقصد لم يفعل فالعلم مقدّم على النيّة وشرطها والعمل ثمرتها وفرعها إذ كلّ فعل وعمل يصدر عن فاعل مختار فإنّه لا يتمّ إلّا بعلم وشوق وإرادة وقدرة إذ كلّ إنسان خلق بحيث يوافقه بعض الأمور ولا يلائم غرضه ويخالفه بعض الأمور فاحتاج إلى جلب الموافق ودفع المخالف المنافي وهو موقوف على إدراك الملائم النافع والمنافي الضارّ إذ ما لم يعرف الشيء لم يعقل طلبه أو الهرب عنه وهو العلم وعلى الميل والرغبة والشهوة الباعثة عليه وهو الشوق إذ من أدرك الغذاء والنار لا يكفيه ذلك للتناول والهرب ما لم يكن شوق إلى التناول والهرب وعلى القصد والشروع والتوجّه إليه وهو

المبادي لفعل على وران كما في التعلق باعتبار
ببيان المرتبة الفاعل المختار النية لغفلة والعجز الباعث

النية اذكم مشاهد الطعام راغبة مشائق اليه لا يريده لكونه موذيا او حراما او لغذاء آخر وعلى
القدرة المحركة للاعضاء اليه اى الى جلب الملائم او دفع المضار وبها يتم الفعل حتى الجزء الا
للعلة التامة التى يتم بها فعل الفاعل المختار فالاعضاء لا تتحرك الى جانب الفعل ولا توجد الا
بالقدرة والقدرة تنتظر النية والقصد والنية تنتظر الداعية الباعثة اعنى الشوق والشوق
ينتظر العلم او الظن بكون ما يفعل موافقا له فان كان باعث الشوق صادرا من القوة البهيمية بان
يكون الفعل مما يقتضيه هذه القوة كاكل وشرب جماع وكسب مال وامثال ذلك من الالتذاذات
الشهوية كانت النية والقصد ايضا متعلقة بهذه القوة معدودة من فضائلها او رذائلها وان كان مما
يقتضيه القوة السبعية من دفع مؤذ وطلب الاستعلاء وتفوق وامثال ذلك كانت النية ايضا متعلقة
بهذه القوة معدودة من فضائلها او رذائلها وقد ظهر بما ذكر ان المحرك الاول هو الغرض
المطلوب اعنى المقصود المنوى بعد تعلق العلم به وهو الباعث الاول وينبعث منه الشوق وهو الباعث
الثاني ويتولد منه القصد والنية وهو الباعث الثالث المحرك للقدرة الباعث لانتهاضها على تحريك
الاعضاء الى جانب العمل

فصل

العمل غرضه الباعث اى باعثه الاول اما واحد كالقيام
للاكرام او الهرب من السبع المتهجم عليه او متعدد مع استقلال كل واحد بالباعثية متساويا او متفاوتا
كالتصدق للفقر والقرابة بالنظر الى من ينتهض فيه كل واحد بانفراده سببا للاعطاء او بدون استقلال احد
واحد لو انفرد بل المستقل المجموع كالمثال المذكور بالنظر الى من يعطى ماله قريبه الفقير ويمنع عند
الانفراد اى لا يعطيه قريبه الغنى ولا الاجنبى الفقير او مع استقلال بعض دون بعض بان يكون
للثاني تاثير بالاعانة والتسهيل دون البعث والتحصيل ثم تتعدد اجزاء بتعدد البواعث
ان خيرا فخير كالدخول في المسجد لزيارة الله ولانتظار الصلوة والاعتكاف والانزواء والتجرد للذكر
وترك الذنوب وملاقاة الاتقياء واخوانه المؤمنين واستماع المواعظ واحكام الدين والامر
بالمعروف والنهى عن المنكر وان شرا فشر كالقعود فيه للتحدث بالباطل وملاحظة النساء والمناظرة
للمباهاة والمراياة وربما كان بعض البواعث خيرا وبعضها شرا كالتصدق للثواب والرياء ودخول
المسجد لبعض البواعث الاولة وبعض البواعث الثانية والعمل الذى باعثه من هذا القسم قد ظهر
حكمه في باب الاخلاص ثم باعث العمل المباح ان كان خيرا يجعله عبادة كالتطيب يوم الجمعة لاقامة
السنة وتعظيم المسجد واليوم ورفع الاذى بالنتن والاكل لقوة العبادة والجماع للولد وتطييب
خاطر الزوجة والنزهة بنومة او دعابة مباحة لرد نشاط الصلوة وان كان شرا يجعله معصية

الدعابة والنزهة بنفسها ابتغيب (قاموس)

كالتطيب للتفاخر باظهار الثروة والتزين للزنا ولا يؤثر في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاقران والاخوان فالمعاصي لا يتغير موضوعاتها بالنية بخلاف الطاعات والمباحات فانها بالنية الصحيحة تصير اقرب القربات وبالفاسدة تصير اعظم المهلكات فما اعظم حسرات من يغفل عن النية ويتعاطى الاعمال تعاطي البهائم المهملة على قصد حظوظ النفس وعلى السهو والغفلة وقد كان غاية سعي السلف ان يكون لهم في كل شيء نية صحيحة حتى في اكلهم وشربهم ونومهم ودخولهم الخلاء ولا ريب في امكان تصحيح النية في كل مباح بحيث يترتب عليه الثواب بل يمكن تحسين تصحيح النية في كل نقصان مالي وعرضي فان من تلف له مال فان قال هو في سبيل الله كان له اجر وان سرق احد او غصبه يمكن ان ينوي كونه من ذخائر الآخرة واذا بلغه اغتياب غيره له فيمكن ان يطيب خاطره بانه سيحمل عليه سيئاته وينقل الى ديوانه حسناته فاياك ان تستحقر شيئا من سكناتك وحركاتك وخطرات قلبك ولا تقدم على عمل الا بنية صحيحة فان لم يحضرك النية توقف اذ النية لا يدخل تحت الاختيار وقد قيل ان من دعى اخاه الى طعام بدون رغبة باطنية في اجابته فان اجابه فعليه وزران النفاق وتعريضه اخاه لما يكرهه لو علمه وان لم يجبه ولم ياكل فعليه وزر واحد هو النفاق فلا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون لانه اذا لم يكن كذلك كان غافلا والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وصاحب خالص النية صاحب القلب السليم قال الصادق عليه السلام صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات تخلص النية لله في الامور كلها قال الله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة ويختلف قوة وضعفا بحسب اختلاف الاوقات وصاحب النية الخالصة نفسه وهواه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه فنفسه وطبعه وشهوته منه في تعب والناس منه في راحة

فصل

النية روح الاعمال وحقيقتها والجزاء يكون حقيقة عليها فان كانت خالصة لوجه الله تعالى كانت ممدوحة وكان جزاؤها اجرا وثوابا وان كانت مشوبة بالاغراض الدنيوية كانت مذمومة وكان جزاؤها شرا وعقابا قال الله سبحانه ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ والمراد بالارادة النية المراد فهما كما تقدم واوحى الله الى داود يا داود لا تتطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من كربة هو فيها لتنقذه كتبتك عندي حميدا لا يكون عليك وحشة ولا فاقة الى المخلوقين وفي

ومن كيفية جميلة

في ان روح العمل النية وان النية مثاب عليها وفيه ذكر الاخبار الدالة على ذلك وان مثوبة النية اوفر من مثوبة العمل

رسول الله صلّى الله عليه وآله انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كان هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وانما قال ذلك حين قيل له ان بعض المهاجرين الى الحبشة ليست نيته من تلك الهجرة الا اخذ الغنائم من الاموال والسبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء فبيّن صلّى الله عليه وآله ان كل احد ينال في عمله ما يبغيه ويصل الى ما ينويه كائنا ما كان دنيويا كان واخرويا وهذا الخبر مما يعده المحدثون من المتواترات وهو اول ما يعلمونه اولادهم وكانوا يقولون انه نصف العلم وقال صلّى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما ينظر الى القلوب لكونها مطية النية وقال صلّى الله عليه وآله ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله عز وجل فيقول القوا هذه فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول انه نواه انه نواه وقال صلّى الله عليه وآله الناس اربعة رجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه ولما خرج صلّى الله عليه وآله الى غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم في المدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا فقال حبسهم العذر فشاركونا بحسن النية وفي الخبر ان رجلا من المسلمين قتل في سبيل الله بايدي بعض الكفار وكان يدعى بين المسلمين قتيل الحمار لانه قاتل رجلا من الكافرين نية ان ياخذ حماره وسلبه فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وهاجر رجل الى الحبشة مع اصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وكان نيته من المهاجرة ان ياخذ امرأة كانت في عساكر الكفار ويتزوجها وتسمى ام قيس فاشتهر هذا الرجل عند اصحاب النبي بمهاجر ام قيس وفي اخبار كثيرة من همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة كما تقدم وقد ورد انه اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل في النار وكذا المقتول لانه اراد قتل صاحبه وقال صلّى الله عليه وآله اذا التقى الصفان نزلت الملائكة ويكتبون فلان يقاتل للدين وفلان يقاتل للحمية وفلان يقاتل للعصبية الا فلا تقولوا قتل فلان في سبيل الله الا لمن قاتل ليكون كلمة الله هي العليا وقال صلّى الله عليه وآله من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي ادائه فهو زان ومن استدان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق ومن تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وكل ذلك مجازاة.

جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك الاذفر ومن تطيب لغير الله

[illegible]

مجازاة الحسب وانها له وبيان ذلك
في ان الاعمال على النية عموما وحقيقة سر ذلك

حسب النية وقال الصادق ع ان العبد المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير فاذا علم الله تع منه ذلك بصدق النية كتب الله له من الاجر ما يكتب له من العمل لو عمله ان الله واسع كريم وسئل ع عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤديا فقال حسن النية بالطاعة وقال ع انما خلد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله ابدا وانما خلد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابدا فخلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلى قوله تعالى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ اي على نيته وامثال هذه الاخبار اكثر من ان تحصى واي شبهة في ان عماد الاعمال النيات والعمل مفتقر الى النية ليصير خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل وعون الله تع للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره فرب عمل صغير يعظمه النية ورب عمل كبير يصغره النية ولذلك كان السلف يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل ونقل ان بعض المريدين يطوف العلماء ويقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تع فاني لا احب ان يأتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله تع فقال له بعض العلماء انت قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله اذ من هم بالخير كمن يعمل به ثم السر في مجازاة الاعمال على حسب النية وكون النية حقيقة العمل وعماده وروحه ان العمل من حيث هو عمل لا فائدة فيه وانما فائدته الاثر الذي يصل منه الى النفس من النورانية والصفاء ولا يزال يتكرر وصول هذا الاثر من الاعمال اليها حتى يحصل لها غاية الضياء والصفاء فيحصل لها التجرد التام وتنخرط في سلك الملائكة ولا ريب في ان وصول هذا الاثر من الاعمال انما هو مع صحة النية وخلوصها وكونها لله سبحانه مجردة عن شوب الاغراض بل التأمل يعطي ان هذا الاثر انما هو حقيقة من محض النية وان كانت حادثة لاجل العمل

فصل

فظهر مما ذكر انه لا يحسب من عبادة الله ولا يعد من طاعة الله بحيث يترتب عليه الاجر في الآخرة الا ما يراد به التقرب الى الله والدار الآخرة اي يراد به وجه الله من حيث هو من دون غرض آخر من الاغراض الدنيوية او يراد به التوصل الى ثوابه او الخلاص من عقابه فمن اراد بعبادته محض وجه الله واخلصها له لكونه اهلا للعبادة والمحبة له لما عرفه بجلاله وجماله وعظمته ولطف فعاله فاحبه واشتاق اليه ولا يريد سواه ولا يبتهج بغير حبه وانسه والاستغراق في لجة شهوده فيفرح بعبادته وبتوجيه قلبه اليه بطاعته فجزاؤه ان يحبه الله ويجتبيه و

في ان التقرب الى الله تعالى بتحصيل الثواب او قصد الخلاص من العقاب لا ينافي الاخلاص

بقربه الى نفسه ويدنيه معنوياً ودنواً روحانياً كما قال في حق بعض من هذا صفته و
ان عندنا لزلفى وحسن مآب والى هذه المرتبة اشار امير المؤمنين عم بقوله الهي ما
عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك لكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك واما
من غرضه نيل الثواب والخلاص من العقاب نظراً الى انه لم يعرف من الله سوى كونه الهاً صانعاً
للعالم قادراً قاهراً عالماً وان له جنة ينعم بها المطيعين وناراً يعذب بها العاصين فعبده
ليفوز بجنته او يتخلص من ناره فجزاؤه بمقتضى نيته ان يدخله جنته وينجيه من ناره لان جزاء
الاعمال على حسب النيات كما اخبر الله تعالى عنه في غير موضع من كتابه فان لكل امرء ما نوى
ولا تصغ الى قول من ذهب الى بطلان العبادة اذا قصد بفعلها الثواب والخلاص من العقاب زعماً منه
ان هذا القصد مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه الله وحده وان من قصد ذلك انما
قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه فان هذا قول من لا معرفة له بحقائق
التكاليف ومراتب الناس فيها بل لا معرفة له بمعنى النية وحقيقتها فان حقيقة النية عبارة
من انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها اما عاجلاً واجلاً لا مجرد
قول الناوي عند العبادة افعل كذا قربة الى الله ومجرد تصور هذا القول بخاطره وملاحظته بقلبه
وان لم يكن لنفسه انبعاث الى التقرب هيهات هيهات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وما ذلك
الا كقول الشبعان اشتهي هذا الطعام قاصداً حصول الاشتهاء وهذا الانبعاث اذا لم يكن حاصلاً
للنفس لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول والتصور واكثر الناس يتعذر منهم العبادة ابتغاء
لوجه الله وتقرباً اليه لانهم لا يعرفون من الله تعالى الا المرجو والمخوف فغاية مرتبتهم ان يتذكروا
النار ويحذروا انفسهم عقابها ويتذكروا الجنة ويرغبوا انفسهم ثوابها وخصوصاً من كان
ملتفتاً الى الدنيا فانه قلما ينبعث له داعية الى فعل الخيرات لينال بها ثواب الاخرة فضلاً عن عبادته
على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فانه قل من يفهمها فضلاً عمن يتعاطاها فلو
كلف بها لكان تكليفاً بما لا يطاق وليس معنى الاخلاص في العبادة الا عدم كونها مشوبة بشوائب
الدنيا والحظوظ العاجلة للنفس كمدح الناس ونيل المال والخلاص من النفقة لعتق العبد و
نحو ذلك وظاهر انه لا ينافيه ارادة الجنة والخلاص من النار مما وعد في الاخرة وان كان من جنس
المالوف في الدنيا ولو كان مثل هذه النيات مفسداً للعبادات لكان الترغيب والترهيب والوعد
والوعيد عبثاً اذ كلما وعد الجنة واوعد عليه النار مما رغب في وعده ورهب واوعد عليه

زيادة تحقيق في ان طلب العمل للثواب او من العقاب نافع وان النية خير من العمل

المقام الرابع

ما ورد في الترغيب والترهيب والوعد والوعيد من الايات والاخبار اكثر من ان يحصى فالله سبحانه يدعو نار غبا ورهبا ثم كيف يمكن للعبد الضعيف الذليل المهين الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ثم يفعه ويؤذيه ان يستغنى عن جلب النفع لنفسه او دفع الضر عنها من مولاه ومن تامل يجد ان القائل ببطلان العبادة باحدى النيتين رجح بنيته الصحيحة في عبادته الى احدهما وهو لا يشعر به ومما يدل صريحا على ما ذكرناه قول الصادق عليه السلام العباد ثلثة قوم عبدوا الله جل وعز خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تعالى طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله تعالى حبا له فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة وهذا يدل على ان العبادة على الوجهين الاولين لا يخرج من فضل ايضا فضلا عن ان تكون صحيحة نعم لا ريب في ان العبادة على الوجه الاخير لا نسبة لمرتبتها ودرجتها الى درجة العبادة على الوجهين الاولين فان من تنعم بلقاء الله والنظر الى وجهه الكريم يسخر ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم الى وجه حور العين بالملتفت الى الصور المصنوعة من الطين وكما يسخر المتنعم بالنظر الى وجوه النساء الجميلة بالخنفساء التي تعرض عن النظر الى وجوههن وتلتفت الى صاحبتها وتالف بها بل هذه امثلة اوردناها من باب الاضطرار اذ التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين والنسوان الجميلة اعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين وبين جمال النسوان الجميلة والخنفساء كيف والتفاوت في الثاني متناه وفي الاول غير متناه واي نسبة للمتناهي الى غير المتناهي **فصل** لما عرفت ان النية روح العمل وحقيقته وتوقف نفع العمل عليها دون العكس وكون الغرض الاصلي من العمل تاثر القلب بالميل الى الله تعالى وتوقفه على النية فهي خير من العمل بمعنى ان العمل اذا حلل الى جزئيه يكون جزئه القلبي اعني النية خيرا من جزئه الجسماني اعني ما يصدر من الجوارح والثواب المترتب عليه اكثر من الثواب المترتب عليه ولذا قال الله سبحانه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فان المقصود من اراقة دم القربان ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله دون مجرد الدم واللحم وميل القلب انما يحصل عند جزم النية والهمم وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى صفة القلب لذا ترى ان المجامع امرأته على قصد انها غيرها اثم بخلاف المجامع غيرها على انها امرأته ولذا ورد ان من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى

الحديث نية خير من توضيح فيه جلية الحال
توجيه المشهور المؤمن عمله و المقال الظاهر

وهو غاية اعمال الحسنة وانما الاهتمام بالعمل يزيدها تاكيدا وبما ذكر ظهر معنى الحديث المشهور نية
المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيته وحاصله ان كل طاعة تنتظم من نية وعمل كل منهما من جملة الخيرات
ولما شرفي المقصود فيكون النية خيرا من العمل واثرها اكثر من اثرها والغرض ان للمؤمن اختيار افى
النية وفى العمل فيهما عملان والنية خيرهما اى نيته التى هى جزء من طاعته خير من عمله الذى هو
جزءها الاخر فان قيل ما ذكرت لا يفيداز يد من ان النية والعمل خيرا وذا ثواب واذا كان بدونها
لا يكون خيرا ولا يكون له ثواب والمقصود كون النية خيرا من العمل فى الصورة الاولى وكون ثوابها اعظم
لم يظهر وجه الخيرية مما ذكرت قلت ذلك وان ظهر اجمالا الا انه لابد لتوضيحه ليظهر جلية الحال
فنقول الوجه فى كون النية خيرا من العمل وراجحة عليه فى الثواب انه لا ريب فى ان المقصود من الطاعات
شفاء النفس وسعادتها فى الاخرة وتنعمها بلقاء الله سبحانه والوصول الى اللقاء موقوف على
معرفة الله وحبه وانسه وهى موقوفة على دوام الفكر والذكر الموجبين لانقطاع النفس من
شهوات الدنيا وتوجهها الى الله سبحانه فاذا حصل بمجرد المعرفة الحاصلة من الفكر ميل وتوجه الى الله
كان ضعيفا غير راسخ وانما يترسخ ويتاكد بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصى بالجوارح
لان بين النفس وبين الجوارح علاقة يتاثر لاجلها كل واحد منها عن الاخر فيرى ان العضو اذا اصابته
جراحة يتالم بها النفس وان النفس اذا تالمت بعلمها بموت عزيز او بهجوم امر مخوف تاثرت الاعضاء من
تعدد الفرايض فالطاعات التى هى فعل الجوارح انما شرعت للتوصل بها الى صفة النفس اعنى التوجه والنية
والميل الى الله سبحانه فالنفس هو الاصل والمتبوع والامير والجوارح كالخدم والاتباع وصفات
القلب هى المقصودة لذاتها وافعال الجوارح هى المطلوبة بالعرض لكونها موكدة وموجبة لرسوخ
النفس اعنى الميل والنية والتوجه ولا ريب فى ان ما هو المقصود بالذات خير مما هو مقصود بالعرض
وثوابه اعظم من ثوابه ومن المعانى الصحيحة للحديث ان المومن بمقتضى ايمانه ينوى خيرات كثيرة
لا يوفق لعملها اما لعدم تمكنه من الوصول الى اسبابها او لعدم مساعدة الوقت على عملها او لمانعة
رذيلة نفسانية عنها بعد الوصول الى اسبابها كالذى ينوى ان اتاه الله مالا ينفقه فى سبيله ثم لما
اتاه يمنعه البخل عن الانفاق فهذا نيته خير من عمله وايضا المومن ينوى دائما ان يقع عباداته على
احسن الوجوه لان ايمانه يقتضى ذلك ثم اذا اشتغل بها لا يتيسر له ذلك ولا ياتى بها كما يريد فما ينويه
دائما خير مما يعمل به فى كل عبادة والى هذا اشار الباقر عم حيث قال نية المومن خير من عمله
وذلك لانه ينوى الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله وذلك لان الكافر ينوى الشر ويامل من

من الثانى الثلثين

ع نية المقصود فى نية وعملا

من الجملة

العمل الواقع مع النية يكون كل منه

بقية ما قيل في الحديث من توجيهه وبيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

الشر ما لا يدركه وقيل للصادق (ع) سمعتك تقول نية المؤمن خير من عمله فكيف يكون النية
خيرا من العمل قال لان العمل انما كان رياء للمخلوقين والنية خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل
على النية ما لا يعطي على العمل ثم قال ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل فيغلبه عينه فينام
فيثبت الله له صلوته ويكتب نفسه تسبيحا ويجعل نومه صدقة وبعض الاخبار المتقدمة يعضد ذلك
ويؤكده ايضا وقيل معنى الحديث ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده بلا نية وفيه ان العمل
بدون النية لا يتصف بالخيرية اصلا فلا معنى للترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله والعمل ظاهر
وفعل السر افضل وهذا وان كان في نفسه صحيحا الا انه ليس مرادا من الحديث لانه لو نوى احد ان
يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح المؤمنين كان نيته بمقتضى عموم الحديث خيرا من العمل الذي
هو الذكر والتفكر مع اشتراك النية والعمل في السرية وبداهة كون الذكر والتفكر خيرا من نيتهما

في الخيرية قيل يجب الترجيح

فصل

النية غير داخلة تحت الاختيار وذلك لما عرفت من انها انبعاث النفس وتوجهها
وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا وهذا الميل اذا لم يكن حاصلا للنفس
لم يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الاخطار بالبال والاجراء على اللسان بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي
الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه فلا طريق الى اكتساب صرف القلب
الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما قد ينبعث
النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه
منوط بفعل من الافعال لا يتوجه قصده نحوه وذلك مما لا يقدر على اعتقاده دائما واذا
اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا
يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف ذلك بالاشخاص و
الاحوال والاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد لم يمكنه ان يتزوج على
نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف
ينوي الولد ولذا كان اهل السلوك من السلف كثيرا ما يمتنعون عن جملة من الطاعات اذا لم تحضرهم
النية وكانوا يقولون ليس تحضرني نية وذلك لعلمهم بان النية روح الاعمال وقوامها وان
العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وسبب مقت لا سبب قرب وروي ان الصادق (ع) مولى له
فسلم عليه وجلس فلما انصرف (ع) انصرف معه الرجل فلما انتهى الى باب داره دخل وترك الرجل فقال
له ابنه اسمعيل يا ابه الا كنت عرضت عليه الدخول فقال لم يكن من شأني ادخاله قال فهو لم يكن

بيان طريق تخليص النية وذكر الفرق بين الامور المتناسبة في جانب الفضيلة والرذيلة

في ذكر جملة من انواع الفضائل والرذائل

يدخل قال يا بني اني اكره ان يكتبني الله عراضا **تتميم** الطريق في تخليص النية في الطاعات
تقوية ايمانه بالشرع وتقوية ايمانه بعظم ثواب الطاعات مع خلوص النية واذا قوي ايمانه فربما
انبعث من نفسه رغبة الى فعل الطاعة مع خلوص النية مثلا من لم يكن له نية الولد في النكاح
بل كان نيته فيه مجرد قضاء الشهوة فينبغي له ان يقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد
ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد كثقل المؤنة وطول التعب وغيره واذا فعل ذلك
انبعث من نفسه رغبة الى تحصيل الولد للثواب منها الكراهة وهي نفرة الطبع عما لا يخلو
عن ايلام واتعاب فاذا قوي سمي مقتا وضدها الحب وهو ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك
الميل وقوي سمي عشقا اعلم ان عدم الرغبة والغفلة والكراهة والبعد امور متناسبة مترتبة
بعضها على بعض وكذا اضدادها اعني الشوق والنية والحب والانس امور متناسبة مترتب بعضها
على بعض فنحن هنا نشير اجمالا الى معانيها والفرق بينها ثم نذكرها مفصلة على الترتيب فنقول
قد عرفت ان الغفلة والنية ضدان وهما عبارتان عن عدم انبعاث النفس وانبعاثها الى ما فيه
غرضها الملائم اما عاجلا او اجلا واما عدم الرغبة والشوق فهما ايضا ضدان ومبدءان للغفلة
والنية بيان ذلك ان معنى عدم الرغبة ظاهر والشوق عبارة عن الرغبة الى الشيء الذي لم يصل
اليه وكان مفقودا عنه بوجه فالشوق لا يخلو عن الم المفارقة ولو زالت المفارقة وحصل
الوصال انتفى الشوق ثم فرق الشوق عن النية ظاهر فان الشوق مجرد الرغبة الى الشيء من دون
اعتبار انبعاث النفس الى طلبه في مفهومه والنية هو الانبعاث المذكور فالشوق مبدء
النية والنية مترتبة عليه وبذلك يظهر الفرق بين ضديهما ايضا اعني عدم الرغبة والغفلة
واما الكراهة والحب فقد عرفت انهما عبارتان عن نفرة الطبع عن المولم وعن ميله الى الملذ
سواء انبعث النفس على طلبه ام لا وبهذا يفترق الحب عن النية فان النية هي انبعاث النفس وهو
مغاير لمجرد الميل بل الميل منشأ للانبعاث وسواء حصل الوصول الى الملذ ام لا وبهذا يفترق عن الشوق
فان الشوق يعتبر في مفهومه عدم الوصول فالشوق والنية والارادة لا ينفكان عن الحب او
يكون مقارنا لهما النية فاذا حصل الوصول الى المطلوب زال الشوق والارادة وبقي الحب بدونهما
وبما ذكر يظهر الفرق بين الكراهة وبين عدم الرغبة والغفلة واما الانس فهو عبارة عن
استبشار النفس بما يلاحظ من المطلوب المحبوب بعد الوصول واستحكامه ورسوخه والبعد
عبارة عن عدم الوصول الى المحبوب او الوصول اليه الا انه لا يستبشر ولا يبتهج بملاحظته لعدم الرغبة

المقام الرابع

في الشوق وبيان حقيقته وتعيين متعلقه وذكر ما يليق به والاشارة الى انواعه وافضلها

اليه او المتنفر عنه فالحب منشأ الانس والانس يترتب عليه وهو غاية المحبة فلا يخلو الانس عن المحبة والمحبة قد يكون بدونه ثم المطلوب المحبوب قد يكون مطلوبا للقوة العاقلة كالعلم بحقايق الاشياء وقد يكون مطلوبا للقوة الغضبية كالاستيلاء والغلبة وقد يكون مطلوبا للقوة الشهوية كالمال والازواج وعلى كل تقدير يكون الامور المذكورة اعني عدم الرغبة والغفلة والكراهة والبعد واضدادها اعني الشوق والارادة والحب والانس متعلقة بتلك القوة معدودة من رذائلها او فضائلها ثم المحبوب ان كان مما يستحسن حبه وطلبه شرعا وعقلا كان ما يتعلق به من الشوق والارادة والحب والانس من الفضائل واضدادها من الرذائل وان كان مما يذم حبه وطلبه شرعا وعقلا كان بالعكس

فصل قد تقدم تفصيل الكلام في المحبة والغفلة واما الشوق فنشرع في بيانه قد عرفت ان الشوق عبارة عن الميل والرغبة الى الشيء عند غيبته فان الحاصل الحاضر لا يشتاق اليه اذ الشوق طلب وشوق الى امر والموجود لا يطلب فالشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فما لا يدرك اصلا لا يشتاق اليه اذ لا يتصور ان يشتاق احد الى شخص لم يره ولم يسمع وصفه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه اذ المداوم لمشاهدة المحبوب الواصل اليه من جميع الوجوه لا يتصور ان يكون له شوق فالشوق يختص تعلقه بما ادرك من وجه دون وجه وهذا انما يكون باحد وجهين احدهما ان يتضح الشيء اتضاحا ما ولم يستكمل الوضوح فاحتاج الى استكماله فيكون الشوق الى ما بقي من المظلم مما لم يحصل مثال ذلك ان من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله يشتاق الى استكمال خياله بالرؤية ومن راى معشوقه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته يشتاق الى استكمال رؤيته باشراق الضوء عليه فلو راه بتمام الرؤية انتفى الشوق كما انه لو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يعقل وجوده وثانيهما ان يدرك بعض كمالات المحبوب ووصل اليه وعلم اجمالا ان له كمالات اخر ولم يدركها ولم يصل اليه فيكون له شوق الى ادراك تلك الكمالات مثال ذلك ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره ولا ساير اعضائه فيشتاق الى رؤية ذلك

فصل افضل مراتب الشوق هو الشوق الى الله سبحانه والى لقائه وهو المظنة الى الوصول اليه والى حسن الانس والتقرب له وهو راس مال السالكين ومفتاح ابواب السعادة للطالبين والوجهان الموجبان للشوق متصوران في حق الله بل هما ثابتان وملازمان لجميع العارفين فلا يخلو عارف من الشوق الى الله اما الوجه الاول فلان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان بلغ غاية

في ان الشوق لله تعالى بكلا جهتين حاصل للعارفين بالله ولكن

الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات
المكدرة للمعلومات والمانعة عن ظهورها اليقيني سيما اذا انضاف اليها شواغل الدنيا فكمال
الوضوح في الامور الالهية انما هو بالمشاهدة واشراق التجلي ولا يكون ذلك في هذا العالم
بل يكون في الآخرة فهذا احد الوجهين لشوق العارفين الى الله سبحانه وهو الشوق الى استكمال
الوضوح فيما اتضح اتضاحا واما الثاني فلان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل
عارف بعضها ويبقى امور غير متناهية خفية عنه والعارف يعرف اجمالا وجودها وكونها
معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا
الى ان يحصل له من المعلومات المتعلقة بعظمة الله وجلاله وصفاته وافعاله مما لا يعرفه اصلا
لا مع الوضوح ولا مع الابهام والاجمال والشوق الاول ربما انتهى في الآخرة اذا حصل الشهود
واللقاء المعنوي لاجل استخلاص النفس من موانع الطبيعة وقصوراتها وحصول التجرد التام لها
واما الشوق الثاني فلا يمكن ان ينتهي في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته ذلك ان ينكشف للعبد
في الآخرة من عظمة الله وكبريائه وجلاله وصفاته واحكامه وافعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال اذ
معلومات الله المتعلقة بذاته وصفاته وافعاله غير متناهية قوة وشدة وعدة فيمتنع احاطة الانسان
بها فلا يزال العبد عالما بانه قد بقي من جلال الله وعظمته ومن صفته وفعله ما لم يتضح له فلا
يسكن قط شوقه وما من عبد الا ويرى فوق درجته درجات كثيرة لا نهاية لها فيشتاق اليها
البتة واذا كان اصل الوصال واللذة حاصلا فربما كان الشوق الى المراتب التي فوق مرتبتها شوق
لذيذ لا يظهر فيه الم وربما كان لطائف الكشف والبهجة ودرجاتهما متوالية الى غير النهاية
ويحصل للعبد هذه الدرجات في الآخرة على التدريج فلا يزال العبد يتصاعد ويترقى اليها
ولا يزال النعيم واللذة تتزايد له ابد الاباد من غير انقطاع له ويكون لذة ما يتجدد من لطائف
النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل له اصلا فان امكن في الآخرة حصول الكشف
فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا لكان حصول المعارف والابتهاجات والانوار وتجددها
في الآخرة ممكنا وان لم يكتسب اصلها في الدنيا فتجدد ويتوارد على العبد في الآخرة على الدوام
والاستمرار من غير ان ينتهي الى حد وربما كان قوله تعالى يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا اشارة الى هذا المعنى ويكون المراد باتمام النور في
عنهما استنار في الآخرة اشارة محتاجة الى الظهور ثم الى زيادة الاستكمال والاشراق و

ان اختص حصول نعم الاخرة وانوارها وابتهاجاتها على النعم التي تزود من اصلها ولم يحصل
للعبد ماله يكتسب في الدنيا اصله من الانوار والابتهاجات فيكون ترقي العبد في الاخرة في ازدياد
الابتهاج والاشراق فيما حصل له اصله وعلى هذا فربما انتهى الى حد ووقف هناك ولا يتضاعف
وقوله تعالى يسعى نورهم الخ يحتمل لهذا المعنى ايضا بان يكون المراد طلب تمام نور تزود من الدنيا
اصله قبل وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل
على ان الانوار لابد ان تزود اصلها في الدنيا ثم يزداد في الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور
لو يكتسب اصلها في الدنيا ثم يزداد في الاخرة اشراقا فلا ثم لا يخفى ان تعيين الاصل والفرع
للانوار والابتهاجات ومراتب الاخرة عندنا مشكل وليس لنا طريق الى القطع بان اي شيء اصل
لاي نور وبهجة وربما كان المظنون عندنا ان اصل كل نور وسعادة وبهجة هو اليقين القطعي
الاجمالي بان الواجب سبحانه في غاية العظمة والجلال والقدرة والكمال وانه تام وفوق التمام و
كل ما سواه من الماهيات الموجودة صادرة عنه على اشرف انحاء الصدور واقربها وادلها على
العظمة وانه لا موجود ولا شيء الا الواجب وصفاته وافعاله وان ذاته الاقدس ذات لا يمكن ان
يكون لذهن من الاذهان العالية ولا لمدرك من المدارك المتعالية عقلا كان ونفسا او غيرهما
لو امكن ان يكون مدركا ان يدرك في لحاظ التعقل ذاتا يمكن ان يكون فوقه او مثله بل كلما تصور
اجمالا فهو فوقه وكذا صفاته الكمالية وافعاله وان صفاته الكمالية من عظمته وجلاله وقدرته
وجماله وعلمه وحكمته وغير ذلك غير متناهية وليس لها حد وغاية وما تعلق به علمه من مخلوقاته
لا نهاية لكثرته وقوته وكمالاته وان له من المراتب الغير المتناهية من العظمة والجلال ما لا يطيق اشرف
الموجودات واقويها ادراك اولها فمن عرف ذلك وتيقن به وعلم ان هذا العالم وما فيه لا نسبة
له الى عالم الاخرة وما فيه وان الطافه ومزاياه الى عباده الذين عرفوا نسبتهم اليه وتيقنوا ان
لا اشرافة ولا كمال للنفوس والعقول فوق معرفة ربهم والتقرب اليه والوصول الى حبه وانسه فقد
وصل الى اصل كل سعادة ونور وبهجة سيما اذا دفع عن نفسه رذائل الاخلاق واتصف بفضائلها
فتظهر مما ذكر انه لا ريب في ثبوت الشوق للعباد الى الله سبحانه والعجب ممن انكر حقيقة الشوق الى
الله سبحانه لانكاره المحبة له كما يأتي اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب وقد عرفت ثبوته من حيث النظر
والاعتبار ولا ريب في ثبوته ايضا من الايات والاخبار قال الله سبحانه من كان يرجو
لقاء ربه الخ فان الرجاء لا ينفك عن الشوق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه اللهم

في ذكر روايات المشتاقين الى الله وبعض اخبار الكتب السماوية

اني اسئلك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم
وشوقا الى لقائك وفي بعض الكتب السماوية لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى
لقائهم لاشد شوقا وفي اخبار داود عم اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي
فيها ايضا انه تعالى اوحى الى داود يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسئلني الشوق الي قال ان المشتاقين
الي الذين صفيتهم من كل كدر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي
فاضعها على سمائي ثم ادعو بملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم اجمعكم لتسجدوا لي ولكن
دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بهم اياكم وان قلوبهم لتضيئ في سمائي لملائكتي
كما تضيئ الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها
بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من
قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا واوحى الله اليه يا داود لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم
من محبتي وفي بعض الاخبار القدسية ان لي عبادا يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق
اليهم ويذكروني واذكرهم واول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم
ولو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقلوها لهم واقبل بوجهي عليهم لا يعلم احد
ما اريد ان اعطيه وقال الصادق عم المشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب
رقادا ولا يأنس حميما ولا يأوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا
راجيا بان يصل الى ما يشتاق اليه ويناجيه بلسان شوقه معبرا عما في سريرته كما اخبر الله تعالى عن موسى
بن عمران في ميعاد ربه بقوله وعجلت اليك رب لترضى وفسر النبي صلعم عن حاله انه ما اكل ولا شرب
ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه ومجيئه اربعين يوما شوقا الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق
فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا ودع المالوفات واحرم عن سوى مشوقك ولب بين حيوتك
وموتك لبيك اللهم لبيك ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة الا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه
وما ورد في الادعية المعصومية من طلب الشوق اكثر من ان يحصى والظواهر الآتية المثبتة للمحبة
والانس تثبت الشوق ايضا واما الكراهة والبغض وضدهما اعني الحب فنقول قد عرفت ان الكراهة
والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المولم المتعب والحب الذي هو ضدهما عبارة عن ميل الطبع الى
الملائم الملذ وتوضيح ذلك انه لا يتصور حب الا بعد معرفة وادراك وكذلك لا يتصف بالحب بهما

ونعمتها

قال اما يعبر المشتاقون اليك

ونعمتها

لا يستقلها

ولا يحب الانسان ما لا يعرفه ولتحقيق ذكرنا فالحب من خاصية الحي الدراك تبعا لحصول الادراك بالفعل ثم لما كانت المدركات منقسمة الى ما يوافق طبع المدرك ويلتذه والى ما يخالفه ويولمه والى ما لا يؤثر فيه بالتذاذ وايلام فالقسم الاول يكون مرغوبا عند المدرك ويسمى رغبته وميله اليه حبا والقسم الثاني يكون منفورا عنه ويسمى نفرته عنه كراهة وبغضا والثالث لا يوصف بميل وكراهة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها ثم اللذة لما كانت عبارة عن ادراك الملايم الملذ ونيله فالحب الذي هو الميل والرغبة اليه لا ينفك عن لذة محققة او محتملة وعلى هذا يمكن ان يعرف المحبة بانها ابتهاج النفس بادراك الملايم ونيله هذا وانك قد عرفت ان المدركات ان كان مما يستحسن حبه شرعا وعقلا كان كراهته وبغضه من الرذايل وحبه من الفضايل وان كان مما يذم حبه كان بالعكس من ذلك

فصل

الحب والكراهة لما كانا تابعين للادراك ينقسمان بحسب انقسام القوة المدركة التي هي الحواس الظاهرة والحواس الباطنة والقوة العاقلة فمن الحب ما يتعلق بالحواس الظاهرة بمعنى ان المحبوب بما هو مدرك وملذ عندها كالصور الجميلة المرئية والنغمات الموزونة والروايح الطيبة والمطاعم النفيسة والملبوسات اللينة بالنظر الى الحس الظاهرة ومنه ما يتعلق بالحواس الباطنة بمعنى ان المحبوب بما هو مدرك وملذ عندها كالمعاني الكلية والذوات المجردة ولا ريب في ان العقلي من الحب واللذات اقوى اللذات وابلغها ان البصيرة الباطنة اقوى من البصيرة الظاهرة والعقل اقوى ادراكا واشد غوصا ونفوذا في خفايا الاشياء وبواطنها من الحس وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة الحسنة فيكون لذة العقل وحبه بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي جلت عن ادراك الحواس اتم وابلغ ولذا جعل رسول الله الصلوة ابلغ المحبوبات عنده في الدنيا حيث قال حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة فان الالتذاذ بالصلوة لذة عقلية كما ان الالتذاذ بالطيب لذة شمية وبالنساء لذة نصرية ولمسية فان قيل حقيقة الانسان نفسه الناطقة ولها ثلث قوى هي العاقلة والشهوية والغضبية وقوى اخرى هي الحواس الظاهرة والحواس الباطنة وشان العاقلة كما ذكرت ادراك المعاني الكلية والحقايق المجردة وشان الحواس الظاهرة ادراك المبصرات والمسموعات والمشمومات والمذوقات والملموسات وشان الحواس الباطنة ادراك المعاني الجزئية والصور المدركة بالحواس الظاهرة وضبطها ومن جملة ما يدرك بالحواس ما يتعلق بقوتي الغضبية والشهوية من الغلبة والاستيلاء والوصول الى المناكح والمطاعم وعندهما

كالصور الملائمة الجمالية والمعاني الشريفة الملائمة بالنسبة الى الشجاعة والرياسة ونحوها مما يتعلق بالقوة الغضبية او المحبوب بما هو مدرك وملذ عندهما ع

الغضب الشهوة

تحقيق ان الملتذ والمحب اولاً القوى المدركة ثم بواسطتها النفس وثانياً تتمة حب الذات

لهذه المدركات والملتذ بها ماذا من النفس وقواها المذكورة وهل المحب والملتذ هو المدرك بعينه او غيره قلنا المحب والملتذ اولاً في كل من هذه المدركات والذات وثانياً بالواسطة هو النفس اذ كل ادراك يتعلق باحد القوى ليصل بالاخرة الى النفس فيحدث فيهما ما يقتضيه من اللذة والالم الا ان ما يدرك بالحواس مما يتعلق بقوتي الشهوة والغضب لا بد ان يصل اليهما ايضاً فيحصل لهما اللذة او الالم وبواسطتهما يصل الى النفس فالمدرك اولاً للغلبة او العجز هو الوهم فيلتذ او يتألم ثم يصل منه اثر الادراك والالتذاذ والالم الى القوة الغضبية ويصل منها الاثر الى النفس فيلتذ او يتألم والمدرك للطعم والريح واللين والنعومة هي الذائقة والشامة واللامسة فالالتذاذ والتألم لها اولاً وبواسطتها للقوة الشهوية وهذا ان كان الشهوية قوة عليحدة سوى الذائقة والشامة واللامسة وساير الحواس الظاهرة وان كان معنى جنسياً شاملاً لجميعها فالامر ظ وبما ذكر ظهر وجه تعلق الحب بجميع القوى **فصل** اعلم ان اسباب الحب ومباديها لما كانت متعددة مختلفة ينقسم الحب لاجلها على اقسام الاول حب الانسان وجود نفسه وبقائه وكماله وهو اشد اقسام الحب واقويها لان المحبة انما يكون بقدر الملائمة والمعرفة ولا شيء اشد ملائمة لاحد من نفسه ولا هو لشيء اقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعل معرفة نفسه مفتاح المعرفة ربه وكيف لا يكون حب الشيء لذاته اقوى المراتب مع ان الحب كلما ازداد شدة استدعى الاتحاد بين المحب والمحبوب اوكد وابلغ واي اتحاد اشد من الوحدة ورفع الاثنينية بالمرة كما بين الشيء ونفسه فالمحب والمحبوب واحد وسبب الحب غريزة في الطباع بحكم سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ومعنى حبه لنفسه كونه محباً لدوام وجوده ومكرهاً لعدمه وهلاكه فالبقاء ودوام الوجود محبوب والعدم ممقوت ولذا يبغض كل احد الموت لا بمجرد ما يخافه بعده او لمجرد ما يلزمه من سكراته بل الظن انه يوجب انعدام كله او بعضه ولذا لو اختطف من غير الم وتعب واميت من غير ثواب وعقاب كان كارهاً لذلك وكما ان دوام الوجود محبوب فكذلك كمال الوجود محبوب لان فاقد الكمال ناقص والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود فالوجود محبوب في اصل الذات وبقائه وفي صفات كماله والعدم ممقوت فيهما جميعاً والتحقيق ان المحبوب ليس الا الوجود والمبغوض ليس الا العدم وجميع الصفات الكمالية راجعة الى الوجود وجميع النقايص راجعة الى العدم الا ان كل فرد من الموجود لما كان له نحو خاص من الوجود وكان تمام نحو وجوده بوجود بعض الصفات الكمالية التي هي

في ان محبة الاولاد والاقارب ومحبة الغير للاحسان او للذات راجعة الى محبة الذات

من مراتب الوجودات فكان وجوده مركب من وجودات متعددة فاذا فقد بعضها فكانه فاقد
لبعض اجزاء وجوده وبذلك يظهران الموجود كلما كان اقوى وكان نحو وجوده اتم كان اجمع لمراتب
الوجودات في القوة والشدة والعدة وكان صفاته الكمالية اقوى واكثر لكونها من مراتب الوجودات
فالوجود الواجبي الذي هو التام فوق التمام والقائم بنفسه المقوم لغيره ينطوي فيه جميع الوجودات
ويكون محيطا بالكل ثم محبة الاولاد من التحقيق يرجع الى هذا القسم لان الرجل انما يحب ولده
ويتحمل المشاق لاجله وان لم يصل منه اليه نفع وحظ لعلمه بانه خليفته في الوجود بعد عدمه
فكان بقائه نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وبمنزلة جزء
منه لما عجز من الطمع في بقاء نفسه ولعدم كون بقائه هو بقائه بعينه يكون بقاء نفسه احب اليه من
بقاء ولده لو كان طبعه باقيا على اعتداله وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه
فانه يرى نفسه كبيرا قويا لاجلهم متجملا بهم اذ العشيرة كالجناح المكمل للانسان الثاني حبه لغيره
لاجل انه يلتذ منه لذة حيوانية كحب كل من الرجل والمرئة للاخر لاجل الجماع وحب الانسان
الماكولات والملبوسات والسبب الجامع في هذا القسم هو اللذة وهو سريع الحصول وسريع الزوال
واضعف المراتب لخساسة سببه وسرعة زواله الثالث حبه للغير لاجل نفعه واحسانه فان الانسان
عبيد الاحسان وقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها ولذا قال
رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي فالسبب الجامع في هذا القسم هو النفع و
الاحسان وهذان القسمان عند التحقيق يرجعان الى القسم الاول لان المحسن من امده بالمال والمعونة
وساير الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وسبب اللذة باعث لحصول الحظوظ التي
بها يتهيأ الوجود والفرق ان الاعضاء والصحة والعلم والطعام والشراب والجماع محبوبة لان بها
كمال وجوده وهي عين الكمال واما الطبيب الذي هو سبب الصحة والعالم الذي هو سبب العلم
ومعطي الطعام والشراب والمرئة التي هي آلة الوقاع محبوبة لا لذواتها بل من حيث انها وسايل الى
ما هو محبوب لذاته فاذن يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والكل يرجع الى محبة الانسان بنفسه
فمن احب المحسن لاحسانه ما احب ذاته حقيقة بل احب احسانه ولو زال الاحسان زال الحب مع بقاء ذاته
ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد وبالجملة يتطرق الى الحب الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان
ونقصانه الرابع ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب
الحقيقي البالغ الذي يوثق به وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدركه وذلك

هنا ظ

في بيان ان الحبّ الحقيقي محبوبيّة الشيء لذاته وتصوير العشق الممدوح وغيره وتجويزه

لعين الجمال الا ان ادراك الجمال عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حبّ الصور الجميلة
لا يتصوّر الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة حيوانية قد يحبّ الانسان الصور الجميلة
لاجلها وادراك نفس الجمال لذة اخرى روحانية يكون محبوبا لذاتها ولا ريب في ان حبّ الصور
الجميلة بالجهة الاولى مذموم وبالجهة الثانية ممدوح والعشق الذي يقع لبعض الناس من
استحسان الصور الجميلة يكون مذموما ان كان سببه اللذة الشهوية الحيوانية ويكون ممدوحا ان
كان سببه الابتهاج بمجرد ادراك الجمال ولاجل التباس السبب في هذا العشق اختلف العقلاء في مدحه
وذمه وكيف ينكر حبّ الصور الجميلة لنفس جمالها من دون قصد حظ اخر مع ان الخضرة والماء
الجاري محبوبان لا لتؤكل الخضرة ويشرب الماء او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلعم
يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع الصافية السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار و
الازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لينفرج عنه
الغموم بمجرد النظر اليها من دون قصد حظ اخر منها وبما ذكرناه ظهر ضعف ظن بعض ضعفاء العقول
حيث زعموا انه لا يتصوّر ان يحبّ الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحبّ سوى ادراك
ذاته ولم يعلموا ان الحسن والجمال ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة اذ
يقال هذا صوت حسن وهذا طعم حسن وهذا ريح طيب وليس شيء من هذه الصفات مدركا بالبصر
وكذا ليس الحسن والجمال مقصورا على مدركات الحواس لوجودهما في غيرها فان اكثر خصال الخير
يدرك بالعقل بنور البصيرة الباطنة اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة
ولا يدرك شيء من هذه الصفات بالحواس بل يدرك بالبصيرة الباطنة وكل هذه الخصال
المدركة حسنها بالعقل محبوبة بالطبع والموصوف بها ايضا محبوب عند من عرف صفاته ويدل
على تحقق الجمال المدرك بالعقل وكونه محبوبا ان الطباع السليمة مجبولة على حبّ الانبياء والائمة عليهم السلام
مع انهم لم يشاهدوهم حتى ان الرجل قد يجاوز حبّه لصاحب مذهبه حدّ العشق فيحمله ذلك على ان ينفق
جميع امواله في نصرة مذهبه والذبّ عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه
مع انه لم يشاهد قط صورته ولم يسمع كلامه فما حمله على الحبّ هو استحسانه لصفاته الباطنة من الورع
والتقوى والتوكل والرضا وغزارة العلم والاحاطة لمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع
ونشره هذه الخيرات في العالم وجملتها ترجع الى العلم والقدرة اذ جميع الفضائل لا تخرج عن معرفة
حقائق الامور والقدرة على حمل نفسه عليها بقهر الشهوات وهما اعني العلم والقدرة غير مدركين

بالحواس مع انهما محبوبان بالطبع ومن الشواهد على المطلوب ان الناس لما وصفوا عليا بالشجاعة وحاتما بالسخا وانوشيروان بالعدالة احبتهم القلوب غاية حب وربما مزدون نظرهم الى صورهم المحسوسة ومن غير حظ ينالونه منهم بل كل من حكى عنه بعض خصال الخير وصفات الكمال غلب على القلوب حب مع مشاهدته ويأس المحبين من انتشار خيره واحسانه اليهم ومن كانت بصيرته الباطنة اقوى من حواسه الظاهرة ونور العقل اغلب عليه من آثار الحواس الحيوانية كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا على الحائط لجمال الصورة الظاهرة وبين من يحب سيد الرسل لجمال صورته الباطنة الخامس محبته لمن بينه وبينه مناسبة خفية او مجانسة معنوية فرب شخصين تتاكد المحبة بينهما من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه ومال بل بمجرد تناسب الارواح كما قال النبي صلى الله عليه وآله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف السادس محبته لمن حصل بينه وبينه الالف والاجتماع في بعض المواضع سيما اذا كان من المواضع الغريبة كالسفن والاسفار البعيدة والسبب فيه كون افراد الانسان مجبولة على المؤانسة مركوزة في طبيعة الانسان سمي انسانا فهو مشتق من الانس دون النسيان كما ظن والمؤانسة لا تنفك عن المحبة وربما كان حصول المؤانسة والحب بين اهل البلد وبينهم بين اهل القرى وبين اهل البلاد المتباعدة والمواضع المختلفة من جملة الاسرار للامر بالجمعة والجماعة وصلوة العيدين والحج الباعث لاجتماع عموم الخلايق في موقف واحد السابع محبته لمن يشاركه في وصف ظاهر كميل الصبي الى الصبي لصباه والشيخ الى الشيخ لشيخوخته والتاجر الى التاجر لتجارته وهكذا فان كل شخص مايل الى من يشاركه في وصفه وصنعته وشغله وحرفته والسبب الجامع فيه هو الاشتراك في الوصف والمناسبة الثامن حب كل سبب وعلة لمسببه ومعلوله وبالعكس فان المعلول لما كان مثالا لامر العلة ومترشحا عنها منبجسا منها وبما لها لكونه من سنخها فالعلة تحبه لانه فرعها وبمنزلة بعض اجزائها التي كانت منطوية فيها والمعلول يحبها لانها اصله وبمنزلة كله الذي كان محتويا عليه فكان كل منهما في حبه للآخر يحب نفسه ثم السبب ان كان علة معدة فاقوى اقسام المحبة ما يكون للواجب سبحانه بالنسبة الى عباده وبعد ذلك لا محبة اقوى من محبة العلماء العارفين بالنسبة اليه سبحانه فان محبتهم له من حيث كونه موجدا مخرجا لهم من العدم الصرف الى الوجود ومعطيا لهم ما احتاجوا اليه في النشاتين ومن حيث انه تعالى تام وفوق التمام في الذات والصفات الكمالية والنفس بذاتها مشتاقة الى الكامل المطلق وهذه المحبة

شرح الحب الحاصل المعنوي في الربط الخاص فيما بين العلل والمعلولات وأصل في المحبة بين المشاركين في السبب

فرع المعرفة ولا يحصل بدونها ولذا قال سيد الرسل صلعم ما اتخذ الله وليا جاهلا قط و
حب الاب لابنه وبالعكس لنسبة هذا القسم من حيث ان الاب سبب ظاهر لوجود الابن وان لم
يكن سببا حقيقيا بل علة معدة له فيحبه لانه يراه بمنزلة نفسه ويظنه مثالا من ذاته ونسخة
نقلها الطبيعة من صورته ويعد وجوده بعده بمنزلة البقاء الثاني لنفسه فيظن انه جزئه وفي الخلق
والخلق مثله وكذا كل ما يريد لنفسه من الكمالات يريد له افضله ويفرح بترجيحه عليه وتفضيله عليه
عنده بمثابة ان يقال انه في الان افضل من السابق ومما يؤكد محبته له انه يرجو منه احياء صيته ومقاصده
ومطالبه في حيوته ومماته وليس محبة الاب للابن بل هو اضعف لفقد بعض الاسباب الباعثة له (الابن للاب محبة)
له ولذا امر الاولاد في الشريعة بحب الاباء دون العكس وكذا المحبة التي بين المعلم والمتعلم من هذا
القسم لان المعلم كالسبب القريب للحيوة الروحاني للمتعلم وافاضة الصورة الانسانية عليه كما ان
الاب كالسبب لحياته الجسمانية وتربية الصورية فهو والد روحاني له وبقدر شرافة الروح على
الجسم يكون المعلم اشرف من الاب وعلى هذا ينبغي ان يكون محبة المعلم ادون من محبة الموجد الحقيقي
واكثر من محبة الاب وقد ورد في الحديث ان اباءك ثلثة من ولدك ومن علمك ومن زوجك
وخير الاباء من علمك وسئل عن ذي القرنين ان اباك احب اليك ام معلمك قال معلمي احب
الي لانه سبب لحيوتي الباقية وابي سبب لحيوتي الفانية وقال امير المؤمنين ع من
علمني حرفا فقد صيرني عبدا وعلى هذا ينبغي ان يكون حب النبي صلعم وخلفائه الراشدين عليهم
اوكد من جميع اقسام الحب بعد محبة الله سبحانه لانه المعلم الحقيقي والمكمل الاول ولذا قال صلعم
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده التاسع محبة المتشاركين في سبب
واحد بعضهم لبعض كمحبة الاخوين اشد من محبة ابناء الاعمام مثلا ومن عرف الله وانتساب الكل
اليه وبلغ مقام التوحيد وعرف النسبة والربط الخاص الذي بين الله وبين مخلوقاته يحب
جميع الموجودات من حيث اشتراكه معها في الموجد الحقيقي ثم قد يجتمع بعض اسباب المحبة او اكثرها في شخص
واحد فيتضاعف الحب كما لو كان لرجل ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير
محسن الى والده والى الخلق كان حب والده له في غاية الشدة لاجتماع اكثر اسباب الحب فيه وربما احب
شخص اخر لوجود بعض اسباب الحب فيه من دون عكس لعدم تحقق سبب من اسباب الحب فيه وقد
يختلف فيهما اسباب الحب فيحب كل منهما الاخر من جهة ويكون قوة الحب بقدر قوة السبب فكلما
كان السبب اكثر واقوى كان الحب اشد واوكد **فصل** اعلم انه لا مستحق للحب غير الله سبحانه

الاخوان والاولاد في كلها كان التشخيص
[illegible] اذا كان [illegible]

ولا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا هو ولو كان غيره تعالى قابلا للحب ويتوضع اله فانما هو من حيث
نسبته اليه تعالى فمن احب غيره تعالى لا من حيث نسبته اليه فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله و
كيف يكون غيره سبحانه من حيث هو لا من جهة انتسابه اليه مستحقا للحب وهو في نفسه مع قطع
النظر عنه تعالى وعن انتسابه اليه الا العدم والعدم كيف يصلح للحب فينبغي ان يكون حبه لعموم
الخلق بعموم النسبة اي من حيث انها منه تعالى واثاره ومعلولاته واضوائه واظلاله ولخصوص
بعض الخواص الذين لهم خصوصية نسبة اليه تعالى كالحب في الانس والمعرفة والاطاعة لخصوص
النسبة ايضا ومما يوضح المطلوب ان جميع اسباب الحب مجتمعة في حق الله تعالى ولا توجد في غيره
حقيقة ووجودها في حق غيره وهم وتخيل ومجاز محض لا حقيقة له اما السبب الاول اعني محبة
النفس فمعلوم ان وجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له ولا وجود له من ذاته بل هو من حيث
ذاته ليس محض وعدم صرف فوجوده ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله والى الله
فهو المخترع له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بايجاد صفات الكمال فيه فهو صرف العدم
لولا فضل الله عليه بالايجاد وهالك بعد وجوده لولا فضله عليه بالابقاء وناقص بعد بقائه
لولا فضله عليه بالتكميل فليس في الوجود شيء له قوام بنفسه الا القيوم المطلق الذي هو قائم بذاته
ومقوم لغيره وح فمحبة كل شيء لنفسه يرجع الى محبة ربه وان لم يشعر المحب به وكيف يتصور ان يحب
الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه مع ان من احب الظل يحب بالضرورة الاشجار التي بها
قوام الظل ومن احب النور احب لا محالة الشمس التي بها قوام النور وكل ما في الوجود بالاضافة
الى قدرة الله تعالى كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس اذ الكل من اثار قدرته
ووجوده تابع لوجوده تعالى كالشمس بل هذا المثال انما هو للتفهيم بالاضافة الى اوهام العوام
حيث يتوهمون ان الظل والنور تابعان للشاخص والشمس وفايضان عنهما وعند التحقيق
ليس الظل والنور اثرين للشخص والشمس وموجودين بهما بل هما فايضان من الله تعالى موجودان
به بعد حصول الشرايط كما ان اصل الشخص والشمس وشكلهما وصورتهما وساير صفاتهما
منه تعالى وايضا
واما السبب الثالث اعني الالتذاذ والاحسان سواء كان متعديا الى المحب ام لا فمعلوم
انه لا لذة ولا احسان الا من الله تعالى ولا محسن سوى الله فانه خالق الاحسان وذويه وفاعل اسبابه و
دواعيه وكل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن فعاله وقطرة من بحار كماله وافضاله
واما الرابع اعني الحسن والجمال والكمال فلا ريب في انه تعالى هو الجميل بذاته والكامل بذاته وهو الجمال الخالص و

مطلب ان وجود الظل تابع لوجود الشخص ووجود النور تابع لوجوده

توضيح بانه تعالى هو الجميل المطلق في الكاملية بحسب الجمال الاول وكذا الكامل بحسب الجمال الثاني حقيقة

الكمال المطلق وحقيقتهما منحصرة به تعـ وما يوجد في غيره تعـ من الجمال والكمال لا يخلو عن شوائب الخلل والنقصان اذ النقص شامل لجميع الممكنات وانما يتفاوتون في درجات النقص وقد عرفت ان الجمال المعنوي اقوى من الجمال الصوري ومن كان من اهل البصيرة والكمال يكون حبه للجمال الباطن المعنوي اكثر واقوى من حبه للجمال الصوري وحقيقة الجمال المعنوي الذي هو وجوب الوجود وكمال العلم والقدرة والاستيلاء على الكل واستناد الجميع اليه منحصر بالله تعـ فاذا كان الجمال المشوب بالنقص محبوبا فكيف لا يكون الجمال الخالص البحت الذي لا يتصور جمال فوقه محبوبا بل المحبوب حقيقة ليس الا هو باده خاك آلوده ہان مجنون کند صاف اگر باشد ندانم چون کند على ان كل جميل بالجمال الظاهر الصوري او بالجمال الباطن المعنوي رشحة من رشحات جماله وكل كامل فكماله فرع كماله فكل من احب جميلا فهو احب خالقه وما احب احد غير الله تعـ لكنه احتجب عنه تحت وجود الاحباب في استار الاسباب هذا مع ان عمدة جمال المخلوقين انما هو علمهم بالله وبصفاته وافعاله وقدرتهم على اصلاح نفوسهم بازالة الرذائل والخبائث الشهوية المانعة عن التقرب الى الله تعـ وباتصافهم بمعالي الصفات وشرائفها المقربة الى الله وعلى اصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة ومعلوم ان هذه الامور اضافات الى الله سبحانه فحبها يرجع الى حبه تعـ واما الخامس اعني المناسبة الخفية والمجانسة المعنوية فلا ريب في ان للنفس الناطقة الانسانية مناسبة مجهولة خفية مع باريها وموجدها اذ هي شعلة من شعلات جلاله وبارقة من بوارق جماله ولذا قال الله سبحانه قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وقال إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً اذ لم يستحق آدم خلافة الله الا بتلك المناسبة وهذه المناسبة ينقطع العبد الى ربه ويعرفه عند ابتلائه بمصيبة وبلية وهذه المناسبة لا يظهر ظهورا تاما الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعـ لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع تزل فيه الاقدام حتى وقع قوم في التشبيه الظاهر وآخرون في الحلول والاتحاد واهل الحق الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والاتحاد وفساد طرفي التفريط والافراط واتضح لهم حقيقة السر وعرفوا تلك المناسبة واستقاموا عليها هم الاقلون ثم من المناسبة الظاهرة التي بين العبد وبين ربه هو قرب العبد من الله في الصفات الربوبية والاخلاق الالهية كالعلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق وارشادهم الى الحق الى غير ذلك

من الصفات الالهية ولذا قيل تخلقوا بالاخلاق الله ولا ريب فى ان كل ذلك يقرب الى الله ويصير مناسبا له واما العلية والمعلولية فلا مدخل لها فى باقى الاسباب فضعيفة نادرة اعتبارها فى حق الله نقص وقد ظهر مما ذكر ان اسباب الحب بجملتها متظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفى اعلى الدرجات لا ادناها ثم كل من يحب احدا من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه فى السبب والشركة نقصان فى الحب ولا يتصف احد بوصف محبوب الا ويوجد شريك له فيه والله سبحانه هو الذى لا يشاركه غيره فى اوصاف الكمال والجمال لا وجودا ولا امكانا فلا جرم لا يكون فى حبه شركة فلا يتطرق اليه نقصان كما لا يتطرق الشركة والنقصان الى اوصاف كماله فهو المستحق لاصل المحبة وكمالها ولا متعلق للمحبة الا هو الا انه لا يعرف ذلك الا العارفون من اوليائه واحبائه كما قال سيد الشهداء عليه السلام فى دعاء عرفة بقوله وَاَنْتَ الَّذِى اَزَلْتَ الْاَغْيَارَ عَنْ قُلُوبِ اَحِبَّائِكَ حَتّٰى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ وَلَمْ يَلْجَأُوا اِلٰى غَيْرِكَ فسبحان مَنِ احْتَجَبَ عَنْ اَبْصَارِ الْعُمْيَانِ غيرة على جماله اَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ اِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ الْحُسْنٰى الَّذِينَهُمْ عَنْ نَارِ الْحِجَابِ مُبْعَدُونَ وَتَرَكَ الْخَاسِرِينَ فِى ظُلُمَاتِ الْعَمٰى يَتِيهُونَ وَفِى مَسَارِحِ الْمَحْسُوسَاتِ وَشَهَوَاتِ الْبَهَائِمِ يَتَرَدَّدُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

تكميل قد صرح اساطين الحكمة بان الاشياء المختلفة لا يمكن ان يحصل بينها تشاكل وتالف تام حتى يحصل بينها التالف التام والتوحد الحقيقى فى الذوات والحقايق بحيث يرتفع عنها التغاير والاختلاف اذ التغاير من لوازم المادية واما الماديات فلا يمكن ان يحصل بينها هذا التالف والتوحد ولو حصل بينهما تالف وشوق فانما هو بلا فى السطوح والنهايات دون الحقايق والذوات وليس يمكن ان يبلغ مثل هذا الملاقاة الى درجة الاتحاد والاتصال فيحصل بينها الانفصال فالجوهر البسيط المودع فى الانسان اعنى النفس الناطقة اذا صفى عن الكدورات الطبيعية وتطهر عن الاخباث الجسمانية وتخلى عن حب الشهوات والعلايق الدنيوية انجذب بحكم المناسبة الى عالم القدس وحدث فيه شوق تام الى اشباهه من الجواهر المجردة ويرتفع منها الى ما هو فوق الكل ومنبع جميع الخيرات فيستغرق فى مشاهدة الجمال الحقيقى ومطالعة جمال الخير المحض ويبتهج فى انوار تجلياته القاهرة ويصل الى مقام التوحيد الذى هو نهاية المقامات فيفيض عليه من انواره ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على خاطر فيحصل

وجلاله

الاتحاد والمحبة واما الاشياء المتماثلة كالنفسين فيحصل بعضها الى بعض ويتصل بعضها ببعض ويحصل بينهما التالف والمحبة والوحدة والاتحاد والتوحيد [illegible] ذات جواهر بسيطة ليست [illegible] بعضها الى بعض فيحصل بينهما [illegible]

يله من البهجة واللذة ما يضمحل عنده كل بهجة ونعمة والنفس التي بلغت هذه المقام لا يتفاوت حالها كثيرا في حالتي التعلق بالبدن والتجرد عنه اذ استعمال القوى البدنية لا يصدها عن ملاحظة الجمال المطلق وما يتبعها من السعادة في الاخرة يحصل لها في هذه النشأة شعر

امروز دران كوش كه بينا باشي | حيران جمال آن دلارا باشي
شرمت بادا چو كودكان در شب عيد | تا چند در انتظار فردا باشي

نعم الشهود التام والابتهاج الصافي عن الشوب يتوقف على تجردها الكلي عن البدن فانها وان لاحظت بنور البصيرة في هذه النشأة جمال الوحدة الصرفة الآن ملاحظتها لا تخ عن شوائب الكدرة الناشية من الطبيعة فالصفاء التام يتوقف على التجرد الكلي لهذا اشتاق ابدا الى دفع هذا الحجاب وتقول

حجاب چهرهٔ جان ميشود غبار تنم | خوشا دمي كه ازين چهره پرده بر فكنم
چنين قفس نه سراي چو من خوش الحاني است | روم بگلشن رضوان كه مرغ آن چمنم

وهذه المحبة نهاية درجات العشق وغاية الكمال المتصورة لنوع الانسان وذروة مقامات الواصلين وغاية مراتب الكاملين فما بعدها مقام الا وهو ثمرة من ثمراتها كالانس والرضا والتوحيد ولا قبلها مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالصبر والزهد وسائر المقامات وهذا العشق هو الذي افرط العرفاء وارباب الذوق في مدحه وبالغوا في الثناء عليه نثرا ونظما وصرحوا بان غاية الاتحاد والكمال المطلق ولا كمال الا هو ولا سعادة الا به كما قيل

عشق است هر چه هست بگفتيم و گفته اند | عشقت بوصل دوست رساند بضرب دست

وقيل

دين و دانش عرض كردم جز محبت هر چه بردم سود در محشر نداشت | بس بحزني بر نداشت

فصل

اكثر اقسام المحبة فطرية طبيعية كمحبة المتناسبين والمتجانسين والعلة والمعلول ومحبة الجمال وغير ذلك والاتحادي الكسبي منها قليل كمحبة المتعلم للمعلم وربما امكن ارجاعه ايضا الى الطبيعي واذا كان الحب طبيعيا فالاتحاد الذي من مقتضياته يكون ايضا طبيعيا فيكون لذلك افضل من العدالة التي تقتضي الاتحاد الصناعي ثم مع وجود المحبة لا احتياج الى العدالة اذ هو فرع الكثرة المحوجة الى الاتحاد القسري فمع وجود الاتحاد الطبيعي لا يقع الاحتياج اليه وقد صرح قدماء الحكماء بان قوام الموجودات وانتظامها بالمحبة والمحبة الفطرية ثابتة بينها وليس شيء من الموجودات خاليا عنها كما انه ليس شيء منها خاليا عن الوجود والوحدة وقد صرحوا بانه كل الوحدة فهو سار في جميع الكائنات من الافلاك والعناصر والمركبات اذ

الحب الشوق الى التشبه بالفاعل رقص الافلاك وادار رحاها بسم الله مجريها ومرسيها والحب
هو سبب ميل العناصر الى اجسادها الطبيعية وميل المركبات بعضها الى بعض شعر

سر حب ازلي بر همه اشيا ساريست ورنه بر گل نزدی بلبل بیدل فریاد

ثم لما كانت المحبة التي هي ظل الوحدة مقتضيا للبقاء والكمال وضده موجبا للفساد والاختلال
ولكل منهما مراتب ودرجات فيختلف الموجودات بحسبهما في درجات الكمال والنقصان
والمتاخرون خصوا الحب بذوي العقول فلا يطلقون اسم الحب على ميل العناصر الى مراكزها
وميل المركبات بعضها الى بعض كميل الحديد الى المغناطيس ولا اسم الكراهة والبغض على المنافرة التي
بينها كمنافرة الحجر الباغض للخل من الخل بل يسمونها بالميل والهرب وكذا الموافقة والمعاداة الشبيهة (الباعد من الخل من الخل)
اللتين بين العجم من الحيوانات لا يطلقون عليها اسم الحب والبغض بل يسمونها بالالف والتنفرة

فصل فظهر بما ذكر ثبوت حقيقة المحبة ولوازمها من الشوق والانس لله تعالى وانه
المستحق للحب دون غيره وبذلك ظهر فساد زعم من انكر امكان حصول محبة العبد لله تعالى و
انه المستحق فالامعنى لها الا المواظبة على طاعة الله واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس و
المثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم الحب وتوابعه
ويدل على فساد هذا القول مضافا الى ما ذكر اجماع الامة على كون الحب لله ولرسوله فرضا
وما ورد في الآيات والاخبار والآثار من الامر به والمدح عليه واتصاف الانبياء والاولياء
به وحكايات المحبين وقد بلغ من الكثرة والصراحة حدا لا يقبل الكذب والتاويل فمن شواهد
القرآن قوله تعالى يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وقوله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وقوله تعالى قُلْ إِنْ كَانَ
آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ الى قوله أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الآية
واما الاخبار والآثار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وقال صلى الله عليه وآله الحب من شروط الايمان وقال صلى الله عليه وآله احبوا الله لما
يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله وقد نظر صلى الله عليه وآله الى بعض اصحابه مقبلا وعليه اهاب كبش
فقال صلى الله عليه وآله انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه
باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون وقال صلى الله عليه وآله في دعائه
اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ مَنْ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ وَاجْعَلْ حُبَّكَ
أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه لقبض

خاتمة ثمرة في ذكر المأثور عن الأنبياء في حكايات الأنبياء عليهم الرحمة وغيرهم في محبة الله

روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله عز وجل هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا
ملك الموت الآن فاقبض وأوحى الله إلى موسى ع يا ابن عمران كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل
نام عني أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها أنا ذا يا ابن عمران مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل
حولت أبصارهم من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني
عن الحضور يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع في
ظلم الليل فإنك تجدني قريبا وروي أن عيسى ع مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم
فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف
ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا
الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم
أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا حب
الله عز وجل فقال أنتم المقربون وفي بعض الروايات أنه ع قال للطائفتين الأوليين مخلوقا
خفتم ومخلوقا رجوتم وقال للطائفة الثالثة أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم وقال
رسول الله ص إن شعيبا ع بكى من حب الله عز وجل حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي
فرد الله عليه بصره فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك إن
يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك وإن يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك فقال إلهي وسيدي
أنت تعلم أني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست
أصبر أو أراك فأوحى الله أما إذا كان هذا هكذا فسأخدمك كليمي موسى بن عمران وروي
أنه جاء أعرابي إلى النبي ص فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ص ما أعددت لها أكثر صلوة
ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له النبي ص المرء مع من أحب وفي أخبار داود قل لعبادي
المتوجهين إلى محبتي ما ضركم إذا احتجبت عن خلقي إذ رفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا
إلي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذ بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق إن
التمستم رضاي وفيها أيضا يا داود إنك تزعم أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا عن قلبك
فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب وقال أمير المؤمنين ع في دعاء كميل فهبني يا إلهي
وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك وقال ع
إن لله تعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طربوا وإذا طربوا طابوا وإذا طابوا ذابوا

قال ما أعددت لها

روحي

واذا ذابوا خلصوا واذا خلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا وصلوا واذا وصلوا (اتصلوا)
واذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم وقال سيد الشهداء في دعاء عرفة انت الذي
ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك وقال ع
يا من اذاق احبائه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين وفي المناجاة الانجيلية
المنسوبة الى سيد الساجدين ع وعزتك لقد احببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها
وانست نفسي ببشارتها ومحال في عدل اقضيتك ان تسد اسباب (ابواب) رحمتك عن معتقدي
محبتك وفي مناجاته الاخرى الهي فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق اليك في
حدائق صدورهم واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم ثم قال والحقنا بعبادك الذين هم
بالبدار اليك يسارعون وبابك على الدوام يطرقون واياك في الليل والنهار يعبدون
وهم من هيبتك مشفقون الذين صفيت لهم المشارب وبلغتهم الرغائب وملأت
ضمائرهم من حبك ورويتهم من صافي شرابك فبك الى لذيذ مناجاتك وصلوا ومنك
على اقصى مقاصدهم حصلوا ثم قال فقد انقطعت اليك همتي وانصرفت نحوك رغبتي فانت لا غيرك مرادي
ولك لا سواك سهري وسهادي ولقائك قرة عيني ووصلك منى نفسي واليك شوقي وفي
محبتك ولهي والى هواك صبابتي ورضاك بغيتي ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبتي وقربك
غاية سؤلي وفي مناجاتك روحي وراحتي وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي و
كشف كربتي ثم قال ولا تقطعني عنك ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ودنياي وآخرتي وقال ع
ايضا الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى
عنك حولا الهي فاجعلني ممن اصطفيته لقربك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك
وارضيته بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك ثم قال
وهيمت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك واخليت وجهه لك وفرغت فؤاده لحبك ثم
قال اللهم اجعلنا ممن دابهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين وجباههم
ساجدة لعظمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك وافئدتهم منخلعة
من هيبتك يا من انوار قدسه لابصار محبيه رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه
شائقة يا منى قلوب المشتاقين ويا غاية آمال العارفين (المحبين) اسئلك حبك وحب من
يحبك وحب كل عمل يوصل الى قربك وان تجعلك احب اليّ ممن سواك وقال ع ايضا الهي

وملاك

ما الله [?]

بقية كلمات الصادقين عن حب الله تعالى مع الحكايات التي تتعلق بما في قلوبهم وعلى طلب تلك المحبة

ما الذّ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما احلى المسير اليك في مسالك الغيوب وما اطيب
طعم حبك وما اعذب شراب قربك وقال عليه السلام وغلتي لا يبردها الا وصلك ولوعتي لا يطفيها
الا لقائك وشوقي اليك لا يبله الا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك
ولهفتي لا يردها الا روحك وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي لا يزيله الا قربك وجرحي لا يبرئه
الا صفحك وصدى (ورين) قلبي لا يجلوه الا عفوك ووسواس صدري لا يزيحه الا امرك وقال
الصادق عليه السلام حب الله اذا اضاء على سر عبد اخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله والمحب اخلص الناس سرا
لله واصدقهم قولا واوفاهم عهدا وازكاهم عملا واصفاهم ذكرا واعبدهم نفسا يتباهى الملائكة
عند مناجاته ويفتخر برؤيته وبه يعمر الله بلاده وبكرامته يكرم الله عباده يعطيهم اذا سئلوه (بحقه)
ويدفع عنهم البلاء برحمته فلو علم الله الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا الى الله
الا بتراب قدميه وقال امير المؤمنين عليه السلام حب الله نار لا يمر على شيء الا احترق ونور الله لا (يطلع)
على شيء الا اضاء وسماء الله ما ظهر من تحته شيء الا غطاه وريح الله ما تهب في شيء الا حركته
وماء الله يحيي به كل شيء وارض الله ينبت منها كل شيء من الملك والملك وقال النبي صلى الله عليه وآله
اذا احب الله عبدا من امتي قذف في قلوب اصفيائه وارواح ملائكته وسكان عرشه محبته
ليحبوه فذلك المحب حقا طوبى له ثم طوبى له وله عند الله شفاعة يوم القيمة الى هنا كلام الصادق عليه السلام
وما ورد في الحب من الاخبار والادعية المعصومية اكثر من ان يحصى وحكايات العشاق والمحبين لم تبلغ
من الكثرة والتواتر حدا يمكن انكاره وقد روي ان داود عليه السلام سئل ربه ان يريه بعض اهل محبته
فقال له ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وكهول ومشايخ واذا اتيتهم فاقرئهم
مني السلام وقل لهم يقول ربكم الا تسئلوني حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح
لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله وملكوته
فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال لهم داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة
ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود ربكم يقرئكم
السلام ويقول لكم الا تسئلوني حاجة الا تنادوني فاسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي
واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة
ولما قال لهم داود ذلك جرت الدموع على خدودهم وسبح الله كل واحد منهم وحمده وناجاه بكلمات
تدل على احتراق قلوبهم من الحب والشوق **فصل** فقد عرفت ان الحب هو الميل الى الشيء

ظ الصادقين

الملذ الملائم للمدرك والابتهاج بادراك الملائم ونيله واللذة هو نفس ادراك الملائم الملذ
ونيله وهذا الادراك ان كان متعلقا بالقوة العاقلة اي ان كان المدرك هو القوة العاقلة عبر عنه بالعلم والمعرفة وقد عرفت انه اقوى
واشد واشرف من الادراكات الحسية التي هي الابصار والاستماع والذوق والشم واللمس ثم هذا
الادراك اعني العلم والمعرفة يختلف ايضا في الشرافة والكمال بحسب شرافة المدرك اي المعلوم فكلما
كان المدرك اجل واشرف كان الادراك اي المعرفة به اجل واشرف واعلى ولا ريب في ان الواجب سبحانه
اشرف الموجودات واجلها فالمعرفة به اعلى المعارف واشرفها ويثبت من ذلك ان اجل اللذات
واعلاها هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم ولا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم
هذه اللذة وبيان ذلك بوجه اوضح ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى
والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها عبارة عن نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فغريزة
الغضب لما خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام وغريزة الشهوة لما
خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء وكذلك لذة السمع و
البصر والشم في الاستماع والابصار والاستشمام وغريزة العقل المسمى بالبصيرة الباطنة خلقت ليعلم بها
حقائق الاشياء كلها فلذتها في العلم والمعرفة والعلم لكونه منتهى الكمال واخص صفات الربوبية
يكون اقوى اللذات والابتهاجات ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه
يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به والتحقيق ان الادراك والنيل
الذي هو الكمال ليس الا العلم وساير الادراكات اعني نيل الغلبة والغذاء والاستماع والابصار
والاستشمام لا يعد كمالا ثم ليس لذة كل علم واحدة فان لذة العلم بالحراثة والخياطة والحياكة ليس كلذة
العلم بسياسة الملك وتدبير امور الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر والتواريخ كلذة العلم
بالله وبصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم و
شرف العلم بقدر شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاشرف الاجل والاعظم والاكمل
فالعلم به الذ العلوم واشرفها واكملها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اعلى واجمل
واشرف واكمل من خالق الاشياء كلها ومقومها ومكملها ومربيها ومبدئها ومعيدها ومدبرها
ومرتبها وهل يتصور ان يكون احد في الملك والكمال والعظمة والجلال والقدرة والجمال والبهاء والكبرياء
اعظم ممن فاته في صفات الكمال ونعوت الجلال فوق التمام وقدرته وعظمته وملكه وعلمه في
غير متناهية فان كنت لا تشك في ذلك فينبغي ان لا تشك في ان لذة المعرفة به اقوى من ساير اللذات

فائدة في تمييز اللذات واثبات ان المعرفة الذ من اللذات

لمن له البصيرة الباطنة وعزيزة المعرفة فان اللذات مختلفة اولاً بالنوع كمخالفة لذة الوقاع ولذة السماع
ولذة المعرفة ولذة الرياسة وكل نوع مختلف بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من
الجماع ولذة الفاتر الشهوة منه وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل ولذة النظر الى الوجه الا
ومخالفة لذة النظر الى الوجه الاجمل ويخالفه لذة العلم باللغات ولذة العلم بالسماويات و
يعرف اقوى اللذتين من اضعفهما بان يؤثر عليه فان المخير بين النظر الى صورة جميلة وبين استنشاق
روائح اذا الاول كان عنده الذ من الثاني والمخير بين الاكل واللعب بالشطرنج اذا اختار اللعب
كان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل وهذا معيار في الكشف عن ترجيح اللذات
ونحن نقول لا ريب في ان المعاني واللذات الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو
خير الرجل بين لذة اكل المطاعم الطيبة ولذة الرياسة والاستيلاء فان كان عالي الهمة كامل
العقل اختار الرياسة وترك الاكل وصبر على الجوع اياما كثيرة فضلاً عن مدة قليلة نعم ان كان
خسيس الهمة ميت القلب ناقص العقل والبصيرة كالصبي والمعتوه ربما اختار لذة الاكل وفعل مثله
ليس بحجة ثم كما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب وارجح من اللذات الحسية عند من جاوز نقصان
الصبي والسفاهة فكذلك لذة المعرفة بالله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية الذ عنده من لذة الرياسة
بشرط ان يكون ممن ذاق اللذتين وادركهما فلو كان من لم يذق لذة المعرفة بالله لم يكن اهلاً
للترجيح ومحلاً للكلام لاختصاص لذة المعرفة بمن نال رتبتها وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند
من ليس له قلب كما لا يثبت له لذة الابصار عند الاعمى ولذة الاستماع عند الاصم ولذة الوقاع عند
العنين ولذة الرياسة عند الصبي والمعتوه وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوس كيف يؤمن
بلذة النظر الى وجه الله وليس له شبه وشكل وصورة وتحقيقه الحال كما قيل من ذاق عرف فمن ذاق
اللذتين يترك لذة الرياسة قطعاً ويستحقر اهلها لكونها مشوبة بالكدورات ومقطوعة بالموت
ويختار لذة المعرفة بالله ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين
فانها خالية عن الانقطاع والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا يضيق بكثرتهم دائماً وعرضها
من حيث التفهيم والتمثيل اعظم من السموات والارض ومن حيث الواقع ونفس الامر فلا نهاية
لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها ومشاهدتها في جنة غير متناهية الاطراف والاقطار
يرتع في رياضها ويكرع في حياضها ويقطف من ثمارها وهو امن من انقطاعها اذ ثمارها
غير مقطوعة ولا ممنوعة بل هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم النفس انما

التي هي محل المعرفة وانما يقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من جنسها فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض بل اقطار عالم الربوبية التي هي غير متناهية ميدان للعارفين يتبوّؤن منها حيث يشاؤن من غير حاجة الى حركة اجسامهم ومن غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة ميادينهم بحسب تفاوتهم في اتساع الانظار وسعة المعارف ولكل درجات مما عملوا ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم ومن عرف هذه اللذة البحتة همومه وشهواته وصار قلبه مستغرقا بنعيمها ولا يشغله عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف يشغله عنه لذات الدنيا وعلائقها وكان في الدنيا والآخرة مشغولا بربه فلو القي في النار لم يحس به لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية ولعل سيد الرسل عبر عن هذه اللذة اي لذة مطالعة جمال الربوبية حيث قال حاكيا عن الله سبحانه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذه اللذة هي المرادة من قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وربما تعجل بعض هذه اللذات لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية مع ذلك لا يخلو عن توسط بعض الحجب المانعة عن الوصول الى كنهها ما لم يحصل التجرد الكلي وخلع البدن العنصري ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب هل رأيت جليسا ينادي جليسه ثم من عرف الله وعرف حقيقة هذه اللذة عرف ان اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة منطوية تحت هذه اللذة كما قيل

كانت لقلبي اهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك القلب اهوائي

فصار يحسدني من كنت احسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

فصل

اعلم ان معرفة الله اذا حصلت في الدنيا لم تكن خالية عن كدورة ما كما اشير اليه الا انه اذا اكتسب صاحبها في الدنيا فيزيدها في الآخرة انكشاف وجلاء بقدر صفاء القلوب وزكائها وتجردها عن العلائق الدنيوية الى ان يصير اجلى واظهر من المشاهدة بمراتب فالاختلاف بين ما يحصل في الدنيا من المعرفة وما يحصل في الآخرة من المشاهدة واللقاء انما هو بزيادة الانكشاف والجلاء مثال ذلك ان من راى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بين حالتي غض العين وفتحها ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لاتحادهما بل لا افتراق انما هو بمزيد الكشف والوضوح فالصورة المتخيلة صارت بالرؤية اتم انكشافا فاذا الخيال اول الادراك والرؤية استكمال لادراك الخيال وهي غاية الكشف

الميزان بين درجات وتبيين الموت المتعين وتهان
تقريب للنسبة المعرفة النفوس بعد لابد من

لا لانها بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المتجلي في العين في الصدر او الجبهة او اي عضو فرض استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات اي المدركات التي يتخيل في الخيال من الصور والاجسام فقس عليه الحال في المعلومات اي ما يدرك بالعقل ولا يتخيل في الخيال كذات الباري وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها فان لمعرفتها وادراكها ايضا درجتين احدهما اول والثانية استكمال له وبينهما من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثانية بالاضافة الى الاولى لقاء ومشاهدة ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف الذي هو الرؤية في المتخيلات فكذلك سنته ان النفس ما دامت محجوبة بالبدن وعوارضه وشهواته لم يحصل لها تمام الكشف الذي هو المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال فاذا ارتفع بالموت حجاب البدن وخلصت النفس لم يكن بعد في غاية التنزه عن كدورات الدنيا بل كانت ملوثة بها الا ان النفوس مختلفة في ذلك فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل وهذه النفوس غير متناهية الدرجات والمراتب اذ التلوث بالكدورات عرض عريض في الواقع بين الرين والطبع وبين التزكية التامة والتجرد الكلي الذي لم يكن فيه شوب من الكدورات وهذه النفوس المتلوثة على اختلاف درجاتها ومراتبها يحتاج الى التطهير ليستعد للمشاهدة واللقاء بتجلي الحق فيها وتطهيرها انما هو بنوع عقوبة من العقوبات الاخروية وهي كمراتب التلوث غير متناهية الدرجات واولها سكرة الموت واخرها الدخول في النار وما بينهما عقوبات البرزخ واهوال القيمة بانواعها فكل نفس لا بد لها من عقوبة من هذه العقوبات ليتطهر من كدوراتها فمنها ما يتطهر بمجرد سكرة الموت وشدة النزع ومنها ما يتطهر بها وببعض عقوبات البرزخ ومنها ما لا يتطهر الا بان يذوق بعض عقوبات الاخرة ومنها ما لا يحصل تطهيره الا بالعرض على النار عرضا يقمع منها الخبث الذي تدنست به فربما كان ذلك في لحظة خفيفة وربما كان سبعة الاف سنة كما ورد به الاخبار وربما كان اقل او اكثر ولا يعلم تفصيل ذلك الا الله سبحانه والمحجوبون الذين بلغوا حد الرين والطبع يكونون مخلدين في النار ثم النفوس القابلة للتطهير اذا كمل تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله استعدت لصفائها ونقائها عن الكدورات لان يتجلى فيها جلية الحق فيتجلى فيها تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمته وعرفته كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى المتخيلات وهذه المشاهدة والتجلي

بيان ان المعرفة في الدنيا بذر المشاهدة في الاخرة فلا يفوز بدرجة المشاهدة الا العارفون

يسمى رؤية لانه في الظهور والجلاء والوضوح والانكشاف كالرؤية بالبصر بل فوقه بمراتب شتى اذ الرائي في الاول العقل وفي الثاني البصر وشتان ما بينهما فان الاختلاف في مراتب الادراك والرؤية بحسب اختلاف نورية المدرك واي نسبة لنورية البصر الى نورية العقل واشراقه وما للعقل من النفوذ في حقائق الاشياء وبواطنها اني يكون للبصر وقد ظهر بما ذكر انه لا يفوز بدرجة الرؤية و المشاهدة الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والبذر زرعا ومن لا نواة له كيف يحصل له النخل ومن لم يلق البذر كيف يحصد الزرع فمن لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ومن لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في العقبى اذ لا يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه في الدنيا فلا يحصد المرء الا ما زرع ولا يحشر الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة يكون التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذور اذ يختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وجودتها ورداءتها وقوتها وضعفها ثم كلما كان التجلي والمشاهدة اقوى وكلما كان الحب والانس ازيد كان ما يترتب عليه من البهجة و اللذة اعلى واقوى ويبلغ هذه اللذة مرتبة لا يؤثر عليها لذة اخرى من نعيم الجنة بل ربما يبلغ حدا يتأذى من كل نعيم سوى لقاء الله ومشاهدته فالنعمة والبهجة في الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قيل اللقاء والمشاهدة ان كان زيادة كشف للمعرفة حتى يتحقق بين لذة الرؤية وبين لذة المعرفة نسبة لكان لذة اللقاء والرؤية قليلة وان كانت اضعاف لذة المعرفة اذ هي في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى اي حد فرض لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر في جنبها ساير لذات الجنة ونعيمها قلنا هذا الاستحقار والتقليل للذة المعرفة باعثه عدم المعرفة او ضعفها فان من خلا عن المعرفة او كانت له معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا لا يدرك لذتها فمن كملت معرفته وصفت عن علائق الدنيا سريرته فوجد بهجة واشد لذة بحيث لا يوازيها لذة فان للعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله عز وجل ابتهاجات ولذات لو عرض عليهم الجنة ونعيمها في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوها بها ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استشمام روائح الاطعمة الطيبة الى ذوقها واكلها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع ومما يوضح ذلك ان لذة النظر الى وجه المعشوق يتفاوت بامور احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه وثانيها كمال قوة الحب والشهوة و ضعفه

وثالثها

توضيح التفاوت بين لذة المعرفة بحسب اختلاف الاستعداد ودرجاتها

وثالثها كمال الادراك وضعفه فان الالتذاذ برؤية المعشوق في ظلمة او في بعد او من وراء ستر رقيق ليس كالالتذاذ برؤيته على قرب من غير ستر عند كمال الضوء ورابعها عدم الآلام الشاغلة والعوائق المشوشة ووجودها فان التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق ليس كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتألم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فلو كان العاشق ضعيف الحب ناظرا الى معشوقه على بعد ومن وراء ستر رقيق مشغول القلب بمهمات متهجما عليه حيات وعقارب تؤذيه وتلدغه لم يكن خاليا عن لذة ما في هذه الحالة من مشاهدة معشوقه الا انه اذا فرض ارتفاع الستر واشراق الضوء و اندفاع الحيات والعقارب المؤذية وفراغ قلبه من المهمات وحدثت عشق مفرط وشهوة قوية بحيث بلغت اقصى الغايات تضاعفت لذته بحيث لم يكن للذة الاولى نسبة اليها بوجه فكذلك الحال في لذة المعرفة في الدنيا مع حجاب البدن والاشتغال بمهماته ومع تسلط حيات الشهوات وعقاربها من الجوع والعطش والشبق والغضب والحزن والهم ومع ضعف النفس وقصورها ونقصانها في الدنيا عن الشوق الى الملاء الاعلى لالتفاتها الى اسفل السافلين الى لذة اللقاء والمشاهدة التي يزول فيها جميع ذلك عن النفس العارفة لعدم خلوه في الدنيا عن هذه العوائق والمشوشات وان قويت معرفته لا يمكن ان تكمل لذته ويصفو بهجته وان ضعفت عوائقه ومشوشاته في بعض الاحوال و سانحا لاح له من جمال المعرفة ما تعظم لذته وبهجته ويدهش عقله بحيث يكاد القلب ينفطر لعظمته الا ان ذلك كالبرق الخاطف ولا يمكن ان يدوم اذ الخلو عن العوائق والمشوشات ليس يمكن ان يدوم بل هو آني ويعرض بعد الآن من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة قائمة في هذه الحيوة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحيوة الطيبة بعده وانما العيش عيش الآخرة فان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ولذا كل عارف كملت معرفته في الدنيا واحب لقاء الله يحب الموت ولا يكرهه الا من حيث ارادة زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كما عرفت بمنزلة البذر وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته قويت المشاهدة و اشتدت وكثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا ريب في ان المعرفة لا ينتهي الى مرتبة لا يكون فوقها مرتبة اذ بحر المعرفة لا ساحل له والاحاطة بكنه جلال الله محال فالعارف وان قويت معرفته ربما احب طول العمر وكره الموت ليزداد معرفته ثم اهل السنة قالوا ان الرؤية في الآخرة مع تنزهها عن التخييل والتصوير والتقدير بالشكل والصورة والتحديد بالجهة والمكان تكون بالعين دون القلب وهو عندنا باطل اذ الرؤية بالعين محال في حق الله تعالى سواء

اثبات رؤيته تعـ ونفيها وابطال حجة اهل السنة وذكر المنافية في تجويزه بمعنى لا ينافي الاخبار

في الدنيا والآخرة فكما لا يجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر فكذا لا يجوز في الآخرة وكما يجوز رؤيته في الآخرة في العقل والبصيرة لاهل البصائر اعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث يتادى الى المشاهدة واللقاء فكذلك يجوز رؤيته رؤيته في الدنيا بهذا المعنى والحجاب بينه وبين خلقه ليس الا الجهل وقلة المعرفة دون الجسد فان العارفين واولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم ومنظر افهامهم وان كان الحاصل في الآخرة ازيد انكشافا واشد انجلاء بحسب زيادة صفاء النفوس وذكائها وتجردها عن العلائق الدنيوية كما تقدم مفصلا وقد ثبت ذلك من ائمتنا الراشدين العارفين باسرار النبوة روى شيخنا الاقدم محمد بن يعقوب الكليني وشيخنا الصدوق محمد بن علي بن بابويه رحمهما الله باسنادهما الصحيح عن الصادق عليه السلام انه سئل عما يروون من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر فان كانوا صادقين فليملئوا اعينهم من الشمس ليس دونها سحاب وباسنادهما عن احمد بن اسحق كتبت الى ابي الحسن الثالث عـ اسئله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس فكتب لا يجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فاذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم يصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه وكان ذلك التشبيه لان الاسباب لا بد من اتصالها بالمسببات وعن ابي بصير عن الصادق عـ قال قلت له اخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيمة قال نعم وقد راوه قبل يوم القيمة فقلت متى قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال ان المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا قال ابو بصير فقلت له جعلت فداك فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا احدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون وسئل امير المؤمنين عـ هل رايت ربك حين عبدته فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل وكيف رايته قال ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن راته القلوب بحقائق الايمان وقال سيد الشهداء عـ كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا وقال عـ ايضا تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وقال تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء

... السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه

فانه

الهداية الى طريق تحصيل المحبة وتقويتها وبيان طرق تحصيل المعرفة الاعلى منها والادنى

فصل فانّ الظاهر لكلّ شيء وامثال ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام اكثر من ان تحصى
الطريق الى تحصيل محبة الله وتقويتها ثم اشتداد الرؤية واللقاء امران احدهما تطهير القلب من
شواغل الدنيا وعلائقها والتبتّل الى الله بالذكر والفكر ثم اخراج حبّ غير الله من القلب اذ
القلب مثل الاناء الذي لا يسع الماء مثلا ما لم يخرج منه الخل وما جعل الله لرجل من قلبين في
جوفه وكمال الحبّ في ان يحبّ الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره وبقدر
ما يشتغل بغير الله ينقص منه حبّ الله الّا ان يكون التفاته الى الغير من حيث انه صنع الله تعالى وفعله ومظهر من
مظاهر اسماء الله تعالى والى هذا التجريد والتفريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وثانيهما تحصيل
معرفة الله وتقويتها وتوسيعها وتسليطها على القلب والاول اعني قطع العلائق بمنزلة تنقية
الارض من الحشائش والثاني اي المعرفة بمنزلة البذر فيها ليتولّد منه شجر المحبة ثم لتحصيل المعرفة
طريقان احدهما الاعلى وهو الاستدلال بالحق على الخلق وذلك بان يعرف الله بالله ويعرف به
غيره اي افعاله وآثاره والى هذا اشير في الكتاب الالهي بقوله او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
وهذا الطريق غامض صعب على الاكثرين وقد اشرنا الى كيفيته في بعض كتبنا الالهيات و
ثانيهما وهو الادنى الاستدلال بالخلق على الحق سبحانه وهذا الطريق في غاية الوضوح و
اكثر الافهام يتمكن من سلوكه وهو متسع الاطراف ومتكثر الشعوب والاكناف اذ ما من ذرة
من اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات وغرائب بينات تدل على وجود
الواجب وكمال قدرته وغاية حكمته ونهاية جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وعدم وصول بعض الافهام
من هذا الطريق الى معرفة الله مع وضوحه انما هو للاعراض عن التفكر والتدبر والاشتغال
بشهوات الدنيا وحظوظ النفس ثم سلوك هذا الطريق اي الاستدلال على الله تعالى وعلى
كمال قدرته وعظمته بالتفكر في الآيات الآفاقية والانفسية خوض في بحار لا ساحل لها اذ عجائب
ملكوت السموات والارض مما لا يمكن ان يحيط به الافهام فان القدر الذي يبلغه افهامنا
القاصرة من عجائب حكمته الباهرة ينقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى
ما احاط به علم العلماء ولا نسبة له الى ما احاط به علم الانبياء ولا نسبة له اليها احاط به علم
الخلائق كلهم الى ما استأثر الله بعلمه بل كلما عرفه الخلائق جميعا لا يستحق ان يسمى علما في جنب
علم الله ونحن قد اشرنا الى المعدود اليسيرة من عجائب حكمته المودعة في بعض مخلوقاته في مبحث التفكر

فصل اعلم ان المؤمنين جميعا مشتركون في اصل محبة الله لاشتراكهم في اصل الايمان ولكنهم متفاوتون في قدرها وسبب تفاوتهم امران احدهما اختلافهم في المعرفة وحب الدنيا فان اكثر الناس ليس لهم من معرفة الله الا ما قرع اسماعهم من كونه متصفا بصفات كذا وكذا من دون وصول الى حقيقة معناها والا اعتقادهم بان الموجودات المشاهدة صادرة عنه من غير تدبر في عجائب القدرة وغرائب الحكمة المودعة فيها واما العارفون فلهم الخوض في بحر التفكر والتدبر في انواع المخلوقات واستخراج ما فيها من الحكم الخفية والمصالح العجيبة التي كل واحد منها كمشعلة في ازالة ظلمة الجهل والهداية الى كمال عظمة الله ونهاية جلاله وكبريائه فمثل الاكثرين كمثل عامي احب عالما بمجرد استماعه انه حسن التصنيف من دون علم ودراية بما في تصانيفه فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسنه ميل مجمل ومثل العارفين كمثل عالم فتش عن تصانيفه واطلع على ما فيها من دقائق المعاني وبلاغة العبارات ولا ريب في ان العالم بجملة صنع الله وتصنيفه فمن عرف ذلك مجملا يكون له محبته بحسبه مجملة ومن وقف على ما فيه من عجائب القدرة ودقائق الحكمة يكون له غاية الحب وكلما ازداد معرفته بوجوه الحكم والمصالح المودعة في كل مخلوق ازداد حبه فمن اعتقد ان ما يبنيه النحل من البيوت المسدسة انما هو بالهام الله اياها من غير استعداد لفهم الحكمة في اختيار الشكل المسدس على سائر الاشكال لا يكون في معرفة الله وادراك عظمته وحكمته كمن يفهم ذلك ويتقنه ثم كما ان دقائق الحكم وعجائب القدرة غير متناهية وكل عبد ينتهي الى مرتبة تقتضيها معرفته وقابليته اختلافهم في الاسباب المذكورة للحب فان من يحب الله لكونه منعما عليه ومحسنا اليه ضعفت محبته لتغيرها بتغير الانعام والاحسان ولا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرخاء والنعماء واما من يحبه لذاته او بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه

فصل عجبا لاقوام عميت قلوبهم عن معرفة الله سبحانه مع ان الله تعالى اظهر الموجودات واجلاها لان البديهة العقلية قاضية بانه يجب ان يكون في الوجود موجود قائم بذاته اي ما هو صرف الوجود ولولاه لم يتحقق موجود اصلا فتحقق صرف الوجود القائم بذاته المقوم لغيره اظهر واجلى من تحقق كل موجود بغيره عند البصيرة الصافية قال الله سبحانه الله نور السموات والارض والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ومبدأ الادراك من المدرك انما هو الوجود فكلما ادرك انما يدرك اولا وجوده وان لم يشعر بذلك ولا ريب في ان الظاهر بنفسه اظهر من الظاهر بغيره وايضا كل موجود سوى الله سبحانه نعلم وجوده بقليل من الاثار فان وجود الحيوة لزيد مثلا لا يدل

بيان السبب في خفاء الله تعالى مع شدة ظهوره في كل شيء وذكر ما يتعلق بالمقام

عليه إلا حركته وتكلمه وبعض آخر من أعراض نفسه ولا يدل عليه شيء آخر من سائر الموجودات وكذا
وجود الأسماء مثلاً لا يدل عليه سوى وجود نفسها وجسمها وحركتها ولا يدل شيء آخر عليه من الموجودات
التي تحتها أو فوقها وأما وجود الواجب فيدل عليه كل شيء إذ ليس في الوجود مدرك محسوس
أو معقول وحاضر أو غائب إلا وهو شاهد ومعرف لوجوده فالسبب في خفائه مع كونه أجلى وأظهر
من كل شيء غاية وضوحه وظهوره فإن شدة ظهور الشيء قد يكون سبباً لخفائه لأنه يكل المدارك
ويحيرها فشدة ظهوره سبحانه بلغت حداً أبهرت العقول وأدهشتها فضعفت عن إدراكه وهذا
كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره بل لشدة ظهوره وضعف
بصر الخفاش فإن بصره ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرق فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره
سبباً لامتناع إبصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا
ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول
حتى لم يشذ من ظهوره ذرة من ملكوت السماوات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان
من احتجب بإشراق نوره واختفى عن العقول والبصائر بشدة ظهوره فإن الأشياء إنما تستبان
بأضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها على الله
دون بعض أدركت التفرقة على قرب لما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله
نور الشمس المشرق على الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة
الشمس فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها لكنا نظن أن لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها
وهي السواد والبياض وغيرهما وأما الضوء فلا ندركه وحده لكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع
أدركنا تفرقة بين الحالتين فعلمنا أن الأجسام قد استضاءت بضوء فارقها عند الغروب فعرفنا
وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام
متشابهة غير مختلفة في النور والظلام هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات
فما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره انظر كيف استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فإذن واجب
الوجود لذاته هو أظهر الأشياء وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت
السماوات والأرض وبطل الملك والملكوت وأدركت التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الأشياء
موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة
في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورث شدة الظهور

من علائم المحبة تمني الموت لتوقف هذه عليه وايثار العبد مراد الله على مراده

من علائم المحبة

خفاء كما قيل — خفي لافراط الظهور تعرضت — لادراكه ابصار قوم اخافش
وحظ عيون الزرق من نور وجهه — لشدته حظ العيون العوامش

قال امير المؤمنين عم لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وقال عم ظاهر في غيب غائب في ظهور وقال عم لا يجنه البطون عن الظهور ولا تقطعه الظهور عن البطون قرب فنائى وعلا فدنى وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن اى ظهر وغلب ولم يغلب ومن هنا قيل عرفت الله بجمعه بين الاضداد **فصل** محبة العبد لله سبحانه علامات الاولى ان يحب لقائه بطريق المشاهدة والعيان في دار السلام ولتوقفه على الموت يحب الموت ويتمنيه اذ كل من يحب شيئا يحب لقائه ووصله واذا علم انه يمتنع الوصول اليه الا بالارتحال من الدنيا بالموت لاحب الموت لا محالة وكيف يثقل على المحب ان يسافر من وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته ولذا قال حذيفة عند موته حبيب جاء على فاقة لا افلح اليوم من ندم وقال بعض الاكابر لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب لا يكره لقاء الحبيب على كل حال ثم قال ثم من يكره الموت فان كان كراهته له لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والاولاد والاموال وكان حبه للدنيا تاسفه على مفارقتها في غاية الكمال بحيث لم يحب الموت ولم يسر قلبه اصلا بما يترتب عليه من لقاء الله تعالى ولم يجد في قلبه شوقا اليه مطلقا فلا ريب في كون مثل هذه الكراهة منافيا لاصل الحب وان لم يكن حبه للدنيا في غاية الكمال بحيث لم يجد في قلبه ميلا الى ما يترتب على الموت من لقاء الله بل كان محبا للدنيا الا انه كان له شوقا الى لقاء الله ايضا وكان لذلك كراهته للموت ضعيفة فمثل هذا الحب للدنيا ينافي كمال حب الله لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولا يبعد ان يكون معه شائبة ضعيفة من حب الله فان الناس متفاوتون في حب الله فمنهم من يحبه بكل قلبه ومنهم من لا يحبه بكل قلبه بل يحب معه غيره ايضا من الاهل والولد والمال فلا جرم يكون فرحه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه لها وان كان كراهة الموت لاجل ارادة الاستعداد والتهيؤ للقاء الله ومشاهدته بتحصيل زيادة العلم والعمل لا لحب الاهل والمال ولا للتاسف على فراق الدنيا فهو لا يدل على ضعف الحب ولا ينافي اصله وهو كالمحب الذي وصل اليه خبر قدوم حبيبه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليعمر داره ويفرشها ويهيئ اسبابها للقاء فارغ القلب عن الشواغل وعلامته ذلك الجد في العمل واستغراق الهم في تحصيل المعرفة والاستعداد للاخرة الثانية ان يؤثر مراد الله سبحانه على مراده اذ المحب لا يخالف هوى محبوبه لهوى نفسه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجري — فاترك ما اريد لما يريد

ذكر كراهة الغزالي الدنيا عند الموت على قدر محبته

في ان فقد عن ذكر الله الغفلة وقصر النظر الى التسليم على عباد الله والتذلل عند سلطان العظمة

فمن كان محبا لله يمتثل اوامره ونواهيه ويحترز عن اتباع الشهوات ويدع الكسالة والبطالة ولا يزال مواظبا على طاعته وانقياده ويكون مبتهجا متنعما بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها وروى ان زليخا لما امنت وتزوج بها يوسف انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله وكان يوسف يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل واذا دعاها ليلا سوفت الى النهار فعاتبها في ذلك فقالت يا رسول الله انما كنت احبك قبل ان اعرف ربك فاما اذا عرفته فلا اوثر على محبته محبة من سواه وما اريد به بدلا ثم الحق ان العصيان ينافي كمال المحبة لا اصلها ولذا قد يأكل الرجل المريض ما يضره ويزيد في مرضه مع انه يحب نفسه ويحب صحته والسبب ضعف المعرفة وغلبة الشهوة فيعجز عن القيام بحق المحبة الثالثة ان لا يغفل عن ذكر الله سبحانه بل يكون دائما مستهترا بذكره اذ من احب شيئا اكثر ضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به فمحب الله لا يخلو عن ذكر الله وذكر رسوله وذكر القران وتلاوته لانه كلامه ويكون محبا للخلوة لينفرد بذكره وبمناجاته ويكون له كمال الانس والالتذاذ بمناجاته وفي اخبار داود كذب من ادعى محبتي واذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني الرابعة ان لا يحزن ولا يتالم عن فقد شيء ولا يفرح بوجود شيء سوى ما يقربه الى الله او يبعده عنه فلا ينبغي ان يحزن ويجزع في المصائب ولا يستر بنيل المقاصد الدنيوية ولا يتأسف على ما يفوته الا على ما فات منه من طاعة مقربة الى محبوبه او على صدور معصية مبعدة او على ساعة خلت عن ذكر الله والانس به الخامسة ان يكون مشفقا رؤفا على عباد الله رحيما على اوليائه وشديدا على اعداء الله كارها لمن يخالفه ويعصيه اذ مقتضى الحب الشفقة والمحبة لاحباء المحبوب والمنسوبين اليه والبغض لاعدائه ومخالفيه السادسة ان يكون في حبه خائفا متذللا تحت سلطان العظمة والجلال وليس الخوف مضادا للحب كما ظن اذ ادراك العظمة يوجب الهيبة وادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين خوف الاعراض وخوف الحجاب وخوف الابعاد وخوف الوقوف وسلب المزيد وقال بعض العرفاء من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريقهما احبه الله فقربه ومكنه وعلمه السابعة كتمان الحب والشوق عن اظهاره ومن اظهار الوجد واجتناب الدعوى تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب فلا ينبغي افشاؤه ولانه ربما يدخل في الدعوى ما يجاوز حد الواقع فيكون من الافتراء ويعظم به العقوبة في العقبى

تنبيه على ان حقائق الصفات الالهية اجل من ان تدرك بالعقول البشرية

والبلية في الدنيا نعم ربما غشيته سكرة في حبه حتى يدهش فيها ويضطرب احواله فيظهر عليه حبه من دون اختيار وتحمّل فمثله معذور لانه تحت سلطان المحبة مقهور ومن عرفنا ان حصول حقيقة المعرفة والمحبة التي ينبغي ان يكون في حق الله يستحيل ان يحصل لاحد اطلع على ما اعترف عظماء الانسان اعني الانبياء والاولياء من العجز والقصور وان صنفا واحدا من الاصناف الغير المتناهية من ملائكته ملائكة تعبد جميع ما خلق الله من شيء هم اهل المحبة لله ما خطر على قلوبهم منذ خلقهم الله وهو ثلثمائة الف سنة قبل خلق العالم سوى الله سبحانه وما ذكروا غيره لاستحيى منه حق الحياء ان يعد ما عليه من المعرفة والمحبة معرفة ومحبة وخرس لسانه عن التظاهر بالدعوى وروى في بعض الاخبار ان بعض اهل الله سئل عن بعض الصديقين ان يسئل الله تعالى ان يعطيه ذرة من معرفته ففعل ذلك فحار عقله وذهل لبه وولّه قلبه وهام في الجبال وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسئل الصديق ربه ان ينقص بعض الذرة من المعرفة التي اعطاه فاوحى الله تعالى اليه انا اعطيناه جزءً من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سالوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سئلني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سئلت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك سبحانك فانقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة ما اعطاه وبقي فيه عشر معشاره وهو جزء من الف جزء من جزء من مائة الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجائه وسكن وصار كسائر الكمل من العارفين والحق ان حقايق الصفات الالهية اجل واعظم من ادراك العقول البشرية ولا يطيق احد من الكمل ان يتحمل لفهم جزء من الاجزاء الغير المتناهية منها فالوصول الى ما عليه الحضرة الربوبية من العظمة والجلال وساير صفات الكمال في حيز المحال وما قيل او يقال فيه وهم او خيال فاين يحصل لاحد ما يليق به من المعرفة والمحبة فلو امكن ان يدخل امثال هذه العوالم المخلوقة من السموات والارضين وما فوقهما واضعافهما بقدر غير متناه في جوف خردلة لا امكن ان يدخل في اعظم العقول ذرة من عظمته وجلاله وغاية المعرفة ان نعرف عظمته وقدرته وجلاله وعزته وساير اوصافه الكمالية بامثال هذه العنوانات والتمثيلات وهي لو ضوعفت الى غير النهاية في ازمنة غير متناهية لكانت نباتات قاصرة بل وهمية خيالية فسبحان من لا سبيل الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ومن علامات المحبة الانس والرضا كما ياتي وقد جمع بعض العارفين علامات المحب في ابيات فقال

لا تخدعن فللحبيب دلائل

اشارات الى ان الله تعالى يحب العبد بسوق الآيات والاخبار وبيان معنى محبة الله تعالى للعبد

ولله من يخفى المحبة سائل　منها تنعم بمرّ بلائه　وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مبذولة　والفقر اكرام وبر عاجل　ومن الدلائل ان يرى من عزمه
طوع الحبيب وان الح العاذل　ومن الدلائل ان يرى متبسما　والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا　متحفظا عن كل ما هو قائل　ومن الدلائل ان تراه مشمرا
في خرقتين على شطوط الساحل　ومن الدلائل حزنه ونحيبه　جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل ان تراه باكيا　ان قد رآه على قبيح فاعل　ومن الدلائل ان تراه راضيا
بمليكه في كل حكم نازل　ومن الدلائل زهده فيما يرى　من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل ان تراه مسلما　كل الامور الى المليك العادل　ومن الدلائل ضحكه بين الورى
والقلب محزون كقلب الثاكل　ومن الدلائل ان تراه مسافرا　نحو الجهاد وكل فعل فاضل

فصل اعلم ان شواهد الكتاب والسنة ناطقة بان الله سبحانه يحب العبد كقوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله وقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وامثال ذلك اكثر من ان تحصى ثم حقيقة الحب وهو الميل الى موافق ملائم غير متصور في حق الله تعالى بل هذا انما يتصور في حق نفوس ناقصة والله سبحانه صاحب كل جمال وكمال وبهاء وجلال وكل ذلك حاضر له بالفعل ازلا وابدا اذ لا يتصور تجدده وزواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل ابتهاجه بذاته وصفاته وافعاله وليس في الوجود الا ذاته وصفاته وافعاله ولذلك قال بعض العرفاء لما قرئ عنده قوله تعالى يحبهم ويحبونه بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا ذاته وصفات ذاته وافعال ذاته وتصانيف ذاته فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذن لا يحب الا ذاته وليس المراد من محبة الله لعبده هو الابتهاج العام الذي لم يتم با فعاله

المتقشف المتبلغ بقوت ومرقع ومن لا يبالي بما تلطخ بجسده (ق)

لهذا المستفاد من الآيات والاخبار ان له تعالى خصوصية محبة لبعض عباده ليست لساير العباد و
المخلوقات فمعنى هذه المحبة يرجع الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب
اليه والى ارادته ذلك به في الازل والى تطهير باطنه عن حلول الغير به وتخليته عن عوائق تحول بينه
وبين مولاه حتى لا يسمع الا بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به ولا ينطق الا به كما في الحديث القدسي فيكون
تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل
ذلك من فضل الله تعالى ولطفه به ثم قرب العبد من الله لا يوجب تغيرا ما وتجددا ما في صفات الله تعالى
اذ التغير عليه سبحانه محال لانه لا يزال في نعوت الكمال والجلال والجمال على ما كان عليه في ازل الآزال
بل يوجب محض تغير العبد بترقيه في مدارج الكمال والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق
الالهية فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقايق الامور واثبت قوة في قهر الشياطين و الشهوات
اظهر تنزها عن الرذائل واقوى تصرفا في ملكوت الاشياء صار اقرب الى الله ودرجات القرب غير
متناهية لعدم تناهي درجات الكمال فمثل تقرب العبد الى الله ليس كتقرب احد المتقاربين الى
الآخر اذا تحركا معا بل كتقرب احدهما مع تحركه الى الآخر الذي كان ساكنا او كتقرب التلميذ في درجات
الكمال الى استاده فان التلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى بقاع العلم ويطلب القرب من
استاده في درجات العلم والكمال والاستاد ثابت واقف وان كان التلميذ يمكن ان يصل الى مرتبة
المساواة لاستاده لتناهي كماله واما العبد كائنا من كان لا يمكن ان يصل الى كمال يمكن ان يكون له نسبة
الى كماله سبحانه لعدم تناهي كماله شدة وقوة وعدة وعلامة كون العبد محبوبا عند الله ان يكون
هو محبا لله تعالى مؤثرا اياه على غيره من المحاب وان يرى من بواطن اموره وظواهره انه تعالى هيأ له اسباب السعادة و
فيها ويرشده الى ما فيه خيره ويصده عن المعاصي باسباب يعلم حصولها منه سبحانه وانه تعالى يتولى امره
ظاهره وباطنه وسره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه
والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من
غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته **تذنيب**
اعلم ان الاخبار متظاهرة في مدح الحب في الله والبغض في الله وعظم فضيلته وثوابه ومعناه لا يخلو
عن ابهام فلا بد ان نشير الى بعض هذه الاخبار ثم نبين حقيقته ونكشف عن معناه اما الاخبار
كقول النبي صلى الله عليه وآله ود المؤمن للمؤمن في الله اعظم شعب الايمان الا ومن احب في الله وابغض في
الله واعطى في الله ومنع في الله فهو من اصفياء الله وقال صلى الله عليه وآله لاصحابه اي عرى الايمان اوثق فقالوا

بيان الحب في الله والبغض في الله

الله ورسوله اعلم وقال بعضهم الصلوة وقال بعضهم الزكوة وقال بعضهم الصيام وقال بعضهم الحج والعمرة وقال بعضهم الجهاد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وتوالي اولياء الله والتبري من اعداء الله وقال ص المتحابون في الله يوم القيمة على ارض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين وجوههم اشد بياضا واضوء من الشمس الطالعة يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل يقول الناس من هؤلاء فيقال هؤلاء المتحابون في الله وقال سيد الساجدين ع اذا جمع الله تعالى الاولين والاخرين قام مناد فيقول اين المتحابون في الله تعالى فيقوم عنق من الناس فيقال لهم اذهبوا الى الجنة بغير حساب فيلقيهم الملائكة فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة بغير حساب فيقولون اي حزب انتم من الناس فيقولون نحن المتحابون في الله فيقولون واي شئ كانت اعمالكم فيقولون كنا نحب في الله ونبغض في الله فيقولون نعم اجر العاملين وقال الباقر ع اذا اردت تعلم ان فيك خيرا فانظر الى قلبك فان كان يحب اهل طاعة الله ويبغض اهل معصيته ففيك خير والله يحبك واذا كان يبغض اهل طاعة الله ويحب اهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من احبه وقال ع لو ان رجلا احب رجلا لله لاثابه الله على حبه اياه وان كان المحبوب في علم الله من اهل النار ولو ان رجلا ابغض رجلا لله لاثابه الله على بغضه اياه وان كان المبغض في علم الله من اهل الجنة وقال الصادق ع من احب لله وابغض لله واعطى لله فهو ممن كمل ايمانه وقال ع ان المتحابين في الله يوم القيمة على منابر من نور قد اضاء نور وجوههم ونور اجسادهم ونور منابرهم كل شئ حتى يعرفوا به فيقال هؤلاء المتحابون في الله وقال ع وهل الايمان الا الحب في الله والبغض في الله ثم تلى هذه الاية حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون وقال ع ما التقى المؤمنان قط الا كان افضلهما اشدهما حبا لاخيه وقال ع من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له والاخبار بهذه المضامين كثيرة واذا عرفت ذلك فلنشر الى معنى الحب في الله والبغض في الله فنقول الحب الذي بين انسانين اما يحصل بمجرد الصحبة الاتفاقية كالصحبة بحسب الجوار او بحسب الاجتماع في سوق او مدرسة او سفر او باب سلطان او امثال ذلك ومعلوم ان مثل هذا الحب ليس من الحب في الله بل هو الحب الاتفاق او لا يحصل بمجرد ذلك بل له سبب باعث اخر وهذا على اربعة اقسام الاول ان يحب انسانا لذاته لا لامر

الى المحبوب ومقصود وراثه بان يكون هو في ذاته محبوبا عنده بمعنى انه يلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة
اخلاقه لاستحسانه فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب اللذة يتبع الاستحسان
والاستحسان يتبع المناسبة والموافقة والملائمة بين الطباع ثم ذلك المستحسن عند الطباع
السليمة وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب من هذا القسم ان يحبه لاجل مناسبة خفية معنوية بينهما
فانه قد يستحكم المودة بين شخصين من غير حسن في خلق وخلق ومن دون ملاحة في صورة ولا
غيرها من الاعضاء بل لمناسبة باطنة توجب الالفة والمحبة والموافقة فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع
والاشياء الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر ان يطلع عليها والى هذا القسم
من الحب والموافقة اشار رسول الله صلعم بقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف و
ما تناكر منها اختلف فالحب نتيجة التناسب الذي هو التعارف والبغض نتيجة التناكر و
معلوم ان هذا القسم من الحب لا يدخل في الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس و
لذا يتصور ممن لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل بغرض مذموم صار مذموما والا فهو مباح
لا يوصف بمدح ولا ذم الثاني ان يحبه لا لذاته بل لينال منه محبوبا وراء ذاته وكان لهذا المحبوب
فائدة دنيوية ولا ريب ان كلما هو وسيلة الى المحبوب محبوب وعد كون هذا الحب من جملة
الحب في الله ظ الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير راجع الى حظوظه في الاخرة دون
الدنيا وذلك كحب التلميذ الاستاد لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده
من العلم والعمل سعادة الاخرة وهذا الحب من جملة الحب في الله وصاحبه من المحبين في الله
وكذا حب الاستاد للتلميذ لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته مرتبة التعليم ويترقى
به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء قال عيسى عم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في
ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة
اذ جعل صدره مزرعة لحرثه فهو محب لله بل التحقيق ان كل من يحب احدا لصنعته او فعله
الذي يوجب تقربه الى الله فهو من جملة المحبين في الله كحب من يتولى له ايصال الصدقة الى
المستحقين وحب طباخ يحسن صنعته في الطبخ لاجل طبخه لمن يضيفه تقربا الى الله وحب من ينفق عليه و
يواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع مقاصده التي يقصد في الدنيا ومقصوده من ذلك
الفراغ لتحصيل العلم والعبادة وحب من يخدمه بنفسه من غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه
وامثال ذلك من حيث انه يفرغه لتحصيل العلم والعمل وقس على ما ذكر امثاله والحاصل ان كل من

اما ان يكون بجمال الصورة وكمال العقل وغزارة العلم وحسن الاخلاق والافعال وكثرة الاحسان

في مدح البغض في الله والتنبيه على ان للمعاصي درجات مختلفة ولاظهار البغض ايضا مراتب

احب غيره من حيث توسله لاجله الى فائدة اخروية فهو محب لله وفي الله الرابع ان يحبه لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وذلك بان يحبه من حيث انه متعلق بالله و منسوب اليه اما بالنسبة العامة التي ينسب بها كل مخلوق الى الله او لاجل خصوصية نسبة ابعض من تقربه الى الله وشدة حبه وخدمته له ولا ريب في ان من اثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق به ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه ومحبوبه وخادمه ومن يمدحه ويثني عليه او يثني عليه محبوبه واحب ان يتسارع الى رضا محبوبه كما قيل

امر على الديار ديار ليلى | اقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي | ولكن حب من سكن الديارا

واما البغض في الله فهو ان يبغض انسانا انسانا لاجل عصيانه لله ومخالفته له تعالى فان من يحب في الله لا بد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عنده فان عصاه لا بد ان تبغضه لانه عاص فيه وممقوت عند الله قال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضا الله بسخطهم و روي انه تعالى اوحى الى بعض انبيائه اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا او واليت وليا ثم للمعصية درجات مختلفة فانها قد تكون بالاعتقاد كالكفر والشرك والبدعة وقد تكون بالقول والفعل وهذا اما ان يكون مما يتأذى به غيره وهذا اما يوجب فساد الغير كالجمع بين الرجال والنساء وتهيئة اسباب الشر والفساد على ما هو دأب صاحب الماجور او لا يوجب فساد الغير كالزنا وشرب الخمر وهذا ايضا اما كبيرة او صغيرة واظهار البغض ايضا له درجات مختلفة كالتباعد والهجران وقطع اللسان عن المكالمة والمحادثة والتغليظ في القول والاستخفاف والاهانة وعدم السعي في اطاعته والسعي في اساءته وافساد مآربه وبعض هذا اشد من بعض كما ان درجات الفسق والمعصية ايضا كذلك فينبغي ان يكون الاشد من درجات البغض بازاء الاشد من درجات المعصية والفسق والوسط بازاء الوسط والاضعف بازاء الاضعف وينبغي ان لا يترك اولا النصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم تغليظ القول في الوعظ والارشاد سيما اذا كان العاصي ممن بينه وبينه صحبة ما ثم العاصي ان كان ممن له صفات محمودة كالايمان والعلم والسخاء والعبادة والطاعة او امثال ذلك ينبغي ان يكون مبغوضا لاجل معصيته ومحبوبا لاجل صفته المحمودة وهذا كما ان من وافقك في غرض وخالفك في اخر تكون معه على حالة متوسطة بين الترديد اليه والتوحش عنه فلا تبالغ

كالقتل والنهب والضرب وشهادة الزور وسائر انواع الظلم
الظلم او لا يكون مما يتأذى به غيره

تحقيق معنى الوفا وتمامه وانه من المحبة وانه بعد الموت خير منه حال الحيوة

فى اكرامه مبالغتك فى اكرام من يوافقك فى جميع اغراضك ولا تبالغ فى اهانته مبالغتك فى اهانة من خالفك فى جميع اغراضك **تتميم** اعلم ان من تمام الحب للاخوان فى الله الوفا وهو الثبات على الحب ولوازمه وادامته الى الموت وبعده مع اولاده واصدقائه وضده الجفاء وهو قطع الحب وبعض لوازمه فى ايام الحيوة او بعد الموت بالنسبة الى اولاده واحبته ولولا الوفاء فى الحب لما كان فيه فائدة اذ الحب انما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت لضاع السعى وحبط العمل ولذلك قال رسول الله فى السبعة الذين يظلهم الله يوم القيمة واخوان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وروى انه صلعم كان يكرم بعض العجايز كلما دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفاء مراعاة جميع الاصدقاء والاقارب المتعلقين ومراعاتهم اوقع فى القلب من مراعاة الاخ المحبوب فى نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر من فرحه بتفقد نفسه اذ لا يعرف قوة المحبة والشفقة الا بتعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى ان من قوى حبه لاحد يميز فى قلبه كلبه الذى على باب داره من ساير الكلاب ولا ريب فى ان المحبة التى تنقطع ولو بعد الممات لا يكون محبة فى الله اذ المحبة فى الله دائمة لا انقطاع لها ثم قيل من ان قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره حال الحيوة انما هو لدلالته على كون الحب فى الله وبالجملة الوفاء بالمحبة تمامها ومن آثار الوفاء ان يكون شديد الجزع من مفارقته وان لا يسمع بلاغات الناس عليه وان يحب صديقه ويبغض عدوه وليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق فى امر يتعلق بالدين بل من الوفاء المخالفة له وارشاده الى الحق هذا واما البعد والانس فقد عرفت ان الانس عبارة عن استبشار القلب بما هو بملاحظة من المحبوب بعد الوصول والبعد خلافه والانس والخوف والشوق كلها من آثار المحبة وكل واحد منها يرد على المحب بحسب نظره وبما يغلب عليه فى وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره من الاطلاع على كنه الجلال انبعث النفس وانزعجت له وهاجت اليه فتسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب اذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والجلال والاستغناء وعدم المبالاة واستشعر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا ولهذه الاحوال تابعة

امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منه ... ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ... ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال ... رب العالمين ... ورجل تصدق بصدقة فاخفاها ... شماله ما تنفق يمينه

لهذه الملاحظات فان غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته وغلب عليه الانس بالله ولم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة لان الانس بالله ملازمه التوحش من غير الله بل كلما يعوق من الخلوة يكون اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الخلق الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج عن القلب عذوبة ما سواه فان خالط الناس كان كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور ومخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق في عذوبة الذكر قال امير المؤمنين عليه السلام في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه

فصل من انكر وجود الحب والشوق انكر وجود الانس ايضا ظنا انه يدل على التشبيه وهو ناش عن الجهل بالابتهاجات العقلية واللذات الحقيقية وعن القصور في طريق المعرفة والجمود على احكام الحس والغفلة عن عالم العقل والبصيرة وقد ظهر ثبوت الانس من بعض الاخبار السابقة ويدل عليه ما ورد في اخبار داود ان الله عز وجل اوحى اليه يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي اوانسكم واسارع الى محبتكم

فصل قال ابو حامد الغزالي الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعا من الادلال والانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون منكرا بحسب الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله كليمه موسى ان يسئله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى في سبعين الفا فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ

فصل برخ الاسود

فقال له يخرج حتى استجيب له فسئل عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد
اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى
فسلم عليه فقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال
في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك غيومك ام
عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا
قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل
بالعقوبة فما تم دعاءه حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وانبت الله عز وجل العشب في نصف يوم
حتى بلغ الركب ثم رجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفني
فهم به موسى فاوحى الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات ولا ريب في ان امثال هذه الكلمات
الصادرة عن الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الانس قول
موسى ان هي الا فتنتك وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون انه
طغى ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون وقوله ويضيق صدري وقوله انا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف و
يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره كيف ولم يحتمل من يونس النبي ما دون هذا لما اقيم مقام القبض
والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهى نبينا ان يقتدي به فقيل له واصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف
المقامات والاحوال وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد
قال الله سبحانه تلك فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
فالانبياء والاولياء مختلفون في الصفات والاحوال الا ترى ان عيسى بن مريم كان في
مقام الانبساط والادلال ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم
اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما
يحيى فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى سلم عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم
ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا به وقد قال
بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى

الخاطئين

الرسل

في ان الخلوة والعزلة ثمرة الانس بالله وذكر فضائل العزلة وفوائده

راس العشرين اية من اخبارهم تقدم عنهم فوجب بها سيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد تجمع
في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفرلهم وعفى عنهم ولم يحتمل العزير مسئلة واحدة سئل عنها في
القدر حتى قيل لئن عاد محى اسمه عن ديوان النبوة ومن فوائد هذه القصص في القران ان يعرف
بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القران شئ الا وفيه اسرار وانوار يعرفها
الراسخون في العلم **تذنيب** اعلم ان من بلغ مقام الانس غلب على قلبه حب الخلوة
والعزلة عن الناس لان المخالطة مع الناس يشغل القلب عن التوجه التام الى الله فلا بد لنا من
بيان ان الافضل من العزلة والمخالطة ايهما فان العلماء في ذلك مختلفون والاخبار ايضا في ذلك
مختلفة ولكل واحد منهما ايضا فوائد ومفاسد فنقول الظاهر من جماعة تفضيل العزلة
على المخالطة مطلقا والظاهر من الاخرى عكس ذلك نظر الاولين الى اطلاق ما ورد في مدح
العزلة والى فوائدها وما ورد في مدحها كقول النبي ص ان الله يحب العبد التقي الخفي وقوله
افضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب و
قوله لمن سئله عن طريق النجاة ليسعك بيتك وامسك عليك دينك وابك على خطيئتك
وقول الصادق ع فسد الزمان وتغير الاخوان وصار الانفراد اسكن للفؤاد وقوله ع اقلل
معارفك وانكر من تعرف منهم وقوله صاحب العزلة متحصن بحصن الله ومحترس بحراسته فيا طوبى لمن
ان تفرد به علانية وسرا وهو يحتاج الى عشر خصال علم الحق والباطل ومحبة الفقر واختيار
الشدة والزهد واغتنام الخلوة والنظر في العواقب ورؤية التقصير في العبادة مع بذل المجهود
وترك العجب وكثرة الذكر بلا غفلة فان الغفلة مصطاد الشيطان وراس كل بلية وسبب كل
حجاب خلوة البيت عما لا يحتاج اليه في الوقت قال عيسى بن مريم اخزن لسانك لعمارة
قلبك وليسعك بيتك وفر من الرياء وفضول معاشك وابك على خطيئتك وفر من الناس
كفرارك من الاسد والافعى فانهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء ثم الق الله متى شئت
قال ربيع بن خثيم ان استطعت ان تكون في موضع لا تعرف ولا تعرف فافعل وفي
العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشيطان والمجانبة من كل
سوء وراحة القلب وما من نبي ولا وصي الا واختار العزلة في زمانه اما في ابتدائه واما في
انتهائه واما فوائد العزلة فكالفراغ للعبادة والذكر والفكر والاستيناس بمناجاة الله عن
الاشتغال باستكشاف اسرار الله في ملكوت السموات والارض والتخلص عن المعاصي التي يتعرض

الانسان لها غالبا بالمخالطة كالغيبة والرياء وساير آفات اللسان ومسارقة الطبع الاعمال الخبيثة والاخلاق الرديئة من الناس والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستخلاص من الفتن والخصومات واخطارها ومن شر الناس وايذائهم قولا وفعلا وقطع طمعه عن الناس وقطع طمعهم عنه والخلاص من مشاهدة الظلمة والفسقة والجهال والثقلاء والحمقى ومقاساة اخلاقهم ونظر الآخرين اعني القائلين بتفضيل المخالطة على العزلة الى اطلاق الظواهر الواردة في مدح المخالطة والمؤالفة والمؤانسة والى فوائدها اما ما ورد في مدحها كقول النبي صلى الله عليه وآله المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقوله صلى الله عليه وآله من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية وكالاخبار الواردة في ذم الهجرة عن الاخوان وقوله صلى الله عليه وآله اياكم والشعاب عليكم بالعامة والجماعة والمساجد واما فوائد المخالطة كالتعليم والتعلم وكسب الاخلاق الفاضلة من مجالسة المتصفين بها واستماع المواعظ والنصايح ونيل الثواب بحضور الجمعة والجماعة والجنازة وعيادة المريض وزيارة الاخوان وقضاء حوائج المحتاجين ورفع الظلم عن المظلومين وادخال السرور على المؤمنين والاستيناس بالاخوان وباهل الورع والعبادة والتقوى وهو روح القلب ويهيج داعية النشاط في العبادة وايصال النفع الى المسلمين بالمال والجاه واللسان واستفادة مزيد الاجر والثواب بتحصيل المعاش والكد على العيال وارتياض النفس بمقاساة الناس في تحمل اذاهم كسر النفس وشهواتها وادراك صفة التواضع لتوقفه على معاشرة الناس ومخالطتهم وعدم حصوله في الوحدة واستفادة التجارب والكياسة في مصالح الدنيا والدين فانها لا تحصل الا من مخالطة الخلق ومشاهدة مجاري احوالهم هذه هي فوائد كل من العزلة والمخالطة وفوائد كل منهما مفاسد وغوائل للآخر وانت بعد ما عرفت فوائد كل منهما وغوائله تعلم ان الحكم بترجيح احدهما على الآخر على الاطلاق خطأ كيف يجوز ان يقال ان العزلة افضل لشخص جاهل لم يتعلم شيئا من اصوله وفروعه ولم يقرع سمعه علم الاخلاق ولم يميز بين فضايل الصفات ورذائلها فضلا عن ان يحصل له التخلية والتحلية ومع ذلك يمكن ان يحصل ذلك بالمخالطة مع العلماء اولي الاخلاق الفاضلة وكيف يجوز ان يقال ان المخالطة افضل لمن حصل ما في وسعه وقدرته من العلم والعمل ووصل الى مرتبة الابتهاج والالتذاذ بالطاعات والمناجاة ولم يترتب على مخالطته مع الناس شيء من الفوائد الدينية والدنيوية بل يترتب عليه المفاسد الكثيرة فالصحيح ان يقال ان الافضلية فيهما تختلف بالنظر الى الاشخاص والاحوال والازمان والامكنة فينبغي ان ينظر الى كل شخص وحاله والى خليطه والى باعث مخالطته والى ما يحصل بمخالطته من فوائد المخالطة وما يفوت

لاجلها

لاجلها من فوائد العزلة ويوازن بين ذلك حتى يظهر الافضل والارجح ولاختلاف ذلك في حق الاشخاص
بملاحظة الاحوال والفوائد والافات ربما يظهر بعد التامل ان الافضل لبعض الخلق العزلة التامة و
لبعضهم المخالطة ولبعضهم الاعتدال في العزلة والمخالطة وبما ذكر يظهر ان الافضل لمن بلغ مقام الانس والاستغراق
في الخلوة والعزلة اذ لاريب في ان المخالطة يوجب لسقوط عن مرتبة الشهود والانس ولا يتصور من فوائدها
شئ يقاوم ذلك ولذلك كان المحبون المستانسون بالله يعتزلون عن الخلق ويؤثرون الخلوة قال
اويس القرني ماكنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال بعضهم اذا رايت الصبح ادركني
استرجعت كراهية لقاء الناس وقال بعضهم سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال
بعض الصالحين رايت في بعض البلاد عابدا خرج من بعض قلل الجبال فلما رآني تنحى عني وتستر بشجرة فقلت
له سبحان الله اتبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني قمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي
في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسئلت الله تعالى ان يعطيني ذلك فسكن
قلبي عن الاضطراب الف الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اوقع في الامر الاول فاني اعوذ من
شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح وقال واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول
وجهه عني وقال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخلوة وحلاوة الانقطاع اليه ما
الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان وقال بعض الاكابر انما يستوحش الانسان من نفسه
لخلو ذاته عن الفضيلة فيتلاقى الناس ومخالطتهم بفرح ويطرد الوحشة من نفسه فاذا كانت ذاته
فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة وليستخرج العلم والحكمة ومن هنا قيل الاستيناس
بالناس من علامات الافلاس فمن يتيسر له منزلة بدوام الذكر والانس بالله وبدوام الفكر في التحقيق في
معرفة الله فالتجرد والخلوة افضل له من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المجاهدات ان يموت
الانسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر
وفراغ القلب شرط لكل منهما ولا فراغ مع المخالطة فان قلت لا منافاة بين المخالطة مع الناس والانس
بالله ولذا كان الانبياء مخالطين للناس مع غاية استغراقهم في الشهود والانس قلنا لا يتيسر الجمع بين
مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال التام على الله سرا الا بقوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه
فيطمع في ذلك ثم بما ذكرناه يظهر وجه الجمع بين الاخبار الواردة من الطرفين فان ما ورد في
فضيلة العزلة انما هو بالنظر الى بعض الناس وما ورد في فضيلة المخالطة انما هو بالنظر الى بعض
اخر ومنها السخاء فيما يخالف هواه من الواردات الالهية والتقديرات الربانية ويرادفه الانكار

والاعتراض وهو من شعب الكراهة لافعال الله وهو ينافي الايمان والتوحيد وما للعبد العاجز الذليل المهين الجاهل بمواقع القضاء والقدر والغافل عن موارد الحكم والمصالح والاعتراض والانكار والسخط لافعال الخالق الحكيم العليم الخبير وانّى للعبد ان لا يرضى بما يرضى به ربّه ولعمري ان من يعترض على فعل الله فهو اشد الجهلاء ومن لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقد ورد في الخبر القدسي انّي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر و اجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لمَ وكيف وفي خبر قدسي آخر انّي انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي ولم يشكر على نعمائي فليتخذ ربا سوائي وفي مناجاة موسى يا رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط من قضائي وفي الخبر القدسي قدرت المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حين يلقاني ومن سخط فله السخط مني حين يلقاني وقال الباقر عليه السلام من سخط القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره وقال الصادق عليه السلام كيف يكون المؤمن مؤمنا وهو يسخط قسمه ويحقر منزلته والحاكم عليه الله وانا الضامن لمن لم يهجس في قلبه الا الرضا ان يدعو الله فيستجاب له وفي بعض الاخبار ان نبيا من الانبياء شكى الى الله الجوع والفقر والعري عشر سنين فما اجيب اليه ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو ولست اهلا للذم والشكوى وانت احق بالذم والشكوى وهكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا اتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد فوعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة و انه اوحى الله تعالى الى داود ع تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد و ان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد وبالجملة من عرف ان العالم بجميع اجزائه من الجواهر والاعراض صادرة عنه على وجه الحكمة والخيرية وانها النظام الاصلح الذي لا يتصور فوقه نظام ولو تغير جزء منه على ما هو عليه لخلت الاصلحية والخيرية وعرف الله بالربوبية وعرف نفسه بالعبودية يعلم ان السخط والاعتراض وعدم الرضا بشيء مما يرد ويكون غاية الجهل والخطر ولذلك لم يكن احد من الانبياء يقول قط في امر يسره كان كذا حتى قال بعض اصحاب النبي خدمته عشر سنين وما قال لي في شيء فعلته لم فعلت ولا لشيء لم افعله الا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان

وكان

في مدح الرضا بما يصدر عن المحبوب وفيه ان الرضا بالقضا من افضل مقامات الدين

فضيلة الرضا من الفضيلة

وكان اذا ما عمي بخاصم من اهله يقول غيره دعوه لو قضي شيء لكان وروي ان ادم ع كان بعض اولاده الصغار يصعدن على بدنه وينزلون ويجعل احدهم رجليه على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض اولاده الكبار يا ابت لم لا تمنعهم عن ذلك فقال يا بني رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقا فاخاف ان تحركت حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم **وصل** ضد الرضا السخط وهو ترك الاعراض والتسخط باطنا وظاهرا قولا وفعلا وهي من ثمرات المحبة ولوازمها اذ المحب يستحسن كلما يصدر عن محبوبه وصاحب الرضا يستوي عنده الفقر والغنى والراحة والعنا والبقا والفناء والعز والذل والصحة والمرض والموت والحيوة ولا يرجح بعضها على بعض ولا يثقل شيء منها على طبعه اذ يرى صدور الكل من الله سبحانه وقد رسخ حبه في قلبه والعنا بحيث يحب افعاله ويرجح على مراده مراده تعالى فيرضى لكل ما يكون ويجري وروي ان واحدا من ارباب الرضا عمر سبعين سنة ولم يقل في هذه المدة لشيء كان ليته لم يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وقيل لبعضهم ما وجدت من اثار الرضا في نفسك فقال ما في رائحة من الرضا ومع ذلك لو جعلني الله جسرا على جهنم وعبر علي الاولون والاخرون من الخلايق ودخلوا الجنة ثم يلقوني في النار وملا بي جهنم لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه ولم يختلج ببالي انه لم كان كذا وليته لم يكن كذا ولم هذا حظي وذاك حظهم وصاحب الرضا ابدا في روح وراحة وسرور وبهجة لانه يشاهد كل شيء بعين الرضا وينظر في كل شيء الى نور الرحمة الالهية وسر الحكمة الازلية فكان كل شيء حصل على وفق مراده وهواه ففائدة الرضا عاجلا فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم واجلا رضوان الله والنجاة من غضبه تعالى **فصل** الرضا بالقضا افضل مقامات الدين واشرف منازل المقربين وهو باب الله الاعظم ومن دخله دخل الجنة قال الله سبحانه رضي الله عنهم ورضوا عنه وعن النبي صلعم انه سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر اخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وقال صلعم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال صلعم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وقال صلعم اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فيقول

لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم على الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقولون هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فيقول لهم الملائكة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وآله فيقولون ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فيقول الملائكة يحق لكم هذا وقال عليه السلام ان الله تعالى جعل بحكمته الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك فقال تعالى ان رضائي في رضاك بقضائي وروي ان بني اسرائيل قالوا له عليه السلام سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم وقال سيد الساجدين عليه السلام الصبر والرضا راس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما احب وكره لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له وقال عليه السلام الزهد عشرة اجزاء اعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا وقال الباقر عليه السلام احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله تعالى ومن يرضى بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله اجره وقال الصادق عليه السلام اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله وقال عليه السلام قال الله تعالى عبدي المؤمن لا اصرفه في شيء الا جعلته خيرا له فليرض بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر على نعمائي اكتبه يا محمد من الصديقين عندي وقال عليه السلام عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان قرض بالمقاريض كان خيرا له وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيرا له وقال ان فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران يا موسى ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن واني انما ابتليته لما هو خير له وازوي عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه عبدي فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي واطاع امري وقيل له بأي شيء يعلم المؤمن انه مؤمن قال بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور او سخط وقال الكاظم عليه السلام ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه

وصل فظهر من بعض الاخبار المذكورة ان رضا الله سبحانه من العبد موقوف على رضى العبد عنه تعالى فمن فوائد رضى العبد بقضاء الله وثمراته رضى الله سبحانه عنه وهو اعظم السعادات في الدارين وليس في الجنة نعيم فوقه كما قال سبحانه وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين في الجنة فيقول لهم سلوني فيقولون رضاك يا ربنا فسؤالهم الرضا بعد التجلي يدل على انه افضل كل شيء وورد في تفسير قوله تعالى وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ انه يؤتى

تحقق رضاء البلاء من المحب وتصور وقوعه
في تجويز الرضا في انواع البلاء وكلها على نزف المحبوب وهو امكانه

لاهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين ليس في الجنان مثلها احدها هدية
الله ليس عندهم في الجنان مثلها وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام
عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول
الله تعالى اني عنكم راض وهو افضل من الهدية والتسليم وذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من
النعيم الذي هم فيه ومعنى رضا الله عن العبد قريب من معنى حبه له الا انه في الآخرة سبب
لدوام النظر والتجلي في غاية ما يتصور من اللقاء والمشاهدة ولهذا ليس رتبة في الجنة فوق رؤية
اهل الجنة اقصى الاماني وغاية الغايات **فصل** من الناس من انكر امكان تحقق
تحقق الرضا في انواع البلاء فيما يخالف الهواء وقال الممكن فيهما هو الصبر دون الرضا وهو
انما اتى من ناحية انكار المحبة اذ بعد ثبوت امكان الحب لله واستغراق الهم به لا يخفى في
ايجابه للرضا بافعال المحبوب وذلك يكون من وجهين احدهما ان يوجب الاستغراق في الحب
ابطال الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المها
لا يستبعدن من ذلك فان المحارب عند خوضه في الحرب عند شدة غضبه او خوفه قد تصيبه
جراحة وهو لا يحس بها فاذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل مهم قد تصيبه
شوكة في قدمه ولا يحس بالمها لشغل قلبه والسر ان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور لم
يدرك ما عداه فالعاشق المستغرق الهم بمشاهدة المعشوق او بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به او يغتم
لولا عشقه ولا يدرك المه وغمه لاستيلاء الحب على قلبه وهذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه
من حبيبه ولا ريب في ان حب الله اشد من كل حب وشغل القلب به اعظم الشواغل اذ جمال الحضرة الربوبية
وجلالها لا يقاس به جمال فمن ينكشف له شيء منها فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحس
بما يجري عليه وثانيهما ان لا يبلغ الاستغراق في الحب بحيث لا يحس بالالم ولا يدركه ولكن يكون
راضيا به بل راغبا فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد و
الحجامة فانه يدرك المه الا انه راض به وراغب فيه فالمحب الخالص لله اذا اصابته بلية من الله وكان
على يقين بان ثوابها الذي ادخر له فوق ما فاته رضي بها ورغب فيها واحبها وشكر الله عليها
هذا ان كان نظره الى الثواب والاجر الذي يجازى به على ابتلائه بالمصائب والبلايا وربما غلب
الحب بحيث يكون حظ المحب ولذته وابتهاجه في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر فيكون مراد حبيبه و
رضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك مشاهد محسوس في حب الخلق فضلا عن حب الخالق و

الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط والخطاء فان القلوب اذا وقفت بين جماله وجلاله فاذا لاحظوا جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا ويشهد بذلك حكايات المحبين على ما هو في الكتب مسطور وفي الالسنة والافواه مذكور فان للحب عجائب من لم يذق طعمها لا يعرفها وقد روينا ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق ع كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القران ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك وروي ان عيسى ع مر برجل اعمى وابرص مقعد مفلوج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من الناس فقال عيسى يا هذا اي شيء من البلاء تراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل الله في قلبي من معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به وصحب عيسى ع وتعبد معه

فصل

اعلم ان الدعاء غير مناقض للرضا وكذا كراهة المعاصي ومقت اهلها وحسم اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي فقد زعم طائفة من اهل البطالة والغرور ان جميع ذلك يخالف الرضا اذ كلها يناقضه والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب للمؤمن ان يرضى به وقدروا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشريعة ورد فانه اما الدعاء فلا ريب في انا قد تعبدنا به وقد كثرت ادعية الانبياء والائمة وكانوا على اعلى مقامات الرضا وتظاهرت الايات وتواترت الاخبار في الامر بالدعاء وفوائده وعظم مدحه واثنى الله سبحانه على عباده الداعين حيث قال يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوني استجب لكم وقال اجيب دعوة الداع اذا دعان وهو يوجب صفاء الباطن وخشوع القلب ورقة النظر وتنور النفس وتجليها وقد جعله الله تعالى مفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف والاحسان وهو ادى الاسباب لافاضة الخيرات والبركات من المبادي العالية فان قيل ما يرد على العبد من المكاره والبلايا يكون بقضاء الله وقدره والايات والاخبار ناطقة بالرضا بقضاء الله مطلقا فالتشمر لرده بالدعاء يناقض الرضا قلنا ان الله سبحانه بعظم حكمته اوجد الاشياء على التسبيب والترتيب بينهما فربط المسببات بالاسباب ورتب بعضها على بعض وجعل بعضها سببا وواسطة لبعض اخر وهو مسبب الاسباب والقدر عبارة عن حصول

بيان ترتب القدر على القضاء والقضاء على العناية الكلية الالهية

من الباب الثاني

الموجودات في الخارج عن اسبابها المعينة بحسب وقتها مطابقة لما في القضاء والقضاء عبارة
عن ثبوت صور جميع الاشياء في العالم العقلي على الوجه الكلي مطابقة لما في العناية الالهية
المسماة بالعناية الاولى والعناية عبارة عن احاطة علم الله تعالى بالكل على ما هو عليه احاطة تامة
فنسبة القضاء الى العناية كنسبة القدر الى القضاء ثم من جملة الاسباب لبعض الامور الدعاء والتصدق
وامثالهما فكما ان شرب الماء سبب نبه مسبب الاسباب لازالة العطش ولو لم يشربه لكان عطشه باقيا
الى ان يؤدي الى هلاكه وشرب المسهل سبب لدفع الاخلاط الرديه ولو لم يشربه لبقيت على حالها
وهكذا في ساير الاسباب فكذلك الدعاء سبب نبه الله تعالى لدفع البلايا ودفعها ولو لم يدع لنزل
البلاء ولم يندفع فلو قيل لو كان في علم الله تعالى وفي قضائه السابق ان زيدا مثلا يدعو الله ويتصدق
عند ابتلائه ببلية كذا ويندفع به بليته لدعائه وتصدقه دفع بليته ولو كان فيهما انه لا يدعو
الله ولا يتصدق ويبتلى بتلك البلية لم يدع الله ولم يتصدق ولم يندفع عنه البلية والحاصل
ان كل ما تعلق به العناية الكلية والقضاء الازلي يحصل مقتضاه في الخارج في عالم التقدير ان خيرا
فخير وان شرا فشر فاي فائدة في سعي العبد واجتهاده قلنا هذه من جملة شبهات الجبرية على
كون العبد مجبورا في فعله ونفي الاختيار عنه ولا مدخلية لها بكون الدعاء غير مناقض للرضا و
كونه من جملة الاسباب المرتبة منه تعالى لحصول مسبباتها كالتزويج لتحصيل الولد والاكل والشرب
لدفع الجوع والعطش ولبس الثياب لدفع الحر والبرد وغير ذلك ثم الجواب من الشبهة المذكورة و
امثالها مذكورة في موضعها واما انكار المعاصي وكراهتها والفرار من اهلها ومن البلد الذي شاع
فيه فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا بها فقال (ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها) (وقال
رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم) وفي بعض الاخبار من شهد منكرا ورضي به فكانه
قد فعله وفي اخر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله اخر بالمغرب كان شريكا في قتله وفي اخر ان العبد ليغيب
من المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به واما بغض الكفار والفجار
والفساق ومقتهم والانكار عليهم فما ورد فيه من شواهد الكتاب والسنة اكثر من ان يحصى قال
الله سبحانه (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) (وقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء) وفي الخبر ان الله اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقد تقدم
جملة من شواهد هذا في باب الحب في الله والبغض في الله فان قيل المعاصي ان لم يكن بقضاء الله وقدره فهو

وقادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله مطلقا فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله والآيات و
الاخبار مصرحة بوجوب الرضا بقضاء الله مطلقا وذلك تناقض فكيف السبيل الى الجمع وانى
يتاتى الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد قلنا المقرر عند بعض الحكماء ان الشرور الواقعة في العالم
من المعاصي وغيرها راجعة الى الاعدام دون الموجودات فلا تكون مرادة له تعالى ولا داخلة في قضائه
وعند بعضهم انها داخلة في قضائه بالعرض لا بالذات ولا ضير في كراهة ما ليس في قضاء الله تعالى بالذات
وعند بعضهم انها شرور قليلة باعثة خيرات كثيرة وعلى هذا فينبغي ان تكون مكروهة من حيث
ذاتها وبهذه الحيثية لا تكون من قضاء الله ومرضية والرضا به من حيث كونها باعثة للخيرات الكثيرة و
التحقيق ان الاوصاف الثلثة ثابتة للشرور الواقعة في العالم اعني انها راجعة الى الاعدام
وداخلة في قضائه تعالى بالعرض وشرور قليلة باعثة للخيرات الكثيرة وعلى هذا فوجه الجمع
اظهر ثم لابي حامد الغزالي هنا وجه جمع آخر لا يروي الغليل ولا يشفي العليل فان قيل بغض
اهل المعاصي ومقتهم موقوف على ثبوت الاختيار لهم وتمكنهم من تركها واثبات ذلك مشكل
قلنا لا اشكال فيه اذ البديهة قاضية بثبوت نوع اختيار للعباد في افعالهم سيما فيما يتعلق به التكليف
والخوض في هذه المسئلة مما لا ينبغي فالاولى فيها السكوت والتاديب بآداب الشرع والرجوع
الى ما ورد من العترة الطاهرة وما يمكن ان يقال فيها قد ذكرناه في كتابنا المسمى بجامع الافكار

فصل الطريق الى تحصيل الرضا ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه هو الاصلح بحاله وان لم
يبلغ فهمه الى سره مع ان السخط والكراهة لا يفيد شيئا ولا يتبدل به القضاء فانما قد يكون وما
يقدر لم يكن وحسرة الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة ويبقى تبعة السخط عليه
فينبغي ان يدهشه الحب لخالقه عن الاحساس بالالم كما للعاشق وان يهون عليه العلم بعظم
الثواب التعب والعناء كالمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر ويفوض امره الى الله ان الله
بصير بالعباد **تتميم** اعلم ان التسليم ويسمى تفويضا قريب من الرضا بل هو فوق الرضا
لانه عبارة عن ترك الاعراض في الامور الواردة عليه وحوالتها باسرها الى الله مع قطع تعلقه عنها
بالكلية بمعنى ان لا يكون طبعه متعلقا بشيء منها فهو فوق الرضا اذ في مرتبة الرضا كلما يفعل الله
به يوافق طبعه فالطبع ملحوظ ومنظور له وفي مرتبة التسليم يجعل الطبع وموافقته ومخالفته كلها
موكولة الى الله سبحانه وفوق مرتبة التوكل ايضا اذ التوكل كما ياتي عبارة عن الاعتماد في اموره على الله
فهو بمنزلة توكيل الله في اموره وكانه يجعل الله تعالى بمثابة وكيله فيكون تعلقه باموره باقيا وفي مرتبة

فضيلة التسليم و التفويض الى الله

التسليم ٢٤١

التسليم بقطع العلاقة من الامور المتعلقة به بالكلية ومنها الحزن وهو التحسر والتالم
لفقد محبوب او فوت مطلوب وهو ايضا كالاعتراض والانكار مترتب على الكراهة للمقدرات الالهية
والفرق ان الكراهة فى الاعتراض اشد من الكراهة فى الحزن كما ان ضد الكراهة اعنى الحب فى ضدهما
بعكس ذلك اى ظهوره فى السرور الذى ضد الحزن اشد من ظهوره فى الرضا الذى هو ضد الاعتراض
فان الرضا هو منع النفس فى الواردات من الجزع مع عدم كراهة وفرح والسرور هو منعها فيها عن
الجزع مع الابتهاج والانبساط فالسرور فوق الرضا فى الشرافة كما ان الحزن تحت الاعتراض فى
الخسة والرذالة وسبب الحزن شدة الرغبة فى المشتهيات الطبيعية والميل الى مقتضيات قوتى
الغضب والشهوة وتوقع البقاء للامور الجسمانية وعلاجه ان يعلم ان ما فى عالم الكون والفساد من
الحيوان والنبات والجماد والعروض والاموال فى معرض الفناء والزوال وليس فيهما ما يقبل البقاء
وما يبقى ويدوم هو الامور العقلية والكمالات النفسية المتعالية عن حيطة الزمان وحوزة
المكان وتصرف الاضداد وتطرق الفساد واذا تيقن بذلك زالت عن نفسه الخيالات الفاسدة و
الامانى الباطلة فلا يتعلق قلبه بالاسباب الدنيوية ويتوجه بشراشره الى تحصيل الكمالات العقلية
والسعادات الحقيقية الموجبة للاتصال بالجواهر النورية الباقية والمجاورة للانوار القادسة
الثابتة فيصل الى مقام البهجة والسرور ولا يلحقه احزان عالم الزور كما اشير اليه فى الكتاب الالهى بقوله
(الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وفى اخبار داود ع يا داود ما لاوليائى والهم
بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم ان محبتى من اوليائى ان يكونوا روحانيين لا
يغتمون والحاصل ان حب الفانيات والتعلق بما من شانه الفوات خلاف مقتضى العقل وحرام على العاقل
ان يفرح بوجود الامور الفانية او يحزن بزوالها ولقد قال سيد الاوصياء عليه الاف التحية والثناء ما لعلى
وزينة الدنيا وكيف افرح بلذة تفنى ونعيم لا يبقى بل ينبغى ان يرضى نفسه بالموجود ولا يغتم بالمفقود و
يكون راضيا بما يرد عليه من خير وشر وقد ورد فى الآثار ان الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الروح و
الفرح فى الرضا واليقين ومن رضى بالموجود ولا يحزن بالمفقود فقد فاز بامن بلا فزع وسرور بلا جزع و
فرح بلا حسرة ويقين بلا حيرة وما لطالب السعادة ان يكون ادون حالا من سائر طبقات الناس فان
(كل حزب بما لديهم فرحون) كالتاجر بالتجارة والزارع بالزراعة بل الشاطر بالشطارة والقواد بالقيادة
مع انما هو السبب والموجب للفرح فى الواقع ونفس الامر ليس الا لاهل السعادة والكمال وما لغيرهم محض
التوهم ومجرد الخيال فينبغى لطالب السعادة ان يكون فرحانا بما عنده من الكمالات الحقيقية والسعادات الابدية

رذيلة الحزن والتحسر من انواع الرذائل

التنبيه على اختلاف طبقات الناس في الفرح لشئ من الامور الحسية والعقلية

ولا يحزن على فقد الزخارف الدنيوية والحطام الطبيعية ويتذكر ما خاطب الله به نبيّه ولا تمدّن
عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ ومن تصفح فرق الناس يجد ان كل فرقة منهم فرحهم بشيء من الاشياء وبه اهتزازهم وقوامهم و
نظام امرهم فالصبيان فرحهم باللعب لتهيئة اسبابه وهو في غاية القبح والركاكة عند من جاوز
مرتبتهم والبالغون حد الرجولية بعضهم فرحان بالدرهم والدينار وبعضهم بالضياع والعقار
واخر بالاتباع والانصار وفرقة بالنسوان والاولاد وطايفة بالحرف والصنايع وبعضهم بالحسب
والنسب والاخر بالجاه والمنصب بعضهم بالقوة الجسمانية واخر بالجمال الصوري وطايفة بالكمالات
الدنيوية كالخط والشعر وحسن الصوت والطب والعلوم الغريبة وغير ذلك حتى ينتهي الى
من لا يفرح الا بالكمالات النفسية والرياضات المعنوية وهم ايضا مختلفون فبعضهم غاية فرحه
بالعبادة والمناجاة واخر بمعرفة حقايق الاشيا حتى يصل الى من ليس فرحه الا بالانس بحضرة
الربوبية والاستغراق في لجة انواره وساير المراتب عنده في زايل وخيال باطل ولا ريب في ان
العاقل يعلم ان ما ينبغي ان يفرح و يبتهج به حصول هذه المرتبة وساير الامور كسراب بقيعة
يحسبه الظمان ماء فلا ينبغي للعاقل ان يحزن بفقدها و يفرح بوجودها ثم من تامل يجد ان الحزن
ليس امرا وجوديا لازما بل هو امر اختياري يحدثه الشخص في نفسه بسوء اختياره اذ كلما يفقد من
شخص و يحزن لاجله ليس موجودا لكثير من الناس بل ربما لم يملكوه في مدة عمرهم اصلا ومع ذلك
لا تجدهم محزونين على عدمه بل فرحون راضون ولو كان الحزن لازما لفقد هذا الامر لكان
كل من فقده محزونا وليس كذلك وايضا كل حزن يعرض لاجل مصيبة يزول بعد زمان و يتبدل
بالسرور ولو كان الحزن لاجلها امرا ضروريا لازما لما زال اصلا ثم العجب من العاقل ان يحزن من
فقد الامور الدنيوية مع انه يعلم ان الدنيا دار الفناء وزخارفها متنقلة بين الناس ولا
يمكن بقاؤها لاحد فجميع الاسباب الدنيوية ودايع الله ينتقل الى الناس على سبيل التبادل
والتناوب ومثلها مثل شمامة تدار في مجلس بين اهله على التناوب يتمتع في كل لحظة واحد منهم
ثم من يعطيها غيره فطامع البقاء للحطام الدنيوية كمن طمع في ملكية الشمامة واختصاصها به اذا وصلت
اليه بنوبة الاستمتاع واذا استردت منه عرض له الحزن والخجلة وما المال والاهلون الا ودايع
ولا بد يوما ان ترد الودايع فلا ينبغي للعاقل ان يغتم و يحزن لاجل رد الوديعة كيف والحزن بردها
كفران للنعمة اذ اقل مراتب الشكر ان يرد الوديعة الى صاحبها على طيب النفس سيما اذا استرد الاخس

فصل في ذم عدم الاعتماد على الله ومدح التوكل عليه وبيان حقيقته وسببهما

اعني الخباثة الدنيوية وبقي الاشرف اعني النفس وكمالاتها العلمية والعملية فينبغي لكل عاقل ان لا يتعلق
قلبه بالامور الفانية حتى لا يحزن بفقدها قال سقراط اني لم احزن قط اذ ما احببت قط
شيئا حتى احزن بفوته ومن سره ان لا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا ومنها عدم الاعتماد او
ضعفه في اموره على الله والوثوق بالوسائط والنظر اليها فيها وسببه اما ضعف اليقين او
ضعف القلب وكلاهما فهو من رذائل قوتي العاقلة والغضبية ولا ريب في انه من المهلكات العظيمة
وينافي الايمان بل هو من شعب الشرك ولذا ورد في ذمه من الآيات والاخبار ما ورد
قال الله سبحانه ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقال ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وفي اخبار داود يا داود
ما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته الا قطعت اسباب
السموات من يديه واسخت الارض من تحته ولم ابال باي واد هلك وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله من اعتز بالعبيد اذله الله وقيل مكتوب في التورية ملعون من ثقته بانسان
مثله فينبغي للمؤمن ان يتخلى عنه باكتساب ضده اعني التوكل كما يأتي

وصل التوكل وهو
اعتماد القلب في جميع الامور على الله وبعبارة اخرى حوالة العبد جميع اموره على الله و
موقوف على ان يعتقد اعتقادا جازما بانه لا فاعل الا الله وانه لا حول ولا قوة الا بالله
وان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد
والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته
عناية فمن اعتقد ذلك اتكل قلبه لا محالة على الله وحده ولم يلتفت الى غيره ولا الى نفسه اصلا
ومن لم يجد ذلك من نفسه فسببه اما ضعف اليقين او ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن
عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب الضعيف ينزعج تبعا للوهم وطاعة
له من غير نقصان في اليقين كانزعاجه ان يبيت مع ميت في قبر او فراش مع يقينه بانه
جماد في الحال لا يتصور منه اضرار فلا ينبغي ان يخاف منه وينفر عنه كما لا ينفر من سائر الجمادات
وكذا من كان ضعيف القلب تناول العسل مثلا فشبه بين يديه العسل بالعذرة فربما نفر طبعه لضعف
قلبه وتعذر عليه ان يتناوله مع يقينه بانه عسل ولا مدخلية للعذرة فيه فالتوكل لا يتم
الا بقوة اليقين وقوة القلب جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب

رذيلة عدم الاعتماد على الله تعالى

فضيلة التوكل على الله

في ان قوة القلب واليقين معاً شرط في حصول التوكل وانه افضل درجات الموقنين

شيء آخر واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت اليقين في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء امره الى ان يبلغ الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية وكم يكون من مطمئن لا يقين له كارباب الملل والمذاهب الباطلة فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهما اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس واذا توقف التوكل على اليقين وقوة القلب ارتفع بضعف احدهما ويظهر ان التوكل من الفضائل المتعلقة بقوتي العاقلة والغضبية معاً وضده اعني عدم التوكل من رذائل احدهما او كليهما ثم انك قد عرفت في باب التوحيد ان عماد التوكل وما ينبني عليه هو المرتبة الثالثة من التوحيد وهي ان ينكشف للعبد باشراق نور الحق بانه لا فاعل الا هو وان ما عداه من الاسباب والوسائط مسخرون مقهورون تحت قدرته الازلية فطالب التوكل يلزم عليه ان يحصل هذه المرتبة من التوحيد ليحصل له التوكل وقد عرفت ايضاً ان المرتبة الثانية منه اعني التوحيد الاعتقادي اذا قوي ربما اورث حال التوكل الا ان التوكل كما ينبغي موقوف على المرتبة الثالثة منه

فصل التوكل منزل من منازل السالكين ومقام من مقامات الموحدين بل هو افضل درجات الموقنين ولذا ورد في مدحه وفضله وفي الترغيب فيه ما ورد من الكتاب والسنة قال الله تعالى وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وقال وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وقال وَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وقال وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وقال وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اي عزيز لا يذل من استجار به فلا يضيع من لاذ بجنابه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وآله من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده وقال صلى الله عليه وآله لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط فاتكيت عليه فاذا رجل عليه ثوبان ابيضان ينظر في تجاه وجهي ثم قال يا علي بن الحسين ما لي اراك كئيباً حزيناً على الدنيا فرزق الله حاضر للبر والفاجر قلت ما على هذا احزن وانه لكما تقول قال فعلى الآخرة فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر او قال قادر قلت ما على هذا احزن وانه لكما تقول قال فمم حزنك قلت مما نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس

قال

خاتمة في ذكر التوكل وما يترتب عليه على وفق الاحوال في فضيلة القوة المترتبة عليه

قال فضحك ثم قال يا علي بن الحسين هل رايت احدا دعا الله فلم يجبه قلت لا قال فهل رايت احدا توكل على الله فلم يكفه قلت لا قال فهل رايت احدا سئل الله فلم يعطه قلت لا ثم غاب عني ولعل الرجل كان هو الخضر على نبينا وعليه السلام وقال الصادق عليه السلام اوحى الله الى داود ما اعتصم بي عبد من عبادي دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والارض ومن فيهن الا جعلت له المخرج من بينهن وقال عم ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا وقال عم من اعطي ثلثا لم يمنع ثلثا من اعطي الدعاء اعطي الاجابة ومن اعطي الشكر اعطي الزيادة ومن اعطي التوكل اعطي الكفاية قال الله تعالى وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وقال وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وقال ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وقال عم ايما عبد اقبل قبل ما يحب الله عز وجل اقبل الله قبل ما يحب ومن اعتصم بالله عصمه الله ومن اقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الارض او كانت نازلة نزلت على اهل الارض فشملتهم بلية كان في حزب الله بالتقوى من كل بلية اليس الله يقول ان المتقين في مقام امين وقال ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل مؤمل غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه من فضلي ايؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم ان من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري الا من بعد اذني افتراني ابدء بالعطاء قبل المسئلة ثم اسئل فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة بيدي اوليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني

فصل

للتوكل في الضعف والقوة ثلث درجات الاولى ان يكون حاله في حق الله والثقة بعنايته وكفالته كحاله في الثقة بالوكيل وهذه اضعف الدرجات وبكثر وقوعها ويدوم مدة مديدة ولا ينافي اصل التدبير والاختيار بل ربما زاول كثيرا من التدبيرات بسعيه واختياره نعم ينفي بعض

من الناشر

لا من ليس ... [illegible] ... عنه ... [illegible]

تفصيل الدرجات الثلث للتوكل وبيان الفرق بين كل واحد منها بالقياس الى الآخر

التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من غير جهة الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله ولا التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون تصريح اشارته الثانية ان يكون حاله مع الله كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الا اليها ولا يعتمد الا عليها فان راها تعلق في كل حال وامر بذيلها وان ورد عليه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه و الفرق بين هذا وسابقه ان هذا متوكل قد فني في توكله عن توكله اي ليس يلتفت قلبه الى التوكل بل التفاته انما هو الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فتوكل بالتكسب والتكلف وليس فانيا عن توكله اي له التفات الى توكله وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده وهذا اقل وقوعا ودواما من الاول اذ حصوله انما هو للخواص وغايته دوامه ان يدوم يوما او يومين وينافي التدبيرات الا تدبير الفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط الثالثة وهي اعلى الدرجات ان يكون بين يدي الله في حركاته و سكناته مثل الميت بين يدي الغاسل بان يرى نفسه ميتا ويحركه القدرة الازلية كما يحرك الغاسل الميت وهو الذي قوي نفسه ونال الدرجة الثالثة من التوحيد والفرق بينه وبين الثاني ان الثاني لا يترك الدعاء والتضرع كما ان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها وهذا ربما يترك السؤال (الدعاء) ثقة بكرمه وعنايته فهذا مثال صبي علم ان لم يزعق بامه فالام تطلبه وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسئل اللبن فهي تسقيه ومن هذا القسم توكل ابرهيم الخليل ع لما وضع في المنجنيق ليرمى به الى النار واشار اليه روح الامين بسؤال النجاة والاستخلاص من الله سبحانه فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وهذا نادر الوقوع عزيز الوجود فهو مرتبة الصديقين واذا وجد فدوامه لا يزيد على صفرة الوجل او حمرة الخجل وهو ينفي التدبيرات ما دام باقيا اذ يكون صاحبه كالمبهوت ثم توكل العبد على الله قد يكون في جميع اموره وقد يكون في بعضها ويختلف درجات ذلك بحسب كثرة الامور المتوكل فيها وقلتها وقال الكاظم ع في قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه التوكل على الله درجات منها ان تتوكل على الله في امورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضيا تعلم انه لا يالوك خيرا وفضلا وتعلم ان الحكم في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك اليه وثق به فيها وفي غيرها ولعل سائر درجات التوكل على الله (ان يتوكل) في بعض اموره دون بعض وتعدد الدرجات بحسب كثرة الامور المتوكل فيها وقلتها

الرمي الى النار والانعام

فصل

اعلم ان الامور الواردة على العباد اما ان تكون خارجة عن قدرة العباد وسعيهم بمعنى انه لا يكون

في ان الامور المطلوبة اقسام من حيث قدرة العبد عليها وعدمها

لها اسباب ظاهرة قطعية او ظنية لجلبها او دفعها او يكون لها اسباب جالبة لها او دافعة اياها الا ان العبد لا يتمكن منها فمقتضى التوكل فيها ترك السعي بالتمحلات والتدبيرات الخفية وحوالتها على رب الارباب اذ لو دبر في تغييرها بالتمحلات والتكلفات لكان خارجا عن التوكل رأسا او يكون خارجة عن قدرتهم بمعنى ان لها اسباب قطعية وظنية يمكن للعبد ان يحصلها ويتوصل بها الى جلبها او دفعها فالسعي في مثلها لا ينافي التوكل بعد ان يكون وثوقه واعتماده بالله دون الاسباب فمن ظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالعقل رأسا والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة فقد ابعد عن الحق لان ذلك محرم في الشرع الاقدس كلف الله الانسان بطلب الرزق بالاسباب التي هداه الله اليها من زراعة او تجارة او صناعة او غيرها مما احله الله وبابقاء النسل بالتزويج وكلفه بان يدفع عن نفسه الاشياء المؤذية بالتوسل الى الاسباب المعينة لدفعها وكما ان العبادات امور امر الله عباده بالسعي فيها ليحصل لهم بها التقرب والسعادة في دار الآخرة فكذلك طلب الحلال ودفع الضرر والالم عن النفس والاهل والعيال امور امرهم الله بها ليحصل لهم بها التوسل الى العبادات وما يؤدي الى التقرب والسعادة ولكنه سبحانه كلفهم ايضا بان لا يثقوا الا به ولا يعتمدوا على الاسباب كما انه سبحانه كلفهم بان لا يتكلوا على اعمالهم الحسنة بل على فضله ورحمته فمعنى التوكل المأمور به في الشريعة اعتماد القلب على الله في الامور كلها وانقطاعه عما سواه ولا ينافيه تحصيل الاسباب اذا لم يسكن اليها وكان سكونه الى الله سبحانه دونها مجوزا في نفسه ان يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الاسباب التي حصلها وان يقطع الله هذه الاسباب عن مسبباتها

فصل

الاسباب التي لا ينافي تحصيلها ومزاولتها للتوكل هي الاسباب القطعية او الظنية وهي التي يقطع او يظن بارتباط المسببات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطا مطردا لا يتخلف عنها سواء كانت لجلب نفع او لدفع ضرر منتظر او لازالة آفة واقعة وذلك كمد اليد الى الطعام للوصول اليه وحمل الزاد الى السفر واتخاذ البضاعة للتجارة والوقاع لحصول الاولاد واخذ السلاح للعدو والادخار لتجدد الاضطرار والتداوي لازالة المرض والتحرز عن النوم في ممر السيل ومسكن السباع وتحت الحائط المائل وغلق الباب وعقل البعير وترك الطريق الذي يقطع او يظن وجود السارقين او السباع الضارة فيه وقس عليها غيرها واما الاسباب الموهومة كالرقية والطيرة والاستقصاء في دقائق التدبير وابداء التمحلات لاجل التبديل والتغيير

ان الشارع

فيبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست باسباب عند العقلاء وليست مما امر الله بها بل ورد النهي عنها على ان المأمور به الاجمال في الطلب وعدم الاستقصاء قال رسول الله صلعم الا ان الروح الامين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال صلعم ما اجمل في الطلب من ركب البحر وقال الصادق عليه السلام ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن اليها ولكن انزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف وتكتسب ما لا بد منه ان الذين اعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم وقال عم اذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك

فصل اعلم ان التوكل لا يبطل بالاسباب المقطوعة والمظنونة مع ان الله قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله سبحانه ربط المسببات بالاسباب وابى ان يجري الاشياء الا بالاسباب ولذا لما اهمل الاعرابي بعيره وقال توكلت على الله قال النبي صلعم اعقلها وتوكل وقال الصادق عم اوجب الله لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها لذلك وامرهم بذلك وقال الله تعالى خُذُوا حِذْرَكُمْ وقال في كيفية صلوة الخوف فَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وقال وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ وقال لموسى فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرر وفي الاسرائيليات ان موسى بن عمران اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافيني الله من غير دواء فطالت علته فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرئك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرئ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وكان زاهد من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل فقال لا اسئل احدا شيئا حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته رزق فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر فاقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي

فصل اعلم ان درجات الناس كما عرفت في التوكل مختلفة بحسب اختلاف تفاوت مراتبهم في قوة اليقين وضعفه وفي قوة التوحيد وضعفه فمنهم من كمل ايمانه ويقينه

بحيث يسقط ويتوقف عن الاسباب بالكلية ويتوجه بشراشره الى الواحد الحق ولا يرى مؤثرا الا هو ولا يلتفت بنظره الى غيره ولا يعتري نفسه اضطراب اصلا فلا باس لمثله ان يعرض عن الاسباب المقطوعة او المظنونة بالكلية لان الله سبحانه يحفظه ويحرسه ويصلح اموره ويرزقه من حيث لا يحتسب سواء حصل الاسباب ام لا وسواء كسب ام لم يكتسب الا انه ربما لم يترك السبب والكسب ويتبع امر الله فيه الا انه ليس يتوقع الا بالله دون السبب والكسب وما ورد من حكايات بعض الكمل من الاولياء من انهم يسافرون في البوادي التي لا يطرقها الناس بغير زاد ثقة بالله وتوكلا عليه ويصل اليهم الرزق او لا يحترزون من السباع الضارة او يغلظون القول بالنسبة الى اهل الاقتدار من الملوك والسلاطين من دون خوف مبالاة اعتمادا على الله والله سبحانه ينجيهم منهم كانوا منهم اي من الكاملين في التوكل قال الصادق ع ابى الله عز وجل ان يجعل ارزاق المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون وانما خصه بالمؤمنين لان كمال الايمان يقتضي ان لا يثق صاحبه بالاسباب وان يتوكل على الله عز وجل وحده وكمال الايمان انما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء والاولياء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومنهم من لم يبلغ قوة ايمانه ويقينه حدا يغيب عن نظره الاسباب والوسايط ويكون مقصور الالتفات الى جناب الحق فهذا هو الذي لا ينبغي له ان يعرض عن الاسباب وتركها الا ان مثله ليس له المظنة المطنة التي توصله الى المقصد بدون الوسايط اعني قوة التوكل على الله واليقين به سبحانه

فصل كان بعض الناس زعم ان حق التوكل ان يكتفى بالاسباب المخفية عن الاسباب الجلية بان يسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس بغير زاد بعد ان راض نفسه على جوع الاسبوع فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب واضطراب في نفسه وتشويش خاطره وفتور في ذكر الله وبعد ان يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق له وان يوطن نفسه على انه ان مات جوعا كان خيرا له في الاخرة وكان يجلس في مسجد او بيته ويترك الكسب ويتفرغ للعبادة والفكر والذكر واستغرق وقته بها بحيث لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله وهذا محض الخطا اذ من جاهد نفسه وراضها بحيث يصبر على جوع الاسبوع ويمكنه التقوت بالحشيش صارت له الاسباب جلية فان عند الحاجة احد الغنائين ثم ان كان اعتماده ح على صبره وتمكنه من التقوت بالحشيش فاين التوكل وان كان وثوقه بالله وحده فليقم في بلده مع الاسباب كما امر الله به في الشرع واما توطين نفسه باختياره على الموت فممنوع عقلا ومحرم شرعا قال الله سبحانه ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما الجالس في بيته التارك

اصلا وقلبه مطمئن تاكون بعنايته لا يخلج بباله احتمال ان يكله ربه الى غيره

يخرزون

في تنبيه النفس على أن مؤثر الكل هو الله وبيده ما يفيد التوكل عليه والوثوق به

لكسب معاشه من دون طلب فهو ابله فقد ترك ما امره الله به قال الصادق ع ان من يقوته اشد عبادة منه وربما يكون مثله كلا على الناس فان حاله ينادي بالبؤس والياس بل هو ضرب من التوطن على تكفف الناس والتعرض للذل وبالجملة لا مدخل لخفاء الاسباب وجلائها في التوكل بعدما تقرر ان معناه الثقة بالله وحده لا بالاسباب فسواء وجود الاسباب وفقدها وجلاؤها وخفاؤها

تتميم الطريق الى تحصيل التوكل بعد تقوية التوحيد والاعتقاد بان الامور باسرها مستندة اليه سبحانه وليس لغيره مدخلية فيها ان يتذكر الآيات والاخبار المذكورة الدالة على فضيلته ومدحه وكونه باعث النجاة والكفاية ثم يتذكر ان الله سبحانه خلقه بعد ان لم يكن موجودا واوجده من كتم العدم وهيأ له ما يحتاج اليه وهو ارأف بعباده من الوالدة بولدها وتضمن بكفاية من توكل عليه فيستحيل ان يضيعه ويهمله ولا يكفيه مؤونته ولا يوصل اليه ما يحتاج اليه ولا يدفع عنه ما يؤذيه لتقدسه من العجز والنقص والخلف والسهو وينبغي ان يتذكر الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول الارزاق الى صاحبها وفي دفع البلايا والاسواء عن بعض عبيده والحكايات التي فيها عجائب قهر الله في اهلاك اموال الاغنياء واذلال الاقوياء وكم من عبد ليس له مال وبضاعة ورزقه الله بسهولة وكم من ذي مال وثروة هلكت بضاعته او سرقت وصار محتاجا وكم من قوي صاحب كثرة وعدة وسطوة صار عاجزا ذليلا بلا سبب ظاهر وكم من ذليل عاجز صار قويا واستولى على الكل ومن تأمل في ذلك يعلم ان الامور بيد الله فلا ينبغي الاعتماد على غيره والثقة به والتنبيه ان تعلم ان الامور لو كانت بقدرة الله سبحانه من غير مدخلية للاسباب والوسائط فيها فحصر التوكل عليه سبحانه والثقة بغيره غاية الجهل وان كانت منه سبحانه من الوسائط والاسباب بمدخلية فالتوكل من جملة اسباب الكفاية وانجاح الامور اذ السمع والتجربة شاهدان بان من توكل عليه وانقطع اليه كفاه الله كل مؤونة فكما ان شرب الماء سبب لازالة العطش والاكل سبب لدفع الجوع فكذا التوكل سبب سببه مسبب الاسباب لانجاح المقاصد وكفاية الامور وعلامة حصول التوكل ان لا يضطرب قلبه ولا يبطل سكونه بفقد اسباب نفعه وحدوث اسباب ضرره فلو سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب نفسه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب بفقده فقد سكن اليه واطمأن به ومنها الكفران وضده الشكر وبعدما عرف حقيقة الشكر وكونه متعلقا باي القوى تعرف بالمقايسة حقيقة الكفران

في بيان المعاني المعتبرة في حقيقة الشكر والكلام في بسط كل منها وكشف وتفصيل ما يعتبر فيها

وكونه من رذائل اى القوى فنقول الشكر هو عرفان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمار
الخير والتحميد للمنعم واستعمال النعمة في طاعته اما المعرفة فبان تعرف ان النعم كلها من الله وانه
هو المنعم والوسايط مسخرون من جهته ولو انعم عليك احد فهو الذى سخره لك والقى في قلبه من
الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فمن عرف ذلك حصل احد اركان
الشكر لله وربما كان مجرد ذلك شكرا وهو الشكر بالقلب كما روى ان موسى قال في مناجاته الهى
خلقت ادم بيدك واسكنته جنتك وزوجته حوا امتك فكيف شكرك فقال علم ان ذلك
منى فكانت معرفته شكرا ثم هذه المعرفة فوق التقديس فوق بعض مراتب التوحيد وهما داخلان
فيها اذ التقديس تنزيهه سبحانه عن صفات النقص والتوحيد قصر المقدس عليه والاعتراف بعدم
مقدس سواه وهذه المعرفة هى اليقين بان كل ما في العالم موجود منه والكل نعمة منه فينطوى
فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل ولذلك قال رسول الله صلعم من قال
سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله
فله ثلثون حسنة فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله
كلمة تدل على معرفة النعم من الواحد الحق ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه
الكلمات من غير عقد القلب بمعانيها بل هى بازاء الاعتقاد بمعانيها التى هى المعارف المعدودة
من ابواب الايمان واليقين واما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو ايضا من اركان
الشكر بل كما ان المعرفة شكر قلبى براسه فهو ايضا في نفسه شكر بالقلب وانما يكون شكرا اذا كان
فرحه بالمنعم او بالنعمة لا من حيث انه نعمة ومال ينتفع به ويلتذ منه في الدنيا بل من حيث انه يقدر
بها على التوصل الى القرب من المنعم والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام وامارته ان لا
يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن
سبيله لانه ليس يريد النعمة لذاتها بل من حيث انها توصله الى مجاورة المنعم وقربه ولقائه واما
العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه وهو يتعلق بالقلب
واللسان والجوارح اما المتعلق بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما المتعلق باللسان
فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه واما المتعلق بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته و
التوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان من جملة شكر العينين ان يستر كل عيب يراه من مسلم
ومن جملة شكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه من مسلم فيدخل هذا وامثاله في جملة شكر نعمة هذه

الاعضاء بل من قبل من كفر نعمة العين ولم يستعملها فيما خلقت لاجله كفر نعمة الشمس ايضا اذ الابصار انما يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما بل المراد من خلق السماء والارض وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن الدنيا وغرورها ولذاتها وعلايقها ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يبقاء البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والنار ولا يتم ذلك الا بخلق الارض والسماء وخلق ساير الاشياء وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والنفس الراجعة الى الله هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها الاقدام على تلك المعصية واذا عرفت حقيقة الشكر تعرف بالمقايسة حقيقة الكفران فانه عبارة عن الجهل بكون النعم من الله وعدم الفرح بالمنعم والنعمة من حيث ايصالها الى القرب منه او ترك استعمال النعمة فيما يحبه المنعم او استعمالها فيما يكرهه ثم بما ذكرناه وان ظهر ان حقيقة الشكر ملتئمة من الامور الثلثة الا انه قد يطلق الشكر على كل واحد ايضا كما قال الصادق ع شكر كل نعمة وان عظمت ان تحمد الله وقال ع شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله وسئل عنه ع كان فيما انعم عليه هل للشكر حد اذا فعله العبد كان شاكرا قال نعم قيل ما هو قال يحمد الله على كل نعمة عليه في اهل ومال وان كان فيما انعم عليه في ماله من المال حق اداه فاداه ومنه اي من الشكر قوله تع سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ومنه قوله رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ وقوله تع رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا وقال ع كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة واذا ورد عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وقال ع اذا اصبحت وامسيت فقل عشر مرات اَللّٰهُمَّ مَا أَصْبَحَتْ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ عَافِيَةٍ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ بِهَا عَلَيَّ يَا رَبِّ حَتَّى تَرْضَى وَبَعْدَ الرِّضَا فانك اذا قلت ذلك كنت قد اديت شكر ما انعم الله عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة وقال ع وانه كان نوح ع يقول ذلك اذا اصبح فسمي بذلك عبدا شكورا وقال ع اذا ذكر احدكم نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله فان كان راكبا فلينزل وليضع خده على التراب وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه وان لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما انعم عليه

ولا يمكن الذكر والفكر مع

الحمد — في الشكر وانه باعتبار حقيقته متعلق بالقوى وانه من افضل منازل السالكين

وروي انه ضلت دابته فقال ان وجدتها لاشكرن الله حق شكره فلما وجدها قال الحمد لله ثم
الشكر باللسان لاظهار الرضا من الله ولذا امر به وكان السلف يتساءلون بينهم ونيتهم استخراج
الشكر لله ليوجر كل واحد من الشاكر والسائل وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لرجل كيف اصبحت
فقال بخير فاعاد عليه السؤال فاعاد عليه الجواب فاعاد السؤال ثالثة فقال بخير احمد الله واشكره
فقال صلى الله عليه وآله هذا الذي اردت منك **تنبيه** لا ريب في ان الجزء الاول من الشكر اعني معرفة
النعم من الله من متعلقات العاقلة ايضا وان كان لاجل وصول نعمة الغلبة والاستيلاء مثلا
على عدو وظالم يكون متعلقا بالقوة الغضبية وان كان من نعمة المال والاولاد يكون متعلقا بالقوة الشهوية
والجزء الثالث اعني العمل بمقتضى الفرح الحاصل من معرفة المنعم فهو من ثمرات الحب للمنعم والخوف من
زوال النعمة وبهذا يظهر ان الشكر والكفران من متعلقات القوى الثلث والاول من فضائلها
اذا امتزجت وتسالمت والثاني من رذائلها **فصل** الشكر افضل منازل الابرار وعمدة
زاد المسافرين الى عالم الانوار وهو موجب لدفع البلاء وازدياد النعماء وقد ورد به الترغيب
الشديد وجعله الله سببا للمزيد قال الله سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وقال ولئن شكرتم لازيدنكم وقال اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون
وقال وسنجزي الشاكرين ولكونه غاية الفضائل والمقامات ليس لكل سالك ان يصل
اليه بل ليس الوصول اليه الا لاوحدي من كمل السالكين اوصفوة سليم القلب من عظماء العارفين و
لذا قال الله رب العالمين وقليل من عبادي الشكور وكفى به شرفا وفضلا انه خلق من
اخلاق الربوبية كما قال الله سبحانه والله شكور حليم وهو فاتحة كلام اهل الجنة
وخاتمته كما قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الطاعم الشاكر له من الاجر كاجر الصائم
المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى الصابر والمعطي الشاكر له من الاجر كاجر المحروم
القانع وقال صلى الله عليه وآله ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر وقال صلى الله عليه وآله ينادي مناد يوم
القيمة ليقوم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة وقيل من الحمادون
فقال الذين يشكرون الله على كل حال وقال الصادق عليه السلام ان الله سبحانه يحب كل عبد حزين
ويحب كل عبد شكور وقال الباقر عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها فقالت يا رسول
الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا عائشة الا

فصل في ان الشكر عبادة وتمامه الاعتراف بالعجز عن بلوغ ادنى مراتبه

أكون عبداً شكوراً وقال في كان يقوم على اصابع رجليه فانزل الله طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى وقال الصادق ع ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه
فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد وقال ع ثلث لا يضر معهن شيء الدعاء عند الكرب والاستغفار
عند الذنب والشكر عند النعمة وقال ع في كل نفس من انفاسك شكر لازم لك بل الف او
اكثر وادنى الشكر رؤية النعمة من الله من غير علة يتعلق القلب بها دون الله والرضا بما اعطى وان لا تعصيه
بنعمته وتخالفه بشيء من امره ونهيه بسبب نعمته وكن لله عبداً شاكراً على كل حال تجد الله رباً
كريماً على كل حال ولو كان عند الله عبادة يتعبد بها عباده المخلصون افضل من الشكر على كل حال لاطلق
لفظها فيهم من جميع الخلق بتلك اللفظة فلما لم يكن افضل منها خصها من بين العبادات وخص اربابها فقال
وقليل من عبادي الشكور وتمام الشكر اعتراف لسان السر خاضعاً لله بالعجز عن بلوغ ادنى شكره
لان التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها وهي اعظم قدراً واعز وجوداً من النعمة التي من اجلها
وفقت له فيلزمك على كل شكر شكر اعظم منه الى ما لا نهاية له مستغرقاً في نعمه قاصراً عاجزاً عن درك
غاية شكره وانى يلحق شكر العبد لله نعمة الله ومتى يلحق صنيعه بصنيعه والعبد ضعيف لا قوة له
ابداً الا بالله والله غني عن طاعة العبد قوي على مزيد النعم على الابد فكن لله عبداً شاكراً على هذا
الاصل ترى العجب ثم لما كان الشكر من المنجيات الموصلة الى سعادة الابد وزيادة النعمة في الدنيا فضده
اعني الكفران من المهلكات المؤدية الى شقاوة السرمد وعقوبة الدنيا وسلب النعم قال الله سبحانه
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وقال الصادق ع اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعماء
اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت الشكر زيادة في النعم وامان من الغير اي من التغير

فصل

لما كان حقيقة الشكر عبارة عن عرفان كل النعم من الله مع صرفها في جهة محبة الله فالشكر على كل نعمة
ان تعرف كونها من الله وتصرفها في جهة محبته ولا ريب في ان هذه المعرفة والصرف ايضاً نعمة من الله
اذ جميع ما نتعاطاه باختيارنا نعمة من الله لان جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وساير
المعارف علينا وساير الامور التي هي اسباب حركاتنا من الله وعلى هذا فالشكر على كل نعمة نعمة اخرى
من الله يحتاج الى شكر آخر وهكذا فلا بد من الشكر في كل حال وليس يمكن ان ينتهي سلسلة الشكر الى
ما لا يحتاج الى شكر فغاية شكر العبد ان يعرف عجزه عن اداء حق شكره ثم اذ عرفان عجزه مسبب عن عرفان
جميع النعم حتى شكره من الله وهذا غاية ما يمكن للعبد ويشهد بذلك ما روي ان الله تعالى اوحى الى موسى

بل نفس حركاتنا

يا موسى اشكرني حقّ شكري فقال يا ربّ كيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به إلّا
وأنت أنعمت به عليّ قال يا موسى الآن شكرتني حيث علمت أنّ ذلك منّي وكذلك أوحى ذلك إلى داود
قال يا ربّ كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلّا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك
نعمة أخرى منك يوجب عليّ الشكر لك فقال إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أنّ
النعم منّي رضيت عنك بذلك شكراً وروي أنّ السجّاد كان إذا قرأ هذه الآية وَإِنْ تَعُدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا يقول سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلّا المعرفة بالتقصير عن معرفتها
نعمة كما لم يجعل في معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه فشكره تعالى معرفة العارفين بالتقصير
عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً كما علم علم العارفين بأنّهم لا يدركونه فجعله
إيماناً علماً منه أنّه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فإنّ شيئاً من خلقه لا يبلغ مدى عبادته
فكيف يبلغ مدى عبادته من لا مدى له ولا كيف تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً وقال
أبو الحسن عليه السلام من حمد الله على النعمة فقد شكره وكان الحمد لله أفضل من تلك النعمة يعني
أنّه نعمة فوق تلك النعمة يستدعي شكراً آخر **فصل** لمّا عرفت أنّ الشكر عبارة عن استعمال نعم
الله فيما يحبّه والكفران عبارة عن نقيض ذلك أعني ترك استعمالها فيما يحبّه أو استعمالها فيما يكرهه فلا بدّ من معرفة
ما يحبّه ويكرهه وتميّز محابّه عن مكارهه حتّى يتمكّن من أداء الشكر وترك الكفران لتوقّفهما على
معرفتهما وتميّزهما وهذا التميّز والتعريف له مدركان أحدهما الشرع فإنّه كشف عن جميع ما يحبّه
وما يكرهه وعبّر عن الأوّل بالواجبات والمندوبات وعن الثاني بالمحرّمات والمكروهات فمعرفة
ذلك موقوف على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لم يطّلع على حكم الشرع في جميع أفعاله
لم يمكنه القيام بحقّ الشكر وثانيهما العقل والنظر بعين الاعتبار فإنّ العقل متمكّن في الجملة من أن
يدرك بعض وجوه الحكم في بعض الموجودات فإنّ الله سبحانه ما خلق شيئاً في العالم إلّا وفيه حكم كثيرة
وتحت كلّ حكمة مقصود ومصلحة وهذا المقصود والمصلحة هو محبوب الله تعالى فمن استعمل كلّ شيء
على النحو الذي يؤدّي إلى المقاصد المطلوبة وعلى الجهة التي خلق لها فقد شكر نعم الله وإن
استعمل شيئاً على النحو الذي لا يؤدّي إلى المقصود منه أو في جهة غير الجهة التي خلق لها فقد كفر
نعمة الله ثمّ العقل لا يتمكّن من معرفة كلّ حكمة مطلوبة من كلّ شيء إذ الحكم المقصودة من الأشياء إمّا
جليّة أو خفيّة أمّا الجليّة كحكمة حصول الليل والنهار في وجود الشمس وحكمة انتشار الناس وسكونهم
في وجود الليل والنهار وحكمة انشقاق الأرض بأنواع النبات في وجود الغيم ونزول الأمطار

ثالثها ان شيئا جلية لخفية وخفية على
في الالي في الاحكم وخفية منها اكثرها الاكثر

وحكمة الابصار في العين والبطش في اليد والمشي في الرجل وحصول الاولاد وبقاء النسل
في آلات التناسل وخلق الشهوة وحكمة المضغ والطحن في خلق الاسنان وامثال ذلك واما
الحكم الخفية كالحكم التي في خلق الكواكب السيارة والثابتة واختصاص كل منها بقدر معين وموضع خاص
والحكم التي في بعض الاعضاء الباطنة للحيوان من الامعاء والمرارة والكلية وآحاد العروق والاعصاب
والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظة وغيرها
ذلك فهذه الحكم وامثالها لا يعرفها كل احد ومن يعرف منها شيئا فلا يعرف الا القدر اليسير اذ ان
جميع اجزاء العالم سمائه وكواكبه وما فيها من الاوضاع والحركة والاختصاصات وعناصره من كرة النار
والهواء والماء والارض وما فيها من البحار والجبال والرياح والمعادن والنبات والحيوان لا تخلو
ذرة من ذراته من حكم كثيرة من عشرة الى الف واكثر وقليل منها جلية واكثرها دقيقة خفية
وبعضها متوسط في الجلاء والخفاء يعرفها المتفكرون في خلق السموات والارض واكثر الحكم
الدقيقة مما لا يعرفها غير خالقها وموجدها ثم ما عدا الانسان من الاشياء المجردة والمادية
الروحانية والجسمانية جارية على وفق الحكمة ومستعملة ذواتها واجزائها وما يتعلق بها
على الوجه الذي هو مقتضى المصلحة المقصودة منها واما الانسان فلكونه محل الاختيار ومجراه فقد
يجري ويستعمل الاشياء التي يتمكن من استعمالها على خلاف ذلك فيكون كافرا بنعمة الله سبحانه
فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة الله في اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يؤذيه
ويأخذ بها ما ينفعه لا ليهلك به غيره ومن نظر الى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين لانها خلقت
ليبصر بها ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بها ما يضره فيهما ومن ادخر الدراهم والدنانير وحبسهما فقد
كفر نعمة الله فيهما لانهما حجران لا منفعة ولا عوض في اعيانهما وانما خلقهما الله تعالى ليكونا حاكمين
يحصل بهما التعديل والمساواة والتقدير بين سائر الاموال من الاعيان المتنافرة المتباعدة فيهما
عزيزان في نفسهما ولا غرض في اعينهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه
ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فان احتاج الى الطعام ربما لم يرغب صاحب
الطعام في الثوب اذ لا غرض له في ذاته بخلاف النقدين فانهما من حيث الصورة كانهما ليسا بشيء
ومن حيث المعنى كانهما كل الشيء والاشياء انما يستوي نسبته الى المختلفات اذا لم يكن له صورة خاصة
يقيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون وكالحرف لا معنى له في نفسه ويظهر به المعاني
في غيره وكذلك النقدان لا غرض فيهما مع كونهما وسيلة الى كل غرض فالحكمة في خلقهما ان يحكما بين الاموال

الاشارة المطوية في الاواعضاء وغيرها
بقية الى الحكم في النقد الاطعمة لبسة والجهات

بالعدل ويعرف بهما المقادير المختلفة ويقوم بهما الاشياء المتباينة ويحصل التوسل بهما الى سائر
الاموال فيلزم اطلاقهما لتداولهما الايدي ويحصل بهما التسوية في تبادل الاعيان والمنافع المختلفة
فمن ادخرهما وحبسهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكفر نعمة الله فيهما وكان كمن حبس حاكم
المسلمين في سجن ومن لم يدخرهما ولم يتصرف ازيد مما يحصل به التوصل الى ما يحتاج وانفق
الزايد في سبيل الله فهو الذي استعملهما على وفق الحكمة وشكر نعمة الله فيهما ولما عجز اكثر
الناس عن قرائة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحاتهما في فائدتهما وحكمتهما بخط الهي لا حرف فيه
ولا صوت اخبرهم الله عن ذلك بقوله وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ومما ظهر من وجه الحكمة فيهما يظهر ان من اتخذ الاواني
منهما فقد كفر نعمة الله فيهما ايضا وكذا من عامل معاملة الربا فيهما فقد كفر النعمة وظلم
لانهما انما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما
لانفسهما على خلاف وضع الحكمة وكذلك الحكمة في خلق الاطعمة ان يغتذى بهما فلا ينبغي ان يصرف عن
جهتهما ويبقى في الايدي بل اللازم ان يخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولذا ورد في الشرع
حرمة الاحتكار والمنع عن معاملة الربا في الاطعمة لان ذلك يوجب صرفها عن الحكمة
منها واذا عرفت ذلك فقس عليه جميع افعالك واعمالك وحركاتك وسكناتك فان كل فعل
منك اما شكر او كفران لا يتصور ان ينفك عنهما مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين
اذ خلق الله اليدين وجعل احديهما اقوى واستحق الاقوى لرجحانه التفضيل وتفضيل الناقص
عليه عدول عن العدل وهذا التفضيل انما يتصور بان تصرف الاقوى في الافعال الشريفة
كاخذ المصحف واكل الطعام وتصرف الاضعف في الاعمال الخسيسة كازالة النجاسة فمن خالف
ذلك فقد عدل عن العدل وابطل الحكمة وكفر النعمة وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت
باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والمبادية في الحظوظ ينبغي ان
يكون بالاشرف وهو العدل والعمل على وفق الحكمة فخلافه ظلم وكفران وكذلك ان استقبلت
القبلة عند قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق
الجهات متعددة متسعة وشرف بعضها بان وضع فيه بيته فينبغي استقباله بالافعال الشريفة
كالصلوة والجلوس للذكر والاغتسال والوضوء دون الافعال الخسيسة كقضاء الحاجة ورمي
البزاق فمن قضى حاجته او رمى بزاقه الى جهة القبلة فقد ظلمها وكفر نعمة الله وكذلك من كسر

غصنا من شجرة من غير حاجة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الاشجار وفي خلق
اليد اما اليد فلانها لم يخلق للعبث بل للطاعة المعينة عليها واما الشجر فلان الله تعالى خلقه و
خلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده
فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدالة نعم ان
كان له غرض صحيح في كسره فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فداء لاغراض الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان
فافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ثم هذه الافعال المتصفة بالكفران بعضها يوجب
نقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو افق
الشياطين ولذلك يوصف بعضها في لسان الفقه بالكراهة وبعضها بالحظر وقد سومح في الفقه
حيث جعل فيه بعض هذه المكاره مكروهة غير محظورة مع ان جميعها عدول عن العدل وكفران
للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة الى القرب لان الخطاب فيه انما الى العوام الذين يقرب درجتهم
من درجة الانعام وقد انغمسوا في ظلمات اعظم من ان يظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فان المعاصي
كلها ظلمات الا ان بعضها فوق بعض فيمحي بعضها في جنب البعض ولذا ترى ان السيد يعاتب عبده اذا
استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بهذا السكين اعز اولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه
حكم ونكاية في نفسه ولذا جميع هذه المكاره موصوفة عند ارباب القلوب بالحظر ولا يتسامحون في شيء
مما راعاه الانبياء والاولياء من الاداب حتى نقل ان بعضهم جمع اكرارا من الحنطة ويتصدق بها
فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره
بالصدقة **فصل** اعلم ان النعمة عبارة عن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر
وهي تنقسم الى مؤثر لذاته لا لغيره اي تكون غاية مطلوبة لذاتها ليس فوقها غاية اخرى وهي مخصوصة
بسعادة الآخرة التي لا انقضاء لها اعني لذة النظر الى وجه الله وسعادة لقائه وسائر اللذات
البهجة من البقاء الذي لا فناء له والسرور الذي لا غم فيه والعلم الذي لا جهل معه والغنى الذي
لا فقر بعده وغير ذلك فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وانما تطلب بل تطلب
لذاتها وهذه هي النعمة الحقيقية واللذة الواقعية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا عيش الا عيش
الآخرة وغالب هذه النعمة والسعادة واقواها واشرفها هي اللذة والبهجة المرضية العقلية
دون الجسمانية كما لا يخفى فيختص بادراكها العقل ولا حظ للسمع والبصر والشم والبطن و

الفرج فيها والى ما يقصد لغيره اى تكون مطلوبة لاجل الغاية المطلوبة لذاتها و وسيلة اليها سواء كانت مقصودة لذاتها ايضا ام لا وهى تنقسم الى اربعة اقسام القسم الاول وهو الاقرب الاخص الفضائل النفسية المذكورة فى هذا الكتاب و يجمعها العلم والعفة والشجاعة والعدالة وهذه مع كونها لذيذة فى نفسها تكون وسيلة الى النعمة التى هى غاية الغايات بلا توسط وسيلة اخرى و لذلك قلنا هى اقرب الوسائل واخصها واشرفها العلم واشرف افراد العلم العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله واحوال النشأة الآخرة وسائر افعاله وعلم المعاملة الراجع الى علم الاخلاق اذ هو الذى يؤدى الى السعادة الحقيقية بلا توسط شىء آخر وسائر العلوم انما هى مقصودة من حيث كونها وسائل الى هذا العلم وهذه الفضائل لذيذة فى الدنيا والآخرة نافعة فيهما اى تؤدى الى اللذة فيهما وجميلة على الاطلاق اى يستحسن فى جميع الاحوال وضدها اعنى الجهل والاخلاق السيئة ضارة مولمة فى الدارين قبيحة على الاطلاق وسائر الصفات ليست جامعة لهذه الاوصاف فان اكل لذائذ الاطعمة وطيباتها يوجب اللذة والنفع اى حصول الراحة فى الحال ولكنه ضار فى المال وترك الشهوات بعكس ذلك ثم لذة المعرفة وفضائل الاخلاق دائمة لازمة لا تزول ابدا لا فى الدنيا والآخرة وعقلية يختص بادراكها العقل دون سائر الحواس واما غيرها من اللذات فبعضها مما يشترك فيه الانسان وبعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وهذه اللذة موجودة فى الاسد والنمر وبعض آخر من الحيوانات وبعضها مما يشترك فيه الانسان و سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهى اخس اللذات ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات فمن جاوز هذه اللذة تشبث بلذة الغلبة والاستيلاء فان جاوزها ايضا ارتقى الى اللذة العقلية فصار اقرب اللذات عليه لذة المعرفة سيما لذة معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج حب الرياسة من القلب آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة والجاه ولذلك قمعها بالكلية بحيث لا يقع بها الاحساس فقط يشبه ان يكون خارجا عن مقدرة البشر نعم ربما غلب لذة المعرفة فى احوال بحيث لا يقع معها الاحساس بلذة الجاه والرياسة الا ان ذلك لا يدوم بل يعتريه الفترات فيعود الى الحالة البشرية وعلى هذا ينقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا اليه وليس فرحه الا بالله وليس فرحه الا بزيادة المعرفة والفكر فيه ولا يسكن الا بحبه وانسه وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه و

المقام الرابع

لكن بعض الاوقات والاحوال يعتريه الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب غلب عليه التلذذ بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وفي بعض الاوقات يتلذذ بالعلم والمعرفة وحب الله والانس به وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالرياسات والشهوات والاول ان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية الندور والثاني ايضا نادر والسر في ندور هذين القسمين ان من انحصر لذاته بمعرفة الله وحبه وانسه او غلب عليه ذلك فهو من ملوك الآخرة والملوك هم الاقلون ولا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والاسباب في الدنيا الا نادرا واكثر الناس دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة اذ الدنيا عالم الشهادة والآخرة عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود الا انها في امر الرؤية الاولى لانك ترى صورتك في المرآة اولا ثم ترى نفسك فتعرف بالصورة القائمة بالمرآة صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق الرؤية والمعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا النوع من الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم وكذا عالم الملك والشهادة يحاكي عالم الغيب والملكوت فمن الناس من لا ينظر في مرآة عالم الشهادة الا بنظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح الى حبسه ابواب جهنم واما الثالث فاكثر وجودا منه واما الرابع فدار الدنيا طافحة به لقصور اكثر الناس عن ادراك لذة العلم اما لعدم الذوق اذ من لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق فرع الذوق وذلك اما لقصور فطرتهم وعدم اتصافهم بعد بالصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل ولا يستلذ الا باللبن فهؤلاء ممن لم يحي باطنهم بعد كالطفل واما لمرض قلوبهم او موتها بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك لذة السكر او الميت الذي سقط عنه الادراك وهؤلاء كالمرضى او الاموات بسبب اتباع الشهوات القسم الثاني الفضائل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة وطول العمر والجمال الثالث النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي المال والجاه والاهل وكرم العشيرة الرابع الاسباب التي تناسب من وجه الفضائل النفسية ويعبر عنها بالنعم التوفيقية وهي هداية الله ورشده وتسديده وتأييده وهذه الجملة مما يتوقف بعضها على بعض

في النعم للغير بعضها لبعضها اللزوم على الاعانة
ان المؤثرة متوقفة على سبيل او وجه ترشد

ان ينتهى الى السعادة التى هى مطلوبة لذاتها والتوقف اما على سبيل اللزوم والضرورة
كتوقف سعادة الآخرة على الفضائل النفسية والتى تحته توقف الفضائل النفسية على صحة البدن
او على سبيل النفع والاعانة كتوقف الفضائل النفسية والبدنية على النعم الخارجية ووجه كونها
معينة نافعة فى تحصيل العلم وتهذيب الاخلاق وصحة البدن ظاهر واعانة الجمال فى كسب
الفضائل النفسية والبدنية مبنى على ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة فحاجات الجميل الى
الاجابة اقرب وجاهه فى الصدور اوسع وايضا الغالب لا له الجمال على فضيلة النفس لان
نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن ولذلك عول اصحاب الفراسة فى معرفة مكارم النفس
على هيئات البدن ثم انا لا نعنى بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة بل نعنى به البرائة
عن العيوب والنقص والزيادة وارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال فى اللحم وتناسب
الاعضاء وتناسب خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه واما احتياج الفضائل الخلقية
والجسمية والخارجية الى النعم التوفيقية فلان المراد بالتوفيق هو التأليف بين ارادة العبد وبين قضاء
الله وقدره بشرط كون المراد والمقضى سعادة وبعبارة اخرى هو توجيه الاسباب نحو المطلوب
واما الهداية فلها مراتب اولها الهداية العامة وهى ارائة طريق الخير وتعريفه وثانيها
الخاصة وهى الافاضات المتتالية الواردة من الله على بعض عبيده نظرا الى مجاهداتهم وثالثها
الهداية المطلقة وهى النور الذى يشرق فى عالم النبوة والولاية فيهتدى بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل
توقف تحصيل كل خير وفضيلة كائنا ما كان على مساعدة القضاء والقدر وعلى العلم بطريق
الخير واما الرشد فالمراد به العناية الالهية التى تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده
فيقويه على ما فيه صلاحه ويفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن وبعبارة اخرى هو
هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها وقد ظهر احتياج تحصيل الخير والسعادة اليه من
مفهومه واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليصل اليه فى اسرع
وقت فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية ليستيقظ ويتحرك والتسديد اعانة
ونصرة بتحريك الاعضاء الى صوب الصواب والسداد وقد ظهر وجه كون التسديد معينا فى
طلب الخير ايضا من حاق معناه واما التأييد فانه جامع للكل اذ هو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة
من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج ويقرب منه العصمة وهى عبارة عن وجود
الهى يسنح فى الباطن يقوى به الانسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع باطنى غير محسوس يمنع

فكانه

بحث الشر

عن الشر وهو المراد من برهان الرب في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه

تنبيه اعلم ان النعم الاخروية التي هي الغايات المطلوبة لذواتها وتفاصيلها واسبابها وما يتوقف وجودها عليه الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب مما لا يمكن دركها والعقول البشرية قاصرة عن درك قليلها فضلا عن كثيرها واما الوسائل الاربعة من النعم التي انقسم كل منها ايضا الى اربعة اقسام وصار مجموعها ستة عشر قسما فيستدعي كل قسم من الستة عشر اسبابا وتلك الاسباب اسبابا حتى ينتهي بالاخرة الى مسبب الاسباب موجد الكل والمتفكر يعلم ان كلا منها يتوقف على نعم واسباب اخرى متسلسلة خارجة عن حد الاحصاء فان نعمة الصحة التي من النعم الواقعة في المرتبة المتأخرة يتوقف على اسباب نعم من جملتها نعمة الاكل فان احصائها وان لم يكن ممكنا الا انا نشير الى بعضها على سبيل التلويح دون الاستقصاء ليقاس عليها البواقي فنقول نعمة الاكل يتوقف على ادراك الغذاء واسبابها وعلى شهوة الطعام وميله وارادته واسبابها وعلى القدرة الى تحصيله واسبابها وعلى وجود اصل الغذاء المأكول وتكونه وعلى اصلاحه بعد وجوده وتكونه وعلى الاسباب الموصلة له الى الانسان لو كان بعيدا عنه وعلى اسباب الطحن والجذب والهضم والدفع وسائر الافعال الباطنة الى ان يصير جزء للبدن وعلى الملائكة الموكلين على كل فعل من الافعال المذكورة فها هي نذكرها اجمالا وتلويحا في فصول

فصل الاكل يتوقف اولا على ادراك الغذاء المأكول رؤية ولمسا واستشماما وذوقا اذ ما لم يبصره لم يمكنه تميزه وطلبه وما لم يلامسه لم يتمكن من درك بعض اوصافه اللازمة في الاكل وما لم يشمه لم يتشخص ما يكره رائحته عما يطيب رائحته وربما توقف تحصيله على استشمام رائحته من بعد سيما لبعض الحيوانات وما لم يذقه لم يدرك انه موافق او مخالف له وبذلك ظهر توقفه على خلق الحواس المدركة الظاهرة فخلقها الله سبحانه ثم الاسباب التي يتوقف عليها خلق هذه الحواس مما لا يتناهى فلا نتعرض لبيانها وبعد ادراك الغذاء الذي ذاقه سابقا ورآه مرة اخرى موافقا او مخالفا وهذه القوة هي الحس المشترك الذي يتأدى اليه جميع المحسوسات ويجتمع فيه فانك اذا اكلت شيئا اصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رأيته مرة اخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه فلولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذه القوة اعني الحس المشترك يتوقف خلقه على اسباب

فانظر الى الاسباب التي يتوقف عليها نعمة الاكل

في ذكر ما يحتاج اليه من قوة اخرى يعرف بها ... الغذاء

في بيان الأدراكات التي يتوقف الأكل عليها وذكر منزلة كلّ منها وفي نعمة الشهوة

ونعم لا يمكن احصائها فلنذكر ها على سبيل الاشارة ثمّ الادراك بالحواسّ الظاهرة والحسّ المشترك ممّا يشترك فيها سائر الحيوانات ولو انحصر ادراك الانسان به ايضاً لكان ناقصاً اذ البهيمة تأكل ما تستلذ به في الحال وبضرّها في ثاني الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الّا الاحساس بالحاضر وامّا ادراك العواقب فليس لها اليه سبيل فيتوقّف تمييز صلاح العواقب وفسادها على قوّة اخرى فخلق الله للانسان العقل به يدرك مضرّة الاطعمة ومنفعتها في المآل وبه يدرك كيفيّة طبخ الاطعمة وتركيبها واعداد اسبابها فينتفع بعقله في الاكل الذي هو سبب صحّته وهو اخسّ فوائد العقل واقلّ الحكم فيه اذ الحكم والفوائد المترتّبة عليه اكثر من ان تحصى واعظم الحكم فيه معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله والعقل بمنزلة السّلطان في مملكة البدن والحواسّ الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار والموكّلين بنواحي المملكة وقد وكّلت كلّ واحدة منها بامر خاصّ فواحدة باخبار الالوان واخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الروائح واخرى باخبار الطعوم واخرى باخبار الحرّ والبرد والخشونة والملاسة واللّين والصّلابة فهذه الجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحسّ المشترك وهو في مقدّم الدماغ مثل صاحب الكتب والقصص على باب الملك ويجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم ويأخذها ويسلمها الى العقل الذي هو السّلطان مختومة اذ ليس له الّا اخذها وحفظها وامّا معرفة حقائق ما فيها فليس اليه واذا سلّم الأنهاءات والاخبار الى الملك مختومة فيفتّشها الملك ويطّلع على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصائها وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرّك الجنود اعني الاعضاء في الطلب والهرب واتمام التدبيرات التي تعنّ له ثمّ عجائب حكم العقل والاسباب التي يتوقّف عليها خلقه ليس يدركها في مقدرة البشر وهذه ما يتوقّف عليه الاكل من الادراكات واسبابها

فصل اذا ادرك الغذاء ما لم يفد فائدة ما لم يكن شهوة له وميل وشوق اليه اذ لولا الميل اليه لكان ادراك البصر والحسّ قوّة معطّلاً الا ترى ان المريض يرى الطعام ويدرك انه انفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطّلاً في حقه فيتوقّف الاكل على ميل الى الموافق ويسمّى شهوة ونفرة عن المخالف ويسمّى كراهة فخلق الله شهوة الطعام وسلّطها على الانسان كالمتقاضي الذي يضطرّه الى التناول وهذه الشهوة لو لم تسكن بعد اخذ قدر الحاجة لاسرف واهلك نفسه فخلق الله الكراهة عند الشبع ليترك الاكل بها ولم يجعله كالزرع الذي لا يزال

يجتذب الماء الذي ينصب في اسافله حتى يفسد ولذلك يحتاج الآدمي بعد رغيفه بقدر
الحاجة فيسقيه مرة وينقطع عنه الماء اخرى ثم مجرد الميل والشهوة لا يكفي ما لم تنبعث الداعية
الى تناول الغذاء فخلق الله له الارادة اعني انبعاث النفس الى تناوله وربما حصل الاحتياج
الى قوة الغضب ايضاً ليدفع عن نفسه المؤذي وما يضاده ويخالفه ومن اراد ان ياخذ منه
ما حصل من الغذاء ثم لكل واحد من الشهوة والكراهة والارادة والغضب اسباب لا
يمكن احصاؤها ثم بعد ادراك الغذاء وميله وشهوته وارادته لا يفيد شيئاً من ذلك ما
لم يتحقق الطلب والاخذ بالفعل بالآلات فكم من زمن شائق الى شيء بعيد منه مدرك له
مائل اليه مريد له لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله اذ لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او
فلج او خدر فيهما فلا بد من الآلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة ليكون تحركها
بمقتضى الشهوة طلباً فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف
اسرارها فمنها ما هو آلة للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها
ما هو آلة لدفع المؤذي والمانع من طلب الغذاء كالقرن لبعض الحيوانات والانياب لبعض
آخر منها والمخلب لبعض آخر منها والاسلحة للانسان فانها تقوم مقام هذه الآلة ومنها ما هو آلة
للاخذ والتناول كاليدين للانسان ثم لهذه الاعضاء اسباب وحكم خارجة عن الحد والحصر و
قد تقدم قليل من حكمها وعجائبها في باب التفكر **فصل** عمدة ما يتوقف عليه الاكل و
اصله ومناطه هو الاغذية والاطعمة المأكولة ولله في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب
متوالية لا تتناهى والاغذية والادوية من الاطعمة لم يبلغ عددها من الكثرة حداً يمكن احصاؤها
وحصرها فضلاً عن بيان عجائبها واسبابها فنحن نترك الجميع ونأخذ من جملتها حبة من الحنطة
ونبين بعض اسبابها وحكمها وعجائبها فنقول قد خلق الله في حبة الحنطة من القوى ما
تتغذى به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة دون الاغتذاء لانه يتغذى
بالماء ولا نتعرض لذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه بل نشير الى كيفية
اغتذاء الحبة فنقول ان الحبة لا تغتذي بكل شيء بل يتوقف اغتذاؤها على ارض فيها ماء
ولا بد ان يكون ارضها رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها فلو تركتها في ارض ندية صلبة
متراكمة لم تنبت لفقد الهواء ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فلا بد من حصول اسباب الرياح
حتى تحرك الهواء ويضربه ويدفعه فيها بقهر وعنف واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح

لواقح

لواقح والقاحها انما هو ايقاعها الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم لا يكفي ذلك في انباته
فبرد مفرط فيحتاج الى حرارة الصيف والربيع فهذه اربعة اسباب فان الماء لا بد ان ينساق
الى الارض الزراعة من البحار والشطوط والانهار والعيون والسواقي فانظر كيف خلق الله
جميع ذلك ثم الارض ربما تكون مرتفعة لا يرتفع اليها ماء العيون والقنوات فخلق الله
الغيوم وهي سحب ثقال حوامل الماء وسلط عليها الرياح لتسوقها باذنه الى اقطار العالم من
المرتفعات والمنخفضات ويرسلها مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف على حسب
الحاجة ثم خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا على قدر الحاجة ولو خرجت
دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله وعجائب صنعه وحكمته في السحاب
والبحار والجبال والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا يمكن ان تحصل في الماء و
الارض لكونهما باردين فخلق الله الشمس وسخرها وجعلها مع بعدها عن الارض مسخنة لها في
وقت دون وقت ليحصل الحر عند الحاجة اليه والبرد عند الافتقار اليه وهذه اخس حكم
الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات ان ارتفع على الارض كان في الفواكه انعقاد
وصلابة فيفتقر الى رطوبة تنضجها فخلق الله القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما يظهر لك
ذلك اذا كشفت راسك له في الليل فانه يغلب على راسك الرطوبة المعبر عنها بالزكام فهو بترطيبه
ينضج الفواكه ويرطبها ويصبغها بتقدير الخالق الحكيم وهذا ايضا اخس فوائد القمر و
حكمه وما فيه من الحكم والفوائد لا مطمع في استقصائه بل كل كوكب في السماء فقد سخر لفوائد
كثيرة لا تفي القوى البشرية باحصائها وكما انه ليس في اعضاء البدن عضو لا فائدة فيه فكذلك ليس
عضو من اعضاء بدن العالم لا يكون فيه فائدة او فوائد كثيرة والعالم كله كشخص واحد
واحاد اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء البدن وشرح ذلك ليس في مقدرة
البشر وكلها مسخرات لله سبحانه وآثار من قدرته الكاملة ورشحات من ابحر عظمته الباهرة و
ليست في انفسها الا اعداما صرفة فارباب القلوب العارفون بالله المحبون له اذا نظروا الى ملكوت
السموات والارض والآفاق والانفس والحيوانات والنباتات لا ينظرون اليها الا من حيث
انها آثار قدرة ربهم ورشحات صفاته ويكون تفكرهم وسعيهم في العثور على عجائبها
وحكمها وابتهاجهم وشغفهم لاجل ذلك كما ان من احب عالما لم يزل مشغوفا بطلب
تصانيفه فيزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الامر في عجائب صنع الله

فان العالم كله من تصنيفه بل جميع تصنيف المصنفين ايضا من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعوذين ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تتعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة عن الابصار وقد ظهر ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا يتم الافلاك الا بحركاتها ولا يتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتسلسل الاسباب الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب غاية الكل وليس لنا سبيل الى ادراك تفاصيلها و استنباط عجائب حكمها وفوائد مصالحها

فصل ثم ما ينبت من الارض من النبات و ما يحصل من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى غير ذلك من الاعمال التي لا تحصى وكل من الاطعمة يتوقف اصلاحها على امور خاصة كثيرة واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلناخذ رغيفا واحدا وننظر الى بعض ما يحتاج اليه حتى يستدير ويصلح للاكل اذ بيان جميع ما يحتاج اليه حتى يستدير الرغيف الواحد ليس ممكنا فنقول اول ما يتوقف عليه هذا الرغيف الارض ثم القاء البذر فيها ثم الثور الذي يثير الارض مع الاته كالفدان وغير ذلك ثم تنقية الارض من الحشائش والتعهد بسقي الماء الى ان ينعقد الحب ويبدو صلاحه ثم الحصاد ثم الفرك ثم التنقية والتصفية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال واستحضر سائر الافعال التي لم نذكرها ثم تذكر عدد الاشخاص القائمين بها وعدد الالات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيرها وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح الات الحراثة والتصفية والطحن والخبز من نجارة وحدادة وغيرهما واحتياج كل منها الى الات كثيرة ثم انظر كيف الف الله سبحانه بين قلوب هؤلاء الصناع المصلحين وسلط عليهم الانس و المحبة حتى ائتلفوا واجتمعوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متجاورة متقاربة وبنوا الاسواق والخانات وسائر اصناف البقاع ولو تفرقت اراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض ثم لما كان في جبلة الانسان الغيظ والعداوة والحسد والمنافسة والانحراف عن الحق ربما زالت المحبة بين البعض لاغراض فيزدحمون عليها ويتنافسون فيها وربما ادى الى التنافر والتقابل فبعث الله الانبياء بالشرائع

حكمة في بعث الرسل والعلماء والسلاطين واختلاف دواعي النفوس في تحمل المشاق وتفاوت القوى الحيوية

والقوانين ليرجعوا اليها عند التنازع فيرتفع نزاعهم ثم بعث العلماء الذين هم ورثة الانبياء لحفظ
هذه الشرايع والعلم بها وبعث الله السلاطين حتى يقهروا الناس ويقهروا عليها لو ارادوا
التخلف عنها فسلط الله السلاطين اولي القوة والعدة على الناس والقى رعبهم في قلوبهم والهمهم
اصلاح العباد بان نصبوا الرؤساء والقضاة والحكام والشحن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى
قانون الشرع والعدل والزموهم التالف والتعاون ومنعوهم عن التفرق والتباغض فاصلح
الرعايا والصناع بالسلاطين واصلاح السلاطين بالعلماء واصلاح العلماء بالانبياء والانبياء
بالملائكة واصلاح الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام
ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتاليف وقد ظهر مما ذكر ان من فتش يعلم ان
رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح للاكل ما لم يعمل عليه الاف الوف من الملائكة وصناع
الانس **فصل** ثم جميع الاطعمة لما لم يمكن ان يوجد في كل مكان وبلد اذ لكل واحد شروط مخصوصة
لاجلها لا يمكن الا ان يوجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض
وقد يبعد عنهم بعض ما يحتاجون اليه من الاطعمة بحيث يحول بينهم وبينها البراري والبحار
فسخر الله التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح حتى يقاسوا الشدائد ويركبوا
الاخطار في قطع المفاوز وركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوايج من الشرق الى
الغرب ومن الغرب الى الشرق فانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها
وكيف خلق الحيوانات وسخرها للحمل والركوب في البراري من الجمال والبغال وكيفية قطعها البراري
والمراحل تحت الاعباء الثقيلة وصبرها على الجوع والعطش وخلق الخيل وكيفية سرعة سيرها
وحركاتها وخلق الحمار وصبره على التعب وانظر كيف خلق الله ما يحتاج اليه السفن وهذه
الحيوانات من الاسباب والعدة وينتهي الى حد لا يمكن تحديده **فصل** ثم مجرد وجود
الغذاء وحضوره واصلاحه لا يفيد فائدة ما لم يؤكل ويصير جزء للبدن وهذا موقوف على
اعمال كثيرة محتاجة الى اسباب كثيرة من الطحن والجذب والهضم المعدي والكبدي وغير ذلك من
الافعال التي يحتاج كل منها الى اسباب كثيرة وقد اشرنا الى لمعة من كيفية ذلك في باب التفكر
فارجع اليه وهنا نشير الى انموذج من نعمة الله في خلق الملائكة فنقول ان كثرة الملائكة
لم يبلغ حدا يمكن تصوره تفصيلا او اجمالا ولهم طبقات واصناف منها طبقات الملائكة
الارضية ومنها الملائكة السماوية ومنها حملة العرش العظيم ومنها المسلسلون ومنها

واصلاح

المهيمون وغير ذلك مما لم نسمع اسميهم ورسمهم ولا يحيط بهم الا الله سبحانه فكل صنع من صنايع
الله في الارض والسماء لا يخلو عن ملك او ملائكة موكلين به فانظر كيف وكلهم الله
بك فيما يرجع الى الاكل والاغتذاء الذي كلامنا فيه دون ما يجاوز وذلك من صنايع
الله وافعاله ومن الوحي الى الانبياء والهداية والارشاد وغيرها فان استقصاء ذلك
ليس في مقدور ذوات البشر فنقول ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا
ينمي الا بان يوكل به سبعة من الملائكة هم اقل الاعداد الى عشرة الى مأة الى اكثر من ذلك
بمراتب بيان ذلك ان معنى الاغتذاء ان يقوم جزء من الغذاء مقام جزء تلف من بدنك
وهذا موقوف على حركات وتغيرات واستحالات للغذاء حتى يصير جزءا للبدن كالجذب
والهضم وصيرورته لحما وعظما ومعلوم ان الغذاء والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة
ومعرفة واختيار حتى تتحرك وتتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها
كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا وعجينا وخبزا مطبوخا الا بصناع والصناع في الباطن هم
الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد فالغذاء بعد ضمه في الفم الى ان يصير
دما لا بد له من صناع من الملائكة ولا نعرفهم ولا نعرف اعدادهم ونقول بعد صيرورته دما
الى ان يصير جزءا للبدن يتوقف على عمل سبعة من الملائكة اذ لا بد من ملك يجذب الدم الى
جوار اللحم والعظم اذ الدم لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره و
لا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ومن رابع يكسوه صورة اللحم والعظم والعرق ومن خامس
يدفع الفضل الزائد من الحاجة ومن سادس يلصق ما اكتسب صفة اللحم باللحم وما اكتسب
صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة العرق بالعرق حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع
يراعي المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير على ما لا يبطل استدارته وبالعريض على ما لا يبطل
عرضه وبالمجوف على ما لا يبطل تجويفه وهكذا ويراعي في الالصاق لكل عضو ما يليق به و
يحتاج اليه فلو جمع لانف الصبي مثلا من الغذاء ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت
صورته بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الافخاذ مع غلظتها والى الحدقة مع
صفائها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل ويراعي
العدل في القسمة والتقسيط والا بطلت الصورة وتشوهت الخلقة ودق بعض المواضع و
ضعف البعض فراغات هذه الصنعة مفوضة الى ملك من الملائكة واياك وان تظن ان الدم

بحكم زعم مهندس ولان طبقاتهم مترتبة بعض الاعلى ان الطبيعة الاشكال لها لا تعبقهم

بطبعه فهو مهندس شكل نفسه فان من احال هذه الامور الى الطبع جاهل ولا يدرى ما يقول فان اراد من الطبع قوة عديمة الشعور ويقول ان كل فعل من هذه الافعال موكول الى قوة لا شعور لها لا ملك من الملائكة لكون الادراك والشعور معتبرا في مفهوم الملك وحقيقته فنقول ذلك ادل على عظمة الله وحكمته وقدرته اذ لا ريب في ان ما لا شعور له لم يكن له في نفسه ان يفعل فعلا ما فضلا عن ان يفعل افعالا متقنة محكمة مشتملة على الحكم الدقيقة والمصالح الجلية والخفية فكون هذه شروطا ناقصة لايجاد الله سبحانه هذه الافعال بلا واسطة او بواسطة غير هذه القوى من الملائكة وعلى اى تقدير لا بد من سبعة اشخاص من مخلوق الله سبحانه مسخرين في باطنك موكلين بهذه الافعال قد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك من اجزائك التي لا تتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من مأة ملك ثم الملائكة الارضية مدد هم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله وسائر الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتأييد والتسديد الهداية المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت بالسموات والارضين واجزاء النبات والحيوانات والسحب والهواء والبحار والجبال والامطار وغير ذلك فليرجع في ذلك الى الاخبار الواردة من الحجج عليهم السلام ثم لا ينبغي ان يفوض كل فعل من الافعال السبعة المذكورة الى ملك من الملائكة ويكون الموكل به ملكا واحدا على حده ولا يمكن ان يفوض جميعها الى ملك واحد كما يمكن ان يتولى انسان واحد سبعة اعمال في الحنطة كالطحن وتمييز النخالة ودفع الفضلة عنه وصب الماء عليه والعجن وقطعها كسرات مدورة وترقيقها رغفانا عريضة والصاقها بالتنور اذ الملك وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب من المتضادات فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد كما اشير اليه بقوله تعالى ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ ولذلك ليس بينهم تحاسد وتنافس ومثالهم في تعين مرتبة كل واحد وعدم مزاحمة الآخر له مثال الحواس الخمس ولم يكن كالانسان الذي يتولى بنفسه امورا مختلفة وسبب ذلك اختلاف صفاته ودواعيه فانه لما لم يكن وحداني الصفة لم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى انه مطيع الله تارة وعاصيه اخرى وذلك غير موجود في الملائكة فانهم مجبولون على الطاعة لم يتصور في حقهم معصية لكل منهم طاعة خاصة معينة فالراكع منهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد دائما والقائم منهم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد منهم مقام معلوم واذ قد

منهم وكذلك في كل جزء

لك عدد يحتاج اليه مجرد بعض افعال الاعضاء من الملائكة الارضية السفليين من الملائكة السماوية
فقس عليه ساير افعال الاعضاء وساير افعالك الباطنة والظاهرة فان بيان ذلك ليس ممكنا
ثم قس على ذلك اجمالا الاجلة صنايع الله وافعاله الواقعة في عوالم الجبروت والملكوت وعالم
الملك والشهادة فسمواته وارضه وما بينهما وما تحتهما وما فوقهما فان اعداد الملائكة
الموكلين بها غير متناهية كيف ومجامع طبقات الملائكة وانواعهم خارجة عن الاحصاء
فضلا عن الاحاد الداخلة تحت الطبقات وقد ظهر مما عرفت من توقف كل نعمة على نعم كثيرة
متسلسلة الى ان ينتهي الى الله واتصال البعض بالبعض ووقوع الارتباط والترتب
بينها ان من كفر بنعمة الله فقد كفر كل نعمة في الوجود فمن نظر الى غير محرم ابقه مثلا فقد كفر
ففتح العين نعمة الله في الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بالعين ولا العين الا بالرأس ولا
الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء و
المطر والغيم والشمس والقمر وساير الكواكب لا تقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا
بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض
فاذن كفر كل نعمة في الوجود من ابتداء الثرى الى منتهى الثريا ولا يبقى جماد ولا نبات ولا
ولا كوكب ولا فلك
حيوان ولا ماء ولا هواء ولا ملك الا يلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها
الناس اما تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذا ورد ان الملائكة يلعنون العصاة وورد ان
العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وامثال هذه الاخبار الدالة على ما يفيد المراد خارجة
عن الاحصاء وكان ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة يجني على جميع الملك والملكوت
بطرفة
ثم جميع ما ذكرناه انما يتعلق بجزء من المطعم فاعتبر بها سواه ثم تأمل هل يمكن ان يخرج
احد احد من عن عهدة الشكر كيف وفي كل طرفة لله على كل عبد من عبيده نعم كثيرة خارجة عن الاحصاء
فان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج
لهلك وبانقباضه يجتمع روح الهواء الى القلب ولو لم يدخل نسيم الهواء فيه لانقطع
قلبه وهلك ولما كان اليوم والليلة اربعا وعشرين ساعة وفي كل ساعة يوجد الف نفس تخمينا
واذا اعتبرت ذلك وقست عليه ساير النعم يكون عليك في كل يوم وليلة الاف الوف نعمة
في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم وكيف يمكن احصاء ذلك ولذلك
قال الله تعالى وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا وورد ان من لم يعرف نعمة الله الا في مطعمه و

في امور صارفة لاكثر الخلق عن الشكر وحكاية موعظة في تفاوت آلاء ونعم الله تعالى

مشربه فقد قلّ علمه وحضر عذابه فالبصير لا يشرع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه ولذلك قال موسى بن عمران الهي كيف اشكرك ولك عليّ في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طيبت راسها **فصل** اعلم ان السبب الباعث لاكثر الخلق عن الشكر اما قصور معرفتهم بان النعم كلها من الله سبحانه او قصور معرفتهم واحاطتهم بصنوف النعم وآحادها او جهلهم بحقيقة الشكر وكونه استعمال النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وظنهم ان حقيقة الشكر مجرد ان يقولوا بلسانهم الحمد لله او الشكر لله او الغفلة الناشية عن غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان بحيث لا ينتبهون للقيام بالشكر كما في ساير الفضائل والطاعات او عدم احتسابهم للجهل ما يعم الخلق ويشملهم في جميع الاحوال من النعم نعمة ولذلك لا يشكرون على جملة من النعم لكونها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع الحالات فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا بها فلا يعدها نعمة وتاكد ذلك بالفهم واعتيادهم بها فلا يتصورون خلاف ذلك ويظنون ان كل انسان يلزم ان يكون على هذه الاحوال فلذلك ترى هم لا يشكرون الله على روح الهواء ووفور الماء وصحة البصر والسمع وامثال ذلك ولو اخذ بمخنقهم حتى انقطع عنهم الهواء وحبسوا في بيت حمام فيه هواء حار او بئر فيه هواء تقيل رطوبة الماء ماتوا فان ابتلى واحد بشيء من ذلك ثم نجى منه ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليه وكذا البصير اذا عميت عينه ثم اعيد عليه بصره عده نعمة وشكره ولو لم يبتل بالعمى وكان بصيرا دائما كان غافلا عن الشكر وهذا غاية الجهل اذ شكرهم صار موقوفا على ان سلب عنهم النعمة ثم يرد عليهم في بعض الاحوال مع ان النعمة في جميع الاحوال اولى بالشكر فلما كانت رحمة الله واسعة قد عمت الخلق في جميع احوالهم لم يعدها الجاهلون نعمة ومثلهم كمثل العبد السوء الذي لو لم يضرب طرد وترك الشكر واذا ضرب في غالب الاحوال وترك ساعة شكر المولى على ذلك ومن تامل يعلم ان نعمة الله عليه في شربة ماء عند عطشه اعظم من ملك الارض كلها كما نقل ان بعض العلماء دخل على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء يشربه فقال له عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل اموالك وملكك كله ولو لم تعط تبقى عطشانا فهل تعطيه قال نعم قال فكيف تفرح بملك لا يساوي شربة ماء هذا مع ان كل عبد لو امعن النظر في حاله لراى من الله نعمة او نعما كثيرة تختص به لا يشاركه فيها احد ويشاركه يسير من الناس اما في العقل او في الخلق او العلم او الورع

وتاكيد

والتقوى والدين وفي صورته وشخصه او اهله وولده او مسكنه وبلده او رفقائه واقاربه او
عزه وجاهه او طول عمره وصحة جسمه او غير ذلك من محابه بل يقول لو كان احد لا يكون مخصوصاً
بشيء من ذلك فلا ريب في انه يعتقد في نفسه اختصاصه ومزيته في بعض هذه على سائر الخلق
فان اكثر الناس يعتقدون كونهم اعقل الناس او احسن اخلاقاً منهم مع ان الامر ليس كذلك
ولذلك لا يشكون من نقصان العقل كما يشكون من قلة المال ولا يسألون الله ان يعطيهم العقل
كما يسألون منه زيادة المال ويرى من غيره عيوباً يكرهها واخلاقاً يذمها ولا يرى ذلك من نفسه
وبالجملة كل احد يفقد في نفسه من المحاسن صفة الكمال ما لا يراه في غيره وان لم يكن مطابقاً للواقع
ولذلك لو خير بان يسلب منه ما له ويعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به بل التأمل يعطي ان كل واحد
من اكثر الناس لا يرضى ان يكون في جميع الصفات والافعال والدين والدنيا مثل شخص آخر من الناس
كائناً من كان بل لو وكل اليهم الاختيار وقيل له انت مخير في صيرورتك مثل من شئت واردت
من افراد الناس لم يختر الا نفسه والى هذا اشار الله سبحانه بقوله كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ واذا كان الامر
هكذا فانى له لا يشكر الله على ذلك مع قطع النظر عن النعم العامة ولو لم يكن لشخص من نعم الله الا
الامن والصحة والقوة لعظمت النعمة في حقه ولو لم يخرج عن عهدة الشكر قال رسول الله (ص)
من اصبح آمناً في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها
ومهما فتشت الناس لوجدتهم يشكون عن امور وراء هذه الثلث مع انها وبال عليهم بل
لو لم يكن للانسان نعمة سوى الايمان نعمة الذي به وصوله الى النعيم المقيم والملك العظيم لكان جديراً
به ان يستعظم النعمة ويصرف في الشكر عمره بل ينبغي للعاقل ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين
والايمان ونحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت ملوك الارض من الشرق الى الغرب من
اموال واتباع وانصار وبلدان وممالك بدلاً من عشر عشير من علمه لم يأخذه لرجائه ان نعمة
العلم يفضي به الى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو سلم اليه جميع ذلك عوضاً عن لذة العلم في الدنيا مع
نيله في الآخرة الى ما يرجوه لم يأخذه ولم يرض به لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة
لا تسرق ولا تغصب صافية لا كدورة فيها بخلاف لذات الدنيا

فصل

الطريق الى تحصيل الشكر امور الاول المعرفة والتفكر في صنايع الله وضروب نعمه الظاهرة والباطنة
والعامة والخاصة والثاني النظر الى الادنى في الدنيا والى الاعلى في الدين الثالث ان يحضر المقابر و
يتذكر ان احب الاشياء الى الموتى واهم سؤالهم ودعوتهم من الله ان يردوا الى الدنيا ويعملوا

ذكر امور ترشد الى تحصيل الشكر في المصائب وبيان تصور اجتماع الصبر والشكر عند المصائب

ضروب الرياضات ومشاق العبادات في الدنيا ليتخلصوا في الاخرة من العذاب ويزيد ثوابهم
ويرتفع درجاتهم فليفكر نفسه منهم مع اجابة دعوته ورده الى الدنيا فليصرف بقية عمره
فيما يتمنى اهل القبور العود لاجله الرابع ان يتذكر بعض ما ورد في بعض ايام عمره من المصائب
العظيمة والامراض الصعبة التي ظن هلاكه نفسه بها فليتصور انه هلك بها ويغتنم الان حيوته وما له
من النعم فليشكر الله على ذلك ولا يتألم ولا يحزن من بعض ما يرد عليه مما ينافي طبعه الخامس ان
يشكر في كل مصيبة وبلية من مصائب الدنيا من حيث انه لم يصبه مصيبة اكبر منها وانه لم يصبه في
الدين ولذلك قال عيسى ع في دعائه اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال رجل لبعض العرفاء
دخل اللص في بيتي واخذ متاعي فقال له اشكر الله لو كان الشيطان يدخل بدله في قلبك ويفسد
توحيدك ما ذا كنت تصنع ومن حيث ان كل مصيبة انما هو عقوبة لذنب صدر منه فاذا حلت
به هذه العقوبة حصل له النجاة من عقوبة الاخرة كما قال رسول الله ص ان العبد اذا اذنب
ذنبا فاصابه شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وقد ورد هذا المعنى
بطرق متعددة من ائمتنا ع فليشكر الله ايضا على تعجيل عقوبته وعدم تاخيرها الى الاخرة ومن حيث
ان هذه المصيبة كانت مكتوبة اتيه البتة فقد اتت وفرغ منها ومن حيث ان ثوابها
اكثر منها وخير له لما ياتي في باب الصبر من عظم مثوبات الابتلاء بالمصائب في الدنيا ومن حيث
انها تنقص في القلب حب الدنيا والركون اليها وتشوق الى الاخرة والى لقاء الله سبحانه اذ لا ريب في ان
من اتاه النعم في الدنيا على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة يورث طمانينة القلب الى الدنيا
والانس بها حتى يصير كالجنة في حقه فيعظم بلائه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب
انزعج قلبه عن الدنيا ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكان نجاته منها كالخلاص
من السجن ولذلك قال رسول الله ص الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فمحن الدنيا ومصائبها
ورياضاتها يوجب انزعاج النفس عنها والتفاتها الى عالمها الاصلي وتشوقها الى الخروج عنها
ورغبتها الى لقاء الله وما اعد في الدار الاخرة لاهلها فان قلت غاية ما يتصور في البلاء
ان يصبر عليه واما الشكر عليه فغير متصور اذ الشكر انما يستدعي نعمة وفرحا والبلاء مصيبة و
الم فكيف يشكر عليه وعلى هذا ينبغي ان لا يجتمع الصبر والشكر على شيء واحد اذ الصبر يستدعي
بلاء والما والشكر يستدعي نعمة وفرحا فهما متضادان غير مجتمعين فكيف حكمتم باجتماعهما في المصائب
والبلايا الدنيوية قلنا كل من النعمة والبلاء ينقسم الى مطلق ومقيد فالنعمة المطلقة كسعادة الاخرة

نظر في النعمة المطلقة والبلاء المطلق والمقيد واجتماع الشكر والصبر
تدقيق تحقيق النعمة والمقيد والاول ورفع اشكال

والعلم والايمان والاخلاق الحسنة في الدنيا والنعمة المقيدة في الدنيا اي ما هو نعمة وصلاح
من وجه وبلاء وفساد من وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه والبلاء
المطلق كشقاوة الاخرة والكفر والجهل والاخلاق السيئة والمعاصي في الدنيا والبلاء المقيد
كمصائب الدنيا من الفقر والخوف والمرض وساير اقسام المحن والمصائب فانها وان كانت بلاء
في الدنيا ولكنها نعم في الاخرة وعند التحقيق اذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة او رياضة النفس او
زيادة التجربة او رفع الدرجة فالنعمة المطلقة بازائها الشكر المطلق ولا معنى لاجتماع الصبر
معه والصبر الذي يجتمع معه لا ينافيه كما ياتي والبلاء المطلق لم يؤمر بالصبر عليه اذ لا معنى
للصبر على الكفر والمعصية بل يجب عدم الصبر عليه والسعي في تركه واما البلاء المقيد فهو الذي يجتمع
فيه الصبر والشكر ولبس اجتماعهما من جهة واحدة حتى يلزم اجتماع الضدين بل الصبر من حيث
ايجابه الاغتمام والالم في الدنيا والشكر من حيث ادائه الى سعادة الاخرة وغيرها مما ذكر ثم
لو لم يصبر على جهة شريفة ولم يشكر على جهة خيرية صار بلاء مطلقا لزم تركه بالرجوع الى الصبر و
الشكر واما النعمة المقيدة كالمال والثروة فان ادى الى اصلاح الدين كان نعمة مطلقة
يجب عليه الشكر ولو لم يكن محلا للصبر وان ادى الى فساده كان بلاء مطلقا واجب الترك
وان ادى الى بلاء الدنيا كان يصير ماله سببا لهلاكه او لاولاده وفساد مزاجه ويصير فقده باعثا
لابتلائه ببعض المصائب الدنيوية كان حكمه حكم البلاء المقيد ثم ياتي في باب الصبر ان
الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحقق الشكر والصبر اذ الشكر كما عرفت هو
عرفان النعمة من الله والفرح به وصرف النعمة الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر كما ياتي هو
ثبات باعث الدين اعني العقل النظري في مقابلة باعث الهوى اعني القوة الشهوية ولا ريب
في انه في اداء الطاعة وترك المعصية يتحقق الثبات المذكور وهو ظاهر فهو صرف النعمة الى
ما هو المقصود اذ باعث الدين انما خلق لحكمة دفع باعث الهوى وقد صرفه الى المقصود الحكمة
وانت خبير بانه وان تحقق الشكر والصبر في هذه الطاعة وترك هذه المعصية الا ان ما يصبر
عليه هو هذه الطاعة وترك هذه المعصية اذ الصبر انما هو عليهما واما الشكر فعلى باعث
الدين اعني العقل الباعث لهذه الطاعة وترك هذه المعصية فالمشكور عليه هو باعث
الدين دون نفس الطاعة وترك المعصية فاختلف فيهما الصبر والشكر في المتعلق اي ما
يصبر عليه وما يشكر عليه واتحدا في فعل الصبر والشكر اذ فعل الصبر هو الثبات والمقاومة

المطلب في تمنّا البلاء بالصبر وحكاية الكمل
تحقيق ان العافية افضل من المتعقب كلام بعض

وهو الطاعة وترك المعصية وفعل الشكر هو صرف النعمة في مقصود الحكمة وهو ايضا عين الطاعة و
ترك المعصية ويمكن ان يتوقّ من فعل هذه الطاعة وترك هذه المعصية اعني الشكور وعليه وما
يعبر عليه اذ هما نفس هذه الطاعة وترك هذه المعصية بعينها ويختلف فعلاهما اذ فعل الصبر هو
هذه الطاعة وترك هذه المعصية وفعل الشكر تحميد وطاعة اخرى **فصل** لا يظنن مما فرع سمعك
من فضيلة البلاء وادائه الى سعادة الابد انه خير من العافية في الدنيا بل مع ذلك كله العافية في الدنيا
خير من البلاء والمصيبة فيها فاياك ان تسئل من الله البلايا والمصائب في الدنيا فان رسول
الله صلعم كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانبياء والاوصياء
عليهم السلام رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وكانوا يستعيذون من شماتة
الاعداء وسوء القضاء وقال صلعم سلوا الله العافية فما اعطى عبد افضل من العافية الا
اليقين واشار باليقين الى عافية القلب من الجهل والشك وهو اشرف من عافية البدن
قال صلعم في دعائه والعافية احب الي وبالجملة هذا اظهر من ان يحتاج الى الاستشهاد اذ
البلاء انما يصير نعمة بالاضافة الى ما هو اكثر منه في الدنيا والآخرة وبالاضافة الى ما يرجى من
الثواب في الآخرة ومن حيث يوجب تجرد النفس وانقطاعها من الدنيا ووصلها الى الآخرة
فينبغي ان يسئل تمام النعمة في الدنيا والثواب في الآخرة على شكر النعم والتجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود فانه قادر على اعطاء الكل وما نقل عن بعض العارفين من سؤال
المصائب والبلاء كما قال بعضهم وددت ان اكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون واكون
انا في النار وقال سمنون المحب وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني فمبناه على
غلبة الحب بحيث يظن المحب بنفسه انه يحب البلاء ومثل ذلك حالة تعتريه وليس لها حقيقة
فان من شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولما زال سكره علم ان ما غلب عليه كانت
حالة لا حقيقة فما تسمعه من هذا القبيل فهو كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق
يستلذ سماعه ولا يعول عليه وقد روي ان فاختة كان يراودها زوجها فتمتنع فقال ما
الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمع ذلك
سليمان فطلبه وعاتبه في ذلك فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وينقل ان سمنون المحب
بعد ما قال البيت المذكور ابتلى بمرض الحصر فكان يصيح ويجزع ويسئل الله العافية ويظهر الندامة
مما قال ويدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب والحاصل ان صيرورة البلاء

معرفة كونها من الله والفرح به
ويعمل طاعة اخرى شكرا لذلك و
عليه هذا فيهما متعلقا الشكر والصبر
في هذه الطاعة وترك هذه ا

المقام الرابع

عند بعض المحبين من العافية لاستشعارهم رضى المحبوب لاجله وكون رضاء عندهم احب والذي من العافية انما يكون في غلبات الحب فلا يثبت ولا يدوم ومع ذلك كله فاعلم ان الظاهر من بعض الاخبار الاتية في باب الصبر ان في الجنان درجات عالية لا يبلغها احد الا بالمصائب البدنية والصبر والشكر عليها ويؤيده ابتلاء اكابر النوع من الانبياء والاولياء بالمصائب العظيمة في الدنيا وما ورد من ان اعظم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاوصياء ثم بالاولياء ثم بالامثل فالامثل في درجات العلاء والولاء وعلى هذا فالظاهر اختلاف اصلحية كل من البلاء والعافية باختلاف مراتب الناس فمن كان قوي النفس صابرا شاكرا في البلاء ولم يصده عن الذكر والفكر والخضوع والانس والطاعات والاقبال عليها ولم يصر باعثا لنقصان الحب فالبلاء في حقه افضل في بعض الاوقات اذ بازائه في الآخرة يصل الى الدرجات ما لا يبلغ بدونه ومن كان له ضعف نفس يوجب ابتلائه بالمصائب جزعا او كفرانا ومنعه عن شيء مما ذكر فالعافية اصلح في حقه وربما كان البلاء مما منعه من الوصول الى المراتب العظيمة فلا ريب في ان العافية وعدم هذا البلاء افضل واعلى منه فان البصير الذي يتوسل بعينيه الى النظر الى عجائب صنع الله ويتوصل به الى معرفة الله ويتمكن لاجل العينين الى مطالعة العلوم وتصنيف الكتب الكثيرة من انواع العلوم ويبقى آثاره العلمية على ممر الدهور وينتفع من معلوماته الناس ابدا وربما بلغ لاجل العينين الى غاية درجات المعرفة والقرب والحب والانس والاستغراق ولولا وجود العينين له لم يبلغ الى شيء من ذلك فلا ريب في ان وجود البصر لمثله افضل واصلح من عدمه ولولا ذلك لكان رتبة شعيب مثلا وكان ضريرا من بين الانبياء فوق رتبة موسى وابرهيم وغيرهما عليهم السلام لانه صبر على فقد البصر وموسى لم يصبر عليه ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك كلحم على وضم وهذا باطل فان كل واحد من الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفقدها ركن من الدين ويدل على ذلك ما ورد في عدة من الاخبار ان كل ما يرد على المؤمن من البلاء او عافية او نعمة او بلية فهو خير له واصلح في حقه وما ورد في بعض الاحاديث القدسية ان بعض عبادي لا يصلحه الا الفقر والمرض فاعطيه ذلك وبعضهم لا يصلحه الا الغنى والصحة فاعطيه ذلك وبذلك يجمع بين اخبار العافية واخبار البلاء ومنها الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى من الاسترسال في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وضيق الصدر والتبرم والضجر وهو وان كان من نتايج ضعف النفس وصغرها الذي هو من رذائل القوة

رذيلة الجزع من انواع الرذائل

في حقيقة المهلكات بعض ونقل الروايات وحكاية القصص بعض

الغضبية الا انه لما كان ضد الصبر الذى بعض اقسامه من متعلقات القوة الشهوية كما يأتى فلذلك لم نذكره فى متعلقات قوة الغضب فقط بل ذكرناه هنا ثم الجزع فى المصائب من المهلكات لانه فى الحقيقة انكار لقضاء الله واكراه لحكمه وسخط على فعله ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله الجزع عند البلاء تمام المحنة وقال صلى الله عليه وآله ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط وفى الخبر القدسى من لم يرض بقضائى ولم يشكر لنعمائى ولم يصبر على بلائى فليطلب ربا سواى وروى ان زكريا لما هرب من الكفار واختفى فى الشجرة وعرفوا ذلك جاؤا بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار راس زكريا فان منه انة فاوحى الله اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا على اصبعه حتى قطع بشطرين وبالجملة العاقل يعلم ان الجزع فى المصائب لا فائدة فيه اذ ما قدر يكون والجزع لا يرده ولا ريب فى انه يترك الجزع بعد مضى مدة فليتركه اولا حتى لا يضيع اجره وقد نقل انه مات ابن لبعض الاكابر فعزاه مجوسى وقال له ينبغى للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال اكتبوا عنه وقال بعض العلماء الصبر يظهر ما فى بواطن العباد من النور والصفاء والجزع يظهر ما فى بواطنهم من الظلمة والوحشة والصبر يدعيه كل احد ولا يثبت عنده الا المخبتون والجزع ينكره كل احد وهو ابين على المنافقين لان نزول المحنة والمصيبة يخبر عن الصادق والكاذب وفى تفسير الصبر ما يستمر مذاقه وما كان عن اضطراب لا يسمى صبرا وتفسير الجزع اضطراب القلب وتحزن الشخص وتغير اللون والحال وكل نازلة خلت اوائلها من الاخبات والانابة والتضرع الى الله فصاحبها جزوع غير صابر والصبر ما اوله مر واخره حلو لقوم ولقوم مر اوله واخره فمن دخله من اواخره فقد دخل ومن دخله من اوائله فقد خرج ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عما منه الصبر قال الله عز وجل فى قصة موسى عليه السلام والخضر عليه السلام فكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فمن صبر كرها ولم يشك الى الخلق ولم يجزع بهتك ستره فهو من العام ونصيبه ما قال الله عز وجل وبشر الصابرين اى بالجنة والمغفرة ومن استقبل البلاء بالرحب وصبر على سكينة ووقار فهو من الخاص ونصيبه ما قال الله عز وجل ان الله مع الصابرين

وصل ضد الجزع الصبر وهو ثبات النفس وعدم اضطرابها فى الشدائد والمصائب بان تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينة فيحبس لسانه عن الشكوى واعضاءه عن الحركات الغير المتعارفة وهذا هو الصبر على المكروه وضده الجزع وله اقسام اخر

فضيلة الصبر [illegible] الفضائل

ذكر حقيقة الصبر وكونه على التنبيه في بيان الصبر واقسامه في العامة والخاصة

المقام الرابع

لها اسماء خاصة بمقتضى فضايل اخر كالصبر في الحروب هو من انواع الشجاعة وضده الجبن والصبر في كظم الغيظ وهو الحلم وضده الغضب والصبر على المشاق كالعبادة وضده الفسق اى الخروج عن العبادات الشرعية والصبر على شهوة البطن والفرج من قبايح اللذات وهو العفة والبراءة في قوله سبحانه وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وضده الشره والصبر عن فضول العيش وهو الزهد وضده الحرص والصبر في كتمان السر وضده الاذاعة والا كالصبر على المكروه من فضايل قوة الغضب والرابع من نتايج المحبة والخشية والبواقى من فضايل قوة الشهوة كما يأتى وبذلك يظهر ان من عد الصبر مطلقا من فضايل القوة الشهوية او القوة الغضبية انما اراد بعض اقسامه ويظهر من ذلك ان اكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واشرفها كما قال الحج عرفة وقد عرف مطلق الصبر بانه مقاومة النفس مع الهوى وبعبارة اخرى انه ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى والمراد بباعث الدين هو النظر الهادى الى طريق الخير والصلاح والعقل العملى المنفذ لاحكام المؤدية الى الفوز والفلاح والمراد بباعث الهوى هو قوة الشهوة الخارجة عن اطاعة العقل والقتال بين الباعثين قائم دائما والحرب بينهما ابدا سجال وقلب العبد معركته ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله فان ثبت باعث الدين بامداد الملائكة حتى قهر باعث الهوى واستمر على مخالفته غلب حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلب باعث الهوى بامداد الشياطين ولم يصبر على دفعه التحق باتباع الشياطين وعمدة ما يثبت به باعث الدين هو قوة المعرفة اى اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الوصول الى الله مضادا لاسباب السعادات في الدنيا والاخرة ثم باعث الدين اما يقهر داعى الهوى بالكلية بحيث لا يبقى له قوة المنازعة فيدوم الصبر ويستقر النفس في مقام الاطمينان وينادى من وراء سرادقات الجمال بخطاب يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فيدخل في زمرة الصديقين السابقين ويسلك في عباده الصالحين او يغلب داعى الهوى ويقهر باعث الدين بحيث لا يبقى له قوة المنازعة وياس عن المجاهدة والمقاومة فيسلم نفسه الشريفة الملكوتية التى هى سر الله ووديعته الى حزب الشيطان ومثله مثل من اخذ اعز اولاده المتصف بجميع الكمالات ويسلمه الى الكفار من اعدائه فيقتلوه لديه ويحرقوه بين يديه بل هو اسوء حالا منه بمراتب كما لا يخفى او لا يكون لاحدهما الغلبة التامة بل يكون بينهما

[illegible] (٩٠)

الحالات الثلث باعتبار مدافعة باعث الدين وباعث الهوى والمقامات الثلث لاهل الصبر

تنازع وتجاذب فتارة يغلب ذلك فيكون النفس في مقام المجاهدة الى ان يغلب احد الباعثين

فيدخل في حزب الله او حزب الشيطان ثم غلبة احد الباعثين على الاخر اما ان يكون في جميع

مقتضياته او بعضها ويخرج من القسمين ثلثة احوال الاولى ان يغلب باعث الدين على جميع

الشهوات في جميع الاوقات الثانية ان يغلب عليه الجميع في الجميع الثالثة ان يغلب عليها كلا

او بعضا في بعض دون بعض وقد اشير الى اهل الحالة الاولى في الكتاب الالهي بقوله تعالى يا ايتها

النفس المطمئنة الخ والى الثانية بقوله ولكن حق القول مني لاملئن جهنم من الجنة والناس

اجمعين والى الثالثة بقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم **فصل**

الصبر على المكروه ومشاق العبادات وعن ترك الشهوات ان كان بيسر وسهولة فهو التصبر حقيقة

وان كان بتكلف وتعب فهو التصبر واذا دام التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى

تيسر الصبر ولم يكن له تعب ومشقة كما قال الله سبحانه فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى

فسنيسره لليسرى ومتى تيسر الصبر وصار ملكة راسخة اورث مقام الرضا واذا دام مقام الرضا

اورث مقام المحبة وكان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا فكذلك مقام الرضا اعلى من مقام الصبر ولذلك قال

رسول الله صلى الله عليه وآله اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على المكره خير كثير قال بعض العارفين

اهل الصبر على ثلث مقامات الاولى ترك الشكوى وهذه درجة التائبين الثانية الرضا

بالمقدر وهذه درجة الزاهدين الثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين

وكان هذه الاقسام مخصوصة بالصبر على المكروه من المصائب والمحن ثم باعث الصبر اما اظهار

الثبات وطمانينة القلب عند الناس ليكون عندهم مرضيا كما نقل عن معوية انه اظهر البشاشة وترك

الشكوى في مرض موته وقال   وتجلدي للشامتين اريهم   اني لريب الدهر لا اتزعزع

وهذا صبر العوام وهم الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون

او توقع الثواب ونيل الدرجات الرفيعة في دار الاخرة وهذا صبر الزهاد والمتقين واليه الاشارة

بقوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب او الالتذاذ والابتهاج بورود المكروه من الله

سبحانه اذ كلما يرد من المحبوب محبوب عند المحب لشتاق الى التفات محبوبه وتلذذه به وان كان

مما يؤذيه ابتلاء وامتحانا له وهذا صبر العارفين واليه الاشارة بقوله تعالى وبشر الصابرين الذين

اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من

ربهم ورحمة وقد ورد ان الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لجابر بن عبد الله الانصاري

يغلب هذا وتارة

الجميع او يغلب

عجانا

اذ اكتنفه علل واسقام وغلبه ضعف الهرم كيف تجد حالك قال انا في حال الفقر احب الي من الغنى والمرض احب الي من الصحة والموت احب الي من الحيوة فقال الامام عليه السلام اما نحن اهل البيت فما يرد علينا من الله من الفقر والغنى والمرض والصحة والموت والحيوة فهو احب الينا فقام جابر وقبل بين عينيه وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال لي يا جابر ستدرك واحدا من اولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقرا

تنبيه

الصبر باعتبار حكمه ينقسم الى الاقسام الخمسة فالصبر عن الشهوات المحرمة وعلى مشاق العبادات الواجبة فرض وعلى بعض المكاره واداء المندوبات نفل وعلى الاذية التي يحرم تحملها حرام كالصبر على قطع يده او يد ولده او قصد حريمه لشهوة محظورة وعلى اذية تناله بجهة مكروهة في الشرع مكروه وبذلك يظهر ان كل صبر ليس محمودا بل بعض انواعه مذموم وبعض انواعه مباح والشرع محكم فما حسنه حسن وما قبحه قبيح

فصل

الصبر منزلة من منازل السالكين ومقام من مقامات الموحدين وبه يسلك العبد في سلك المقربين ويصل الى جوار رب العالمين وقد اضاف الله اكثر الدرجات والخيرات اليه وذكره في نيف وسبعين موضعا من القرآن ووصف الله الصابرين باوصاف فقال عز من قائل وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وقال وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وقال وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وقال أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وما من فضيلة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولذا قال إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ووعد الصابرين بانه معهم فقال وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وعلق النصرة على الصبر فقال بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وجمع للصابرين الصلوة والرحمة والهدى فقال أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ والآيات الواردة في مقام الصبر خارجة عن حد الاستقصاء والاخبار المادحة له اكثر من ان تحصى قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصبر نصف الايمان وقال صلى الله عليه وآله من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرء منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان يفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرء قوله تعالى وَمَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وقال صلى الله عليه وآله الصبر كنز من كنوز الجنة

في الاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضيلة الصبر وفضل الصابر

وقال صلى الله عليه وآله افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس ولا ريب في ان الصبر مما يكرهه النفوس
ولذا قيل الصبر صبر وقال صلى الله عليه وآله في الصبر على ما تكره خير كثير وقال عليه السلام الصبر من الايمان
بمنزلة الراس من الجسد فلا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وسئل صلى الله عليه وآله عن الايمان
فقال الصبر والسماحة وروى انه صلى الله عليه وآله لما دخل على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال رجل
نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى
بالقضاء فقال صلى الله عليه وآله مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وآله ما من جرعة احب الى
الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر لها ولا قطرة من قطرتان احب الى الله من قطرة
دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما
خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم
وروى انه اوحى الى داود عليه السلام يا داود تخلق باخلاقي ومن اخلاقي اني انا الصبور وروى ان المسيح عليه السلام
قال للحواريين انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال صلى الله عليه وآله ما من عبد
مؤمن اصيب بمصيبة فقال كما امره الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي
واعقبني خيرا منها الا وفعل الله ذلك وقال صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد
مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب
له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وآله الصبر ثلثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر
عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة ما بين
الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة
ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش وقال صلى الله عليه وآله سياتي على الناس
زمان لا ينال الملك فيه الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالغصب والبخل ولا المحبة الا
باستخراج الدين واتباع الهوى فمن ادرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى
وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز اتاه الله ثواب خمسين
صديقا ممن صدق بي وقال صلى الله عليه وآله من سلبت كريمتيه جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي و
قال صلى الله عليه وآله لرجل فقال لرجل ذهب مالي وسقم جسمي لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله
اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال صلى الله عليه وآله ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله تعالى
لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وقال صلى الله عليه وآله اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان

الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام في فضيلة الصبر وما يلزم للصابر

المقام الرابع

يصانه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف واذا دعاه
ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسئلني شيئا الا اعطيتك او رفعت
لك خيرا وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيمة جيئ باهل الاعمال فوزنوا اعمالهم
بالميزان اهل الصلوة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا
ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية في
الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب
فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال ع اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما
يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرء قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وروي ان نبيا من الانبياء شكى الى ربه فقال يا رب
العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرضه للبلاء ويكون العبد
الكافر لا يطيعك ويجتري على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان
العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض
له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له من الحسنات فابسط
له في الرزق وازوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني واجزيه بسيئاته وعن ابي
عبد الله ع قال قال رسول الله صلعم قال الله اني جعلت الدنيا بين عبادي قرضا فمن اقرضني منها قرضا
اعطيته بكل واحدة عشرا الى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك ومن لم يقرضني منها قرضا
فاخذت منه شيئا قسرا اعطيته ثلث خصال لو اعطيت واحدة منهن ملائكتي لرضوا بها مني ثم
تلى ابو عبد الله ع قول الله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
اولئك عليهم صلوات من ربهم فهذه واحدة من ثلث خصال ورحمة اثنان واولئك
هم المهتدون ثلث ثم قال ابو عبد الله هذا لمن اخذ الله منه شيئا قسرا وقال امير المؤمنين
بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ع الصبر صبران صبر عند المصيبة
حسن جميل واحسن من ذلك الصبر عندما حرم الله عليك وقال ع الصبر وحسن الخلق والبر و
الحلم من اخلاق الانبياء وقال ع ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه
فمات فهو شهيد وقال من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك

بقية الاخبار الواردة عن اهل العصمة صلوات الله عليهم اجمعين في باب الصبر على البلاء

قال ع الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله قالوا بلى فقرء وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقاه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفى عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة وقال الباقر ع الجنة محفوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار وقال ع مروة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء وقال ع لما حضر ابي الوفاة ضمني الى صدره وقال يا بني اصبر على الحق وان كان مرا توف اجرك بغير حساب وقال الصادق ع اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلوة عن يمينه والزكوة عن يساره والبر مطل عليه ويتنحى الصبر ناحية فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسائلته قال الصبر للصلوة والزكوة والبر دونكم صاحبكم فان عجزتم عنه فانا دونه وقال ع اذا كان يوم القيمة يقوم عنق من الناس فياتون باب الجنة فيضربونه فيقال لهم من انتم فيقولون نحن اهل الصبر فيقال لهم على ما صبرتم فيقولون كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله فيقول الله صدقوا ادخلوهم الجنة وهو قول الله إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ وقال ع من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل اجر الف شهيد وقال ع ان الله انعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة وقال ع ان من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز وقال ع من صبر صبر قليلا ومن جزع جزع قليلا فعليك بالصبر في جميع امورك فان الله بعث محمدا ص فامره بالصبر والرفق فقال وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وقال ابو الحسن ع لبعض اصحابه ان تصبر تغتبط والا تصبر ينفذ الله مقاديره راضيا كنت ام كارها والاخبار في فضيلة الصبر على البلاء وعظم ثوابه واجره اكثر من ان تحصى ولذلك كان الانبياء والاكابر محبين طالبين له حتى نقل ان واحدا منهم دخل على ابن له في مرض له فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابة لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب وقال بعضهم ذهبت عيني منذ ثلثين سنة ما علم به احد

فصل كل ما يلقى العبد في الدنيا اما يوافق هواه او لا يوافقه بل يكرهه وهو في كل منهما محتاج الى الصبر اذ ما يوافق هواه كالصحة الجسمية واتساع الاسباب الدنيوية

ونيل الجاه والمال وكثرة الاولاد والاتباع لو لم يصبر عليه و لم يضبط نفسه عن الانهماك فيه
والاغترار به ادركه الطغيان والبطر فان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال بعض الاكابر
البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق وقال بعض العرفاء الصبر
على العافية اشد من الصبر على البلاء ولذا لما توسعت الدنيا على الصحابة وزال عنهم ضيق
المعاش قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلا نقدر على الصبر عليها
ومن هنا قال الله سبحانه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ وقال إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ومعنى الصبر على متاع الدنيا
ان لا يركن اليه ويعلم انه مستودع عنده وعن قريب يسترجع عنه فلا ينهمك في التنعم والتلذذ
ولا يتفاخر به على فاقده من اخوانه المؤمنين ويرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل
المعونة للخلق وفي منصبه باغاثة المظلومين وكذلك في سائر ما انعم الله به عليه والسر في كون الصبر
عليه اشد من الصبر على البلاء انه ليس مجبورا على ترك ملاذ الدنيا بل له القدرة والتمكن على التمتع
بها بخلاف البلاء فانه مجبور عليه ولا يقدر على دفعه فالصبر عليه اسهل ولذا ترى ان الجائع اذا لم يقدر
على الطعام اقدر على الصبر منه اذا قدر عليه واما ما لا يوافق هواه وطبعه فله ثلثة اقسام الاول
ما يكون مقدورا للعبد كالطاعات والمعاصي اما الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس بطبعها
تنفر عنها وتتمنى التفوق والربوبية كما ياتي وجهه ومع ذلك يثقل عليها بعض العبادات باعتبار
الكسل وبعضها باعتبار البخل وبعضها باعتبارهما كالحج والجهاد فلا تخلو طاعة من اعتبار المشقة
على النفس ان يصبر عليه ومع ذلك يحتاج المطيع فيها الى الصبر في حالات ثلث يتضاعف
لاجله الصعوبة اذ يحتاج اليه قبل العمل في تصحيح النية والاخلاص وتطهيرها عن شوائب
الريا وفي حالة العمل لئلا يغفل عن الله في اثنائه ولا يخل بشيء من وظايفه وادابه ويستمر
على ذلك الى الفراغ عنه لئلا يتطرق اليه العجب وبعد الفراغ لا يظهره رياء وسمعة والنهي عن ابطال
العمل وعن ابطال الصدقات بالمن والاذى امر بهذا القسم من الصبر واما المعاصي فلكون
جميعها مما تشتهيه النفس فصبرها عليه شديد وعلى المالوفة المعتادة اشد اذ العادة
كالطبيعة الخامسة ولذا ترى ان كل معصية شاعت وتكررت ثقل استنكارها فان الاستبعاد
في مثل لبس الحرير اكثر من الاستبعاد في اطلاق اللسان طول النهار في اعراض الناس مع ان الغيبة
اشد من الزنا كما نطقت به الاخبار فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر به جندان من

الثانية
ظ

في مراتب قوة فيما حصوله او طاعة كانت امرا
في اختلاف الصبر وضعفا يكون مقدورا غير مقدور

جنود الشيطان على جند الله فيصعب تركها ثم المعصية ان كانت مما يسهل فعلها كان الصبر عنها اشد كمعاصي اللسان من الغيبة والكذب لو كانت مع ذلك مشتملا على تمام ما تقتضيه جبلة النفس من الاستعلاء والربوبية كالكلمات التي توجب نفي الغير والمدح فيه والثناء على ذاتها تصريحا او تعريضا كان الصبر عنها اشد اذ مثل ذلك مع كونه مما تيسر فعله وصار مألوفا معتادا انضاف اليه شهوتان للنفس فيه احدهما نفي الكمال من غيرها واخرهما اثباته لذاتها وميل النفس الى مثل تلك المعصية في غاية الكمال اذ بها يتم ما تقتضيه جبلتها من التفوق والعلو فصبرها عنها في غاية الصعوبة وقد ظهر مما ذكر ان اكثر ما شاع وذاع من المعاصي مما يصدر من اللسان فينبغي لكل احد ان يجتهد في حفظ لسانه بتقديم التروي على كلام يريد ان يتكلم به فان لم يكن معصية تكلم به والا تركه ولو لم يقدر على ذلك وكان لسانه خارجا عن اطاعته في المحاورات وجب عليه العزلة والانفراد وترك التكلم مع الناس حتى تحصل له ملكة الاقتدار على حفظه ثم صعوبة الصبر وسهولته لما كانت تختلف في احاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعاصي قوة وضعفا فينبغي لكل طالب السعادة ان يعلم ان داعية نفسه الى اي معصية اشد فيكون سعيه في تركها اكثر وحركة الخواطر باختلاج الوساوس اليه تكثير من حركة اللسان بقبايح الكلمات فلا يمكن الصبر عنها اصلا الا بان يتغلب على القلب هم اخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد واكثر جولان الخاطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدور وكيف كان فهو تضييع باطل وتضييع وقت اذ آلة استكمال العبد قلبه فاذا غفل القلب في لحظة من ذكر يستفيد به انسا بالله او فكر يستفيد به معرفة بالله يستفيد بالمعرفة حبا لله فهو مغبون الثاني ما ليس في حصوله مقدورا للعبد لكنه يقدر على دفعه بالتشفي كالو اوذي بفعل او قول او جني عليه في نفسه او ماله فان حصول الاذية والجناية وان لم يرتبط باختياره الا انه يقدر على التشفي من المؤذي او الجاني بالانتقام منه والصبر على ذلك بترك المكافاة وهو قد يكون واجبا وقد يكون فضيلة وهو اعلى مراتب الصبر ولاجل ذلك خاطب الله نبيه صلى الله عليه وآله بقوله ﴿وَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وبقوله ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ وبقوله ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وقال ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

وقال وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وقال رسول الله صلّى صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وروى انه قسم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به رسول الله فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر الثالث ما ليس مقدورا للعبد مطلقا كالمصائب والنوائب والصبر عليه شديد في غاية الصعوبة ولا ينال الا ببضاعة الصديقين والوصول اليه يتوقف على اليقين التام ولذا قال النبي صلّى اسئلك من اليقين ما يهون على مصائب الدنيا وقد تقدم بعض الاخبار الواردة في فضيلة هذا القسم من الصبر وقال صلّى قال الله اذا ابتليت عبدي ببلائي فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابرئته ابرئته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال صلّى من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال صلّى ان الله تعالى قال لجبرئيل ما جزاء من سلبت كريمتيه فقال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال داود عم يا رب ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان لا انزعه عنه ابدا وقال لابنه سليمان عم يستدل على تقوى المؤمن بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وروي ان من ابتلي بموت ثلثة اولاد لم يرد على النار اصلا

تذنيب لما كان الصبر على العافية بمعنى ترك الشهوات المحرمة وعدم الانهماك فيها فهو راجع الى الصبر عن المعصية وعلى هذا فاقسام الصبر ثلثة الصبر على المصائب والنوائب والصبر على الطاعة والصبر على المعصية ثم ما تقدم من الخبر النبوي صريح في كون الاول اقل ثوابا والوسط وسطا بينهما وربما ظهر من بعض الاخبار كون الاول اكثر ثوابا وابو حامد الغزالي رجح الاول اولا وبه صرح بعض المتاخرين من اصحابنا للخبر النبوي ثم رجح الثاني ثانيا محتجا بما روي عن ابن عباس انه قال الصبر في القران على ثلثة اوجه صبر على اداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وبان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم واما الصبر على بلاء الله فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين لكونه شديدا على النفس وعندي ان القول بكون احدهما اكثر ثوابا على الاطلاق غير صحيح اذ القول بان الصبر عن كلمة كذب او لبس ثوب من الحرير المخلوطة

وقال صلّى انتظر وصبر واعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر اولئك لهم الامن وهم مهتدون

والاخير اكثر ثوابا

الاكثر ثوابا من الصبر على موت كثير من اعزة الاولاد بعيد وكذا القول بان الصبر على فقد درهم اكثر ثوابا من كف النفس عن كبائر المعاصي وفطامها عن الذ اللذات والشهوات مع القدرة عليها ابعد فالصواب التفصيل بان كل صبر من اي قسم كان من الثلثة اذا كان على النفس اشد و اشق فثوابه اكثر مما كان اسهل وايسر كائنا ما كان لما ثبت تقرر ان افضل الاعمال احمزها وبه يحصل الجمع والتلائم بين الاخبار

فصل الطريق الى تحصيل الصبر بتقوية باعث الدين و تضعيف باعث الهوى والاول انما يكون بامور الاول ان يكثر فكره فيما ورد من فضل الصبر وحسن عواقبه في الدنيا والاخرة وان يعلم ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر فيجازى على المدة القصيرة الفانية بالمدة الطويلة الخالدة وعلى الغاية الزائلة بالغاية المديدة الباقية ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن بفوات الخسيس في الحال الثاني ان يتذكر قلة قدر الشدة الدنيوية ووقتها واستخلاصه عنها عن قريب مع بقاء الاجر على الصبر عليها الثالث ان يعلم ان الجزع قبيح مضر بالدين والدنيا ولا يفيد ثمرة الا حط الثواب وجلب العقاب كما قال امير المؤمنين ع ان صبرت جرت عليك المقادير و انت ماجور ولو جزعت جرت عليك المقادير وانت مازور الرابع ان يعود مصارعة هذا الباعث باعث الهوى تدريجا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منه في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة يؤكد القوى التي يصدر منها تلك الاعمال ولذا تزيد قوة الممارسين للاعمال الشاقة كالحمالين والفلاحين على قوة التاركين لها فمن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما شاء واراد واما الثاني اعني تضعيف الهوى فانما يكون بالمجاهدة والرياضة من الصوم والجوع وقطع الاسباب المهيجة للشهوة من النظر الى مظانها وتخيلها وبالتسلية بالمباح من الجنس الذي يشتهيه بشرط ان لا يخرج عن القدر المشروع

تتميم ان قيل الصبر في المصائب ان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهة المصيبة فذلك غير داخل تحت الاختيار اذ الانسان مضطر الى الكراهة فبما ذا ينال درجة الصبر في المصائب قلت من كان عارفا بالله وباسرار حكمته وقضائه وقدره بان يعلم يقينا بان كل ما صدر من الله ويبتلى به عباده من ضيق وسعة وكل امر مرهوب او مرغوب على وفق الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض من ذلك مما يعد شرا فانه عرضي لا يمكن نزع المقصود منه وان ذلك اذا

كان متبغناله استعدت نفسه للصبر و مقاومة الهوى فى الغم و الحزن وطابت بقضا ائه
وقدره و توسع صدره بمواقع حكمه وايقن بان قضائه لم يجر الا بالخيرة وقد اشار الى ذلك
امير المؤمنين ع بقوله اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر و حسن اليقين ومن بلغ
لهذه الدرجة يتلذذ بكلما يرد عليه ومثله يتمتع بثروة لا تنفد ويتأيد بعز لا يفقد
فيسرح فى فلك الابد ويعرج الى فضاء السرمد هذا مع ان العبد انما يخرج عن مقام الصابرين
بالجزع وشق الجيوب و ضرب الخدود والمبالغة فى الشكوى و اظهار الكابة و تغيير العادة
فى الملبس والمطعم ونحوها وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغى ان يجتنب عنها
ويظهر الرضا بالقضا و يبقى مستمرا على عادته و يعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت
ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب جريان الدمع لان ذلك مقتضى البشرية ولذلك
لما مات ابرهيم ولد النبى ص فاضت عيناه بالدمع فقيل له اما نهيتنا عن هذا قال هذه رحمة
انما يرحم الله من عباده الرحماء وقال ايضا العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط
الرب بل ذلك لا يخرج عن مقام الرضا ايضا فان المقدم على الفصد والحجامة راض به مع انه
متالم بسببه لا محالة نعم من كمال الصبر كتمان المصائب لما ورد من ان كتمان المصائب والاوجاع
والصدقة من كنوز البر وقد ورد المدح فى كثير من الاخبار على عدم الشكاية من الامراض و
المصائب وقال الباقر ع الصبر الجميل الصبر الذى ليس فيه شكوى الى الناس وفى بعض
الاخبار ان الشكاية ان تقول ابتليت بما لم يبتل به احد واصابنى ما لم يصب احدا وليس
الشكوى ان تقول سهرت البارحة وحممت اليوم ونحو ذلك وقال الصادق ع من اشتكى
ليلة فقبلها بقبولها وادى الى الله شكرها كانت كعبادة ستين سنة قيل له ما قبولها
قال يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا اصبح حمد الله على ما كان **تتمة** اعلم انه
اختلف فى افضلية كل من الصبر والشكر على الاخر فرجح كلا منهما على الاخر طايفة والظاهر انه
لا ترجيح لاحدهما على الاخر لانهما متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر اذ الصبر على الطاعة و
على المعصية هو عين الشكر لكون اداء الطاعة وترك المعصية شكرا كما مر فى باب الشكر والصبر على
الشدائد والمصائب يستلزم الشكر لما مر من ان الشدائد والمصائب الدنيوية تتضمن
نعما فالصبر على هذه الشدائد يستلزم الشكر على تلك النعم ولان الصبر على المصائب هو حبس
النفس عن الجزع وتعظيما لله سبحانه وهذا هو الشكر بعينه لانه تعظيم لله تمنع عن العصيان و

بقبولها

الشاكر

الشاكر يمنع نفسه عن الكفران مع ميل النفس اليه وهذا هو عين الصبر عن المعصية وايضا توقف
الصبر والعصمة من الجزع نعمة يشكر عليها الصابر فكل صبر يستلزم الشكر وبالعكس وبالجملة
لا ريب في استلزام كل من الصبر والشكر للآخر فان اجتماعهما في الطاعة وترك المعصية بل اتحادهما
فيه امر ظاهر كما تقدم وفي البلاء المفيد الدنيوي اذا حصل فيه الصبر فلا ريب في عدم انفكاكه عن
تصور النعم اللازمة له من الثواب الاخروي وحصول الانزعاج عن الدنيا والرغبة الى
الآخرة فيشكر على ذلك فهو لا ينفك عن الشكر لانه يعرف هذه النعم من الله كما يعرف البلاء
انه من الله ويفرح بالنعم ويعمل بمقتضى فرحه من التحميد وغيره وفي النعمة المقيدة مثل المال
اذا توسل به الى تحصيل الدين فلا ريب في انه كما يتحقق فيه الشكر يتحقق فيه الصبر ايضا اذ في انفاق
المال وبذله في بعض تحصيل الدين حبس النفس عما يحبه ويميل اليه وثبات باعث الدين
في مقابلة باعث الهوى وفي البلاء المطلق كالكفر والجهل لا معنى لتحقق الشكر والصبر فيه و
في النعمة المطلقة كسعادة الآخرة والعلم وحسن الاخلاق كما يتحقق فيها الشكر يتحقق فيها الصبر ايضا
اذ تحصيل السعادة والعلم والاخلاق الفاضلة والابقاء عليها لا ينفك عن مقاومة
الهوى ومنع النفس عما تميل اليه مع ان الشكر عليها يستلزم منع النفس عن الكفران وهو
الصبر عن المعصية حتى ان شكر العينين بالنظر الى عجائب صنع الله يستلزم الصبر عن الغفلة و
النوم والنظر الى ما يميل اليه النفس من النظر الى غير المحارم وامثال ذلك فان قيل استلزام
كل من الصبر والشكر للآخر مما لا ريب فيه الا ان الكلام في انه اذا لم يتحقق الاتحاد بينهما في فعل
كما في فعل الطاعة وترك المعصية لكونهما متحدين فيهما بل تحقق الاستلزام الموجب لتحقق جهتين
فاي الجهتين افضل مثلا ان يبتلي احد بمصيبة دنيوية فصبر عليها بمعنى انه عرف انها من الله و
حبس نفسه عن الجزع والاضطراب وشكر عليها ايضا بمعنى انه عرف ان النعم اللازمة لها من
الثواب الاخروي وغيرها من الله وفرح به ثم وعمل بمقتضى فرحه من التحميد او طاعة اخرى فهل
الافضل جهة الصبر او جهة الشكر قلنا التأمل يعطي ان كل صبر هو شكر بعينه وبالعكس
فلا يتحقق بينهما جهتان مختلفتان حتى يتصور الترجيح بينهما فان الصبر على البلاء انما هو حبس
النفس عن الجزع تعظيما لله وهذا هو عين الشكر اذ كل طاعة لله سبحانه شكر وفي الشكر
على النعم المطلقة منع النفس عن الكفران وهو عين الصبر عن المعصية فان قلت فعلى هذا
يجتمع الصبر والشكر في محل واحد بجهة واحدة وقد تقدم انهما متضادان اذ الصبر يستدعي

تتميم بنفي الفرق بين الصبر والشكر واثباتها اعتبارا وتميزهما عن الرضا

الما والشكر يستدعي فرحا وقد ذكرت ان اجتماع الصبر والشكر في محل واحد انما يكون من جهتين متغايرتين لا من جهة واحدة قلنا امتناع الاتحاد فيهما انما هو في الصبر والشكر على ما هو كان نعمة وبلاء بعينه فانه لا يمكن ان يكون الصبر على فوت ولد اعني حبس النفس عن الجزع هو عين الشكر على النعمة اذ موت الولد بعينه ليس بنعمة بل هو مستلزم للنعمة فالشكر على اللازم والصبر على الملزوم فاختلف جهتا الصبر والشكر فلا اتحاد وما ذكرناه من الاتحاد انما هو في الشكر والصبر على النعمة وترك المعصية او على البلاء والطاعة وندعي ان من وصلت اليه نعمة فشكر عليها بعزمه فانها من الله والفرح به والعمل بمقتضى الفرح من التحميد وطاعة اخرى كان هذا الشكر عين الصبر عن معصية هي الكفران او على الطاعة التي هي التحميد وغيره وكذا من ابتلي ببلية فصبر عليها بحبس نفسه عن الجزع وعن المعصية التي هي الجزع والاضطراب في هذا الاتحاد والعينية يطرد في كل صبر وشكر ولا يتحقق شكر لا يكون عين الصبر عن هذا الوجه وبالعكس وليس بينهما تضاد ومنافاة اصلا والاستلزام واختلاف الجهة انما هو في الصبر على البلاء والشكر على ما يستلزمه من النعم ولا يمكن هنا اتحادهما لتضادهما وفي هذه الصورة يكون كل من الصبر والشكر المتميزين عن الاخر باختلاف الجهة عين الاخر من حيث ملاحظة الاعتبار السابق فلا يمكن الترجيح في هذه الصورة مع اختلاف الجهة ايضا فان قيل عرفان النعم من الله داخل في حقيقة الشكر وليس داخلا في الصبر فينبغي ان يكون الشكر لذلك افضل من الصبر قلنا في الشق الاول من صورة العينية والاتحاد يكون عرفان النعمة داخلا في الصبر وفي الشق الثاني منهما او في صورة الاستلزام يدخل عرفان البلاء من الله في الصبر فكما ان الشاكر يرى نعمة العينين من الله فالصابر يرى العمى من الله فكذا فيهما في المعرفة متساويان ثم جميع ما ذكر في الفرق بين الصبر والشكر انما اذا كان حقيقة الصبر حبس النفس عن الشكوى في البلاء مع الكراهة والتألم وعلى هذا يكون الرضا فوقه لو قطع النظر عن كون الصبر شكرا ايضا ويكون الشكر فوق الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب يفرح به ولو لم يعتبر في مفهوم الصبر الكراهة والتألم لصار الرضا والشكر في بعض درجاته اذ يمكن ان يصل حال العبد في الحب مرتبة لا يتألم من البلاء او يفرح به لانه يراه من محبوبه وح فترك الشكوى في البلاء مع الكراهة صبر وبدونها رضا ومع الفرح به شكر

تنبيه

اعلم ان العمدة والقانون الكلي في معرفة فضائل الاعمال والاحوال وترجيح بعضها على بعض

٧ نعم هذا الصبر عين الشكر باداء الطاعة التي هي تعظيم الله بكف النفس عن الجزع

ذكر تنبيه في القانون الكلي لمعرفة فضائل الاعمال والاحوال ورجحان بعضها على بعض

عند ارباب القلوب ان العمل كلما كان اكثر تاثيرا في اصلاح القلب وتصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا واشد اعداداً لمعرفة الله وانكشاف جلاله في ذاته وصفاته وافعاله كان افضل وعلى هذا القانون لولا الاتحاد والعينية والتلازم بينهما لكان اللازم ان يوازن بين كل درجة من درجات الصبر والشكر وترجيح احدهما اذ لكل منهما درجات مختلفة في تنوير القلب وتصفيته وسبب الاختلاف اسباب منها الاختلاف بين اقسام النعم واقسام البلاء ومنها اختلاف مراتب المعرفة والفرح المأخوذين في الشكر واختلاف الطاعة التي تفعل في كل منهما صعوبة وسهولة فربما كان بعض درجات الصبر اشد تنويرا واكثر اصلاحا للقلب من بعض درجات الشكر وربما كان الامر بعكس ذلك في بعض آخر من درجاتهما فان الاعمال والاحوال المندرجة تحت كل منهما كثيرة وباختلافها كثرة وقلة تختلف درجاتهما فمن الامور والاحوال التي تندرج تحت الشكر حياء العبد من تتابع نعم الله عليه ومعرفته بتقصيره عن الشكر واعتذاره من قلة الشكر واعترافه بان النعم ابتداء منه تعالى من غير استحقاقه لها وعلمه بان الشكر ايضا نعمة من نعمه ومواهبه وحسن تواضعه بالنعم والتذلل لله فيها وحسن ادبه بين يدي المنعم وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها وشكر الوسائط لقوله صلى الله عليه وآله من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال السجاد عليه السلام اشكركم لله اشكركم للناس وقال عليه السلام يقول الله تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة اشكرت فلانا فيقول بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره وقال الصادق عليه السلام اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك ولا ريب انه كلما ازدادت هذه الاحوال في الشكر وطال زمانه ازداد فضله وقد نقل ان رجلا يهوى ابنة عم له وهي ايضا تهواه فاتفق تزاوجهما فقال الرجل ليلة الزفاف لها تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله على ما جمعنا فقالت نعم فصليا تلك الليلة باسرها ولم يتفرغ احدهما الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قال مثل ذلك فصليا طول الليل فهكذا يفعلان في ثمانين سنة وبقيا على تلك الحالة في ثمانين سنة في كل ليلة من دون رجوع لاحدهما الى الآخر ومن دون اتفاق مضاجعة بينهما فضلا عن شيء آخر ولا يخفى ان هذا الشكر افضل بمراتب من صبرهما على بلاء المفارقة لو لم يحصل بينهما الجمع والوصل

تتميم

اعلم ان الظاهر من بعض الاخبار ان الصبر افضل واكثر ثوابا من الشكر كما روي انه يؤتى يوم القيامة باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى

ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن عليك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وكقوله ع الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وهذا يدل على افضلية الصبر من الشكر لان المشبه به اعلى رتبة من المشبه وكقول الباقر ع مروة الصبر في حال الحاجة والفاقة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء ويؤيد ذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وينبغي ان يرتكب في امثال هذه الاخبار تقييد ان احدهما التقييد ببعض المراتب بان يكون المراد ان بعض مراتب الصبر افضل من بعض مراتب الشكر وهذا مما لاريب فيه فان من سلب عنه اولاده وابتلى بالفقر والمرض ومع ذلك صبر ولم يجزع فهو افضل البتة ممن اعطى مالا كثيرا فقال شكرا لله الحمد لله من دون ابداء عمل اخر من الطاعات وليس المراد ان كل ما يسمى صبرا افضل من كل درجة من درجات الشكر اذ البديهة حاكمة بان الشكر على نعمة بالاشتغال بالطاعة والعبادة في سنين كثيرة متتالية من دون فتور افضل واعلى رتبة من منع النفس عن الجزع لاجل عشرة دراهم سرقت منه وثانيهما التقييد بخروجها على ما هو الظاهر عند جمهور الناس من الانفكاك بين الصبر والشكر فان الجمهور لا يفهمون من حبس النفس عن الجزع عند الابتلاء ببلية الا الصبر ولا يلتفتون الى ان هذا الحبس نوع عبادة حصل تعظيما لله وهو عين الشكر وكذا لا يفهمون من الشكر الا التحميد والاشتغال بالصلوة عند حصول نعمة ولا يلتفتون الى ان هذا العمل عين منع النفس عن الكفران وهو الشكر بعينه ومنها الفسق وهو الخروج عن طاعة المعبود الحقيقي وعبادته وضده الطاعة وهو تمجيد المعبود والتخضع له باداء ضروب العبادات المقررة في الشريعة وعمدة العبادات الموظفة في الشريعة هي الطهارة والصلوة والذكر والدعاء وتلاوة القران والصوم والحج وزيارة النبي ص والائمة ع والجهاد في سبيل الله واداء المعروف الشامل للزكوة والخمس والصدقة المندوبة وغيرها والاخير اعني اداء المعروف باقسامه قد تقدم والجهاد في هذا الزمان ساقط فنشير الى بعض الاسرار والدقائق والاداب الباطنة المتعلقة بالبواقي في مقاصد وخاتمة واما ادابها واحكامها وشرائطها الظاهرة فهي مذكورة في الكتب الفقهية

المقصد الاول

في الطهارة والنظافة اعلم ان الطهارة والنظافة اهم الامور للعباد اذ الطهارة الظاهرة وسيلة الى الطهارة الباطنة وما لم تحصل الاولى لم تحصل الثانية ولذا ورد في مدحها ما ورد قال الله سبحانه فيه رجال يحبون ان يتطهروا

رذيلة الفسق

اسرار الطهارة والنظافة

ذكر بعض الآيات والأخبار المتعلقة بالطهارة وترتيب مراتبها الأربع وبيان ان ما فيها الترتيب

والله يحب المطهرين وقال ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بني الدين على النظافة وقال صلى الله عليه وآله الطهور نصف الايمان وقال صلى الله عليه وآله
مفتاح الصلوة الطهور وقال صلى الله عليه وآله بئس العبد القاذورة وقال صلى الله عليه وآله من اتخذ ثوبا فلينظفه
وقال امير المؤمنين عليه السلام النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور
للصلوة ثم للطهارة اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الاحداث والاخباث والفضلات
الثانية تطهير الجوارح من الجرايم والآثام والتبعات الثالثة تطهير القلب الباطن من مساوي
الاخلاق ورذائلها الرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي تطهير الانبياء والصديقين
والطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي فيها اذ الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له
جلال الله وعظمته ويحصل له المعرفة التامة والحب والانس ولا يمكن حصول ذلك ما لم
يرتحل عنه ما سوى الله ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فان الله وغيره لا يجتمعان
في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فتطهير السر عما سوى الله نصف عمله
والنصف الاخر نصفه شروق نور الحق فيه والغاية القصوى في عمل القلب عمارته بالاخلاق المحمودة
والعقائد الحقة الشرعية ولا يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من الاخلاق المذمومة
والعقائد الفاسدة فتطهيرها عنها احد الشطرين والشطر الاخر تحليته بالفضائل والعقائد
واما عمل الجوارح فالمقصود منه عمارتها بالطاعات ولا يمكن ذلك ما لم يطهر عن المعاصي
والمناهي فهذا التطهير نصف عملها ونصفه الآخر عمارتها بالطاعات وقس على ذلك الحال
في المرتبة الاولى والى ذلك الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وآله الطهور نصف الايمان فان المراد ان تطهير
الظاهر والجوارح والقلب والسر من النجاسات والمعاصي ورذائل الاخلاق وما سوى الله
نصف الايمان ونصفه الآخر عمارتها بالنظافة والطاعات ومعالي الاخلاق والاستغراق في
شهود جمال الحق وجلاله ولا تظنن ان مراده صلى الله عليه وآله ان مجرد تطهير الظاهر عن النجاسات بافاضة الماء
نصف الايمان مع تلوث الجوارح باخباث المعاصي وتنجس القلب باقذار مساوي الاخلاق
وتشويش السر وتكدره بما سوى الله فالمراد التطهير في المراتب الاربع التي هي مقامات الدين
وهي مرتبة يتوقف بعضها على بعض ولا يمكن ان ينال العبد ما هو الفوق ما لم يتجاوز ما دونه
فلا يصل الى طهارة السر عما سوى الله وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله وعظمته ما لم يفرغ
عن طهارة القلب عن الاخلاق المذمومة وتحليته بالملكات المحمودة ولا يصل الى ذلك ما لم

فصل يفرغ عن ازالة الخبث والحدث عن الظاهر وعما يتم بالنظافة والنزاهة
طهارة الظاهر اما عن الخبث او عن الحدث او عن فضلات البدن وما يتعلق بها من الاحكام الظاهرة
الواجبة والمحرمة والمندوبة والمكروهة مستقصاة في كتب الفقه واما الآداب الباطنة للطهارة
الخبث وازالته عند التخلي لقضاء الحاجة ان يتذكر عنده نقصه وحاجته وخبث باطنه وخسة
حاله وما يشتمل عليه من الاقذار وكونه حامل النجاسات ويتذكر باستراحة نفسه عند
اخراجها وسكون قلبه عن دنسها وفراغه للعبادات والمناجاة ان الاخلاق الذميمة التي
في باطنها نجاسات باطنة واقذار كامنة تستريح نفسها عند اخراجها ويطمئن قلبه من
ازالة دنسها وعند اخراجها يصلح للوقوف على بساط الخدمة ويتأهل للقرب والوصول الى
حرم العزة فكما يسعى في اخراج النجاسات الظاهرة لاستراحة البدن مدة قليلة في الدنيا فينبغي
ان يجتهد ايضا في اخراج الاقذار الباطنة والنجاسات الخلقية الغايصة في الاعمال المفسدة على الاطلاق
لتستريح الروح والبدن في الدنيا والآخرة ابد الآباد قال الصادق عليه السلام سمي المستراح مستراحا لاستراحة
النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الاقذار والكثافات فيها والمؤمن يعتبر عندها
ان الخالص من حطام الدنيا والمتخلي عن شهواتها واقذارها كذلك يصير في العاقبة فيستريح
بالعدول عنها وتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها فينبغي ان يستنكف عن جمعها واخذها
استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف يصير ذليلة
في حال ويعلم ان التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين وان الراحة في هوان
الدنيا والفرار من التمتع بها وعدم التحمل للنجاسات الحاصلة من الحرام والشبهة فيغلق عن
نفسه باب لذات الدنيا ومحرماتها وشبهاتها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع و
الانكسار والذلة والندم والحياء ويجتهد في اداء اوامره واجتناب نواهيه طلبا لحسن المآب
وحذرا عن اليم العقاب ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات الى ان يتصل
بامان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه وينبغي ان يتأمل في ان ما دفع عنه من الغائط
والقذر هو ما كان يشتهيه ويحرص في طلبه من لذائذ الاطعمة وكلما كان الذ كان عفونته
اشد فما كان عاقبته ذلك فليحذر من ان ياخذه من غير حله فيعذب ابد الآباد لاجله

فصل ينبغي لكل مؤمن ان يستحضر عند اشتغاله بالطهارة عن الحدث ان تكليفه
بها للدخول في العبادات والمناجاة مع خالق البرايا انما هو لكون اعضائه التي امر بغسلها

في الاشارة الى سر الطهارة الترابية والمائية من الوضوء والغسل والتيمم

مباشرة للامور الدنيوية منهمكة في الكدورات الطبيعية فخرجت عن اهلية اللقاء بين يدى الله سبحانه والاشتغال بعبادته فالامر بغسلها ليتطهر عن هذه الكدورات فيتاهل للمناجاة ولا ريب في ان مجرد غسلها لا يطهرها عن الادناس الدنيوية والكدورات الجسمانية ما لم يتطهر قلبه عن الاخلاق الذميمة والعلايق الدنيوية وما لم يعزم على الرجوع الى الله والانقطاع عن الدنيا وشهواتها فينبغي ان يكون قلبه عند الطهارة مطهرا عن ذمائم الصفات وخبائث الشهوات جازما على فطام الاعضاء التي هي اتباعه وخدامه عن شهوات الدنيا ليسرى نوريته وطهارته الى تلك الاعضاء ثم امر في الوضوء اولا بغسل الوجه الذى هو مجمع اكثر الحواس الظاهرة التي هي اعظم الاسباب الباعثة على مطالب الدنيا ليتوجه ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال من تلك الادناس وثانيا بغسل اليدين لمباشرتهما اكثر الامور الدنيوية والمشتهيات الطبيعية المانعة من الاقبال على الآخرة وثالثا بمسح الرجلين للتوصل بهما الى اكثر المطالب الدنيوية والمقاصد الطبيعية فامر بتطهير جميعها ليسوغ له الدخول بها في العبادات والاقبال عليها وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لان ادنى حالات الانسان واشدها تعلقا بالملكات الشهوية حالة الوقاع ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال رسول الله تحت كل شعرة جنابة فحيث كان جميع بدنه بعيدا عن المرتبة العلية منغمسا في اللذات الدنية كان غسله اجمع من اهم المطالب الشرعية ليتاهل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادات المنيفة وامر في التيمم بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعا لتلك الاعضاء الرئيسة وهضما لها بملاقاتها اثر التربة الخسيسة ثم لما كان القلب هو الرئيس الاعظم لهذه الجوارح والاعضاء والمستخدم لها في تلك الامور المبعدة عن جنابه تعالى وهو الموضع لنظر الله سبحانه كما قال ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم فله من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الاكمل فيكون الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك الفضائل اولى من تطهير الاعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل واذا لم يمكن تطهيره من الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاوصاف الجميلة لرسوخه على حب الدنيا الدنية فليقم في مقام الهضم والازدراء ويسعر لبساط الذل والانقياد كما امر عند تعذر غسل الاعضاء بالماء بهضمها وتذللها بالوضع على التراب عسى ان يرحم ربه تواضعه وانكساره فيهب نفحة من نفحات نوره اللامع فانه عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الاثر فرق من هذه الاشارات ونحوها

خباثة

ذكر بعض الاخبار المأثورة عن الائمة الاطهار صلوات الملك العلام عليهم في اسرار الطهارة وفوائدها

الى ما يوجب لك الاقبال ويتدارك سالف الاهمال ثم ما ذكر من السر في الطهارة يمكن
استنباطه مع الزيادة من كلام مولانا الصادق عم في مصباح الشريعة حيث قال اذا اردت
الطهارة والوضوء فتقدم الى الماء تقدمك الى رحمة الله فان الله تعالى قد جعل الماء مفتاح
قربه ومناجاته ودليلا الى بساط خدمته وكما ان رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك نجاسات
الظاهر يطهرها الماء لا غيره قال الله تعالى وَهُوَ الَّذِي اَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا وقال عز وجل وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ
حَيٍّ فكما احيى به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته جعل حيوة القلوب بالطاعات
وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء وفي كل شيء و
استعمله في الاعضاء التي امرك الله بتطهيرها وآت بادابها فرايضها وسننها فان تحت كل
واحدة منها فوايد كثيرة اذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب ثم
عاشر خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالاشياء يؤدي كل شيء حقه ولا يتغير عن معناه معتبرا لقول
رسول الله صلى الله عليه وآله مثل المؤمن الخالص كمثل الماء ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك
كصفوة الماء حين انزله من السماء وسماه طهورا وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند
طهارة جوارحك بالماء ومن الاسرار الواردة في الطهارة وتخصيص بعض الاعضاء
بالتطهير في الوضوء ما اشار اليه مولانا الرضا عليه السلام بقوله انما امر بالوضوء
ليكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته اياه مطيعا له فيما امره نقيا
من الادناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد
للقيام بين يدي الجبار وانما وجب على الوجه واليدين والراس والرجلين لان العبد
اذا قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يوجب فيه الوضوء وذلك
انه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل وبرأسه يستقبله في ركوعه و
سجوده وبرجليه يقوم ويقعد وامر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لان الجنابة من نفس
الانسان وهو شيء يخرج من جميع جسده والخلاء ليس هو من نفس الانسان انما هو غذاء
يدخل من باب ويخرج من باب **فصل** ينبغي لكل مؤمن ان يطهر بدنه من فضلاته
ودرنه واوساخه كشعر الراس بالحلق وشعر الانف والشارب وما طال من اللحية بالقص
وشعر الابط والعانة وساير الاعضاء بالنورة وكاظفار اليدين والرجلين بالقلم وما

فصل في تنظيف الفضلات واسرارها وفوائدها وما ينبغي ان يعتبر عند دخول الحمام

يجتمع من الوسخ والقمل في شعر الرأس واللحية بالغسل والتسريح بالمشط وما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذنين بالمسح ومثله وما يجتمع منه على الاسنان واطراف اللسان بالسواك والمضمضة وما يجتمع في الانف من الرطوبات الملتصقة بالاستنشاق وما يجتمع من الوسخ تحت الاظفار بالقلم والغسل وما يجتمع منه في رؤس الانامل وفي معاطف ظهورها عقيب كل الطعام بالغسل وما يجتمع من الدرن على جميع بدنه وترشيح العرق وغبار الطريق بالدخول في الحمام

تنبيه ينبغي لمن يدخل الحمام ان يتذكر بحرارته حر النار ويعد نفسه محبوسا في البيت ساعة ويقيسه الى جهنم ويستعيذ بالله منها قال الصادق عليه السلام فاذا دخلت البيت الثالث فقل نعوذ بالله من النار ونسئله الجنة وترددها الى وقت خروجك من البيت الحار وقال امير المؤمنين عليه السلام نعم البيت الحمام يذهب بالدرن ويذكر فيه النار وفيه اشارة الى انه ينبغي للعاقل ان لا يغفل عن ذكر الاخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر في كل شيء بحسب همته فالبزاز اذا دخل دارا معمورة مفروشة ينظر الى الفرش ويتامل في كيفية نسجها والنجار اذا دخلها ينظر الى ابوابها وشبابيكها ويتامل كيفية نجرها وتركيبها والبناء اذا دخلها ينظر الى الحيطان والسقف وكيفية بنائها واحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا ينظر الى شيء الا ويكون له موعظة وعبرة من الاخرة فان نظر الى ظلمة تذكر ظلمة اللحد فان نظر الى نار تذكر الى نار جهنم وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان نظر الى صورة قبيحة تذكر صورة النكيرين والزبانية وان راى المحاسبة بين قوم تذكر محاسبة الآخرة وان سمع كلمة ردا وقبول تذكر ما ينكشف له في آخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وان راى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة الى غير ذلك

تتميم السر في ازالة الفضلات المذكورة عن البدن ظاهر فانه يوجب تنوير القلب وانشراح الصدر وطرد الشيطان اذ هي كثافات مانعة عن النورانية والتجرد فيشمئز منها الملائكة ويرغب اليها الشياطين ومن تامل في الاحكام والآداب التي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وكان له بصيرة نافذة يعلم ان شيئا منها لا يخلو عن حكمة حتى ان ما صدر عنه في الآداب من الحركات والافعال والاقوال من ترتيب خاص وتخصيص بعدد معين او ابتداء من موضع خاص او بواحد معين من الاشياء المتماثلة يتضمن حكما او حكمة البتة مثال ذلك انه صلى الله عليه وآله كان يكتحل في عينه اليمنى

ثلثا وفي عينه اليسرى اثنين والسر في هذا الترتيب وهذا التخصيص ان اليمنى اشرف العينين فبدئ بها وتفاوت بين العينين ليكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج لان الله وتر يحب الوتر فلا ينبغي ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الرب وانما لم يقتصر على الثلث وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان الواحدة لا يستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خص اليمين بالزيادة لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمين افضل فهو بالزيادة احق وانما اقتصر على الاثنين لليسرى مع كونه زوجا اذ الزوجية لازمة ضرورية في احدهما اذ لو جعل لكل واحدة وترا لكان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في المجموع وهو في حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته في الاحاد الفعل مثال آخر روي الجمهور في تقليم الاظفار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبدأ عند تقليم الاظفار الشريفة بمسبحة اليمنى ويختم بابهام اليمنى بان يبتدئ من مسبحتها الى خنصرها ثم يبتدئ من خنصر اليسرى الى ابهام اليمنى وفي طريقنا روايتان احديهما ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى واخريهما بعكس ذلك وهي اشهر فالسر على رواية الجمهور كما قيل ان اليد اليمنى اشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم ينبغي ان يبتدأ بما على يمينها لكون اليمنى اشرف ولذا استحب في الشرع وضع الطهور وغيره على اليمنى ولا ريب في انه اذا وضعت الكف على الارض فيمين مسبحة اليمنى هي الوسطى ووضع ظهر اليد على الارض وان اقتضى كون الابهام هو اليمين الآن الاعتبار الاول اولى فان اليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض لان جهة حركة اليد اليمنى الى جهة اليسار واليسرى الى جهة اليمين واستتمام حركة كل منهما في جهته يجعل الكف على الارض وظهره عاليا واذا كان الكف مائلا الى جهة الارض فاعتبار ما يقتضيه الطبع اولى فيكون يمين المسبحة هي الوسطى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع البدأة بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى يصير الاصابع كاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع هذا واما السر على الرواية الاولى من طريقنا فكان اعتبار الاصابع العشرة في حكم واحد صف ثابت على الارض والابتداء باليمين فاكتفى بما يرى بالنظر الجليل مع ترك اليد بطبعها واما الرواية الثانية فلعل السر فيها تحصيل التيامن في كل اصبع اصبع بحيال الاولى مع الترتيب فيها ووضع اليدين على ما يقتضيه الطبع هذا

وفي اليمنى بخنصرها مع ح والتسوية اشرفها فتدبر

في بيان ان الصلوة مركبة من اجزاء كثيرة اعتبرها الشارع متفاوتة في الاهتمام

واما اصابع الرجل فلم نعثر على خبر يدل على كيفية الابتداء والترتيب فيها فينبغي اعتبار
الطرفين المرويين عندنا فيها ولعل الاولى [اعتماد] لاظهرية سرها اولى وينبغي ان يكون تقليم اظفارها
بعد تقليم اظفار اليدين وقفا في وقت واحد اذ البدا شرف من الرجل وقس على ما ذكر
سائر ما ورد من الاداب والتخصيصات فانه لا يخ شيء منها على سر حكمي وان كانت عقولنا قاصرة
عن ادراك اكثرها

المقصد الثاني

في الصلوة اعلم ان الصلوة معجون
سماوي وتركيب الهي تركب من اجزاء كثيرة متفاوتة [مختلفة] في الفضل والاهتمام به فبعضها بمنزلة
الروح وبعضها بمثابة الاعضاء الرئيسية وبعضها بمنزلة سائر الاعضاء وتوضيح ذلك ان
الانسان [مثلا] لما كان حقيقة مركبة من اجزاء معينة فهو لا يكون انسانا موجودا [بمعنى] ما ملا الا
باطن هو الروح واعضاء محسوسة بعضها في جوفه وبعضها في ظاهره وهذه الاعضاء
متفاوتة المراتب اذ بعضها مما ينعدم الانسان بعدمه وتزول الحيوة بزواله كالقلب و
الدماغ والكبد والمعدة وامثالها وبعضها وان لم ينعدم بعدمه اصل الحيوة الا
انه يرتفع به تمامية الانسان ويصير ناقصا كاليد والرجل والعين وامثالها وبعضها
يفوت بفواته الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وامثالها وبعضها يفوت بفواته
كمال الحسن لا اصله كاستقواس الحاجبين وتناسب الخلقة وسواد شعر اللحية وامتزاج
البياض بالحمرة وامثال ذلك وكذلك الصلوة حقيقة مركبة وصورة صورها الشرع من
امور متفاوتة وتعبدنا باكتسابها فروحها النية والقربة وحضور القلب والاخلاص و
اعمالها الاركانية من تكبيرة الاحرام والركوع والسجود والقيام بمنزلة الاعضاء الرئيسة
فيفوت بفواتها الصلوة على الاطلاق ولا يمكن تحققها وصحتها بدونها وسائر الاعمال
الواجبة من الفاتحة والسورة واذكار الركوع والسجدتين والطمأنينة فيهما وفي رفع
الراس منهما والتشهد والتسليم وغير ذلك من الاعمال الواجبة التي تبطل الصلوة بتركها
عمدا لا سهوا بمنزلة اليدين والرجلين والات التناسل وغير ذلك مما قد يفوت الحيوة
بزوالها وقد لا يفوت به والاعمال المسنونة والهيئات المندوبة والاداب المستحبة من
القنوت ودعاء الافتتاح وغير تكبيرة الاحرام من التكبيرات والتعوذ والزائد عن
قدر الواجب في التشهد والتسليم من الاذكار وغير ذلك مما لا تبطل الصلوة بتركها عمدا
او سهوا ولكن تخرج بها عن الحسن والكمال وزيادة الاجر والثواب فهي بمنزلة الحاجبين و

استقوا سمها والاهداب وتناسب الخلقة واللحية وغير ذلك مما يفوت بفوات بعضها الحسن والجمال وبفوات بعض كمالها ويصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه واذا عرفت ذلك فاعلم يا حبيبي ان صلوتك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القرب والجاه من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد اليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها فمن اداها على النحو المامور به باعمالها الواجبة والمندوبة وشرائطها الظاهرة والباطنة مع الاخلاص وحضور القلب كان كمن اهدى عبدا صحيحا سويا شابا جميلا عاقلا كاملا الى ملك من الملوك ومن ترك عمدا شيئا اقتصر على اعمالها الظاهرة وغفل عن الحضور والتوجه والقربة والاخلاص كمن كان اهدى عبدا ميتا بلا روح الى ملك من الملوك ومن ترك عمدا شيئا من واجباته كان كمن اهدى عبدا مقتولا اليه ومن اقتصر على اقل ما يجزي كمن كان اهدى اليه عبدا حيا اعمى او اصم او ابكم او مقطوع الاطراف او هرما او قبيح المنظر او مجروح الاعضاء او امثال ذلك فتنبه ايها الغافل وتامل في انك اذا اهديت تحفة الى ملك من ملوك الدنيا بل الى من دونه بمراتب كثيرة من الامراء والحكام كيف تجتهد وتسعى في تجويدها وتحسينها ليقبلها فما بالك ايها المغرور تغفل وتتساهل من تحسين هديتك وتحفتك الى ملك الملوك الذي منه بدؤك واليه عودك وقد ورد ان كل صلوة لا يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها يوم العرض الاكبر تقول ضيعك الله كما ضيعتني

فصل

لا بحث لنا عما يتعلق بظاهرها من الاجزاء والشرائط والاحكام اذ بيانها على عهدة الفقه فلنشر الى المعاني الباطنة التي بها تتم حيوتها والى الاسرار والآداب الخفية الباطنة المتعلقة باجزائها وشرائطها الظاهرة لتكون ملحوظة للعبد عند فعلها فنقول المعاني الباطنة التي هي روح الصلوة وحقيقتها سبعة الاول الاخلاص والقربة وخلوها عن شوائب الرياء وقد تقدم تفصيل القول في ذلك الثاني حضور القلب وهو ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به حتى يكون العلم مقرونا بما يفعله وما يقوله من غير جريان الفكر في غيرهما فمهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه من غير غفلة عنه فقد حصل حضور القلب ثم حضور القلب قد يعبر عنه بالاقبال على الصلوة والتوجه وقد يعبر عنه بالخشوع بالقلب فان الخشوع في الصلوة خشوعان خشوع بالقلب

اشارة لية خفية باطنية في هائطها ظاهرة
في ارادة الاجمال الى المعاني واذا بامعنيرة لحزاوسر الظاهرة

هو ان يتفرغ لجميع الهمّها والاعراض عما سواها بحيث لا يكون في قلبه غير المعبود وخشوع بالجوارح
وهو ان يغض بصره ولا يلتفت ولا يعبث ولا يتثائب ولا يتمطى ولا يفرقع اصابعه وبالجملة لا يحرك لغير
الصلوة ولا يفعل شيئا من المكروهات وربما عبر عن ذلك بالخضوع الثالث التفهم لمعنى
الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معناه
فالمراد بالتفهم هو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ وهذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ
ليس يشترك الناس في تفهم معاني القرآن والتسبيحات فكم من معان لطيفة يفهمها بعض المصلين
في اثناء الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ولا يفهمها غيره ومن هذا الوجه كانت
الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تمنع تلك الامور عن الفحشاء والمنكر
الرابع التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل ربما يخاطب غيره وهو حاضر
القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له الخامس الهيبة وهي زائدة على التعظيم لانها عبارة
عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا ثم كل خوف لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف
مصدر الاجلال السادس الرجاء ولا ريب في كونه زائدا عما ذكر فكم من رجل يعظم ملكا من
الملوك ويهابه ويخاف سطوته ولا يرجو بره واحسانه والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته
ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقابه السابع الحياء ومستنده استشعار تقصير وتوهم
ذنب وهو زائد على التعظيم والخوف والرجاء لتصورها من غير حياء حيث لا يكون
توهم تقصير وارتكاب ذنب **فصل** اعلم ان كون الامور المذكورة روح الصلوة
وحقيقتها والمقصود الاصلي منها امر ظاهر اذ الغرض الاصلي من العبادات والطاعات
هي تصفية النفس وتصقيلها فكل عمل يكون اشد تأثيرا فيهما يكون افضل ولا ريب في
ان المقتضي لصفاء النفس وتجردها وتصقيلها عن الكدورات من الصلوة ليس الا
الامور المذكورة وليس لنفس الحركات الظاهرة كثير مدخلية فيها وكيف لا يكون حضور
القلب والخشوع روح الصلوة عليه ولا يتوقف كمال الصلوة مع ان المصلي في صلوته وداعيه مناج ربه ولا شك
ان الكلام مع الغفلة ليس بمناجاة وايضا الكلام اعراب عما في الضمير الا بحضور القلب فاي
سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا ولا شك في ان المقصود من
القراءة والاذكار الثناء والحمد والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى فاذا كان قلب العبد
محجوبا عنه بحجاب الغفلة ولا يراه ولا يشاهده بل كان غافلا عن المخاطب ويحرك لسانه بحكم

العادة فما ابعد هذا من المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها هذا حكم القرائة والذكر واما الركوع والسجود فالمقصود منهما التعظيم قطعا والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرّد حركة الظهر والرّاس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به كما في افعال الحج واعطاء المال في الزكوة وامساك النفس عن الشهوات في الصوم فكيف يجعل مجرّد هذه الحركة مع خفتها وسهولتها عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام وتقدم على ساير العبادات ويجب القتل بسببه على الخصوص ولكون الحضور والخشوع والخشية عمدة ما يقصد به من الصلوة تظاهرت الآيات والاخبار على الترغيب عليها وفضيلتها ومدح اهلها وعلى ذم اهل الغفلة والتفكر في امور الدنيا والوساوس الباطلة عند الاشتغال بالصلوة وقد تظاهرت الاخبار بان الانبياء والاوصياء واكابر الاولياء كانوا عند اشتغالهم في الصلوة في غاية الاقبال والخشوع والخوف قال الله سبحانه وَالَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وقال أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي والغفلة تضاد الذكر فمن كان غافلا في صلوته لا يكون مقيما للصلوة لذكره وقال وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ وقال فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ذمّهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين لا لانهم سهوا عنها وتركوها وقال وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ قيل المراد سكارى من كثرة الهمّ وقيل من حبّ الدنيا ولو حمل على ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بيّن فيه العلّة وقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصلّ لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من صلّى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدّم من ذنبه وقال عليه السلام ان الصلوة تمكّن وتواضع وتضرّع وتبأّس وتندّم وتقنع تمدّ يديك وتقول اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وقال عليه السلام اذا صلّيت صلوة فريضة فصلّ لوقتها صلوة مودّع يخاف ان لا يعود فيها وقال عليه السلام لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وقال صلى الله عليه وآله انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغي عظمة وهيبة فما قيمة ذكرك وفي اخبار داود يا داود انما يسكن بيتي واقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي وقطع

في الاخبار الواردة في الترغيب والحث في حضور القلب وذم خلوها منه

نهاره بذكري وكفّ نفسه عن الشهوات لاجلي يطعم الجائع ويأوي الغريب ويرحم المصاب
فذلك يضيء نوره في السماء كالشمس اذا دعاني لبّيته واذا سئلني اعطيته اجعل
له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان
لا ييبس انهارها ولا يتغير ثمارها وفي اخبار موسى يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت
تنفض اعضائك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء
قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق واوحى
الى داود قل لعصاة امتك لا تذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته واذا ذكروني ذكرتهم
باللعنة وفي بعض الاحاديث القدسية ليس كل مصلّ اتقبل صلوته انما اقبل صلوة من
تواضع لعظمتي ولم يتكبر عليّ واطعم الفقير الجائع لاجلي وقال امير المؤمنين ع طوبى
لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشتغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه
ولم يحزن صدره بما اعطى غيره وقال ع لا يجتمع الرغبة والرهبة في قلب الا وجبت له الجنة
فاذا صليت فاقبل بوجهك على الله عز وجل فانه ليس من عبد يقبل بقلبه على الله في صلوته
ودعائه الا اقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وايده مع مودتهم اياه بالجنة وقال الباقر ع
ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع له الا ما اقبل عليه
بقلبه وانما امروا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة وروي ان ابرهيم الخليل كان
يسمع تأوهه على حد ميل وكان يسمع له في صلوته ازيز كازيز المرجل وكذلك كان يسمع من
صدر سيدنا رسول الله ص مثل ذلك وقال بعض ازواجه كان النبي ص يحدثنا ونحدثه
فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وكان امير المؤمنين ع اذا اخذ في الوضوء
يتغير وجهه من خيفة الله وكان ع اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما
لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها وروي انه وقع نصل في رجله ع فلم يمكن احدا
من اخراجه فقالت فاطمة عليها السلام اخرجوه في حال صلوته فانه لا يحس بما يجري عليه
فاخرج وهو في صلوته فلم يحس به اصلا وكانت فاطمة ع تنهج في الصلوة من خيفة
الله وكان الحسن بن علي ع اذا فرغ من وضوئه تغير لونه فقيل له في ذلك فقال حق على
من اراد ان يدخل على ذي العرش ان يتغير لونه وكان الامام علي بن الحسين ع اذا توضأ

اصفر لونه فيقال له ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان
اقوم وقال ابو حمزة الثمالي رايته يصلي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوه حتى فرغ من صلوته
فسألته عن ذلك فقال ويحك اتدري بين يدي من كنت ان العبد لا تقبل منه صلوة الا ما
اقبل فيها فقلت جعلت فداك هلكنا قال كلا ان الله يتم ذلك بالنوافل وروي انه ع
اذا قام الى الصلوة تغير لونه واذا سجد لم يرفع راسه حتى يرفض عرقا وروي انه ع كان اذا قام
الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يتحرك منه الا ما حركت الريح منه وسئل مولينا الصادق عن
حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها
من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وكان لسان الامام ع في تلك الحال كشجرة طور حين
قالت اني انا الله وسئل بعض الاكابر عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اسبغت الوضوء
واتيت الموضع الذي اريد الصلوة فيه فاقعد فيه حتى يجتمع جوارحي ثم اقوم الى الصلوة
فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك
الموت ورائي واظنها اخر صلوتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحزن واقرء
القران بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى واتبعها
الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا ثم على ما عرفت من كيفية صلوة الانبياء والاولياء
مع مشاهدة كيفية صلوتك وصلوة الناس تعلم ان الناس ينقسمون في صلوتهم الى غافل تمام
صلوته ولا يحضر قلبه في لحظة والى من يغفل في بعض صلوته ويحضر قلبه في بعض منها وهذا
يختلف حاله بحسب قلة كل من الحضور والغفلة وكثرتهما وزيادة احدهما على الاخر فله مراتب
غير متناهية والى من يتم صلوته ولا يغيب قلبه لحظة بل يكون حاضر القلب في جميع صلوته
وربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه كما لم يحس مولانا امير المؤمنين ع
باخراج النصل من رجله الشريفة ولم يحس بعضهم بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس
عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره وكان وجيب القلب
الخليل يسمع على ميلين وكان جماعة يصفر وجوههم وترتعد فرائصهم عند الصلوة وكل
ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهدة في هم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم
وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الرجل على ملك او وزير ويحدثه بمهم ويخرج ولو
سئل عمن كان على حواليه وعن ثوب الملك لكان عن قادر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن

وعن

وعن الحاضر بن حوله ولكلّ درجات مما عملوا فيحط كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه
وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذا قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم
القيمة على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدوء ومن وجود النعم واللذة والبهجة
بها فالملحوظ حال القلب لا حال الشخص ولذا قيل من صفات القلوب تصاغ الصور في دار
الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم **تنبيه** ان قيل المستفاد من الظواهر
المذكورة ان صلوة الغافل ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها والفقهاء لم
يشترطوا الا حضور القلب عند النية والتكبير فكيف التوفيق قلنا الفرق بين القبول والاجزاء
فان المقبول من العبادة ما يقرب العبد الى الله ويترتب عليه الثواب في الاخرة والمجزي منها
ما يسقط التكليف عن العبد وان لم يترتب عليه ثواب ولم يقربه الى الله والناس مختلفون في
تحمل التكليف فان التكليف انما هو بقدر الوسع والطاقة فلا يمكن ان يكلف الجميع باحضار
القلب في جميع الصلوة اذ لا يقدر على ذلك الا الاقلون واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب
للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط ما يطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات
به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال
الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر
القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر
ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره والحاصل ان الاقبال والخضوع هو روح الصلوة
وان اقل ما يبقى به الروح الخشوع عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط
الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من الميت فصلوة الغافل في جميعها
الا عند التكبير حي لا حراك به **فصل** اعلم ان للمعاني الباطنة المذكورة اسبابا
لا يتحقق بدونها اما حضور القلب فسببه الاهتمام فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا
فيما اهمك ومهما اهمك امر حضر فيه قلبك شئت او لم تشأ فهو مجبول عليه مسخر فيه والقلب اذا
لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما اهمه من امور الدنيا فلا حيلة ولا
علاج لاحضار القلب في الصلوة الا بصرف الهمة اليها والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتيقن
ان الاخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها واذا اضيف الى هذا العلم بحقارة
الدنيا ومهانتها حصل من مجموع ذلك حضور القلب في الصلوة ولكون الباعث والسبب

لاحضار

في تفصيل حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء

لا احضار القلب في امر انما هو الاهتمام والاعتناء به فانك ترى قلبك يحضر اذا حضرت بين يدي ملك
من ملوك الدنيا بل بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على نفعك وضرك فاذا كان لا يحضر قلبك
عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن
ان له سببا سوى ضعف الايمان واليقين فينبغي السعي في تقوية اليقين والايمان و
اما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى و
علاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة بقطع
موادها اعني النزوع عن الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد
لا ينصرف عنها الخواطر فان من احب شيئا او ابغض شيئا او خاف من شيء اكثر ذكره فذكر المحبوب
والمبغوض والمخوف يهجم على القلب بالضرورة ولذا ترى ان من احب غير الله او كان قلبه
مشغولا بعداوة احد او بالخوف عنه لا يصفو له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهو
حالة للقلب يتولد من معرفتين احدهما معرفة جلال الله وعظمته فان من لا يعتقد
عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه وهذه المعرفة من اصول الايمان الثانية معرفة حقارة النفس
وخستها وذلتها وكونها عبدا مسخرا مربوبا لا يقدر شيئا من النفع والضر ويتولد من المعرفتين
الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج حقارة النفس بمعرفة
جلال الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الامن على نفسه يجوز ان
يعرف من غيره صفات العظمة والجلال ونعوت القدرة والكمال ولا يكون خاشعا معظما
له لان معرفة حاجة النفس وحقارتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس
تتولد من المعرفة بقدرة الله تع وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالات به وانه
لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة مع تذكر ما جرى على الانبياء والاولياء
من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع وكلما زاد العلم بالله وبصفاته وافعاله
زادت الخشية والهيبة واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله تعالى وكرمه وعميم انعامه و
لطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة
بلطفه انبعث منهما الرجاء واما الحياء فسببه استشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز
عن القيام بتعظيم حق الله ويقوى ذلك بمعرفة عيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث
باطنها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بجميع ما يقتضيه جلال الله

وعظمته

وعظمته والعلم بانه مطلع على السرائر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا
حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى بالحياء **فصل** اعلم ان العلاج في
تحصيل المعاني الباطنة المذكورة اعني الحضور والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء
هو تحصيل اسباب هذه المعاني وقد عرفنا اسبابها وطريق العلاج في تحصيل هذه الاسباب
انما يتم بالامرين الاول معرفة الله ومعرفة جلاله وعظمته واستناد كل الخير اليه ومعرفة كونه
عالما بذرات العالم وسرائر العباد ويلزم ان يكون هذه المعرفة يقينية ليترتب عليها الاثر
اذ ما لم يحصل اليقين بامر لا يحصل التشمر في طلبه والهرب عنه وهذه المعرفة هي المعبر عنها
بالايمان ولا ريب في كونه موجبا لحصول المعاني المذكورة واسبابها اذ المؤمن يكون البتة
حاضر القلب مع ربه عند مناجاته ومتفهما لما يسئله عنه معظما له وخائفا منه و
راجيا منه ومستحييا من تقصيره الثاني فراغ القلب وخلوه من مشاغل الدنيا فان انفكاك
المؤمن العارف بالله المتيقن بجلاله وعظمته وباطلاعه عليه من المعاني المذكورة في صلوته لا
سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة و
لا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الردية الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع كل تلك
الخواطر ولا يندفع الشيء الا بدفع سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او
امرا في ذاته باطنا والاول ما يظهر للبصر او يقرع على السمع فان ذلك قد يختطف الهم حتى
يتبعه ويتصرف فيه ثم ينجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل فيكون الابصار والاستماع سببا
للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه
ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق فيه فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب
بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم ولا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند
صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويتحرز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة
والعمارات العالية المرتفعة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت مظلم صغير سعته بقدر السجود
ليكون اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود
كما ورد الامر به ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم واما الثاني
اعني الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تفرقت همومه وتشعبت خواطره في اودية الدنيا
لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع

في علاج رد الخواطر القلبية المنافية لحضور القلب اذا كانت بامور كامنة

في القلب من قبل كاف للشغل فهذا علاجه ان يرد نفسه قهرا الى فهم ما يقرءه ويشغلها به
عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر
المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه من امر الدنيا
فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار فان لم يسكن
افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق
وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا ريب في انها تعود الى مهماته
وهي انما صارت مهمة لاجل شهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع
تلك العلايق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه
من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فان
ما ذكر من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر انما ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم
الذي لا يشغل الا حواشي القلب واما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال
تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وينقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله مثال رجل تحت
شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده
ويعود الى فكره فيعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا اسر الصوافي ولا ينقطع
فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها
انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار و
الشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب وكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة فقلما
يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس
كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود
منها وليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجات في الصلوة فان
من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه في الدنيا انصرف همه
لا محالة اليها ولكن مع هذا لا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب
الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعه الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا
حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيهما بامور الدنيا فعجزوا
عنه فاذن لا مطمع فيه لامثالنا ويا ليت سلم لنا من الصلوة ثلثها او ربعها من الوسواس

ولاجله سمي ذبابا

فان كانت قرة عينه

لتكون ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خل فبقدر ما يدخل فيه الماء يخرج منه الخل لا محالة ولا يجتمعان ثم جميع ما ذكرنا هو في الخواطر المتعلقة بالامور المهمة من الدنيا حتى اذا خرجت هذه الامور من القلب خرجت منه هذه الخواطر ايضا وقد يكون الخواطر من مجرد الوساوس الباطلة والخيالات الفاسدة من دون تعلقها بشغل وعمل دنيوي يكون له ومن دون اختيار للعبد في خطورها وعدم خطورها والامر فيها اصعب فان كان لقلع حب الدنيا وشهواتها عن القلب مدخلية عظيمة في زوالها ايضا اذ مادة هذه الوساوس ايضا اما حب المال وحب الجاه وحب غيرهما من الامور والشهوات الدنيوية وقد تقدم تفصيل القول فيها وفي طريق علاجها في بحث الوساوس **فصل** في كل واحد من شروط الصلوة وافعالها واركانها اسرار وتنبيهات ينبغي للمؤمن المريد للاخرة ان لا يغفل عنها فها هي نذكرها اما الاذان فاذا سمعت نداء المؤذن فاخطر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بباطنك وظاهرك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال سيد الانبياء ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واعتبر بفصول الاذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك ان الله جل جلاله هو الاول والاخر والظاهر والباطن ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير واستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل واحضر النبي صلى الله عليه وآله وتادب بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصل عليه وآله وحرك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح وما هو خير الاعمال وافضلها وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختم بذلك كما افتتحت به واجعل مبدءك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك على حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** واذا دخل الوقت استحضر انه ميقات جعله الله لك لتقوم فيه بخدمته وتتأهل للمثول في حضرته والفوز بطاعته وليظهر على قلبك السرور وعلى وجهك البهجة عند دخوله لكونه سببا لقربك

ووسيلة الى فوزك فاستعد له بالطهارة والنظافة ولبس الثياب الصالحة للمناجاة كما تتاهب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا وتلقاه بالسكينة والوقار والخوف والرجا واستحضر عظمة الله وجلاله وعدم تناهي قدرته وكماله ونقصان قدرك ومرتبتك وعدم قابليتك للقيام بخدمته وقصورك عن اداء وظائف طاعته

فصل اذا اتيت بالطهارة في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك وذاتك وهو قلبك فطهره بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر ربك ثم اذا سترت مقابح بدنك عن ابصار الخلق باللباس فاخطر ببالك فضايح سرك الذي لا يطلع عليها الا ربك فاخطر تلك الفضايح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر وانما يكفرها الخوف والندم والحيا فتستفيد باظهارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والندم والحيا من مكامنها فيذل به نفسك وتسكن تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الابق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الخوف والحياء قال الصادق ع ازين اللباس للمؤمن لباس التقوى وانعمه الايمان قال الله تعالى وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ واما اللباس الظاهر فنعمة من الله تستر بها عورات بني ادم وهي كرامة اكرم الله بها عباده من ذرية ادم ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين آلة لاداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك الى العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها من آفات الدين ومورثة للقسوة في القلب فاذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما البست ظاهرك بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق اسباب اللباس ليستر بها العورات الظاهرة وفتح ابواب التوبة والانابة ليستر بها عورات الباطن من الذنوب واخلاق السوء ولا تفضح احدا حيث ستر الله عليك اعظم منه واشتغل بعيب نفسك فان نسيان الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى في العاجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله و معرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل عن الآفات خائض في بحر رحمة الله يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه

راجعا

في الآداب المعتبرة عند أرباب القلوب وأصحاب السر في المصلى

فصل اذا اتيت مصلاك فاستحضر منه راجعا الى حوله وقوته لا يفلح اذا ابدا انك كائن بين يدي ملك الملوك تريد مناجاته والتضرع اليه والتماس رضاه ونظره اليك بعين الرحمة فاختر مكانا يصلح كالمساجد الشريفة والمشاهد المطهرة مع الامكان فانه تعالى جعل تلك المواضع محلا للاجابة وموضع نزول فيوضاته ورحمته على مثال الحضرة الملوك الذين يجعلونها وسيلة لنيل المقاصد والمطالب فادخلها بالسكينة والوقار ومراقبا للخشوع والانكسار قال الصادق عم اذا بلغت باب المسجد فاعلم انك قصدت ملكا عظيما لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته الا الصديقون وهب القدوم الى بساط خدمته هيبة الملك فانك على خطر عظيم ان غفلت واعلم انه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة واجزل لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد طاعتك وان كثرت وهو فعال لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة والمؤانسة به واعرض اسرارك عليه ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق اجمعين وعلانيتهم وكن كافقر عباده بين يديه واخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا الاطهر والاخلص فانظر من اي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكاس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته فقد صلحت لخدمته فادخل فلك الاذن والامان والا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الامل وقضى الاجل واذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء اليه نظر اليك بعين الرأفة والرحمة والعطف ووفقك لما يحب ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين اليه المقيمين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه

فصل واما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله وهذا اشارة الى انه ينبغي ان يصرف وجه القلب عن سائر الاشياء الى الله فان الاعمال الظاهرة تحريكات للبواطن على ما يناسبها فضبط الجوارح وتسكينها بالاثبات في جهة واحدة لاجل ان لا يبقى على القلب لانها اذا توجهت الى جهات متعددة يتبعها القلب لانها اذا توجهت في التوجه الى اشياء متعددة فامر الله بصرفها الى شطر بيته ليتذكر القلب صاحبه بتوجه اليه ويثبت على ذلك كما يثبت

تفرقه

في الاشارة الى الاسرار والآداب الكامنة الباطنة في الاستقبال نحو القبلة في الصلوة

الاعضاء على جهة واحدة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى مقبل على المصلي ما لم يلتفت و
هذا الالتفات يشمل التفات القلب ايضا فكما يجب لالتفات حراسة الرأس والعين عن
الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الله وغير الصلوة فان التفت
الى غير الله وغير الصلوة فذكره باطلاع الله عليك وقبح غفلة المناجي عمن يناجيه وعما يقول
له حين المناجاة سيما اذا كان من يناجيه مالك الملوك والزم قلبك الخشوع فان الخلاص
عن الالتفات ظاهرا وباطنا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر ولذا قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشعت قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية
بحكم الراعي وفي الدعا اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وبالجملة ينبغي لكل
مؤمن صرف وجهه الى بيت الله للصلوة ان يصرف وجه قلبه الى صاحب البيت وكما لا يتوجه
الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فكذلك لا ينصرف وجه القلب الى الله الا بالتفرغ عما
سواه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه وقلبه الى الله
انصرف كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وآله اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله
وجهه وجه حمار قيل هذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة
فان الملتفت يمينا وشمالا غافل عن الله وعن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك
ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقله للامور العلوية
وعدم همته للمعارف وقال الصادق عليه السلام اذا استقبلت القبلة فانس من الدنيا وما
فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى واعاين بسرك
عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم
الحق وقف على قدم الخوف والرجاء **فصل** واما القيام فهو مؤول بالشخوص و
القلب بين يدي الله سبحانه فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطأطئا متنكسا
تنبيها للقلب على لزومه التواضع والتذلل والانكسار والتبري عن التكبر والترأس وينبغي
ان تتذكر هيهنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند التعرض للسؤال وتتذكر في
الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك فليكن قيامك بين يديه على ما يليق
بعظمته وجلاله وان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله فلا تجعل مالك الملك والملكوت
انزل عن بعض ملوك عصرك فقم بين يديه قيامك بين يدي ملك زمانك بل قدر في

دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب ان
يعرفك بالصلاح فانه يهدأ عند ذلك اطرافك ويخشع جوارحك ويسكن جميع اجزائك
خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع وبالجملة الخضوع والخشوع والاستحياء
والانفعال يقتضيها الطبع بين يدى من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يقتضاه بين يدى ملك
الملوك عند من يعرفه فمن يكون بين يدى غير الله خاشعا ولا يكون بين يدى الله كان
ذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره وعدم تدبره في قوله تعالى
الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ فتبا لمن يدعى معرفة الله والعلم
بعظمته وجلاله وهيبته والخشية منه ومع ذلك يستحيى من احد عبيده المساكين الذى لا يقدر على
نفع ولا ضر ولا يستحيى من الله ويخشى الناس ولا يخشاه **فصل** واما التوجه بالتكبيرات
فينبغى ان تستحضر عندك عظمة الله وجلاله وصغر نفسك وذلتها في جنب عظمته وقصورك عن
القيام بوظائف خدمته واذا قلت اللهم انت الملك الحق فتذكر عظيم ملكه وعموم
قدرته واستيلائه على جميع العوالم ثم ارجع على نفسك بالذل والانكسار واذا قلت لبيك
وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك مثل نفسك بين يديه وتيقن انه اقرب
منك من نفسك يسمع نداءك ويجيب دعاءك وان خير الدنيا والآخرة بيده لا بيد غيره
وانه خير محض منزه عن الشر واذا قلت عبدك وابن عبديك منك وبك ولك واليك
اعترف له بالعبودية وبانه ربك وخالقك ومالكك وموجدك ومخترعك وانت اثره و
فعله ومنه وجودك وبه قوامك وله ملكك واليه معادك فانت منه فلا يتركك و
يترحم عليك فالق نفسك الضعيفة العاجزة بين يديه وكل امورك في الدنيا والآخرة اليه
ولا تعتمد في مقاصدك الا عليه فاحضر في ذهنك في هذه الفقرات وغيرها من الكلمات
التى ينطق بها لسانك امثال هذه الحقايق وترق منها الى ما يفتح عليك من الاسرار و
الدقايق واحفظ نفسك عن الوقوع في اودية الوساوس والهوى وتلق الفيض من العالم
الاعلى **فصل** واما النية فحقيقتها القصد الى الفعل امتثالا لامر الله وطلبا للتقرب
ورجاء لثوابه وخوفا من عقابه فينبغى ان تجتهد في خلوصها بان لا يشوبها غرض دنيوى فتفسد
وحقيقة الاخلاص وما يتعلق به قد تقدم مفصلا في محله وينبغى ان نتذكر ههنا عظيم لطفه

سر في الاذكار القلبية عند تكبيرة الاحرام وعند دعاء الاستفتاح في الصلوة

ومنته عليك حيث اذن لك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة جناياتك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة ويرتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف والخشية

فصل واذا كبرت تكبيرة الاحرام فتذكرت معناها انه تعالى اكبر من ان يوصف او اكبر من كل شيء او اكبر من ان يدرك بالحواس او يقاس بالناس فتنقل منه الى غاية عظمته وجلاله واسناد ما سواه اليه بالايجاد والاخراج من كتم العدم وينبغي ان تكون على يقين بذلك حتى لا يكذب لسانك قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى عندك فالله يشهد انك كاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم ان النبي صلى الله عليه وآله رسول الله وان كان هواك اغلب عليك من امر الله تعالى وانت اطوع له منك لله ولامره فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرمه تعالى وعفوه قال الصادق عليه السلام اذا كبرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعني وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي فاعتبر انت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرور بمناجاته وملتذ بمخاطباته فاعلم انه تعالى قد صدقك في تكبيرك وان سلبت لذة المناجاة وحرمت حلاوة العبادة فاعلم انه تعالى كذبك في تكبيرك وطردك عن بابه وابعدك عن جنابه فابك على نفسك بكاء الثكلى وبادر الى العلاج قبل ان تدركك الحسرة العظمى

فصل واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ومعلوم ان المراد بالوجه هنا هو وجه القلب دون الوجه الظاهر لان الله سبحانه منزه عن الامكنة والجهات حتى توجه اليه الوجه الظاهر فانت تدعي بهذا الكلام ان قلبك متوجه الى فاطر السموات والارض فاياك ان تكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق اذ لو كان قلبك متوجها الى امانيه وهمه في البيت والسوق او واقعا في اودية الوساوس وكان غافلا لم يكن مقبلا على الله متوجها اليه وكنت كاذبا في اول تخاطبك مع ربك فاجتهد ان ينصرف قلبك عما سواه ويقبل عليه في هذا الوقت وان عجزت عنه

على الدوام لئلا تكون كاذبا في اول كلامك واذا قلت حنيفا مسلما فخطر ببالك ان المسلم هو الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن موصوفا بهذا الوصف كنت كاذبا فجهد ان تعزم عليه في الاستقبال وان تندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي وكونه داخلا في الشرك واطلاق الشرك على القليل والكثير فلو قصدت بجزء من عبادتك غير الله من مدح الناس وطلب المنزلة في قلوبهم كنت مشركا كاذبا في هذا الكلام فانف هذا الشرك عن نفسك واستشعر الخجلة في قلبك بان وصفت نفسك بوصف لست متصفا به في الواقع واذا قلت محياي ومماتي لله رب العالمين فاعلم ان هذا حال عبد مفقود بنفسه موجود بسيده فان عن ذاته باق بربه بحيث لا يرى لذاته من حيث هو قدرة وقوة بل يعلم حيوته وبقاءه من الله تعالى ولا يكون حركاته وسكناته الا لله فالقائل بهذا الكلام اذا راى من نفسه من حيث هو قدرة واثرا وصدر عنه فعل من الرضا والغضب او القيام او القعود والرغبة في الحيوة او الرهبة من الموت لامور الدنيا كان كاذبا

فصل

فاذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ينبغي ان تعلم ان الشيطان عدوك مترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن وطرد عن مقام القرب بترك السجدة وينبغي ان لا يكون استعاذتك بالله منه بمجرد القول لتكون مثل من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بهذا الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا يفيده ولا ينفعه ما لم يتحرك ويدخل الحصن فكذلك مجرد الاستعاذة لا ينفعه ما لم يترك ما يحب الشيطان وما لم يأت بما يحبه الله فمن اتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن لا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني امن والدخول في حصن لا اله الا الله ليس ايمانه بمجرد التكلم به بل الاذعان القلبي واليقين القطعي بان كل معبود سواه باطل وكل شيء منه وله وبه واليه ولا مؤثر في الوجود الا هو فالمتحصن بالتوحيد من لا معبود له سوى الله واما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله ومن مكايد اللعين ان يشغلك في الصلوة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنع من الحضور وفهم ما تقرء فاعلم ان كل ما يشغلك عن الاقبال الى الله

في التنبيه على الاعتبارات الدقيقة اللازمة للمصلي عند قراءة الفاتحة

وعن فهم معاني القرآن والأذكار فهو وسواس اذ حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني
واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء قراءته كلام الله والمراد
بالاسم هنا المسمى فمعناه ان كل الاشياء والامور بالله فيترتب عليه انحصار الحمد
لله اذ المراد بالحمد الشكر والشكر انما يكون على النعم فاذا كانت النعم باسرها من الله
فيكون منحصرا به فمن يرى نعمة من غير الله او يقصد غيره سبحانه بشكر لا من حيث انه مسخر
من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله سبحانه واذا قلت الرحمن
الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه وضروب احسانه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك
واذا قلت مالك يوم الدين فاستشعر من قلبك التعظيم والخوف اما العظمة فلانه
لا ملك الا هو واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد
الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والافتقار والتبري من الحول والقوة بقولك
واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك
لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من
المطرودين مع الشيطان الرجيم واستحضر ان الاعانة لا يكون الا منه ولا تقصد غيره ان يعين احدا
فاخرج عن قلبك الوسائط والاسباب الا من حيث انها مسخرة منه واذا قلت اهدنا الصراط
المستقيم فاعلم انه طلب لاهم حاجاتك وهو الهداية الى النهج الحق الذي يسوقك الى جوار الله
ويفضي بك الى مرضاته ويوصلك الى مجاورة من انعم الله عليهم نعمة الهداية من الانبياء
والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب الله عليهم من الكفار والزائغين والضالين
من اليهود والنصارى فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال الله فيهم بما اخبر به
عنه النبي قسمت الصلوة بيني وبين عبدي بنصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول
العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى
قوله سمع الله لمن حمده الحديث فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ان الله ذكرك
في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك
ينبغي ان تفهم وتخرج الحقايق مما تقرأه من السورة فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده
ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق وحق الامر والنهي العزم
حق الوعد الرجاء وحق الوعيد الخوف وحق الموعظة الاتعاظ وحق اخبار الانبياء الاعتبار

وحق

ذكر بقية ما يليق للمصلي عند القراءة وبيان الفرق بين اقسام الناس بحسبها والاشارة الى الآداب في الركوع

وحق ذكر النعمة الشكر ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم على حسب العلم
وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار
الكلمات فهذا حق القراءة وهو ايضا حق الاذكار والتسبيحات واعلم ان الناس في القراءة
ثلثة بعضهم يتحرك لسانه وقلبه غافل وبعضهم يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع و
يفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين وبعضهم يسبق قلبه الى المعاني اولا
ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه وفرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب ويكون معلم
القلب والمقربون السنتهم ترجمان يتبع القلب ثم ينبغي ان تراعي الهيئة في القراءة فترتل ولا تسرد
ولا تعجل فان ذلك ايسر للتامل وتفرق بين نغماتك في اية الرحمة والعذاب والوعد و
الوعيد والتمجيد والتعظيم كان بعضهم اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من
اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء وروي انه يقال يوم القيمة لصاحب القرآن
اقرأ وارق فكلما قرأ اية صعد درجة

فصل

واما الركوع فينبغي ان تجدد عنده ذكر
كبرياء الله وترفع يديك معظما له منبها على غاية عظمته وارتفاعه وكونه ارفع من ان يصل
اليه ايدي العقول والاوهام ومستجيرا بعفوه من عقابه وتستانف لهويك للركوع
ذلا وتواضعا وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعزه وضعفك و
قوته وعجزك وقدرته واتضاعك وعلوه وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبحه
وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لترسخ فيه عظمته و
جلاله ثم ترفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك وتؤكد الرجاء في نفسك بقولك سمع الله
لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره وتتبع ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول الحمد لله
رب العالمين ثم تزيد في التذلل والخشوع وتعظيم ربك واجلاله فتقول اهل الكبرياء
والعظمة والجود والجبروت روى الصدوق عن امير المؤمنين ع انه سئل عن معنى مد العنق
في الركوع فقال ع تأويله آمنت بك ولو ضربت عنقي وقال الصادق ع لا يركع
عبد لله ركوعا على الحقيقة الا زينه الله بنور بهائه واظله في ظل كبريائه وكساه كسوة
اصفيائه والركوع اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب
وفي السجود قرب ومن لا يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل
وجل تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين و

حكي أن ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا هو اصبح تزفر وقال آه سبق المخلصون وقطع بنا واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همتك في القيام بخدمته الا بتاييده وعونه وفر بقلبك من وساوس الشيطان وخدايعه ومكايده فان الله يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم الى اصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرايرهم

فصل واذا هويت الى السجود جدد على قلبك غاية الذل والعجز والانكسار اذ السجود اعلى درجات الاستكانة فمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب ولا تجعل بينهما حاجزا بل اسجد على الارض لانه اجلب للخضوع وادل على الذل فاذا وضعت نفسك موضع الذل والقيتها على التراب فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ واكده بالتكرار اذ المرة الواحدة ضعيفة الاثار فان رق قلبك وطهر لبك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى موضع الذل والضعف لا الى محل التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا ومستغفرا من ذنوبك وسائلا حاجتك ثم اكد التواضع بالتكرار وعد الى السجود ثانيا كذلك وسئل مولانا امير المؤمنين ع عن معنى السجدة الاولى قال تاويلها اللهم انك منها خلقتنا يعني من الارض وتاويل رفع راسك ومنها اخرجتنا والسجدة الثانية واليها تعيدنا ورفع راسك ومنها تخرجنا تارة اخرى وقال مولانا الصادق عليه السلام ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة وما افلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه غافل لاهٍ عما اعد الله للساجدين من انس العاجل وراحة الاجل ولا بعد عن الله ابدا من احسن تقربه في السجود ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب يطأه الخلق وانه ركب من نطفة يستقذرها كل احد وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد عن غيره الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري من جميع الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون كذلك امر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلوته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته قال الله تعالى مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ و

الاسرار والاعمال في التشهد والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لا اطّلع على قلب عبد فاعلم فيه حبّ الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي الا تولّيت تقويمه وسياسته ومن اشتغل في صلوته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين **فصل** اذا جلست للتشهد بعد هذه الاعمال الدقيقة والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة فاستشعر الخوف التامّ والرهبة والوجل والحياء أن يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ولا محصّلاً بوظايفه وشرائطه ولا مكتوباً في ديوان القبول فاجعل يديك صفراً من فوائدها وارجع الى مبدأ الامر واصل الدين اعني كلمة التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان آمناً فاستمسك به ان لم يكن لك وسيلة غيره فاشهد لربك بالوحدانية واحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم ببالك واشهد له بالعبودية والرسالة وصلّ عليه وعلى آله مجدّداً عهد الله باعادة كلمتي الشهادة متعرّضاً بهما لتأسيس مراتب العبادة فانهما اول الوسائل واساس الفواضل ومتوسّلاً الى رسول الله بالصلوة عليه متقرّباً بذلك عشراً من صلوته كما ورد في الخبر ولو وصل اليك منها واحدة افلحت ابداً قال الصادق عليه السلام التشهد ثناء على الله فكن عبداً له في السرّ خاضعاً له في الفعل كما انك عبد له في القول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرّك فانه خلقك عبداً وامرك ان تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم ان نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيته وهم عاجزون من اتيان اقلّ شيء في مملكته الا باذنه وارادته قال الله عزّ وجلّ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ فكن لله عبداً ذاكراً بالقول وصل صدق لسانك بصفاء سرّك عزّ وجلّ ان يكون ارادة ومشية لاحد الا بسابق ارادته ومشيته فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلوة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله فاوصل صلوته بصلوته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر ان لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلوته وامره بالاستغفار لك والشفاعة فيك ان اتيت بالواجب في الامر والنهي والسنن والآداب وتعلم جليل مرتبته عند الله عزّ وجلّ **فصل** واذا فرغت عن التشهد فاحضر بحضرة سيد المرسلين والملائكة المقرّبين وبقية انبياء الله والائمة عليهم السلام والحفظة لك من الملائكة المحصين لاعمالك واحضرهم جميعاً في بالك فسلّم اولاً على نبيك الذي هو افضل الكلّ وواسطه

هذا بيك وايمانك بقولك السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم توجه الى الجميع وسلم عليهم بقولك السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولا ينطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللاعبين وكيف تسمع الخطاب لمن لا يقصد لولا فضل الله في اجتزائه بذلك عن اصل الواجب ان كان بعيدا عن درجات القبول منحطا عن اوج القرب والوصول وان كنت اماما لقوم فاقصدهم بالسلام مع من تقدم من المقصودين وليقصد وا هم الرد عليك ايضا واذا فعلتم ذلك فقد اديتم وظيفة السلام واستحققتم من الله مزيد الاكرام قال الصادق عم معنى السلام في دبر كل صلوة الامان اي من ادى امر الله وسنة نبيه صلعم خالصا خاشعا قلبه فله الامان من بلاء الدنيا وبرائة من عذاب الاخرة والسلام اسم من اسماء الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والامانات والانصافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ان لا تدنسها بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك فان لم يسلم منه من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا اسلام ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وان افشاه في الخلق

فصل

اعلم ان تخليص الصلوة عن الافات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة المذكورة من الحضور والخشوع والتعظيم والهيبة والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة وانما يفيض منها على كل مصل على قدر صفائه من كدورات الدنيا ويختلف في ذلك بالقلة والكثرة والقوة والضعف والجلاء والخفاء ويختلف ايضا بما ينكشف من العلوم فينكشف لبعضهم من صفات الله وجلاله ولبعضهم من عجائب افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ولبعضهم غير ذلك واولى بالظهور والافاضة لكل شخص ما يهمه ويكون في طلبه والى ما ذكرنا من ترتب الافاضات العلوية على الصلوة الخالصة لوجه الله المؤداة بالشروط المذكورة اشار النبي صلعم بقوله ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من اعنان السماء الى مفرق راسه وينادي مناد لو علم المصلي من يناجي ما

ذكر الآيات والأخبار الشاهدة على أن الصلوة الجامعة للشرائط سبب لحصول الأنوار في القلب

التفت وان ابواب السماء يفتح للمصلين وان الله يباهي ملائكته بصدق المصلي فان رفع الحجاب و
فتح ابواب السماء كناية عن افاضة العلوم الباطنة عليه وورد في التورية يا ابن ادم لا تعجز
ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري و
ورد ان العبد اذا صلى ركعتين عجبت منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة الاف
ويباهي الله به مائة الف وذلك لان العبد جمع في الصلوة بين القيام والقعود والركوع و
السجود والذكر باللسان وغير ذلك وليس لملك من الملائكة هذا القسم من العبادة الجامعة
بين الكل بل هذه الافعال موزعة عليهم فبعضهم قائمون لا يركعون الى يوم القيمة وبعضهم
ساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة وهكذا القاعدون والراكعون فان ما اعطي الملائكة
من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص وليس لهم مرتبة الرقي
من درجة الى اخرى وباب المزيد مسدود عليهم ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم
بخلاف الانسان فان له الرقي في الدرجات والتقلب في اطوار الكمالات ومفتاح مزيد
الدرجات هي الصلوة قال الله سبحانه قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم
خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف
المفلحين بالصلوة ايضا فقال في اخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة
تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم
بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا فالمصلون هم ورثة الفردوس وورثة الفردوس
هم المشاهدون لنور الله بقربه ودنوه بالقلب وكل عاقل يعلم ان مجرد حركة اللسان والجوارح
مع غفلة القلب لا ينتهي درجته الى هذا الحد

فصل ينبغي لامام الجماعة ان يختص من
بين القوم بمزيد صفاء القلب واقباله الى الله والخشوع والتعظيم وغير ذلك من الشرائط
الباطنة لانه القدوة والجاذب لنفوس الجماعة الى الله فما اقبح به ان يكون قلبه غافلا عن
الله او واقعا في اودية الوساوس الباطلة في الصلوة ويكون بعض من اقتدى به من القوم
خاشعا حاضر القلب معظما لله سبحانه وما اشنع به ان يكون التفات قلبه الى من وراءه
من الناس الذين لا يقدرون على شيء من النفع والضر اكثر من التفات قلبه الى مالك
الملك المحيط بالكل الذي حدث بمجرد ارادته العوالم العلوية والسفلية والملك والملكوت
او لا يستحيي مثله من علام الغيوب ان ينصب نفسه قدوة لامة سيد الرسل ويحل محل

رسول الله صلعم وخلفائه الراشدين عليهم السلام وينوب عنهم ويكون تغير قلبه وتأثر نفسه عن ضعفاء العوام الذين اقتدوا به اشد من انفعاله وتأثره من عظمة الله وجلاله او لا يخجل عند الله من تفاوت حاله بكثرة المأمومين وقلتهم فينبغي لكل امام ان يمتحن نفسه فوم فان لم يكن له هذه الصفات الخبيثة فليؤم والا فليترك ولا يهلك نفسه وتعرف ذلك بان يكون فرحه بامامة نفسه كفرحه بامامة غيره من امثاله واقرانه بل ان كان قصده وفرحه بمجرد اقامة السنة واحياء رسوم الملة فينبغي ان يكون فرحه بامامة غيره ممن هو مرضي والاهتمام به اكثر من اما نفسه لحصول المقصود مع السلامة عن الغوائل المحتملة وينبغي ايضا ان لا يكون باعثه ومحركه الى المسجد للامامة القوم الا القربة ورجاء الثواب فلو كان في بعضها واقلبه باعث خفي من حب الشهرة والمنزلة في القلوب والوصول الى ما ينتظم به معاشه فله الويل والثبور ويكون ممن ضل واضل وهلك واهلك

فصل ينبغي للحاضر الى صلوة الجمعة والعيدين ان يستحضر ان هذه الايام ايام شريفة عظيمة واعياد مباركة كريمة قد خص الله بها هذه الامة وجعلها اوقاتا شريفة لعباده ليقربهم فيها من جواره ويبعدهم من عذابه وناره وحثهم فيها على الاقبال بصالح الاعمال وتلافي ما فرط منهم عنهم في بقية الايام والشهور من الاهمال فلاجرم وجب الاهتمام بصلواتها زيادة على سائر الصلوات من التهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والمثول في حضرته والفوز بمخاطبته فليجتهد بعد الاتيان بالوظائف الظاهرة من التنظيف والتطييب والتعمم وحلق الرأس وقص الشارب والاظفار وغير ذلك من السنن في تخليص النية واحضار القلب واكثار الخشوع والابتهال الى الله تعالى في صلوته وينبغي ان يحضر قلبه في العيدين من قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة وافاضة المواهب فيهما على من قبل صومه وقربانه وقام بوظائفهما فليكثر في صلوتهما وقبلها وبعدها في قبول اعماله والعفو عن تقصيراته وليستشعر الخجلة والحياء من خسران الرد وخذلان الطرد فيخسر صفقته ويظهر بعد ذلك حسرته فيفوز الفائزون ويسبق السابقون وينجو المخلصون وهو يكون من الخائبين الخاسرين

فصل اذا ظهرت الآيات من الكسوف والخسوف والزلازل وغيرها ينبغي لكل مؤمن ان يستحضر عندها اهوال الآخرة وزلازلها وتكور الشمس والقمر وظلمة القيامة ووجل الخلائق وخوفهم من الاخذ والنكال والعقوبة والاستيصال فيكثر في صلوتها من الدعاء والابتهال بمزيد الخضوع والخشوع والهيبة والخوف في النجاة من تلك الشدائد ورد النور بعد الظلمة والمسامحة على الهفوة وينبغي ان يكون منكسر النفس مطرقا الى

مستحيياً من التقصير مستشعراً بقلبه عظمة الله وجلاله وبالجملة حصول الخوف والخشية والمبادرة الى التضرع والابتهال واداء الصلوة بالاقبال والخشوع عند ظهور الآيات من شعار اهل الايمان قال سيد الساجدين عليه السلام لا يفزع للآيتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا فان كان ذلك منهما فافزعوا الى الله وراجعوه وقال الرضا عليه السلام انما جعلت للكسوف صلوة لانه من آيات الله لا يدرى الرحمة ظهرت ام العذاب فاحب النبي صلى الله عليه وآله ان يفزع امته الى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس عليه السلام حين تضرعوا الى الله تعالى

المقصد الثالث

في الذكر والدعاء اعلم انه ينبغي لكل مؤمن ان يكثر من الذكر والدعاء سيما عقيب الصلوة المفروضة وقد ورد في فضلهما من الآيات والاخبار ما لا يمكن احصاؤه ولاشتهارها لا حاجة الى ذكرها هنا

فصل

اما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب وفراغ البال والتوجه الكلي الى الخالق المتعال حتى يتمكن المذكور في القلب بتجلي عظمته الباهرة عليه وينشرح الصدر بشروق نوره عليه وهو غاية ثمرة العبادات وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس والحب والمطلوب منه ذلك الحب والانس فان العبد في بداية الامر يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس والفضول الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومن احب شيئاً اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفاً احبه ومن هنا قال بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس والحب الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولاً ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس تصير معتادة متحملة لما تكلف هي النفس ما عودتها تتعود ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله يفارقه عند الموت ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكانه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عما به انسه وهذا الانس يلتذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء قال الصادق عليه السلام من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلاً عنه فهو عاص والطاعة علامة الهداية والمعصية علامة

في ادب [illegible]

واخره يوجب الانس والحب

الضلالة واصلهما من الذكر والغفلة فاجعل قلبك قبلة للسانك ولا تحركه الا باشارة القلب
وموافقة العقل ورضا الايمان فان الله تعالى عالم بسرك وجهرك وكن كالنازع روحه او
كالواقف في العرض الاكبر غير شاغل نفسك عما كلفك به ربك في امره ونهيه ووعده ووعيده
ولا تشغلها بدون ما كلفك واغسل قلبك بماء الحزن واجعل ذكر الله من اجل ذكره اياك
فانه ذكرك وهو غني عنك فذكره لك اجل واشهى واتم من ذكرك له واسبق ومعرفتك بذكره
لك يورثك الخشوع والاستحياء والانكسار ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق
وتصغر عند ذلك طاعتك وان كثرت في جنب منته وتخلص لوجهه ورؤيتك ذكرك
له يورثك الرياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه واستكثار الطاعة ونسيان فضله و
كرمه ولا تزداد بذلك الا بعدا ولا تستجلب به على مضي الايام الا وحشة والذكر ذكران ذكر
خالص بموافقة القلب وذكر صادق ينفي ذكر غيره كما قال رسول الله لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فرسول الله لم يجعل لذكره لله تعالى مقدارا عند علمه بحقيقة سابقة ذكر
الله عز وجل له من قبل ذكره فمن دونه اولى فمن اراد ان يذكر الله فليعلم انه ما لم يذكر الله العبد
بالتوفيق لذكره لا يقدر العبد على ذكره **تتميم** الاذكار كثيرة كالتهليل والتسبيح
والتحميد والتكبير والحوقلة والتسبيحات الاربع واسماء الله الحسنى وغير ذلك وقد ورد
في فضيلة كل منها اخبار كثيرة والمواظبة على كل منها يوجب صفاء النفس وانشراح الصدر
وكلما كان ادل على غاية العظمة والجلال والعزة والكمال فهو افضل ولذا صرحوا بان افضل
الاذكار التهليل لدلالته على توحده في الالوهية واستناد الكل اليه وربما كان بعض اسماء
الله تعالى في مرتبة ادل والعارف السالك الى الله يعلم انه قد ينبعث في القلب من عظمة الله و
جلاله وشدة كبريائه وكماله ما لا يمكن التعبير عنه باسم **فصل** واما الدعاء فهو مخ
العبادة ولذا ورد في فضله ما ورد من الآيات والاخبار ولا حاجة الى ذكرها لاشتهارها
والادعية الماثورة كثيرة مذكورة في كتب الدعوات ولا يتصور مطلب من مطالب الدنيا و
الآخرة الا وقد ورد به ادعية فمن اراد شيئا منها فليأخذ من مواضعها ومما ينبغي لكل داع ان
يراعي شرائط وادابا في الدعاء حتى يستجيب له ويصل الى فائدته ويحصل لنفسه نورانية
وهي ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة والاحوال الشريفة والاماكن المتبركة المشرفة و
ان يدعو متطهرا مستقبل القبلة رافعا يديه بحيث يرى باطن ابطيه وان يخفي صوته بين

الوحدة

الجهر والاخفات ولا يتكلف التسجع في الدعاء ويكون في غاية التضرع والخشوع والرهبة وان يجزم و يتيقن اجابة دعائه ويصدق رجائه فيه وان يلح في الدعاء ويكرره ثلثا ويفتح الدعاء بذكر الله وتمجيده ولا يبتدئ بالسؤال وان يتوب ويرد مظالم العباد ويقبل على الله بكنه الهمة وهو السبب القريب للاجابة وان يكون مطعمه وملبسه من الحلال وهو ايضا من عمدة الشرائط وان يسمي حاجته ويعم في الدعاء ويبكي عنده وهو ايضا سيد الاداب وان يتقدم في الدعاء قبل الحاجة اليه وان لا يعتمد في حوائجه على غير الله تعالى قال الصادق عم احفظ ادب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله تعالى وكبريائه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما يكن فيه من الحق والباطل واعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعوا الله تعالى بشيء فيه هلاكك وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعائه بالخير وكان الانسان عجولا وتفكر ماذا تسئل ولماذا تسئل والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها الى الله تعالى فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السر واخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيتك بخلاف ذلك واعلم انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنا اذا اخلصنا الدعاء تفضل علينا بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرائط الدعاء وسئل رسول الله صم عن اسم الله الاعظم فقال كل اسم من اسماء الله اعظم ففرغ قلبك عن كل ما سواه وادعه باي اسم شئت وقال النبي صم ان الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء واخلصت سرك لوجهه فابشر باحدى ثلث اما ان يعجل لك بما سئلت او يدخر لك بما هو اعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء ما لو ارسله عليك لهلكت وسئل عن الصادق عم ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا فقال لانكم تدعون من لا تعرفونه وتسئلون من لا تفهمونه فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله تعالى من علامة الخذلان لان من لم يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم على الله تعالى بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء والحكم على الله من الجرأة على الله

المقصد الرابع

في تلاوة القرآن اعلم انه لا حد لثواب تلاوة القرآن والاخبار الواردة في عظم اجره ووفور ثوابه لا تحصى كثرة وكيف لا يعظم اجره وهو كلام الله حامله روح الامين الى سيد المرسلين فتأمل ان الكلام الصادر من الله بلا واسطة

ذكر الآداب الظاهرة عند القراءة وتلاوة القرآن وبعض المعاني الباطنية المعتبرة لادراك فهمها

كان من حيث اللفظ معجزة لغاية فصاحته ومن حيث المعنى متضمنا الاصول حقايق المعارف والمواعظ والاحكام ومخبرا عن دقايق صنع الله وعن مغيبات الاحوال والقصص الواقعة في سوالف القرون والاعوام كيف يكون تاثيره للقلوب وتصفيته للنفوس وبالجملة العقل والنقل والتجربة شواهد متظاهرة على عظم ثواب تلاوة القرآن والاخبار الواردة فيه مشهورة فلا حاجة الى ذكرها فلنشر الى بعض ما يتعلق بالتلاوة من الآداب الظاهرة والباطنة اما الآداب الظاهرة فالوضوء والوقوف على هيئة الادب في الطهارة اما قائما او جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكى والترتيل والبكاء والجهر المتوسط لو امن من الرياء والا فالسر افضل وتحسين القراءة وتنزيهها ومراعاة حق الآيات فاذا مر باية السجود سجد واذا مر باية العذاب استعاذ منه بالله واذا مر باية الرحمة ونعيم الجنة سئل الله تعالى ان يرزقه واذا مر باية تسبيح او تكبير سبح وكبر واذا مر باية دعاء او استغفار دعا واستغفر وافتتاح القراءة بقوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وان يقول عند الفراغ من كل سورة صدق الله العلي العظيم وبلغ رسوله الكريم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه والحمد لله رب العالمين واما الآداب الباطنة فمنها فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع كلامه عرش ولا ثرى ولا تلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى عم لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر عنه بعض العارفين فقال ان كل حرف من كلام الله في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتى اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولما ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور رتبته لتشابير من وجه تصويت الانسان للبهائم والطيور فان الانسان لما اراد تفهيم بعض الدواب والطيور ما يريد من اقبالها وادبارها وتقديمها وتاخيرها وكان تميزها قاصرا عن فهم كلامه الصادر

فانظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة بذاته الى افهام خلقه

في بيان ان من الآداب الباطنة للتلاوة فهم عظمة الكلام وتعظيم المتكلم

عن عقله مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزل الى درجة تميز البهائم وتوصل مقاصده اليها باصوات لا يقتدي بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها يطيقون حملها وكذلك الناس لما كانوا عاجزين عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته فنزل من عرش العظمة والجلال الى درجة افهامهم فتجلى في مظاهر الاصوات والحروف وقد يشرف الصوت لاجل الحكمة المخبوة فيه فكما ان بدن البشر تكرم ويعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام الشمس ولا طاقة للناس ان ينفذوا اغوار الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون منها ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه والمشاهد امره فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم ومنها تعظيم المتكلم فينبغي للقاري عند الابتداء بالتلاوة ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم انه ليس من كلام البشر بل هو كلام خالق الشمس والقمر وفي تلاوة كلامه غاية الخطر اذ كما لا ينبغي ان يمس جلده وورقه وحروفه البشرة المستقذرة بخبث وحدث فكذلك لا ينبغي ان يقربه الالسنة المستخبثة بقبايح الكلمات وان لا يحوموا حول معناه القلوب المكدرة برذائل الاخلاق والصفات فكما انه لا يصلح لمس ظاهر خطه كل يد بل هو محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فكذلك لا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب بل باطن معناه لعلوه وجلاله محجوب عن باطن القلوب الا اذا كانت منقطعة عن كل رجس مستنيرة بنور التعظيم والتوقير وبالجملة ينبغي ان لا يترك عند التلاوة تعظيم المتكلم له ليتحقق تعظيم الكلام ايضا اذ تعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولو لم يحضره عظمة المتكلم لغفلة قلبه فليرجع الى التفكر في صفاته وافعاله ويستحضر ان المتكلم هو الذي وجد واظهر بمجرد ارادته كل ما يشاهده ويسمعه من العرش والكرسي والسموات والارضين وما فيها وما بينها وما تحتها وما فوقها وانه الخالق للجميع والرازق الكل في قبضة قدرته مسخرا سيره مرددا بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته وجميع ذلك لا نسبة له الى عوالم المجردات فالتفكر في امثال ذلك يوجب استشعار القلب لعظمة المتكلم والكلام ولمثل هذا التعظيم كان بعضهم اذا نشر المصحف للتلاوة غشي عليه و

يقول

ذكر الخضوع وحضور القلب والتدبر وجملة من الآداب المعتبرة في تلاوة القرآن

يقول هو كلام ربي هو كلام ربي ومنها الخضوع والرقة قال الصادق ع من قرء القرآن ولم يخضع ولم يرق قلبه ولم ينتشي حزنا و وجلا في سره فقد استهان بعظيم شان الله وخسر خسرانا مبينا فقارئ القرآن يحتاج الى ثلثة اشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال فاذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تفرغ نفسه من الاسباب تجرد قلبه للقرائة فلا يعرضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده واذا اتخذ مجلسا خاليا واعتزل عن الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاولتين استانس روحه وسره بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدايع اشاراته فاذا شرب كاسا من هذا المشرب حينئذ لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرء كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب اوامره ونواهيه وكيف تمتثل حدوده فانه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا وقف عند وعده ووعيده وتفكر في امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من اقامتك حروفه في اضاعة حدوده ومنها حضور القلب في ترك حديث النفس وهو يتبع على التعظيم فان من يعظم شيئا كلاما كان وغيره يستبشر ويستانس به ولا يغفل عنه ولا ريب في ان القرآن يشتمل على ما يستانس به القلب ويفرح به النفس ان كان التالي اهلا له ومنها التدبر وهو زايد على حضور القلب اذ التالي ربما لم يتفكر في غير القرآن ولكنه اقتصر على سماعه من نفسه من دون تدبر فيه والمقصود التدبر فيه في الباطن قال الله سبحانه افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وقال امير المؤمنين ع لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بالترديد فليردد ولذلك كان الاكابر كثيرا ما يكررون بعض الآيات مرات كثيرة للتدبر فيها وربما يقفون عندها مدة مديدة وقال بعضهم لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه ومنها التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفاته تعالى وذكر افعاله وذكر الجنة والنار واحوال النشأة الآخرة وذكر احوال الانبياء واحوال المكذبين لهم وانهم

من تلاوة القرآن

[illegible]

كيف

التفهيم ب وة ن ن ستضا بكلامه
في عدم اذا تلا القارئ بيانا ابتداع ما يليق

كيف اهلكوا وذكر احكامه واوامره ونواهيه وغير ذلك فان من آيات صفاته تع كقوله تع
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وآية الكرسي وقوله الملك القدوس السلام الخ و
غير ذلك فليتأمل في معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها المكنونة تحتها
ولا ينكشف هذه الاسرار الا للمؤيدين في فهم كتاب الله قال امير المؤمنين ع ما اسرّ الي
رسول الله صلعم شيئا اكتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتاب الله وان من آيات الافعال
اي الآيات الحاكية عن خلقه السموات والارض وما فيهما من الملائكة والكواكب والجبال
والحيوان والنبات وما بينهما من السحب والغيوم والرياح والامطار وغير ذلك فليفهم التالي
منها عظمة الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فعظمته تدل على عظمته وينبغي ان يشهد
في الفعل الفاعل دون الفعل اذ من عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء منه وبه واليه وله
فهو الكل في وحده ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا
الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه وانا عبره من حيث هو اذ مع قطع النظر عن الواجب و
ايجاده لا ذات ولا وجود بل محض العدم وعدم المحض فذات كل شيء ووجوده وثباته وبقائه
بالله العلي العظيم فاذا قرء التالي آية تدل على شيء من عجايب صنعه وغرايب فعله فليتأمل
في تلك العجايب ثم يترقى منها الى اعجب العجايب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الاعاجيب
واذا سمع وصف الجنة والنار وساير احوال الآخرة فليتذكر ان ما في هذا العالم من النعم
والنقم لا نسبة له الى ما في عالم الآخرة فلينتقل من ذلك الى عظمة الله تع وينقطع اليه
باطنا ليتخلص من عقوبات تلك النشأة ويوصله الى نعيمها ولذاتها واذا سمع احوال الانبياء
ع من تكذيبهم وضربهم وقتلهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تع من الرسل والمرسل اليهم
وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله
وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين وما جرى عليهم من العقوبات وضروب النكال
فليستشعر الخوف من سطوته ونقمته ويعتبر في نفسه ويعلم انه غفل واساء الادب واغتر
بما امهل فربما يدركه النقمة وينفذ فيه القضية وكذا اذا سمع الوعد والوعيد والامر والتهديد
فلا يمكن استقصاء ما يفهم من القرآن لانه لا نهاية له اذ لا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولكل عبد منه بقدر استعداده ومقدار فهمه وصفاء نفسه ومنها التخلي عن موانع الفهم و

المقصد الرابع

في بيان التخلي عن موانع الفهم والتخصيص والتأثر وجملة من الوظائف الباطنية للتلاوة

التقليد والتعصب لمذهب فان ذلك بمنزلة حجاب لمرآة النفس يمنعها عن انعكاس غير
معتقدها فيها والجمود على تفسير ظاهر ظانا ان غيره تفسير بالرأي لا يجوز ارتكابه وصرف
الهمة والفهم الى تحقيق الحروف وما يتعلق بها من الامور المتداولة بين القراء فان قصر
التأمل على ذلك مانع من انكشاف المعاني والاصرار على الذنوب الظاهرة والباطنة و
متابعة الشهوات المظلمة للقلب الموجبة للحرمان عن انكشاف الاسرار والحقايق فيه و
اشراق المعارف الحقة عليه قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا عظمت امتي الدينار والدرهم
نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي وقد شرط الله تعالى الانابة في
الفهم والتذكر قال الله تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال تعالى وما يتذكر
الا من ينيب وقال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب ومنها التخصيص وهو ان
يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن من الامر والنهي والوعد والوعيد حتى انه لو سمع
قصص الاولين يجزم بان المقصود الاعتبار دون مجرد الحكاية والتسمية فما من قصة في
القرآن الا وسياقها الفائدة في حق النبي وامته ولذلك قال سبحانه ما نثبت به
فؤادك فان القرآن جميعه هدى وشفاء ورحمة ونور وموعظة وبصائر للعالمين
فكل احد اذا قرءه ينبغي ان يكون قرائته كقرائة العبد كتاب مولاه الذي كتب اليه ليتأمله
ويعمل بمقتضاه قال بعض الاكابر هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده فنتدبرها
في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات
ومنها التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل
فهم حال من الخوف والحزن والوجل والوجد والفرح والارتياح والرجاء والقبض والانبساط
فاذا سمع الوعيد فليضطرب قلبه ويتزايل من الخوف كانه يموت وان سمع وسعة الرحمة
ووعد المغفرة فليفرح ويستبشر كانه يطير من الابتهاج واذا سمع وصف الجنة فلينبعث باطنه
شوقا اليها واذا سمع وصف النار فليرتعد فرائصه خوفا منها واذا سمع صفات الله واسمائه
ونعوت جلاله فليطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وكبريائه واذا سمع ذكر الكفار
ما يستحيل على الله من اتخاذ الولد وامثاله فليغض صوته ويتكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم
وقس على ذلك غيره من الآيات المختلفة وبمقتضى المعرفة كانت الخشية اغلب الاحوال
على القلب اذ التضييق غالب على آيات القرآن اذ لا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا

بشروط يقصر الاكثرون عن نيلها ولذلك كان في الخائفين من يصير مغشيًّا عليه عند استماع
آيات الوعيد ومنهم من مات بمجرّد استماعها وبالجملة المقصود الاصلي من القرآن استجلاب هذه
الاحوال الى القلب والعمل به والّا فالمؤنة بتحريك اللسان بحروفه خفيفة وحقّ تلاوة القرآن ان
يشترك فيها اللّسان والعقل والقلب فحظّ اللّسان تصحيح الحروف بالتّرتيل وحظّ العقل ادراك
المعاني وحظّ القلب الاتّعاظ والتأثّر بالحالات المذكورة فاللّسان واعظ القلب والعقل
مترجم والقلب متّعظ ومنها التّرقّي وهو ان يترقّى الى ان يسمع الكلام من الله تعم لا من نفسه و
درجات القراءة ثلث وهي ادناها الاولى ان يقدّر العبد انّه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه
وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله على هذا التقدير التملّق والسّؤال والتّضرّع و
الابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربّه يخاطبه بالطافه ويناجيه باحسانه وانعامه
فمقامه الهيبة والحياء والتعظيم والاصغاء الثّالثة ان يرى في الكلام المتكلّم وفي الكلمات
الصّفات فلا ينظر الى نفسه والى تلاوته ولا الى تعلّق الانعام به من حيث انّه منعم عليه بل
يكون مقصور الهمّ على المتكلّم موقوف الفكر عليه كانّه مستغرق بمشاهدة المتكلّم عن غيره
وهذه درجة المقرّبين والصّدّيقين وما قبله من درجات اصحاب اليمين وما خرج عن
ذلك فهو درجات الغافلين وقد اخبر عن الدّرجة العليا سيّد الشّهداء روحنا فداه
حيث قال انّ الّذي تجلّى لعباده في كتابه بل في كلّ شيء واراهم نفسه في خطابه بل في كلّ نور وفيء
واشار اليها الامام ابو عبد الله الصّادق عم حيث قال لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون
وروي انّه لحقته حالة في الصّلوة حتّى خرّ مغشيًّا عليه فلمّا سرّي عنه قيل له في ذلك فقال ع
ما زلت اردّد هذه الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل
هذه الدّرجة تشتدّ البهجة وتعظم الحلاوة واللّذّة ولذلك قال بعض الاكابر كنت اقرأ
القرآن فلا اجد له حلاوة حتّى تلوته كانّي اسمعه عن رسول الله صلعم يتلوه على اصحابه ثمّ رفعت الى
مقام فوقه فكنت اتلوه كانّي اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول الله صلعم ثمّ جاء الله بمنزلة اخرى
فانا الآن اسمعه من المتكلّم فعندها وجدت لذّة ونعيما لا اصبر عنه وقال بعض الصّحابة
لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وذلك لانّها بالطّهارة تترقّى الى مشاهدة المتكلّم
في الكلام بل التّوحيد الخالص للعبد ان لا يرى في كلّ شيء الّا الله اذ لو رأى غيره لا من حيث انّه
منه وله وبه واليه كان مشركا بالشّرك الخفي ومنها التّبرّي وهو ان يتبرّى من حوله وقوّته

ولا يلتفت الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا قرأ آيات الوعد ومدح الاخيار فلا يشهد نفسه
ولا يدخلها في زمرتهم بل يشهد اهل الصدق واليقين ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا
قرأ آيات المقت والوعيد وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا
واشفاقا والى هذا اشار مولانا امير المؤمنين ع حيث قال في وصف المتقين واذا مروا
بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم في آذانهم قال
ابو حامد الغزالي واذا رأى القارئ نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه
فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها
ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما
هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا كان محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى
نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب احواله فحيث يتلو آيات
الرحمة والرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه
يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله
يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها
الرحمة واللطف ومنها القهر والبطش والانتقام فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب
القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة
اذ يمتنع ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام
منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان منان متعطف لا يهمل

المقصد الخامس في الصوم

في الصوم واسراره وآدابه

اعلم ان الصوم اجره عظيم وثوابه جسيم وما يدل على فضله من
الآيات والاخبار اكثر من ان يحصى وهي معروفة مشهورة فلا حاجة الى ذكرها فلنشر الى ما
يتعلق به من الامور الباطنة

فصل ينبغي للصائم ان يغض بصره عن كل ما يحرم النظر
اليه او يكره او يشغل القلب ويلهيه عن ذكر الله تعالى ويحفظ اللسان عن جميع آفاته المتقدمة ويكف
السمع عن كل ما يحرم او يكره استماعه ويكف بطنه عن الحرام والشبهات ويكف سائر جوارحه
عن المكاره وقد ورد في اشتراط جميع ذلك في الصوم في ترتب كمال الثواب عليه اخبار
كثيرة وينبغي ايضا ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ اذ ما من وعاء ابغض
الى الله من بطن ملئ من حلال كيف والسر في شرع الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة والهوى

في التنبيه على ما يليق بأرباب الصيام تقليل الأكل عند الإفطار وبعده

لتقوى النفس على التقوى ويرتقي من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالملائكة
الروحانية وكيف يحصل ذلك اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره سيما
اذا زيد عليه في ألوان الطعام كما استمرت العادة في هذه الأعصار وربما يؤكل في شهر رمضان من الأطعمة
ما لا يؤكل في عدة شهور ولا ريب في ان المعدة اذا خليت من ضحوة النهار الى العشاء حتى
هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت من ألوان المطاعم
وجمع ما كان يأكل ضحوة الى ما يأكل ليلا وأكل الجميع في الليل مرة او مرتين او اكثر زادت
لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على
عادتها فلا يحصل ما هو المقصود من الصوم اعني تضعيف القوى الشهوية التي هي وسائل
الشيطان فلا بد من التقليل وهو ان يأكل في مجموع الليلة أكلة التي كان يأكلها في كل ليلة لو لم يصم من
دون ضم ما يأكل في النهار اليه حتى ينتفع بصومه والحاصل ان روح الصوم وسره والغرض
الأصلي منه التخلق بخلق من أخلاق الله تعالى اعني الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف
عن الشهوات بقدر الامكان وهذا انما يحصل بتقليل الأكل عما يأكله في غير وقت الصوم
فلا يجدي مجرد تأخير أكله وجمع أكلتين عند العشاء ثم لو جعل سر الصوم ما يظهر من
بعض الظواهر من ادراك الاغنياء ألم الجوع والانتقال منه الى شدة حال الفقراء فيبعثهم
ذلك على مواساتهم بالأموال والأقوات فهو أيضا لا يتم بدون التقليل في الأكل

فصل ينبغي لكل صائم ان يكون قلبه بعد الإفطار مضطربا معلقا بين الخوف و
الرجاء اذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن الحال
كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها روي ان الامام أبا محمد الحسن المجتبى ع مر بقوم يوم العيد و
هم يضحكون فقال ع ان الله تعالى جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته
فسبق أقوام ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم
الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن
باحسانه والمسيء عن اسائته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد
عليه باب الضحك

فصل للصوم ثلث درجات الاولى صوم العموم وهو كف البطن و
الفرج عن قضاء الشهوة وهذا لا يفيد ازيد من سقوط القضاء والاستخلاص من العذاب
الثانية صوم الخصوص وهو الكف المذكور مع كف البصر والسمع واللسان واليد والرجل وسائر

ذكر درجات الصوم من حيث الكمال والنقص وبيان ما يترتب من جزاء الاعلية للصائم

الجوارح عن المعاصي وعلى هذا الصوم يترتب المثوبات الموعودة من صاحب الشرع الثالثة صوم
خصوص الخصوص وهو الكف ان مع صوم القلب عن الهمم الدنية والاخلاق الردية والافكار
الدنيوية وكفه عما سواه بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في ما سوى الله واليوم الاخر
وحاصل هذا الصوم اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى ثم ذرهم
في خوضهم وهذا درجة الانبياء والصديقين والمقربين ويترتب عليه الوصول الى
المشاهدة واللقاء والفوز بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد والى
هذا الصوم اشار مولانا الصادق عم حيث قال قال رسول الله صلعم الصوم جنة اى ستر من
افات الدنيا وحجاب من عذاب الاخرة فاذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات و
قطع الهمة عن خطرات الشيطان فانزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاما ولا شرابا متوقعا في
كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب طهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى
الاخلاص لوجه الله قال رسول الله صلعم قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به والصوم يميت
مواد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن و
الشكر على النعم والاحسان الى الفقراء وزيادة التضرع والخضوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله
وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه من الفوايد ما لا يحصى وكفى بما
ذكرناه لمن عقل ووفق لاستعماله **تتميم** من صام شهر رمضان اخلاصا لله و
تقربا اليه وطهر باطنه من ذمايم الاخلاق وكف ظاهره عن المناهي والاثام واجتنب عن الحرام
ولم ياكل الا الحلال ولم يفرط في الاكل بل كان ليلا ونهارا بحيث يحس الم الجوع وواظب على جملة من
النوافل والادعية وساير الاداب المسنونة فيه استحق للمغفرة والخلاص عن عذاب الاخرة
بمقتضى الاخبار المتواترة ثم ان كان من العوام حصل له من صفاء النفس ما يوجب استجابة
دعوته وان كان من اهل المعرفة فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينكشف له شيء من الملكوت
سيما في ليلة القدر اذ هي الليلة التي ينكشف فيها الاسرار ويفيض على القلوب الطاهرة
الانوار والمناط والعمدة في ذلك تقليل الاكل بحيث يحس الم الجوع اذ من جعل بين قلبه وبين صدره
مخلاة من الطعام فهو محجوب عن عوالم الانوار ويستحيل ان ينكشف له شيء من الاسرار

المقصد السادس في الحج اعلم ان الحج اعظم اركان الدين وعمدة ما يقرب
العبد الى رب العالمين وهو اهم التكاليف الالهية واثقلها واصعب العبادات البدنية و

قل الله

افضلها

في بيان الحج لاشتماله على انواع ما اشتملت عليه سائر العبادات كان اعظم اركان الدين ان شاء الله تع

افضلها واعظم عبادة يبعد بفقدها الدين ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الخسران المبين والاخبار التي وردت في فضيلته وفي ذم تاركه كثيرة مذكورة في كتب الاخبار والاحكام والشرائط الظاهرة له على عهدة الفقهاء فلنشر الى الاسرار الخفية والاعمال الدقيقة والآداب الباطنة التي يبحث عنها ارباب القلوب

فصل اعلم ان الغرض الاصلي من ايجاد الانسان معرفة الله والوصول الى حبه والانس به والوصول اليه بالحب والانس يتوقف على صفاء النفس وتجردها فكلما صارت النفس اصفى واشد تجردا كانت انسه وحبه بالله اشد واكثر وصفاء النفس وتجردها موقوف على التنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والانقطاع عن الحطام الدنيوية وتحريك الجوارح وايقاعها لاجله في الاعمال الشاقة والتجرد لذكره وتوجيه القلب اليه لذلك شرعت العبادات المشتملة على هذه الامور اذ بعضها انفاق المال وبذله الموجب للانقطاع عن الحطام الدنيوية كالزكوة والخمس والصدقات وبعضها الكف عن الشهوات واللذات كالصوم وبعضها التجرد لذكر الله وتوجيه القلب اليه وارتكاب تحريك الاعضاء وتعبها كالصلوة والحج من بينها مشتمل على جميع هذه الامور مع الزيادة اذ فيه هجران الاوطان واتعاب الابدان وانفاق الاموال وانقطاع الامال وتحمل المشاق وتجديد الميثاق وحضور المشاعر وشهود الشعائر ويتحقق في اعماله التجرد لذكر الله والاقبال عليه بضروب الطاعات والعبادات مع كون اعماله امورا لا تأنس بها النفوس ولا يهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار اذ بمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان سائر العبادات اعمال وافعال يظهر وجهها للعقل فللنفس اليها ميل وللطبع بها انس واما بعض اعمال الحج كرمي الجمار وترددات السعي فلا حظ للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون الاقدام عليها الا لمجرد الامر وقصد الامتثال له من حيث انه امر واجب الاتباع ففيها عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كلما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامتثال فلا يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا وتعبدا ورقا ولم يقل ذلك في غيره من العبادات فمثل هذه العبادة اي ما لم يهتد العقل الى معناه ووجهه ابلغ انواع العبادات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والبغي الى الاسترقاق فتعجب بعض الناس من هذه الافعال العجيبة مصدره الجهل باسرار التعبدات وهذا هو

السرّ في وضع الحجّ مع دلالة كل عمل من اعماله على بعض احوال الآخرة او في بعض اسرار اخر كما ياتي ما فيه من اجتماع اهل العالم في موضع تكرّر فيه نزول الوحي وهبوط جبرئيل وغيره من الملائكة المقرّبين على رسوله المكرّم ومن قبله على خليله المعظّم عليهما افضل الصّلوة بل لا يزال مرجعا ومنزلا لجميع الانبياء من ادم الى خاتم ومهبطا للوحي ومحلا لنزول طوائف الملائكة وقد تولّد فيه سيّد الرسّل ص وتوطّأ اكثر مواضعه قدمه الشّريفة واقدام سائر الانبياء ولذلك سمّي بالبيت العتيق وقد شرّفه الله تعالى بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصد العباده وجعل ما حوله حرما لبيته وتفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكّد حرمة الموضع بتحريم صيده وقطع شجره ووضعه على مثال حضرة الملوك فقصده الزوّار من كل فجّ عميق ومن كل اوب سحيق شعثاء غبراء متواضعين لربّ البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزّته وعظمته مع الاعتراف بتنزّهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ولا ريب في ان الاجتماع في مثل هذا الموضع مع ما فيه من حصول المؤالفة والمصاحبة ومجاورة الابدال والاوتاد والاخيار المجتمعين من اقطار البلاد وتظاهر الهمم وتعاون النفوس على التضرع والابتهال والدّعاء الموجب لسرعة الاجابة بذكر النبيّ ص واجلاله ونزول الوحي عليه وغاية سعيه واهتمامه في اعلاء كلمة الله ونشر احكام دينه فتحصل الرقّة للقلب والصفاء للنّفس ثمّ لكون الحج اعظم التّكليفات لهذه الامة جعل بمنزلة الرّهبانيّة في الملل السالفة فان الامم الماضية اذا ارادوا التحمّل لاصعب التكاليف واشقها على النفس انفردوا عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال واثروا التوحّش عن الخلق بطلب الانس بالله والتجرّد له في جميع الحركات والسّكنات فتركوا اللّذات الحاضرة والزموا انفسهم الرياضات الشاقّة طمعا في الآخرة وقد اثنى الله عليهم في كتابه وقال ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وقال تعالى وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ولمّا اندرس ذلك واقبل الخلق على اتّباع الشهوات وهجروا التجرّد لعبادة الله تعالى وفرّوا عنها بعث الله تعالى من سرة البطحاء محمّدا ص لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسئله اهل الملل من الرهبانيّة والسّياحه في دينه فقال ابدلنا بالرّهبانيّة الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحجّ وابدلنا بالسّياحة الصّوم فانعم الله على هذه الامّة بان جعل الحجّ رهبانيّة لهم فهو بازاء اعظم التّكاليف والطاعات في الملل

فصل فيما ينبغي للحاج عند الحج من الاخلاص والتوبة وتعظيم البيت وتخلية النفس

السابقة **فصل** ينبغي للحاج عند توجهه الى الحج مراعاة امور الاول ان يجرد نيته لله
بحيث لا يشوبها شيء من الاغراض الدنيوية ولا يكون باعثه على التوجه الى الحج الا امتثال امره
الله ونيل ثوابه والاستخلاص من عذابه فليحذر كل الحذر ان يكون له باعث آخر مكنون
في بعض زوايا قلبه كالرياء والحذر عن ذم الناس وتفسيقهم لو لم يحج او الخوف من الفقر وتلف
امواله لو ترك الحج لما اشتهر من ان تارك الحج يبتلى بالفقر والادبار او قصد التجارة او شغل
آخر فان كل ذلك يخرج العمل من الاخلاص ويحجبه عن الفائدة وترتب الثواب الموعود وما
اجهل من تحمل الاعمال الشاقة التي يمكن ان يحصل بها سعادة الابد لاجل خيالات فاسدة لا يترتب
عليها سوى الخسران فائدة فيجتهد كل الجهد ان يجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الرياء
والسمعة ويتيقن انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد
بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح في نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه باجتناب كل
ما فيه رياء وسمعة الثاني ان يتوب الى الله تعالى توبة خالصة ويرد المظالم ويقطع علاقة
قلبه عن الالتفات الى ما وراءه ليكون متوجها الى الله بوجه قلبه ويقدر انه لا يعود و
ليكتب وصيته لاهله واولاده ويهيئ لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على قرب وما يقدمه
من هذا السفر يهيئ لاسباب تلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك
عند الاستعداد لهذا فليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة الثالث
ان يعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت ويعلم انه ترك الاهل والاوطان وفارق
الاحبة والبلدان للعزم على امر رفيع شأنه خطير امره اعني زيارة بيت الله الذي جعل مثابة
للناس فسفره هذا لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من
يقصد وانه متوجه الى زيارة ملك الملوك في زمرة الزائرين اليه الذين نودوا فاجابوا وشوقوا
فاشتاقوا ودعوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الرفيع قدره و
العظيم شأنه تسليا بلقاء البيت عن لقاء صاحبه الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا
بالنظر الى مولاهم فليحضر في قلبه عظم السفر وعظم البيت وجلالة رب البيت ويخرج
معظما لهما ناويا ان لم يصل وادركه المنية في الطريق لقي الله وافدا اليه بمقتضى وعده
الرابع ان يخلي نفسه عن كل ما يشغل القلب ويفرق الهم في الطريق او المقصد من معاملة
او مثلها حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره متذكرا

في ما ينبغي للمسافر الى الحج من ذلك ايضا الزاد الحلال وحسن الخلق وكونه اشعث اغبر

عند كل حركة وسكون امر آخر وثوابا يناسبه الخامس ان يكون زاده حلالا ويوسع فيه ويطيبه ولا يغتم ببذله وانفاقه بل كان طيب النفس به اذ انفاق المال في طريق الحج نفقة في سبيل الله والدرهم منه بسبعمأة درهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله من شرف الرجل ان يطيب زاده اذا خرج في سفر وكان السجاد عليه السلام اذا سافر الى الحج يتزود من اطيب الزاد من اللوز والسكر والسويق المحمض والمحلا وقال الصادق عليه السلام اذا سافرتم فاتخذوا اسفرة وتنوقوا فيها وفي رواية انه يكره ذلك في زيارة الحسين عليه السلام نعم ينبغي ان يكون الانفاق على الاقتصاد من دون تقتير ولا اسراف والمراد بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بصرف انواعها على ما هو عادة المسرفين واما كثرة البذل على المستحقين فلا اسراف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير وينبغي ايضا ان يكون طيب النفس بما اصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن لان ذلك من دلائل قبول حجه فان ذهاب المال في طريق الحج بعد الدرهم منه بسبعمأة في سبيل الله فالمصيبة في طريق الحج بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله السادس ان يحسن خلقه ويطيب كلامه ويكثر تواضعه ويجتنب سوء الخلق والغلظة في الكلام والرفث والفسوق والجدال والرفث اسم جامع لكل فحش ولغو وخنا والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق الهم ويناقض حسن الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهما من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق مجرد كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قيل لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر فقال لا فقال ما اراك تعرفه السابع ان يكون اشعث اغبر غير متزين ولا مائل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في المتكبرين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين ويمشي ان قدر خصوصا بين المشاعر وفي الخبر ما عبد الله بشيء افضل من المشي وينبغي ان لا يكون الباعث للمشي تقليل النفقة بل التعب والرياضة في سبيل الله ولو كان القصد تقليل النفقة مع اليسار فالركوب افضل وكذا الركوب افضل لمن ضعف بالمشي وساء خلقه وقصر في العمل ففي الخبر تركبون احب الي

في آداب الحج بقية وظائف عند الخروج الى البادية وعند دخوله في الميقات ولبس ثوب الاحرام

فان ذلك اقوى على الدعاء والعبادة وكان الحسن بن علي ع يمشي وتساق معه المحامل والرحال
واذا احضرت الراحلة لركوبها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخيره له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه
المشقة وينبغي ان يرفق بها فلا يحملها ما لا تطيق **فصل** اذا خرج من وطنه الى البادية ودخلها
متوجها الى الميقات يوم القيمة وشاهد العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا
بالموت الى ميقات يوم القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع
الطريق هول منكر ونكير ومن سباع البوادي وحياتها وعقاربها ديدان القبر وافاعيها
وعقاربها وديدانها ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر ووحدته وكربته و
لتكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر **فصل** اذا دخل
الميقات ولبس ثوبي الاحرام فليتذكر عند لبسهما لبس الكفن ولفه فيه وانه سيلقى الله ملفوفا
في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله الا بهيئة وزي يخالف عادته فكذلك لا يلقى الله
بعد الموت الا في زي يخالف زي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس بمخيط
كما ان الكفن ايضا ليس مخيطا واذا احرم ولبى فليعلم ان الاحرام والتلبية اجابة نداء الله
فليرج ان يكون مقبولا وليخش ان يكون مردودا فيقال لا لبيك ولا سعديك فليكن بين
الخوف والرجاء مترددا وعن حوله وقوته متبرئا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت
التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر وقد روي ان علي بن الحسين ع لما احرم واستوت به
راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال
اخشى ان يقول ربي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل
يعتريه ذلك حتى قضى حجه فليتذكر الملبي عند رفع الاصوات في الميقات خائفا راجيا لنداء
الله تعالى اذ قال تعالى وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وليتذكر من هذا النداء
نداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيمة لنداء الله تعالى ومنقسمين
الى مقربين ومبعدين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء مثل
تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا **فصل**
ينبغي ان يتذكر عند دخول مكة انه قد انتهى الى حرم مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وليرج عنده ان
يأمن بدخوله من عقاب الله وليضطرب قلبه من ان لا يكون اهلا للقرب والقبول فيكون
بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا اذ شرف البيت

ذو مخالف لزي
له اجابة
مجيبين

عظيم ورب البيت كريم والرحمة واسعة والفيوضات نازلة وحق الزائر منظور واللائذ
المستجير غير مردود وإذا وقع البصر على البيت فليحضر في قلبه عظمته ويقدر كأنه مشاهد
لرب البيت لشدة تعظيمه وليرج أن يرزقه لقاء بيته وليشكر الله على تبليغه إياه إلى بيته و
الحاقه إياه بزمرة الوافدين إليه ويتذكر عند ذلك انصباب الخلائق إلى جهة الجنة آملين
لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذون في الدخول ومصروف عنها انقسام الحاج إلى
مقبولين ومردودين **فصل** وينبغي عند الطواف أن يمتلئ قلبه من التعظيم والمحبة
والخوف والرجاء ويعلم أنه في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الطائفين حول العرش ولتعلم أن
المقصد طواف قلبه بذكر رب البيت دون مجرد طواف جسمه بالبيت فليبتدئ الذكر به ويختم
به كما يبتدئ الطواف من البيت ويختم بالبيت فروح الطواف وحقيقته هو طواف القلب
بحضرة الربوبية والبيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر
وهو عالم الغيب وعالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب
وما ورد من أن البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة وأن طواف الملائكة به كطواف الإنس
بهذا البيت ربما كان إشارة إلى ما ذكرناه من المماثلة ولما قصرت رتبة الأكثرين عن
مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بقدر الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم
فصل ينبغي أن يتذكر عند استلام الحجر الأسود أنه بمنزلة يمين الله في أرضه وفيه مواثيق
العباد قال رسول الله صلى الله عليه وآله استلموا الركن فإنه يمين الله في خلقه يصافح بها خلقه مصافحة
العبد والدخيل ويشهد لمن استلمه بالموافاة ومراده عليه السلام بالركن الحجر الأسود لأنه موضوع فيه
وإنما شبه باليمين لأنه واسطة بين الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبب والرضا
كاليمين حين التصافح وقال الصادق عليه السلام إن الله تبارك وتعالى لما أخذ مواثيق العباد
أمر الحجر فالتقمها فلذلك يقال أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة وقال عليه السلام
الركن اليماني باب من أبواب الجنة لم يغلقه الله منذ فتحه وقال عليه السلام الركن اليماني بابنا الذي
يدخل منه الجنة وفيه نهر من الجنة يلقى فيه أعمال العباد قيل إنما شبه بباب الجنة لأن استلامه
وسيلة إلى وصولها وبالنهر لأنه يغسل به الذنوب ثم لتكن النية في الاستلام والالتصاق
بالمستجار بل المماسة لكل جزء من البيت طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا وتمسكا
بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت ولكن نيته في التعلق بأستار

لقائه كما ذكر

باب ايضا في الآداب القلبية للحاج حين السعي بين الصفا والمروة وعند الوقوف بعرفات وعند دخوله المشعر

البيت الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمقصر المتعلق بثياب من قصر في حقه المتضرع اليه في عفوه المظهر له انه لا ملجأ منه الا اليه ولا مفزع الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله حتى يعفو عنه ويعطيه الامان في المستقبل **فصل** السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اخلاصا وإظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول ورد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحمه في الثانية ان لم يرحمه في الاولى وليتذكر عند تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران **فصل** واما الوقوف بعرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر عرصات يوم القيمة واهوالها وانتشار الخلائق فيها حيارى واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيهم وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليتضرع الى الله تعالى و يبتهل اليه ليقبل حجه ويحشره في زمرة الفائزين المرحومين وينبغي ان يحقق رجاءه اذ اليوم شريف والموقف عظيم والنفوس من اقطار الارض فيه مجتمعة والقلوب الى الله سبحانه منقطعة والهمم على الدعاء والسؤال متظاهرة وبواطن العباد على التضرع والابتهال متعاونة وايديهم الى حضرة الربوبية مرتفعة وابصارهم الى بابه شاخصة واعناقهم الى عظيم لطفه وبره ممتدة ولا يمكن ان يخلو الموقف عن الاخيار والصالحين وارباب القلوب والمتقين بل الظاهر حضور طبقات الابدال واوتاد الارض فيه فلا تستبعدن ان يصل الرحمة من ذي الجلال بواسطة القلوب العزيزة والنفوس القادسة الشريفة الى كافة الخليقة ولا تظنن انه يخيب امال الجميع ويضيع سعيهم ولا يرحم غربتهم وانقطاعهم عن الاهل والاوطان فان بحر الرحمة اوسع من ان يضن به في مثل هذه الحالة ولذا ورد انه من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له **فصل** واذا افاض من عرفات ودخل المشعر فليتذكر عند دخوله فيه ان الله سبحانه قد اذن له في دخول حرمه بعد ان كان خارجا عنه اذ المشعر من جملة الحرم وعرفات خارجة عنه فليتفأل من دخول الحرم بعد خروجه عنه بان الله سبحانه قربه اليه وكساه خلع القبول واجاره وامنه من العذاب والبعد

الترديد

جعله من اهل الجنة والقرب **فصل** واذا ورد منى وتوجه الى رمي الجمار فليقصد الانقياد والامتثال اظهارا للرق والعبودية وتشبها بالخليل الجليل ع حيث عرض له ابليس اللعين في هذا الموضع ليفسد حجه فامره الله ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لاصله وينبغي ان يقصد انه يرمي الحصا الى وجه الشيطان ويقصم به ظهره ويرغم به انفه اذ امتثال امر الله تعظيما له يقصم ظهر اللعين ويرغم انفه واذا ذبح الهدي فليستحضر ان الذبح اشارة الى انه بسبب الحج قد غلب على الشيطان والنفس الامارة وقتلهما وبذلك استحق الرحمة والغفران ولذا ورد انه يعتق بكل جزء من الهدي جزء منه من النار فليجتهد في التوبة والرجوع عما كان عليه قبل ذلك من الاعمال القبيحة حتى يصير حاله احسن من سابقه ليصدق عليه انه قتل الشيطان والنفس الامارة في الجملة ولا يكون في عمله من الكاذبين ولذلك ورد ان علامة قبول الحج ان يصير حاله بعد الحج احسن مما كان عليه قبله وفي الخبر ان علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة **تتميم** قد ورد عن مولينا الصادق ع خبر يتضمن عمدة اسرار الحج ودقائقه فلنذكره تيمنا بكلماته الشريفة قال ع اذا اردت الحج فجرد قلبك لله من كل شغل شاغل وحجاب كل حاجب وفوض امورك كلها الى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره ودع الدنيا والراحة والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد على زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة ان يصيروا لك عدوا ووبالا فان من ادعى رضا الله واعتمد على ما سواه صيره عليه عدوا ووبالا ليعلم ان ليس له قوة وحيلة ولا لاحد الا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله وسنن نبيه ص وما يجب عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وايثار الزاد على دوام الاوقات ثم اغتسل بماء التوبة الخالصة من ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب بمعنى اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تع في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت وهرول هرولة من هواك وتبرء من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الى منى ولا

تمن ما لا يحل لك ولا تستحقه واعترف بالخطايا بعرفات وجدد عهدك عند الله بوحدانيته

وتقرب اليه واتقه بمزدلفة واصعد بروحك الى الملاء الاعلى بصعودك على الجبل

واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة والدنائة والذميمة

عند رمي الجمرات واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل في امان

الله وكنفه وستره وكلائته من متابعة مرادك بدخول الحرم ودخول البيت متحققا

لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه واستلم الحجر رضاء بقسمته وخضوعا لعزته

وودع ما سواه بطواف الوداع واصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك

على الصفا وكن ذا مروة من الله نقيا اوصافك عند المروة واستقم على شرط حجتك هذه

ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك واوجبته له الى يوم القيمة واعلم بان الله تعالى

لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة الى نفسه لقوله تعالى وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ولا شرع نبيه صلى الله عليه وآله سنة في خلال المناسك على ترتيب

ما شرعه الا للاستعداد والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيمة وفصل بيان

السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة مناسك الحج من

اولها الى اخرها لاولي الالباب واولي النهى **خاتمة** في الاشارة الى بعض الامور

الباطنة المتعلقة بزيارة المشاهد اعلم ان النفوس القوية القدسية سيما نفوس

الانبياء والائمة عليهم السلام اذا نفضوا ابدانهم الشريفة وتجردوا عنها وصعدوا الى

عالم التجرد وكانوا في غاية الاحاطة والاستيلاء على هذا العالم عندهم ظاهرة منكشفة

ولهم القوة والتمكن على التأثير والتصرف في مواد هذا العالم فكل من يحضر مقابرهم لزيارتهم

يطلعون عليه سيما ومقابرهم مشاهد لارواحهم المقدسة العلية ومحال حضور اشباحهم البرزخية

النورية فانهم هناك يشهدون وَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ وبما اتيهم الله من فضله

فرحون فلهم تمام العلم والاطلاع بزائري قبورهم وحاضري مراقدهم وما يصدر منهم من

السؤال والتوسل والاستشفاع والتضرع فتهب عليهم نسمات الطافهم وتفيض عليهم من

رشحات انوارهم ويشفعون الى الله في قضاء حوائجهم وانجاح مقاصدهم وغفران ذنوبهم

وكشف كروبهم فهذا هو السر في تاكد استحباب زيارة النبي والائمة عليهم السلام مع ما فيه من

صلتهم وبرهم واجابتهم وادخال السرور عليهم وتجديد عهد ولايتهم واحياء امرهم واعلاء

بيان

اسرار زيارة المشاهد ووظايفها

فامور هذا العالم

في الحث والترغيب في الزيارة وذكر فضيلة زيارة الرسول وامير المؤمنين والحسين والائمة عليهم السلام

كلمتهم وسكنت عداوتهم وكل واحد من هذه الامور مما لا يخفى عظم اجره وجزيل ثوابه وكيف لا يكون زيارتهم اقرب القربات وافضل الطاعات مع ان زيارة المؤمن من جهة كونه مؤمنا فحسب عظيم الاجر جزيل الثواب قد ورد به الحث والتوكيد والترغيب الشديد من الشريعة الطاهرة ولذلك كثر تردد الاحياء الى قبور امواتهم للزيارة وتعارف ذلك بينهم حتى صار لهم سنة طبيعية وايضا قد ثبت وتقرر جلالة قدر المؤمن عند الله وثواب صلته وبره وادخال السرور عليه واذا كان الحال في المؤمن من حيث انه مؤمن فحسب كذلك فما ظنك بمن عصمه الله من الخطايا وطهره من الرجس وبعثه الله الى الخلائق اجمعين وجعله حجة على العالمين وارتضاه اماما للمؤمنين وقدوة للمسلمين ولاجله خلق السموات والارضين وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه ونوره الذي يستضاء به وامينه على بلاده وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وانبياء وائمة واولياء ثم الاخبار الواردة في فضيلة زيارة النبي والائمة عليهم السلام مما لا يحصى كثرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر الي في حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا الي بالسلام فانه يبلغني وقال صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين عليه السلام يا ابا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصات من عرصاتها وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة والاذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم الى الله ومودة منهم لرسوله اولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري وجيراني غدا في الجنة يا علي من عمر قبورهم وتعاهدها فكانما اعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ومن زار قبورهم عدل ذلك سبعين حجة بعد حجة الاسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه فابشر يا علي وبشر اولياءك ومحبيك من النعيم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما يعير الزانية بزناها اولئك شرار امتي لا نالتهم شفاعتي ولا يردون حوضي وقال الصادق عليه السلام لو ان احدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله لان حق الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كل مسلم وقال الرضا عليه السلام ان لكل امام عهدا في عنق اوليائه وشيعته وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاءه يوم

في بعض الوظائف القلبية وآداب دخول المدينة المنورة وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله

الباب الثالث

القيمة والاخبار في فضل زيارة النبي ص والائمة المعصومين ع سيما زيارة سيد الشهداء ع
وابي الحسن الرضا عليه افضل التحية والثناء وفضل زيارتهما على الحج والعمرة اكثر
من ان تحصى وهي مذكورة في كتب المزار لاصحابنا فلا حاجة الى ايرادها هنا **فصل**
واذا عرفت فضل زيارتهم وسرها وعظيم قدرهم وجلالة شأنهم فينبغي ان تكثر التواضع
والتخشع والانكسار عند الدخول في بلادهم ومراقدهم المنورة ومشاهدهم المكرمة
وتستحضر في قلبك عظمتهم وجلالتهم وتعرف عظيم حقهم وغاية جهدهم وسعيهم في ارشاد
الناس واعلاء كلمة الله فاذا قربت المدينة المنورة ووقع بصرك على حيطانها تذكر انها
البلدة التي اختارها الله لنبيه ص وجعل اليها هجرته وانها البلدة التي فيها شرع بعض فرائض
ربه وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه ولا يزال قاطنا فيها الى ان توفاه الله وجعل
تربته فيها ثم مثل في نفسك اقدام رسول الله ص عند ترددك فيها وتذكر انه ما من
موضع قدم تطأه الا وهو موضع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة
ووجل وكن متذكرا لمشيه وتخطيه في سككها وتصور سكينته ووقاره وخشوعه وتواضعه
لعظمة ربه وما استودع الله في قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه و
انزل عليه كلامه العزيز واهبط عليه الروح الامين وساير ملائكته المقربين واحبط
عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا
صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته و
تضرع الى الله تعالى ان لا يفوتك صحبته ص في الآخرة وليعظم رجاؤك في ذلك بعد ان رزقك الله
الايمان به واشخصك من وطنك لاجل زيارته محبة له وتشوقا الى ان تنظر الى آثاره والى حائط قبره
ثم اذا دخلت مسجده فتذكر ان اول موضع اقيمت فيه فرائض الله تلك العرصة وانها تضمنت
ما خلق الله حيا وميتا فارج الله غاية الرجاء ان يرحمك بدخولك اياه خاشعا معظما و
اجل ذلك المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن ثم اذا اتيته للزيارة فينبغي
ان تقف بين يديه خاضعا خاشعا خائفا وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره
الا كما تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا اذ لا فرق بين حيه وميته ولو وجدت التفرقة
في قلبك لما كنت مؤمنا فلتعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك
وصلواتك فمثل صورته الكريمة في خيالك جالسا على سرير العظمة بحذائك واحضر عظيم

ورتبته في قلبك وقد ورد ان الله تعالى وكل بقبره ص ملكاً يبلغه سلام من يسلم عليه من امته وهذا
في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الاهل والوطن وقطع البوادي شوقاً الى لقائه و
اكتفى وقنع بمشاهدة مشهده المنور اذ فاتته مشاهدة طلعته البهية وغرته الكريمة
وقد قال ص من صلى علي مرة صليت عليه عشراً فهذا جزائه عليه في الصلوة بلسانه
فكيف بالحضور لزيارته ببدنه فاذا فرغت من زيارته ص فأت المنبر وامسحه بيدك وخذ
برمانته وامسح بهما وجهك وعينيك وتضرع الى الله وابتهل اليه وسل حاجتك وتوهم
صعود النبي ص المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائماً على المنبر وقد احدق به المسلمون من
المهاجرين والانصار وهو يحمد الله تعالى بافصح الكلمات وابلغ اللغات ويحث الناس على طاعة الله
واسئل الله ان لا يفرق بينه وبينك في القيمة ويجعلك في جواره ويعطيك منزلاً في قرب
داره **فصل** واذا دخلت ارض النجف لزيارة امير المؤمنين ع وسيد الوصيين تذكر
انها وادي السلام ومجمع ارواح المؤمنين وقد شرفها الله تعالى وجعلها اشرف البقاع وجنة
المؤمنين فما من مؤمن خالص الا ويعد الموت يأتي روحه اليها ويتنعم فيها مع سائر
المؤمنين الى ان يدخلوا دار كرامته العظمى في القيمة الكبرى وقد اكثر شرافتها وعظم
قدرها بان جعلها مدفن وصي رسول الله ص بعد ان كان مدفن آدم ابي البشر ونوح
شيخ المرسلين عليهما السلام وقد ضمن ع ان يشفع لكل مؤمن دفن فيها بجواره فاسئل
الله ان يأتي بروحك اليها في زمرة المؤمنين ويجعلها محل دفنك لينالك شفاعة
مولاك ع ولا يحشرك مع الكفار والعصاة في وادي برهوت واذا اتيت لزيارته ع تذكر
عظيم مرتبته عند الله تعالى وعند رسوله ص وراع الآداب التي ذكرناها في زيارة رسول الله
واذا وردت ارض كربلا لزيارة سيد الشهداء عليه افضل التحية والثناء فتذكر ان
هذه الارض هي التي قتل فيها سبط رسول الله ص واولاده واقاربه واحبائه واسرت
فيها اهاليه واهل بيته فجدد الحزن على قلبك وادخلها اشعث اغبر منكسر الحال
محزون القلب كئيباً حزيناً باكياً واحضر في قلبك حرمة هذه الارض وشرافتها فانها الارض
التي في تربتها الشفاء ولا يرد فيها الدعاء وقد جعلها الله يوم القيمة ارفع بقاع الجنة
فتردد فيها على سكينة ووجل ثم اذا دخلت الحائر للزيارة ووقع بصرك على ضريحه
المنور ثم على ضرايح اصحابه المستشهدين معه المجتمعين في موضع واحد في جواره فتذكر

قبل

اذا زرت قبر الحسين عليه السلام او مشاهد قبور سائر الائمة المعصومين عليهم السلام

فتحضر في قلبك اشخاصهم وتذكر مصائبهم وما جرى عليهم من البلاء والمحن واحضر في نفسك ابا
عبد الله الحسين ع وكل واحد واحد من اصحابه بترتيبه واقفا في عرصة كربلاء مستأذنا منه للجهاد قائلا السلام عليك
يا ابا عبد الله وهو يأذنه ويلقي نفسه في الميدان على الجم الغفير فيقتل في سبيله واذا اشرف
ينادي باعلى صوته ادركني يا ابا عبد الله وهو عليه السلام يسرع اليه كالصقر المنقض
فيأخذ جثته من الميدان ويلحقه بسائر اخوانه الشهداء ومثل في نفسك امثال ذلك وحق
عليهم الحزن والبكاء وتمن كونك معهم في تلك العرصة وقل يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما ثم راع الاداب الباطنة للزيارة وقس على ذلك زيارة كل واحد من
الائمة عليهم السلام فانه ينبغي لك ان تستحضر عند حضورك كل واحد
منهم جلالة شانه وعظمة قدره وعظيم حقه وتتذكر ما يناسب
حاله وما جرى عليه ثم تستشعر في قلبك ما يترتب
عليه من التعظيم والاجلال والخوف
والحزن والفرح وامثال
ذلك هذا

آخر

كتاب جامع السعادات والحمد لله على اتمامه واسأل الله ان
يجعلنا من العاملين به وينفع به جميع عباده السالكين اليه
وقد وقع الفراغ من جمعه وتاليفه في سلخ شهر ذي قعدة الحرام
سنة ست وتسعين ومأة بعد الالف من الهجرة النبوية على
هاجرها الف الف سلام وتحية

الحمد لله — والمنة له

این کتاب مستطاب موسوم
بجامع السعادات فی موجبات النجاة که در فن
مکارم اخلاق و ملکات و محامد نعوت و صفات خلاصه آداب ماثوره
در شریعت حقه از اهل بیت العصمة و الطهارة را محتوی و زبده وظایف
محموده در نظر ارباب حکمت و معرفت در آن منطوی است روح الله روح مصنفه
و قدس نفسه زبدهٔ مؤلفه و کافی است گواه در جلالت قدر این کتاب آنکه کتاب مستطاب
معراج السعادة که منسوب بولد امجد اسعد مصنف و هو الحبر الاوحد العالم العلم الافخم مولانا
الحاج ملا احمد طاب الله رمسه بنگذ از مضامین افاضت بین همین کتابست که از عربی
بفارسی بتسهیل انتقل فرموده و بین الانام مرغوب و ستوده گردیده بالجمله محمدات این نسخه شریفه
مما از مفاخر فرقهٔ محقه است مستغنی است از اغراق عبارات و تعبیر و منقبت این صحیفه
منیفه که انموذج آداب اهل ریاضت و مجاهده است غیر معنی است بکتابت و
تحریر فلله در مصنفه و جامعه و الشکر لله که از توفیقات جناب مستطاب فخامت نصاب
عمدة الاجلة و الاعیان و زبدة الاماثل و الارکان افتخار التجار الحاج سید محمد التاجر الطهرانی
الشهیر بصراف دام مجده از جمله نیکو خواهی که قربة الی الله بنذر موقوع و منظور
نموده بودند جهة نشر و طبع کتب علماء مذهب جعفری ع بشرحی که در صفحه آخر
کتاب مستطاب مشارق الشموس فی شرح الدروس تفصیلا مشروح است مدة باجازه
و صوابدید سرکار شریعتمدار خلایق پناه افتخار عماد الاسلام و ملاذ الانام فخر الفقهاء و المجتهدین
مولانا الحاج میرزا ابو الفضل الطهرانی متع الله المسلمین بطول بقائه این بنده
نابود اقل عباد الله المدعو بالشیخ محمود ابن المرحوم الحاج ملا صالح البروجردی
عفی عنهما اقدام بتصحیح و توشیح آن نموده و حتی المقدور از حفظ ترتیب و اهتمام
در مهام آن مضایقه نکرده چنین پندارد که از حیث صحت مضامین و
حسن عبارات عناوین بین کتب مطبوعه قلیل المثل بلکه
عدیم النظیر خواهد بود با آنکه نسخی که جهة
استنساخ و مقابله
تحصیل شد بسیار قلیل بود و غرض از طبع النفع
و سیله جوئی بدعاء خیر اخوان از مؤمنین و اخیار و الصلوة
من الله تعالی علی النبی و آله الاطهار و قد فرغ من تمامه فی غرة شهر الله رجب الاصم الاصب سنه ۱۳۱۲